مفتاح السعادة
في شرح نهج البلاغة

لمؤلفه
محمد تقي النقوي القايني

مكتبة الروضة الحيدرية

www.haydarya.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مفتاح السّعادة
فى
شرح نهج البلاغة

المجلد السادس عشر

لِمُؤلّفه سيد محمد تقى النّقوى

مكتبة الروضة الحيدرية
الرقم ١٠٧٥٤٨
التاريخ ٩/٨/١١

قائم
انتشارات قائم

سرشناسه: نقوی قائنی، محمد تقی، ۱۳۰۸ -
مفتاح السعادة فی شرح نهج البلاغه [علی بن ابی‌طالب علیه السلام] تألیف محمد تقی نقوی القائنی. ـ تهران: قائن، ۱۳۸۳.
ج.
ISBN - SET : 964 - 94687 - 5 - 7: (دوره).
ISBN : 964 - 8981 - 06 - x: (ج ١٦).
فهرست‌نویسی بر اساس اطلاعات فیپا.
عربی.
کتابنامه.
۱. علی‌بن ابی‌طالب علیه السلام، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت ـ ٤٠ ق. ـ نهج البلاغه ـ نقد و تفسیر. ۲. علی‌بن ابی‌طالب علیه السلام، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت ـ ٤٠ ق. ـ کلمات قصار. ۳. علی‌بن ابی‌طالب علیه السلام، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت ـ ٤٠ ق. ـ خطبه‌ها. الف. علی بن ابی‌طالب علیه السلام، ۲۳ قبل از هجرت ـ ٤٠ ق. ـ نهج البلاغه. شرح. ب. عنوان. ج. عنوان: نهج البلاغه. شرح.

BP۳۸/۰۲/ن۷ ۲۹۷/۹۵۱۵
۱۳۸۳
کتابخانه ملی ایران ۳٤۵۷۱-۸۳م

مفتاح السعادة فی شرح نهج البلاغة ـ المجلد السادس عشر

المؤلف: محمد تقی نقوی قائنی
الکمیة: ۱۰۰۰
الطبعة: الاولی
تاریخ الطبع: ۱۳۸٤ ش. ـ ۱٤۲٦ ق.
تنسیق الصفحات: نشرقائن ـ ٤٤٤٤٦٥۲۷-۸
لیتوغرافی: نوین
المطبعة: زنبق
انتشارات: قائن
تهران، شارع جنت‌آباد، هاتف: ٤٤٤٤٦٥۲۷-۸

جمیع الحقوق محفوظة للناشر

با مشارکت و حمایت معاونت امور فرهنگی وزارت فرهنگ و ارشاد اسلامی
شابک: ۹٦٤ - ۸۹۸۱ - ۰٦ - x ISBN : 964 - 8981 - 06 - x
شابک دوره: ۹٦٤ - ۹٤٦۸۷ - ۵ - ۷ ISBN-SET : 964 - 94687 - 5 - 7

ومن كتابٍ له عليه السلام (٥٥)

الىٰ أهل الكوفة، عند مَسيره من البَصرة الىٰ المدينة

◻ قوله عليه السلام: **أمَّا بَعْدُ فإنّي خَرَجْتُ منْ حَيِّي هَذا إمَّا ظَالِماً وإمَّا مَظْلُوماً وإمَّا باغِياً وإمَّا مَبْغِيّاً عليْهِ وأنّي أُذَكِّرُ اللّهَ مَنْ بَلَغَهُ كِتَابي هذَا لَمَّا نَفَرَ إلَيَّ فإنْ كُنْتُ مُحسِناً أعانَنِي وإنْ كُنْتُ مُسِيئاً إسْتَعْتَبَني...**

◁ **اللّغة**

(**حَيِّ**) بفتح الحاء وكسر الياء المُشدّدة الحَيّ موطن القبيلة أو منزلها والياء الثانية للتّنبه (**باغِياً**) إسم فاعل مـن البَـغي (**مَبْغِيّاً**) بـفتح الميم وكسـر الغـين وتشّديد الياء إسم مفعول منه والبَغي التّجاوز عن الحـدّ (**أُذَكِّرُ**) بـضم الألف وفتح الذّال وتشديد الكاف متّكلم وحدة من فعل المضارع باب ذكّر يُذَكّر نحو صَرّف يُصرّف (**نَفَرَ**) فعل ماضٍ بمعنىٰ رحَلَ (**مُحسِناً**) بضّم الميم وكسر السّين الفاعل من أحسَنَ يُحسِن، (**أعانَنِي**) أعانَ فعل ماضٍ ومُضارعه يُعين والمصدر الإعانة (**مُسِيئاً**) بضم الميم الفاعل من أساء يُسيء (**إسْتَعْتَبَني**) إستَعتَب علىٰ وزن إستَخرَج فعل ماض مصدره الإستعتاب والتّاء فيه للطّلب يُقال إستَعتَبني أي طلب منّي العتاب.

◁ **المعنىٰ**

(**أمَّا بَعْدُ**) الحَمد والثناء عليه (**فإنّي خَرَجْتُ منْ حَيِّ**) ومنزلي (**هَذا**) وهو المَدينة (**إمَّا ظَالِماً**) في خروجي (**وإمَّا مَظْلُوماً**) فيه (**وإمَّا باغِياً**) متجاوزاً (**وإمَّا مَبْغِيّاً عليْهِ**) بأن بَغىٰ علَيّ شخص أو أشخاص (**وإنّي أُذَكِّرُ اللَّهَ**) أي أُذكِّركم الله وأجعله شاهداً علىٰ ما أقول (**منْ بَلَغَهُ كِتابي هَذا**) من المُسلمين (**لَّما نَفَر**)وَرَحل (**إلَيَّ فإنْ كُنْتُ مُحسِناً**) فيما أفعَل (**أعانَني عليه**) علىٰ الإحسان (**وإنْ كُنْتُ مُسِيئاً**) غير مُحسنٍ (**اسْتَعْتَبَني**) أي عاتَبني وَمَنَعَني عمَّا أنا فيه:

◁ **الشَرح**

قال عليه السلام هذا الكلام عند خروجه من المَدينة عازماً الىٰ البَصرة في قصّة الجَمَل وقد مرّ الكلام فيها مُفصّلاً فيما مضىٰ ومحصّل كلامه عليه السلام في المقام أنّه كتبَ بهذا الكتاب الىٰ أهل الكُوفة وأعلَمَهم بحقيقة الأمر وقد أنصَفَ عليه السلام من نفسه كمال الإنصاف في خروجه هذا لئلّا يبقىٰ لهم شّك في خِروجهم اليه فقال عليه السلام أنّي خرجتُ من حَيَّ هذا إمّا ظالماً وإمّا مظلوماً، وإمّا باغياً وإمّا مَبْغياً عليه:

والحصر عقّلي وذلك لأنّ الخروج من المَدينة الىٰ البَصرة للحَرب مع أصحاب الجَمل لا يخلو حاله من الأمرين المذكورين أعني بهما كونه ظالماً أو مظلوماً فأن خرج من المَدينة بغير حقّ فهو ظالم وأن خرج بحقّ مدافعاً عن نفسه وعن بيضة الإسلام فهو مظلوم ولا واسطة بين المقامين وهكذا أن خرج باغياً علىٰ غيره فهو باغ وأن خرج ليدفع الظّلم والبَغي من نفسه ونفوس شيعته والمُسلمين فهو مَبْغيّ عليه والفرق بين الظّلم والبَغي هو أنّ الظّلم عبارة عن وضع الشَئ في غير محلّه وقيل التّجاوز عن الحدّ، والبغي هو تجاوز الحقّ الىٰ الباطل ولذا قيل أنّ البغي أخصّ من الظّلم وهو أعمّ فيه قال الرّاغب في المفردات الظّلم يُقال في مُجاوزة الحقّ الّذي يجري مجرىٰ نقطة الدائرة ويُقال

فيما يكثر وفيما يقل من التّجاوز ولهذا يُستعمل في الذّنب الكبير وفي الذّنب الصّغير ولذلك قيل لِآدم في تعدّيه ظالم وفي إبليس ظالم وأن كان بين الظّلمين بَونٌ بعيد قال بعض الحُكماء الظّلم ثلاثة:

الأوّل: ظلمٌ بين الإنسان وبين اللّه تعالى وأعظمه الكُفر والشّرك والنّفاق ولذلك قال:**﴿إنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾**(١)

والثّاني: ظلم بينه وبين النّاس وأيّاه قَصَد بقوله:(وجزاء سيئةٍ) الى قوله أنّه لا يحبّ الظّالمين ،والثّالث ظلم بينه وبين نفسه وأيّاه قصد بقوله (فمنهم ظالم لنفسه، وقوله (ظلمتُ نفسي) الى آخر ما قال انتهى.

وقال في البَغي، البَغي طلب تجاوز الإقتصاد فيما يتحرى تجاوزه أو لَم يتجاوزه الى أنْ قال، البَغي على حزبين.

أحدهما: محمود وهو تجاوز العَدل الى الإحسان والفَرض الى التّطوع، **والثّاني:** مذموم وهو تجاوز الحقّ الى الباطل أو تجاوزه الى الشّبه انتهى موضع الحاجة من كلامه:

وأنا أقول: ما ذكره في معنى الظّلم والبَغي والفرق بينهما لا بأس به إلّا أنّ ما ذكره في أقسام الظّلم ونَسَبه الى الحكَماء لَيس بَصَحيح والحقّ أنّه من الحديث النّبوي المشهور بين العامّة والخاصّة قال رسول اللّه ﷺ **ألا وأنّ الظلّم ثلاثة فظلم لا يُغفر وظلمٌ لا يُترك وظلمٌ مغفورٌ لا يُطلب الحديث «مَجمُوعة ورّام ص ٥٤»**...وعنه ﷺ أخذه مَن أخذ سواء كان من الحُكَماء أم من غيرهم ثمّ أنّ ما ذكره في البَغي بالنّسبة الى معناه اللّغوي وأمّا البَغي في إصطلاح أهل الشّرع فهو عبارة عن الخروج على الإمام العادِل كما ذكروه في كُتُب الفِقه وفَسّرُوا الإمام العادل بالمعصوم لأنه المُتيقن وغيره مشكوك فيه وحيث كان كذلك فَعليّ ﷺ كان مظلوماً ومَبغيّاً عليه لأنّ أصحاب الجَمَل ظلموه وبَغُوا عَليه وقد ثبت عَدله وعِصمته:

١- لقمان-١٣

وأمّا قوله عليه السلام: **وأنّي أُذَكّر اللّه** الى آخر كلامه ففيه إشارة الى نكتةٍ أخرى وحقيقة ثانية وهي أنّي لا أقول لكم ولا أطلب منكم النّصرة جُزافاً بعنوان الإمارة وبيعتكم لي بل أقول لكلّ من بلغه كتابي هذا ونَفَر إلّي أنّ أمري لا يخلو من الحقّ والباطل والإحسان والإساءة فأن رأيتّم إحساني، فأعينوني عليه وأن رأيتّم إسائتي وظلمي فأستعتبُوني ولومُوني على ما أُريد وذلك لقوله تعالى: **﴿تَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَ التَّقْوىٰ وَ لاٰ تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَ الْعُدْوَانِ﴾**(١) وهذا أيضاً كمال الإنصاف منه عليه السلام

١-المائدة-٢

(٥٦) ومن كلام له عليه السلام

كتبه الى أهل الأمصار، يقتص فيه ما جرى بينه وبين أهل صفين

▫ قوله عليه السلام: وكانَ بَدء أَمْرِنا أنَّا التَقَيْنا والْقوْمُ منْ أهْلِ الشَّامِ والظَّاهِرِ أن رَبَّنا واحِدٌ وَنَبِيَّنا واحِدٌ ودَعْوَتَنا في الإِسْلاَمِ واحِدَةٌ ولاَ نَسْتَزِيدُنَنا في الإِيمَانِ باللّٰهِ والتَّصْدِيقِ بِرَسُولِه ولا يَستزِيدُونَنا الأَمْرُ واحِدٌ إلاّ ماخْتلَفْنا فيهِ منْ دمِ عُثمانَ ونَحْنُ مِنْهُ بَراءٌ فَقُلْنا تَعالَوْا نُداوِي ما لاَ يُدْرَكُ اليَوْمَ بإطْفاءِ النَّائِرَةِ وتَسكينِ العَامَّةِ حتّىٰ يَشْتَدَّ الأَمْرُ ويَسْتَجْمِعَ فَتَقْوَىٰ علىٰ وَضْعِ الحَقِّ مَواضِعَهُ فَقَالُوا بَلْ نُدَاوِيهِ بالمُكابَرَةِ فأَبَوْا حتّىٰ جَنَحَتِ الحَرْبُ ورَكَدَتْ وَوَقَدَتْ نِيرانُهاوحَمِسَتْ فَلَمَّا ضَرَّسَتْنا وإيَّاهُمْ وَوَضَعَتمَخَالِبهَا فِينَا وفِيهِم أجابُوا عِنْدَ ذٰلِكَ إِلىٰ الّذي دَعَوْناهُمْ إِلَيْهِ فأَجَبْناهُمْ إِلىٰ مادَعَوْا وسَارَعْناهُمْ إِلىٰ ما طَلَبُوا حتّىٰ اسْتَبانَت عَلَيْهِمْ الحُجَّةُوانْقَطَعَتْ مِنْهُمْ المَعْذِرَةُ. فَمَنْ تَمَّ علىٰ ذٰلِكَ مِنهُمْ فَهُوَ الّذِي أَنْقَذَهُ اللّٰهُ منَ الهَلَكَةِ ومنَ لَجَّ وتَمَادَىٰ فَهوَ الرَّاكِس الّذِي رَانَ اللّٰهُ علىٰ قَلْبِهِ وصَارَتْ دَائِرَةُ السَّوءِ علىٰ رَأْسِه...

◁ اللّغة

(بَدء) بفتح الباء وسكون الذّال مصدر قولك بَدَء يَبدَء بَدءً ومعناه الإبتداء (إلتقينا) متكلم مع الغير من فعل الماضي باب إلتقىٰ يلتقي (نَسْتَزِيدُ) بفتح النّون متكلم مع الغير من المضارع باب إستَزاد يَستَزيد يقال إستَزاد منه اذ طلب الزّيادة (بَراء) بفتح الباء لا يثنّي ولا يجمع ولا يؤنث يقال أنا بريٌ منه أي

بمعزلٍ عنه والبَراء معناه البَرِيْ (نُدَاوِي) مُتكلم مع الغير من المضارع باب داوىٰ يُداوي (نائِرَةِ) النائرة إسم فاعل من نارت الفِتنة تنور اذا إنتشرت والنّائرة أيضاً العداوة والشّحناء والمُكابرة والمُعاندة (جَنَحَتِ) أي مالَت وأَقبَلَت (رَكَدَتْ) بفتح الرّاء والكاف والدّال فعل ماضٍ من رَكد يَركد يقال رَكَدت الحَرب أي إستقرت وثَبتت (وَقَدَتْ) بفتح الواووالقاف والدّال أي أتقَدَت والتَهَبت (حَمِسَتْ) بفتح الحاء وكسر الميم وفي بعض النّسخ (حمشت) بالشّين أي إستقرت (ضَرَّسَتْنا) أي عَضّتنا أضراسها (الرّاكِسْ) النّاكث الّذي قلب عهده ونكثه (رَانَ) أي غطىٰ.

◁ **المعنىٰ**

(وكانَ بَدء أَمْرِنا) وإبتداءه (إنَّا التَقَيْنا والْقَوْمُ منْ أهْلِ الشَّامِ) في موضع يقال له صفّين (والظَّاهِرِ أن رَبَّنا واحِدٌ وَنَبِيَّنا واحِدٌ) وهو مُحمّد ﷺ (ودَعْوَتَنا في الإسْلاَمِ واحِدَةٌ) وهي الدّعوة الىٰ الحقّ (ولاَ نَسْتَزِيدُهُمْ) أي لا نطلب منهم الزّيادة (في الإيمَانِ باللّهِ والتَّصْدِيقِ بِرَسُولِهِ ولا يَستزِيدُونَنا) أي أنّهم أيضاً لا يطلبون الزّيادة منّا (الأَمْرُ) من هذه الجهة راحد (إلاّ مااخْتَلَفْنا فيهِ منْ دمِ عُثمانَ ونَحْنُ مِنْهُ) من الدّم (بَرَاء) أي نحن بَراء منه ولكن أهل الشّام يتّهموننا به (فَقُلْنا) لهم (تَعالَوْا نُدَاوِي) ونُعالج (ما لا يُدْرَكُ اليَوْمَ بإِطفاءِ النَّائِرَةِ) أي قلنا لهم تعالوا نُصالح حتّىٰ يسكن الإضطراب (وتَسكِينِ العَامَّةِ) من القلق والوَحشة (حتّىٰ يَشْتَدَّ الأَمْرُ ويَسْتَجْمِعَ فَنَقْوىٰ) ونقدر (علىٰ وَضْعِ الحَقِّ مَوَاضِعَهُ فَقالُوا بَلْ نُدَاوِيه) ونُعالجه (بالمُكابَرَةِ) والمُعاندة والقتال (فَأَبَوْا) وإمتنعُوا عن الصّلح (حتّىٰ جَنَحَتِ) ومالت (الحَرْبُ ورَكَدَتْ) وإستَقرت (ووَقَدَتْ) وإلتهبت (نِيرانُها وحَمِسَتْ) وإشتّدت (فَلَمَّا ضَرَّسَتْنا) أي عَضّتنا الحرب بأضراسها (وإِيَّاهُمْ وَوَضَعَتْ) الحَرب (مَخالِبَها فِينَا وفِيهِمْ أجابُوا عِنْدَ ذلِكَ إلىٰ الّذي دَعَوْناهُمْ إليْهِ) وهو الصّلح (فأَجَبْناهم إلىٰ ما دَعَوْا وسَارَعْناهُمْ) وسابقناهم (إلىٰ ماطَلَبُوا) من الحَقّ (حتّىٰ اسْتَبانَتْ) وظَهرت

(عَلَيْهِمُ الحُجَّةُ وانْقَطَعَتْ مِنْهُمُ المَعْذِرَةُ) فلا عُذر لهم بعد ذلك (فَمَنْ تَمَّ علىٰ ذَلِكَ مِنْهُمْ) وقبل حكم الله في كتابه (فَهُوَ الَّذِي أَنْقَذَهُ اللّٰهُ) وأخرجه (مِنَ الهَلَكَةِ ومن لَجَّ وتمادي) أي عاند وتساهل في قبوله (فَهوَ الرَّاكِسُ) النّاكث (الَّذِي رَانَ)وغطىٰ(اللّٰهُ علىٰ قَلْبِهِ وصَارَتْ دَائِرَةُ السَّوءِ علىٰ رَأسِه) خسر الدّنيا والآخرة ذلك هو الخسران المُبين.

◁ الشَرح

▫ **قوله ﷺ: وكانَ بَدءِ أمْرِنا أنَّا إلتقَيْنا والْقَوْمُ منْ أهْلَ الشَّامِ...**

الظّاهر أنّ هذا الكلام صدر عنه ﷺ بعد وقعة صفّين وأراد ﷺ به بيان علّة وقوع الحَرب وما جرىٰ فيها بين الطّائفتين ونحن قد ذكرنا فيما مضىٰ شرح القّضية وتفصيله موجود في التّواريخ .

▫ **قوله ﷺ: والظَّاهِر أنّ رِبَّنا واحِدٌ ونَبِيَّنا واحِدٌ ودَعْوَتَنا في الإسْلاَمِ واحِدَةٌ...**

فيه إشارة الىٰ أنّ القوم كانوا مُتَظاهرين بالإسلام لا مُعتقدين به اذ لو كانوا مُسلمين حقّاً لما وقعت الحَرب بيننا وبينهم وهو كذلك فأنّ معاوية وابن العاص ومن تبعهما عن علمٍ كانوا مُنافقين مُعاندين فهُم كانوا يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم اذ لولا ذلك لما صحّ منه ﷺ محاربتهم ومنازعتهم وهو ظاهر ففي قوله ﷺ: **والظَّاهِر**، إشارة الىٰ هذه النكتة الدّقيقة فالمفهوم من الكلام أنّ ربّنا غير ربّهم ونبّينا غير نبّيهم ودعوتنا غير دعوتهم بمعنىٰ أنّهم يعبدون الهَوىٰ ونحن نعبد الله الّذي لا إله إلّا هو وأنّهم يقولون برسالة الشّيطان ونحن نقول برسالة مُحمّد بن عبد الله وأنّهم يدعون الىٰ الشّرك والنّفاق والرّجوع الىٰ الجّاهلية ونحن نقول ونعتقد بالإسلام الحقيقي وندعوا النّاس اليه:

▫ **قوله ﷺ: ولاَ نَسْتَزِيدُهُمْ في الإيمانِ باللّٰهِ والتَّصْدِيقِ بِرَسالته ولاَ نَستَزِيدُننا...**

الّتي لا نطلب منهم الزّيادة في الإيمان بالله وبرسوله وهُم أيضاً لا يطلبون

منّا الزّيادة فيه أمّا أنّا لا نطلب منهم الزّيادة فلأنّ المفروض أنّهم لم يعتقدوا بشئ من الإيمان أصلاً ومن كان كذلك فكيف يطلب منه الزّيادة وبعبارةٍ أُخرىٰ طلبُ الزّيادة لا يعقل إلّا فيما كان الشّئ موجوداً وأمّا ماليس بموجُود أصلاً فكيف يتّصور فيه الزّيادة فضلاً عن طلبها وفي هذا الكلام إشارة الىٰ أنّ معاوية ومن تبعه لم يكونوا من المؤمنين بل المُسلمين واقعاً اذ لو كان لهم دين وإعتقاد ولو ناقصاً لما صَحّ له ان يقول لا نستزيدهم في الإيمان بل كان الحقّ أن يقول نستزيدهم كما هو ظاهر:

وأمّا قوله عليه السلام: ولاَ نَسْتَزِيدُنا، ففيه إشارة الىٰ أمرين:

أحدهما: الإشارة الىٰ أنّهم ليسوا من أهل الإيمان والإسلام ومن كان كذلك لا يستزيدوننا الإيمان من غيره هذا بالنّسبة الىٰ غير المؤمن اذا لم يكن مُعانداً مُنافقاً وأمّا من لم يؤمن بالله وبرسُوله ومع ذلك كان رأس المُعاندين والمُخالفين.الّذين يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم، فكيف يستزيد الإيمان من غيره والمفروض أنّه أراد هَدم الإيمان عن صَفحَة الأرض:

وثانيهما: أن يكون الكلام إشارة الىٰ أنّ أمير المؤمنين وأصحابه كانوا في أعلىٰ مرتبة الإيمان وآخر درجاته ولا يعقل إيمان فوق إيمانهم حتّىٰ صحّت الإستزادة ولا سيّما من معاوية وأمثاله ومحصّل ما أفاده عليه السلام في المقام هو أنّ النّزاع بيننا وبينهم ليس في إستزادة الإيمان من الطّرفين بل في شئ آخر وهو الطّلب بدم عُثمان منهم وقمع مادّة الفساد منّا كما قال عليه السلام:

▫ **قوله عليه السلام: الأَمْرُ واحِدٌ إلاَّ ما اخْتَلَفْنا فيهَ منْ دَمِ عُثمانَ ونَحْنُ مِنْهُ بَرَاء...**

أي أنّ الأمر في الرّبوبية والنّبوة والدّعوة بحسب الظّاهر واحد لا خلاف لنا فيه ظاهراً والّذي إختلفنا فيه هو دَم عثمان فأنّهم يتّهموننا به ونحن منه بَراء، وهذا هو الّذي صار منشأً لِلفِتنة وعلّةً للحرب وقد ذكرنا سابقاً أنّ معاوية كان عالماً بأنّ عليّاً لم يقتل عثمان ولم يشرك في قتله ولم يأمر به أيضاً إلّا أنّه أراد بذلك تخدير أفكار العوام اللّذين كالأنعام بل هم أضَل سبيلاً ولا شّك أنّ

الإتّهام في أكثر الموارد يكون قنطرة للعُبور ووسيلة للوصُول الى المقصود وحيث أنّ معاوية كان مُريداً للخلافة والحكومة وهو في حدّ ذاته وصفاته لم يكن لائقاً لها والنّاس أيضاً كانوا عالمين بعدم لياقته لما أراده فلا جَرم تَشبّث بدم عثمان وقال أنّه قُتِلَ مظلوماً ونَسَب ذلك الى أمير المؤمنين ليكدر الماء الصّافي ويأخذ الحُوت منه كما هو دأب السّياسيين في عصرنا هذا أيضاً وليس هذا أوّل قارورةٍ كُسِرَت في الإسلام هذا وإلّا فمعاوية لم يكن من أولياء الدّم فهو في إدعائه كاذبٌ مفترٍ وقد مرّ الكلام فيه غير مرّةٍ فلا يبعد أن يكون قوله عليه السلام: **ونحن منه بَراء**، إشارة الى أنّ معاوية وخواصّ أصحابه يعلمون ببَرائتنا منه إلّا أنّهم لا يقّرون بها حُبّاً للدّنيا وزخارفها.

□ قوله عليه السلام: **فَقُلْنا تَعالَوْا نُدَاوِي ما لاَ يُدْرَكُ اليَوْمَ بإطْفاءِ النَّائِرَةِ وتَسكينَ العَامَّةِ حتّىٰ يَشْتَدَّ الأَمْرُ ويَسْتَجْمِعَ فَنَقْوَىٰ علىٰ وَضْعِ الحَقِّ مَوَاضِعَهُ...**

قال الشّارح المُعتزلي في شرح هذه الكلمات ما لفظه:

قال عليه السلام قُلنا لهم تعالوا فلنطفيء هذه النّائِرة الآن بوضع الحَرب الى أن تتمهد قاعدتي في الخلافة وتزول هذه الشّوائب الّتي تكدّر علَى الأمر ويكون للنّاس جماعةٍ ترجع اليها وبعد ذلك أتَمَكّنَ من قتلة عثمان بأعيانهم فأقتَصّ منهم فأبَوا إلّا المُكابرة والمُغالبة والحَرب انتهىٰ.

وأنا أقول: ما ذكره في شرح العبارة ليس بصحيح بل هو من حمل الكلام علىٰ ما لا يرضىٰ به صاحبه وذلك لأنّ أمير المؤمنين كان عارفاً بقَتَلَة عثمان قادراً عليهم وهم أكثر المُسلمين بل جميعهم في الحقيقة حيث أنّ الغائبين في قتل عثمان كانوا راضيين به ومن لم يرض به من شيعته أمثال معاوية وابن عامر وابن أبي سَرح وابن عُمر وأمثالهم من المُنافقين المُعاندين فهم في الحقيقة لم يكونوا من المُسلمين واذا كان كذلك فمِمّن يُقتَص:

وثانياً: ليس معنىٰ قوله ونحن منه بَراء، أنّه عليه السلام كان ساخطاً علىٰ قَتَلته حتّىٰ يقتّص منهم في صُورة القُدرة وبعبارةٍ أخرىٰ القصاص لا يجب في كُلّ قتلٍ

شرعاً بل يجب فيما اذا كان المقتُول مظلُوماً قال اللّه تعالىٰ:﴿**وَمَن قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً**﴾(١)

وأمّا عثمان فلم يُقتل مظلُوماً بزعَم المُسلمين وعلىٰ المُدّعىٰ الإثبات ومِن أينَ ثبت للمُعتزلي مظلومية عثمان الّذي قتله جميع المُهاجرين والأنصار بالمباشرة أو بالرّضا، ثُمّ مِن أينَ ثَبتَ له أنّ عليّاً كان مُعتقداً بمظلُوميّته حتّىٰ يقتّص من قاتله أو قاتليه:

وثالثاً: علىٰ فرض التّسليم وأنّه قُتِلَ مظلوماً كيف يُقتّص من قاتليه وهم أكثر المُسلمين ورؤساء الأنصار والمُهاجرين وفيهم عمّار ومُحمّد ابن أبي بكر والأشتر وطَلحة والزّبير وعائشة وغيرهم أيَجُوز علىٰ مذهب المُعتزلي قتل جميع المُسلمين:

ورابعاً: أيّ ربطٍ بين معاوية ودعوىٰ القصاص منه حتّىٰ يُقال له ما إدّعاه المعتزلي ومحصّل الكلام أنّ ما ذكره الشّارح بعيد عن الواقع ومع ذلك توجب أن يكون عليّاً عليه السلام ساخطاً علىٰ قتلة عثمان مُريداً علىٰ الإقتصاص منهم لَدىٰ الفُرصة وليس هذا إلّا إفك إفترىٰ عليه نعم هو عليه السلام لم يأمر بقتله وليس لازمه عَدم الرّضا به وهو ظاهر علىٰ النّاقد البَصير فالقول بأنّ أمير المؤمنين طَلب من معاوية إطفاء النّائرة ليتّمكن علىٰ قتلة عثمان بهتان عليه وليت شعري ما الّذي دعاه الىٰ هذا وأمثاله في شرحه:

والّذي نقول في شرح العبارة هو أنّه عليه السلام أراد بهذا الكلام التّسليم لحكم اللّه تعالىٰ قبل الحرب كما قالوا به بعدها والدّليل علىٰ ما ذكرناه قوله عليه السلام فيما سيجئ (**أجابُوا عِنْدَ ذلِكَ إلىٰ الّذي دَعَوْناهُمْ إلَيْهِ**) ولا شَك أنّ الّذي أجابهم بعد الحَرب هو التّسليم لحكم اللّه فيلزم أن يكون الّذي دعاهم اليه قبلها أيضاً التّسليم والتّحكيم وأيّ ربطٍ بينه وبين القول بالقصاص كما قاله المُعتزلي ولعلّه شَرَح الكلام قبل وصوله الىٰ العبارة المذكورة واللّه أعلم بحقائق الأُمور وعليه فمعنىٰ العبارة هكذا، فقلنا لمعاوية وأصحابه.

١- الأسراء-٣٣.

تعالوا نداوي ما لا يُدرك بعدُ اليوم بإطفاء النّائرة وتسكين العامّة شبّه ﷺ الفِتنة الّتي أحدثها معاوية بين العوامّ من أهل الشّام بالمَرَض ثُمّ أفاد أنّ الحرب ليست بدواءٍ له بل دَواءه إطفاء نار الحرب وتسكين قلوب النّاس عن الإضطراب حتّىٰ يشتدّ الأمر ويُستجمَع أي حتّىٰ تُجمع كلمات القوم بزوال الإختلاف، فنقوىٰ بعد ذلك علىٰ وضع الحقّ مواضعه علىٰ ما يقتضيه الكتاب والسنّة والمراد بوضع الحقّ مواضعه هو وضع الخلافة في موضعها ويمكن أن يكون المراد من وضع الحقّ مواضعه إقامة الحُجج والبراهين القاطعة علىٰ ردّ ما إدّعاه معاوية من أنّ عليّاً قَتل عثمان أو أمَرَ بقتله:

▫ قوله ﷺ: **فَقَالُوا بَلْ نُدَاوِيهِ بِالْمُكَابَرَةِ فَأَبَوْا حتّىٰ جَنَحَتِ الْحَرْبُ وَرَكَدَتْ وَوَقَدَتْ نِيرَانُها وحَمِستْ فَلَمَّا ضَرَّسَتْنا وإيَّاهُمْ وَوَضَعَتْ مَخَالِبَهَا فِينَا وفِيهِمْ أجابُوا عِنْدَ ذلِكَ إلىٰ الّذي دَعَوْناهُمْ إلَيْهِ...**

والمقصود أنّهم أي معاوية وأصحابه لم يقبلوا ما قلنا لهم فقالوا بل نداوي هذا المَرَض بالمُكابرة والجدال والقتال حتّىٰ جَنَحَت ومالت أي مال رجالها لإيقادها وَرَكَدَتْ أي إستقرت وقامت، وَوَقَدَت أي إنقَدت والتهبت نيرانها وحمشت أي إستَعرت وشبّت وروي وحَمِستْ بالسّين المهملة أي إشتَدّ وصَلب فلمّا ضرستّنا وإيّاهم أي عَضّتنا الحرب بأضراسها تشبيهاً للحَرب بالسّبع الضّار وَوضعت أي الحرب مخالبها فينا وفيهم أثبَت الأضراس والمخالب لها تخييلاً مثل أنياب أغوال والحاصل لمّا وقعت الحرب بيننا وبينهم وقُتِلَ من الطَرفين خلقٌ كثير أجابونا عند ذلك الىٰ الّذي دعوناهم اليه أوّلاً وهو التّسليم لحكم اللّه تعالىٰ فرفعُوا المصاحِف علىٰ الرّماح وقالوا بيننا وبينكم كتاب اللّه:

▫ قوله ﷺ: **فأَجَبْناهُمْ إلىٰ مَا دَعَوْا وسَارَعْناهُمْ إلىٰ ما طَلَبُوا حتّىٰ اسْتَبانَتْ عَلَيْهِمُ الحُجَّةُ وانْقَطَعَتْ مِنْهُمُ المَعْذِرَةُ...**

أي إنّا لم ننكر عليهم بل أجَبْناهُمْ إلىٰ ما دَعَوْا وهو التّسليم لحكم اللّه

وسَارَعْناهُمْ أي سابقناهم الىٰ ما طلبوه منّا حتّىٰ اسْتَبانَتْ وظهرت عَلَيْهِمُ الحُجَّةُ وإنْقَطَعَتْ وإنفصلت منهم المَعذِرة وذلك لأنّهم لم يُجيبونا أوّلاً بما أجبناهم به ثانياً وبذلك قد تمّت الحجّة عليهم وإنقطع العذر في الدّنيا والآخرة ليهلك من هَلَكَ عن بيّنة ويحيي من حَيَ عن بيّنة:

□ **قوله ﷺ: فَمَنْ تَمَّ علىٰ ذَلِكَ مِنْهُمْ فَهُوَ الَّذِي أَنْقَذَهُ اللّهُ من الهَلَكَةِ ومَنْ لَجَّ وتَمادَىٰ فَهوَ الرَّاكِسُ الَّذِي رَانَ اللّهُ علىٰ قَلْبِهِ وصَارَتْ دَائِرَةُ السُّوءِ علىٰ رَأْسِه...**

أي فَمَنْ تَمَّ علىٰ ذَلِكَ العَهد الّذي عاهدنا عليه فهو الّذي أنقذه اللّه أي اخرجه وأنجاه من الهَلَكة في الدّارين ومَن لَجَّ وتَمادَىٰ أي قلَبَ عهده ونكثه فهو الرّاكس الرّاجع علىٰ عقبَيه الّذي رَانَ اللّهُ علىٰ قَلْبِهِ وغطّاه عن فهم الحقائق والإستضاءة. بنُور المعرفة وصارت دائرة السُّوء علىٰ رأسه، فقوله ﷺ ان اللّه علىٰ قلبه إشارة الىٰ قوله تعالى: ﴿كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (١) وقوله ﷺ: دَائِرَةُ السُّوءِ إشارة الىٰ قوله تعالى: ﴿وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (٢) والدّائرة الدّولة والجمع الدّوائر وفيه إشارة الىٰ نكتةٍ غَفَل عنها من شَرِحَ كلامه وهي أنّ مَن نَكَثَ عن الحقّ فقد ران اللّه علىٰ قلبه أي غطّاه عن فهم الحقيقة وسَلّط اللّه عليه الظّالم الجّائر الّذي لا يرحمه والنّاكث غافل عن هاتين العقوبتين في الدّنيا مضافاً الىٰ ما أعدّه اللّه له يوم القيامة من العذاب فكأنّه ﷺ أَخبَرهم بما وقعوا فيه بعد شهادته في حكومة بني أُمَية وبني العبّاس وأنّ ذلك بما كسبت أيديهم وما ربّك بظَلّامٍ للعبيد، كلّ ذلك لِنكثهم ونقضهم عهده ربيعته ومخالفتهم له ﷺ في أكثر الموارد ومن نكث فأنّما ينكث علىٰ نفسه وقيل أنّ المراد بالدّائرة الدّاهية والبَلية ولا مُنافاة بين المَعنيين اذ أية بلّية أَسَوء وأَشدّ من دولة السُّوء هذا:

روىٰ أنّ معاوية لمّا رأىٰ كثرة براز أمير المؤمنين وأصحابه أَخذ في الخديعة

١-المطففين-١٤ ٢- التوبة-٩٨

فأنفذ عمرو الىٰ ربيعة رجالاته فوقعوا فيه فقال أكتب الىٰ ابن عبّاس رغرّه فكان فيما كتب شعرا:

طـال البـلاء فـما نـدري له آس   بعد الإله سوىٰ رفق بن عبّاس

فقال ابن عبّاس في جوابه:

يـا عـمرو حسبك من خدعٍ ووسواس

فأذهب فـما لك في تـرك الهـدىٰ بأس

إلّا بـــوادر ظــعنٍ فــي نــحُوركم

تشـجىٰ النّـفوس له فـي نـقع أفـلاس

أن عـادت لحـرب عُدنا وإلتمس هـرباً

في الأرض أو سلماً في الأُفق يا قاس

ثمّ كتب معاوية اليه يذكر فيه، أنّما بقىٰ من قُريش ستّة أنا وعمرو بالشّام ناصبان، وسعد وأبن عُمرو بالحجاز، وعلّي وأنت بالعراق علىٰ خطبٍ عظيم ولو بويع لك بعد عثمان لأسرعنا فيه فأجابه ابن عبّاس بمسكةٍ فيها:

دعـوتَ ابـن عـبّاس الىٰ السِلَم خُـدعةُ

ولست له حـــتّىٰ تـموت بـــخادع

ثمّ كتب معاوية الىٰ علّيٍ بعد يأسه عن ابن عبّاس، أمّا بعد فأنّا لو علمنا أنّ الحَرب تبلغ بنا وبك ما بلغت لم يحنها بعضنا الىٰ بعضٍ وأن كنّا قد غلبنا علىٰ عقولنا فقد بقىٰ لنا ما نرّم به ما مضىٰ ونصلح به ما بقىٰ وقد كنتُ سألتك الشّام علىٰ أن لا يلزمني لك طاعة ولا بيعة فأبيت علّي وأنا أدعوك اليوم ما دعوتك اليه أُمس فأنّك لا ترجو من البقاء إلّا ما أرجو ولا تخاف من الفناء إلّا ما أخاف وقد والله رقّت الأجساد وذَهَبت الرّجال ونحن بنو عبد مناف ليس لبعضنا فضل علىٰ بعضٍ يستّزل به عزيز ويستّرق به حُرّ:

جواب علّي ﷺ لمعاوية: فأجابه أمير المؤمنين وقال - أمّا قولك أنّ الحَرب قد أَكَلَت العَرّب إلّا حشاشات أنفس بقيت ألا ومن أكله الحقّ فإلىٰ النّار، وأمّا

طلبتك الشّام فأنّي لم أكن أعطيك اليوم ما منعتك أمس وأمّا إستوائنا في الخوف والرّضا فَلَست أمضىٰ علىٰ الشّك منّي علىٰ اليقين الىٰ آخر ما ذكره عليه السلام في الجواب وقد مرّ ذكره وشرحه في كلامه السّابع عَشَر:

ثمّ أمر معاوية لابن الخديج الكندي أن يُكاتب الأشعث والنّعمان بن بشير أن يُكاتب قيس بن سعيد في الصّلح ثمّ أنفَذ عمرواً وعتبة وحبيب بن مَسلمة والضّحاك بن قيس الىٰ عليٍ فلمّا كلّموه قال أدعوكم الىٰ كتاب اللّه وسنّة نبّيه فأن تجيبوا الىٰ ذلك فللرّشد أصبتم وللخير وُفقتم وأنّ تأبوا لم تزدادوا إلّا بُعداً من اللّه فقالوا قد رأينا أن تنصرف عنّا فنخلّي بينكم وبين عراقكم وتخلون بيننا وبين شامنا فنحن نحقن دماء المُسلمين فقال عليه السلام لم أجد القتال أو الكفر بما أنزل اللّه عزّ وجلّ علىٰ مُحمّدٍ صلىٰ اللّه عليه وآله:

وروىٰ أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قال ألا أنّ خضاب النّساء الحناء وخضاب الرّجال الدّماء والصّبر خير في عواقب الأمور ألا أنّها أحسن بدّرية وضغائن أُحُدّية وأحقاد جاهلية وقرأ عليه السلام قوله تعالى: ﴿ **فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ** ﴾(١) ولمّا جرىٰ ليلة الهَرير وهي أشدّ ليلةٍ مَضَت عليهم في طول الحَرب صاحوا يا معاوية هَلَكَت العَرب فقال معاوية يا عمرو، نفّر أو نستأمن، قال نرفع المصاحف علىٰ الرّماح ونَقرأ: ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ** ﴾(٢) فأن قبلوا حكم القرآن رفعنا الحَرب ورافعنا بهم الىٰ الأجل وأن أبىٰ بعضهم إلّا القتال قللّنا شوكتهم وتقع بينهم الفُرقة وآمر بالنّداء:

فَلَسنا ولَستم من المشركين ولا المُجمعين علىٰ الرّدة
فأن تقبلوها ففيها البقاء للفرقتين وللبلدة
وأن تدفعوها ففيها الفناء وكلّ بلاءٍ الىٰ مدّة

١- التوبة ـ ١١
٢- البقرة ـ ٢٣

فقال عوف بن عبد اللّه:

رمـيناهم حـتّىٰ أَزَلنـا صفوفهم
فــلم يَــر إلّا لوحــة وكآبــيا

وحتّىٰ إستغاثوا بالمصاحف والقنا
بــها وقفات يتخطفنّ المحاميا

وقد ذكرنا فيما مضىٰ في الباب ما يغنيك عن غير هذا الكتاب وشرحنا قصّة صفّين وأن أردت الإطّلاع عليها بوجهٍ أبسَط فعليك بالتّواريخ المفصّلة اللّهم إلعن أوّل ظالم ظلم حقّ مُحمّد وآخر تابعٍ له علىٰ ذلك اللّهم إلعَنهم جـميعاً آمين.

(٥٧) ومن كتاب له عليه السلام
الى الأسود بن قطبة صاحب حلوان

▫ قوله عليه السلام: **أمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الوَالِي إِذَااخْتَلَفَ هَوَاهُ مَنَعَهُ ذَلِكَ كَثِيراً منَ العَدْلِ. فَلْيَكُنْ أَمْرُالنَّاسِ عِنْدَكَ في الحَقِّ سَواءِ فإنَّهُ لَيْسَ في الجَوْرِ عِوَضٌ منَ العَدْلِ فاجْتَنِبْ ما تُنْكِرُهُ أمثَالَهُ وابتَذِلْ نَفْسَكَ فِيما افتَرَضَ اللّهُ عَلَيْكَ رَاجِياً ثَوابَهُ ومُتَخَوّفاً عِقَابَهُ.**

واعْلَمْ أنّ الدُّنْيا دَارَ بَلِيَّةٍ لَمْ يَفْرُغْ صَاحِبُها فِيها قَطُّ سَاعةً إلّاكانَتْ فَرْغَتُهُ عَلَيْهِ حَسْرَةً يَوْمَالْقِيامةِ وأنّهُ لَنْ يُغْنِيَكَ عَنِ الحَقِّ شَيٌ أبداً.ومنَ الحَقِّ عَلَيْكَ حِفْظُ نَفْسِكَوالاحْتِسَابُ علىٰ الرَّعِيَّةِ بِجُهْدِكَ فإنَّ الَّذِي يَصِلُ إلَيْكَ منْ ذَلِكَ أفْضَلُ منَ الَّذِي يَصِلُ بِكَ والسَّلاَمُ.

◁ اللغة

(فَرْغَتُهُ) بفتح الفاء وسكون الرّاء وفتح الغين المعجمة، الفَرْغَة الواحدة من الفراغ (**الإِحْتِسَابُ**) مراقبة الأعمال وهو مصدر قولك إحتَسَب يحتسب إحتساباً (**بجُهدك**) الجُهد بضّم الجيم الطّاقة والإستطاعة يقال بَذل جُهده ومَجهُوده أي طاقته.

◁ المعنى

(أَمَّا بَعْدُ) الحمد والثناء عليه (فإِنَّ الوَالِي إِذَا اخْتَلَفَ هَوَاهُ) تبعاً لمآربه الشخصية (مَنَعَهُ ذَلِكَ) الإختلاف (كثيراً منَ العَدْلِ) فيظلم لا محالة (فَلْيَكُنْ أَمْرُ النَّاسِ عِنْدَكَ فِي الحَقِّ سَوَاءً) اذ لا فرق بينهم في الحَقِّ وإجراء العَدْلِ (فإِنَّهُ لَيْسَ فِي الجَوْرِ عِوَضٌ منَ العَدْلِ) ولا في الباطل عِوَض من الحَقّ (فاجْتَنِبْ ما تُنْكِرُهُ أَمْثَالَهُ) أي ما لا تستحسن مثله لو صدر من غيرك (وابْتَذِلْ نَفْسَكَ) وذللها (فِيما افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكَ) من الواجبات (رَاجِياً) منه تعالى (ثَوَابَهُ ومُتَخَوِّفاً عِقَابَهُ) فإنّ الثواب والعقاب بيده (واعْلَمْ أَنَّ الدُّنْيا دَارُ بَلِيَّةٍ) أي دار إبتلاء ومصيبة (لَمْ يَفْرُغْ صَاحِبُها فِيها قَطُّ سَاعةً إِلَّا كانَتْ فَرْغَتُهُ عَلَيْهِ حَسْرَةً يَوْمَ القِيامَةِ) المراد بالفراغ خلو الوقت من عمل يرجع بالنفع على الأمّة أي لا يكون خلو الوقت من عمل لصاحبه إلّا حسرة عليه غداً (وأَنَّهُ لَنْ يُغْنِيَكَ عَنِ الحَقِّ شيءٌ أَبَداً) فأنّ الحَقّ محبوب مطلوب على كلّ حالٍ (ومنَ الحَقِّ عَلَيْكَ حِفْظُ نَفْسِكَ) عن الهلكة (والاحْتِسَابُ على الرَّعِيَّةِ) بالمراقبة على أعمالها (بِجُهْدِكَ) ما إستطعت (فإِنَّ الَّذِي يَصِلُ إِلَيْكَ منَ ذلك) الاحتساب (أَفْضَلُ منَ الَّذِي يَصِلُ بِكَ) إلى غيرك والسَّلامُ.

◁ الشرح

قال الشّارح المعتزلي لَم أقف الى الآن على نسب الأسود بن قطبة وقرأتُ في كثير من النسخ أنّه حارثي من بني الحارث بن كعب ولَم أتحقق ذلك والذي يغلب على ظنّي أنّه الأسود بن زيد بن قطبة بن غنم الأنصاري من بني عُبيد بن عدّي ذكره أبو عمرو بن عبد البَرّ في كتاب الإستيعاب وقال أنّ موسى بن عقبة عدّه فيمن شهد بدراً انتهى كلامه:

أقول: اختلفوا في إسمه وإسم أبيه فمنهم من قال إسمه الأسود وإسم أبيه قُطَيبة بضم القاف وفتح الطّاء وسكون الياء بعده على وزن عُبيدة وعليه أكثر

النّسخ، ومنهم من قال أسود بن قُطَبة كما في نسخة المُعتزلي على وزن غُرفة، ومنهم من قال أنّ إسمه سَواد لا الأسوَد فالأقوال ثلاثة، أسود بن قُطَيبة، أسود بن قَُطبة، سواد بن قُطبة أو قُطيبة:

قال ابن حجر في الإصابة في ترجمته ما لفظه:

الأسود بن زيد بن ثعلبة بن عُبيد بن عُدي بن غنم بن كعب بن سلمة بن سعد بن علي بن أسد بن ساردة الأنصاري الخَزرَجي ذكره موسىٰ بن عقبة عن ابن شهاب فيمن شهد بدراً وذكره ابن عبد البّر فصحف ثعلبة فجعله قطبة قال ويُقال الأسود بن رزم بن زيد بن قطبة بن غنم كذا قال قطبة في الموضعين فصحّف. وفي كتاب ابن هشام قيل هو الأسود بن رزين ابن زيد بن ثعلبة كذا وقع فيه رزَن بالنّون، وقيل هو سواد بن زيد وسيأتي في حرف السّين وقال في حرف السّين « ج ٢ ص ٩٧ » ما لفظه:

سَواد بن قُطبة.ذكره حمزة بن يوسف السّهيمي فيمن دَخَل جرجان من الصّحابة انتهىٰ:

ثمّ أنّه في النُّسخ القديمة الموجودة عندنا صاحب جُند حَلوان وفي نُسْخة المعتزلي وغيرها من النُّسخ الجديدة، صاحب حلوان بحذف (جُند) وأمّا حَلوان بفتح الحاء المهملة فقالوا أنّه إيالة من إيالات فارس واذ فرغنا من ترجمة الرّجل فلنرجع الىٰ شرح المتن:

□ **قوله ﷺ: أَمَّا بَعْدُ فَإنّ الوَالِي إذَا اخْتَلَفَ هَوَاهُ مَنَعَهُ ذَلِكَ كَثِيراً مِنَ العَدْلِ...**

الوالي من يلي أمر الأُمّة وهو مُشتق من الولاية وحقيقته تولّي الأمر والهَوىٰ بفتح الهاء ميل النّفس الىٰ الشّهوة ويُقال ذلك لِلنّفس المائلة اليها وقيل سُمّي بذلك لأنّه يهوي بصاحبه في الدّنيا الىٰ كلّ داهية وفي الآخرة الى الهاوية وعليه فهو مُشتق من الهُوّي بضّم الهاء وكسر الواو بمعنىٰ السّقوط ثمّ أنّ الهَوىٰ تارةً تكون واحدة وأُخرىٰ مختلفة والمراد بوحدة الهَوىٰ عدم تغّيرها بحسب الأميال والمآرب الشّخصية كما أنّ المراد بإختلافها تغيّرها كذلك، والعَدل،

معناه وضع الشّئ في محلّه اذا عرفت هذا فنقول غرضه ﷺ من هذا الكلام هو أنّ الوالي الّذي يتّصدىٰ أمر الأُمّة اذا إختلف هواه بأن كان تابعاً لأمياله النّفسانية الحادثة المتّغيرة مَنَعه ذلك كثيراً من العَدل والوجه فيه هو أنّه في صورة إختلاف الهَوىٰ يحكم بمقتضاه واذا كانت الهَوىٰ مختلفة فالحكم أيضاً.

يكون مُختلفاً فأنّ الحكم في الحاكم فرع علىٰ ميله ولذلك قيل ميل الحاكم خير من ألف شاهد، واذا كان الحكم مُختلفاً فهو ظالم في بعض الأحكام اذ لا يعقل كون الأحكام المُختلفة بأجمعها مُطابقاً للحقّ فأنّ الحقّ لا يكون إلّا واحداً وبعبارةٍ أُخرىٰ أحكام الوالي أماّ أن تكون مختلفة، وأمّا متّفقة فأن كان الأوّل فَالعلّة فيه هي إختلاف الهَوىٰ كما أنّ العلّة في الثّاني وحدة الهَوىٰ فلا يعقل أن تكون الأحكام المُختلفة المتّضادة كلّها مطابقاً للواقع مُنطبقاً علىٰ العَدل بل يمكن أن يكون بعضها كذلك وبعضها لا كذلك ولأجل هذا قال ﷺ مَنَعه ذلك كثيراً من العَدل ولم تقل منعه ذلك من العَدَل ضرورة أنّ مختلف الهَوىٰ قد يتّفق أن يكون في حكمه عادلاً، وأمّا متّفقة الحكم من حيث إنطباقه علىٰ ميزان العَدَل فحيث أنّ مَنشأه عدم إختلاف الهَوىٰ فهو يكون عادلاً بقول مطلق.

▫ **قوله ﷺ: فَلْيَكُنْ أَمْرُ النَّاسِ عِنْدَكَ فِي الحَقِّ سَوَاءً فَإنَّهُ لَيْسَ فِي الجَوْرِ عِوَضٌ مِنَ العَدْلِ...**

الفاء للتّفريع أي اذا كان مختلف الهَوىٰ ممنُوعاً عن كثير من العَدل فليَكُن أمر النّاس عندك سواء اذا كان حقّاً فأنّ النّاس من هذه الجهة لا فرق بينهم والحقّ حقّ الكُلّ لا حقّ الفَرد قال الله تعالىٰ: ﴿ **وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ** ﴾ (١)

وأمّا قوله ﷺ: فإنَّهُ لَيْسَ في الجَوْرِ عِوَضٌ مِنَ العَدْلِ، فهو إشارة الىٰ أن ترك العَدَل جَور وظلمٌ وهو لا يكون عِوضاً من العَدل أصلاً وتوضيحه أنّ كلّ فعلٍ

١ - الكَهف ـ ٢٩

يصدر من الإنسان لا يخلو عن وجهين ولا ثالث لهما **أحدهما** أن يكون مُنطبقاً على الموازين العقلية والشّرعية **وثانيهما** أن لا يكون كذلك ونعبّر عن الأوّل بالعَدِل وعن الثّاني بالجَور وعليه فالجَور هو عدم العَدْلِ كما أنّ العَدْلِ عدم الجَور فالتّقابل بينهما تقابل السّلب والإيجاب أن قلنا بأنّ أحدهما وجودي والآخر عدمي وتقابل التّضاد أن قلنا بأنّهما أمران وجوديان كالسّواد والبياض فالعَدِل والجَور علىٰ الأوّل يدخلان في باب التّناقص وعلىٰ الثّاني في باب التّضاد والفرق أنّ المُتناقضين أحدهما وجودي والآخر عدمي مثل إنسان ولا إنسان بخلاف المتضادين فأنّهما وجُوديان كالسّواد والبياض وثانياً أنّ النّقيضين لا يجتمعان ولا يرتفعان مع أنّ المتضادين لا يجتمعان وأمّا إرتفاعهما فلا بأس به اذا ظهر هذا لك فنقول:

ظاهر كلامه عليه السلام شُعر بأنّهما متّضادان وذلك لأنّ **قوله** عليه السلام: **لَيْسَ فِي الجَوْرِ عِوَضٌ عن العَدْلِ**، يدّل علىٰ أنّ الجَور شيئٌ موجود كالعَدِل اذ لو كان الجَور أمراً عدّمياً لما صحّ الحكم عليه نفياً وإثباتاً وهو ظاهر كما أنّ البياض مثلاً لا يكون عِوضاً عن السّواد واذ لو كان عِوضاً له لا يكون ضدّاً له وهكذا في المقام فلو فرضنا أنّ الإنسان تَرَكَ العَدِل وجارَ، كيف يعقل كونه عوضاً عن العَدل والمفروض أنّ العَدِل وضع الشّيئ في محلّه والجَور وضعه في غير محلّه فلو كان الجَور عِوَضاً منه يلزم وضع الشّيئ في محلّه ووضعه في غير محلّه وهو محال للزومه إجتماع النّقيضين الّذي لا كلام في إستحالته ولأجل ذلك أَمَرنا اللّه تعالىٰ بالعَدِل في مَحكِم كتابه فقال:﴿ **وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ**﴾(١)

ونهانا عن الظّلم والجَور بل عدّ الظّالم الجائر في الحكم في سِلك الكّفار فقال:﴿ **وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ**﴾(٢) وقد مرّ الكلام في العَدِل وحُسنه والظّلم وقُبحه مفصلاً فيما مضى:

١- النّساء ـ٥٨.

٢- المائدة ـ٤٤.

▫ قوله ﷺ: فاجْتَنِبْ ما تُنْكِرُهُ أَمْثالَهُ وابْتَذِلْ نَفْسِكَ فِيما افْتَرَضَ اللّهُ عَلَيْكَ رَاجِياً ثوابه ومتّخوفاً عقابه...

أي فاجْتَنِبْ ما لا تستحسن مثله لو صَدَر من غيرك وبعبارةٍ أُخرىٰ كلّ ما يفعله غيرك وأنت تُنكره فلا تفعله وذلك لأنّ فعل الغير لا يخلو من الحسن والقبح فأن كان حَسَناً فلا معنىٰ لإنكاره وأن كان قبيحاً فهو قبيح لو صَدَر منك أيضاً ومحّصل الكلام هو أنّ حكم الأمثال واحد فلا يعقل أن يكون الظّلم قبيحاً بالنّسبة الىٰ زيد ولا يكون قبيحاً بالنّسبة الىٰ عمرو وهكذا الغَيبة والتّهمة والسّرقة والقتل وأمثالها، وإبتذل نفسك أي حقّرها وصغّرها في الإتيان بالواجبات برجاء ثوابه والخوف من عقابه وفيه إشارة الىٰ أمرين:

أحدهما: النّهي عن التّكبر في جنب عظمة اللّه وقدرته فأنّ من لم يبتذل نفسه فقد تكّبر،.

وثانيهما: الخلوص في العبادة بمعنىٰ أنّ المؤمن ينبغي أن يكون عَمَله لِلّه لا لغير اللّه واذا كان كذلك فلا يرجو الثّواب إلّا منه ولا يخاف إلّا منه ويمكن أن يكون المراد بالإبتذال ترك التّزين والتّهيؤ بالهَيئة الحَسَنة الجَميلة علىٰ جهة التّواضع وعليه فالمعنىٰ أترك التّزين باللّباس الفاخر علىٰ جهة التّواضع لا لأنّه حرام عليك والمعنىٰ الأوّل أرجح وأجمع بقرينة قوله ﷺ فيما إفترض اللّه عليك،.

▫ قوله ﷺ: واعْلَمْ أَنَّ الدُّنْيا دارُ بَلِيَّةٍ لمْ يُفْرُغْ صَاحِبُها فِيها قَطُّ سَاعةً إِلّا كانَتْ فَرْغَتُهُ عَلَيْهِ حَسْرَةً يَوْمَ الْقِيامةِ...

أمّا أنّ الدّنيا دار بلّية أي دارٌ مُصيبة وإختبار فلا شكّ فيه عقلاً وشرعاً بل هو من المحسُوسات المشهُودات الّتي لا يحتاج الىٰ إقامة دليل وبرهان قال اللّه تعالىٰ: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ (١)

و: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ (٢)

١- الأنبياء ـ ٣٥. ٢- الكهف ـ ٧.

و: ﴿وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[1]

وقد فصّلنا الكلام في الباب غير مرّة في تضاعيف الكتاب.

وقوله عليه السلام: **لَمْ يُفْرَغْ صَاحِبُها** الخ فالمراد بالفراغ الّذي يعقب حسرة يوم القيامة هو خلّو الوقت من عملٍ يرجع بالنّفع لصاحبه والمعنىٰ لم يفرغ صاحب الدّنيا من العَمَل فيها قطّ ساعة إلّا كانت فرغته وخلّوه عن العَمَل حَسَرة عليه يوم القيامة وذلك لأنّه كان قادراً علىٰ العَمَل في ساعة الفرغة ولَم يَعمل والىٰ هذه الحَسَرة والنّدامة أُشير بقوله تعالىٰ: ﴿ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ﴾[2] فيقال في جوابه كلاّ أنّها كلمة هو قائلها، ومن أسماء يوم القيامة يوم الحَسَرة ويوم النّدامة.

ويمكن أنّ يكون المراد بالفراغ الفراغ عن الشُّغل وقد رُوي عن رسُول اللّه صلى الله عليه وآله اغتنم خَمساً قبل خَمس وعدّ منها الفراغ قبل الشُّغل وذلك لأنّ الإنسان لا يغتنم فراغه غالباً وبعد فَوت الفُرصة تعرض له النّدامة ولا فائدة فيها كما قيل:

ولستُ بمُدرك ما فات منّي بلهف ولا بليت ولا لَو أنّي

ومُحصّل ما أفاده عليه السلام في المقام هو أنّ الإنسان العاقل ينبغي له إنتهاز الفُرصة والإستفادة منها قال رسُول اللّه صلى الله عليه وآله: **اغتنموا الفُرص فأنّها تمّر مَرّ السّحاب.**

□ قوله عليه السلام: **وأَنَّهُ لَنْ يُغْنِيَكَ عَنِ الحَقِّ شَيْءٌ أَبداً ومنَ الحَقِّ عَلَيْكَ حِفْظُ نَفْسِكَ والإحْتِسَابُ علىٰ الرَّعِيَّةِ بِجُهْدِكَ فإنَّ الَّذي يَصِلُ إليْكَ منْ ذٰلِكَ أَفْضَلُ منَ الَّذي يَصِلُ بِكَ والسَّلاَمُ...**

كلمة (لَن) لنفي الأبد والمقصود أنّك تحتاج الىٰ الحقّ دائماً وليس في عالم الوجود شيء يُعادله ليُغنيك عنه وذلك لأنّ غيره كائناً ما كان فهو باطل والباطل لا يُغني عنه ومن جُملة الحقوق الواجبة عليك حِفظ نفسك عن الهَلَكة والإحتساب أي المُراقبة علىٰ الرّعية في أعمالها ما إستطعت فأنّ اللّه لا يُكلّف نفساً إلّا وسعها ويمكن تَفسير الكلام بوجهين:

---

١ - الأعراف ـ ١٦٨

٢ - المؤمنون ـ ١٠٠

أحدهما: أنّ يكون المراد أنّ حفظ نفسك مُقّدم على حفظ غيرك فكأنّه قال إحفظ نفسك أوّلاً وإحفظ رعّيتك بمُراقبة أعمالها ثانياً كما قال اللّه تعالى: **﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُمْ مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُم تَعْمَلُونَ﴾**(١)

وثانيهما: أنّ يكون المراد أنّ حفظ نفس الوالي في الإحتساب على الرّعية فلو لم يكن مُراقباً لأعمالها فقد أوقع نفسه في الهَلَكة في الحقيقة وذلك لكونه مسؤلاً عنها فَمن لا يقدر على ذلك لضعفه أو غفلته أو غير ذلك لا يجوز له التّصدي لأمر الرّعية والتّفسير الأوّل أوفق وأشمَل من الثّاني وظاهره المُغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه فالمعنى يجب على الوالي حفظ نفسه عن خطر الولاية والرّئاسة أوّلاً وحفظ رعّيته عن الإنحراف والإعوجاج ثانياً.

ثُمّ عَلَّل ﷺ ما ذكره بما حاصله أنّ حفظ نفسك والإحتساب على رعّيتك يُوصل اليك من البَركات ما هو أفضل من الّذي يَصل منك الى غيرك وبعبارة أخرى ما يَصل اليك من جانب الرّعية بسبب إجراء العَدل فيها والمُراقبة لأعمالها من الخَيرات والحَسَنات أفضل ممّا يَصل بسبب ولايتك على رعّيتك من أعمال الخَير والسّلام على من اتّبع الهُدى.

١- المائدة ـ١٠٥.

ومن كتاب له عليه السلام (٥٨)

الىٰ العُمّال الّذين يَطأ الجيش عَملهم

□ قوله عليه السلام: منْ عَبْدِ اللّٰهِ عَليٍّ أمِيرِالمُؤْمِنينَ إلىٰ مَنْ مَرَّ بِهِالجَيْشُ من جُباةِ الخَرَاجِ وعُمَّالِ الْبِلاَدِ:

أمَّا بَعْدُ فإنِّي قدْ سَيَّرتُ جُنُوداً هِيَ مارَّةٌ بِكُم إن شَاءَ اللّٰهُ وقدْ أوْصيتُهُمْ بما يَجِبُ لِلّٰهِ عليْهِمْ منْ كَفِّ الأَذىٰ وصَرْفِ الشَّذَىٰ وأنَا أبْرَأُإِلَيْكُمْ وإِلىٰ ذِمَّتِكُمْ مِنْ مَعَرَّةِ الْجَيشِ إلَّا مِنْ جَوْعَةِ المضْطَرِّ لا يَجِدُ عنها مَذْهَباً إلىٰ شِبَعِهِ فَنَكِّلُوا مَنْ تَناوَلَ مِنْهُمْ شَيْئاً ظُلْماً عَنْ ظُلْمِهِمْ وكُفُّوا أيْدِيَ سفَهائِكُمْ عَنْ مُضادَّتِهِمْ والتَّعرُّضِ لَهمْ فِيما اسْتَثْنَيْناهُ منهمْ وأنَا بينَ أظْهُرِ الجَيْشِ فأدْفعُوا إلَيَّ مَظالِمَكُمْ وماعَرَاكُمْ مِمَّا يَغْلِبُكُمْ منْ أمْرِهِمْ وما تُطِيقُونَ دَفْعَهُ إلّا باللّٰهِ وبي فأنَا أُغَيِّرُهُ بمَعُونَةِ اللّٰهِ إنْ شَاءَ اللّٰهُ...

◁ اللغَة

(العُمّال) بضّم العين وتشديد الميم جمع عامل مثل تُجّار جمع تاجر (يَطَأ)بفتح الياء والطّاء فعل مضارع وماضيه وَطَأ (الْجَيشِ) بفتح الجيم العَسْكر يقال وطأ الجيش أرَضه اذا مَرّ عليها (جُباةِ الخَرَاجَ) الجُباة بضّم الجيم جمع جابي نحو عُصاة جمع عاصي، والجابي إسم الفاعل من جَبي الخراج اذا جَمَعَه، (جُنُوداً) الجُنُود بضّم الجيم جمع جُنْد العسكر وقد تجمع علىٰ أجناد الواحد منها جُندّي (مارَّةٌ) بفتح الرّاء المشّددة الفاعل من مَرّ يَمُرّ (كَفَّ

الأذىٰ)الكَفّ بفتح الكاف وتشديد الفاء المنع، والأذىٰ بفتح الألف بمعنىٰ الإيذاء (الشَّذَي) الضرب والشّر (مَعَرَّةِ) بفتح الميم والعين والرّاء المشددة، معَرّة الْجَيشِ أذاه (جَوْعَةِ) بفتح الجيم وسكون الواو وفتح العين الواحدة من مصدر جاعَ يَجوع جَوعاً (مَذْهَباً) المَذهب الطّريق (شِبَعِهِ) الشّبع ضدّ الجّوع (فَنَكِّلُوا) أي أوقعوا النّكال والعقاب (تَناوَل) أَخَذ (كُفُّوا) أي إمنعُوا - (مُضَادَّتِهِمْ) أي مخالفتهم والباقي راضح:

◁ المعنىٰ

(أَمَّا بَعْدُ فإِنِّي سَيَّرْتُ جُنُوداً) أي أرسلت جُنوداً (هِيَ مارَّةٌ بِكُم) في سَيرها هذا (إِنْ شَاءَ اللهُ وقدْ أَوْصَيْتُهُمْ) أي الجُنود (بِما يَجِبُ لِلّهِ علَيهِمْ) في سَيرهم (مِنْ كَفِّ الأَذَىٰ ومنع الشَّذَىٰ) والشّر عن النّاس (وأَنَا أَبْرَأُ إِلَيْكُمْ وإِلَىٰ ذِمَّتِكُمْ مِنْ مَعَرَّةِ الْجَيشِ) وإيذائهم غيرهم وتصرفهم في مالِ الغير (إِلاَّ مِنْ جَوْعَةِ الْمُضْطَرِّ) الَّتي (لا يَجِدُ) الجيش (عنها) عن الجَوعة (مَذْهَباً) وطريقاً (إِلى شِبَعِهِ)وذلك لأنّ للجيش فيها حقّاً أن يتناول سدّ رَمَقه (فَنَكِّلُوا) أي أوقعوا النّكال والعقاب (مَنْ تَنَاوَلَ مِنْهُمْ شَيْئاً) من أموال النّاس (ظُلْماً عَنْ ظُلْمِهِمْ) فإنّ جزاء السّيئة لا يكون إلّا سيئاً (وكُفُّوا) وأمنعوا (أَيْدِيَ سفَهائِكُمْ) وجهّالكم (عَنْ مُضَادَّتِهِمْ) أي عن مُخالفة الجَيش (والتَّعرُّضِ لهمْ) بالشّر (فِيما إسْتَثْنَيْناهُ منهمْ) وهو حالة الإضطرار (وأَنَا بَينَ أَظْهُرِ الْجَيْشِ) أي أنا موجود فيه (فأَدْفَعُوا إِلَيَّ مَظالِمَكُمْ وما عَرَاكُمْ) أي ما عَجزتم عن دَفعه فرُدّوه إلَي أكفكم شرّه وضرّه (مِمَّا يَغْلِبُكُمْ مِنْ أَمْرِهِمْ وما تُطِيقُونَ دَفْعَهُ إِلّا باللّهِ وبِي) لعجزكم وعدم قدرتكم علىٰ دفعه (فأَنَا أُغَيِّرُهُ بِمَعُونَةِ اللّهِ إِنْ شَاءَ اللّهُ):

◁ الشّرح

كتب ﷺ هذا الكتاب الىٰ العُمّال وأمراء البلاد الّذين يطأ الْجَيش عملهم بالمُرور علىٰ أراضيهم ومزارعهم فقال ﷺ من عبد اللّه علي أمير المؤمنين الىٰ

من مرّ به الجيش من جباة الخراج وعُمّال البلاد أي الىٰ من يجمع الخراج وأُمّر علىٰ البلاد من عُمّالِه عليها:

▫ **قوله ﷺ: أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي قدْ سَيَّرْتُ جُنُودا هِيَ مارَّةٌ بِكُمْ إنْ شَاءَ اللّٰهُ وقدْ أوْصَيْتُهُمْ بما يَجِبُ لِلّٰهِ عليْهِمْ منْ كَفِّ الأَذَىٰ وصَرْفِ الشَّذَىٰ...**

في هذا الكلام أفاد ﷺ أمرين:

أحدهما: الإعلام بأنّ الجَيش لابدّ له من المَرور علىٰ الأرض والعُبور عن البلاد والمزارع في مَسيره الىٰ مَقصَده فلا يجوز لأحدٍ منع الجيش عنه:

وثانيهما: أنّ الجيش لابدّ له من مُراعات الحقُوق وكفّ الأذىٰ عن النّاس ودفع الشّرُور عنهم لإيذاء النّاس وإخافتهم والإضرار بهم وتخريب مزارعهم وغير ذلك ممّا هو ممنوع شرعاً وعقلاً ولأجل ذلك قال ﷺ وقد أوصَيتهم بما يَجب لِللّه عليهم الخ:

▫ **قوله ﷺ: وأنَا أبْرَأُ إلَيْكُمْ وإلىٰ ذِمَّتِكُمْ مِنْ مَعَرَّةِ الْجَيشِ إلاَّ مَنْ جَوْعَةِ المُضْطَرِّ لا يَجِدُ عنها مَذْهَباً إلىٰ شِبَعِهِ...**

قال الشّارح المعتزلي المراد بقوله (ذِمّتِكُمْ) أهل الذّمة بتقدير المضاف وعليه فالمعنىٰ أنّي أتبّرء اليكم والىٰ أهل الذّمة من اليَهُود والنّصارىٰ (مِنَ مَعَرَّةِ الْجَيشِ وأذاه إلاّ مِنْ جَوْعَةِ المُضْطَرِّ)أي سدّ رمقَه الّذي لا يجد عنه مضراً ولا مَخلصاً والمقصود هو أنّ في هذا الحكم أعني به تناول الجيش في صُورة الإضطرار لا فرق فيه بين أموال المُسلمين وأموال أهل الذّمة فأنّ أموالهم كأموالنا ونفوسهم وأعراضهم كنُفوسنا وأعراضنا اذا عَملوا بشرائط الذّمة وهذا من الأحكام المسّلمة الّتي لا خلاف فيها:

وأنا أقول: أصل الحكم ممّا لا خلاف فيه بين المُسلمين وأنّما الكلاّم في تفسير اللّفظ وأنّ المراد بقوله ﷺ: (**ذِمّتِكُمْ**) أهل الذّمة أو لا وكيف كان يستفاد من كلامه ﷺ أمران:

أحدهما: ما ذكرناه من أنّ أهل الذّمة حكمهم في الإسلام حكم المُسلمين في حفظ الحقوق:

وثانيهما: أنّ المُضطر يجوز له في حالة الإضطرار ما لا يجوز له في حالة الإختيار إلّا أنّ الضّروريات تتّقدر بقدرها فلا يجوز له التّخطي عن قدر الضّرورة وعليه فالجيش اذا غلب عليه الجُوع المُهلِك.

يجوز له الأكل من مال الغير بقدر سَدّ رَمقَه ولا يجوز لأحدٍ مَنعه وهذا الحكم لا إختِصاص له بالجَيش بل هو عامّ لجميع الأفراد كائناً من كان مُسلماً كان الجائع أو كافِراً فأنّ حِفظ النّفس واجب على الكلّ، والضّروريات تبيح المحظورات والأصل في هذا الحكم قوله تعالى: **﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾**(١)

و: **﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ إلى أن قال فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾**(٢)

وقد ورد عن رسُول اللّه ﷺ رُفِعَ عن أُمتّي تِسعة وعدّ منها ما إضطرّوا اليه وبالجملة هو ممّا لا خلاف فيه بين العامّة والخاصّة وأمّا تشخيص مورد الإضطرار فهو موكول الى العُرف وقيل هو إشراف النّفس على الهلاك وتفصيل البحث فيه ليس من وظيفة الكتاب:

▫ قوله عليه السلام: **فَنَكِّلُوا مَنْ تَنَاوَلَ مِنْهُمْ شَيْئاً ظُلْماً عَنْ ظُلْمِهِم وكُفُّوا أَيْدِيَ سفَائِكُمْ عَنْ مُضَادَّتِهِمْ والتَّعرُّضِ لهمْ فِيما إسْتَثْنَيْنَاهُ منهمْ...**

الظّاهر أنّ قوله عليه السلام: **فَنَكِّلُوا**، بكسر الكاف ليكون أمراً من نكّل ينكّل تنكيلاً، والنِكَال العقاب والعذاب والمقصود أرقِعُوا النّكال والعقاب بمن تناول شيئاً من أموال النّاس ظلماً أي بغير إضطرارٍ وأفعلوا ذلك جزاءً بظلمٍ عن ظلمهم وتسميته الجزاء ظلماً نوع من المشاكلة ثمّ أمَرَ النّاس بمنعهم سفهائهم وأحداثهم عن مخالفة الجيش والتّعرض لهم في مورد الإستثناء وهو الاضطرار

١- البقرة ـ ١٧٣
٢- المائدة ـ ٣

فأنّه لا يجوز في الشّرع كما تقدّم الكلام فيه نعم في غير مورد الإضطرار إمنعُوهم لإنّه أكل المال بالباطل:

▫ قوله ﷺ: **وأَنَا بَينَ أَظْهُرِ الْجَيشِ فأدفَعُوا إِلَيَّ مَظالِمَكُمْ وماعَرَاكُمْ مِمَّا يَغْلِبُكُمْ مِنْ أَمْرِهِمْ وما تُطِيقُونَ دَفْعَهُ إِلاَّ باللَّهِ وبي فأَنَا أَغَيِّرُهُ بمَعُونَةِ اللَّهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ...**

أي أن لم تقدرو على منع الجيش أو منع بعض أفراده عن تناول شيئ من أموال النّاس ظُلماً في غير مورد الضّرورة، أنا بين أظهُر الجيش أي أنّني موجود فيه فما عجزتم عن دفعه فردّوه إلّي أكفّكم ضّره وشّره ومُنتَصف لكم منهم إنشاء اللّه،

ومن كتاب له عليه السلام (٥٩)

الىٰ كُميل بن زياد النّخعي، وهو عامله علىٰ هيت، يُنكر عليه تركه دفع من يجتاز به من جيش العدّو طالباً الغارة

▫ قوله عليه السلام: أمَّا بَعْدَ فَأنَّ تَضْيِيعَ المَرْءِ ماوُلِّيَ وتَكلُّفَهُ ماكُفِيَ لَعجْزٌ حاضِرٌ ورَأيٌ مُتبَّرٌ وأنَّ تَعاطِيكَ الْغَارَةَ علىٰ أَهْلِ قِرْقِيسِياً وتَعْطِيلَكَ مَسَالِحَكَ الَّتي ولَّيْناكَ لَيْسَ بهَا مَنْ يَمْنَعُها و يَرُدُّ الْجَيْشَ عَنْها لَرَأيٌ شَعَاعٌ فَقَدْ صِرْتَ جِسْراً لِمَنْ أرادَ الْغارَةَ منْ أعْدَائِكَ علىٰ أوْلِيائِكَ غيرَ شَدِيدِ المَنْكَبِ ولا مَهِيبِ الجَانِبِ ولاَ سَادٌّ ثُغْرَةً ولاَ كاسِرٍ لعدّو شَوكةً ولا مُغْنٍ عَنْ أهْلِ مِصْرِهِ ولا مُجْزٍ عَنْ أمِيرِهِ...

◁ اللغة

(وُلِّيَ) بضم الواو وكسر اللاّم المُشددة فعل ماضٍ مجهول ومعلومه وَلـي بفتح الواو والمصدر منه التّولية (كُفِيَ) بضّم الكاف وكسر الفاء مجهول كَفىٰ (مُتبَّرٌ) بضّم الميم وفتح التّاء والباء المشّددة كمُعَظّم إسم مفعول من تبَّر يُتبّر تَتبيراً اذا أهلكه أي هالك صاحبه (قِرقِيسِياً) بكسر القافين بَـلَدٌ عـلىٰ شـاطئ الفرات (مَسَالِحَكَ) المسالح جمع مَسلَحة وهي مواضع الحامية علىٰ الحدود (شَعَاعٌ) بفتح الشّين بمعنىٰ التّفرق (المَنْكَبِ) بفتح الميم وسكون النّون وكسر الكاف بعده كمَسجِد مجتمع الكتف والعضد وشدّته كناية عـن القّـوة (سَادٌّ) بتشديد الدّال إسم فاعل من سَدَّ يَسدَّ (ثُغرَةً) بضّم الثاء الفُرجة يـدخل مـنها العدّو (مُغْنٍ) بضّم الميم الفاعل من أغنىٰ يُغني يُقال أغنىٰ عنه اذا ناب منابه:

◁ المعنىٰ

(أَمَّا بَعْدُ فإِنَّ تَضْيِيعَ المَرْءِ ماوُلِّيَ) أي الشّأن الّذي توّلىٰ حفظه (وتَكلُّفَهُ) أي تَجشّمه الأمر الّذي لم يُطلب منه (ماكُفِيَ) أي كفاه الغير ثقله (لَعَجْزٌ حاضِرٌ) أي هو عجزٌ عن القيام بما تولّاه (ورأيٌ مُتَبَّرٌ) أي رأيٌ هالك صاحبه (وأنَّ تعاطِيَكَ الْغارَةَعلىٰ أهْلِ قِرْقِيسِيا) من بلاد الشّام لتجبُر ضعفك بها بزعمك (وتَعْطيلَكَ مَسَالِحَكَ) ومواضع الحامية علىٰ الحدود (الّتي ولَّيْناكَ لَيْسَ بهَا مَنْ يَمْنَعُها ولا يَرُدُّ الجيش عنها) لَعجزِهم عن دفع الجَيش (لَرَأيٌ شَعَاعٌ) أي بَاطل مُتفرق (فَقَدْ صِرْتَ) في حكومتك (جِسْراً لِمنْ أرَادَ الْغارَةَ) معاوية وأصحابه (منْ أعْدَائِكَ علىٰ أوْليائِكَ) لِـضعفِك وعـجزِك (غيرَ شَدِيدِ المَنْكِبِ) والقّوة (ولا مَهِيبِ الجَانِبِ ولاَ سَادٍّ ثُغْرَةً ولاَكاسِرٍ شَوْكةًولا مُغْنٍ عَنْ أهْلِ مِصْرِهِ) من شّر أعدائهم (ولا مُجْزٍ عَنْ أمِيرِهِ) لعدم لياقته:

◁ الشّرح

كتب عليه السلام هذا الكتاب الىٰ كُميل بن زياد وهو عامله علىٰ هَيت يُنكر عليه تركه دفع الأعداء والأشرار مـن أصـحاب مـعاوية وإمهالهم للـغارة والقـتل والنّهب:

قال الشّارح المعتزلي في نَسَب كُميل ما لفظه: هو كُميل بن زياد بن سُهيل بن هيثم بن سعد بن مالك بن الحارث بن صهبان بن معد بن مالك بن النّخع بن عمرو بن وَعلة بن خالد بن مالك بن أُدَد كان من أصحاب علّيٍ وشيعته وخاصّته وقتله الحجاج علىٰ المذهب فيمن قتل من الشّيعة وكان كُميل عامل علّيٍ علىٰ هَيت وكان ضعيفاً يَمرُّ عليه سرايا معاوية تنهب أطراف العراق ولا يردّها ويحاول أن يُجبر ما عنده من الضّعف بأن يُغير عـلىٰ أطـراف أعـمال معاوية قبل قِرقيسا وما يجري مجراها من القرىٰ الّتي علىٰ الفرات فأنكرَ عليه السلام ذلك من قبله وقال انتهىٰ:

□ **قوله ﷺ: أَمَّا بَعْدُ فإِنَّ تَضْيِيعَ المَرْءِ ماوُلِّيَ وتكَلُّفَهُ ماكُفِيَ لَعَجْزٌ حاضِرٌ ورأيٌ مُتَبَّرٌ...**

لا شك أنّ الوالي يجب عليه حفظ ما وَلّيه وترك التّكلّف والتّجشم لِلأمر الّذي لم يطْلب منه وكفاه الغير فلو سامَح في حفظ ما ولّيه وتَجشّم لِما لم يطلب منه فهو دليل علىٰ عجزه وضعفه وحيث أنّ أصحاب معاوية كانوا يجتازون علىٰ أطراف العراق ويُغيرون وينهبُون ولم يمنعهم كُميل الّذي كان والياً عليها مِن قِبَله ﷺ لامَه وَوَبّخه ولا سيّما عند قصده الإغارة علىٰ أهل قِرْقِيسِيا كما قال ﷺ :

□ **قوله ﷺ: وأَنَّ تَعاطِيكَ الْغارَةَ علىٰ أَهْلِ قِرْقِيسِيا وتَعْطِيلَكَ مَسالِحَكَ الَّتي وَلَّيْناكَ لَيْسَ بِهَا مَنْ يَمْنَعُها ولا يَرُدُّ الْجَيْشَ عنها لَرَأْيٌ شَعَاعٌ....**

نُقل أنّ كُميل حاول أن يُغير علىٰ أهل قِرْقِيسِيا وما يجري مجراها من البلاد الّتي علىٰ الفرات من أطراف أعمال معاوية لَيَجبُر بها ما عنده من الضّعف ويُجيب أصحاب معاوية بمثل ما فعلوه من الغارة فَمَنعه ﷺ عن ذلك وقال ما حاصله أنّ تعطيلك مواضع الحامية علىٰ الحدود بحيث ليس بها من يمنع جيش العدُو عن النّهب والغارة ثمّ قصد الغارة علىٰ من لا ذنبَ له من أهل قِرْقِيسِيا لَرَأيٌ شَعَاعٌ، أي مُتفرق والرأي الصّحيح هو تقوية المسالح ومنع العَدُو من دخول البلاد:

□ **قوله ﷺ: فَقَدْ صِرْتَ جِسْراً لِمَنْ أَرادَ الْغارَةَ مِنْ أَعْدَائِكَ علىٰ أَوْلِيائِكَ غيرَ شَدِيدِ المَنْكَبِ ولا مَهِيبِ الجَانِبِ ولاَ سَادٌّ ثُغْرَةً ولاَ كاسِرٍ شَوْكَةً ولا مُغْنٍ عَنْ أَهْلَ مِصْرِهِ ولا مُجْزٍ عَنْ أَمِيرِهِ...**

أي فَقدْ صِرْتَ بسبب ضعفك وتسامحك في دفع شَر العَدُو كالجِسر لِمَنْ أرادَالْغارَةَ فيعبر عليك العَدُّو كما يعبر النّاس علىٰ الجِسر وكما أنّ الجِسر لا يمنع من يعبر به ويمّر عليه فكذلك أنتَ، ثمّ عَدّ ﷺ نقاط ضعفه وقال غير شديد المَنكِب، وهو كناية عن ضعفه، ولا مُهيب الجانب أي لا هيبة لك ولا

سَطوَة فيك فيخاف العَدّو منك، ولا سادّ ثُغرة، أي ولا سَدَدتَ الفُرجة الّتي يدخل منها العَدّو، ولا كاسِر شوكة، أي لا تقدر علىٰ كسِر شوكة الأعداء، ولا مُغنٍ عن أهل مصره، أي لا تغنيهم عن الغارات الحاصلة بسبب الأعداء، ولا مُجزٍ عن أميره أي ولستَ قائماً مقام أميرك في دفع الأعداء ومفهوم الكلام هو أنّ الوالي لا بدّ له من هذه الخصال وأن لا يكون جِسراً لِلأعداء وأنتَ علىٰ العَكس فاقِد لهذه الخِصال وواجد لمقام الجسرية الحاكية عن ضعفك وقلّة تدبيرك في الأُمور والّذي حَصل لنا من هذا الكتاب الّذي كتبه الىٰ كُميل هو أنّ مُجرّد الإيمان والتّقوىٰ لا يكفي في أمر الحكومة والولّاية بل الأَصل في الوالي حُسن التّدبير والشّجاعة نعم الجمع مهما أمكن أولىٰ وأمّا في صورة الدّوران فالأصل ما ذكرناه لأنّ النّاس الىٰ الحاكم المُدّبر الشّجاع أحوَج منهم الىٰ الحاكم الزّاهد المُتقي الّذي لا يعلم أو لا يقدر فهذا كُميل بن زياد الّذي قيل أنّه كان من خواصّ أصحاب علّي بل يُقال أنّه كان من أصحاب سّره ومع هذا المقام الشّامخ في العُبّودية كان ضعيفاً في أمر الحكومة بحيث إستّحق اللّوم منه عليه السلام في ولايته:

ومن كتاب له عليه السلام (٦٠)

مع مالك الأشتر الى أهل مصر، لمّا ولاه إمارتها

□ قوله عليه السلام: أَمَّا بَعْدُ فإِنَّ اللّهُ سُبْحانَهُ بَعَثَ مُحَمَّداً صلىٰ اللّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ نَذِيراً لِلْعالَمِينَ ومُهَيْمِناً علىٰ المُرسَلينَ فَلَمَّا مَضىٰ عَلَيْهِ السَّلاَمُ تَنَازَعَ المُسْلِمُونَ الأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ فَوَاللّهِ ما كانَ يُلْقَىٰ في رُوعي ولا يَخْطُرُ بِبالي أَنَّ العَرَبَ تُزْعِجُ هٰذَا الأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ صلىٰ اللّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ عَنْ أَهْلِ بَيْتِه ولا أَنَّهُمْ مُنَحُّوهُ عَني مِنْ بَعْدِهِ فَما رَاعني إِلَّا إِنْثِيَالُ النَّاسِ علىٰ فُلاَنٍ يُبايِعُونَهُ فأَمْسَكْتُ يَدِي حتّىٰ رَأَيْتُ رَاجِعَةَ النَّاسِ قدْ رَجَعَتْ عَنِ الإِسْلاَمِ يَدْعُونَ إِلىٰ مَحْقِ دِينِ مُحَمَّدٍ صلىٰ اللّهُ عليْهِ وآلِهِ فخَشِيتُ أَنْ لم أَنصرِ الإسلاَمَ وأَهْلَهُ أَنْ أَرىٰ فِيهِ ثَلْماً أَوْ هَدْماً تَكونُ المُصيبَةُ بِهِ عَلَيَّ أَعْظَمَ منْ فَوْتِ وِلاَيَتِكُم الّتي أَنّما هِي مَتاعُ أَيّامٍ قَلاَئِلَ يَزُولُ مِنهَا ما كانَ كَما يَزُولُ السَّرَابُ أَوْ كَما يَتَقَشَّعُ السَّحَابُ فَنَهَضْتُ في تَلْكَ الأَحْدَاثِ حتّىٰ زَاحَ البَاطِلُ وزَهَقَ واطْمَأَنَّ الدِّينُ وَتَنَهْنَهَ:

(ومِنْهُ)، أَنِّي واللّهِ لوْ لَقِيتُهُمْ واحِداً وهُمْ طِلاَعُ الأَرْضِ كُلِّها ما بَالَيْتُ ولا إِسْتَوْحَشْت وأَنِّي منْ ضَلاَلِهِمُ الّذِي هُمْ فيهِ والْهُدَىٰ الَّذِي أنا عَلَيهِ لَعَلىٰ بصيرَةٍ مِنْ نَفْسِي ويَقِينٍ منْ رَبِّي وإِنِّي إِلىٰ لِقاءِ اللّهِ وحُسْنِ ثَوَابِهِ لَمُنْتَظِرٌ رَاجٍ ولكِنَّني آسَي أَنْ يلي أَمْرَ هَذِهِ الأُمَّةِ سُفَهاؤُها وفُجّارُها فَيَتَّخِذُوا مالَ اللّهِ دُوَلاً وعِبادَهُ خَوَلاً والصَّالِحِينَ حَرْباً والفَاسِقِينَ حِزباً فأَنَّهُمْ مِنهُمْ الّذِي قدْ شرِبَ فِيكُم الحَرَامَ وجُلِدَ حَدّاً في الإِسْلامِ وأَنَّ مِنهُمْ منْ لمْ يُسْلِم حتّىٰ رُضِخَتْ لهُ علىٰ الإسْلاَمِ،

الرَّضَائِعُ فَلَوْلاَ ذَلِكَ ما أَكْثَرْتُ تَأْلِيبَكُمْ وتَأْنِيبَكُمْ وجَمْعَكُمْ وتَحْرِيضَكُمْ وَلتَرَكْتُكُمْ إِذاأَبَيْتُمْ وَوَنَيْتُمْ.

أَلاَ تَرَوْنَ إِلىٰ أَطْرَافِكُمْ قَدِ إِنْتَقَصَتْ وإِلىٰ أَمْصَارِكُمْ قَدِ إِفْتُتِحَتْ وإِلىٰ مَمَالِكِكُمْ تُزْوَىٰ وإِلىٰ بِلاَدِكُمْ تُغْزَىٰ إِنْفِرُوا رَحِمَكُمُ اللّٰهُ إِلىٰ قِتَالِ عَدُوِّكُمْ ولا تَثَّاقَلُوا إِلىٰ الأَرْضِ فَتَقِرُّوا بِالْخَسْفِ وَتَبُوؤُا بالذُّلِّ ويكُونَ نَصِيبُكُمُ الأَخَسَّ وأَنَّ أَخَا الحرْبِ الأَرِقُ وَمنْ نَامَ لَمْ يُنَمْ عنْهُ...

◁ اللغة

(مُهَيْمِناً) بضّم الميم وفتح الهاء وسكون الياء وكسر الميم، والمُهَيْمِن الشّاهد (رُوعي) الرُّوع بضّم الرّاء القلب أو موضع الرَّوع منه بفتح الرّاء أي الفَزَع (تُزْعِجُ) بضّم التاء فعل مضارع من أزعَج يُزعج إزعاجاً، أي تنقل (مُنَحُّوهُ) بضّم الميم وفتح النّون وضّم الحاء المشّددة أي مُبعدوه (رَاعني) أي أفزَعني (انْثِيَالُ) بالثّاء المثلثة الإنصباب (مَحْقِ) بفتح الميم وسكون الحاء محق الدّين مَحوُه (ثَلْماً) بفتح الثاء وسكون اللاّم مصدر قولك ثلم يثلم والثلّم الخَرق (يَتَقَشْعُ) أي ينكشف ويزول يقال تقشع السّحاب، زال وانكشف (فَنهضْتُ) متكلم وحدة من نَهَضَ اذا قام أي قُمتُ (زَاحَ) أي ذَهَبَ (زَهَقَ) خَرَج ومات (تَنَهْنَهَ) يُقال نَهنَهه عن الشّيء، كَفَّه تَنهَنَه أي كَفَّ (طِلاَعُ) بكسر الطّاء مِلئ الشّئ (آسىٰ) متكلم وحدة من المضارع يقال أسيت عليه كرضيتُ أي حَزِنتُ والمعنىٰ أحزَن (دُوَلاً) الدوّل بضّم الدّال وفتح الواو جمع دُولة بالضّم أي شيئاً يتداولونه بينهم (خَوَلاً) الخَوَل محرّكة العبيد (حَرْباً) أي محاربين (رُضِخْتُ) أي أُعطِيتَ (تَأْلِيبَكُمْ) التّأليب مصدر باب التّفعيل من أَلَّبَ اذا حَرضَ والتّأليب التّحريض (تَأْنِيبَكُمْ) التّأنيب أيضاً مصدر من أَنّب اذا لاَمَ ومعناه اللّوم (وَنَيْتُمْ)بفتح الواو مثل وَقيتم أي أبطأتم (تُزْوَي) مبنّي للمجهول من زواه اذا قبضه عنه (تَقُروا) مضارع وماضيه قَرّ أي تعترفوا (الْخَسْفِ) بفتح الخاء الضّيم (تَبُوؤُا) أي تعودوا بالذل (الأَرِقُ) بفتح الألف وكسر الرّاء السّاهر:

◁ المعنىٰ

(أَمَّا بَعْدُ فإنَّ اللّهَ سُبْحانَهُ بَعَثَ) وأرسَـــلَ الىٰ النـّـاس (مُحَمَّداً ﷺ نَذِيراً لِلْعالَمينَ) من عذاب اللّه (وَمُهَيْمِناً) وشاهداً (علىٰ المرْسَلينَ) يوم القيامة (فَلَمَّا مَضَىٰ) ومات ﷺ (تَنازَعَ المُسْلِمُونَ) وتشاجروا (الأَمْرَ) أي الخلافة (منْ بَعْدِهِ فَوَاللّهِ) أي أُقسِم باللّه (ما كانَ يُلْقَيَ في رُوعي) أي في قلبي (ولا يَخْطُرُ بِبَالِي أنَّ العَرَبَ تُزْعِجُ) وتنقل (هذا الأَمْرَ) أعني الخلافة (منْ بَعْدِهِ ﷺ عنْ أهْلِ بَيْتِهِ)لكونهم أحقّ بها عقلاً وشرعاً وعرفاً (ولا أَنّهُمْ مُنَحُّوهُ) ومُبَعّدوه (عَني منْ بَعْدِهِ) أي بعد الرّسُول (فَما رَاعني) أي ما أفزَعَني (إلَّا انْثِيَال النَّاسِ) وانصبابهم (علىٰ فُلاَنٍ) وهو أبو بكر (يُبايِعُونَهُ) بالخلافة (فأَمسَكْتُ) ومنَعتُ (يَدِي) عن بيعته (حتّىٰ رَأيْتُ رَاجِعةَ النَّاسِ) وارتدادهم عن دينهم (قدْ رَجَعَتْ عَنِ الإِسْلاَمِ) الىٰ الكُفر (يَدْعُونَ إلىٰ مَحق دين مُحمّد ﷺ) وَمَحوه عن صفحة الأرض (فخَشِيتُ أنْ لمْ أنْصُرِ الإسْلاَمَ وأهْلَهُ) بالسّكوت وتَرك المُقاتلة (أنْ أرَىٰ فِيهِ) في الدّين (ثَلْماً) وخرقاً (أوْ هَدْماً) وتخريباً من أصله (تكُونُ المُصيبَةُ بِهِ) أي بسبب المَحق والهَدم (عَلَيَّ أعْظَمَ) وأشدَّ (منْ فَوْتِ وِلاَيَتِكُمْ)وخلافتكم (الّتي إنَّما هِيَ مَتَاعُ أيَّامٍ قَلاَئِلَ) في الحياة الدّنيا (يَزُولُ منْهَا ما كانَ كَمايَزُولُ السَّرَابُ أوْ كَما يَتَقَشَّعُ السَّحَابُ) أي أنّ الدّنيا وما فيها كذلك (فَنَهَضْتُ) وقمتُ (في تِلْكَ الأَحْدَاثِ) بعد الرّسُول (حتّىٰ زَاحَ) وذهَبَ (البَاطِلُ وزَهَقَ) وماتَ (واطْمَأَنّ الدِّينُ وَتَنَهْنَهَ) أي إستقر وكَفَّ بعد كونه مُشرفاً علىٰ الزّوال (ومِنْهُ)

أي ومن الكتاب (إنِّي واللّهِ لوْ لَقِيتُهُمْ واحِداً) أي لو لقيتُ هؤلاء الغاصبين واحداً لا ناصر لي (وهُمْ) أي والحال أنهم (طِلاَعُ الأَرْضِ) أي يملؤن الأرض من الرّجال (كُلّها ما بَالَيْتُ) أي غير مبالٍ منهم (ولا اسْتَوْحَشْت) منهم (وأنّي منْ ضَلاَلِهُمْ الّذي هُمْ فيهِ والْهُدىٰ الّذِي أنا عَليهِ لَعَلىٰ بَصِيرَةٍ منْ نَفْسي ويَقينٍ منْ رَبّي) لا أشك فيه أصلاً (وإنّي إلىٰ لِقَاءِ اللّهِ)بالمَوت (وحُسْنِ ثَوَابِهِ) في الآخرة

(لَمُنْتَظِرٌ رَاجٍ) أي أنتظره وأرجوه (ولكِنَّني آسَي) أي أخاف وأحزن (أنْ يَلِيَ أمْرَ هَذِهِ الأُمَّةِ سُفَهاؤُها وفُجّارُها) أمثال معاوية ويزيد وعبد الملك وغيرهم من الفجّار (فَيتَّخِذُوا مالَ اللّهِ دُوَلاً) يتداولونه بينهم (وعِبَادَهُ خَوَلاً) وعبيداً (والصّالحين) من العباد (حَرْباً) أي محاربين (والفَاسِقين حِزْباً) حزب اللّه (فإنّهُمْ مِنْهُمُ الّذِي قدْ شَرِبَ فِيكُم الحَرَامَ) وهو الخمر (وجُلِدَ حَدّاً في الإِسْلاَمِ) وهو عتبة بن أبي سُفيان والوليد وقبلهما عبيد اللّه بن عُمر (وأنَّ مِنهُمْ منْ لمْ يُسْلِم حتّىٰ رُضِخَتْ) وأعطيت (لهُ علىٰ الإسْلاَمِ الرَّضَائِخُ) والعطايا قالوا وهو عُمر بن العاص (فَلوْلاَ ذَلِكَ ما أكْثَرْتُ تأليبَكُمْ) وتحريضكم (وتأنِيبَكُمْ) وملامتكم (وجَمْعَكُمْ وتَحْرِيضَكُمْ) علىٰ قتالهم (ولَتَرَكْتُكُمْ) عن التأليب والتأنيب (إذْ أبَيْتُمْ وَوَنَيْتُمْ) أي اذا أبطأتم عن القتال (ألاَ تَرَوْنَ إلىٰ أطْرَافِكُمْ) أي أطراف بلادكم (قَدِ إنْتَقَصَتْ) باستيلاء العدّو عليها (وإلىٰ أمْصَارِكُمْ قَدَ أُفتُتِحَتْ) بأيدي الأعداء (وإلىٰ مَمَالِكُكُمْ تُزْوَىٰ) أي قُبضت (وإلىٰ بِلاَدِكُمْ تُغْزَىٰ) بالنّهب والغارة (إنْفِرُوا) إلىٰ العدّو (رَحِمَكُمُ اللّهُ إلىٰ قِتالِ عَدُوِّكُمْ) وهو معاوية وأصحابه (ولاتَثَّاقَلُوا إلىٰ الأَرْضِ) بالمُسامَحة والإهمال (فَتَقِرُّوا) وتعترفوا (بالخَسْفِ) والضّيم، (وتَبُوؤُا) وتعودوا (بالذُّلِّ) والحقارة (ويكُونَ نَصِيبُكُمُ الأَخَسَّ) من الدّين والدّنيا (وإنَّ أخَا الحرْبِ الأَرِقُ) السّاهر (ومَنْ نَامَ لمْ يُنَمْ عنْهُ) أي والّذي ينام لا ينام النّاس عنه.

◁ الشرح

◻ قوله ﷺ: أمّا بَعْدُ فأنّ اللّهَ سبُحَانَه بَعَثَ مُحَمّداً ﷺ نَذِيراً لِلْعالَمينَ ومُهَيمِناً علىٰ المرْسَلينَ...

فقوله ﷺ: بَعُث محمّداً إشارة الى قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً﴾ (١)

١-آل عمران-١٦٤

و : ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ﴾ (١)

▫ وقوله ﷺ: نَذيراً للعالمين، إشارة الى قوله تعالى:﴿يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ (٢)

و : ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ﴾ (٣)

و : ﴿فَقَدْ جَاءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ﴾ (٤)

و : ﴿إِنَّمَا أَنتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ (٥) وغيرها من الآيات،

وفي قوله ﷺ: مُهيمِناً، إشارة الى قوله تعالى:﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيداً﴾ (٦).

و : ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيداً عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ﴾ (٧) وأمّا معنى البعثة وكيفيّتها فقد مضى البحث فيه بما لا مزيد عليه في تضاعيف الكتاب:

▫ قوله ﷺ: **فَلَمّا مَضىَ ﷺ تَنازَعَ الْمُسْلِمُونَ الأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ فَوَاللّهِ ما كانَ يُلْقي في رَوعي ولا يَخْطُرُ بِبالي أَنَّ الْعَرَبَ تُزْعِجُ هٰذَا الأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ ﷺ على أَهْلِ بَيْتِهِ ولا أَنَّهُمْ مُنَحُّوهُ عَنّي مِنْ بَعْدِهِ...**

أشار ﷺ في هذه الكلمات بما جرى بعد موت النّبي في أمر الخلافة فقال ﷺ فلّما مضى النّبي ومات تنازع المُسلمون الأمر أعني به الخلافة من بعده ﷺ ثمّ أقسم باللّه وقال فواللّه ما كان يُلقي في رَوعي أي قلبي ولا يخطر ببالي أنّ العَرَب تُزعج أي تُنقل هذا الأمر وهو الخلافة بعد الرّسول عن أهْلِ بَيْتِهِ ولا أنهم أي العَرَبَ مُنَحُّوهُ أي مُزيلوه ومُبعّدوه عنّي من بعده يقال نحّاه عنه اذا أزاله فزال وأماله فمال ونحن قد تكلّمنا في هذا الباب في كثيرٍ من الموارد المُناسبة له ولا سيّما عند شرحنا للخُطبة الشّقشقية مفصلاً فلا نرى حاجة الى إطالة الكلام في المقام وأمّا البحث فيه على سبيل الإشارة والإيجاز فهو ممّا لا

١- الجُمعة ـ ٢
٢- المُدّثر ـ ٢
٣- مَريم ـ ٣٩
٤- المائدة ـ ١٩
٥- هود ـ ١٢
٦- النساء ـ ٤١
٧- النّحل ـ ٨٩

محيص عنه فنقول:

امّا قوله عليه السلام: **فَلَمَّا مَضىٰ تَنازَعَ الْمُسْلِمُونَ الأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ**، فهو إشارة الىٰ قصّة السّقيفة وما جرىٰ فيها من النّزاع بين المُهاجر والأنصار حيث قالوا مِنّا أمير ومِنكم أمير الىٰ آخر القضايا علىٰ ما مرّ ذكره وتفصيله موجود في كتب التّواريخ وهذا أعنّي النّزاع في أمر الخلافة ممّا لا كلام لنا ولهم فيه فأنّ المُسلمين قد إتّفقوا علىٰ وجود السّقيفة وما وقع فيها مِن التّنازع والتّشاجُر بعد مَوت الرّسول:

وأمّا قوله عليه السلام: **فَوَاللّٰهِ ما كانَ يُلْقَي في رُوعي** الىٰ آخر ما قال فهو إشارة الىٰ أصل النّزاع الواقع بين العامّة والخاصّة حيث أنّ العامّة قالوا أنّ ما ذكره دليل علىٰ عدم وجود النّص الجّلي في المقام والخاصّة قالوا بوجوده وأنّ ما ذكره في المقام لا ينافيه:

أمّا دليل العامّة علىٰ مُدّعاهم فحاصله أنّه لو كان هناك نّص صريح علىٰ خلافة أمير المؤمنين كما تقول به الشّيعة لكان ينبغي له عليه السلام الإشارة اليه في كلامه هذا وحيث لم يذكره، فَلَيسَ ولذلك ترىٰ الشّارح المُعتزلي في شرح هذا الكلام يستدل بعده علىٰ عدمه وهذا لفظه:

قال ما يخطر لي ببال أنّ العَرَبَ تعدل بالأَمْرَ بعد وفاة مُحمّد صلى الله عليه وآله عن بني هاشم ثمّ من بني هاشم عنّي لأنه كان المُتيّقن بحكم الحال الحاضرة وهذا الكلام يدّل علىٰ بطلان دعوىٰ الإمامية النّص وخصوصاً الجّلي انتهىٰ.

وأنا أقول: العَجَب كلّ العَجَب من الشّارح المُعتزلي حيث لم يتّدبر في كلامه عليه السلام وأن تدّبر وفَهِمَ ما أراد عليه السلام فقد تجاهل تجاهل العارف وذلك لأنّ قوله عليه السلام: **أنَّ العَرَبَ تُزْعِجُ هٰذَا الأَمْرَ** يدّل علىٰ وجود النّص كناية وأن لم يدّل عَليه صراحةً وقد ثبت أنّ الكناية أَبلغ من التّصريح وتوضيحه أنّ الإزعاج في اللغّة الإقلاق والإقِلاع يقال أَزعجه أي أَقلَقه وأقلعَه عن مكانه، أَزعَجه الىٰ المعصية ساقَه اليه اذا عرفت معناه اللّغوي فنقول لا يصدق الإقلاع إلّا اذا كان

هناك شيئاً ثابتاً مستقراً فأنّا اذا قلنا قلعتُ الحَجَر من مكانه معناه أنّ الحَجر كان مُستَقِراً على الأرض بحيث كان رَفعه عنها يحتاج الى إعمال قدرةٍ وقوةٍ وإلّا لا يقال قَلَعتُه بل يقال رَفَعته أو أَخَذته ألا ترى أنّه يقال قَلَع علي عليه السلام باب خَيبر وقال عليه السلام قَلَعتُ باب خَيبر بقّوةٍ ربّانية لا بقوةٍ جسمّانية فلو كان القَلع سَهلاً لما إحتاج الى القوّة الرّبانية وهو واضح وحيث كان كذلك نستكشف من كلامه عليه السلام أنّ أصحاب السّقيفة أقلقُوا وأقلعُوا الخلافة عن مكانها وهو يشعر بأنّها كانت ثابتة مستّقرة بالنّسبة الى أمير المؤمنين ولا نعني بإستقرارها وثباتها إلّا وجود النّص وهو المطلوب أن قلتُ، أكثر المفّسرين لكلامه عليه السلام ومنهم المعتزلي فسّروا قوله عليه السلام: **تُزْعِجُ**، بقولهم تنتقل لا تقلعُ:

قلتُ: ما ذكروه ليس معنى اللّفظ في اللّغة فأنّا لم نَر بعد الفحص فيها من وافقهم عليه من أهل اللّغة بل الحقّ ما ذكرناه ونقلناه عنهم نعم الإنتقال من لوازم الإقلاع فأنّ الشّئ اذا قُلع من مكانه فلازمه النّقل عمّا كان فيه وإلّا لَم يُقلع فما ذكروه من قبيل ذكر اللاّزم هذا مضافاً الى أنّ المطلوب على ما فسّروه أيضاً ثابت ضرورة أنّ الإنتقال لا يصّدق إلّا بعد ثبُوت الشّئ واستقراره في مكانه الأوّل قبل إنتقاله الى المنتقل اليه وعليه فالخلافة كانت ثابتة مسّتقرة في مكانها بالنّص من اللّه ورسوله ثمّ إنتقلوها من مكانه الأوّل وَجَعلوها في مكانٍ آخر فالمطلوب أيضاً ثابت ومحصّل الكلام هو أنّ قوله عليه السلام: (**تُزعِج**) يدّل على أنّ الخلافة قبل إقلاعها عن مكانها أو إنتقالها الى مكانٍ آخر كانت ثابتة مُستَقرةٍ ولا نعني بالنّص إلّا هذا اذ لولا النّص في حقّه عليه السلام لكان هو وغيره من المُسلمين على حدٍّ سواءٍ من جهة عدم إستّقرار الخلافة فكيف قال عليه السلام ما قال وعليه فما ذهبَ اليه المعتزلي وغيره من أنّ الكلام يدّل على عدم وجود النّص خروج عن طَور الإنصاف وعُدُولٌ عن مسلك التّحقيق في الكلام نَعم لم يصّرح عليه السلام بالنّص في كلامه وعدم التّصريح لا يدّل على عدم الوجود قال صاحب المَجمع في مادّة (**زَعَج**) ما هذا لفظه:

زَعَج – وفي الحديث رأيت عُمر يزعَج أبا بكر إزعاجاً يوم السّقيفة أي يقلقه ولا يَدعه لَيستقر، من قولهم أزعَجَه أي أقلقه وقلَعَه مِن مكانه انتهىٰ:

اقول: فعلىٰ هذا الحديث يكون الأمر أوضح إذ لولا النّص لما كان عُمر مُزعجاً لأبي بكر ليستقّر وهو واضح ثمّ أنّ الشّارح المعتزلي ذكر في المقام شطراً من مطاعن أبي بكر نقلاً عن كتاب المغني لقاضي القضاة.

وما ذكره السيّد الشّريف المُرتضىٰ جواباً عنه في كتابه الشّافي ثمّ أجاب الشّارح المعتزلي عمّا أورده السّيد علىٰ صاحب المغني ولم يعلم أنّ ما أورده في المقام بعنوان الجواب أوهَن من بيت العنكبوت وحيث إنّا أشرنا الىٰ كثيرٍ من مطاعن أبي بكر وعُمر وعثمان عند شرحنا للخُطبة الشّقشقية بوجهٍ أبسَط وأزلنا الشّكوك الواهية الّتي صدرت عن صاحب المغني وغيره فلا نحتاج الىٰ إطالة الكلام في المقام فأنّ الأمر بحمد اللّه أوضح مِن أن يُخفىٰ علىٰ عاقلٍ فضلاً عن عالم يَدّعي العِلم والتّحقيق:

وأمّا قوله عليه السلام: **فَوَاللّهِ ما كانَ يُلْقَي في رُوعي** الىٰ آخر الكلام فهو أيضاً إشارة الىٰ المدّعىٰ وهو وجود النّص اذ لولاه لا معنىٰ لهذا الكلام كما هو ظاهر وعليه فكأنّ وجود النّص كان معلوماً عند المُسلمين في حياة النّبي فضلاً من بعد موته ولأجل ذلك تعجب أمير المؤمنين من عَمَل المُسلمين بعد مَوت النّبي وقال فَوَاللّه الخ والىٰ هذا المعنىٰ أشار ربيعة ابن الحارث بن عبد المطلب حيث قال:

ماكُنتُ أحسب أنّ الأمر منصرفٌ　　مـن هاشمٍ ثمّ منه أبي حَسَنٍ

أليسَ أوّل مـن صلّىٰ لقبلتكم　　وأعرف النّاس بالآمار والسّنين

وآخر النّاس عهداً بالنّبي ومَن　　جبريل عَونٌله في الغُسل والكَفَن

وقال خُزيمة ابن ثابت ذو الشّهادتين :

اذا نـحن بـايعنا عـليّاً فَحسبُنا　　أبو حَسَنٍ ممّا نخاف من الفِتن

وجدناه أولىٰ النّاس بالنّاس أنّه　　أطَبّ قُريشٍ بالكتاب وبالسُنَن

ففيه الّذي منهم من الخير كُلّه وما فيهم مثل الّذي فيه مِن حَسَن
وصّي رسُول اللّه من دُون أهله وفارسه قد كان في سالف الزّمن
وأوّل مَن صلّىٰ من النّاس كلّهم سوىٰ خيرة النّسوان واللّه ذو مننّ

وقال ابن حماد :

رأيتُ النّص يفضح جاحديه ويُلجأهم الىٰ ضيق الخناق
ولو كان إجتماع القوم رشداً لمّا أدّىٰ الىٰ طول إفتراقِ

وقال النّاشي:

ومن لم يقل بالنّص منه معانداً غداً غفلةً بالرّغم منه يُحاوله
يَعرفه حقّ الوصي وفضله علىٰ الخلق حتّىٰ تضمحل بواطله

وقال الشبنوى :

يامُصرف النّص جهلاً عنأبو حَسَنٍ بابالمدينة عن ذىالجهل مَقفُولُ
مولىٰ الأنام علّي والوالّي معاً كما تفُوه عن ذي العرش جبريل

سأل حمران ابن أعْين يحيىٰ ابن أكثم عن قول النّبي ﷺ حيث أخَذَ بيد علّي وأقامه للنّاس فقال مَن كُنتُ مولاه فعلّي مولاه، أبأمرٍ مِن اللّه تعالىٰ ذلك أمْ برأيه فَسَكَت عنه حتّىٰ إنصرف فقيل له في ذلك فقال أنْ قلت برأيه نَصَبه لِلنّاس خالفتُ قول اللّه تعالىٰ ﴿**وما ينطق عن الهَوىٰ**﴾ وأن قُلت بأمر اللّه تعالىٰ ثبتت إقامته قال فَلِمَ خالفوه وإتّخذوا وَلياً غيره ولِنعم ما قاله ابن العَودي النّيلي:

وكلّ نبيٍ جاء قبلي وَصيّه مُطاع وأنتم للوصّي عَصيتُم
ففعلكم فِي الدّين أضحىٰ منافيا لِفعلي وأمري غير ما قد أُمرتم
وقُلتم مضىٰ عنّا بغير وصّية ألَم أوص لو طاوعتم وَعقلتم
وقد قلت منلم يوص منقبل مَوته يَمُت جاهلاً بل أنتم قد جَهلتم
نَصبتُ لكم بعدي إماماً يدُلكم علىٰ اللّه فإستكبرتُم وَضَلَلتم
وقد قُلتُ في تقديمه وَوَلائه عليكم بما شاهدتم وسمعتُم
علّيٌ غدا منّي محَلاً وقربَةً كهارون من موسىٰ فَلِمَ عنه حَلتُم

عــــليٌّ رســولي فــإتبعوه فأنّــه ولّيكـم بـعدي اذا غِـبتُ عنكُم

وقال النّاشي :

ولو آمـــــنوا بـــنّبي الهُـــدىٰ وبـالله ذي الطَّول ما خالفُوكا

ولو أيــــقنُوا بـــمعادٍ لَـــما أزالوا النّـصوص ولا مـا نَفوكا

ولكــــنّهم كــتموا الشّك فــي أخـيك النّبي وأبـدَوه فـيكا

لهـــم خــلف نــصروا قــولهم ليـبغُوا عـليك ومـا عـاينوكا

اذا صَـــحح النّـص قـالوا لنـا نـوالي عن الخلق وإستضعفوكا

فـقلنا لهـم نَـص خـير الورىٰ يـزيل الظّنُون ويَـنفي الشّكوكا

والحاصل أنّ مسألة النّص كانت في صدر الإسلام مفروغةٌ عنها بين المُسلمين كما عرفت من هذه الأشعار الّتي هي قطرةٌ وذرّةٌ بالنّسبة الىٰ ما قيل في إثبات النّص في أشعارهم وأمّا الرّوايات الواردة في الباب في كتب العامّة والخاصّة فخارجة عن حدّ الإحصاء ومع ذلك كيف يقول المعتزلي أنّ كلامه عليه السلام يدّل علىٰ عدم وجود النّص مضافاً الىٰ أنّ كلامه عليه السلام أيضاً يدّل عليه بالكناية كما عرفت ولا سيّما أنّه عليه السلام قال ولا أنّهم مُنّحوه عنّي من بعده، فأنّ هذا الكلام أعني قوله عليه السلام: (مُنّحوه) يدّل علىٰ المطلوب أيضاً اذ التّنحية صرف الشّئ وعَزله قال في المُنجد نَحّىٰ تَنحيةً، الرّجل عن موضعه، صَرفه وعَزله:

فيقال للمعتزلي لو لم يكن نصّ هناك فَلِمَ قال عليه السلام مُنحّوه عنّي أىٰ عَزلوني وصَرفوني عنه، بل كان حقّ العبارة أن يقول إختاروا غيري مَثلاً، وحيث عَبَّر عليه السلام بالتّنحية الّتي تدّل علىٰ عزله وردّعه وَمَنعه عمّا كان ثابتاً له وهو عليه السلام كان عارفاً باللّغة وأساليب الكلام فالمدّعىٰ ثابت:

وأمّا علىٰ قول من ذَهَب من أهل اللّغة الىٰ أنّ التّنحية معناها التّبعيد يُقال نحّاه عنه اذ أبعَدَّه عنه فالمطلوب أيـضاً ثـابت اذ التّبعيد لا يصدق إلّا بـعد التّقريب فالمعنىٰ أنّهم كانوا بَعدُّوه عن الخلافة بعد كونه قريباً مـنها وبـعبارةٍ أُخرىٰ كانت الخلافة قريبة اليه فبَعدُوها عنه بعد مَوت الرّسُول ومن المعلوم

أنّ القُرب هنا معنوي ولا نعني بقرب الخلافة له ﷺ إلّا بثبوتها له شرعاً وعقلاً.

▫ قوله ﷺ: فَما رَاعَني إلّا انْثِيَالُ النَّاسِ علىٰ فُلاَن يُبَايِعُونَهُ...

أي فما أفزَعَني إلّا إنصباب النّاس وإقبالهم علىٰ فُلان وهو كناية عن أبي بكر لم يُصّرح بأسمه تقيةً أو لأنّ الكناية أبلَغ وفي تعبيره بالإنثيال إشارة الىٰ أنّ بيعة النّاس أيّاه كانت علىٰ سبيل التّابع والتّزاحم أي تتابعُوا علىٰ بيعته وفيه إيماء الىٰ أنّ بيعتهم لأبي بكر كانت من غير روّيةٍ وتدبيرٍ بحيث أوجَبَت الوَحشَة والفَزَع لكلّ عاقلٍ مُسلمٍ وذلك لأنّ الإقبال علىٰ بيعة أبي بكر بهذا الوَصف بعد ثبوت النّص لغيره ليس في الحقيقة إلّا الخروج عن جادة الوُسطىٰ وطريق المُستقيم والدّخول في الهَلَكة والجاهَلية بعد الإسلام ومن الواضح البيّن أنّ المؤمن يَفزَع منه قال اللّه تعالىٰ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ اللّه قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَاتَ أَوْقُتِلَ إِنقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعقَابِكُمْ﴾ (١) ولأجل هذا قال ﷺ فما أفزَعَني إلّا انْثِيَالُ النَّاسِ الخ:

▫ قوله ﷺ: فأمْسكْتُ يَدِي حتّىٰ رأيْتُ رَاجِعة النَّاسِ قدْ رَجَعَتْ عَنِ الإِسْلاَمِ يَدْعُونَ إلىٰ مَحْقِ دِينِ مُحَمَّدٍ صلىٰ اللّه عليه وآله...

أي فأمْسكْتُ يَدِي عن البيعة لأبي بكر ولم أُبايعه حتّىٰ رأيتُ إرتداد النّاس عن الإسلام ودعوتهم النّاس الىٰ مَحق دين مُحمّد ومَحوه وفيه إشارة الىٰ أمرين:

أحدهما، أنّه ﷺ لم يُبايع أبي بكر في بدو الأمر وهو دليل علىٰ عدم لياقته للخلافة وأنّ عليّاً ﷺ كان أحقّ منه بها اذ لولا ذلك لَما كان لإمساكه عن البيعة معنىٰ فهذا الكلام ردٌّ علىٰ العامّة حيث قالوا أنّ عليّاً بايع أبا بكر بالطَوع والرّغبة وكان مُعترفاً بصَلاحيته مُقراً بخلافته وهكذا بالنّسبة الىٰ الخُلفاء بعده، وجه الرّد هو أنّ الأمر لو كان كما قالوا فكيف أمسَك ﷺ عن بيعته ومن المعلوم أنّ التّخلُف عن البَيعة اذا كان الإمام واجداً لشرائط الإمامة حرام لقوله ﷺ مَن

١ـ آل عمران ـ ١٤٤

مات ولَم يَعرِف إمام زمانه مات ميتة الجاهلية، فلو كان أبو بكر صالحاً للخلافة شرعاً وعقلاً لكان واجباً على علّي عليه السلام مُتابعته من بَدو الأمر، وثانيهما، أنّ علّة البيعة كانت رجُوع كثير من النّاس وإرتدادهم عن الإسلام؛ لا صّلاحية أبي بكر للخلافة فحيث أنّه عليه السلام رأى ذلك بايعه لِدَوران الأمر بين المهمّ والأهمّ ولا شّك أنّ الأهمّ مُقدّم على المُهِمّ فاذا كان الإمساك عن البيعَة مُوجباً لوقُوع الدّين في الخَطر والسّقُوط والبَيعة لِحفظه عنهما فالعَقل يحكم بِحفظ الدّين وهذا هو الّذي دعاه الى البَيعة بعد إمساكِه عنها ومفهوم العبارة أنّه لولا ذلك لما بايَعَه أصلاً ففي الحقيقة لم يُبايع أبا بكر بل بايَع الإسلام والدّين وهو أمرٌ معقول مشروع لا يجوز التّخطي عنه لكلّ مُسلِم فضلاً عنه عليه السلام روي المجلسي رحمه الله في البحار بأسناده عن ربعي عن زرارةً قال قُلتُ ما منع أمير المؤمنين أنّ يدعُو النّاس الى نفسه قال خوفاً أن يرتدّوا قال علّي وأحسب في الحديث، ولا يشهدوا أن مُحمّداً رسُول اللّه انتهى «ج ٨ ص ١٤٩»...

وبأسناده عن ابن أبي عُمير عن بعض أصحابنا قال قلتُ لأبي عبد اللّه عليه السلام لِمَ كَفّ علّيٌ عن القوم قال مخافة أن يرجعوا كُفّاراً انتهى «ج ٨ ص ١٤٩»...

وبأسناده عن بُريد عن أبي جعفر عليه السلام قال أنّ علّياً لَم يمنعه مِن أن يدعُو الى نفسه إلّا أنّهم أن يكونوا ضلالاً لا يرجعون عن الإسلام أحَبَّ اليه من أن يَدعُوهم فيأبُوا عليه فيصيرُون كفّاراً كلّهم انتهى «ج ٨ ص ١٤٩»...

فهذه الأحاديث ونظائرها تُرشدنا الى علّة قُعوده عليه السلام عن القتال مُضافاً الى أنّه لم يكن له عليه السلام ناصرٌ ولا مُعين كما روي في البحار بأسناده عن جندب بن عبد اللّه قال:

دخلتُ على أمير المومنين علّي ابن أبي طالب وقد بُويّع لعثمان بن عفان فوجدته مُطرقاً كئيباً فقُلتُ له ما أصابك جُعلت فداك من قومك فقال عليه السلام صبرٌ جميل فقلتُ سُبحان اللّه واللّه أنّك لَصبورٌ قال عليه السلام فأصنع ماذا قلت تقوم في النّاس وتدعوهم الى نفسك وتخبرهم إنّك أولى بالنّبي صلى الله عليه وآله بالفضل والسّابقة

وتسألهم النّصر علىٰ هؤلاء المُتظاهرين عليك فأن أجابك عشرة من مِائة شددت بالعشرة على المِائة فأن دانوا لك كان ذلك ما أحبَبت وأن أبوا قاتلتهم فأن ظهرتَ عليهم فهو سُلطان اللّه الّذي أتاه نبيّه ﷺ وكنت أولىٰ به منهم وأن قُتلت في طلبه قُتلت أن شاء اللّه شهيداً وكُنت أولىٰ والعُذر عند اللّه لأنّك أحقّ بميراث رسُول اللّه ﷺ فقال أمير المؤمنين أتراه يا جُندب كان يبايعني عشرة من مِائة فقلت أرجو ذلك فقال لكنّي لا أرجو ولا من كلّ مِائة إثنان وسأخبرك من أين ذلك أنمّا ينظر النّاس الىٰ قُريش وأنّ قُريشاً تقول أنّ آل مُحمّداً يرون لهم فضلاً علىٰ سائر قُريش وأنّهم أولياء هذا الأمر دون غيرهم من قريش وأنّهم أن ولّوه لم يخرج منهم هذا السّلطان الىٰ أحدٍ أبداً ومتىٰ كان في غيرهم تداولوه بينهم ولا واللّه لا تُدفع الينا هذا السّلطان قُريش أبداً طائعين فقلتُ أفلا أرجع فأخبر النّاس بمقالتك هذه وأدعوهم الىٰ مصرك فقال يا جُندب ليس ذا زمان ذاك قال جُندب فرجعت بعد ذلك الىٰ العراق فكُنتُ كلّما ذكرت من فضل أمير المؤمنين علّي ابن أبي طالب شيئاً زَبَرُوني ونهرّوني حتّىٰ رفع ذلك من قولي الىٰ الوليد بن عقبة فبعث إلّي فَحَبَسَني حتّىٰ كُلِم فِيَ فخَلىٰ سَبيلي ج ٨ ص ١٤٨.

أقول يظهر من هذا الحديث أنّه لم يكن له ﷺ ناصر ولا مُعين ليستنصر ويستعين بهم علىٰ أعدائه ولكنّه أي عدم النّاصِر فقط لم يكن علّة لقعوده ﷺ عن القتال بل العلّة الحقيقية ما ذكره ﷺ من الخوف علىٰ مَحق الدّين وهَدمه اذ لولا ذلك لَما قَعَد في بيته بل قاتلهم ولو كان مقتولاً اذ ربّما يكون القتل والشّهادة في سبيل اللّه سبباً لحياة الدّين وبقائه كما أنّ الحُسين ﷺ قاتلهم مع علمه بالشّهادة ولا شكّ أنّ شهادته صارت عِلّة لبقاء الدّين نعم وجود النّاصر يوجب التّكليف بالقيام لإقامة الحقّ كما أنّ أمير المؤمنين بعد قتل عُثمان قاتل النّاكثين والقاسطين والمارقين كما أنّ عدم النّاصر يُوجب سقُوط التّكليف والىٰ هذا المعنىٰ أشار ﷺ في الخطبة الشّقشقية بقوله أمّا والّذي فَلَق الحبّة وبرَأ

النّسمة لولا حضور الحاضر وقيام الحجّة بوجود النّاصر وما أَخَذ اللّه على العلماء إلّا تعارَوا على كِظّة ظالم ولا سَغَب مظلوم لألقيت حَبَلها على غاربها ولَسَقيتُ آخرها بكأس أوّلها الىٰ آخِر كلامه:

ومحّصل الكلام هو أنّ الملاك في القعود والقيام والسّكوت والكَلام رعاية الدّين ومصالحه وأمّا وجود النّاصر وعدمه فهو داخل فيما ذكرناه وليس هو شيئاً برأسه يصلح للعلّية ضرورة أنّ مصلحة الدّين في صُورة وجود النّاصر في القيام وفي عدمه في القعود وعليه فالأخبار الواردة في الباب المُشعرة بكون العلّة هي عدم النّاصر كلّها يرجع الىٰ ما ذكرناه فلا مُنافاة بين ما ذكره عليه السلام في المقام من أنّ العلّة هي الخَوف علىٰ مَحِق الدّين وبين ما ذكره في الرّواية من أنّ العلّة عدم وجود النّاصر وذلك لأنّ القيام مع عَدَم النّاصر في عَصره وزمانه الّذي كان النّاس حديثوا عهدٍ بالإسلام مضافاً الىٰ ترّصد الأعداء في الدّاخل والخارج كان ضرره أكثر من نفعه قطعاً بل لم يكن فيه نفع أصَلاً نعم الضّرر كان هناك موجوداً وهو مَحِق الدّين وهَدَمه كما أشار عليه السلام اليه بقوله:

□ قوله عليه السلام: **فَخَشِيتُ أَنْ لمْ أَنْصُرِ الإِسْلاَمَ وأَهْلَهُ أَنْ أَرَىٰ فِيهِ ثَلْماً أَوْ هَدْماً تكُونُ المُصِيبَةُ بِهِ عَلَيَّ أَعْظَمَ منْ فَوْتِ ولاَيَتِكُمْ الَّتي إِنَّما هِي مَتَاعُ أَيَّامٍ قَلاَئِلَ يَزُولُ منهَا كَما يَزُولُ السَّرَابُ أَوْ كَمَا يَتَقَشَّعُ السَّحَابُ...**

أي فَخَشيتُ أنْ لمْ أنْصُرِ الإسْلاَمَ)بالسّكوت والقعُود وترك القتال أن أرَىٰ فيه أي في الإسلام ثلماً وخَرقاً أو هَدماً من رأسه تكون المصيبة به أي بسبب الثّلم أو الهَدم علّي أعظم من فوت ولايتكم وإمارتكم الّتي أنّما هي متاع أيّامٍ قلائل في الدّنيا الّتي لا بقاء لها بل يزول من الدّنيا ما كان فيها من الحكومة وغيرها كما يزول السّراب الّذي يحسبه الظّمآن ماءً أوْ كَما يَتَقَشّعُ أي يتّشتت ويتّفرق السّحَاب ومن المعلوم أنّ المؤمن باللّه وبرسوله لا يترك الدّين لأجل الدّنيا الفانية:

وحاصل هذه الكلمات هو أنّ الملاك بقاء الدّين وتقوّيته والقيام والقعُود

ليس لهما شأن إلّا باعتباره وأن شئت قلت أنّ النّظر اليهما آلـي لا إسـتقلالي فكلّما أدّىٰ فيهما الىٰ بقاء الدّين وشوكته يؤخذ به وما ليس كذلك فلا يؤخذ به وهكذا الكلام في السّكوت وعدمه بل وجميع الحـركات والسّكنات فكـلّ حركةٍ فيها صلاح الدّين يجب فعلها وكلّ حركةٍ فيها ضررٍ علىٰ الدّين يجب تركها ولذلك نقول ربّما تكون الحَركة والقيام أولىٰ من تَركها وربّما يكون الأمر بالعكس فهذا هو الملاك في القيام وعَدَمه لا الدّنيا الفانية وزخارفها الدّاثرة من الحكُومة وغيرها:

▫ **قوله ﷺ: فَنَهضْتُ في تِلْكَ الأَحْداثِ حتّىٰ زاحَ البَاطِلُ وزَهَقَ واطْمأنّ الدّينُ وتَنَهْنَهَ...**

المراد بالأحداث ما وقع بعد رسُول اللّه ﷺ من البِدَع والحـوادث الغير المترقبة المُسبّبة عن تشكيل السّقيفة وتـعيين الخَليفة فـيها والتّـعبير عـنها بالأحداث للإشارة الىٰ أنّها خارجة من الدّين أجنَبيّة عنه وإلّا لم تكن أحداثاً والمراد بقوله ﷺ: **حتّىٰ زاحَ البَاطِلُ وزَهَقَ**، أي ذَهَب الباطل وخَرَج والمراد بإطمَينان الدّين وسكُونه خروجه عن أيدي الحاكمين فيه علىٰ طبق أميالهم وَهَوَساتهم والباطل في كلامه ﷺ هذا هو الخلافة الّتي خرجت من السّقيفة وحاصل المعنىٰ أنّي نَهضتُ أي قاوَمتُ له أو إرتفعتُ أو قُمتُ يقال نَهَض عن مكانه، إرتفع عنه، نَهَض قرنه، قاوَمَه، نَهَض بالأمر، قامَ والمقصود أنّي قاومتُ في قِبال الأحداث أو إرتفعتُ عنها لئلّا أبتلي بها، أوقُمتُ فيها بقدر قوّتي حتّىٰ زاح وذهب الباطل أعني به أيّام الخُلفاء الثلاثة وزَهَق أي خرجت حكومتهم عن الإسلام بموتهم وبعد ذلك صار الدّين مُستقرا ثابتاً اذ رَجع الحقّ الىٰ أهله ونُقل الىٰ مُنتقله هذا ما فهِمنا من العبارة ولكن بعض الشّراح ذكر غير ذلك:

قال المعتزلي في تفسير قوله ﷺ: **وتَنَهْنَهَ**، أي سَكَن وأصله الكَفّ أي كفّ عن حركته وإقدامه فكأنّ الدّين كان متحركاً مُضطرباً فَسَكن وكفّ عن ذلك الإضطراب انتهىٰ.

وقال الشّيخ المصري (مُحمّد عبدُه) في تفسير الكلام ما لفظه:

فنهض الإمام بين تلك البِدَع فبَدَّدَها حتّىٰ زاح أي ذهب الباطل وزهق أي خَرجت رُوحه ومات مجازٌ عن الزّوال التّام ونَهنَهه عن الشّئ كفّه فتَنَهنَه أي كفّ وكان الدّين مُنزعِجاً من تصَرف هؤلاء فازِعاً الىٰ الزّوال فكفّه أمير المؤمنين وَمَنعه فإطْمأن وَثَبت انتهىٰ:

ولِقائل أن يقول مَن أحدَثَ تلك البِدَع الّتي بَددّها الإمام حتّىٰ زاح الباطل وَزَهقَ ثمّ مَن أوجَدَ الإضطراب في الدّين حتّىٰ إطْمأن وَتَنهَنَه غير الخلفاء. الثّلاثة وعُمّالهم فأنّ الشّقوق المحتملة ثلاثة:

أحدها: أن لا يكون هناك أحداثٌ وبدَعٌ وإضطرابٌ في الدّين أصلاً:

وثانيها: أن يكون الحَدَث والإضطراب موجودين من بدءُ الإسلام الىٰ زمان خلافته عليه السلام.

وثالثها: وجودهما بعد مَوت الرّسُول دون قبله:

لا سبيل الىٰ الأوّل: لأنّ القول به يُستَلزَم تكذيب أمير المؤمنين في كلامه وهو كما ترىٰ:

ولا الىٰ الثّاني: لأنّه يوجب الخروج من الدّين وعدم الإعتقاد بالرّسالة وتكذيب القرآن حيث قال تعالىٰ: **﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾**(١) وذلك لأنّ الدّين الكامل منّزه عن الأحداث والبِدَع والإضطراب وهو ظاهر:

بقيٰ في المقام ثالث: الوجوه وهو وجود الأحداث والبِدَع في عصر الخلفاء الثّلاثة بعد مَوت الرّسُول الىٰ زمان خلافته عليه السلام ولأجل ذلك قلنا أنّ المراد بالباطل في كلامه هو الخلافة قبله وتَنهَنَه الدّين أي سكونه عن الإضطراب كناية عن خُروجه عن أيدي الخُلفاء وعُمّالهم:

١- المائده - ٣

▫ **قوله ﷺ: إِنِّي واللّٰهِ لَوْ لَقِيتُهُمْ واحِداً وهُمْ طِلاَعُ الأَرْضِ كُلّها ما بَالَيْتُ ولا اسْتَوْحَشْت وإِنّي منْ ضَلاَلِهِمُ الّذِي هُمْ فيهِ والْهُدَى الّذِي أنا عَليهِ لَعَلى بَصِيرَةٍ منْ نَفْسي ويَقِينٍ منْ رَبِّي...**

طِلاع، بكسر الطّاء لكتاب ملئ الشّئ، والمعنىٰ لم يكن قعودي عن الأمر وسُكوتي عن ذكر الحقائق لِلوحشة والخوف منهم بل السّبب فيه ما ذكرناه سابقاً من رعاية الدّين ثمّ أقسَم ﷺ باللّه تعالىٰ علىٰ إثبات مدّعاه وقال أنّي واللّه لو لقيتُهم واحداً من غير معينٍ ولا ناصرٍ وهم أي والحال أنّ المُخالفين يملؤن الأرض من الأعوان والأنصار لا أُبال منهم ولا إستوحَشت من كُثرتهم وذلك لأنّي لَعلىٰ يقينٍ من ربّي وبصيرةٍ من نفسي وأنّهم لفي ضلالهم يعمهُون ومن كان علىٰ الحقّ لا يَخاف من شئ ويُفسّر هذا الكلام قوله ﷺ: **فيما مضىٰ**، لا تَستَوحشوا في طريق الهُدىٰ لقلّة أهله وعليه فَمن زَعم أنّ أمير المؤمنين ﷺ سَكَت عن الأمر لخوفه من أعدائه فقد إفترىٰ عليه بل الوجه فيه ما ذكره سابقاً وهو رعاية مصالح الدّين:

▫ **قوله ﷺ: وإِنِّي إِلىٰ لِقَاءِ اللّٰهِ وحُسْنِ ثَوَابِهِ لَمُنْتَظِرٌ رَاجٍ ولكِنّني آسَي أنْ يَلِيَ أمْرَ هٰذِهِ الأُمَّةِ سُفَهاؤُها وَفُجّارُها فيَتَّخِذُوا مالَ اللّٰهِ دُوَلاً وعِبَادَهُ خَوَلاً والصَّالِحينَ حَرْباً والفَاسِقينَ حِزْباً...**

لِقَاء اللّهِ كِناية عن المَوت أي كيف أخاف منهم والحال أنّي الىٰ المَوت وحُسْنِ ثَوَاب اللّه في الآخرة لَمُنتَظِر رَاجٍ أي أنتظِر مَوتي وأرجُو ثواب اللّه ومَن كان كذلك لا يخاف مِن القتل كما قال ﷺ في بعض كلماته **واللّه لأبن أبي طالب آنس بالمَوت من الطّفل بثدي أُمّه**: ولكِنّني آسَي وأحزَن أنْ يَلِيَ أمْرَ هٰذِهِ الأُمّةِ سُفَهاؤُها وفُجّارُها

بأن يحكموا علىٰ النّاس بما يشاؤن فيتّخذوا مال اللّه دُوَلاً أي يتداولونه بينهم ويتصرفون فيه بغير حقٍّ وعباد اللّه خَوَلاً وعبيداً لأنفسهم والصّالحين من عباد اللّه حَرباً أي مُحارباً والفاسقين منهم حِزباً وفي هذه الكلمات أخبرَ ﷺ

عن حكومة بني أُمَيّة وآل مروان وبعدهم أولاد عبّاس وقد وقَع بَعده عليه السلام ما أخبَر عليه السلام به حَذواً بالحَذو ونَعلاً بالنَّعل ومن راجع التّواريخ يعلم صِدقه وأنَّ هذا الكلام صَدَر عن علم اللّه تعالىٰ علىٰ لسان أمير المؤمنين أُنظر الىٰ الخلفاء بعده من أوّلهم الىٰ آخرهم كيف إتّخذوا مال اللّه دُوَلاً بينهم وعباد اللّه عبيداً وصُلحاء الأُمّة من المحاربين وفُساقهم من المُقَرّبين:

فأوّلهم معاوية بن أبي سفيان لَعنهما اللّه غَصَبَ الخلافة بغير حقٍّ وقتل خِيار الأصحاب والشّيعة وَسَلّط علىٰ العراقين زياد بن أبيه لَعَنه اللّه وبعده ابنه يزيد قتل ابن بنت رسُول اللّه وخيار الصّحابة والشّيعة وقتل أهل المدينة وغيرها من الفجائع الّتي كَلَّ القَلَم عن ذكرها وقصُرَ اللّسان عن بيانها ثمّ بعده مروان ابن الحكم وبعده ابنه الميشوم عبد الملك صاحب الحجّاج وبعده أبنائه الأربعة سُليمان وهشام ويزيد ووليد وهكذا الىٰ آخر الخُلفاء من أولاد العبّاس ومن أراد أن يَطّلع علىٰ شطرٍ من جناياتهم وخياناتهم فعليه بمراجعة التّواريخ المُفَصلة:

□ قوله عليه السلام: **فإنّهُمْ مِنْهُمُ الّذي قدْ شَرِبَ فِيكمُ الحَرَامَ وجُلِدَ حَدّاً في الإِسْلاَمِ وإِنَّ مِنهُمْ منْ لمْ يُسْلِمِ حتّىٰ رُضِختْ لهُ علىٰ الإِسْلاَمِ الرَّضَائخُ فَلولاَ ذَلِكَ ما أكْثَرتُ تَألِيبَكُمْ وتَأنِيبَكُمْ وجَمْعَكُمْ وتَحْرِيضَكُمْ وَلَتَركْتُكُمْ إذ أَبَيْتُمْ وَوَنَيْتُمْ...**

أشار عليه السلام الىٰ أُمورٍ ثلاثة إثنان منها لإثبات مُدّعاه والآخر لأخذ النّتيجة:

أمّا الإثنان فأحدهما، مِن شَرب الخمر وجُلّد الحدّ، والثّاني من لم يُسلِم حتّىٰ رُضِحت:

فالّذي شرب الخمر وجُلّد الحدّ هو الوليد بن عُقبة ابن أمّ عثمان ونحن نذكر قصّته عن شرح المعتزلي فأنّه أوفق بالمقام وأثبت للمَرام وهذه عباراته وألفاظه:

قال أبو الفرج كان سبب إمارة الوليد بن عُقبة الكوفة لعثمان ما حدّثني به أحمد بن عبد العزيز الجوهَري قال حدّثنا عُمر بن شَبة قال حدّثني عبد العزيز

بن مُحمّد بن حكيم عن خالد بن سعيد بن عُمر بن سعيد عن أبيه قال لم يكن يجلس مع عثمان علىٰ سريره إلّا العبّاس بن عبد المطّلب وأبو سُفيان بن حرب والحكم بن أبي العاص والوليد بن عُقبة ولم يكن سريره إلّا عثمان وواحداً منهم فأقبل الوليد يراه فَجَلس فجاء الحكم بن أبي العاص فأومأ عثمان الىٰ الوليد فَرَحل له عن مجلِسه فلمّا قام الحَكم قال الوليد والله يا أمير المؤمنين لقد تَلَجلَج في صَدري بيتان قلتهما حين رأيتك آثرت ابن عَمّك علىٰ ابن أُمّك وكانَ الحَكَم عَمّ عثمان والوليد أخاه لأُمّه فقال عثمان أنّ الحَكَم شيخ قُريش فما البيتان فقال:

رأيت لعمّ المَرء زُلفىٰ قرابةٍ ... دُوين أخيه حادِثاً لم يكن قِدماً

فأمّلتُ عُمرا أن يشّب وخالداً ... لكي تدعُواني يوم نائبةٍ عَمّا

يعني عمراً وخالداً إبنَي عثمان قال فَرّق له عثمان وقال قد وَلّيتك الكُوفة فأخرَجه اليها:

قال لمّا ولّي عثمان الوليد بن عُقبة الكُوفة قدمها وعليها سعد بن أبي وقاص فأُخبر بقدومه ولم يعلم أنّه قد أُمّر فقال وما صَنع قالوا وَقَف في السُوق فهو يحدّث النّاس هناك ولسنا ننكر شيئاً من أمره فَلِمَ يلبث أن جاءه نصف النّهار فإستأذن علىٰ سعد فأذن له فسلّم عليه بالإمرة وجَلس مَعه فقال له سعد ما أقدَمك يا أبا وَهَب قال أحبَبت زيارتك قال وعلىٰ ذاك أَجئت بريداً قال أنا أرزق من ذلك ولكنّ القوم إحتاجُوا الىٰ عملهم فسرّحوني اليه وقد إستعمَلني أمير المؤمنين علىٰ الكُوفة فَسَكت سعد طويلاً ثمّ قال لا والله ما أدري أصلَحت بعدَنا أم فسدنا بعدك ثمّ قال:

كليني وجُرّيني ضُباع والبشرىٰ ... بلحم إمرئٍ لم يشهد اليوم ناصره

وفي رواية قال لمّا قدم الوليد الكُوفة قال له سعد والله ما أدري كِست بعدنا أم حَمقُنا بعدك فقال لا تجزَعَنّ يا أبا إسحاق فأنه المُلك يتغداه قوم ويتعشاه آخرون فقال سعد أراكم والله ستجعلُونها مُلكاً، قال أبو الفرج بأسناده عن ابن

شوذب صلىٰ الوليد بأهل الكُوفة الغَداة أربع ركعات ثمّ إلتفت اليهم فقال أزيدكم فقال عبد الله بن مسعود ما زلنا معك في زيادة منذ اليوم قال الحطيئة يذكر الوليد:

شهد الحطيئة يوم يلقىٰ ربّه — أنّ الوليد أحقّ بالعُذر
نادىٰ وقد تمتّ صلواتهم — أأزيدكم سكراً ولم يدري
فأبو أبا وهبٍ ولو أذنوا — لقرنت بين الشّفع والوتر
كَفّوا عنانك اذ جربت ولو — تركوا عنانك لم تَزل تجري
ورأوا شمائل بأحدٍ أنفٍ — يُعطي علىٰ الميسُور والعُسِر
قرعَتُ مكذوباً عليك ولَم — تُردد الىٰ عُذرٍ ولا فقرٍ

وقال أيضاً:

تكّلم في الصّلاة وزاد فيها — علانيةٌ وأعلَن بالنّفاق
ومَجَّ الخمر في سنن المُصّلىٰ — ونادىٰ والجميع الىٰ إفتراق
أزيدكم علىٰ أن تحمدوني — فما لكُمُ ومالي من خلاقٍ

قال قال الأصمعي كان الوليد زانياً يشرب الخمر فشرب بالكُوفة وقام ليصّلي بهم الصّبح في المسجد الجامع فصّلىٰ بهم أربع ركعات ثمّ إلتفت اليهم فقال أزيدكم وتقيأ في المحراب بعد أنّ قرأ بهم رافعاً صَوته في الصّلاة:

عَلَق الباب الرّبابا — بعد ما شابت وشابا

فشخص أهل الكُوفة الىٰ عثمان فأخبروه بخبَره وشهدوا عليه بشُرب الخَمر فأُتي به فأمَر رجلاً من المُسلمين أن يضرِبه الحدّ فلمّا دنا منه قال نشدتُك الله وقرابتي من أمير المؤمنين فَتركه فَخاف علّي ابن أبي طالب عليه السلام أن يُعطل الحدّ فقام اليه وحَدّه بيَده فقال الوليد نشدتك الله والقرابة فقال أمير المؤمنين عليه السلام أسكُت أبا وَهب فإنّما هَلَك بنو إسرائيل لتعطيلهم الحدُود فلّما ضَربه وفرَغ منه قال لتدعُوني قُريش بعدها جَلاّداً والىٰ هذا أشار أمير المؤمنين عليه السلام في المقام.

▫ **بقوله فإنّهُمْ مِنهُمُ الّذِي قدْ شَرِبَ الحَرَامَ وجُلِدَ حَدّاً في الإسْلاَمِ...**

وأمّا الّذي رضحت له على الإسلام فهو معاوية بن أبي سفيان، قال الشّارح المُعتزلي والرّضيحة شيئ قليل يُعطاه الإنسان يصانع به عن شيئ يُطلب منه وذلك لأنّه من المؤلّفة قلوبهم الّذين رغبوا في الإسلام والطّاعة بجمالٍ وشاء دُفعت اليهم وهم قوم معروفون كمعاوية وأخيه يزيد وأبيهما أبي سفيان وحكيم بن حزام وسُهيل بن عَمرو والحارث بن هشام بن المُغيرة وحويطب بن عبد العُزّى والأخنس بن شريق وصَفوان بن أُميّة وعُمير بن وَهَب وعُيينة بن حصن والأقرع بن حابس وعبّاس بن مرداس وغيرهم وكان إسلام هؤلاء لِلطّمع والأغراض الدّنيوية ولم يكن عن أصلٍ ولا عن يقينٍ وعلم انتهى.

وأمّا الأمر الثّالث الّذي هو مُتفرع على الأمرين الأوّلين فهو قوله ﷺ: **فلو لا ذلك ما أكثرتُ تأيسكم الخ** وذلك لأنّ الفاء في قوله ﷺ: (**فلو لا**) للتّفريع ومحّصل المعنى هو أنّ تأليبكم وترغيبكم الى الحّرب وتأنيبكم أي ملامتكم على تركها وجمعكم وتحريضكم على القتال أنمّا هي لأجل ما ذكرناه من معاوية وأصحابه فلولا ذلك ما أكثرتُ في التّأليب والتّأنيب والجّمع والتّحريض بل تركتكُم اذا أبَيتُم وأبطأتُم عن الحَرَب ثمّ أشار ﷺ الى شطرٍ من جناياتهم فقال:

□ قوله ﷺ: **أَلاَ تَرَوْنَ إِلىٰ أَطْرَافِكُمْ قَدِ انْتَقَصَتْ وإِلىٰ أَمْصَارِكُمْ قَدِ افْتُتِحَتْ وإِلىٰ مَمَالِكِكُمْ تُزْوى وإِلىَ بِلاَدِكُمْ تُغْزَى اِنْفِرُوا رَحِمَكُمُ اللّهُ إِلىٰ قِتالِ عَدُوِّكُمْ ولا تَثَّاقَلُوا إِلىٰ الأَرْضِ فَتَقِرُّوا بالخَسْفِ وتَبَوؤُا بالذّلِّ ويَكُونُ نَصِيبُكُمُ الأَخَسَّ وإِنَّ أَخَا الحَرْبِ الأَرِقُ وَمَنْ نَامَ لَمْ يُنَمْ عَنْهُ...**

إستدل ﷺ على ما ذكره بأمور محسّوسة مشهودة لهم فقال ألا ترون الى أطرافكم أي أطراف بلادكم وجوانبها قد حَصَل فيها النّقص باستيلاء العدّو عليها والى أمصاركم قد أُفتتحت وفيه إشارة الى فتح مِصر والى ممالككم تُزوى، أي تُقبض عنكم والى بلادكم تُعزى من جانب العدّو وفيه إشارة الى الغارات إنفِروا رحمكم الله الى قتال عدّوكم أي قتال معاوية وأصحابه ولا

تثاقلوا الىٰ الأرض متبرك الجّهاد فتقّروا أي فتقيموا بالخَسف والضّيم وتبوّوا أي تَعوّدوا بالذّل ويكون نصيبكم الأخس من الدّين والدّنيا وأنّ أخا الحَرَب الأرِق أي السّاهِر وصاحب الحَرَب لا ينام والّذي ينام لا ينام النّاس عنه:

فقوله ﷺ أنفروا إشارة الىٰ قوله تعالىٰ حيث قال: ﴿انفِرُوا خِفَافاً وَثِقالاً وَجَاهِدُوْا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (١)

وفي قوله ﷺ: ولا تثاقلوا، إشارة الىٰ قوله تعالىٰ: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَالَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَىٰ الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الأَخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ (٢)

وفي قوله ﷺ: **فتقّروا بالخَسف** إشارة الىٰ قوله تعالىٰ: ﴿إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً وَيَسْتَبْدِل قَوْماً غَيْرَكُمْ وَلاَ تَضُرُّوهُ شَيئاً وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيٍّ قَدِيرٍ﴾ (٣)

وفي قوله ﷺ: وتَبَوّوا بالذّل إشارة الىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٤)

وفي قوله ﷺ: وَمَنْ نَامَ لَمْ يُنَمْ عَنْهُ، إشارة الىٰ أنّ العَدّو لا ينام فلا تَغفل عنه والنّوم كناية عن الغَفلة كما قال الشّاعر:

لِـــلّه درّك مــا أردتَ بـثائرٍ ... حِرّأنّ ليس عن التّراث براقدِ

أسهرته ثُمّ إضطجعت ولَم يَنم ... حَنقاً عليك وكيف نوم الحاقِد

١- التوبة ـ ٤١ ... ٢- التوبة ـ ٣٨

٣- التوبة ـ ٣٩ ... ٤- آل عمران ـ ١٢٣

ومن كتاب له عليه السلام (٦١)

الىٰ أبي مُوسىٰ الأشعري، وهو عامله علىٰ الكوفة، وقَد بَلَغه عنه تَثبيطه النّاس علىٰ الخُروج اليه لمّاندبهم لحَرب الجَمَل

▫ قوله عليه السلام: منْ عَبْدِ اللّهِ أميرَ المُؤمِنينَ إلىٰ عَبْدِ اللّهِ بن قَيْسٍ.

أمَّا بَعْدُ فَقَدْ بَلَغني عَنْكَ قَوْلٌ هُوَ لَكَ وعَلَيْكَ فإذَا قَدِمَ رَسُولي عَلَيْكَ فَارْفَعْ ذَيْلَكَ واُشْدُدْ مِأزَرَكَ وأُخْرُجْ منْ جُحْرِكَ وأنْدُبْ مَنْ مَعكَ فإنَ حَقَّقْتَ فَأنْفُذْ وإنْ تَفَشَّلْتَ فأبْعدْ وأيْمُ اللّهِ لتُؤْتَينَّ مَنْ حَيْثُ أنْتَ ولا تُتْرَكُ حتّىٰ يُخْلَطْ زُبْدُكَ بِخَائِرِكَ وذَائِبُكَ بجَامِدِكَ وحتّىٰ تُعجلُ فى قِعْدَتِكَ وتَحْذَرَ منْ أمامِكَ كَحَذَرِكَ منْ خَلْفِكَ .وما هِيَ بالْهُوَيْنىٰ التّي تَرْجُو ولكِنها الدَّاهِيَةُ الكُبْرىٰ يُرْكَبُ جَمَلُها ويُذَلُّ صَعْبُها ويَسْهُلُ جَبَلُها. فاعْقِلْ عَقْلَكَ وأمْلِكْ أمْرَكَ وخُذْ نَصِيبَكَ وحظَّكَ فإنْ كَرِهْتَ فَتَنَحَّ إلىٰ غيرِ رَحْبٍ ولا في نَجَاةٍ فَبِالْحَرِيّ لَتُكْفَينَّ وأنْتَ نائِمٌ حتّىٰ لا يُقالَ أيْنَ فُلاَنٌ .واللّهِ إنَّهُ لَحقٌّ مَعَ مُحِقٍّ ما يُبالي ما صَنَعَ المُلْحِدُونَ والسَّلاَمُ...

◁ اللّغة

(تَثبيطه) التّثبيط مصدر قولك ثبّط تثبيطاً وهو التّرغيب في القعُود والتّخلف،(ذَيْلَكَ) الذّيل بفتح الذّال وسكون الياء والّلام مصدر قولك ذال ذيلاً، وهو طول الثّوب حتّىٰ مسّ الأرض (مِأزَر) بكسر الميم وسكون الهمزة وفتح الزّاء علىٰ وزن مِنبَر الإزار، كلّ ما سَترك يقال شدّ لِلأمر مِأزَره اذا تشمّر له ورفع الذّيل وشدّ المِأزَر كناية عن التّشمير للجهاد (جُحْرِكَ) الجُحر بضم الحاء

وسكون الجيم والرّاء كناية عن مَقره ومأواه (أَنْدُبْ) فعل أمرٍ من نَدب يَندب مثل نَصر يَنصُر أي أُدعُ (حَقَّقْتَ) وفي بعض النّسخ تحقّقت والأوّل من باب التّفصيل والثّاني من باب التّفعل والمعنىٰ حَقّقْتَ لزوم طاعتي (فأنْفُذْ) فعل أمرٍ من نَفَذ يَنفذ أي سِر حتّىٰ تقدم عَلَيّ (تَفَشَّلت) مثل تَصَرّفت يقال فَشِل فَشلاً ضُعف وتَراخي وجَبُن عند الحَرب (أَيْمُ اللّٰهِ) بفتح الألف وسكون الياء وضمّ الميم معناه القَسَم أي أُقسم بالله (زُبْدُك) الزّبد بضّم الزّاء وسكون الباء خلاصة اللّبن وصَفوَته (بِخَائِرِكَ) الخاثر اللّبن الغليظ (ذَائِبُكَ) الذّائبة اسم فاعل من ذاب يَذوب (قِعْدَتِكَ) القِعدة بالكسر هيئة القعُود (الْهُوَيْنىٰ) بضّم الهاء تصغير الهُونىٰ بضّم الهاء أيضاً مُؤنث أهوَن (الدَّاهِيَةُ) المُصيبة (رَحْبٍ) بفتح الرّاء وسكون الحاء السّعة.

◁ المعنىٰ

(منْ عَبْدِ اللّٰهِ أميرَ المُؤمِنينَ إلىٰ عَبْدِ اللّٰهِ بن قَيْسٍ) وهو أبو موسىٰ الأشعري (أمّا بَعْدُ) الحَمد والثّناء عليه (فَقدْ بَلَغني عَنْكَ قَوْلٌ هُوَ لَكَ وعَلَيْكَ فإذَا قَدِمَ رَسُولي) الّذي أرسلته اليك (فارْفَعْ ذَيْلَكَ وأشْدُدْ مِأزَرَك) كنايتان عن التّشمير لِلجهاد (وأخْرُجْ منْ حُجْرِكَ ومَقَرك وأندُب) وأدعُ (من مَعَك) من الرّجال (فأن حقّقت) لزوم طاعتي (فأنفذ) وأخرج الي سَريعاً (وإنْ تَفَشَّلْتَ) وضِعفتَ (فابْعُدْ) عن الحكُومة (وأيْمُ اللّٰهِ) وأُقسم به صادقاً (لَتُؤَتينَّ حَيْثُ أنْتَ) برغم أنفك (ولا تُتْرَكْ حتّىٰ يُخْلَطْ زُبْدُكَ) وصَفوك (بِخَائِرِكَ) وغلظك (وذَائِبُكَ بجَامِدِكَ وحتّىٰ تُعْجَلْ في قِعْدَتِكَ) كناية عن شدّة الأمر وصعُوبته (وتَحْذَرَ) وتخاف (منْ أمامِكَ كَحَذَرِكَ منْ خَلْفِكَ. وما هِيَ بالْهُوَيْنىٰ التّي تَرْجُو) أي ليست الدَّاهِيَةُ التّي أذكرها لك بالشّئ الهّين (ولكِنْها الدَّاهِيَةُ الكُبْرىٰ) المُصيبة العُظمىٰ (يُرْكَبُ جَمَلُها ويُذَلُّ صَعْبُها ويُسْهَلُ جَبَلُها) كنايات عن صعُوبة الدّايهة (فاعْقِلْ عَقْلَكَ) وأضبطه (وأمْلِكْ أمْرَكَ) ولا تَتّبع الهَوىٰ (وخُذْ نَصِيبَكَ وَحظَّكَ) من دينك ودنياك (فإنْ كَرِهْتَ) القتال مع الأعداء (فَتَنَحَّ) عن

الإمارة (إلىٰ غيرِ رَحْبٍ) ولا سعة (ولا في نَجَاةٍ فَبِالْحَرِيّ لَتكفَيَنَّ وأنْتَ نائِمٌ) أي أنّها لتُكفيك القتال وتَظفر بها وأنت نائم غافل (حتّىٰ لا يُقالَ أيْنَ فُلاَنٌ) أي لا يَبقىٰ لك إسم ولا رَسم (واللّه أنّه لَحَقٌ مع مُحِقّ) وذي حقّ (وما نبالي ما صَنَع المُلحدون) في دين اللّه:

◁ الشّرح

كتب ﷺ هذا الكتاب الى عبد اللّه بن قيس المكنّىٰ بأبي موسىٰ الأشعري وكان أبو موسىٰ والياً علىٰ الكُوفة لعثمان قبل خلافة أمير المؤمنين ﷺ فلمّا قُتل عثمان وسار أمير المؤمنين الىٰ البَصرة لحرب أصحاب الجَمَل وظَهر علىٰ المُسلمين نفاق أبي موسىٰ وإلحاده في دينه عَزَله عنها:

▫ قوله ﷺ: أمّا بَعد فَقدْ بَلغني عَنكَ قَوْلٌ هُوَ لَكَ وعَلَيْكَ...

قال الشّارح المعتزلي في المقام أنّ أبا موسىٰ كان يقول لأهل الكُوفة أنّ عليّاً إمام هُدىً وبيعته صحيحة إلّا أنّه لا يجوز القتال مَعه لأهل القبلة وهذا القول بعضه حقّ وبعضه باطل انتهىٰ، وقال صاحب كتاب الإمامة والسّياسة أنّ عليّاً لمّا نزل قريباً من الكُوفة بَعث عمار بن ياسر ومُحمّد بن أبي بكر الىٰ أبي موسىٰ الأشعري وكان أبو موسىٰ عاملاً لعثمان علىٰ الكُوفة فبعثهما عليّ اليه والىٰ أهل الكُوفة يستفزّهم فلما قدما عليه قام عمّار بن ياسر ومُحمّد بن أبي بكر فدعوا النّاس الىٰ النّصرة لعلّي ﷺ فلمّا أمسوا دخل رجال من أهل الكوفة علىٰ أبي موسىٰ فقالوا ما ترىٰ أنَخرُج مَع هذين الرّجلين الىٰ صاحبهما أم لا فقال أبو موسىٰ إمّا سبيل الآخرة ففي أن تلزموا بيوتكم وأمّا سبيل الدّنيا فالخروج مَع من أتاكم فأطاعوه فتباطئ النّاس علىٰ علّي وبلغ عماراً ومحمّد ما أشار به أبو موسىٰ علىٰ أُولئك الرّهط فأتياه فأغلظا له في القول قال أبو موسىٰ أنّ بيعة عثمان في عُنقي وعُنقكم وعُنق صاحبكم ولأن أردنا القتال ما لنا الىٰ قتال أحدٍ من سبيل حتّىٰ نفرغ من قتلة عثمان:

ثمّ خرج أبو موسىٰ فصعد المنبر ثمّ قال أيّها النّاس أنّ أصحاب رسول اللّه

ﷺ في المواطن أعلم بالله ورسُوله فِمَن لم يصحبه وأنَّ لكم حقّاً عليَّ أُؤدِيه لكم أنَّ هذه الفِتنة النّائم فيها خَير من اليقظان والقاعد خير من النّائم والقائم فيها خير من السّاعي والسّاعي خير من الرّاكب فأغمدوا سيُوفكم حتّىٰ تنجلي هذه الفتنة وأنا أقول هذه الكَلَمات وَصَلَت الينا من أبي موسىٰ ولا ندري أنّ مراد علي ﷺ ممّا بَلغه عنه هو هذه أو غيرها وكيف كان لا شك لأحدٍ أنّ أبا موسىٰ كانَ مخالفاً له ﷺ في جميع الأمور فأنّه كان رأس المُنافقين المُلحدين ولا شكّ أيضاً أنّه كان يثبط النّاس ويُرغبّهم في القعود والتّخلف عنه ﷺ في قصّة الجَمَل وأمّا قوله ﷺ: **هُوَ لَكَ وعَلَيْكَ** ففيه وجوه من الإحتمال:

أحدها: ما إحتمَله المعتزلي وقد مَرّ ذكره وعليه فالمراد بما هو له، قوله أنّ عليّاً إمام هدىٰ وبيعته صحيحة، والمراد بما هو عليه قول أبي موسىٰ لا يجوز القتال مَعه لأهل القبلة».

وثانيها: أن يكون المراد، هو لَكَ في ظاهر الأمر وأمّا في الحقيقة فهو عليك أي لَكَ عاجل نفعه وعليك آجل ضرره يعني أنّما قلتَ ذلك لتنتفع بدنياك وأن كان ذلك وبالاً عليك في عُقباك.

وثالثها: أن يكون المعنىٰ، أنّك خلطتَ الحقّ بالباطل أمّا الحقّ فهو لَكَ وأمّا الباطل فهو عليكَ.

▫ **قوله ﷺ: فاذا قُدم رسولي عَلَيْكَ فأَرْفَعْ ذَيْلَكَ وأشْدُدْ مِأزَرَكَ وأخْرُجْ منْ جُحَرِكَ وأنْدُبْ مَنْ مَعكَ فإنْ حَقَّقتَ فأنْفُذْ وإنْ تَفَشَّلْتَ فابْعُدْ...**

القدوم بضّم القاف الورود والدّخول ورفع الذيل وشدّ المِأزَر كنايتان عن التّشمير للجهاد، والمقصود اذا وَرَد عليك رسُولي الّذي أرسلته اليك فشّمر وإستّعد للجهاد مع الأعداء وأخْرُجْ منْ جُحَرِكَ ومقّرك وأنْدُبْ أي وأدع مَنْ مَعكَ من أهل الكوفة الىٰ الجهاد فإنْ حَقَّقتَ وفي بعض النّسخ فأن تحقّقت متابعتي فأنْفُذْ أي سِر إلَيَ مُسرعاً وأن تَفشّلت أي ضَعُفت وجبُنت فأبعُد عن جوار رحمة الله بمخالفتك الحقّ وكُن من المَعزولين عن الإمارة:

▫ **قوله ﷺ: وأيْمُ اللهِ لَتُؤتَينَّ حَيْثُ أنْتَ ولا تُتْرَكْ حتّىٰ يُخْلَطْ زُبْدُكَ بِخَاثِرِكَ**

وذَائِبُكَ بجَامِدِكَ وحتّىٰ تُعْجَلْ في قِعْدَتِكَ وتَحْذَرَ منْ أمامِكَ كَحَذَرِكَ منْ خَلْفِكَ...

أي وأُقسِم باللّه أنْ أقِمتَ على الشّك وتثبيط أهل الكوفة لتأتينّكم وأنتم في منازلكم بالكُوفة أهل البَصرة مع طلحة ولنأتينّكم نحن بأهل المدينة والحجاز فيجتمع عليكم سيفان من أمامكم ومن خلفكم هكذا فُسّر الكلام وبه قال المعتزلي أيضاً ثمّ قال في شرح قوله ﷺ: **ولا تُتْرَكْ حتّىٰ يُخْلَطْ** الىٰ قوله **بجامدك** ما حاصله لتفسدنّ حالك ولتخلطنّ وليضطربنّ ما هو الآن منتظم من أمرك وقال في شرح قوله حتّىٰ تعجل في قعدتك الىٰ آخر الكلام يعني يأتيك من خلفك أن أقمتَ علىٰ منع النّاس عن الحرب معنا ومعهم أهل البَصرة وأهل المدينة انتهىٰ ما قال ملخصاً:

ولقائلٍ أن يقول لو كان مراده ﷺ من هذه الكلمات ما ذَهَب اليه المعتزلي ومَن تَبِعه مِن الشّراح مِن غير تدّبرٍ ولا تعقُّلٍ يلزم أن يكون أمير المؤمنين في قوله هذا كاذباً وذلك لأنّ ما ذكره ﷺ لم يحصل مع أنّ أبا موسىٰ الأشعري أقام علىٰ شكّه وخالف الإمام ولم ينصره أصلاً بل فَرّ من الكوفة الىٰ الحجاز فرار العبيد وهذا ممّا لا شَك فيه وعليه فصدور هذا الكلام عن عليٍ لا يخلو من وجهين:

أحدهما: أنّه لم يكن عالماً بما يقَع في المستقبل من عدم إطاعة أبي موسىٰ وفراره فظَن أنّ أبا موسىٰ لو لم ينصره وكان باقياً بحاله تأتيه أهل البَصرة وأهل الحجاز الىٰ آخر ما قال الشّارح.

وثانيهما: القول بأنّه ﷺ كان عالماً بحال أبي موسىٰ في الحال والإستقبال ومع ذلك قال ما قال **أمّا الوجه الأوّل** أعني عدم علمه ﷺ بما سيقع بالنّسبة الىٰ أبي موسىٰ من العصيان والمخالفة وعدم دخول أهل البَصرة وأهل الحجاز والكوفة ففيه إشكالان:

الأوّل: أنّ أميرَ المُؤمِنينَ هو الّذي قال غير مرة سلوني قبل أن تفقدوني وأمثال ذلك من الكَلِمات وقد إعترف الشّارح أيضاً في هذا الكتاب به وأقرّ

بصدقه وأمّا على مسلك الشّيعة فهو مسّلم اذ الإمام عندنا عالم بما كان وما يكون ومه هو كائن الى يوم القيمة فاذا كان الأمر على هذا المنوال كيف يمكن تجهيله عليه السلام وأنّه لم يكن عالماً بالمستقبل أَليس هذا تكذيباً له في دعواه:

الثاني: على فرض التّسليم وأنّه لم يكن عالماً بالمستقبل كَيف أَقسم وقال وأَيْمُ اللّه، فأن كان جاهلاً بالمُستقبل ومع ذلك صدّر كلامه بالقَسَم ولا سيّما القَسَم بأسم الجّلالة يلزم الفسق نعوذ باللّه منه وبعبارةٍ أُخرى كَيف أقسم بوقوع شئ لم يقع أصلاً فهذا الوجه ممّا لا سبيل اليه:

وأمّا الوجه الثّاني: وهو علمه عليه السلام بما يقع في المستقبل كما هو الحقّ الحقيق بشأنه فلابدّ من وقوع ما أَخبَر به عليه السلام وأَقَسم عليه ومن المعلوم أنّ ما ذكره المعتزلي في شرح الكلام وتبعه عليه من تأخّر عنه من أنّ أبا موسىٰ لو أقام على الشكّ وإستّمر عليه وثبّط أهل الكوفة عن الخروج يأتيه كذا وكذا لم يَقَع بعد أصلاً أي لم يأته أَحَد مَعَ أنّه إستّمر على شكّه وتثبيطه وهو ظاهر وهذا إشكال قوّي لم يلتفت اليه أَحَد من الشُّراح فقالوا في تفسير العبارات تَبَعاً للشارح المعتزلي ما لا يوافقه العقل والنّقل فأنّ من ثبت عقلاً ونقلاً صدقه و عصمته كيف أَخبر بما لم يقع وأَقسم عليه:

والّذي يخطر بالبال في حلّ الإشكال بعون القادر المتّعال هو أنّه عليه السلام أَخبَر بكلامه هذا عن شئ آخر لا ربط له بقصّة الجَمَل وتوضيحه أنّ أبا موسىٰ كما عرفت من كلامه قالّ لأهل الكوفة وأنّ لكم حقّاً علّي أَوديه اليكم أنّ هذه الفِتنة النّائم فيها خير من اليّقظان والقاعد خير من القائم والقائم فيها خير من السّاعي والسّاعي خير من الرّاكب فأغمدوا سيوفكم حتّىٰ تنجلي هذه الفِتنة، ومن المعلوم أنّ من يقول هذه الكلمات فهو أولىٰ بقبولها والقِعُود في بيتها ولذلك خرج أبو موسىٰ من الكوفة قاصداً الى الحجاز ثمّ توّطن فيه ولمّا سُئِلَ عنه قال سلامة الدّين في الإعتزال ولذلك لم يُجب عائشة وطلحة ومعاوية كما لم يُجب علّياً فهو بزعمه الفاسد حفظ دينه بخروجه عن الفِتنة اذا عرفت هذا فنقول:

أَخبر أمير المؤمنين في كلامه هذا بحقيقةٍ خَفيت على أبي موسى وغيره فقال مُخاطباً أيّاه وأيْم اللّه لتُؤتين حَيث أنت، أي أنّك أنْ عَزلت عنّا لئلا تدخل في الفتنة فقد أَخطأت وذلك لأنّك ستدخلها من حيث لا تحتسب وفيه إشارة الى قصّة التّحكيم وكون أبي موسى أَحَد الحَكَمين كما عرفت البحث فيه مفَصلاً عند قصّة التّحكيم بعد وقعة صفّين ،وعليه فمعنى العبارة هكذا:

وأيْمُ اللّهِ وأقسم به يا أبا موسى لَتُؤتَين في المستقبل أي يأتون بك حيث أنت أي في ايّ مكانٍ أنت ولو كنت بالحجاز (ولا تُتْرَكْ هناك حتّى يَخْلَطْ زُبْدَكَ بِخَاثِرِكَ وذَائِبَكَ بجَامِدِكَ وهما كنايتان عن ظهور نفاقه وعناده لِلحقّ فأنّ الزّبد خلاصة اللّبن وصفوته كما أنّ الخاثر اللّبن الغليظ، أي إعتزالك الّذي بمنزلة اللّبن الخالص يخلط في قصّة التّحكيم بدخولك في الفِتنة الّتي تخاف منها ويظهر فيها غلظتك وعنادك لِلحقّ، حتّى تعجل في قِصدتك، أي هيئة قعُودك، أي وليُعجلنّك الأمر عنها وهو كناية عن شدّة المأمورية وصعوبتها عند التّحكيم، وتَحَذر وتخاف من أمامك وهو القيامة كَحَذرك وخوفك من خلفِك، وذلك لأنّه بعد الحكومة فرّ الى الحجاز ثانياً خوفاً من أهل الكوفة حيث أرادوا قتلَه أي أنّك تَقَع في الخَوف في الدّنيا والآخرة:

▫ **قوله ﷺ: وما هِيَ بالْهُوَيْنَى الّتِي تَرْجُو ولكِنْها الدَّاهِيَةُ الكُبْرَى يُرْكَبُ جَمَلُها ويُذَلُّ (ويُذلل) صَعْبُها ويُسْهَلُ جَبَلُها...**

أي وليست داهية الإعتزال والقعود عن القتال والإطاعة عن الإمام المعصُوم بالهَوَينى الّتي تَرجو أي سهلاً يسيراً ترجو النّجاة عنها بالقعود عنها ولكِنْها الدّاهية الكُبرىٰ والمُصيبة العُظمىٰ الّتي يُركَب بصيغة المجهول (جَملُها ويُذَلّ) بصيغة المجهول أيضاً أي يُحقّر (صَعْبُها ويَسْهَلُ) أيضاً مجهول (جَبَلُها) شبّه ﷺ: **الدَّاهِيَةُ** الّتي وَقَع أبو موسىٰ فيه بالجَمَل المركوب تارةً وبالشدّة والصّعُوبة أُخرىٰ وبالجَبَل ثالثة وحاصل المعنىٰ أنّ الدَّاهِيَةُ العظمىٰ الّتي أنت فيه الى آخر قصّة التّحكيم ليست مِمّا لا يُعبأ بها لِصُغرها بل هي كالجَمَل يركبها الرّاكب أشار ﷺ بقوله هذا الى بني أُميّة وبني العبّاس ومن بعدهم الى يَوم ظهور القائم

فأنّ الخلفاء والحكّام يركبُون هذا الجَمَل ويحَقرون صَعَب الدّاهية ويُسّهلون رَفَعتها وعلّوها فيَلعبُون بالخلافة كما يَلَعب الصّبي بالأشياء القَيمة وأنّما قال عليه السلام ذلك مخاطباً لأبي موسىٰ لأنّه لم يكن وحده بل كان يثبط النّاس عن الخروج اليه وحيث أنّه كان من أصحاب رسول اللّه ظاهراً وكان مع ذلك متّظاهراً بالإيمان تبعه خلق كثير من العوام والأوباش الّذين كانوا يعرفون الدّين بالرّجال لا الرّجال بالدّين وكانوا يقولون لو كان علّي مع الحقّ لَما تخّلف عنه أبو موسىٰ وأمثاله فَفي الحقيقة كان أبو موسىٰ رأس المنافقين ورئيس المُلحَدين المعاندين وعَمَله هذا صار باعثاً علىٰ إرتداد كثير من النّاس عن دينهم ولأجل هذا أعني عدم إطّلاع أكثر النّاس من أهل الكوفة والبصرة علىٰ باطن أبي موسىٰ وعناده لِلحقّ، إختاروه في قصّة التّحكيم ولم يلتفتوا الىٰ مخالفة علّي أصلاً فلولا إعتزاله عن الحَرَب في قصّة الجَمَل لم يكن النّاس يختارونه في قصّة التّحكيم ألا ترىٰ أنّهم إستندوا إختيارهم أبا موسىٰ هناك، بكونه سالماً عن الوقوع في الفِتنة وعدم نُصرته لعلّي ومعاوية وهذا هو السّر في تعبيره عن مَذهب أبي موسىٰ ومَسلَكه بالدّاهِيَةُ الكُبْرَىٰ لا ما ذكره المُعتزلي من ورود جيش البَصرة أو الحجاز الىٰ الكوفة لو لم يَسر أبو موسىٰ الىٰ أمير المؤمنين وذلك لأنّ ما ذكره المُعتزلي ليس من الدّاهِيَةُ بشئ بل الدّاهِيَةُ كل الدّاهِيَةُ مذهبه ومَسلَكَه وتثبيطه النّاس من الخروج اليه الّذي يُؤدي بالآخرة بما هو أشدّ منه بمراتب وهو كون أبي موسىٰ من الحَكَمين وعَزله علّياً عن الخلافة وقد ذكرنا أنّه من فروع هذا الأصل الّذي نبحث عنه في المقام ولَعمري أنّ الأمر أوضح من أن يُخفىٰ علىٰ المُنصف الخبير بعد التّأمل فيما أوردناه وحقّقناه والعلم عند اللّه ولا حول ولا قوّة إلّا بِه هذا ما فهمناه من العبارة فتأمل فيها فلعلّك تقدر علىٰ إستخراج شئ آخر من كلامه غير ما إستخرجناه منها:

▫ قوله عليه السلام: **فاعْقِلْ عَقْلَكَ وأمْلِكْ أَمْرَكَ وخُذْ نَصِيبَكَ وحظَّكَ فإنْ كَرِهتَ فَتَنَحَّ إلىٰ غيرِ رَحْبٍ ولا في نَجَاةٍ فَبِالْحَرِيِّ لَتُكفَيَنَّ وأنْتَ نائِمٌ حتّىٰ لا يُقالَ أيْنَ فُلاَنٌ والله إنّهُ لَحقٌّ مَعَ مُحِقٍّ وما نُبالِي ما صَنَعَ المُلحِدُونَ...**

قوله ﷺ: **فأعقِل** بكسر القاف فعل أمرٍ من عَقل يعقل وأصل العقل الإمساك والإستمساك كَعَقل البعير بالعِقال وعَقَل الدَّواء البَطن، فقال عقل لسانه أي كَفّه وأنّما سُمّي العقل في الإنسان عقلاً لأنّه يعقل الإنسان ويمنعه عمّا ليس لائقاً به كما أنّ الحبل الّذي يشّد به البَعير يُسمىٰ عقلاً فيُقال عُقِل البعير هذا كلّه بحسب أصل اللّغة وأنّه لِمَ سُمّي العقل عقلاً، وأمّا في الإصطلاح فهو عبارة عن القوّة المُتهيئة لقبول العِلم ويُقال للعِلم الّذي يستفيده الإنسان بتلك القوّة عقل والفرق بينه وبين مطلق الإدراك هو أنّ العقل يدرك الكّليات والإدارك أعمّ منه فالإدراك أنّ تعلّق بالكلّي يسمّىٰ بالعقل وإلّا فلا وتَفصيل الكلام في العَقل وماهيته وآثاره من شأن الفَلسفة اذا عرفت هذا فَنقول قوله ﷺ: **فاعْقِلْ عَقْلَكَ** معناه، قيّده بالشّرع ولا تَدَعه يَذهب مذاهب التّردُد والأوهام وبعبارةٍ أُخرىٰ إجعل لِعَقلك عِقالاً، وعلىٰ هذا فالمراد بالعَقل في قوله عَقلك هو عقل أبي موسىٰ بدليل كاف الخطاب لا مطلق العَقل ولذلك لم يقل إعقل العَقل، والسّر فيه أنّ العقل من العِقال فعِقاله من تحصيل الحاصل اذ مرجعه الىٰ قولك إعقل العِقال وهو كما ترىٰ لا معنىٰ له نعم العقُول الجزئية المشُوبة بالأوهام والوَساوس الخياليّة والظّنون الفاسدة الكاسدة يُتَصور عِقالها لِلخلاص عن شوائب الأوهام وما نحن فيه من هذا القبيل فكأنّه قال ﷺ: إمنع عقلك عن الأوهام والخرافات التّي تُدركها وتعدّها من المعقُولات بل إنطبق ما تدركه وتفهمه علىٰ الشّرع فأن وافقه فهو وألا فهو من الوَساوس الشّيطانية فأن العقل الصحيح ما عُبد به الرّحمٰن وأُكتسب به الجنان، لا ما عُبد به الشّيطان وأُكتسب به العذاب والنّار ولذلك أردَفَ ﷺ كلامه بقوله **وأمْلِكْ أمْرَكَ**، أي كُن لأمرك مالِكاً والمراد بالأمر أمر الدّين والدّنيا أي فانظر الىٰ دينك ودنياك ولا تَجعل عَقلك بيد الشّيطان ليصير مالِكاً له وفيه إيماء الىٰ أنّ أبا مُوسىٰ كان غير مالِك لنفسه وعقله بل كان المالِك هو الشّيطان وفي قوله ﷺ: **وخُذْ نَصِيبَكَ وحظَّكَ**، إشارة الىٰ حقيقة أُخرىٰ وهي أخذ الحَظّ والنّصيب من العَقل وذلك لأنّ اللّه تعالىٰ خَلَق العَقل وجَعَل مدار الثّواب والعقاب عليه فَينبغي لِلعاقل أنّ لا يغفل

عنه وإلّا فقد فوّت على نفسه السّعادة بإختياره وإرادته ومن كان كذلك فلا يَلُومن إلّا نفسه فأنّ ربّك ليس بظلّامٍ للعبيد.

وأمّا قوله عليه السلام: **فإنْ كَرِهتَ** الى آخر الكلام فهو مُتفرع على ما ذكره سابقاً من المَواعظ من أوّل قوله فإعقل عَقلك الى هنا أي بعد مُراعاتك ما ذكرناه من الأُمور الثّلاثة فأن كَرِهت طاعتنا والمَصير إلينا فتَنّح أي تَبّعد عنّا وعن ولايتنا وإمارتنا فإذهب حيث شئت الى غير رَحبٍ ولاسَعة إذ لا عيش لِمن أعرَض عن ذكر اللّه لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً﴾(١) ولا في نجاة أي ولا نجاة لك من عذاب الدّارين وكيف ينجو من العذاب من أعرَض عن الحقّ وأقبل الى الباطل فَبالحَرّى لتَكفين وأنت نائم، قالوا في شرح العبارة أي أنّا لنكفيك القتال ونظفر فيه وأنت نائم خامل لا إسم لك ولا يُسئل عنك.

وأنا أقول: المعنى إنّا لا نحتاج اليك والى أمثالك لا في القتال ولا في غيره فَحِرّىّ باللّه تعالى أنّ يَكفينا منك والمراد بالنّوم هو نوم الغَفلة أي والحال أنت نائم بنوم الغَفلة حتّى لايقال في الدّنيا أين فلان أي لا يقال أين أبو موسى وفي هذا الكلام تحقير له ثُمّ أُقسم باللّه وقال واللّه لحقٌّ مع مُحقّ، وقيل أشار عليه السلام الى حديث رسُول اللّه المجمع على ه بين الفَريقين **عليٌّ مع الحقّ والحق مَعه يَدُور حيثما دار**، وما نُبالي ما صَنَع المُلحدون، وهم أنت وأمثالك من العِناد والنّفاق والسّلام على من اتّبع الهُدى.

وأمّا نَسَبه وتاريخ مَوته قال ابن عبد البّر في الإستيعاب:

هو عبد اللّه بن قيس بن سليم بن حضارة بن حرب بن عامر بن بكر بن عامر بن وائل بن ناجعة بن الجماهر بن الأشعر وهو ثبت بن أُدد بن زيد بن كهلان بن سبا بن يعرب بن قحطان وأُمّه ظبية بنت وَهَب من علّك الى أنّ قال وإختلف في وقت وفاته فقيل سنة إثنتين وأربعين وقيل سنة أربع وأربعين وقيل سنة خمسين وقيل سنة إثنتين وخمسين انتهى.

١- طه ـ ١٢٤

ومن كتاب له عليه السلام (٦٢)

جواباً لمعاوية

□ قوله عليه السلام: أَمَّا بَعْدُ فإنَّا كُنَّا نحْنُ وأنتمْ علىٰ ما ذَكَرْتَ منَ الأُلْفَةِ والجَماعَةِ فَفرَّقَ بَيْنَنا وبَينكُمْ أَمْسِ إنَّا آمَنَّا وكَفرْتُمْ والْيَوْمَ إنَّا إسْتقَمْنا وفُتِنْتُمْ. ومَا أسْلَمَ مُسْلِمُكُمْ إلَّا كُرْهاً وبَعْدَ أنْ كانَ أنَفُ الإِسْلاَمِ كلّهُ لِرَسُولِ اللّٰهِ صلىٰ اللّٰهِ علَيْهِ وآلِه حِزْباً.

وذَكَرْتَ أنِّي قَتَلْتُ طَلْحَةَ والزُّبَيْرَ وشَرَّدْتُ بِعائِشَةَ ونَزَلْتُ المِصْرَيْنِ وذلِكَ أمْرٌ غِبْتَ عَنْهُ فَلاَ عَليْكَ ولا الْعُذْرُ فيهِ إلَيْكَ.

وذَكَرْتَ أَنَّكَ زَائِرِي في المُهاجرِينَ والأَنْصارِ وقَدِ انْقَطَعَتِ الهِجْرَةُ يَوْمَ أُسِرَ أخُوكَ فإنْ كانَ فِيهِ عَجَلٌ فاسْتَرْفِهْ فإنِّي إنْ أَزُرْكَ فَذَلكَ جَدِيرٌ أنْ يكُونَ اللّٰهُ إنَّما بَعَثَني اليك لِلنِّقْمَةِ مِنْكَ وإنْ تَزُرْني فكما قالَ أخُو بَني أَسَدٍ:

مُسْتَقْبِلينَ رِياحَ الصَّيْفِ تَضْرِبُهُمْ بِحَاصِبٍ بيْنَ أَغْوَارٍ وجُلْمُودِ

وعِنْدِي السَّيْفِ الّذِي أعْضَضْتُهُ بِجَدِّكَ وخالِكَ وأَخِيكَ في مَقَام وَاحِدٍ. وأنَّكَ واللّٰهِ ما عَلِمْتَ الأَغْلَفُ القَلْبِ المُقارِبُ العَقْلِ والأَوْلَى أنْ يُقالَ لَّكَ إنَّكَ رَقِيتَ سُلَّماً أطلَعَكَ مَطْلَعَ سُوءٍ عَلَيْكَ لا لَكَ لِأَنَّكَ نَشَدْتَ غيرَ ضَالَّتِكَ ورَعَيْتَ غيرَ سَائِمتِكَ وطَلَبْتَ أمْراً لَسْتَ مِنْ أهْلِهِ ولا فِي مَعْدِنِه فَما أبْعَدَ قَوْلَكَ مِنْ فِعْلِكَ وقَرِيبٌ مَا أشْبَهْتَ منْ أعْمَامٍ وأخْوالٍ حَمَلَتْهُمُ الشَّقاوَةُ وتَمَنِّي البَاطِلِ علىٰ الجُحُودِ بِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله فَصُرِعُوا مَصارِعَهُمْ حَيْثُ عَلِمْتَ لَمْ يَدْفَعُوا عَظِيماً ولَمْ يَمْنَعُوا حَرِيماً بِوَقْعِ سُيُوفٍ ما خَلاَ مِنْهَا الْوَغَى ولَمْ تماشِها الْهُوَيْنَى.

وقَدْ أَكْثَرْتَ في قَتَلَةِ عُثمانَ فادْخُلْ فِيما دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ ثُمَّ حاكِمِ القَوْمَ إِلَيَّ أحْمِلْكَ وإِيَّاهُمْ على كِتَابِ اللَّهِ تَعالَى .وأَمَّا تلْكَ التّي تُرِيدُ فإنّها خُدْعَةِ الصَّبيِّ عَنِ اللَّبَنِ في أوّل الفصال...

◁ اللغة

(فُتِنْتُمْ) بصيغة المَجهول أي إختُبرتم (كُرْهاً) بضّم الكاف وفتحها مصدر قولك كره كُرْهاً، ضدّ الحُبّ أي من غير رغبةٍ (أَنَفُ الإِسْلاَمِ) كناية عن أشراف العَرب (شَرَّدْتُ) نحو صرَفتُ فتكلم وحدة من فعل الماضي باب شَرّد يُشرّد تَشريداً. يُقال شَرّد به إذا طَرده وفَرّق أمره (فاسْتَرْفِهْ) إسترفِه فعل أمرٍ نحو إستَخرج أي إستَرح ولا تَستَعجل (لِلنِّقْمَةِ)النّقمة بفتح النّون الإنتقام (بحَاصِبٍ) الحاصب ريح تحمل التّراب والحصىٰ (أَغْوَارٍ) جمع غَور بفتح الغين وهو الغُبار (أَعْضَضْتُهُ لهُ) جعلته يعّضه والباء زائدة (الأَغْلَفُ) أغلف القلب الّذي لا يُدرك كأنّ قلبه في غلاف لا تنفذ اليه المعاني.

(المُقارِبُ العَقْلِ) مقارب العقل ناقصة ضعيفة (أَطْلَعَكَ) أىَ أشرَفَك (سَائِمتكَ) والسّائمة الماشية من الحيوان (الْوَغىَ) بفتح الواو الحَرب (لَمْ تمَاشِها الْهُوَيْنَى) أي لم تصحبها الْهَوَيْنىٰ ولم تُرافقها المساهلة والباقي واضح.

◁ المعنىٰ

(أَمَّا بَعْدُ فإنَّا كُنَّا نَحْنُ وأنتمْ علىٰ ما ذَكَرْتَ منَ الأُلْفَةِ) والأُنس (والجَمَاعَةِ) بلا تَفَرّق (فَفَرَّقَ بَيْنَنا وبَيْنَكُمْ أَمْسِ) أي في بدو الإسلام (أَنَّا آمَنَّا) بالله وبرسُوله (وكَفَرْتُمْ) بهما (والْيَوْمَ) وهو يوم التّكلّم (أَنَّا استَقَمْنا) علىٰ الحقّ (وفُتِنْتُمْ)وأُختبرتم فيه (ومَا أَسْلَمَ مُسْلِمُكُمْ إِلاَّ كُرْهاً) أي من غير رغبةٍ بالإسلام (وبَعْدَ أَنْ كانَ أَنفُ الإِسْلاَمِ) وأشراف العَرب (كُلُّهُ لِرَسُولِ اللَّهِ حِزْباً) أي تابعين له (وذَكَرْتَ أَنّي قَتَلْتُ طَلْحَةَ والزُّبَيْرَ وشَرَّدْتُ بِعائِشةَ) أي فرّقتُ أمرها (وَنَزَلْتُ بين المِصْرَيْنَ) البَصرة والكوفة (وذلِكَ) الّذي ذكرتَ (أَمْرٌ غِبْتَ عَنْهُ) أي كنتَ

غائباً عنه (فَلاَ عَلَيْكَ) أي فلا وِزر عليك (ولا العُذْرُ فيهِ إليْكَ) بل أنتَ مَعذور فيه (وذَكَرْتَ أنَّكَ زَائِرِي) للحرب (في المُهاجِرينَ والأنْصارِ وقَدِ انْقطَعَتِ الهِجْرَةُ) وانفصلَت (يَوْمَ أُسِرَ أخُوكَ) عمرو بن أبي سفيان في غزوة بَدر (فإنْ كانَ فيه عَجَلٌ) أي أن تَعجل في اللّحاق به (فاسْتَرْفِه) أي إسترح ولا تَستَعجل (فإنّي إنْ أزُرْكَ) في المعركة (فَذَلكَ جَدِيرٌ) أي حقيق بك (أنْ يكُونَ اللّهُ إنَّما بَعَثَني اليك لِلنِّقْمَةِ) أي لِـلإنتقام منك (وإنْ تَزُرْني فكما قالَ أخُو بَني أسَدٍ، مُسْتَقْبِلينَ رِياحَ الصَّيْفِ الخ:

(وعِنْدِي السَّيْفُ الّذِي أعْضَضْتُهُ) أي جعلته يعَضه (وخالَكَ وأخِيكَ) الوليد وحنظلة بن أبي سفيان يوم بدر (في مَقَامٍ وَاحِدٍ .وإنَّكَ واللّهِ عَلِمْتُ الأَغْلَفُ القَلْبِ) لا يدرك شيئاً (ومُقارِبُ العَقْلِ) وناقصه (والأَوْلى أنْ يُقالَ لَكَ رَقِيتَ سُلَّماً أطلَعَكَ) وأشرَفَك (مَطْلَعَ سُوءٍ عَلَيْكَ لا لَكَ) ولعلّه التّمني بما لا يصلح له (لأَنَّكَ نَشَدْتَ) ووجدتَ (غيرَ ضَالَّتِكَ ورَعَيْتَ غيرَ سَائِمَتِكَ) كناية عن خروجه عن طريق الحقّ (وطَلَبْتَ أمْراًلَسْتَ مِنْ أهْلِهِ ولا فِي مَعْدِنِه) وهو الطّلب بدم عثمان أوْ الخلافة (فَما أشْبَهْتَ) أي شبهك قريب (مِنْ أعْمَامٍ وأخْوَالٍ حَمَلَتْهُمُ الشَّقَاوَةُ وتَمَنّي البَاطِلِ على الجُحُودِ) والإنكار (بمُحَمَّدٍ صلىٰ اللّهُ عليْهِ وآلِهِ)وأنتَ مثلهم (فَصُرِعُوا مَصَارِعَهُمْ) ودُفنوا في مقابرهم (حَيْثُ عَلِمْتَ) وكانت مصارعهم قليب بَدر (ولمْ يَدْفَعُوا عَظِيماً ولمْ يَمْنَعُوا حَرِيماً) كناية عن عدم قدرتهم علىٰ إنفاذ ما أرادوه (بِوَقْعِ سُيُوفٍ ما خَلاَمِنْهَا الْوَغَى) والحَرب (ولَمْ تَمَاشِها الْهُوَيْنَى) أي لم ترافقها المُساهلة (وقَدْ أكْثَرْتَ) الكلام (في قَتَلَةِ عُثمانَ فادْخُلْ فِيما دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ) وهو البيعة (ثمَّ حاكِمِ القَوْمَ إليَّ أحْمِلْكَ وإيَّاهُمْ على كِتَابِ اللّهِ وأمَّا تلْكَ الّتي تُرِيدُ) من ابقائك والياً في الشّام وتسليم قتلة عثمان اليك (فإنَّها خُدْعَةِ الصَّبيِّ عَنِ اللّبَنِ في أوّلِ الفصال) والفطام:

◁ الشّرح

هذا الكتاب ممّا كَتَبه عليه السلام جواباً لمعاوية وقد نقل الشّارح المعتزلي كتاب معاوية في شرحه ولم نَدر من أيّ مأخذٍ أخذَه ومن أيّ كتاب نَقَله وكيف كان فهو ممّا لا يهمّنا البحث فيه .

نقل كتاب معاوية وجواب علّي عليه السلام عنه عن كتاب الإمامة والسّياسة: أنّ معاوية كتب اليه كتاباً وهو أجابَه والمبحوث عنه في الكتاب هو الجواب ولكِنّا بعد الفَحص وَجدنا الكتاب والجواب في كتاب الإمامة والسّياسة لإبن قُتَيبة الدّينوري المتوفي فيّ سنة (٢٧٦) بوجهٍ أخصّ ممّا ذكره الشّارح وعباراته أيضاً متفاوتة بل الحقّ أنّ ما ذكره الشّارح غير ما ذكره ابن قُتَيبة وكذلك الجواب فأنّ ما ذكره ابن قُتَيبة من كلام علّي عليه السلام ومع أنّ ألفاظه في أكثر الموارد متفاوتة مُتغايرة لِما في النّهج أصله أيضاً أخصّ وينتهي الكلام في قوله عليه السلام لِلنّقمة منّك والسّلام:

وأمّا قوله عليه السلام: **وأن تزرني فكما قال أخو بني أسد** الىٰ آخر الكتاب فليس في كتاب ابن قُتَيبة أصلاً ولعلّ السّيد رحمه الله نقل الكتاب عن مصدرٍ غير ما نقل ابن قُتَيبة عَنه ويحتمل أن يكون التّقطيع من ابن قُتَيبة فَذَكر في كتابه مورد الحاجة منه ونحن نذكر لك الكتاب والجواب عن كتاب ابن قُتَيبة ليصير باعثاً لزيادة البَصيرة وإلّا فالمُعتمد ما جَمَعه السّيد في النّهج وعليه مدار البحث والشّرح قال ابن قُتَيبة ما لفظُه:

كتاب معاوية الىٰ علّي: سلام اللّه علىٰ مَن إتّبع الهُدىٰ أمّا بعد فأنّا كُنّا نحن وأيّاكم يداً جامعة وأُلفة أليفة حتّىٰ طَمعت يابن أبي طالب فتغيّرتَ وأصبَحتَ تعدّ نفسك قوّياً علىٰ مَن عاداك بضمام أهل الحجاز وأوباش أهل العراق وحمقىٰ الفسطاط وغوغاء السّواد وأيَم اللّه لينجلَينّ عنك حمقاها ولينقشعنّ عنك غوغاؤها إنقشاع السّحاب عن السّماء قتلتَ عثمان بن عفان وَرَقيتَ سَلّماً أطلَعَك اللّه عليه مطلَع سَوء عليك لا لك وقتلتَ الزّبير وطلحة وشَردت

بأمّك عائشة ونَزَلت بين المِصرين فمنيت وتمنّيت وخيل لك أنّ الدّنيا قد سخرت لك بخيلها ورجلها وأنّما تعرف أُمنّيتك لو قد زُرتك في المُهاجرين من أهل الشّام بقيّة الإسلام فيحيطون بك من وراءك ثمّ يقضي اللّه علمه فيك والسّلام على أولياء اللّه انتهى.

جواب عليٍ عنه: أمّا بعد فقدّر الأُمور تقدير من ينظر لنفسه دون جند ولا يشتغل بالهَزل من قوله فلعُمري لإن كان قوّتي بأهل العراق أوثق عندي من قوّتي باللّه ومعرفتي به فليس عنده باللّه تعالى يقين من كان على هذا فناج نفسك مناجاة من يستغني بالجدّ دون الهَزل. فأنّ في القول سعة ولن يعذر مثلك فيما طمع فيه الرّجال وأمّا ما ذكرت من أنّا كنّا وأيّاكم يداً جامعة فكنّا كما ذكرت ففرق بيننا وبينكم أنّ اللّه بعث رسُوله منّا فأمنّا به وكفرتم ثمّ زَعمتَ أنّي قتلت طلحة والزّبير فذلك أمر غبتّ عنه ولم تحضُره ولو حَضَرت لعلمت فلا عليك ولا العُذر فيه اليك وزعمت أنّك زائري في المهاجرين وقد إنقطعت الهجرة حين أُسِرَ أخوك فأن يك فيه عجل فأسترفه وأن أزُرك فجدير أن يكون اللّه بَعَثني عليك لِلنّقمة مِنك والسّلام.

ولنرجع الى شرح ألفاظ المتن فنقول:

▫ قوله ﷺ: **أَمَّا بَعْدُ فإِنَّا كُنَّا نحْنُ وأَنتمْ على ما ذَكَرْتَ مِنَ الأُلْفَةِ والجَمَاعَةِ فَفرَّقَ بَيْنَنا وبَينكُمْ أمْسِ انَّا آمَنَّا وكَفرْتُمْ والْيَوْمَ انَّا إسْتَقَمنْا وفُتِنْتُمْ. ومَا أَسْلَمَ مُسلِمُكُم إلَّا كُرْهاً بَعْدَ أَنْ كانَ أَنفُ الإِسْلَامِ كلُّهُ لِرَسُولِ اللّهُ ﷺ حِزْباً...**

حاصله إنّا وأنتم قبل الإسلام كما(**ذَكَرْتَ مِنَ الأُلْفَةِ والجَمَاعَةِ**)والفارق (**بَيْنَنا وبِينكُمْ**) أنّما هو الإيمان باللّه وبرسُوله حيث أنّا آمَنّا بالرّسُول بعد طلوع الإسلام وأنتم (**كَفرْتُمْ**)به وأمّا الفارق في يومنا هذا فهو الإستقامة على الإيمان وعَدمها منّا ومنكم حيث (**أَنَّا اسْتَقَمنْا**) على إيماننا باللّه ورسُوله وتأسّينا به في أعمالنا وأقوالنا وأمّا أنتم فقد جعلتم في مَعرض الإختبار والإمتحان لهدم إستقامتكم في الدّين فأن خرجتم منه سالماً فلا فرق بَيْنَنا وبَيْنكُمْ وإلّا فالفرق

واضح ففي قوله عليه السلام: **انَّا إِسْتَقَمْنَا** إشارة الىٰ قوله تعالىٰ حيث قال: **﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾** (١)

و: **﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا﴾** (٢)

وفي قوله عليه السلام: **وفُتِنْتُمْ**، إشارة الىٰ قوله تعالىٰ: **﴿فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾** (٣)

و: **﴿وَلَكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ﴾** (٤)

وقوله عليه السلام: **وَمَا أَسْلَمَ مُسْلِمُكُم** إشارة الىٰ أنّ أبي سفيان وأولاده لم يؤمنوا باللّه عن ميلٍ ورغبةٍ بل أسلَمُوا كُرْهاً وجَبراً حيث خافوا علىٰ أنفسهم القتل فأسلمُوا ظاهراً لا واقعاً (**بَعْدَ أن كانَ أنْفُ الإسْلاَمِ**) أي أشراف العَرَب من أتباع الرّسُول وحِزبه، فأنّ أبا سفيان أسلَم ظاهراً بعد الفتح لا قبله وهكذا أبنائه ونحن نُشير الىٰ قصتّه إجمالاً فنقول:

قال ابن الأثير في الكامل وأقام رسُول اللّه صلى الله عليه وآله بعد غزوة مؤتة جمادي الآخرة ورجباً ثمّ أنّ بني بكر بن عبد مناة عدت علىٰ خزاعة وهو علىٰ ماءٍ لهم بأسفل مكّة يُقال له الوتير وكانت خزاعة في عهد رسُول اللّه صلى الله عليه وآله وبكرٍ في عهد قريش في صلح الحُدَيبية وكان سبب ذلك أنّ رجلاً من بني الحضرمي إسمه مالك بن عباد كان حليفاً لِلأسود بن رزن الديّلي ثمّ البكري في الجاهلّية خرج تاجراً بأرض خزاعة فقتلوه وأخذوا ماله فَعَدت بنو بكر علىٰ رجل من خزاعة فقتلوه فَعَدت خزاعة علىٰ بني الأسود وهو سلمىٰ وكلثوم وذؤيب فقتلوهم بعرفة وكانوا من أشراف بني بكر فبينما خزاعة وبكر علىٰ ذلك جاء الإسلام وإشتغل النّاس به فلمّا كان صُلح الحُدَيبية ودخلت خزاعة في عهد النّبي ودخلت بكر في عهد قُريش فأغتنمت بكر تلك الهُدنة وأرادوا أن يُصبو من

١- فصلت - ٣٠ ٢- الجن - ١٦
٣- طه - ٨٥ ٤- الحديد - ١٤

خزاعة ثارهم بقتل بني الأسود فخرج نوفل بن معاوية بمن تَبعه من بكر حتّىٰ بيت خزاعة علىٰ ماء الوتير قيل وكان سبب ذلك أنّ رجلاً من خزاعة سمع رجلاً من بكر ينشد في النّبي ﷺ فشّجه فهاج الشّج (الشّر) بينهم وثارت بكر بخزاعة بيّتوهم بالوتير وأعانت قريش بني بكر علىٰ خزاعة بسلاحٍ ودوابّ وقاتل معهم جماعة من قريش مختفين منهم صفوان بن أُمّية وعكرمة بن أبى جهل وسهل بن عمرو فأنحازت خزاعة الىٰ الحَرم وقتل منهم نفر فلمّا دخلت خزاعة الحَرم قالت بكر يا نوفل إنّا قد دخلنا الحَرم إلٰهك إلٰهك فقال لا إله له اليوم يا بني بكر أصيبوا ثاركم فلعُمري أنّكم لتسرفون في الحَرم أفلا تصيبون ثاركم فيه فلمّا نقضت بكر وقريش العهد الّذي بينهم وبين النّبي ﷺ خرج عمرو بن سالم الخزاعي ثمّ الكعبي حتّىٰ قدم علىٰ رسُول اللّه صلىٰ عليه وآله المدينة فَوَقفَ عليه ثمّ قال:

يا ربّ أنّي ناشد محمّداً	حلف أبينا وأبيه الأتلدا
فوالداً كُنّا وكُنتَ وَلَداً	ثَمّة أسلمنا فَلم ننزع يداً
فأنصُر رسُول اللّه نصراً عتدا	وأدعُ عباد اللّه يأتوا مَدَداً
فيهم رسُول اللّه قد تجّردا	أبيض مثل اليد تنمي صَعداً
أنّ سيم خسفاً وجهه تربّداً	في فيلقٍ كالبحر يجري مُزبداً
أنّ قريشاً أخلفوك الموعدا	ونقضوا ميثاقك المؤكدا
وجعلوا لي في كداءٍ رصدا	وزعموا أنّ لستُ أدعُوا أحدا
وهم أذّل وأقلّ عَدداً	هم بيّتونا بالوتير هُجّداً

وقتلونا رُكّعاً وسُجّداً

فقال رسُول اللّه ﷺ قد نُصرت يا عمرو بن سالم ثمّ عَرَض لرسُول اللّه ﷺ غبان من السّماء فقال أنّ هذه السّحابة لتستهل بنصر كعب وكان بين عبد المطّلب وخزاعة حلف قديم فلهذا قال عمرو بن سالم في شعره حَلف أبينا

وأبيه الأتلدا، ثمّ خرج بديل بن ورقاء في نفر من خزاعة حتّىٰ قدموا علىٰ النّبي ﷺ فنادوه وهو يغتسل فقال يا لبيّكم فأخبروه الخَبر ثمّ إنصرفوا راجعين الىٰ مكّة وكان رسُول اللّه ﷺ قد قال كأنّكم بأبي سفيان قد جاء ليَجدّد العَهد خوفاً ويزيد في المُدّة فيمضي بديل ولقىٰ أبا سفيان بعسفان يريد النّبي لَيجدّد العَهد خوفاً منه فقال لبديل مِن أين أقبلت قال من خزاعة في السّاحل وبطن هـذا الوادي فقال وما أتيت محمّداً قال لا فقال أبو سفيان لأصحابه أنظروا بَعر ناقته فأن جاء المدينة لقد علف النّوىٰ فنظروا بعر النّاقة فرأوا فيه النّوىٰ ثمّ خرج أبو سفيان حتّىٰ أتىٰ النّبي ﷺ فدخل علىٰ إبنته أُم حَبيبَة زوج النّبي فلمّا أراد أن يجلس علىٰ فراش رسُول اللّه طَوته عنه فقال أرَغبتِ به عنّي فقالت هو فراش رسُول اللّه وأنتَ مُشرِكٌ نجس فلم أُحبّ أن تجلس عليه فقال لقد أصابك بعدي شّر فقالت بل هداني اللّه لِلإسلام ثمّ خرج حتّىٰ أتىٰ النّبي فكلّمه فلم يرّد عليه شيئاً ثمّ أتىٰ أبا بكر فكلّمه ليكلّم له رسُول اللّه ﷺ فقال ما أنا بفاعل ثمّ أتىٰ عمر فكلّمه فقال أنا أشفع لكم الىٰ رسُول اللّه ﷺ واللّه لو لم أجِد إلّا الذّر لجاهدتكم به ثمّ خرج حتّىٰ أتىٰ علّياً وعنده فاطمة والحَسن غلام فكلّمه في ذلك فقال له واللّه لقد عَزم رسُول اللّه ﷺ علىٰ أمرٍ لا نستطيع أن نُكلّمه فيه فقال لفاطمة يا بنت مُحمّد هل لك أن تأمري إبنك هذا أن يجير بين النّـاس فيكون سيّد العَرب فقالت ما بلغ إبني أن يُجير بين النّاس وما يُجير علىٰ رسُول اللّه أحد فألتَفت الىٰ علّي فقال له أرىٰ الأمور قد إشتدّت فأنصحني قال أنتَ سيّد كنانة فقُم فأجر بين النّاس والحق بأرضك فقام أبو سفيان في المَسجد فقال أيّها النّاس قد أجرت بين النّاس ثمّ ركب وقدم مكّة وأخبر قريشاً مـا جرىٰ له وما أشار به علّي فقالوا واللّه ما زاد علّي أن سَخر بك ثمّ أنّ رسُول اللّه تجهّز وأمَرَ النّاس بالتّجهز الىٰ مكّة وقال اللّهم خُذ العُيون والأخبار عن قُريش حتّىٰ نبغتها في بلادها فكتب حاطب بن أبي بلتعَة كتاباً الىٰ قريش يُـعلمهم الخبر وسيّره مَعَ إمرأةٍ من مزينةٍ إسمها كنود وقيل مع سارة مولاة لبني المطّلب

تعلمهم الخبر وسيره معها فأرسَل رسُول اللّه ﷺ عليّاً والزّبير فأدركاها وأخذا منها الكتاب وجاءا به الىٰ رسُول اللّه ﷺ فأحضر حاطباً وقال له ما حملك علىٰ هذا فقال واللّه أنّي مؤمن ما بدلّت ولا غيّرت ولكن لي بين أظهرهم أهل وَوَلد وليس لي عشيرة فصانعتهم عليه فقال عُمر دَعني أضرب عُنقه فأنّه قد نافق فقال رسُول اللّه وما يدريك يا عُمر لعلّ اللّه قد أطلَع علىٰ أهل بدر فقال أعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم وأنزَل اللّه: ﴿يَآأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ (١) ثمّ خرج رسُول اللّه ﷺ وإستخلف المدينة أبارهم كلثوم بن حصين الغفاري وخرج لعشر مضين من رمضان وفتح مكّة بعشر بقين منه فصام حتّىٰ بلغ ما بين عسفان وأحج فأفطروا وأستوعب مَعه المهاجرون والأنصار فسبعت سليم وألفت مزينة وفي كلّ القبائل عدد وأدركه عينية بن حصن الفزاري والأقرع بن حابس ولقيه العبّاس بن عبد المطّلب بالجُحفة وقيل بذي الحليفة مهاجراً فأمره رسُول اللّه أن يرسل رحله الىٰ المدينة ويعوده مَعه وقال له أنت آخر المهاجرين وأنا آخر الأنبياء ولقيه أيضاً فخرقه بن نوفل وأبو سفيان بن الحرث بن عبد المطّلب وعبد اللّه بن أبي أُمّية بنقب النّقاب فألتمسا الدّخول علىٰ رسُول اللّه ﷺ وكلّمته أُم سَلَمة فيهما فقالت له ابن عمّك وابن عمتك قال ﷺ لا حاجة لي بهما أمّا ابن عمّي فَهتَك عِرضي وأمّا ابن عمّتي فهو الّذي قال بمكّة ما قال فلمّا سمعا ذلك كان مع أبي سفيان ابن له إسمه جعفر قال واللّه ليأذننّ لي أو لآخذنّ بيد ابنّي هذا ثمّ لنذهبنّ في الأرض حتّىٰ نموت عطشاً وجوعاً فرّق لهما رسُول اللّه ﷺ فأدخلهما اليه فأسلما وقيل أنّ عليّاً قال لأبي سفيان بن الحَرث أئت رسُول اللّه من قبل وجهه فقل له ما قال إخوة يوسف ليوسف تاللّه لقد آثرك اللّه علينا وأنّ كنّا لخاطئين فأنّه لا يرضىٰ أن يكون أحد أحسن منه فِعلاً وقولاً فَفعل ذلك فقال له رسُول اللّه ﷺ:

١- الممتحنة ـ ١

لا تثريب عليكم اليوم يغفر اللّه لكم وهو أرحم الرّاحمين وقرّبهما فأسلما وأنشده أبو سفيان قوله في إسلامه وإعتذاراً ممّا مضىٰ:

لعمرك أنّي يوم أحمل راية لتغلب خيل اللّات خيل مُحمّدٍ
لكالُمدلج الحيران أظلَم ليله فهذا أواني حين أُهدي وأهتدي
وهاد هداني غير نفسي ونالني مَع اللّه من طردّته كلّ مطرد

فضرب رسُول اللّه ﷺ صدره وقال أنتَ طردتني كلّ مطرد وقيل أنّ أبا سفيان لم يرفع رأسه الىٰ النّبي ﷺ حياءً منه وقدم رسُول اللّه ﷺ مَر الظهران في عشرة آلاف فارس: من بني غفار أربع مِائة، ومن مزينة ألف وثلاثة نفر ومن بني سليم سبع مِائة ومن جهينة ألف وأربع مِائة وسائرهم من قريش والأنصار وحُلفائهم وطوائف من العَرب ثمّ من تميم وأسد وقس فلمّا نزل مّر الظهران قال العبّاس بن عبد المطّلب يا هلاك قريش واللّه لأن بغتها رسُول اللّه ﷺ في بلادها فدخل عنوةً لهلاك قريش الىٰ آخر الدّهر فَجَلسَ علىٰ بغلة النّبي وقال أخرج لعلّي أرىٰ حطابا أو رجلاً يدخل مكّة فيخبرهم بمكان رسُول اللّه فيأتونه ويستأمنونه قال فخرجت أطوف في الأراك اذ سمعت صَوت أبي سفيان وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء الخزاعي قد خرجوا يتّجسسون فقال أبو سفيان ما رأيت نيراناً أكثر من هذا فقال بديل هذه نيران خزاعة فقال أبو سفيان خزاعة أذل من ذلك فقلت يا أبا حنظلة يعني أبا سفيان كان يكنّىٰ بذلك، فقال أبو الفضل قلت نعم، قال لبّيك فداك أبي وأُمّي ما وراءك فقلت هذا رسُول اللّه في المُسلمين أتاكم في عشرة آلاف قال أبو سفيان ما تأمرني قُلتُ تركب مَعي فأستأمن لك رسُول اللّه فوا اللّه أنْ ظفر بك ليضربنّ عُنقك فردفني فخرجت أركض به نحو رسُول اللّه فكلّما مّررت بنارٍ من نيران المُسلمين يقولون عمّ رسُول اللّه حتّىٰ مررنا بنار عُمر ابن أبي الخطاب فقال عُمر هذا أبو سفيان، الحمدُ لِلّه الّذي أمكنَ منك بغير عقدٍ ولا عهدٍ ثمّ إشتّد نحو النّبي ﷺ وركضت البغلة فسبقت عُمر ودخل عُمر علىٰ رسُول اللّه ﷺ فأخبره وقال دَعني أضرب عُنقه فقلت يا رسُول اللّه قد أجرتُه ثمّ أخذتُ برأس رسُول اللّه

ﷺ وقلت لا يناجيه أحد دُوني فلمّا أكثر فيه عُمر قلت مهلاً يا عُمر ما تصنع هذا الأمر إلّا أنّه من بني عبد مناف ولو كان من بني عدي ما قلت هذه المقالة فقال مَهلاً يا عبّاس فوا اللّه إسلامك يوم أسلَمتَ كان أحبّ من إسلام الخطّاب لو أسلم فقال رسُول اللّه ﷺ قد أمنّاه حتّىٰ تغدو علّي به بالغداة فرجعتُ به الىٰ منزلي وغدوتُ به علىٰ رسُول اللّه ﷺ فلمّا رآه قال ويحك يا أبا سفيان ألَم يأن لك أن تعلم أنْ لا إله إلّا اللّه قال بلىٰ بأبي أنتَ وأمّي يا رسُول اللّه لو كان مَع اللّه غيره لقد أغني شيئاً فقال ويحك ألَم يأن لك أنّي رسُول اللّه فقال بأبي أنتَ وأمّي أمّا هذه ففي النّفس منها شيئ قال العبّاس فقلت له ويحك أشهد شهادة الحقّ قبل أن تُضرب عُنُقك قال فتشّهد وأسلم معه حكيم بن حزام وبديل بن ورقاء فقال رسول اللّه للعبّاس أذهب فأحبس أبا سفيان عند خطم الجبل بمضيق الوادي حتّىٰ تمّر عليه جنود اللّه فقلت يا رسول اللّه أنّه يحبّ الفَخر فأجعل له شيئاً يكون في قومه فقال مَن دخل دار أبي سفيان فهو آمن ومَن دَخل دار حكيم بن حزام فهو آمن ومن دخل المَسجد فهو آمن ومن أغلَق بابه فهو آمن القصّة بطولها انتهىٰ ما ذكرنا منها فقد إكتفينا بذكر موضع الحاجة منها ومن أراد الإطّلاع علىٰ تمام القِصّة فَعليه بالكامل وغيره من التّواريخ المفَصلة:

وحيث أنّك علمت كيْفية إسلام أبي سفيان وأنّه لم يُسلم إلّا كرهاً فقد علمت معنىٰ **قوله ﷺ: و ما اسلم مسلمكم الاّ كرهاً.**

▫ **قوله ﷺ: وذَكَرتَ أنّي قَتَلْتُ طَلْحةَ والزُّبَيْرَ وشَرّدْتُ بِعائِشةَ ونَزَلْتُ المِصْرَيْنِ وذلِكَ أمْرٌ غِبْتَ عَنْهُ فَلاَ عَلَيْكَ ولا العُذْرُ فيهِ إليْكَ...**

قد مرّ الكلام مِنّا في قِصّة الجَمَل وكيْفية قتل الزّبير وطلحَة وسائر ما يتّعلق بالباب فلا نرىٰ حاجةً الىٰ التّعرض لهما في المَقام وقوله ﷺ: **فلا عليك الخ** أشار فيه ﷺ الىٰ أنّ الحاضر يرىٰ ما لا يراه الغائب وأنت حيث غَبت عنه فليس شئ ممّا وقع في الجَمَل عليك ولا لك أي ضرّه ونَفعه عائدان الينا لا اليك وحيث كان كذلك فلا معنىٰ لقولك هذا إلّا تسخير العَوام كالأنعام كما تمَسكتَ بِدَم عثمان وقُلتَ ما قُلت وفَعَلت ما فَعَلت قال المُعتزلي: أنّ طلحة والزّبير قتلا

أنفسهما ببغيهما ونكثهما ولو إستقاما على الطّريقة لَسَلِما ومَن قتله الحقّ فدَمه هَدَر وأمّا كونهما شيخين من شيوخ الإسلام فغير مدفوع ولكنّ العيب يَحدُث وأصحابنا يذهبون الى أنّهما تابا وفارقا الدّنيا نادمين على ما صَنعا الى أن قال ولولا توبتهما لكانا هالكين كما هلك غيرهما فأنّ اللّه تعالى: **﴿لا يحاسب أحداً في الطّاعة والتّقوى لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ﴾**[1] انتهى.

أقول: أمّا أوّلاً فلا دليل على توبتهما وما قالوه فيها فهو مجّرد حَدَسٍ وظنٍ والظّن لا يغني من الحقّ شيئاً مضافاً الى أنّ نكثهما وبغيهما مقطوع وتوبتهما مشكوك والقّاعدة تقتضي الحكم بعدمها.

وعلى فرض التّسليم لا دليل لنا ولهم على قبول التّوبة متى وقعَتَ بل الدّليل قائم على قبولها لو وقعت قبل المَوت لا حينه لقوله تعالى: **﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً. وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ وَلاَ الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾**[2]

فنقول المُعتزلي وغيره ممّن قال أو يقول بتوبتهما أيجوز لكم القول بأنّ الزّبير وطلحة لم يعرفا عليّاً ولم يعلما أنّ نكث البيعة وقتل المُسلمين ونَهب أموالهم حرام محرّمٍ فأن تُجيزونه فَلِمَ لَم يتُوبا من قريبٍ ليكون مصداقاً لقوله تعالى: **﴿فأولئك يتوب اللّه عليهم﴾** وحيث لم يتوبا فخرجا عن مصداق الآية ودخلا فيمن لا يتوب اللّه عليه هذا مع أنّ الزّبير وطلحة كانا أعرف بحال عليّ من أكثر أهل زمانهم.

بل الحقّ أنّهما كانا مصداقين لِلآية الثّانية حيث عملا السّيئات حتّى حَضَرهما المَوت فقالا على رأي المُعتزلي وغيره تُبنا الآن، وصريح الآية يرّد هذه التّوبة وعليه فلو ثبتت التّوبة في حقّهما لم تَنفعهما كما لا تنفع في حقّ

١- الأنفال-٤٢.

٢- النّساء-١٧ - ١٨

الكافر حين مَوته فَصَح عليهما قوله تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾[١]

وقال المُعتزلي في عائشة ما قال لهما في توبتهما بل إدَّعىٰ أنَّ الأخبار الواردة في توبتها أكثر منها في توبتهما، ونحن نقول فيها مات قلنا ومأواهم جَهنّم وبئس المَصير ولِلبَحث فيه مقام آخر.

ثمّ قال المُعتزلي فأيّ ذنبٍ لأمير المؤمنين في ذلك ولو أقامت في منزلها لَم تُبتذل بين الأعراب وأهل الكرفة علىٰ أنّ أمير المؤمنين عليه السلام أكرمها وصانها وعظّم من شأنها ومن أحبّ أن يقف علىٰ ما فعله مَعَها فليطالع كتب السّيرة ولو كانت فَعَلت بعُمر ما فَعَلت به وشقّت عصا الأُمّة ثمّ ظَفَر بها لقتلها ومزّقها إرباً إرباً ولكن عليّاً كان حليماً كريماً انتهىٰ أقول ما ذكره حقّ لا ريب فيه بل يليق أن يُكتب بالنّور علىٰ خُدود الحُور وقد أنصَف في المقام كمال الإنصاف:

▫ قوله عليه السلام: **وذَكَرْتَ أَنَّكَ زَائِرِي في المُهاجِرينَ والأَنْصارِ وقَدِ انْقَطَعَتْ الهِجْرَةُ يَوْمَ أُسِرَ أَخُوكَ فإنْ كانَ فِيهِ عَجَلٌ فاسْتَرْفِهْ فإنِّي أنْ أَزُرْكَ فذَلكَ جَدِيرٌ أنْ يكُونَ اللّهُ إنَّما بَعَثَني لِلنِّقْمَةِ مِنْكَ...**

هذا الكلام منه عليه السلام ردّ علىٰ معاوية وإشعار بأنّه لم يعلم معنىٰ الهجرة ولو عَلِمه لما قال ذلك اذ لا هجرة بعد الفتح أي بعد فتح مكّة، والّذين كانوا مَعَه أكثرهم أبناء الطُّلَقاء الّذين قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله فيهم يوم الفتح إذهبوا فأنتم الطّلقاء، ومن المعلوم أنّ مَن أَسلم بعد الفتح كمعاوية وأصحابه لا يصدق عليهم المهاجر وأشار عليه السلام الىٰ ما ذكرناه بعبارةٍ حَسَنة فيها تقريع لمعاوية وأهله بالكَف وأنّهم ليسوا من ذوي السّوابق فقال قد إنقطعت الهجرة يوم أُسِر أخوك، يعني يزيد ابن أبي سفيان فأنّه قد أسِر يوم الفتح في باب الخَندقة وكان خَرَج في نفرٍ من قريش يُحاربُون ويمنعُون من دخول مكّة فقُتل منهم قوم وأُسر يزيد بن أبي سفيان أَسَره خالد بن الوليد فخلّصه أبو سفيان منه وأدخله داره فآمن، لأنّ رسول اللّه صلى الله عليه وآله قال يومئذٍ، من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، وقوله عليه السلام: **فإنْ كانَ فِيهِ عَجَلٌ فاسْتَرْفِهْ**، أي أن كان لك تعجيل في لحُوقك

١- النساء- ١٨

بأخيك في المَوت أو الأسرة فأسترفِه أي إسترِح فعلاً ولا تَستَعجل فأنّ أَجَل اللّه لآتٍ.

فإنّي أناَ أَزْرَكَ في معركة القتال فذلك جدير أي يليق بي وبك أنّ يكون اللّه تعالىٰ أنّما بعَثَني اليك لِلّنقْمَةِ والإنتقام منك فأنّك من أولياء الشّيطان وأئمّة الضّلالة وقد قال اللّه تعالىٰ في كتابه: ﴿فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً﴾(١)

و: ﴿فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لاَ أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ﴾(٢)

و: ﴿فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلىٰ أَمْرِ اللَّهِ﴾(٣)

و: ﴿قَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾(٤) وغيرها من الآيات.

▫ **قوله ﷺ وأنْ تَزُرْني فكما قالَ أخُو بَني أَسَدٍ:**

مُسْتَقْبِلينَ رِياحَ الصَّيْفِ تَضْرِبُهُمْ بِحَاصِبٍ بيْنَ أغْوَارٍ وجُلْمُودِ...

أي **أنْ تَزُرْني** في ميدان الحَرب فأنّما مَثَلك مَثَل من قال الشّاعر من بني أَسَد وهو أنّهم كانوا مُستَقبِلينَ الرّياح في الصَّيْفِ فَلم يقدروا علىٰ القتال لأنّ الرّياح كانت تحمل التّراب والحَصىٰ والغُبار والصّخور عليهم والمقصود أنّك إنْ تَزُرني تقع في مثل هذا شبّه ﷺ جُنده بالرّياح العاصفة وهو ظاهر.

▫ **قوله ﷺ: وعِنْدِي السَّيْفُ الّذِي أعْضَضْتُهُ بِجَدِّكَ وخالِكَ وأخِيكَ في مَقامٍ وَاحِدٍ...**

قوله ﷺ: **أعضضت** أي جعلته مَعضوضاً برؤس أهلك وقيل معناه جَعلته لقيضه والباء زائدة أمّا جدّه فهو عُتبة بن ربيعة، وخاله، الوليد بن عُتبة وأخوه، حنظلة بن أبي سفيان قَتلهم عليّ ﷺ يَوم بَدر في مقامٍ واحدٍ، وعُتبه هذا كان جدّ معاوية لأمّه لا لأبيه وذلك لأنّ هند أمّ معاوية كانت بنتاً لعُتبته، والوليد كان أخاً لها.

روي جابر عن عليٍ أنّه قال لقد تَعجّبتُ يوم بَدر من جراة القوم وقد قتلت

١- النساء ـ ٧٦
٢- التوبة ـ ١٢
٣- الحجرات ـ ٩
٤- البقرة ـ ١٩٣

الوليد اذ أقبل إلي حَنظَلَة بنّ أبي سفيان فلمّا دنىٰ منّي ضربته بالسّيف فسالت عيناه ولزم الأرض قتيلاً وقتل من مَعه وهم زَمعة بن الأسود والحارث بن زَمعة وعُمير بن عثمان وعثمان ومالِكاً أخوَي طَلحَة وهم في ستّة وثلاثون رجلاً ولنختم الكلام هنا في غزوة بدر الكبرىٰ وتفصيلها موجود مَسطُور في المفصّلات وقد ظهر لك أنّ عليّاً عليه السلام هو الّذي قتل جدّ معاوية وأخاه حَنظَلَة بن أبي سفيان وخاله الوليد في مقام واحدٍ.

▫ **قوله عليه السلام: وإنَّكَ واللّهِ ما عَلِمْتُ ألأ غْلَفُ القَلْبِ المُقارِبُ العَقْلِ والأَوْلَى أنْ يُقالَ لَكَ أنَّكَ رَقِيتَ سُلَّماً أطْلَعكَ مَطْلَع سُوءٍ عَلَيْكَ لا لَكَ لأَنَّكَ نَشَدْتَ غيرَ ضَالَّتِكَ ورَعَيْتَ غيرَ سَائِمتِكَ وطَلَبْتَ أمْراً لَسْتَ مِنْ أهْلِهِ ولا فِي مَعْدِنِه...**

الأغلف القلب الّذي لا بَصيرة له كأنّ قلبه في غلافٍ قال تعالىٰ: **﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَل لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلاً مَّا يُؤْمِنُونَ﴾**[1] وقال تعالىٰ: **﴿وَقَتْلِهِمُ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾**[2]

وأمّا المقارب العقل فهو الّذي ليس عقله بجيّدٍ والمقصود أنّك كنتَ كذلك ما علمتُ والأولىٰ أنّ يقال لك أنّك رقيت سُلّماً وهو سُلّم الخلافة أو سُلّم الطّلب بدم عثمان أطلَعك وأشرَفك هذا السُّلم مَطلع سُوءٍ عليك لا لك أي أنّ هذا الّذي تَمَنّيت وترجو الوصُول اليه هو عليك في الدّنيا والأخرة لا لك وذلك لأنك نَشَدتَ ووَجدتَ غير ضالّتك ورَعيتَ غير سائمتك، والسّائمة الماشية من الحيوان وهما مَثَلان يُضربان لمن لا يستقيم علىٰ الطّريقة ويطلب ما لا ينبغي له.

ولذلك قال عليه السلام وطلبت أمراً لستَ من أهله ولا في مَعدنه فكأنّ الجملة الأخيرة بمنزلة التّفسير لما تقدّم والمراد بالأمر الّذي لم يكن أهلاً له إمّا الخلافة لأنه كان يطلبها في الحقيقة وإمّا الطّلب بدَم عثمان في ظاهر الأمر وأنما قال عليه السلام ذلك لأنّ معاوية لم يكن صالحاً لِلخلافة بعَدم وجود شرائطها فيه أمّا عندنا فالشّرط الأصلي هو النّص ولم يكن موجوداً لا فيه ولا في غيره إلّا أمير

١- البقرة ـ ٨٨. ٢- النّساء ـ ١٥٥.

المؤمنين ﷺ وأمّا عند الخَصم فالشّرط هو الأجماع من أصحاب الحلّ والعَقد وهو أيضاً كان مفقوداً في حقّه، وأمّا الإحتمال الثّاني وهو الطّلب بدَم عثمان فهو أي معاوية لمْ يكن من أهْلِهِ ولا فِي مَعْدِنِه، أمّا عَدم كونه من أهل الدّم فهو معلوم فأنّ أولىٰ النّاس بالميّت أولىٰ بميراثه ومعاوية لم يكن وارثاً له وأمّا أنّه لم يكن في مَعْدِنِه فالمقصود عَدم صلاحيّته لِلطّلب به علىٰ فرض عَدم الوارث له وذلك لأنّ المقتول لو لَم يكن له وارث يطلب بدَمه فالوّلي لِلدّم هو الإمام الجامع لشرائط الإمامة وهو كان بمعزلٍ عن هذا المقام ومحصّل الكلام هو أنّ معاوية لم يكن لائقاً بما كان يدّعيه عقلاً وشَرعاً وأنّما كان مطلوبه ومقصوده الوصول الىٰ مقام الحكُومة وهو ظاهر:

▫ قوله ﷺ: **فَما أَبْعَدَ قَوْلَكَ مِنْ فِعْلِكَ .وقَرِيبٌ مَا أَشْبَهْتَ مِنْ أَعْمَامٍ وأَخْوَالٍ حَمَلَتْهُمُ الشَّقَاوَةُ وَتَمَنِّي البَاطِلِ على الجُحُودِ بِمُحَمَّدٍ صلىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِه فَصُرِعُوا مَصَارِعَهُمْ حَيْثُ عَلِمْتَ لَمْ يَدْفَعُوا عَظِيماً ولَمْ يَمْنَعُوا حَرِيماً بِوَقْعِ سُيُوفٍ ما خَلاَ مِنْهَا الوَغَى ولَمْ تمَاشِها الْهُوَيْنَى...**

قال الشّارح المُعتزلي في شرح العبارة ما لفظه:

فأن قلت ـ كلّ هذا الكلام يُطابق بعضه بعضاً إلّا قوله ﷺ: **فَما أَبْعَدَ قَوْلَكَ مِنْ فِعْلِكَ** وكيف إستبعد ﷺ ذلك ولا بُعد بينهما لأنّه يطلب الخلافة قولاً وفعلاً فأيّ بُعدٍ بين قوله وفعله:

قلت ـ لأنّ فعله البَغي والخُروج علىٰ الإمام الّذي ثَبتت إمامته وصحّت وتفريق جماعة المُسلمين وشَقّ العصا هذا مع الأُمور التّي كانت تظهر عليه وتقتضي الفسق من لبس الحرير والمَنسوج بالذّهب وما كان يتعاطاه في حياة عثمان من المُنكرات الّتي لم تثبت توبته منها فهذا فِعله وأمّا قوله، فزَعمه أنّه أمير المؤمنين وخليفة المُسلمين وهذا القول بعيد من ذلك الفعل جدّاً انتهىٰ ما ذكره وأنا أقول، ما ذكره الشّارح في حلّ الإشكال وإثبات الفرق بين قوله وفعله لا يرجع الىٰ محَصل أمّا أوّلاً فلأنّ خلافة الرّسُول وإمارة المؤمنين لا تثبت إلّا بالنّص من الرّسُول عن اللّه تعالىٰ لا بشيءٍ آخر كائناً ما كان حتّىٰ لو فرضنا إنساناً

جامعاً لجميع الكمالات آتياً بالواجبات ومُعرضاً عن المُحرّمات وأجمع النّاس كلّهم على خلافته وإمامته رلم يكن هناك نصّ من رسول الله عليه فهو ليس بإمام ولا يجب طاعته على أحَد هذا مُعتقد الشّيعة نعم على مسلك الشّارح وغيره من العامّة فالإمامة تثبت بإجماع أصحاب الحلّ والعقد كإمامة أبي بكر وعُمر وعثمان وأن لم يحصل الإجماع في أبي بكر فضلاً عن عُمر وعثمان ولا بحث لنا فعلاً فيه فعلى هذا المسلك لا إشكال في إمامة معاوية لولم يكن متجاهراً بالفسق على ما ذكره الشّارح وذلك لأنّ مفهوم كلام المعتزلي هو أنّ المانع عن إمامة معاوية عن ذكره من الأمور من البغي وتفريق جماعة المُسلمين وشقّ عصا الأمّة وأمثالها فهذه الأمور هي الّتي فصّلت بين قول معاوية وفضله على مذهب الشّارح بحيث لولاها لكان قوله مطابقاً لفعله وحينئذٍ لم يكن إشكال في إمامته وهو كما ترى لا يساعد مسلك الشّيعة وأمير المؤمنين عليه السلام إمام الشّيعة فكيف ينبغي حمل كلامه عليه السلام على خلاف معتقده ومذهبه:

وثانياً: أنّ معاوية لم يدّع إمارة المؤمنين في ظاهر الأمر إلّا بعد التّحكيم حيث عَزَل أبو موسى عليّاً عن الخلافة ونَصَب ابن العاص معاوية لها وهذا مُسَلمٌ عند أهل التّحقيق وأمّا قبل التّحكيم فلم يُسمع منه شئ إلّا الطّلب بدم عثمان ولا إشكال في أنّ هذا الكتاب من عليّ عليه السلام الى معاوية جواباً عنه كان قبل وقعة الصّفين لا بعدها كما يظهر من عباراتها وإذا كان كذلك فكيف يُحمل كلامه عليه السلام على ما حَمَله الشّارح وعليه من أنّ قوله عليه السلام: وَزَعمه أنّه أمير المؤمنين وهو يُنافي فعله ولم يثبت لمعاوية هذا القول حين صدور الكلام عن أمير المؤمنين عليه السلام:

هذا كلّه مضافاً الى أنّه أعني معاوية لو كان حيّاً لأمكن له أن يقول للشّارح ما حَمَلك على هذا التّوجيه وهو خلاف مذهبك ومَذهبي أليس من مذهَبنا عدم إشتراط العصّمة في الإمام وأنّ الإمامة لا تُنافيها المعصية وعليه فقولي بأنّي أمير المؤمنين لا ينافي فِعلي، اذ يجوز على أمير المؤمنين المعاصي كلّها، فما يقول

الشّارح في جوابه مَع علمه بأنّ خلفائهم بأجمعهم كانوا من العُصاة قلّت أو كثُرت فأنّ الإنسان اذا لم يكن معصُوماً فهو يعصي لا محالة فلو كان البُعد بين الفعل والقول منافياً لإدّعاء الإمامة كما يقول الشّارح في معاوية فحُكم الأمثال واحد وأيّ خليفة من خلفائهم كان قوله مطابقاً لفعله وعلىٰ المُدّعِي الإثبات ولا أظنّ من يدّعيه وعليه فالإشكال باق بحاله ولابدّ لنا في حلّه من طريقٍ آخر فنقول:

الحقّ أنّ المراد بقول معاوية هو قوله بأنّ عثمان قُتِل مظلوماً ثمّ طَلَبه بِدَمه، والمراد بفعل معاوية تقاعده عن نصرة عثمان حين إستنصره كما مرّ الكلام فيه سابقاً من أنّ عثمان لما حُصر في المدينة إستنصر من معاوية وكان والياً علىٰ الشّام ومن ابن عامر وابن أبي السّرج وغيرهم من الوُلاة ومعاوية كان أقرب اليه مكاناً ونَسَباً ولم ينصره حتّىٰ قُتل ثمّ نادىٰ قُتل عثمان مظلوماً ومن كان هذا فعله بالنّسبة الىٰ عثمان كيف يطلب بِدِمه فهذا هو البُعد بين القول والفعل الّذي أشار عليه السلام اليه في كلامه لا ما ذكره الشّارح هذا:

ويمكن أن يكون المراد بالبُعد بين قوله وفعله، أنّ قوله قول المُسلم وفعله فعل الكُفّار والمُنافقين وعليه فالمعنىٰ ما أبعد بين قولك بالإسلام وإدّعائك كذا وكذا وبين فعلك من أوّل الأمر حيث كُنتَ مُعانداً لِلأسلام مُخالفاً له بأعمالك وأفعالك كما هو شأن المنافق ويؤيّد هذا الإحتمال قوله عليه السلام بعد هذا الكلام وقَرِيبٌ ما أشْبَهتَ مِنْ أعْمَامٍ وأخْوَالٍ الخ فحيث شبّهه عليه السلام بأعمامه وأخواله من الكُفّار الّذين كانوا يريدون ليطفئوا نور اللّه بأفواههم مع إدّعائهم الإصلاح بين العَرَب نعلم أنّ معاوية أيضاً كان كذلك يدّعي الإصلاح بالقول واللّسان ويعمل الفساد بالجوارح والأركان وهذا هو البُعد بين القول والفِعل:

وأمّا قوله عليه السلام: **وقَرِيبٌ ما أَشْبَهْتُ مِنْ أعْمَامٍ وأخْوَالٍ** الىٰ قوله ولَمْ تمَاشِها الْهَوَيْنَى فأشار عليه السلام فيه الىٰ أنّ حال معاوية في إسلامه كحال أعمامه وأخواله في كُفرهم والفرق بينهم باللّفظ دون المعنىٰ والجامع المُشترك بينهم هو تمنّي الباطل علىٰ الجحُود بمُحمّدٍ صلى الله عليه وآله أي أنّهم في كُفرهم وإسلامهم أنكروا مُحمّداً

عَلَيْهِ السَّلَامُ بالقلب وأن كانوا في اللّفظ متفاوتين حيث أنّ أعمامه وأخواله أنكروه باللّفظ أيضاً وأمّا معاوية كان مُدّعياً للاسلام والايمان ولولا ذلك لما قال عليه السلام وقريب ما أشبهت بل حقّ العبارة أن يحكم بكُفره ويقال أنت مثلهم ثمّ ذكر عليه السلام نتيجة الإنكار والخِلاف فقال فَصَرعوا مصارعهم حيث عَلِمت أي قُتلوا بسيف المُسلمين ووقعوا في جهنّم لَمْ يَدْفَعُوا عَظِيماً ولَمْ يَمْنَعُوا حَرِيماً أي أنّهم كانوا عاجزين عن دفع القتل عن نفُوسهم والوصول الىٰ مقاصدهم وذلك لأنه ما خلا منها الوغىٰ أي لم تزل تلك السّيوف تَلَمع في الحروب ما خَلَت منها ولم تصحبها الهُوينىٰ أي لم تُرافقها المُساهلة، وقد قلنا سابقاً أنّ الهُوَيْنَى تصغير الهُوين مؤنّث أَهَون، ومحَصل الكلام هو أنّه كما أنّ أعمامك وأخوالك لم ينفعوا عن بعنادهم للحقّ وساروا الىٰ جهنّم فكذلك أنتَ:

□ **قوله عليه السلام: وقَدْ أَكْثَرْتَ في قَتَلَةِ عُثمانَ فَادْخُلْ فِيما دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ ثمَّ حاكِمِ القَوْمَ إِلَيَّ أحْمِلْكَ على كِتابِ اللّٰهِ وأمّا تلْكَ الّتي تُرِيدُ فإنّها خُدْعَةِ الصَّبِّي عَنِ اللَّبَنَ في أوّل الفصال والسّلام...**

أي قد أَكثَرت القول في قَتَلة عُثمان وطلبت منّي تسليمهم اليك فأن صدقت فيما قلت فادْخُلْ فِيما دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ من لزوم بيعتي وطاعتي ثمّ حاكِمَ القَوْمَ الّذين قتلوا عثمان إِلَي أي عرّفهم لي حتّىٰ أحْمِلَكَ وإِيَّاهُمْ علىٰ كِتَابِ اللّٰهِ ونعم الحَكَم الله وأمّا تلك الّتي تريد فأنّها خُدعة، أشارَ عليه السلام بهذا الكلام الىٰ.

ما أراده معاوية وطلبه منه عليه السلام وهو إمارة الشّام وتسليم قتلة عثمان اليه، فقال عليه السلام أنّها خدعة الصّبي عن اللّبن في أوّل الفِصال والخدعة مثلثة الخاء ما تعرف به الصّبي عن اللّبن وطلبه أوّل فطامه والمقصود أنّك تخدعني بزعمك وتطلب منّي ما تطلب وأنّك تعلم أنّ مِثلي لا يُخدع وما تدّعيه كذب مَحض ولنعم ما قيل بالفارسية:

بروُ اين دام بر مُرغ دِگر نه كه عنقا را بلند است آشيانه

ومن كتاب له عليه السلام (٦٣)

□ قوله عليه السلام: أَمَّا بَعْدَ فَقَدْ آنَ لَكَ أَنْ تَنْتَفِعَ باللَّمْحِ الباصِرِ مِنْ عِيَانَ الأُمُورِ فَقَدْ سَلَكْتَ مَدَارِجَ أَسْلاَفِكَ بِادِّعائِكَ الأَباطِيلَ وإِقْحَامِكَ غُرُورَ المَيْنِ والأَكاذِيبِ وبانْتِحَالِكَ ما قَدْ عَلاَ عَنْكَ وإِبْتِزَازِكَ لِمَا أُخْتُزِنَ دُونَكَ .فِراراً مِنَ الحَقِّ وجُحُوداً لِمَا هُوَ أَلْزَمُ لَكَ مِنْ لَحْمِكَ ودَمِكَ مِمَّا قَدْ وَعاهُ سَمْعُكَ ومُلِئَ بِهِ صَدْرُكَ فَماذا بَعْدَ الحَقِّ إِلّا الضَّلاَلُ المُبِينُ وبَعْدَ البَيَانِ إِلّا اللَّبْس فأَحذَرِ الشُّبْهَةَ واشْتِمالَها علىٰ لُبْسَتِهَا فإِنَّ الْفِتْنَةَ طَالَما أَغْدَفَتْ جَلابِيبِها وأَغْشَتِ الأَبْصارَ ظُلْمَتُها.

وقَدْ أَتَانِي كِتَابٌ مِنْكَ ذُو أَفانِينَ مِنَ القَوْلِ ضَعُفَتْ قُواها عَنِ السِّلْمِ وأَساطِيرَ لَمْ يَحكُها مُنْكَ عِلْمٌ ولا حِلْمٌ.أَصْبَحتَ مِنها كالخَائِضِ في الدَّهاسِ والخَابِطِ في الدِّيمَاسِ وتَرَقَّيْتَ إِلىٰ مَرْقَبَةٍ بَعِيدَةَ المَرَامِ نازِحَةِ الأَعْلاَمِ تَقْصُرُ دُونَها الأَنُوقُ ويُحاذِي بهَا العَيُّوق.

وحَاشَ لِلّهِ أَنْ تَلِيَ لِلْمُسْلِمينَ بَعْدِي صَدَراً أَوْ وِرْدٌ أَوْ أُجْرِيَ لَكَ علىٰ أَحَدٍ مِنْهُمْ عَقْداً أَوْ عَهْداً فَمِن الآنَ فَتدَارَكْ نَفْسَكَ وأَنْظُرْ لَها فإِنكَ أَنْ فَرَّطْتَ حتّى يَنْهَدَ إِلَيْكَ عِبادُ اللّهِ أُرْتِجَتْ عليكَ الأُمُورُ ومُنِعْتَ أَمْراً هُوَ مِنْكَ اليَوْمَ مَقْبُولٌ والسَّلاَمُ.

◁ **اللغة**

(اللَّمْحِ الباصِرِ) يقال لأرينك لمحاً باصِراً أي أمراً واضحاً (عِيَانِ الأُمُورِ)مشاهدتها ومعاينتها (الأَباطِيلَ) جمع باطل (إِقْحَامِكَ) الإقحام مصدر

باب إفعال من أَقحم إقحاماً وفي بعض النّسخ، إقتحامك) بالتّاء مصدر باب إفتعال من إقتحم إقتحاماً، والإقحام إدخال الغرور في أذهان العامّة، والإقتحام، إلقاء النّاس في الأمر من غير روّية (**المَيْنِ**) بفتح الميم الكَذِب (**الأَكاذِيبِ**) جمع كاذب (**بانْتِحَالِكَ**) الإنتحال مصدر باب الإنفعال يقال إنتحل إنتحالاً وهو الإدّعاء لِلنّفس بما ليس لها (**عَلاً**) أي رَفَع (**ابْتِزازِكَ**) الإبتزاز، أيضاً مصدر باب إفتعال يقال إبتّزَ إبتّزازاً ومعناه السّلب:

أُختُزِنَ) بضّم الألف مجهول إختزن بكسرها يقال أُختُزِنَ دُونَكَ، أي مُنع دون الوصول اليك (**وَعاهُ**) أي حَفَظه (**اللَّبْس**) بفتح اللاّم مصدر لَبَس لَبَساً اذا خَلَط (**لُبْسَتِهَااللُّبس**) بضّم اللاّم الإشكال واللُّبسة أيضاً كذلك (**أَغْدقت**) يقال أغدَقت المرأة قناعها أرسلته علىٰ وجهها فسَتَرته وأَغدَفَ اللّيل أرخىٰ سدُوله أي أغطيته من الظّلام (**جلاَبِيبَها**) جمع جلباب وهو الثّوب الأعلىٰ الّذي يغطي ما تحته (**أَغْشَتِ**) أي أَضعَفت (**أَفانِينَ**) بفتح الألف جمع أَفنان وفنون وهما جمع فَنّ وعليه فالأفانين جمع الجمع (**السِّلمِ**) بكسر السّين ضدّ الحرب (**أَساطِيرَ**) جمع أسطُورة بمعنىٰ الخرافة لا يُعرف لها مَنشأ (**يَحكُها**) حاك يحُوك، نَسَجَه ونَسَج الكلام تأليفه (**الدَّهاسِ**) بفتح الدّال كسِحاب أرض رَخوة لا هي تراب ولا رَمَل بعَسرٍ فيها السّير (**الخَابِطِ**) فاعل من الخَبط وهو الإشتباه (**الدَّيمَاسِ**) بفتح الدّال وسكون الياء المكان المُظلم (**مَرقَبةٍ**) بفتح الميم فسكون الرّاء ثمّ فتح القاف والباء مكان الإرتقاب وهو العلّو والاشراف (**نازِحَةِ الأَعْلاَمِ**) النّازحة بكسر الزّاء البعيدة والأعلام جمع عَلَم وهو ما يُنصب ليُهتدىٰ به (**الأَنُوقَ**) النوق بفتح الألف كَصَبُور طيرٌ أصلع الرّأس أصفر المنقار أوكارها في القُلَل الصّعبة (**العَيُّوق**) بفتح العين وضّم الياء المشّددة نجمٌ أحمر مُضيٰ يتلّو الثّريا (**صَدَر**) بالتّحريك الرّجوع بعد الشّهب (**وِرْدٌ**) بكسر الواو وسكون الرّاء الإشراف علىٰ الماء (**مَنهد**) مضارع نَهد، أي نَهَض وقام (**أُرْتِجَتْ**) بضّم الألف وسكون الرّاء مجهول إرتجت يقال إرتج الباب أي أغلقه:

◁ **المعنى**

(**أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ آنَ**) أي قرب (**لَكَ أَنْ تَنْتَفِعَ بِاللَّمْحِ الباصِرِ**) والأمر الواضح (**مِنْ عِيَانِ الأُمُورِ**) أي ممّا تُشاهده وتُعاينه (**فَقَدْ سَلَكْتَ**) وذهبت (**مَدَارِجَ أَسْلاَفِكَ**) المُشركين (**بِادِّعائِكَ الأَباطِيلَ**) من القول والفعل (**واقْحَامَكَ**) أي إلقائك النّاس من غير روّية (**غُرُورَ المَينِ والأَكاذِيبِ**) إغتررت النّاس في الكذب والأكاذيب وجعلتهم مغرورين بها (**وبانْتِحَالِكَ**) أي إدّعائك لنفسك (**ما قدْ عَلاَ عَنْكَ**) أي ما هو أرفع من مقامك (**وابْتِزَازِكَ وسَلَبِك لِما أخْتُزِنَ دُونَكَ**) أي مُنِع دون الوصول اليك (**فِرَاراً من الحقِّ وجُحُوداً**) وإنكاراً (**لِمَا هُوَ أَلْزَمُ لَكَ مِنْ لَحْمِكَ ودَمِكَ**) وهو البيعة بالخلافة لأمير المؤمنين (**مِمَّا قدْ وَعاهُ**) وحفظه (**سَمْعُكَ ومُلِئَ بهِ صَدْرُكَ**) أي أنّك سمعت ما وَرَد من النّصوص في حقّي وظبطها صدرك ولستَ جاهلاً به (**فَماذا بَعْدَ الحقِّ إِلّا الضَّلاَلُ المُبِينَ**) أي فما تطلب بعد معرفة الحقّ وليس بعده إلّا الضّلال (**وبَعْدَ البَيانِ إِلّا اللَّبْس**) والإشتباه (**فاحْذَرِ الشُّبْهَةَ واشْتِمَالَها علىٰ لُبْسَتِهَا**) وإشكالها فمن أخذ بالشّبهات وقع في المُهلكات (**فإِنَّ الْفِتْنَةَ طَالَما أَغْدَفَتْ**) وأغطيت (**جَلاَبِيبَها**) وأثوابها أي طالما إستدلت الفِتنة أغطية الباطل (**وأَعْشَتِ الأَبْصارَ ظُلْمَتُها**) أي أضعفتها ومَنَعتها النّفوذ الىٰ المرئيات الحقيقية، (**وقدْ أَتاني كِتَابٌ الحَرَب**) (**وأساطيرَ لمْ يَحكُها**) أي خرافات لم ينسجها (**مِنْكَ عِلْمٌ ولاحِلْمٌ**) أي ما صَدَر هذا الكلام الفاسد عن عالم ولا عاقل (**أَصْبَحْتَ مِنها كالخَائِضِ في الدَّهاسِ والخَابِطِ في الدِّيمَاسِ**) أي أصبحت من هذه الأساطير والخرافات كالذّاهب على الأرض الّتي لا رمل لها ولا تراب والماشي في المكان المُظلم الّذي لا يهتدي الماشي في سيره فيه (**وتَرَقَّيْتَ**) أي رَفعتَ نفسك (**إلىٰ مَرْقَبةٍ**) ومَنزلةٍ، (**بَعِيدَةِ المَرَامِ نازِحَةِ الأَعْلاَمِ**) خَفية المَسالك (**تَقْصُرُ دُونَها الأَنُوقُ**) لا تكاد تَظفر به (**ويُحاذِي بَها العَيُّوق**) في البُعد وطول المسافة (**وحَاشَ لِلّهِ أَنْ تَلِيَ لِلْمُسْلِمينَ بَعدِي صَدَراً أوْ وِرْدَاً**) أي لا يتّولاهم في جلب منفعةٍ ولا ركون الىٰ راحةٍ (**أَوْأُجْرِيَ لَكَ علىٰ أحَدٍ مِنْهُمْ عَقْداً**

أَوْ عَهْداً) لأنّك لَست جديراً بـه، (فَمِنَ الآنَ فَتَدارَكْ نَفْسَكَ وأُنْظُرْ لَها) فأنّـها أمّارة بالسّوء (فإنكَ أنْ فَرَّطْتَ) في إتّباعها (حتّىٰ يَنْهَدَ) وينهض (إلَيْكَ عِبادُ اللّهِ أُرْتِجَتْ) وأُغلقت (عليكَ الأُمُورُ ومُنِعْتَ أمْراً هُوَ مِنْكَ اليَوْمَ مَقْبُولٌ) وذلك لأنّ ما مضىٰ فلا ينفعك النّدم عليه:

◁ الشّرح

▫ قوله عليه السلام: أَمّا بَعْدُ فَقَدْ آنَ لَكَ أنْ تَنْتَفِعَ باللَّمْحِ الباصِرَ مِنْ عِيانِ الأُمُورِ...

كلمة (آنَ) بفتح النون فعل ماض بمعنىٰ قَرُبَ وحانَ ومضارعه يئينُ نحو باع يَبِيعُ بيعاً فالمصدر منه الأَينَ بفتح الألف وهذا الكلام منه عليه السلام مأخوذ من قوله تعالىٰ حيث قال: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ [1] أي أَلَم يَقرُب وقال الشّاعر:

أَلَم يَأن لي أنّ تُجَل عنّي عمايتي ... وأقصُر عن ليلي بلىٰ قد أنىٰ ليا

والمعنىٰ فقد قَرُب وحَان لك أنْ تَنْتَفِعَ وتَستَفيد باللَّمْحِ الباصِرِ والأمر الواضح من الأُمور الجلّية التّي تشاهدها وتُعاينها ولعلّ المراد بهذا الأمر الجلّي هو إمامته وخلافته وفيه إشارة الىٰ أنّ خلافته عليه السلام لم تَكن مخفيّة علىٰ أحَدٍ حتّىٰ معاوية وأمّا التّعبير بقوله آنَ لك فيمكن أنْ يكون إشارة الىٰ أنّك بَلغتَ من السّن ينبغي أنْ تَنتفع بالأمور الواضحة، ويمكن أنْ يكون إشارة الىٰ أمرٍ آخر وهو أنّك تعتقد في الأمام إجماع أهل الحلّ والعَقد لا النّص وقد تمّ هذا الأمر في خلافتي وإمامتي فأيّ عذرٍ لك في تأخير البيعة:

▫ قوله عليه السلام: فَقَدْ سَلَكْتَ مَدارِجَ أسْلافِكَ بإدِّعائِكَ الأَباطِيلَ وإقْحامِكَ غُرُورَ المَيْنِ والأَكاذِيبِ وبانْتِحالِكَ ما قَدْ عَلاَ عَنْكَ وابْتِزازِكَ لِما أُخْتُزِنَ دُونَكَ...

يقال سَلَكَ سَلكاً وسلُوكاً، المكان، دَخل فيه، الطّريقَ سار فيه مُتّبعاً أيّاه: والمُدارج جمع مَدرج وهو المَذهب والمَسلَك والأسلاف جمع سَلَف

١ - الحديد ١٦.

والمعنىٰ أنّك سَلَكتَ مَسالك أسلافك أي مَضيتَ علىٰ طـريقهم فكأنّك لم تؤمن باللّه وبرسُوله وصرتَ مصداقاً لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ (١) ولعلّه لهذا قال عليه السلام: **سَلَكتَ**، فأنّ السّلُوك واقعاً إلّا في صورة المُتابعة كما عرفت من اللّغة وحيث أنّ السّلُوك معناه الدّخُول في المكان أو الطّريق والثّاني هو المراد في المقام فـيصير مـحصّل المـعنىٰ أنّك اتّبعت في طريقك مذاهب أسلافك المُتقدمين.

والمراد بأسلافِه آباءه وأقـرباءه مـن المُشـركين الّـذين كـانوا أعـداء لِـللّه ولرسُوله ويمكن أن يكون المراد من الأسلاف مَن تَقدم عليه من الخُلفاء ولا سيّما عثمان لكونه من بني أُميّة فعلىٰ الإحتمال الأوّل معنىٰ العبارة أنّك فـي أعمالك سَلَكتَ مَسلَك المُشركين المُعاندين للإسلام وعلىٰ الثّاني فـالمعنىٰ أنّك سَلَكتَ مَسلك من تَقدم عليك من الّذين لم يعرفوا الحقّ و او عرفُوه و تركُوه عامداً وهذا المعنىٰ وأنّ كان أبعَد الىٰ الذّهن من الأوّل إلّا أنّه أوفَق بسياقِ العبارة المُتقدمة كما هو ظاهر فأنّ أمر الخلافة كما كان واضحاً له أي لمعاوية كما كان واضحاً لِمَن قَبله من الخُلفاء أيضاً فَمَسلَكه مَسلَكهم وطريقه طريقهم بل هُم الأصل ولا يتّخلف عمّا يقتضيه واستْدل عليه السلام علىٰ مُدّعاه بأمورٍ:

أحدها قوله عليه السلام: **بإدِّعائِكَ الأَباطِيل**، من الطّلب بدم عثمان تارة وتسليمي قَتلة عثمان اليك أُخرىٰ وادّعائك الخلافة والإمامة وإبقائك علىٰ الشّام والياً وأمثال ذلك من الأُمور التّي لا تليق بها والجامع هو إدّعاء الخلافة وأمّا الطّلب بدم عثمان وتَسليم قتلة عثمان اليه وأمـثال ذلك مـن الأقـاويل كـلّها بـمنزلة المقدمة للوصُول الىٰ ذيها وهو الخلافة والإتيان بصيغة الجمع حيث قال عليه السلام الأباطيل ولم يقل بإدّعائك الباطل هو بإعتبار الظّاهر حيث كانت دعاويه كثيرة وأنّ كانت كلّها راجعاً الىٰ أصلٍ واحدٍ وهو الخلافة وأنت تـرىٰ أنّ فـي هـذا الإدّعاء معاوية لم يكن مُنفرداً بل كان تابعاً لِمَن تَقدمه فأنّهم أيـضاً إدّعـوها وأخَذوها:

١ - الزخرف - ٢٢.

وثانيها قوله ﷺ: وإقتحامك (اقْتِحَامِكَ) غُرُورَ المَيْنِ والأَكاذِيبِ.أي بعد إدِّعائِكَ الأباطِيلَ كالطّلب بدَم عثمان أو الخلافة وغير ذلك ممّا قدّمناه تُدخل في أذهان النّاس غرور الكذب والأكاذيب وعطف الأكاذيب للتأكيد كقولك عليٌ قاتل عثمان أو هو آمرٌ بقتله أو أنّه قتل الزّبير وطَلَحة مع أنهما كانا من العَشرة المبَشرة بدخولهم الجنّة وعليٌ شرّد عائشة وهي أمّ المؤمنين وأمثال ذلك من الأكاذيب التّي تغترّ النّاس بها:

وثالثها قوله ﷺ: وبانْتِحَالِكَ ما قَدْ عَلاَ عَنْكَ، أي بإدّعائك لنفسك ما هو أرفع وأشمَخ من مقامك فأينَ لِلطّلقاء وأبناء الطّلقاء من الإمارَة والحكُومة على المسلمين:

ورابعها قوله ﷺ: وابْتِزَازَكَ لِما أُخْتُزِنَ دُونَكَ، أي سَلبُك أمرًا أُختُزِنَ أي مُنع دون الوصول اليك وذلك أمر الطّلب بدَم عثمان والإستبداد بولاية الشّام فأنهما من حقُوق الإمام لا من حقُوق معاوية هكذا قيل في معنى العبارة:

أقول: الإبتزاز هو إستلاب الشيء قهراً لا سَلبُه بقولٍ مطلق كما زعمُوا، والإختزان الإدّخار يقال إختَزَن المال، إدَّخره وعليه فالمعنى وإستلابك قهراً وغَصباً لِما أُختُزِنَ وإدّخر دونك أي دون وصوله اليك ففيه إشارة الى أخذه بيت المال الّذي أُدّخِر لِحَوائج المُسلمين قَهراً وغَصباً وصرفه في آماله وتَمَنياته ومن المعلوم أنّه أفَحَش من السّرقة المتعارفة بين النّاس فأنّ السّرقة المتعارفة عبارة عن أخذ مال الغير بدون رضاه قَهراً وغَصباً وأمّا السّرقة المبحوثة عنها أعني سرقة معاوية وأمثاله عبارة عن أخذ أموال جميع المّسلمين فهي أفَحَش.

□ **قوله ﷺ: فِرَاراً مِنَ الحَقِّ وجُحُوداً لِمَا هُوَ أَلْزَمُ لَكَ مِنْ لَحْمِكَ ودَمِكَ مِمَّا قَدْ وَعاهُ سَمْعُكَ ومُلِئَ بِهِ صَدْرُكَ فَماذا بَعْدَ الحَقِّ إِلّا الضَّلاَلُ المُبِينُ وبَعْدَ البَيَانِ إِلّا اللَّبْسُ...**

أي أنّما فعلتَ ما فَعلتَ وقلتَ ما قُلت فراراً من الحقّ أي لأجل الفرار منه

وجحُوداً أي وإنكاراً لِما هو أَلزَم لك من لَحمك ودَمك وهو الإقرار بِبيعتي وخلافتي فأنّ هذا الأمر العظيم ممّا قد وَعاه سَمعك من النّبي ﷺ وأصحابه ومَلِيٍّ به صَدرك أي أنّ صَدرك ممَلوٌّ من الأخبار الواصلة اليك في وصايتي وخلافتي فماذا أي ماذا تَختار بعد الحقّ إلّا الضّلال فأنّ الأمر يدور بينهما، حقّ أو باطل فاذا إنتفي الحقّ فليس في المقام إلّا الضّلال لعدم الواسطة وأنت حيث عرفتَ الحقّ فلو لم تتّبعه تتّبع الضّلال لا محالة وبعد البيان أي فماذا بعد البيان في الكتاب والسّنّة إلّا اللّبس والخَلَط وما نحن فيه من هذا القبيل:

وملّخص الكلام هو أنّ في المقام حقيقتان، إحدايهما الحقّ ويقابله الباطل وثانيتهما البيان الواضح ويقابله اللّبس والإشتباه وأنّ شئت قلت الحقّ وعدمه، والبيان الواضح وعَدمه.

فَمَن ترك الحقّ أَخَذ بالباطل وهو الضّلال المُبين ومن تَرك البيان ولم يأخذ به فقد أَخَذ بالمُشتبه ولا واسطة بين الشّيٍ وعَدمه وحيث أنّ معاوية لم يأخذ بالحقّ فلا محالة أَخَذ بالضّلال وحيث لم يتّبع البيان الواضح فقد أَخَذ بالشّبهات وهو المطلوب.

ثُمّ أنّ المراد بالحقّ في المقام هو خلافته ﷺ وامامته وبالبيان النّصوص الواردة في الكتاب والسّنة في حقّه ﷺ وقد ظهر من كلامه ﷺ أنّ معاوية كان عالِماً بالحقّ والبيان لا جاهلاً بهما ولا منافاة بين العلم بالشّيٍ وعدم الإقرار به فأنّ كثيراً من النّاس يعرفون الحقائق ولا يلتزمون بها لغَلَبة الشّهوة والنّفس الأمّارة بالسّوء عليهم كما قال اللّه تعالىٰ في كتابه حكاية عن أهل الكتاب: **﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾** (1) ومعاوية وأمثاله كانوا من هذا القَبيل وليس هذا أوّل قارورةٍ كُسِر في الإسلام فأنّ أسلاف معاوية كانوا كذلك بالنّسبة الىٰ الرّسول في بدو طلوع الإسلام وإستّمر الأمر:

١- البقرة-١٤٦.

□ قوله ﷺ: فاحْذَرِ الشُّبْهَةَ واشْتِمالَها علىٰ لُبْسَتِها فإنَّ الْفِتْنَةَ طَالَما أَغْدَفَتْ جَلاَبِيبَها وأَعْشَتِ الأَبْصارَ ظُلْمَتُها...

الفاء للتّفريع أي اذا كان الأمر علىٰ هذا المنوال فأحْذَرِ الشُّبْهَةَ وأُتْرُكها ولا تأخذ بها لكونها مُشتملة علىٰ اللُّبسة والإشكال وقد قال اللّه تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ﴾ (١)

وقال رسول اللّه ﷺ دَع ما يُريبك الىٰ ما لا يُريبك.ثمّ عَلّل ﷺ ما ذكره من ترك الشّبهات بقوله فأنّ الفِتنة طالما أغدفت جلابيبها، شبّه ﷺ الفِتنة بالمرأة التّي أرسَلَت قناعها علىٰ وجهها فَسَتَرته أو بـاللّيل الّـذي أرخـىٰ سـدُوله أي أغطيته من الظّلام والجلابيب جمع جلباب وهو الثّوب الأعلىٰ الّذي تغطي ما تحته والمعنىٰ أنّ شأن الفِتنة هو الإستتار والخَفاء أي إستتار الحقّ وخفاءه فيها فأنّها كالمرأة التّي أَغدَفت وأرسَلَت جَلاَبِيبَها فلا يمكن رؤيتها، وأيـضاً شأن الفِتنة إعشاء الأبصار عن درك حقيقتها لكونها مُظلمة والمراد بالأبصار الأبصار الظّاهرة دون الباطنة منها ويمكن أنّ يراد بـها الأعـمّ مـنها وذلك لأنّ البـصر الواقعي أعني به رؤية القلب فهو أيضاً عاجز عن تَشخيص الحقّ في الفِتنة إلّا من وَفّقه اللّه وعَصَمه من الزّلل ولأجل هذا تـرىٰ أكـثر النّـاس يَـزلّون فـيها ويضلّون ولا حَول ولا قوّة إلّا باللّه منها:

□ قوله ﷺ: وقَدْ أَتَانِي كِتَابٌ مِنْكَ ذُو أفانِينَ منَ القَوْلِ ضَعُفَتْ قُوَاها عَنِ السِّلْمِ، وأساطِيرَ لمْ يَحكُها مُنْكَ عِلْمٌ ولا حِلْمٌ أَصْبَحْتَ مِنها كالخَائِضِ فِي الدَّهاسِ والخَابِطِ فِي الدِّيمَاسِ وتَرَقَّيْتَ إلى مَرْقَبةٍ بَعِيدَةِ المَرَامِ نازِحَةِ الأَعْلاَمِ تَقْصُرُ دُونَها الأَنُوقُ ويُحاذِي بهَا العَيُّوق...

أي أنّ الكتاب الّذي أرسَلته الَي قد وَصَل ورأيته فَتَشَتت القـول ضَـعُفت قُواها من السِّلم، والضّمير في (قواها) يرجع الىٰ الأفانين، والمراد بضعفها عن السِّلم هو الشّروط التّي ذكرها معاوية مثل إبقاءه ولياً علىٰ الشّام وتَسليم قتلة

١- آل عمران ـ٧

عثمان اليه وقال الشّارح المُعتزلي في المقام أنّ معاوية كَتب اليه عليه السلام وطَلب منه أنْ يفرده بالشّام وأنْ يُوليه العَهد بعده، وإلّا يُكلّفه الحضور عنده وقال أي ليس لتلك الطّلبات والدّعاوي والشّبهات التّي تَضمنها كتابك من القُوّة ما يقتضي أنْ يكون المُتمسك بها مُسلماً لأنّه كلام لا يقول به إلّا من هو كافر أو منافق أو فاسق والكافر ليس بمُسلمٍ والفاسق أيضاً ليس بمُسلمٍ على قول أصحابنا انتهىٰ.

وأمّا قوله رأساطير فهو عطف علىٰ ذو أفانين والتّقدير أنّه كان ذو أساطير والأساطير جمع أُسطُورة بضّم الألف وإِسطارة بكسرها ومعناها الأباطيل والخُرافات التّي لا معنىٰ لها واقعاً ولذلك قال عليه السلام: **لَم يَحُكها** أي لم ينسجها منك علم ولا حلم أي ولا عقل، وحَوك الكلام صَنعَته ونظمه، والمقصود أنّ الكتاب كان خالياً عن الحَقائق والواقعيات بحيث أنّ العالم العاقل لا يتفوه بمثل هذه الخُرافات والمَوهُومات أَضبَحتَ مِنها أي من (الأساطير) المذكورة في كتابك (كالخَائِضِ) الغامر في الدَّهاس وهو الأرض التّي لا رمل فيها ولا تراب ولكنّها رَخوة يُعسر فيها السّير، والخابط في الدّيماس وهو المكان المُظلم يقال خَبط في سيره اذا لم يهتد أي أنّك كَمَن يمشي في الأرض الرّخوة التّي يتعسر السّير فيها أو في المكان المُظلم الّذي لا يهتد فيه الماشي وهما كنايتان عن سُوء تدبيره وإعوجاج طريقه ومذَهَبه كما قيل بالفارسية:

ترسم نَرَسي بكعبة اي أعرابي كاين رَه كه تو ميروي بتُركسانست

وفي قوله عليه السلام: **وتَرَقّيْتَ إلىٰ مَرْقَبةٍ بَعيدَةِ المَرَامِ** الىٰ آخر الكلام إشارة الىٰ خروج معاوية عن زيّه وتمّنيه ما لا يُليق بالوصول اليه فأنّ المَرْقَبة بفتح الميم وسكون الرّاء وفتح القاف بعده كالمَكرَمة إسم مكان من الإرتقاب والمعنىٰ أنّك ترّقيت نفسك الىٰ مكان الإرتقاب أعني العلو والأشراف أي رَفَعت نفسك الىٰ منزلةٍ بعيدٌ عنك البلوغ اليها لعدم لياقتك وإستعدادك، نازحة الأعلام أي خفيّة المسالك فأنّ الأعلام جمع عَلَم وهو ما يُهتدىٰ به في

الطّرقات من المَنار والمراد بكونها نازحة أنّها بعيدة خفّية لا يمكن الوصول اليها والإهتداء بها وهما أي قوله بعيدة المرام ونازحة الأعلام، من إضافة الصّفة الىٰ الموصوف والتّقدير، مرامه بعيد وأعلامه نازحة، وقوله ﷺ: **تَقْصُرُ دُونَها الأَنُوقُ** معناه أنّك تطلب شيئاً يكون بعده منك بحيث تقصر عن البلوغ اليه الأنوق، ويحاذي بها العَيّوق في الإرتفاع والعُلّو، وتخصيصه، الأنوف بالذّكر لأنّه علىٰ ما قيل، طائر، أَصلع الرّأس أَصَفر المنقار يقال هو أعزّ من بيض الأنوق لأنّها تحرزه ولا يكاد يظفر به أحد لأنّ أوكارها في رؤوس الجِبال أو القُلل الصّعبة والأماكن البعيدة، وأمّا العَيّوق فهو نجم أحمر مُضيٌ في طرف المجرة الأيمن يتلو الثّريا لا يتّقدمها والمقصود أنّ مطلوبك يكون في الإرتفاع وهو الشّأن بحيث يَعجز عن الوصول اليه الأنوق ويحاذي بها العَيّوق فكيف تريد أن تصل اليه كما قيل بالفارسية:

اى مَگس عَرصة سيمُرغ نه جولانگه تُست

عِرض خود ميري وزحمت ماميداري

ثمّ الكلام في تعيين المَرقَبة وأنّها ما هي فجميع الشّراح علىٰ أنّها الخلافة أي أنّك تطلب الخلافة وأنّىٰ لك والخلافة والحال أنّ البُعد بينك وبينها كذا وكذا:

فأن قلت ـ كيف قال ذلك وقد علِمنا أنّ معاوية وَصَل اليها:

قلت ـ أنّ معاوية وَصَل الىٰ مقام الحكومة والسّلطنة لا الخلافة والمنفي في كلامه ﷺ هو الثّاني.

وأمّا الأوّل: أعني الحكومة فلا وذلك لأنّ الحكومة بمعناها العامّ لا يشترط في الوصول اليها العقل والعلم فضلاً عن الايمان والعدالة والتّقوىٰ وغيرها من الأوصاف بل كثيراً ما كانت الحكومات بأيدي الأشرار والفجّار أمثال فرعون ونمرود وفي الإسلام معاوية ويزيد وعبد الملك وأمثالهم وأمّا الخلافة عن الله ورسوله فحيث إشترط فيها من الشّروط ما إشترط فلا ينال اليها أَحَد إلّا من جَعَله الله لائقاً بها من المعصّومين فكأنّ أمير المؤمنين أَعلَمه بما أشرنا اليه هذا

علىٰ مذاق القوم في شرح كلامه عليه السلام من أنّ مراده عليه السلام الخلافة في المقام:

ويمكن أن يكون مراده عليه السلام شيئاً آخر وهو شُروطه الّتي إشتَرطَها معاوية في كتابه للصّلح وعليه فالمعنىٰ أنّ وصولك الىٰ هذه الشّرائط من المُحالات وهذا الإحتمال أقوىٰ ممّا ذكروه لوجهين:

أحدهما: أنّ الخلافة حالها مَعلُوم ومن البَعيد جدّاً إدّعاء معاوية أيّاها في كتابه الّذي كَتَبه الىٰ أمير المؤمنين ولم نظفر علىٰ أصل الكتاب حتّىٰ نقول ما نقول علىٰ سبيل القطع والجزم ولذا قلنا من البعيد وأظنّ أنّ غيرنا من الشّراح أيضاً لم يظفر به:

وثانيها: أنّ أمير المؤمنين بعد قوله هذا أَردف كلامه بقوله وحاش لِللّه أن تلي المُسلمين الخ كما ستَعرِفه وهو دليل علىٰ أنّ البَحث كان في الولاية علىٰ النّاس أي إبقائه علىٰ الشّام في حياته والعَقد له بعد وفاته وقد علمت أنّ هذا كلّه كان من شرُوط الكتاب:

▫ **قوله عليه السلام: وحَاشَ لِلّهِ أَنْ تَلِيَ لِلْمُسْلِمينَ بَعْدِي صَدَراً أَوْ وِرْدً أَوْ أُجْرِيَ لَكَ علىٰ أحَدٍ مِنْهُمْ عَقْداً أَوْ عَهْداً فَمِنَ الآنَ فَتدارَكْ نَفْسَكَ وأنْظُرْ لَها فإنكَ فرَّطْتَ حتّ يَنْهَدَ إليكَ عِبادُ اللّهِ أُرْتِجَتْ عَليكَ الأُمُورُ ومُنِعْتَ أمْراً هُوَ مِنْكَ اليَوْمَ مَقْبُولٌ والسَّلاَم...**

كلمة (حَاشَ) بفتح الشّين ومعناه التّنزيه والإستثناء وإشتقاقه من قولك كُنت في حاشا فلان أي في ناحيته قاله الجَوهري فيقال حاش لِللّه تنزيهاً له تعالىٰ ولا يقال حاشَ لك قياساً عليه، نعم يقال حاشاك وحاشا لك وحاشاه من الرّحم نزّهَهَ:

وقال الرّاغب في المُفردات حاشَ لِللّه أي بُعداً منه ونقل عن أبي علّي أنّه قال، حاشَ ليس بإسم ولا حَرف، أمّا أنّه ليس بإسمٍ لأنّ حَرف الجّر لا يدخل علىٰ مثله ،وليس بحرفٍ لأنّ الحَرف لا يُحذف منه ما لم يكن مضّعفاً، تقول حاشَ، وحاشىٰ ومنهم من جَعَل حاشَ أصلاً في بابه وجَعَله مَن لفظة الحَوشَ

أي الوَحَش ومنه حُوشيّ الكلام انتهى:

ثمّ أنّه ﷺ صَدّر كلامه به لِلدّلالة على أنّ قوله هذا حقّ لا مِرية فيه ومعناه نعوذ باللّه أو معاذ اللّه أن يكون كذلك وهو مأخوذ من القرآن حيث قال ﷺ في سورة يُوسف: ﴿وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَراً إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾(١)

وقال في موضع آخر: ﴿قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ﴾(٢)

والمعنى معاذ اللّه (أَنْ تَلِيَ لِلْمُسْلِمِينَ بَعْدِي صَدَراً ولا وِرداً) والصَّدَر بالتّحريك الرّجوع بعد الشُّرب، والوِرد بكسر الواو الإشراف على الماء وهما كنايتان عن عدم تَولّيه الأمر أي لا تتولاهم في جلب منفعة ولا ركُون الى راحةٍ (أَوْ أُجْرِيَ)أي وحَاشَ لِللّه أيضاً من أن (أُجْرِيَ لَكَ على أحَدٍ)من المُسلمين (عَقْداً أَوْ عَهْداً)فضلاً عن كلّهم (فَمِنَ الآنَ فَتَدَارَكْ نَفْسَكَ) وأفعل ما شئت وأُنظر لها أي لنفسك فأنّك أنْ فرّطتَ في الإتّباع لها حتّى ينهد ويَنهض اليك عباد اللّه بالقيام عليك أُرتّجت أي أُغلقت عَليك الأمور ومُنعتَ أمراً هو منك اليوم مقبول وذلك الأمر هو حقن دماء المُسلمين بإظهاره الطّاعة وأمّا بعد إغلاق الأمور فيقال له ولات حينَ مناص ومحّصل الكلام هو الإستفادة من الفُرصة قبل فوتها والسّلام على أهله:

١- يُوسف ـ ٣١

٢- يُوسف ـ ٥١

ومن كتاب له ﷺ (٦٤)

الىٰ عبد الله بن العبّاس

▫ قوله ﷺ: أَمَّا بَعْدُ فإِنَّ المَرْءَ لَيَفْرَحُ بالشَّيْءِ الّذِي لمْ يُكنْ لِيَفُوتَهُ ويَحْزَنُ علىٰ الشَّيْءِ الّذي لمْ يكُنْ لِيُصِيبَهُ فَلاَ يكُنْ أفْضَلُ ما قِلْتَ في نَفْسِكَ منْ دُنْياكَ بُلُوغَ لَذَّةٍ أوْ شِفَاءَ غَيْظٍ ولكنِ إِطْفاءَ باطِلٍ أوْ إحْيَاءَ حقٍّ ولْيَكُنْ سُرُورَكَ بمَا قَدَّمْتَ وأسَفْكَ علىٰ ما خَلَّفْتَ وَهمُّكَ فِيما بَعْدَ المَوْتِ...

◁ اللّغة

(المَرْءَ) مثلثة الميم الإنسان وجمع رجال من غير لفظه وسُمِع مَرؤون أيضاً: (لَيَفْرَحُ) يفرح فعل مضارع وماضيه فَرِح ومصدره الفَرَح وهو السّرور (لِيَفُوتَهُ) أيضاً مضارع من فاتَ يفوتُ وكذلك يَحزَن ويُصيب والماضي منهما، حَزَن وأَصابَ (نِلْتَ) بكسر النّون من نالَ يَنال فعل ماضي والتّاء فيه للخطاب أي وَصَلت (وَلْيَكُنْ) بفتح الياء وضمّ الكاف أصله يكون، حُذفت الواو جَزَماً باللاّم الدّاخل عليه والباقي واضح:

◁ المعنىٰ

(أَمَّا بَعْدُ فإِنَّ المَرْءَ لَيَفْرَحُ) ويَسُر (بالشَّيْءِ الّذِي لمْ يكُنْ لِيَفُوتَهُ) بل كان واصلاً اليه لا محالة (وَيَحْزَنُ) ويتأسف (علىٰ الشَّيْءِ الّذِي لمْ يكُنْ لِيُصِيبَهُ) وأنْ جَدّ في طلبه وإذا كان الأمر علىٰ هذا المنوال (فَلاَ يكُنْ أفْضَلُ ما نِلتُ) ووَصلتَ

اليـه (**فِي نَفْسِكَ مِنْ دُنْيَاكَ بُلُوغَ لَذَّةٍ**) جسـمانية أو روحـانية (**أَوْ شِفَاءَ غَيْظٍ**) بأعمالك الغَضَب في مورده (**ولكِنْ إطْفَاءَ باطِلٍ**) وإماتته (**أَوْ إحْيَاءَ حَقٍّ**) وإقامته فأنّهما يليقان بأن تسّر في وصُولك اليهما (**وَلْيَكُنْ سُرُورُكَ بِمَا قَدَّمْتَ**)لآخرتك (**وأَسَفُكَ**) أي حُزنك (**علىٰ ما خَلَّفْتَ**) بعد مَوتك لِوَرَثتك أن كان مالاً وللجامعة أن كان عـملاً (**وهَمُّكَ**) أي وَلْـيكُن هَـمُّك واهـتمامك (**فِيما بَعْدَ المَوْتِ**) أي لآخرتك:

◁ الشَرح

▫ **قوله ﷺ أَمَّا بَعْدُ فإنَّ المَرْءَ لَيَفْرَحُ بالشَّيْءِ الّذِي لمْ يكُنْ لِيَفُوتَهُ ويَحْزَنُ علىٰ الشَّيءِ الَّذِي لمْ يكُنْ لِيُصِيبَهُ...**

حاصل المعنىٰ أنّ الأمور ليست بإختيار الإنسان بمعنىٰ أنّه كلّ شَـيئ أراده أصابه وكلّما لم يَرده لم يُصيبه بل قد يَصِل الإنسـان الىٰ مـا لم يـرده أصـلاً وبالعكس وعليه فكثيراً ما يفرح ويَسُر الإنسان بوصوله الىٰ شيئ كان مقدراً له ظنّاً منه أنّه وَصَل اليه بجدّه وإجتهاده كما أنّه ربّما يحزن علىٰ فوت شـيئ لم يقّدر علىٰ إصابته وأن كان مُجدّاً في طلبه وذلك مثل المريض الّذي يَرجع الىٰ الطّبيب فَيَبرء من مرضه والّذي لا يرجع اليه فَيموت أو يشّتد مرضه بـحيث يصعب علاجه والأوّل لا يعلم أنّه لو لم يرجع الىٰ الطّبيب مثلاً لا يضّره لِسهُولة مَرَضه والثّاني أيضاً لا يعلم بأنّه لو رجع اليه أيضاً يمُوت ولا علاج لِمَرضه فلا يَبَرء أصلاً وكما أنّ الأنسان يَسّر ويَفرح بِوَلَده من زوجته ويظّن أنّ العِلّة في وجوده هو هذه الزّوجة بمعنىٰ أنّه لولم يتزوج بها مثلاً وتزّوج بغيرها لم يكن له وَلَد مع أنّ الواقع ليس كذلك وبالعكس يَحْزَن علىٰ عدم الوَلَد ظَنّاً منه أنّ العِلّة هو زوجته أو غير ذلك من العِلل وليس كذلك بل العِلّة في طرفي الوجود والعَدَم هي إرادة اللّه ومَشيئته ولأجل ذلك نقول أنّ كثيراً من موارد السـرُور والحُزن في الدّنيا من هذا القبيل ولُبّ الكلام أنّ العِلّة لَيست تحت إختيار العبد نعم إرادته وفِعله وإستقامته لها مدخل كثير في وجود المعلول وعـدمها فـي

عدمه ولكنّها ليست عِلَة تامّة فأنّ المقدر كائن وما قدرّه الله تعالىٰ للعبد فهو آت لا محالة ولعلّ هذا الكلام منه ﷺ مأخوذ من قوله تعالىٰ حيث قال: ﴿لِّكَيْلاَ تَأْسَوْا عَلَىٰ مَافَاتَكُمْ وَلاَ تَفْرَحُوا بِمَآ آتَاكُمْ﴾[1] ثمّ أعلم أنّ القّضية جزئية لا كلّية أي قد يكون كذلك وقد لا يكون لأنّ الموارد كلّها كذلك نعم في أكثر الموارد من الأمور الدّنيوية يكون الأمر علىٰ هذا المنوال كما مثّلنا بها وفي بعضها ليس كذلك بل يكون الوصول الىٰ الشّئ موقوفاً علىٰ الأسباب المادّية بحيث لولم يوجد السّبب لا يوجد المُسّبب وأن كانت إرادة الله فيه أيضاً مؤّثرة وهو ظاهر وكما في الخيرات من الأعمال والأقوال فأنّ الإنسان اذا تسامح وتساهل فيها ولم يغتنم من الفُرصة الّتي حَصَلت له يفوت الخير قطعاً وعليه فسرُوره بإتيان الخير في محلّه وحُزنه علىٰ عدمه كذلك فما ذَكَره ﷺ ناظر الىٰ الدّنيا ونِعَمِها في أكثر الموارد وهو صحيح:

▫ **قوله ﷺ: فَلاَ يكُنْ أَفْضَلُ ما نِلتَ في نَفْسِكَ منْ دُنْياكَ بُلُوغَ لَذَّةٍ أَوْ شِفاءَ غَيْظٍ...**

الفاء للتّفريع أي اذا كان حال الدّنيا ونِعمها كذلك فَلاَ (يكُنْ أَفْضَلَ ما نِلْتَ) ووصلتَ اليه فيها (**بُلُوغَ لَذَّةٍ أَوْ شِفَاءَ غَيْظٍ**) بالغَلَبة علىٰ العدّو أو إعمال الغَضَب في الغَير وذلك لأنّ الدّنيا وما فيها لا إعتبار لها لِفنائها وعدم بقائها بحالها:

▫ **قوله ﷺ: ولكِنْ إِطْفاءَ باطِلٍ أَوْ إِحْياءَ حقٍّ ولْيَكُنْ سُرُوركَ بمَا قَدَّمْتَ وأَسَفُكَ علىٰ ما خَلَّفْتَ وهَمُّكَ فِيما بَعْدَ المَوْتِ...**

أي ولكن ينبغي أن يكون أفْضَلُ ما نِلتَ في نَفْسِكَ أُموراً أربعة:

أحدها: **إِطْفاءَ باطِلٍ أَوْ إِحْيَاءَ حقٍّ** فأنّه من أفضل الأشياء والمراد بإِطْفاءَ الباطل إماتته كما أنّ المراد بإحْياءَ الحقّ إقامته ،وكلّ ما يُؤيّده ويُصّدقه العقل والشّرع فهو حقّ وإلّا فهو باطل .

وثانيها: أن يكون سرُور الإنسان بما قدّمه لآخرته من الأعمال والحَسَنات

١- حديد-٢٣

وقد ورد في الحديث اذا مات ابن آدم قالت الملائكة ما قدّم وقال النّاس ما خلّف:

وثالثها: أن يكون الأسف والتّحسر علىٰ ما خلّفه لغيره في الدّنيا من الأموال والأعمال الّتي حَصّلّها للدّنيا وخلّفها فيها ووجه الأسف ظاهر فأنّ الوِزر والوبال عليه ومنافع ما خلّفه لو كانت، لِوَرَثَته فهو حمّال الخطايا في الحقيقة:

ورابعها: أن يكون هَمّة فيما بعد المَوت وهو الآخرة وذلك لأنّ الدّنيا دار فناء والآخرة دار بقاءٍ والعاقل لا يصرف هَمّه فيما يفنىٰ ويزول ولا يبقىٰ منه عين ولا أثر بل يعرف هَمّه فيما يبقىٰ ويَدُوم فأنّ الإنسان خُلق للآخرة لا لِلدّنيا وقد مرّ الكلام في هذه المباحث غير مرّة:

ومن كتاب له عليه السلام (٦٥)

الىٰ قثم بن العبّاس وهو عامله علىٰ مكّة

▫ قوله عليه السلام: أمّابَعْدَ فأَقِمْ لِلنَّاسِ الحجَّ وذَكِّرهُمْ بِأيَّامِ اللّٰهِ واجْلِسْ لهُمْ الْعَصْرَيْنَ فأَفْتَ الْمُستَفْتِيَ وعَلِّمِ الجَاهِلَ وذَاكِرِ الْعالِمَ ولا يكُنْ لَكَ إلَى النَّاسِ سَفيرٌ إلَّا لِسانَكَ ولا حَاجِبٌ إلَّا وَجْهَكَ ولاَ تَحْجُبَنَّ ذَا حَاجَةٍ عَنْ لِقاتِكَ بِها فإِنَّها إنْ ذِيدَتْ عَنْ أبْوَابِكَ في أوَّلِ وِرْدِها لمْ تُحْمَدْ فِيما بَعْدُ عَلىٰ قَضائِها.

وانْظُرْ إلى ما اجْتَمَعَ عِنْدَكَ منْ مالِ اللّٰهِ فاصْرِفْهُ إلى مَنْ قَبلَكَ مَنْ ذَوِي الْعِيَالِ والمَجَاعةِ مُصِيباً بِهِ مَوَاضِعَ الفَاقَةِ والخَلّاتِ وما فَضَلَ عَنْ ذلِكَ فأحمِلْهُ إلَيْنا لِنَقْسِمهُ فِيمَنْ قِبلَنا.

ومُرْ أهْلَ مَكَّةَ أنْ لا يأخُذُوا منْ سَاكِنٍ أجْراً فإنَّ اللّٰهَ سُبْحانَهُ يَقُولُ سَوَاْالعَاكِفُ فِيهِ والبَادِ، فالعَاكِفُ المُقيمُ بِهِ والبَادِي الّذِي يَحُجُّ إلَيهِ منْ غيرِ أهْلِهِ، وفَّقَنا اللّٰهُ وإيَّاكُمْ لِمَحَابِّهِ والسَّلاَمُ.

◁ اللغة

(أَقِمْ) بفتح الألف فعل أمرٍ من أقامَ يُقيم (ذَكِّر) بفتح الذّال وكسر الكاف المشدّدة أيضاً فعل أمرٍ من ذكّر يُذكّر نحو يُصّرف (أيَّامِ) جمع يوم (العَصرين) تَثنية العَصر الغداة والعَشي تغليباً (فأفْتِ) إفْت بكسر الألف وسكون الفاء وكسر التّاء فعل أمرٍ من أفتىٰ يُفتي (المُسْتَفْتِيَ) فاعل من إستَفتىٰ (علِّم) بكسر اللاّم المُشدّدة نحو صرّف أمر من علّم يُعلّم (ذَاكِرِ) أمر من ذاكَرَ يُذاكر نحو

ضارب يُضارب (ذِيدَتْ) مجهول ماضٍ من ذادَ يَذُود بمعنىٰ الطَّرد والدّفع (وِرْدِها) بكسر الواوأي وُرُودها (قِبلِكَ) بكسر القاف وفتح الباء أي عندك (الفَاقَةِ) الفقر الشّديد (الخَلاَّتِ) جمع خلّة بالفتح الحاجة (لِمَحَابِّهِ) محابّ بفتح الميم مواضع مَحبّة من الأعمال الصّالحة:

◁ المعنىٰ

(أمَّا بَعْدُ فَأَقِمْ لِلنَّاسِ الْحجَّ) وَواظِب عَليه (وذَكِّرهُمْ) أي النّاس (بأيّامِ اللّٰهِ)التّي عاقب فيها الماضين علىٰ سُوء أعمالهم (وأجْلِسَ لهُمُ العَصْرَيْنِ)الغداة والعَشّي (فأفْتَ المُسْتَفْتِيَ) أي فإفت من يطلب الفتوىٰ (وعَلِّمِ الجَاهِلَ وذَاكِرَ الْعالِمَ) بالمُجالسة والمُذاكرة (ولا يكُنْ لَكَ إلىٰ النَّاسِ سَفيرٌ) أي واسطة بينك وبينهم (إلَّا لِسانَكَ ولا حَاجِبٌ) بينك وبينهم (إلَّا وَجْهَكَ ولاَ تَحْجُبَنَّ) أي لا تَمنعنَّ ذَا حَاجَةٍ عَنْ لِقَائِكَ بِها) أي بالحاجة (فإنَّها إنْ ذِيدَتْ)ومُنعت (عَنْ أبْوَابِكَ في أوَّلِ وِرْدِها) وَورُودها (لمْ تُحْمَدْ) أنت (فِيما بَعْدُ) أي بعد فوتها (عَلى قَضَائِها) اذ القضاء ليس كالأداء (وأنْظُرْ إلىٰ ما اجْتَمعَ عِنْدَكَ منْ مالِ اللّٰهِ) في بيت المال (فاصْرِفْهُ إلىٰ مَنْ قِبلِكَ) أي من عندك (منْ ذَوِي الْعِيَالِ والمَجَاعَةِ) والجُوع (مُصِيباً بِهِ مَوَاضِعَ الفَاقَةِ والخَلاَّتِ) أي مَواضع الفقر والحاجة (وما فَضَلَ) وزاد (عَنْ ذلِكَ فأحمِلْهُ إلَيْنا لِنَقْسمهُ فِيمَنْ قِبلَنا) ومَن عندنا (ومُرْ أهْلَ مَكَّةَ أنْ لا يأخُذُوا مَنْ سَاكِنٍ أجْراً فإنَّ اللّٰهَ سُبْحانَهُ يقول: ﴿ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ﴾ [1] فالعَاكِفُ المُقيمُ بهِ والبَادِي الّذِي يَحُجُّ إلَيهِ من غيرِ أهْلِهِ) من البلاد القَريبة والبَعيدة (وَفَّقَنا اللّٰهِ وأيَّاكُمْ لِمَحَابِّهِ) أي مَواضع مَحبّته من الأعمال الصّالحة والأقوال الحَسَنة والسّلاَمْ.

١- الحج ـ ٢٥

◁ الشَرح

□ **قوله ﷺ: أَمَّا بَعْدَ فَأَقِمْ لِلنَّاسِ الْحَجَّ وذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ...**

الحَجّ بفتح الحاء مصدر قولك حَجّ يَحجّ حَجّاً وبكسر الحاء اسم المَصدر والقرآن نَطَق بهما: قال تعالى: **﴿فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ اَوِاعْتَمَرَ﴾**(١) وقال: **﴿لِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حَجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ اِلَيْهِ سَبِيلاً﴾**(٢) وهو في اللّغة القصد وفي عُرف الفقهاء قَصد البيت للتَّقرب الىٰ اللّه بأفعالٍ مَخصُوصة وأماكن مخصُوصة وزمانٍ مَخصُوص وإقامة الحَجّ المُواظبة عليه ليَقَع ولايَترَك وقيل إقامة الشّيْ إتيانه علىٰ وَجهه والأوّل أَصَّح وأَشمَل وكيف كان فهو من الواجبات الشّرعية الضّرورية في الدّين.

بالأدّلة الأربعة ومُنكره يُعدّ كافراً وقد مَرّ الكلام فيه مُفصّلاً في المُجّلد الأوّل أنّ شئت فَراجعه:

وأمّا أيّام اللّه، فقد قال اللّه تعالىٰ في كتابه: **﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِأَيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَىٰ النُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَأَيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾**(٣)

وقال تعالىٰ: ﴿قُل لِّلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْماً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾(٤)

ثُمّ أنّهم إختلفوا في المراد بها، فقال المُعتزلي هي أيّام الإنتقام لتحصل الرّغبة والرّهبة وقيل أيّام اللّه الّتي عاقب فيها الماضين علىٰ سُوء أعمالهم وعليه فالمراد بها أيّام الإنتقام فقط وأنت ترىٰ أنّ ما ذكروه لا يرجع الىٰ مُحصّل فأنّه من التّفسير بالرّأي والحقّ هو الرّجوع الىٰ أهل البيت في تفسير الآية فقد روىٰ البحراني ﷺ في تفسير البُرهان عند قوله تعالىٰ وذَكِّرهم بأيّام اللّه ما لفظه:

حدثنا أحمد بن يحيىٰ العطّار قال حدثنا سعد بن عبد اللّه قال حدّثني

١- البقرة - ١٥٨
٢- آل عمران - ٩٧
٣- إبراهيم - ٥
٤- الجاثية - ١٤

يعقوب بن يزيد عن مُحمّد بن الحسن الميثمي عن مثّنىٰ الحنّاط قال سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول أنّ أيّام اللّه عزّ وجلّ ثلاثة، يوم يقوم القائم، ويوم الكرّة، ويوم القيامة انتهىٰ...

وفي حديث آخر ويوم المَوت بدل يوم الكرّة...

ثُمّ أنّ إضافة الأيّام الىٰ اللّه تعالىٰ للتّشريف كما يقال بيت اللّه والمقصود من تذكّرها لهم هو تَرغيبهم وتحريصهم علىٰ العَمل لِلآخرة وأنّ لا يركنوا علىٰ الدّنيا فأنّ الغفلة رأس الشّرور والآفات ومنشأ البَليات والخَطيئات ومن أعَرَض عن ذكري فأنّ له معيشة ضنكاً...

□ قوله عليه السلام : واجْلِسْ لَهُمُ الْعَصْرَيْنِ فأفْتِ الْمُسْتَفْتِيَ وعَلِّمِ الجَاهِلَ وذَاكِرِ الْعالِمَ...

المراد بالعَصرين الغداة والعَشي علىٰ سبيل التّغليب كالحَسنين أمره بالجلُوس لِلنّاس في الغداة والعَشي لقضاء حوائج النّاس ثُمّ قال عليه السلام فأفْتِ المَسْتَفْتِيَ وهو الّذي يطلب الفتوىٰ والحكم الشّرعي وعلِّم الجاهل بالأحكام الشّرعية وأنقذه من الضّلالة وذاكر العالم فأنّ مذاكرة العِلم من التّسبيح روي في البحار بأسناده عن الصّادق عن آبائه قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله مجالسة أهل الدّين شَرف الدّنيا والآخرة انتهىٰ...

وبأسناده عن الصّادق عليه السلام أنّه قال أنّ اللّه عزّ وجلّ يقول لملائكته عند انصراف أهل مجالس الذّكر والعلم الىٰ منازلهم إكتبُوا ثواب ما شاهدتموه من أعمالهم فيكتبُون لكلّ واحدٍ ثواب عَمله ويتركون بعض من حَضَر معهم فلا يكتبونه فيقول اللّه عزّ وجلّ ما لكم لم تكتبُوا فلاناً ألَيس كان معهم وقد شَهدهم فيقولون يا ربّ أنّه لَم يشرك معهم بحرفٍ ولا تكلّم معهم بكلمة فيقول الجليل جلّ جلاله ألَيس كان جليسهم فيقولون بلىٰ يارب فيقول إكتبُوا له ثواباً مثل ثواب أحدهم انتهىٰ« ج ١ ص ٦٣»...

قال النّبي صلى الله عليه وآله قال الحوّاريون لعِيسىٰ ياروح اللّه من نجالس قال من

يذكّركم اللّه ويزيد في عملكم منطقه ويرّغبكم في الآخرة عَملُه انتهىٰ» ص ٦٣ ج ١»...

وعن أبي ذّر قال قال رسول اللّه ﷺ يا أبا ذّر الجلوس ساعة عند مذاكرة العِلم أحبّ الىٰ اللّه من قيام ألف ليلة يصّلي في كلّ ليلة ألف ركعة والجلوس ساعة عند مذاكرة العلم أحبّ اللّه من ألف غزوة وقراءة القرآن كلّه قال يا رسول اللّه مذاكرة العلم خير من قراءة القرآن فقال رسول اللّه يا أبا ذّر الجلوس ساعة عند مذاكرة العلم أَحبّ الىٰ اللّه من قراءة القرآن كلّه أثني عشر ألف مرّة عليكم بمذاكرة العلم فأنّ بالعلم تعرفون الحلال من الحرام يا أبا ذّر الجلوس ساعة عند مذاكرة العلم خير لك من عبادة سنة صيام نهارها وقيام ليلها والنّظر الىٰ وجه العالم خير لك من عِتق ألف رقبة انتهىٰ «ج ١ ص ٦٣»...

وروي عن بعض الأصحاب قال جاء رجل من الأنصار الىٰ النّبي فقال يا رسول اللّه اذا حضرت جنازة ومجلس عالم أيّهما أفضل (أحبّ اليك) أن أشهد فقال رسول اللّه ﷺ أن كان للجنازة من يتبعها ويدفنها فأنّ حضور مجلس عالمٍ أفضل من حضور ألف جنازة ومن عيادة ألف مريض ومن قيام ألف ليلة ومن صيام ألفِ يوم ومن ألف درهم يتّصدق بها علىٰ المساكين ومن ألف حجّة سوىٰ الفريضة ومن ألف غزوة سوىٰ الواجب تغزوها في سبيل اللّه بمالك ونفسك وأين تقع هذه المشاهدة من مشهد عالمٍ أما علمتَ أنّ اللّه يطاع بالعلم ويُعبد بالعِلم وخير الدّنيا والآخرة مع العلم وشّر الدّنيا والآخرة مع الجهل انتهىٰ« ج ١ ص ٦٤ » والأحاديث كثيرة في الباب:

▫ قوله ﷺ: ولا يكُنْ لَكَ إلى النّاسِ سَفيرٌ إلاَّ لِسانَكَ ولا حَاجِبٌ إلاَّ وَجْهَكَ ولاَ تَحْجُبَنَّ ذَاحَاجَةٍ عَنْ لِقائِكَ بِها فإنَّها عَنْ ذِيدَتْ عَنْ أَبْوَابِكَ في أَوَّلِ وِرْدِها لمْ تُحْمَدْ فِيما بَعْدَ عَلى قَضَائِها...

لمّا أمره في صدر كلامه بثلاث أشياء إقامة الحجّ، والتّذكير بأيّام اللّه وجلوس العَصرين، نهاه في المقام عن ثلاث أيضاً، كلّها من المُوبقات المُهلكات ولا سيّما للوِلاة:

أحدها: الواسطة بين الوالي والرّعية وعبّر عنها بالسّفير فقال ولا يكن لك الىٰ النّاس سفير إلّا لسانك أي وليَكُن سفيرك لسانك والوجه فيه ظاهر وتوضيحه أنّ السّفير يتّصور علىٰ قسمين أَحَدهما أن يكون مؤمناً صالحاً قابلاً لِلإعتماد وهو مع قلّته ونُدرته جائز الخطأ في عَمله وقوله فلا يبعد له الإشتباه في سفارته ولا أقلّ من سُوء التّعبير وتغيير اللّفظ وهو يكفي في نقض الغَرَض، وثانيهما أن يكون فاسقاً منافقاً وهو لا يحتاج الىٰ البيان وهو الأكثر:

وثانيها: الحاجب المانع عن دخول النّاس علىٰ الوالي وعَرضَهم الشّكايات عليه فقال عليه السلام: **ولا حَاجِبٌ إلاَّ وَجْهَكَ** والسّر فيه أيضاً ما ذكرناه في السّفِير:

وثالثها منع ذَوي الحاجات فقال عليه السلام: **ولاَ تَحْجُبَنَّ** أي لا تَمنعنّ ذا حاجةٍ عن لقائك وتأكيد الفعل بالنّون المثقلة دليل علىٰ عِظم الأمر وأنّه ينبغي التّوجه اليه وأستدّل عليه السلام علىٰ المدّعي بأنّ الحاجة أنْ مُنعت عن أبوابك في أوّل ورُودها لم تُحمد فيما بعد علىٰ قضائها، أي قضاء حاجة المحتاج بعد مضّي زمان حاجته ليس مثل قضائها في بَدْو الأمر وأَوَان الحاجة و عليه فشُكر المحتاج في أوّل الأمر أفضل وأعظم منه في الزّمان الثّاني وكيف كان ففيه حَثّ علىٰ قضاء حوائج المحتاجين وعَدَم التّساهل فيه والأخبار الواردة في فضله كثيرة جدّاً:

روىٰ في البحار بأسناده عن إسحاق بن عمّار قال قال أبو عبد اللّه يا إسحاق من طاف بهذا البيت طوافاً واحداً كتب اللّه له ألَف حَسَنة ومَحىٰ عنه ألف سيّئة وَرَفع له ألف درجة وغرس له ألف شجرة في الجنّة وكتب له ثواب عتق ألف نسمة حتّىٰ أذا صار الىٰ الملتزم فتح اللّه له ثمانية أبواب الجنّة يقال له أُدخُل من أيّها شئت قال فقلت جُعلت فداك هذا كلّه لمن طاف قال عليه السلام نعم

أفلا أُخبرك بما هو أفضل من هذا قال قلت بلىٰ قال مَن قَضىٰ لأخيه المؤمن حاجة كتب اللّه له طَوافاً وطَوافاً حتّىٰ بلَغ عَشراً انتهىٰ «ج ١٦ ص ٨٥»...

وبأسناده عن زيد بن أرقم قال قال رسول اللّه ﷺ ما من عبدٍ لاطَفَ أخاه في اللّه عزّ وجلّ بشيءٍ من اللّطف إلّا أَخدمه اللّه مِن خَدم الجنّة انتهىٰ «ص ٨٥»...

وبأسناده عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال ما قضىٰ مُسلم لِمُسلم حاجةً إلّا ناداه اللّه علىٰ ثوابك ولا أرضىٰ لك بدون الجنّة انتهىٰ «ص ٨٦»...

وعن الكاظم عليه السلام أنّه قال لعلّي بن يقطين، من سَرّ مؤمناً فباللّه بَدأ وبالنّبي ثنّىٰ وبنا ثلّث وقال عليه السلام أنّ لِلّه حَسَنة إدّخرها لثلاثة، لإمامٍ عادل، ومؤمن حكم أخاه في ماله ومن سعىٰ لأخيه المؤمن في حاجة انتهىٰ «ص ٨٨»...

وبأسناده عن زيد الشّحام قال سمِعت أبا عبد اللّه يقول من أغاث أخاه المؤمن اللّهفان اللّهثان عند جهده فنّفس كربته وأعانه علىٰ نجاح حاجته كتب اللّه عزّ وجلّ له بذلك أثنتين وسبعين رحمة من اللّه يعجّل له منها واحدة يصلح بها أمر معيشته ويدّخر له أحدىٰ وسبعين رحمة لإفزاع يوم القيمة وأهواله انتهىٰ «ص ٩٠»...

▫ **قوله عليه السلام: وانْظُرْ إلى ما اجْتَمَعَ عِنْدَكَ مِنْ مالِ اللّٰهِ فاصْرِفْهُ إلى مَنْ قِبَلِكَ مِنْ ذَوِي الْعِيَالَ والمَجَاعةِ مُصِيباًبِهِ مَوَاضِعَ الفَاقَةِ والخَلاّتِ ومافَضَلَ عَنْ ذلِكَ فأحمِلْهُ إلَيْنا لِنَقْسِمهُ فِيمَنْ قِبَلَنا...**

ثمّ أمَرَه عليه السلام بَصرف ما في بيت المال الىٰ ذوى الحِقُوق فقال أُنظر الىٰ ما إجْتمع عندك من مالِ اللّه في بيت المال فأصرفه أي قسّمه الىٰ مَن قِبَلك أي الىٰ مَن عندك من ذوي العيال والمَجاعة مُصيباً به مواضع الفاقة أي الفقر والخَلات أي ذوي الحاجات وفي قوله عليه السلام: مُصيباً إشارة الىٰ السّعي في الاصابة أعني بها إيصال المال الىٰ أهله وما فَضل وزاد عَمّن يكون عندك من الفقراء فأحمله الينا لنُقسمه فيمن قِبَلنا وعندنا منهم فأنّ المال مال اللّه والفقراء

عيال اللّه ولا يجوز عقلاً وشرعاً منع مال اللّه تعالىٰ عن عباده المحتاجين اليه.

▫ قوله ﷺ: **وَمُرْ أَهْلَ مَكَّةَ أَنْ لا يَأْخُذُوا مِنْ سَاكِنٍ أَجْراً فَإِنَّ اللّٰهَ سُبْحَانَهُ يَقُولُ سَوَاءَ العَاكِفُ فِيهِ والبَادِ﴾ فالعَاكِفُ المُقِيمُ بِهِ والبَادِي الّذِي يَحُجُّ إلَيْهِ مِنْ غَيْرِ أَهْلِهِ وَفَّقَنا اللّٰهُ وإِيَّاكُمْ لِمَحَابِّهِ والسَّلاَمُ...**

قال الشّارح المُعتزلي في المقام ما لفظه:

ثُمّ أَمَره أنّ يأمر أهْلَ مَكَّةَ أنْ لا يأخُذوا منْ أحدٍ من الحَجيج أجرة مَسكن وإحتج على ذلك بالآية وأصحاب أبي حنيفة يتمسكون بها في إمتناع بيع دُور مكّة وإجارتها وهذا بناءٌ علىٰ أنّ المَسجد الحرام هو مكّة كلّها والشّافعي يرىٰ خلاف ذلك ويقول أنّه الكعبة ولا يمنع من بيع دُور مكّة ولا إجارتها انتهىٰ.

أقول: أصل الآية **﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾**[1] قال الطّبرسي في تفسير الآية والمَسجد الحرام الّذي جعلناه لِلنّاس أي مستقراً ومَنسكاً ومتّعبداً وقيل معناه خلقناه للنّاس كلّهم لم يخصّ به بعض دون بعض وقال الزّجاج جعلناه للنّاس وقف تام ثُمّ قال سواء العاكف فيه والبادِ أي العاكف المُقيم فيه والباد الّذي ينتابه من غير أهله مستويان في سكناه والنّزول به فليس أحدهما أحقّ بالمنزل فيه من الآخر غير أنّه لا يُخرج أحدٌ من بيته وعن ابن عبّاس وقتاده وسعيد بن جبير أنّ كراء دُور مكّة وبيعها حرام والمراد بالمَسجد الحرام علىٰ هذا الحَرَم كلّه كقوله: **﴿أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾**[2] وقيل المراد بالمسجد الحرام عين المسجد الّذي يُصلّي فيه وعلىٰ هذا يكون المعنىٰ في قوله وجعلناه للنّاس أي قبلة لِصَلاتِهم ومَنسكاً لحجّهم فالعاكف والباد سواء في حكم النّسك وكان المشركون يمنعون المُسلمين عن الصّلوة في المَسجد الحرام والطّواف به ويدّعون أنّهم أربابه وولاته انتهىٰ ما ذكره:

١- الحج ـ ٢٥
٢- الاسراء ١٧

وقال البحراني ﷺ في تفسير البُرهان الّذي مداره على الأخبار عن أهل بيت الرّسول المُختار ما لفظه:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ﴾ (١) علّي ابن إبراهيم قال - قال ﷺ نزلت، في قريش حين صدّوا رسول اللّه ﷺ عن مكّة:

مُحمّد بن يعقوب عن عدّة من أصحابنا عن أحمد بن مُحمّد عن علّي بن الحكم عن الحسين بن العَلاء قال قال أبو عبد اللّه ﷺ أنّ معاوية أوّل من علّق على بابه مصراعين بمكّة فَمَنع حاجّ بيت اللّه ما قال اللّه عزّ وجلّ سواء العاكف فيه والباد وكان النّاس اذا قدموا مكّة تنزل البادي على الحاضر حتّى يقضي حجّه وكان معاوية صاحب السّلسلة الّتي قال في سلسلة عرضها سبعون ذراعاً فأسلكوه أنّه كان لا يؤمن باللّه العظيم وكان فرعون هذه الأُمّة انتهى:

وبأسناده عن أبي عبد اللّه ﷺ عن أبيه قال لم يكن لدُور مكّة أبواب وكان أهل البوادي يأتون بقطرانهم فيدخلون فيضربون بها وكان أوّل من بوّبها معاوية انتهى:

وبأسناده عن جعفر عن أبيه عن علّي قال أنّ رسول اللّه ﷺ نهى أهل مكّة عن إجارة بيوتهم وأن يغلقوا عليها (عليهم) أبواباً وقال سواء العاكف فيه والبادي انتهى« ج ٢٠ ص ٧٠٣»...

---

١ - الحج - ٢٥

ومن كتاب له عليه السلام (٦٦)
الىٰ سلمان الفارسي رحمه الله

□ قوله عليه السلام: **أمَّا بَعْدُ فإنَّما مَثَلُ الدُّنْيا مَثَلُ الحَيَّةِ لَيِنٌ مَسُّها قاتِلٌ سُمُّها فأعْرِضْ عَمَّا يُعْجِبُكَ فِيهَا لِقِلَّةِ ما يَصْحَبُكَ مِنْها وضَعْ عَنْكَ هُمُومَها لِمَا أيْقَنْتَ منْ فِرَاقِهَا وكُنْ آنس ما تَكُونُ بهَا أحْذَرَ ما تَكُونُ مِنْها .فإنّ صَاحِبَها كُلَّما إطْمأَنَّ فِيها إلى سُرُورٍ أشْخَصَتْهُ إلىٰ مَحذُورٍ...**

◁ اللغة

(يُعجبك) يُعجب بضّم الياء مضارع قولك أَعَجب يُعجب إعجاباً (يَصحب) بفتح الياء مضارع صَحِبَ يَصْحبُ والمصدر منه الصُحب (ضَع) بفتح الضّاد وسكون العين أمرٌ من وَضَع يَضَع (آنَس) أَفَعل التفضيل من الأُنس (أحذِر) أفعَل التّفضيل من الحَذَر (أشخَصتَه) أي أذهَبَه:

◁ المعنىٰ

(**أمّا بعد فإنّما مَثَلُ الدُّنْيا مَثَلُ الحَيَّةِ لَينٌ مَسُّها**) ظاهراً لِلطافة جلدِها (**قاتِلٌ سُمُّها**) الّذي في جَوفه (**فأعْرِضْ عَمَّا يُعْجِبكَ**) أي يُوقعك في العَجَب (**فِيهَا**) من الدّنيا (**لِقِلَّةِ ما يَصْحَبُكَ مِنْها**) فَأنّ عُمر مايُصحبك من الدّنيا قليل (**وضَعْ عَنْكَ هُمُومَها**) أي لا تعتني بهمُوم الدّنيا وآلامها(**لِمَا أيْقَنْتَ منْ فِرَاقِهَا**) أي فراقَ الهُموم (**وكُنْ آنَسَ ما تَكُونُ بهَا أحْذَرَ ما تَكُونُ مِنها**) أي فليكُن أشدّ حَذَرِك

منها في حال شدّة أنسك بها **(فإنّ صَاحِبَها)** أي صاحب الدّنيا **(كلّما إطْمأنّ فِيها إلىٰ سُرورٍ أشْخَصَتْهُ)** أي أذهَبَه **(إلى مَحذُورٍ)** فسُرورها في هُمومها وهمومها في سُرورها.

◁ الشرح

▫ **قوله ﷺ: فإنّما مَثَلُ الدُّنيا مَثَلُ الحَيَّةِ لَينٌ مَسُّها قاتِلٌ سُمُّها...**

لَين، فتح اللاّم وكسر الياء المشدّدة ضدّ الخَشِن شبّه ﷺ الدّنيا في ظاهرها وباطنها بالحيّة فكما أنّ ظاهر الحَيّة لَين لا خُشونة فيه وباطنها سَمّ قاتل فكذلك الدّنيا حيث أنّ ظاهر الدّنيا يجلب كلّ ناظر اليها وأمّا باطنها ففيه السّم الضّار فَمَثل أهل الدّنيا مَثَل الصَّبي الّذي يَلعَب بالحيّة ولا يعلم ما في بطنه من السّم وأمّا العاقل الّذي يعلم باطن الحيّة فيحذر عنها كلّ الحَذَر بل يقتلها لو ظَفر بها فكذلك العقلاء بالنّسبة الىٰ الدّنيا يَحذرون منها كلّ الحَذَر ويفرّون منها فرار الشّخص من الأسد وذلك لعدم بقاء الدّنيا وما فيها وأنّها دار بالبلاء مَحفُوفة وبالغَدر مَعرُوفة والىٰ هذا أي أنّ ظاهرها غير باطنها أشار الله تعالىٰ بقوله: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾(١) وحيث أنّا قد فَصلنا الكلام سابقاً فيها وفي مضّارها وكَشَفنا عن وجهها نقابها فلا نُطيل الكلام بذمّها في المقام حَذَراً من الإطالة وخَوفاً عن المَلالة.

▫ **قوله ﷺ: فأعْرِضْ عَمّا يُعْجِبْكَ فِيهَا لِقِلَّةِ ما يَصْحَبُكَ مِنْها وضَعْ عَنْكَ هُمُومَها لِمَا أيْقَنْتَ منْ فِرَاقِها...**

أي ما يُعجِبُكَ في الدّنيا من نِعمها كالمال والمقام والجمال والأولاد وغيرها فأعْرِضْ عنها ولا تَعتمد علىٰ ها وذلك لِقِلَّةِ عمرها فأنّك لا تَصحبها إلّا مدّة قليلة ثُمّ تبتلي بفراقها وقد ثبت أنّ ألَم الفراق أشَدّ وأعظَم وأوجَع علىٰ القَلب من لذّة الوصال وعليه فترك الوصال أولىٰ. و أمّا قوله ﷺ: **وضَعْ عَنْكَ هُمُومَها** الخ فهو إشارة الىٰ أصلٍ آخرٍ ينبغي التّوجه اليه في مقام السّلوك وهو أنّ الدّنيا مقرونة بالهمُوم والآفات علىٰ إختلاف مراتبها كمّاً وكيفاً ولا يمكن لأحدٍ

١- الروم-٧.

التّخلص منها كائناً من كان فأنّها دار بالبلاء مَحفوفة واذا كان الأمر على هـذا المنوال فما يُصنع بها، فقال عليه السلام ضَع عنك همُومها أي لا تعتني بها وذلك لِما أيقَنتَ من فراقها أي أنّ همُومها كغمِها في الزّوال والدّثور فكما أنّ نِعمها لا ينبغي للعاقل الإعتماد عليها كذلك همُومها وبليّاتها لا ينبغي التّوجه اليـها والإعتناء بها فأنّها في مَعرض الفناء وأنّما قال عليه السلام في الجملة الأولى، فأعرِض وفي الثّانية، ضَع، لأنّ ترك الدّنيا يمكن إختياراً ويُعبّر عنه بالإعراض فأنّ الإعراض عبارة عن ترك الشّئ عن إختيارٍ، وأمّا الهمُوم فليست كذلك اذ لا يمكن لأحدٍ أنّ لا يغتّم ولا يحزَن بإختياره وعليه فالإعراض لا يصدق:

▫ **قوله عليه السلام: وكُنْ آنَسَ ما تَكُونُ بِهَا أَحْذَرَ ما تَكُونُ مِنْها فإنّ صَاحِبَها كلّما اطْمأَنّ فِيها إلى سُرُورٍ أشْخَصَتْهُ إلى مَحْذُورٍ...**

حاصله، خِف وإحذَر ممّا تأنس به أي وليكُن حَذَرك ممّا آنستَ به أشدّ منه ممّا لم تأنس به فأن كان أُنسك بمالك أكثر من غيره فليكُن حَذَرك منه أيضاً أكثر من غيره وأنّ كان بالأولاد أكثر فليكُن حَذَرك أيضاً منهم أكثر وهكذا.

والسّر فيه هو أنّه كلّما كان الأُنس لشئٍ أشَدّ وأكثر كان تركه أصعَب وأشكَل وبالعكس فاذا كان الشّئ المأنوس به من أمور الدّنيا كما هو المفروض مثل المال والأولاد والمقام وغيرها فلا محالة يكون التّوجه اليه دون غيره فلا معنى للتّوجه الى الأخرة ضرورة أنّ التّوجه اليها يُوجب الفراق عن الدّنيا والإعراض عنها وهذا هو الخَطَر العَظيم و امّا اذا لم يأنس الإنسان بشئٍ منها فالدّنيا والأخرة عنده سيّان لو لم تكن الأخرة أرَجح ولَعلّه الى هذه الدّقيقة أشار الرّسُول صلى الله عليه وآله بقوله حُبّ الدّنيا رأس كلّ خطيئة اذ الحُبّ ملازم لِلأنس ولأجل هذا عَلّل أمير المؤمنين عليه السلام كلامه بقوله فأنّ صاحبها كلّما إطمأن فيها الى سُرورٍ، أي كلّما سُرّ بما آنس به أشخصته وأذهَبته الى محذورٍ أي أنّ السّرور لا يبقى له بل هو بعينه يُوقعه في محذور الفراق كما ذكرناه أو في محذور ترك الأخرة والتّوجه اليها، أو في محذور ترك التّوجه الى الله تعالى وقال الكلّ واحدٍ لقوله تعالى: **﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾**(١)

١- طه- ١٢٤

ومن كتاب له عليه السلام (٦٧)

الى الحارث الهمداني

□ قوله عليه السلام: وتَمَسَّكْ بِحَبْلِ الْقُرْآنِ واسْتَنْصِحْهُ وأَحِلَّ حَلاَلَهُ وحَرِّمْ حَرَامَهُ وصَدِّقْ بِمَا سَلَفَ مِنَ الحقِّ. واعْتَبِرْ بِمَا مَضَى مِنَ الدُّنْيا ما بَقِيَ مِنْها فإِنَّ بَعْضَها يُشْبِهُ بَعْضاً وآخِرُها لاحِقٌ بِأَوَّلِهَا وكُلُّها حائِلٌ مُفارِقٌ وعَظِّمِ اسْمَ اللّهِ أَنْ تَذْكُرَهُ إِلاَّ علىٰ حَقٍّ وأَكْثِرْ ذِكْرَ المَوْتِ وما بَعْدَ المَوْتِ ولا تَتَمَنَّى المَوْتَ إِلاَّ بِشَرْطٍ وَثِيقٍ واحْذَرْ كلَّ عَمَلٍ يَرْضاهُ صَاحِبُهُ لِنَفْسِهِ ويُكْرَهُ لِعَامَّةِ المُسْلِمينَ واحْذَرْ كلَّ عَمَلٍ يُعْمَلُ بِهِ في السِّرِّ ويُسْتَحَى مِنهُ في العَلاَنِيَةِ واحْذَرْ كلَّ عَمَلٍ إِذا سُئِلَ عَنهُ صَاحِبُهُ أَنكَرَهُ أَوِ اعْتَذَرَ مِنهُ ولا تَجْعَلْ عِرْضَكَ غَرَضاً لِنِبَالِ القَوْلِ ولا تُحَدِّثِ النَّاسَ بكلِّ ما سَمِعْتَ بِهِ فَكَفَىٰ بِذَلِكَ كَذِباً. ولا تَرُدَّ علىٰ النَّاسِ كُلَّ ما حَدَّثُوكَ بِهِ فَكَفَىٰ بِذَلِكَ جَهْلاً واكْظِمِ الغَيْظَ وتَجاوزْ عِنْدَ المَقْدِرَةِ وأَحْلَمْ عِنْدَ الغَضَبِ وأَصْفَحْ مَعَ الدَّوْلَةِ تَكُنْ لَكَ العَاقِبَةُ واسْتَصْلِحْ كُلَّ نِعْمَةٍ أَنْعَمَها اللّهُ عَلَيْكَ ولا تُضَيِّعَنَّ نِعْمَةً مِنْ نِعَمِ اللّهِ عِنْدَكَ ولْيُرَ عَلَيْكَ أَثَرُ ما أَنْعَمَ اللّهُ بِهِ عَلَيْكَ.

وأعلمْ أَنَّ أَفْضَلَ الْمُؤْمِنينَ أَفْضَلُهُمْ تَقْدِمَةً مِنْ نَفْسِه وأَهْلِهِ ومَالِهِ فإِنَّكَ ما تُقَدِّمُ مِنْ خَيْرٍ يَبْقَ لَكَ ذُخْرُهُ وما تُؤخِّرُهُ يكُنْ لِغَيْرِكَ خَيْرُهُ واحْذَرْ صَحابَةَ مَنْ يَفِيلُ رَأْيه ويُنْكَرُ عَمَلُهُ فإِنَّ الصَّاحِبَ مُعْتَبَرٌ بِصَاحِبِهِ واسْكُنِ الأَمْصَارَ الْعِظَامَ فإِنَّها جِمَاعُ المُسْلمينَ. واحْذَرْ مَنازِلَ الغَفْلَةِ والجَفَاءِ وقِلَّةَ الأَعْوَانِ على طاعَةِ اللّهِ. واقْصُرْ رَأْيَكَ على ما يَعْنِيكَ وإِيَّاكَ ومَقاعِدَ الأَسْوَاقِ فإِنَّها مَحاضِرُ

الشَّيْطانِ ومَعارِضُ الْفِتَنِ وأكْثِرْ أنْ تَنْظُرَ إلى مَنْ فُضِّلْتَ عليْهِ فإنَّ ذلِكَ مِنْ أبْوَابِ الشُّكْرِ ولاَ تُسافِرْ في يَوْمِ جُمُعَةٍ حتّى تَشْهَدَ الصَّلاَةَ. إلاَّ فاصِلاً في سَبِيلِ اللّهِ أوْ في أمْرٍ تُعْذَرُ بهِ .وأطِعِ اللّهَ في جَميعِ أُمُورِكَ فإنَّ طَاعَةَ اللّهِ فاضِلَةٌ على ما سِوَاهَا. وخادِعْ نَفْسَكَ في الْعِبادَةِ وارْفُقْ بها ولاَ تَقْهَرْها. وخُذْ عَفْوَها ونَشاطَهَا إلاَّ ما كانَ مَكْتُوباً عَلَيْكَ مِنَ الفَرِيضَةِ فإنَّهُ لابُدَّ مِنْ قَضَائِها وتَعاهُدِها عِنْدَ مَحَلِّها وإيَّاكَ أنْ يَنزِلَ بِكَ المَوْتُ وأنْتَ آبِقٌ مِنْ رَبِّكَ في طَلَبِ الدُّنْيا وإيَّاكَ ومُصاحبَةَ الْفُسَّاقِ فإنَّ الشَّرَّ بالشَّرِّ مُلْحَقٌ ووَقِّرِ اللّهَ وأحْبِبْ أحِبَّاءَهُ .واحْذَرِ الغَضَبَ فإنَّهُ جُندٌ عَظيمٌ منْ جُنُودِ إبْليسَ والسَّلاَمُ.

◁ اللّغة

(تَمَسَّكْ) نحو تَصَرف فعل أمرٍ من باب التَّفَعل والحَبل، الرّبـاط، الرّسَن (اسْتَنْصِحْهُ) إستَنصِح فعل أمرٍ من إستَنصَح والهاء مفعول الفعل (أحِلَّ) بفتح الألف وكسر الحاء وفتح اللاّم المُشَدّدة أمر من أَحَلَّ يَحلّ ومصدره الإحلال وهكذا حَرِّمَ وصَدِّق بفتح أوّلهما أمران من حَرَّمَ يُحرِّم وصَدَّق يُصدِّق (حائِل مُفارِقٌ) حائِل، فاعل من حال يَحُول، ومُفارِق بضم الميم فاعل من فارق يُفارِق، والحائل المانع (عَظِّمِ) بفتح العين وكسر الظّاء المُشَدّدة مثل صَرِّف، أمر من عَظَّم يُعظِّم (وَثِيقٍ) ما يُعتَمد عليه (عِرْضَكَ) العِرض بكسر العين ماء الوَجه وبالفارسية (آبرو) (غَرَضاً) الغَرَض بالتّحريك ما يُرمىٰ اليه النَّبل، الهَدَف (نِبال)بكسر النّون جمع نَبل بفتحها وهو السَّهم (واكْظِمِ الغَيْظَ) وأكْظِم بكسر الظّاء أمر من كَظَمَ يَكظِم نحو ضَرَبَ يَضرِب، والغَيظ بفتح الغين الغَضَب وكظم الغيظ هَضمه وعدم إعماله (تَجاوزْ) بفتح التّاء والواو أمرٌ من تجاوز يَتجاوَز باب التَّفاعُل نحو تضارَبَ يتضارَبُ (المَقْدِرَةِ) بفتح الميم وكسر الدّال القُدرة (احْلَمْ) بكسر الألف وفتح اللاّم مثل إمنَع أمرٌ من حَلَم يحلَم وأن قُرأ بضّم اللاّم فهو أمر من حَلَمَ يَحلُم نحو نَصَر يَنصُر (اصْفَحْ) بكسر الألف وسكون الصاد وفتح الفاء نحو إعلَم، أمر من صَفِح يَصفَح (الدَّوْلَةِ) بفتح الدّال

السّلطة والقُدرة (تَقْدِمةً) بفتح التاء وكسر الدّال كتجربة مَصدر قَدّم، معناها الهَدّية (يَفِيلُ) مضارع فَال أي ضُعف (الأَمْصَارَ) جمع مِصر (جِمَاعُ) بكسر الجيم مَصدَر جِماع الشّيئِ يُقال جَمَعه جماعاً (يَغْيِنكَ) أي يقصدك (مَقاعِدَ)جمع مَقعَد (الأَسْوَاقِ) جمع سُوق (محاضِرُ) جمع مَحضَر (مَعارِيضُ)جمع معراض كمصابيح جمع مصباح (الْفِتَنِ) بكسر الفاء جمع فِتنة (فُضِّلْتَ) بضَم الفاء وكسر الضّاد مجهول فَضَلْت (فَاصلاً) أي خارجاً ذاهباً (خَادِعْ) أمرٌ من خَدع يخدع (أَرْفُقْ) بضم الفاء نحو أنصُر أمر من رفَق يرفُق (عَفْوَها) أي وقت فراغها (نَشَاطَهَا) أي إرتياحها الىٰ الطّاعة (آبِقٌ) بكسر الباء فاعل من أبَق اذا فَرَّ (وَقِّرِ) نحو صَرِّف أمر من وَقّر يُوقّر (أَحْبِبْ) أمر من أحبّ يُحبّ:

◁ المعنىٰ

(وتَمَسَّكْ) واعتصم (بِحَبْلِ الْقُرْآنِ واسْتَنْصِحْهُ) وأقبل نصيحته أو أطلب النُّصح منه (وأَحِلَّ حَلاَلَهُ وحَرِّمْ حَرَامَهُ) فأنّ حَلاَلَهُ حلال الىٰ يوم القيامة وحرامه كذلك (وصَدِّقْ) باللّسان والقلب (بِمَا سَلَفَ) ومضى (مِنَ الحقِّ) ولا تنكره (واعْتَبِرْ بِما مَضَى مِنَ الدُّنْيا ما بَقِيَ مِنْها) أي قِس مايأتي منها على ما مضىٰ (فإنَّ بَعْضَها) بعض الدّنيا (يُشْبِهُ بَعْضاً) وحكم الأمثال واحد (وآخِرُها لاحِقٌ بأَوَّلِهَا وكُلُّها حائِلٌ) مانع عن الوصول الىٰ الحقّ (مُفارِقٌ) عنك لا محالة (وَعَظِّمِ اسْمَ اللّهِ أَنْ تَذْكُرَهُ إِلَّا علىٰ حَقٍّ) فلا تذكره علىٰ الباطل (وأَكْثِرْ ذِكْرَ المَوْتِ ومابَعْدَ المَوْتِ) من القبر والصّراط والميزان وغيرها (ولا تَتَمَنَّى المَوْتِ إلاَّ بِشَرطٍ وَثِيقٍ) يُعتمد عليه وهو كناية عن الإستعداد له (وحْذَرْ كلَّ عَمَلٍ يَرْضاهُ) أي يُرضي العَمَل (صَاحِبُهُ لِنَفْسِهِ ويُكْرَهُ لِعَامَّةِ المُسْلِمينَ) لأنّ نفعه للشّخص وضرره علىٰ العامّة (وأحذَرْ كلَّ عَمَلٍ يُعْمَلُ بِهِ في السِّرِّ) والخفاء (ويُسْتَحَي مِنهُ في العَلاَنِيَةِ). وذلك لوجود الخداعة فيه أو لأنّ الظّاهر عنوان الباطن (وأحْذَر كلَّ عَمَلاًذا سُئِلَ عَنهُ صَاحِبُهُ أنكَرَهُ أوِ اعْتَذَرَ مِنهُ) لكون الإنكار

والإعتذار منه دليلين علىٰ قُبحه (**ولا تَجْعَلْ عِرْضَكَ غَرَضاً لِنِبَالِ القَوْلِ**) أي لاتفعل شيئاً أو لا تقل قولاً يُوجب القول فيك (**ولا تُحَدِّثِ النَّاسَ بكلِّ ما سَمِعْتَ**) من غيرك لإحتمال الكَذب فيه (**فَكَفَىٰ بِذَلِكَ كَذِباً**) فأنّ الأصل في المَسمُوعات الكذب حتّىٰ يثبت صِدقه (**ولا تَرُدَّ على النَّاسِ كُلَّ ما حَدَّثُوكَ بِهِ**)بأن تقول ليس الأمر كذلك (**فَكَفَىٰ بِذَلِكَ جَهْلاً**) أنْ تَرُدَّ علىٰ النّاس بغير دليل (**وأكْظِمِ الغَيْظَ**) ولا تُعمِله (**وتَجَاوَزْ**) عن سيئات غيرك (**عِنْدَ المَقْدِرَةِ**).

أي عند القُدرة علىٰ العفو (**وأحْلَمْ عِنْدَ الغَضَبِ**) أي إجعَل الحلم مقدَماً علىٰ إعمال الغَضَب (**وأصْفَحْ مَعَ الدَّوْلَةِ**) والسُّلطة (**تَكُنْ لَكَ العَاقِبَةُ واسْتَصْلِحْ كُلَّ نِعْمَةٍ أنْعَمَها اللّٰهُ عَلَيْكَ**) أي ضَع كلّ نعمةٍ في موضعها وإستَفِد منها علىٰ طريق الخير (**ولا تُضِيعَنَّ نِعْمَةٍ مِنْ نِعَمِ اللّٰهِ عِنْدَكَ**) بإستعمالها في غير موضعها(**ولْيُرَ عَلَيْكَ أثَرُ ما أنْعَمَ اللّٰهُ بِهِ عَلَيْكَ**) فلا تكتُم النِعمة حتّىٰ لا يراها أحَد (**وأعلمْ أنَّ أفْضَلَ المُؤْمِنِينَ**) عند اللّه (**أفْضَلُهُم تَقْدِمةً مِنْ نَفْسِه وأهْلِهِ ومَالِهِ**) أي بذلاً وإنفاقاً (**فإنَّكَ ما تُقَدِّمُ مِنْ خَيْرٍ**) فعلاً وقولاً (**يَبْقَ لَكَ ذُخْرُهُ**) ليوم القيامة (**وما تُؤَخِّرُهُ**) ولا تُقدّمه (**يكُنْ لِغَيْرِكَ خَيْرُهُ وأحْذَرْ صَحابَةَ مَنْ يَضِلُّ**) ويضعف (**رَأيه ويُنْكَرُ عَمَلُهُ**) في النّاس (**فإنَّ الصَّاحِبَ مُعْتَبَرٌ بصَاحِبِهِ**) خيراً وشراً (**وأسْكُنِ الأَمْصَارَ الْعِظَامَ**) أي البلاد العظيمة (**فإنّها جِمَاعُ المُسْلمينَ**) ومحالّ إجتماعاتهم (**وأحْذَرْ مَنازِلَ الغَفْلَةِ والجَفَاءِ وقِلَّةَ الأَعْوَانِ هيِ طاعَةِ اللّٰهِ**) لوجود الضّرر فيها في الدّنيا والآخرة (**وأقْصِرْ رَأيَكَ على ما يَعْنِيك**) فأنّ مَن دَخل فيما لا يعنيه فاتَه ما يَعنيه (**وإيَّاكَ ومَقاعِدَ الأَسْوَاقِ**) والجلوس فيها (**فإنَّها**) أي الأسواق أو مقاعدها (**محاضِرُ الشَّيْطانِ**) أي محالّ حضوره (**ومَعارِيضُ الْفِتَنِ**) أي أنّها لكثرة ما يمّر علىٰ النّظر فيها من مُثيرات اللّذات والشّهوات (**وأكْثِرْ أنْ تَنْظُرَ إلى مَنْ فُضِّلْتَ عليْهِ**) أي أُنظر الىٰ من دُونك (**فإنّ ذلِكَ**) النّظر (**مِنْ أبْوَابِ الشُّكْرِ ولاَ تُسافِرْ في يَوْمِ جُمُعَةٍ حتّىٰ تَشْهَدَ الصَّلاَةَ**) أي الظُّهر (**إلّا فاصِلاً**) أي خارجاً وذاهباً (**في سَبِيلِ اللّٰهِ**) كالجهاد (**أوْ في أمْرٍ تُعْذَرُ بِهِ**) أي تكون معذوراً

فــيه (وأطِعِ اللَّهَ في جَميعِ أُمُورِكَ فإنَّ طَاعَةَ اللّهِ فاضِلَةٌ) راجـحة (علىٰ ما سِوَاهَا) من الطّاعات (وَخادِعْ نَفْسَكَ في الْعِبادَةِ وأرْفُقْ بها ولاَ تَقْهَرْها). علىٰ الطّاعات (وخُذْ عَفْوَها نَشاطَهَا) أي خُذ وقت فراغها إرتياحها الىٰ الطّاعة (إلاَّ ما كانَ مَكْتُوباً عَلَيْكَ مِنَ الْفَرِيضَةِ) كالصّلاة والصّوم والحجّ وأمثالها (فإنَّهُ لابُدَّ مِنْ قَضَائِها وتَعاهُدِها عِنْدَ مَحلِّها وإيَّاكَ أنْ يَنزِلَ بِكَ المَوْتُ وأنْتَ) أي والحال أنتَ (آبِقٌ منْ رَبِّكَ في طَلَبِ الدُّنْيا) والإنغمار فيها (وإيَّاكَ ومُصاحبَةَ الْفُسَّاقِ فإنَّ الشَّرَّ بالشَّرِّ مُلْحَقٌ) في مصاحبتهم (ووَقِّرِ اللّهَ) وجَللّه (وأحْبِبْ أحِبَّاءَهُ) .من المؤمنين (وأحْذِرِ الغَضَبَ) وإعماله (فإنَّهُ جُندٌ عَظيمٌ منْ جُنُودِ إبْلِيسَ) أعـاذنا اللّه منه والسَّلاَمُ:

◁ الشَرح

اعلم: أنّ هذا الكتاب من أفضل الكُتب وأنفعها وأشملها لمراتب السّعادة الأبَدية فَمَن واظب عليه وعمِل بمضمونه فقد فاز فوزاً عظيماً ونحن نشرح جملات الكتاب بقدر وُسعنا ونرجو من اللّه أن يجعلنا وأيّاكم من العاملين بهذه الكلمات الصّادرة عن مَنبَع الإلهام وإمام الأنام فنقول كُتبه عليه السلام الىٰ الحارث الهَمداني، وهو الحارث بن عبد اللّه بن كعب بن أسد بن نخلة بن حرث بن سَبُع بن صعب بن معاوية الهَمداني، منسوب الىٰ الهَمدان وهي قبيلة من قبائل اليَمن وهذه القبيلة كانت من خيار شيعته عليه السلام.

الآيات والأخبار فيه :وقد نُسِبَ اليه عليه السلام في وصف القبيلة أنّه قال:

فلو كُنتُ بَواباً علىٰ باب جَنَّةٍ   لقُلتُ لِهَمدان إدخُلوا بسلامٍ

والحارث كان من هذه القبيلة وقد إعترف الموافق والموافق بَفضله ورفعة شأنه وتَشيّعه بل قيل أنّه كان من خواصّ شيعته وهو الّذي خاطبه أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

يا حار هَمدان من يَمُت يَرَني   مِن مؤمنٍ أو مُنافقٍ قَبلا

▫قوله عليه السلام: وتَمَسَّكْ بَحَبْلِ الْقُرْآنِ واسْتَنْصِحْهُ وأحِلَّ حَلاَلَهُ وحَرِّمْ حَرَامَهُ وصَدِّقْ

بمَا سَلَفَ منَ الحقِّ...

أمَره عليه السلام بثلاث أمور:

أحدها: التمَسّكُ بَحَبْل القُرْآنِ واستناصحه.

وثانيها: تحليل حلاله وتحريم حَرَامَهُ.

وثالثها: التّصديق بما سَلَف ومضىٰ منَ الحقِّ.

أمّا التمَسّكَ بَحَبْلِ القُرْآنِ وإستنصاحه فقد وردت الآيات والأخبار به:

قال اللّه تعالىٰ: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا﴾ (١) ومن المعلوم أنّ المراد بحبل اللّه هو القرآن فأنّه العُروة الوثقىٰ الّتي لا إنفصام لها في قوله تعالىٰ: ﴿فمن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ الَّتي لاانفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (٢)

و: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٣)

و: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُّبِيناً﴾ (٤) والآيات في فضله والتمَسّكُ به كثيرة جدّاً وقد تكلمّنا في سالف القول في فضله وشرفه ولزوم التّمسك به كثيراً من الآيات والأخبار وحيث أنّ البحث شريف عميق ينبغي التّوجه اليه نذكر في المقام أيضاً بعض ما ورد من الأخبار والآثار ونرجو منه تعالىٰ أنّ يجعلنا من المتّمسكين به قولاً وعملاً واعتقاداً وأنّ يجعله شفيعاً لنا في يوم لا ينفع مال ولا بنون.

روي في البحار بأسناده عن الرّضا عليه السلام قال قال رسُول اللّه صلى الله عليه وآله كأنّي قد دُعيتُ فأجبت وأنّي تارك فيكم الثّقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب اللّه حَبل ممدُود من السّماء والأرض وعترتي أهل بيتي فأنظروا كيف تخلفوني فيها انتهىٰ...

١- آل عمران-١٠٣
٢- البقرة-٢٥٦
٣- البقرة- ٢٣
٤- النساء-١٧٤

وقال رسُول اللّه من أعطاه اللّه القرآن فرأىٰ أنّ أحداً أُعطي شيئاً أفضل مما أُعطي فقد صغّر عظيماً وعظّم صغيراً انتهىٰ، البهيقي بأسناده عن الرّضا عليه السلام قال هو حبل اللّه المتين وعروته الوثقىٰ وطريقته المُثلىٰ المؤدي الىٰ الجنّة والمُنجي من النّار لا يخلق من الأزمنة ولا يغث علىٰ الألسنة الحديث...

وعن جعفر بن مُحمّد عو أبيه عن آبائه قال قال رسُول اللّه أيّها النّاس أنكم في زمان هُدنة وأنتم علىٰ ظهر السّفر والسّير بكم سريع فقد رأيتم اللّيل والنّهار والشّمس والقمر يُبليان كلّ جديد ويُقربان كلّ بعيد ويأتيان بكلّ موعود فأعدُوا الجهاد ليعدّ والمفاز فقام المقداد وقال يا رسُول اللّه ما دار الهُدنة قال دار بلاءٍ وإنقطاعٍ فاذا إلتَبَست عليكم الفِتَن كقِطَع اللّيل المُظلَم فعليكم بالقُرآن فأنّه شافع مُشَفّع وماحِلٌ مصّدق...

مَن جعله أمامه قاده الىٰ الجنّة ومَن جعله خلفه ساقه الىٰ النّار وهو الدّليل يدّل علىٰ خير سبيل وهو كتاب تفصيل وبيان وتحصيل وهو الفصل ليس بالهَزل وله ظهر وبَطن فظاهره حِكّمة وباطنه عِلم ظاهره أنيق وباطنه عَميق له نجُوم وعلىٰ نجومه نُجوم لا تُحصىٰ عجائبه ولا تبلىٰ غرائبه فيه مصابيح الهُدىٰ ومنازل الحِكمة ودليل علىٰ المعروف لِمن عَرفه انتهىٰ «الأحاديث نقلناها عن البحار ج ١٩»...

وروي الفيض رحمه الله في مقدّمة المُعافي عن العياشي عن الحارث الأعور قال دخلتُ علىٰ أمير المؤمنين فقلت يا أمير المؤمنين إنّا كنّا عندك سَمعنا الّذي قُسّر به ديننا واذا خرجنا من عندك سمعنا أشياء مُختلفة مَغموسة لا ندري ما هي قال عليه السلام أوَ قد فعلوها قال قلت نعم قال سمعت رسُول اللّه يقول أتاني جبرائيل فقال يا مُحمّد ستكون في أُمّتك فِتنة قلت فما المخرج منها فقال كتاب اللّه فيه بيان ما قبلكم من خبر وخَبر ما بعدكم وحُكم ما بينكم وهو الفصل ليس بالهَزل من ولّيه جبّار فعمل بغيره قصمه اللّه ومن إلتمس الهُدىٰ

في غيره أضلّه اللّه وهو حَبل اللّه المتين وهو الذّكر الحكيم وهـو الصّـراط المستقيم لا تزيعه الأهومة ولا تلبسه الألسنة ولا يُخلق علىٰ الرّد ولا ينقض عجائبه ولا يشبع منه العلماء هو الّذي لم تلبث الجنّ اذا سمعته أن ﴿قَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَاناً عَجَباً يَهْدِي إِلَىٰ الرُّشْدِ﴾ (١) من قال به صدق ومن عَمل به أُجّر ومن إعتصم به فقد هُدي الىٰ صراط مُستقيم هو الكتاب العزيز الّذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد انتهىٰ...

وعن أبي عبد اللّه قال قال رسُول اللّه ﷺ القرآن هدىٰ من الضّلالة وتبيان من العمىٰ وإستقالة من العثرة ونور من الظّلمة وضياء من الأحداث وعصمة من الهَلَكة ورشد من الغواية وبيان من الفتن وبلاغ من الدّنيا الىٰ الآخرة وفيه كمال دينكم وما عَدَل أحد من القرآن إلّا؟؟؟؟

وروي العياشي بأسناده عنه ﷺ قال عليكم بالقرآن فما وجدتم آية نجا بها من كان قبلكم فأعملوا به وما وجدتموه ممّا هَلَك بـها مـن كـان قـبلكم فأجتنبوه انتهىٰ...

وفي تفسير الإمام قال قال رسُول اللّه ﷺ أنّ هذا القرآن هو النُّور المُبين والحبل المتين والعُروة الوُثقىٰ والدّرجة العُليا والشّفاء الأشفىٰ والفـضيلة الكُبرىٰ والسّعادة العُظمىٰ مَن إستضاء به نَوّره اللّه ومـن عـقد بـه أُمـوره عَصمَه اللّه وَمَن تمسّك به أنقذه اللّه ومَن لم يُفارق أحكامه نَصره اللّه ومن إستشفىٰ به شفاه اللّه ومن آثره علىٰ ما سواه هداه اللّه ومن طلب الهُدىٰ في غيره أضّله اللّه ومَن جعله شعاره ودثاره أسعَدَه اللّه ومَن جعله إمامه الّذي يقتدي به ومعّوله الّذي ينتهي اليه أدّاه اللّه الىٰ جنّات النعيم والعيش السّليم انتهىٰ...

أقول: الأحاديث نقلناها عن «الصافي ص ٤١» ولأجل هذا قال ٧ وتمسّك بحبل القرآن وإستنصحه أي وأُطلب منه النّصيحة وإعمل بـها فأنّ نـصائحه

١ - الجن - ١/٢.

شافية وافية لمن كان له قلب:

ثمّ قال عليه السلام: **وأَحِلَّ حَلالَه وحرّم حَرامَه**، أي أنّ الحَلال ما أَحَلَّه القرآن والحَرام ما حَرّمه فلا تَحكُم بحِلّية شيءٍ لَم يحَلّه القُرآن ولا تحكُم بحُرمة شيءٍ لم يُحرّمه والوجه فيه ظاهر لا خفاء فيه وفي هذا الكلام رَدٌّ علىٰ بعض النّاس حيثُ حَرّموا حلاله وأَحلّوا حرامه كما أَخبر اللّه تعالىٰ عنهم في كتابه وذَمّهم علىٰ ما فَعَلوه مثل قوله تعالىٰ: **﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ﴾**(١)

و: **﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَآمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْأَيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾**(٢) وقال الشّارح المُعتزلي في شَرِح العبارة أي أحكم بين النّاس في الحَلال والحَرام بما نصّ عليه القُرآن:

وأمّا قوله عليه السلام: **وصَدِّقْ بمَا سَلَفَ منَ الحقِّ** فقال المُعتزلي أي صَدِّق بما تضّمنه القُرآن من أيّام اللّه ومثيلاته في الأُمَم السّالفة لما عَصوا وكَذّبوا انتهىٰ ما ذكره وأنت ترىٰ ما فيه من الوَهن والفَشل وذلك لأنّ الشّارح حَمَل قوله عليه السلام: **بما سَلَف**، علىٰ الأُمَم السّالفة ولا دليل عليه والحقّ أنّ المعنىٰ صدّق وآمِن بما سَلَف في حقّك من الحقّ أي لا تخالف الحقّ وأن كان عليك أو المعنىٰ صدّق بما مضىٰ من الحقّ ولا تُخالفه سواء كان في حقّك أو في حقّ غيرك كما قال اللّه تعالىٰ: **﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ﴾**(٣)
وذلك لأنّ تصديق الحُسنىٰ من تصديق الحقّ بعينه:

- **قوله عليه السلام: واعْتَبِرْ بمَا مَضَى منَ الدُّنْيا ما بَقِيَ مِنْها فإِنَّ بَعْضَها يُشْبِهُ بَعْضاً وآخِرُها لاحِقٌ بأَوَّلِهَا وكُلُّها حائِلٌ مُفارِقٌ...**

أي اذا أردت أنّ تعرف ما بَقي من الدّنيا في المستقبل فأُنظر الىٰ ما مضىٰ

١- آل عُمران ـ٩٣
٢- الأعراف ـ٣٢
٣- الّليل ـ٦

منها فأنّ حكم الأمثال واحد فكما أنّ الماضي منها لم يبقَ على حاله كذلك المُستقبل وكما أنّ الدّنيا أهلكت أهلها وأَفنت من إعتمد عليها في الأيّام السّالفة فكذلك حالها فيما بقىٰ منها وأمّا قوله ﷺ: **وآخِرُها لاحِقٌ بأوَّلِهَا** ففيه إشارة الىٰ فنائها وعدم بقائها علىٰ حالها وتغييرها علىٰ أهلها وغير ذلك من الأمور وحيث أنّ الدّنيا كانت كذلك فما بقي منها أيضاً يكون كذلك لأنّ آخر الدّنيا لاحق بأوّلها في التّغيير والتّنكر والفناء والدّثور ولذلك قال ﷺ: **وكُلُّها حائِلٌ** قيل أي زائل والحقّ أنّ الحائل بمعناه اللّغوي وهو المانع فأنّ الحيلولة المَنع وعليه فالمعنىٰ أنّ الدّنيا كلّها حائل أي مانع عن وصول صاحبها الىٰ مقاصده أو أنّها هي مانعة عن وصول الشّخص الىٰ كمالاته المترقبة وأيضاً مفارق أي أنّ الدّنيا مع كونها حائل تتّصف بالفراق والزّوال أيضاً وأمّا علىٰ ما ذكروه من أنّ المراد بقوله ﷺ: **حائل** أي زائل، فيكون قوله ﷺ: **مفارق**، من التّأكيد لأنّ المفارق أيضاً الزّائل وليس كذلك علىٰ ما فسّرناه فأنّ الحائل هو المانع عن وصول الشّخص الىٰ آماله وأمياله والمفارق هو الزّائل المُنفصل وبينهما بونٌ بعيد وعليه فكأنّه ﷺ وَصَفَ الدّنيا بشيئين:

أحدهما: كونها مانعاً.

وثانيهما: كَونها مفارقاً زائلاً وما هذا شأنه لا ينبغي الإعتماد عليه وقد مرّ الكلام فيها غير مَرّةٍ مُفَصّلاً:

▫ **قوله ﷺ: وعَظِّمِ أسْمَ اللّهِ أنْ تَذْكُرَهُ إلاّ علىٰ حَقٍّ وأكْثِرْ ذِكْرَ المَوْتِ وما بَعْدَ المَوْتِ ولا تَتَمَنَّىٰ المَوْتَ إلاّ بشَرطٍ وَثِيقٍ...**

أمَره ﷺ بأمور ثلاثة.

أحدها قوله ﷺ:**وعَظِّمِ أسْمَ اللّهِ أنْ تَذْكُرَهُ إلاّ علىٰ حَقٍّ**، وهو كناية عن الإحتراز من القَسَم به في غير مَورده أي لا تقسم به في غير مورد الضّرورة كما يَفعله أكثر العوام فيقولون باللّه كذا وتاللّه كذا فأنّ اللّه تعالىٰ جلّ شأناً أعظم قدراً من أن يُقيم به في الأمور الجزئيّة الّتي لا إعتقاد بها نِعَم في موارد الإحتياج لا بأس به:

وثانيها قوله عليه السلام: **وأَكْثِرْ ذِكْرَ المَوْتِ وما بَعْدَ المَوْتِ**، من مراحل الأخرة فأنّ فيه ترغيب الى الآخرة وتزهيده عن الدّنيا ومن المعلوم أنّا خُلِقنا للآخرة لا للدّنيا قال الله تعالى: **﴿فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾**(١)

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله أكثر وأذكر هادم اللّذات، وهو المَوت لأنّه يهدم اللّذة وينغّصها وسأل بعضهم فقال يا رسول الله هل يُحشر معَ الشّهداء أَحَد قال صلى الله عليه وآله نعم من يذكر المَوت في اليوم واللّيلة عِشرين مرّة انتهىٰ:

وقال صلى الله عليه وآله -أكْثِرْوا من ذِكْرَ المَوْتِ فأنّه يمّحص الذّنوب ويزّهد في الدّنيا، وقال صلى الله عليه وآله كفىٰ بالمَوت واعِظاً وخَرج رسول اللّه الىٰ المَسجد فإذا قوم يتّحدثون ويضحكون قال صلى الله عليه وآله أذكروا المَوت أما والّذي نفسي بيده لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتُم كثيراً:

وذُكر عند رسول الله صلى الله عليه وآله رجل فَأحسنوا الثّناء عليه فقال صلى الله عليه وآله كيف كان ذكر صاحبكم للمَوت قال ما كنّا نكاد نسمع ذكر المَوت قال صلى الله عليه وآله فأنّ صاحبكم ليس هناك:

سَأل رجل من الأنصار رسول الله صلى الله عليه وآله فقال من أَكيس النّاس وأكرم النّاس فقال رسول الله صلى الله عليه وآله أكثرهم ذِكراً لِلمَوت وأشدّهم إستعداداً له أُولئك هم الأكياس ذهبوا بشرف الدّنيا وكرامة الآخرة والأخبار في الباب كثيرة مجموعة ورّام« ج ١ ص ٢٦٨ ».

وثالثها قوله عليه السلام: **ولا تَتَمنَّىٰ المَوْتَ إلاَّ بشَرطٍ وَثِيقٍ**: والمقصود أنّ الغرض من ذكر المَوت هو التّهيوء والإستعداد له لا مُجّرِد ذكره ضرورة أنّ اللّفظ مِن حيث هو لا أثَر له ولذلك قال عليه السلام: **ولا تَتَمنَّىٰ المَوْتَ إلاَّ بشَرطٍ وَثِيقٍ**، والشّرط الوَثيق كناية عن الأعمال الصّالِحة النّاشئة عن التّوجه الىٰ الآخرة الحاكية عن التّهيوء والإستعداد للمَوت فأنّ من طَلَب شيئاً يَعمل له وذلك لأنّ الطّريق اليه أن يفّرِغ العبد قلبه عن كلّ شئٍ إلّا عن ذكر المَوت الّذي هو بين يَديه كالّذي يريد أن يُسافر الىٰ مفازةٍ خطرة أو ركُوب البَحر فأنّه لا يتّفكر إلّا فيه ولازم ذلك

١ - البقرة-٩٤

العَمَل له بما ينفعه ولذلك قيل أنّ الإستعداد للمَوت بدون العَمَل لا معنىٰ له وقد مرّ البحث فيه بما لا مزيد عليه:

▫ **قوله ﷺ: وأحْذَرْ كلَّ عَمَلٍ يَرْضاهُ صَاحِبُهُ لِنَفْسِهِ ويُكْرَهُ لِعَامَّةِ المُسْلِمينَ ...**

أي أذا أردت أن تعرّف حُسن العَمَل وصحّته في غيرك فأُنظر اليه فأن كان الفاعل يرضاه لِنَفسِهِ ويكرهه لِغَيره من المُسلِمين فلا تفعله وإلّا فأفعله وذلك لأنّ المُسلم المُؤمن يُرّجح الغَير دائماً علىٰ نفسه بمعنىٰ أنّه إذا دار الأمر بين أن يكون النّفع عائِداً الىٰ شخصه والضّر الىٰ عامّة المُسلمين وبالعكس يتّوجه الىٰ العَموم ويفعل ما يكون نَفعه عامّاً ويترك ما يكون ضَرّه كذاك فقد قال رسول اللّه ﷺ من أصبح ولم يَهّتم بأُمور المُسلمين فَلَيس بِمُسلم ومحّصل الكلام هو أنّ الإنسان ينبغي أن يفعل ما هو أنفع للنّاس لا ما هو أنَفّع لشخصه ولو كان مُضراً لغيره وأنّما قال ﷺ لعامّة المُسلمين ولم يقل ويكره لغيره مثلاً لنُكتةٍ خفّية وهي أنّ القبيح عقلاً وشرعاً تقديم النّفس علىٰ عموم النّاس ضرّاً ونفعاً وأمّا تقديمها علىٰ شخصٍ آخر فلا محذور وفيه والوجه واضح:

▫ **قوله ﷺ: وَاحْذَرْ كلَّ عَمَلٍ يُعْمَلُ بِهِ في السِّرِّ ويُسْتَحَىَ مِنهُ في العَلاَنِيَةِ ...**

والوجه فيه هو أنّ ما يُسْتَحيَ منه في العَلاَنِيَةِ ويُعْمَلُ بهِ في السِّرِّ والخَفاء يدّل علىٰ قبحه عدم الإتيان به في العَلَن فلو كان الفِعل حَسَناً لما كان الفاعل مُستَتِراً به وحيث إستَّتر به فهو من القبائح وكُلّ قبيح ينبغي الإجتناب عنه وصُورة القياس هكذا:

هذا الفعل ممّا يُستتر به، وكُلّ ما هو كذلك فهو قبيح، فهذا قبيح، ثمّ نقول هذا قبيح وكُلّ قبيح لا يُعمل به فهذا لا يُعمل به:

▫ **قوله ﷺ: واحْذَرْ كلَّ عَمَلٍ إذا سُئِلَ عَنهُ صَاحِبُهُ أنكرَهُ أوِ اعْتَذَرَ مِنهُ...**

وذلك لأنّ الإعتذار عن العَمَل أو إنكاره من فاعله من أدّل الدّلائل علىٰ قُبح العَمَل، واستهجانه وعليه فَتركه أولىٰ من فِعله لَئلا يحتاج الىٰ الإعتذار أو الإنكار فأنّ العاقل لا يَفعل ما يُرجبهما وهو ظاهر:

▫ **قوله ﷺ: ولاَ تَجْعَلْ عِرْضَكَ غَرَضاً لِنِبالِ القَوْلِ...**

العِرض بكسر العين، الخليقة المحمُودة ما يَصُونه الإنسان من نفسه أو سَلفه أو مَن يَلزمه أمره أو موضع المَدح والذّم منه ، ما يفتخر الإنسان به من حَسَب أو شَرَف والجمع منه الأعراض يقال هو نقّي العِرض أي بريئ من أن يُشْتَم أو يُعاب وذوو العِرض من القوم الأشراف كذا قال في المُنجد:

والغَرَض بفتح الغَين والرّاء الهَدَف الّذي يُرمىٰ اليه والنِبال بكسر النّون جمع نَبل بفتحها وهو السَّهم كما مَرّ في شرح اللّغات إجمالاً اذا عرفت هذا فنقول:

شبّه عليه السلام - العِرض بالغَرَض والهَدَف ثمّ شبّه أقوال النّاس بالنِّبال الّتي يَرميها الإنسان الىٰ الأغراض والأهداف وَوَجه الشّبه ظاهر وهو من أحسَن التّشبيهات ومُحصّل المعنىٰ لا تفعل شيئاً أو لا تَقُل كلاماً يوجب عليك الأقاويل من النّاس ومن المعلوم أنّ المراد بالقول والفعل القبيح منهما دُون الحَسَن وأن كان فيه أيضاً ذَمٌ بالنّسبة الىٰ بعض الأشخاص كما يسمع الأقاويل من بعض النّاس بل أكثرهم فِمَن فَعَل فعلاً مصرُوفاً عند العقل والشّرع وذلك لأنّ الحقّ وقبوله مُرٌّ في مذاق أكثر النّاس ولذلك يَعيبُونه بل يشتُمون صاحبه كما فَعلوا في حقّ أمير المؤمنين وغيره من المعصُومين في عَصرهم وزمانهم فلو كان المراد لكلامه عليه السلام النّهي عن كلّ ما يُوجب الأقاويل من النّاس يلزم ترك المعرُوف أيضاً في أكثر الموارد وهو ظاهر الفسّاد فالمقصود هو النّهي عن كلّ فعلٍ أو قولٍ قبيح في المرأىٰ والمنظر من النّاس وأن شئت قلت العاقل لا يَعصي في الملاء ليقع به في أفواه النّاس بل يَعصي اللّه في الخَلوة بينه وبينه وهكذا الكلام في المعاصي العُرفية الآتي يستَحبونها العُقلاء في العُرف وأن كان العُرف ممّا لا يُعدّ في الشّرع ذنباً ومَعصية فأنّ المعاصي العُرفية في كثير من الموارد قُبحها لا يُغفر عند النّاس والملاك كلّ الملاك في فعل الشّئ وعَدمه هو قُبحه وحُسنه شرعاً وعقلاً وعُرفاً فكلّ فعلٍ حَسّنه العَقل والشّرع والعُرف العاقل لا بأس به عَلَنياً وأن أنكره بعض النّاس مِمَّن لا يُعبأ به وما ليس كذلك فلا يجوز فعله إلّا في الخَلوة ليَصون به عِرضه.

▫ قوله ﷺ: ولا تُحَدِّثِ النَّاسَ بكلِّ ما سَمِعْتَ بِهِ فَكَفَىٰ بِذَلِكَ كَذِباً...

وجه النّهي ظاهر وذلك لأنّ الخَبر محتمل الصِدق والكِذب فاذا عرفتَ صِدقه فلا بأس بنقله وحديثه وأمّا اذا كان المسمُوع باقياً على الإحتمال فلا يجوز نَقله الىٰ غيره لإمكان كَذِبه واذا كان كذِباً يرجع ذمّه الىٰ ناقله فمن سَمِعه منك يَذمّكَ فأن ذُممّتَ علىٰ هذه الرّوْية تصير عند النّاس من الكذّابين لأنّهم سَمعوه مِنك ولا يَعرفون غيرك.

فَجَعلتَ في الحقيقة عرْضَكَ غَرَضاً لِنِبَالِ القَوْلِ من حيث لا تَعلم، وقوله ﷺ: فَكَفَىٰ بِذَلِكَ كذِباً ففيه إشارة الىٰ نكتةٍ دقيقةٍ خَفِيَت على الشّارحين لكلامه وهي أنّ النّفي مقدّم علىٰ الإثبات لإحتياج الإثبات الىٰ مؤونةٍ زائدة دون النّفي وبِعبارةٍ أُخرىٰ كلّ ما يُوجد في الخارج فهو حادث مسبوق بالعَدَم والإثبات كذلك اذا عرفتَ هذا فنقول:

صدق الكلام عبارة عن ثبوته وتحقّقه اذ لو لم يثبت لا معنىٰ لقولهم صِدق الخبر مطابقته وكلّ موجودٍ ثابتٍ فهو محتاج الىٰ العِلّة فَصِدق الخَبر محتاجٌ الىٰ عِلّة الصِدق فأن عرفت العِلّة فيه فأحكُم بصدقه وإلّا فهو كَذِب فكون الكلام كَذِباً لا يحتاج الىٰ دليل بل هو علىٰ أصلَه وإمّا كونه صِدقاً فَيحتاج اليه ولذلك نقول الأصل في كلّ كلام لا نعرف صِدقه بدليل العَقل أو القرائن الخارجيّة، الكَذِب أعني به عدم الصِدّق وعليه فكلّ ما لا يعرف صِدقه يُحمل علىٰ الكَذِب حتّىٰ يُثبت خلافه وهذا معنىٰ قوله ﷺ: فَكَفَىٰ بِذَلِكَ كَذِباً، أي فكفىٰ بسبب عدم معرفتك الصِّدق فيه أن يكون الكلام كذِباً علىٰ أصله:

▫ قوله ﷺ: ولا تَرُدَّ علىٰ النَّاسِ كُلَّ ماحَدَّثُوكَ بِهِ فَكَفَي بِذَلِكَ جَهْلاً...

أي أنّ حدّثك أحد بحديث فلا تَرّد عليه ولا تقل ليس الأمر كما ذكرتَ من غير علم لك بحقيقة الأمر وذلك لأنّ من المحتمل كونه صادقاً في حديثه نعم لو دلّ دليل أو قامت قرينة علىٰ كِذب الحديث فلا إشكال في ردّه ولأجل هذه النكتة لم يقل ولا تَرّد علىٰ النّاس ما حدثوك به بدون لفظ الكلّ فأن مفهوم العبارة أنّ بعض ما حدّثوك به لا إشكال في ردّه وهو كذلك كما أشرنا اليه من

قيام القرنية على كِذبه أو أن يكون المحدّث عندك من الكذّابين وأمثال ذلك من القرائن وهكذا الكلام في الجملة السّابقة ومحصّل الكلام في الجملتين هو أنّ العاقل لا يحدّث غيره بكلّ ما سمع ولا ترّد عليه كلّ ما حدّثه به بل ينبغي له التّحقيق في الكلام والمتكلم فاذا عرفت صِدقه قبله ثمّ حدّثه واذا لم يعرف صِدقه فلا يقبله ولا يحدّثه وأنّما قال عليه السلام: **فكفىٰ بذلك جهلاً** لِلإشارة الىٰ أنّ الرّد علىٰ الغير بغير المعرفة دليل علىٰ جهل الرّاد لإحتمال صِدق الحديث والأصل في الحديث المسمُوع هو الجهل بصِدقه وكِذبه وأمّا العلم بصِدقه فهو يحتاج الىٰ دليل لأنّه إثبات وحيث لا دليل عليه فالإنسان باق علىٰ جهله فالرّد عليه بغير دليل يكفي في جهله:

▫ قوله عليه السلام: **وأكْظِمِ الغَيْظَ وتَجاوزْ عِنْدَ المَقدِرَةِ وأحْلَمْ عِنْدَ الغَضَبِ وأصْفَحْ مَعَ الدَّوْلَةِ تكُنْ لَكَ العَاقِبَةُ واسْتَصْلِحْ كُلَّ نِعْمَةٍ أنْعَمَها اللّٰهُ عَلَيْكَ ولا تُضيعَنَّ نِعْمَةً منْ نِعَمِ اللّهِ عِنْدَكَ ولْيُرَ عَلَيْكَ أثَرُ ما أنْعَمَ اللّٰهُ بِهِ عَلَيْكَ...**

أمَره عليه السلام بأمور سبعة الّتي فيها سعادة الدّارين وحلاوة النّشأتين للعامل بها:

إحداها كظم الغَيظ: ومعناه التّحلم أي تكلّف الحِلم وهو أعني كظم الغَيظ وأن لم يبلغ مرتبة الحِلم في الفضيلة والشّرف إلّا أنّه اذا واظب عليه حتّىٰ صار معتاداً تحدث بعد ذلك صفة الحِلم الطّبيعي بَحيث لا يهيج الغَيظ حتّىٰ يحتاج الىٰ كَظمه وكيف كان هو من صفات الممدُوحة عقلاً وشرعاً المَرضية عند اللّه وعند رسُوله وقد ورد في مَدحه ما ورد من الآيات والأخبار:

قال اللّه تعالىٰ في كتابه: **﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾**(١)

و: **﴿ولَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾**(٢) وقال رسول اللّه صلى الله عليه وآله من كَظَم غَيظاً ولو شاء أن يمضيه أمضاه مَلأ اللّه قلبه يوم القيٰمة رضاً انتهىٰ.

وقال رسول اللّه صلى الله عليه وآله – **ما جَرَع عبدٌ جُرعةً أعظم أجراً من جُرعةِ غَيظٍ كَظمها إبتِغاء وَجه اللّه تعالىٰ انتهىٰ...**

١- آل عمران-١٣٤   ٢- القلم-٤٨

وقال ﷺ -إنّ لجهنّم باباً لا يدخله إلّا مَن شفىٰ غيظه بمعصية اللّه تعالىٰ انتهىٰ...

وقال ﷺ - مَن كَظَم غَيظاً وهو يقدر علىٰ أن ينفذه دعاه اللّه يوم القيمة علىٰ رؤوس الخلائق حتّىٰ يخير من أيّ الحُور شاء انتهىٰ...

وقال ﷺ - مَن أحبّ السّبيل الىٰ اللّه تعالىٰ جُرعتان جُرعة غَيظٍ يردّها بحِلمٍ وجرعة مصيبةٍ يَرُدها بصبرٍ انتهىٰ...

وقال سيّد السّاجدين عليه السلام - ما تجرّعتُ جُرعةً أحبّ إلَيّ من جُرعةِ غَيظٍ لا ألاكافئ بها صاحبها انتهىٰ...

وقال الباقر عليه السلام - مَن كَظَم غَيظاً وهو يقدر علىٰ إمضائه حَشىٰ اللّه تعالىٰ قلبه آمناً وإيماناً يوم القيمة انتهىٰ...

وقال عليه السلام - لبعض وُلده يا بُنّي ما من شيٍ أقرّ لعين أبيك من جُرعة غَيظٍ عاقبتها صَبر وما يسُرنّي أن لي بذْل نفسي حمر النّعم انتهىٰ...

وقال الصّادق عليه السلام - نعم الجُرعة الغَيظ لِمن صَبَر عليها فأنّ عظيم الأجر لِمَن عظيم البلاء وما أحبّ اللّه قوماً إلّا إبتلاهم انتهىٰ...

وقال عليه السلام ما من عبدٍ كَظَم غَيظاً إلّا زاده اللّه عزّ وجلّ عِزاً في الدّنيا والآخرة وقد قال اللّه عزّ رجلّ:(والكاظمين الغَيظ والعافين عن النّاس واللّه يحبّ المُحسنين) وأثابه اللّه مكان غَيظه ذلك انتهىٰ والأحاديث رَويناها من جامع السّعادات لِلنّراقي «ج ١ ص ٢٩٩»...

وفي المستطرف: أنّ الرّشيد قال لأعرابي بِمَ بَلَغ فيكم هشام بن عروة هذه المَنزلة قال بحِلمِه عن سفيهنا وعفوه عن مُسيئنا وحَمَله عن ضَعيفنا، لا مَنّان اذا وهب ولا حقود اذا غَضِب رحب الجنان سَمِح البنان ماضي اللّسان قال فأومَا الرّشيد الىٰ كلب صيدٍ كانَ بين يَديه وقال واللّه لو كانت هذه في هذا الكلب لإستَحق بها السّؤدد.

وقيل لِمَعن ابن زائدة، المؤاخذة بالذّنب من السّؤدد قال ولكن أحسن ما يكون الصّفح عمّن عظم جُرمه وقلّ شفعاؤه ولم يجد ناصراً قال الشّاعر:

سَألزِم نَـفسي الصَّـفح عـن كـلّ مُذنبٍ
وأن عَـظُمت فـيه عَـلّي الجـرائـم
فَـما النّـاس إلّا واحـدٌ مِـن ثـلاثةٍ
شَـريفٌ ومشـروفٌ ومِـثلٌ مـقاومُ
فأمّـا الّـذي فـوقي فأعـرفُ قَـدَره
وأتّـبع فـيه الحـقّ والحـقّ لازمٌ
وأمّـا الّذي دُوني فأن قـال صُنتُ عـن
إجـابته نـفسي وأن لامَ لائِـمُ
وأمّـا الّـذي مِـثلي فأن قـال أو هَـفا
تـفضّلتُ أنّ الحُـرّ بـالفضِل حـاكِـمُ

قال الأحنف بن قيس لأبنه يا بُنّي اذا أردت أن تُواخـي رجـلاً فأغـضبه فأن أنَصفك وإلّا فأحذره:

إذا كُـنت مُـختّصاً لنـفسك صـاحباً
فَـمِن قـبل أن تـلقاه بـالوُدّ أغـضِبه
فأن كـان فـي حـال القـطيعة مُنصِفاً
وإلّا فـقد جـرّبته فـتجّنبه

وثانيها التّجاوُز عند المَقدرة: والمراد به عدم مُجازات الخاطئ والعَفو عن ذَنبه وهو أيضاً ممدوح عقلاً وشرعاً أمّا العَقل فمعلوم وأمّا الشّرع فـقد قـال اللّـه تعالىٰ في كـتابه مُخاطِباً لنَبيه ﷺ: **﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾**(١)

و : **﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾**(٢)

و : **﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾**(٣)

و : **﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ﴾**(٤)

١- الأعراف ـ ١٩٨
٢- المائدة ـ ١٣
٣- البقرة ـ ١٠٩
٤- البقرة ـ ١٧٨

و: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ (١)

و: ﴿أَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ (٢) وغيرها من الآيات:

وقال رسول اللّه ﷺ – ثلاثٌ والّذي نفسي بيده أن كنت حالفاً لحلفتُ عليهنّ، ما نقصت صدقة من مالٍ فتّصدقوا ولا عفا رجل من مَظلَمة يبتغي بها وجه اللّه إلّا زاده اللّه بها عِزّاً يوم القيٰمة ولا فَتَح رجل علىٰ نفسه باب مسئلة إلّا فَتح اللّه عليه باب فقرٍ...

وقال ﷺ العَفو لا يزيد العبد إلّا عِزّاً فأعفو يعزّكم اللّه انتهىٰ...

وقال ﷺ لِعَقبة ألا أُخبرك بأفضل أخلاق أهل الدّنيا والأخرة، تَصِل من قَطعك وتُعطي من حَرَمك وتعفو عمّن ظلمك...

وقال ﷺ، قال مُوسىٰ يا ربّ أيّ عبادك أعزّ عليك قال الّذي اذا قدر عفىٰ انتهىٰ...

وقال الباقر ﵇ النّدامة علىٰ العفو أفضل وأيَسر من النّدامة علىٰ العقوبة...

وقال الصّادق ﵇ ثلاث من مكارم الدّنيا والأخرة تعفو عمّن ظلمك الحديث...

وقال أبو الحسن ﵇ ما التَقت فِئتان إلاّ نُصر أعظمها عفواً وكفىٰ للعفو فضلاً وشَرفاً أنّه من أجمل الصّفات الإلٰهية وقد يَمدح اللّه تعالىٰ به في مقام الخضُوع والتّذلّل قال سيّد السّاجدين ﵇ أنت الّذي سَمّيت نفسك بالعفو فأعف عنّي وقال ﵇ أنتَ الّذي عَفوُه أعلىٰ مِن عِقابه، والأخبار نقلناها عن جامع السّعادات «ج ١ ص ٣٠٢»...

اذا عَرفتَ العَفو ومعناه ومَدحه في الآيات والآثار مُضافاً الىٰ حكم العقل بحُسنه فأعلم أنّ العَفو علىٰ الذّنب والتّجاوز عن المُسيٍ عند المَقدِرة ليس ممدُوحاً علىٰ إطلاقه في جميع الموارد بل يشترط في صحتّه وحُسنه أُمور لابدّ من التّنبيه عليها:

احدها: أن لا يكون التّجاوز عن الخاطئ مُوجباً لتضييع حقٍّ من حقوق اللّه

١- النّور-٢٢ ٢- البقرة-٢٣٨

تعالىٰ وتعطيل حكم من أحكامه كما اذا أعفىٰ الحاكم عَمّن شرب الخمر أو سَرَق المال وأمثال ذلك ممّا يوجب تَعطيل الحُدود وتَضييع حقوق اللّه تعالىٰ:

وثانيها: أن لا يكون العَفو مُوجباً لتُضييع حقوق النّاس كما في موارد القصاص والدّيات فأنّ من قتل نفساً أو هتك عِرضاً أو قطع رجلاً أو يَداً وأمثال ذلك من الأُمور لا يجوز لِلقادر وهو الحاكم عفوه والتّجاوز عَن خطيئته نعِم لو عفَا عنه ولّي الأمر لا بأس به بل هو مَمدُوح عَقلاً وشَرعاً:

وثالثها: أن لا يكون الخاطئ مِمّن كان العَفو عنه مُوجباً لتّجريه علىٰ الظّلم والذّنب فأن كان كذلك لا يجوز العفو عنه لكوَنه علىٰ ضرره في الدّنيا والآخرة:

ورابعها: أن لا يكون التّجاوز عن ذنبه مُوجباً لإختلال النّظام وسلب الأمن في الإجتماع فأنّ العفو عن أكثر الأشرار خيانة وجناية علىٰ غَيره من آحاد النّاس كما قيل بالفارسية:

ترحم بَر پلنگ تيز دندان ستمكاري بود بَر گوسفندان

وخامسها: أن تعلم أنّ الخاطئ نَدِم عمّا فعل ولا يرجع اليه ثانياً فلو علمت أنّه لا يندم واقعاً وبعد عفوك منه يرجع الىٰ ما كان عليه فَذَنبك في عَفوك أعظم من ذنبه والجامع في هذه الشّرائط المذكورة وغيرها هو عِلمك بحال المُذنب ومعرفتك بذنبه وقصده وبالجملة تشخيص موارد العَفو عن غيرها فأنّ العَفو اذا وَقَع في مَوضعه لا شَك في حُسنه ومَدحه بل يقال أنّه من العَدل اذا قلنا أنّ العَدل وَضع الشّئ في مَحلّه ومن الفضل اذا قلنا بأنّ العَدل يقتضي عقُوبته وكيف كان هو من أَحسن الخِصال وأفضل الكمالات ألا ترىٰ أنّ رسول اللّه ﷺ عفىٰ عن المُشركين بعد فتح مكّة وتجاوز عن سيّئاتِهم وخطيئاتهم وقال أذهبُوا أنتم الطّلقاء ولنعم ما قيل:

أنا المُذنب الخَطّاء والعَفو واسع ولو لم يكن ذَنب لماعُرف العَفُو

فالمقصود من قوله ﷺ **وتَجَاوزْ عِنْدَ المَقدِرَةِ** تجاوز عمَن ظلمك عند القُدرة عليه لا التّجاوز عن الظّالم مطلقاً وهو ظاهر ضرورة أنّ العَفو في كثير من الموارد ظلم علىٰ الغَير وهو واضح.

وأمّا وجه تقييده ﷺ الكلام بالمَقدرة فلا يخفىٰ علىٰ أحد اذ لا يتُحقق العَفو والتّجاوز بدُونها:

وثالثها الحِلم عند الغَضَب: والفرق بينه وبين العَفو هو أنّ الحِلم عبارة عن طمأنينة النّفس بحيث لا يحّركها الغَضَب بسهُولةٍ ولا يزعجه المكروه بسرعةٍ فهو الضدّ الحقيقي للغَضَب لأنّه المانع مَن حَدوثه وأمّا العَفو والتّجاوز عن المُسيئ فهو إسقاط ما يستّحقه من قصاصٍ أو غَرامةٍ فأن حَصل مع ذلك لِلنفس سكون وإطمينان فقد حَصل الحِلم والعَفو معاً وإلّا فلا وكيف كان فلا شَك في أنّ الحِلم من أشرف الكمالات النّفيسة بعد العِلم بل لا ينفع العِلم بدونه أصلاً وقد دلّت الآيات والأخبار علىٰ مَدَحه وحُسنه وقد تكلّمنا فيه فيما سلف من القول غير مرّةٍ ومع ذلك نُشير الىٰ بَعض ما ورَرد فيه علىٰ سبيل الأجمال:

أمّا الآيات الواردة في مَدَحه فيكفيك منها أنّ اللّه تعالىٰ قد عدّ نفسه حَليماً في كثيرٍ من الموارد ولولا أنّه من الصّفات الكمالية لما وَصّف به قال اللّه تعالىٰ: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ (١)

و: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ (٢)

و: ﴿وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ (٣) وقال تعالىٰ في مدح الخَليل: ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ (٤) وقال: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾ (٥)

وقال: ﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ (٦)

وقال رسول اللّه ﷺ - أنّ الرّجل المُسلم ليدرك بالحلم درجة الصّائم القائم...

وقال ﷺ - أنّ اللّه يحبّ الحَيّي الحليم ويبغض الفاحِش البذيّ...

وقال ﷺ - ثلاث من لم تكن فيه واحدة منهنّ فلا تعتدوا بشيٍ من عمله،

١- البقرة ـ ٢٣٥ ٢- المائدة ـ ١٠١
٣- النّساء ـ ١٢ ٤- التّوبة ـ ١١٤
٥- هُود ـ ٧٥ ٦- هود ـ ٨٧

تقوىٰ تحجزه عن معاص اللّه وحِلمٌ يكُفّ به السّفيه وخُلق يَعيش به في النّاس...

وقال الرّضا عليه السلام - لا يكون الرّجل عابداً حتّىٰ يكون حَليماً...

وقال أمير المؤمنين عليه السلام ليس الخير أن يكثر مالك وولدك ولكنّ الخير أن يكثر علمك و يعظم حِلمك...

وقال رسول اللّه صلى الله عليه وآله - اذا جُمع الخلائق يوم القيمة نادىٰ منادٍ أين أهل الفضل فيقوم ناس وهم يَسير فينطلقون سراعاً الىٰ الجنّة فتلقاهم الملائكة فيقولون أنّا نراكم سراعاً الىٰ الجنّة فيقولون نحن أهل الفضل فيقولون ما كان فضلكم فيقولون كنّا اذا ظُلمنا صبرنا وإذا أُسيئ الينا عَفَونا وإذا جُهل علينا حلمنا والأخبار كثيرة جدّاً« جامع السّعادات ج ١ ص ٢٩٧»...

إذا ما طاش حِلمك عن عدّوٍ — وهانَ عليك هُجران الصّديق
فَلستَ اذاً أخا عَفوٍ وصَفحٍ — ولا لأخ علىٰ عهدٍ وثيق
اذا زَلَ الرّفيق وأَنتَ ممّن — بلا رفقٍ بقيت بلا رفيق
اذا أنت إتّخذتَ أخاً جديداً — لما أنكرتَ من خلقٍ عتيق
فما تدري لعلّك مُستجيرٌ — من الرّمضاء فَرَّ الىٰ الحريق
فكم من سالكٍ لطريق أَمَن — أتاه ما يحاذر في الطّريق

□ **قوله عليه السلام واصْفَحْ مَعَ الدَّوْلَةِ تَكُنْ لَكَ العَاقِبَةُ واسْتَصْلِحْ كُلَّ نِعْمَةٍ أَنْعَمَها اللّهُ عَلَيْكَ...**

ورابعها الصّفح مَع الدَّولة: قال الرّاغب في المفردات صَفح الشّيئ عَرضه وجانبه والصّفح ترك التّثريب وهو أَبلَغ من العَفو انتهىٰ موضع الحّاجة منه وقال في الدَّولة، الدّولة والدَّولة واحدة وقيل الدّولة في المال والدُّولة في الحَرب والجاه وقيل الدَّولة إسم الشّيئ الّذي يتداول بعينه انتهىٰ.

اقول:وعليه فمعنىٰ العبارة أعني قوله عليه السلام: **وأصْفَحْ مَعَ الدَّوْلَةِ** ، أُترك المكافات والمُجازات فعلاً وقولاً عندما تكون لك السّلطة ولعلّه لأجل هذا قال الرّاغب وهو أَبلغ من العَفو والكتاب أيضاً ناطق بِحُسنه ومَدحه:

قال الله تعالى: ﴿وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١)
وقال تعالى: ﴿وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوا أَلاَ تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ (٢)
و: ﴿فَاْعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٣)
و: ﴿وَإِنَّ السَّاعَةَ لآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ (٤)
و: ﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلاَمٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ (٥)
و: ﴿فَاعْفُوا واصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ (٦) وغيرها من الآيات.

وجه الإستدعاء علىٰ كون الصّفح أَبلَغ وأَفضل من العَفو يستفاد من ذكر الصّفح بعد العَفو فيها ولأجل هذا قال الله تعالىٰ حكايةً عن يُوسف الصّديق ﴿قَالَ لاَ تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ﴾ (٧) أي لاذمَ عليكم اليوم فضلاً عن الإنتقام والعَفو عنه ولا شك أنّ الصّديق قال ما قال في إخوته مَعَ الدّولة والسّلطة ولذلك مَدَحه الله تعالىٰ فأنّ الإعراض عن الذّنب مع كمال القُدرة علىٰ الإنتقام مشكل جداً فقد ظهر لك ممّا ذكرناه في معنىٰ الصّفح أنّه أخصّ مِن العَفو وهو أعمّ منه اذ قد يَعفُوا الإنسان ولا يَصفح ولا عكس فبينهما عموم وخصوص مُطلق فَمَن زعم التّكرار في كلامه ﷺ وأنّ قوله **وأَصْفَحْ مَعَ الدَّوْلَةِ** مساوق لقوله ﷺ: **وتَجَاوزْ عِنْدَ المَقدِرَةِ**، فقد أخطأ وقوله ﷺ: **تكُنْ لَكَ العَاقِبَةُ** فهو إشارة الىٰ حُسن عاقبة الصّفح في الدّنيا والآخرة كما عرفته من الآيات ولا سيّما قوله تعالىٰ: ﴿أَلاَ تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾
وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٨)

وخامسها إستصلاح كلّ نعمةٍ: فقال ﷺ: وإستصلح كلّ نعمةٍ أنعمها الله عليك:

والمقصود من إستصلاحها هو الشّكر عليها قولاً وفعلاً وحالاً وأن شئت قلت صرف العبد جميع ما أنعمه الله عليه في موارده المُعنَية بحسَب حكم

١- التّغابن ـ ١٤
٢- النّور ـ ٢٢
٣- المائدة ـ ١٣
٤- الحجر ـ ٨٥
٥- الزّخرف ـ ٨٩
٦- البقرة ـ ١٠٩
٧- يوسف ـ ٩٢
٨- البقرة ـ ١٩٥

الشّارح فإستصلاح المال مثلاً يحصل بصَرفه فيما فيه لِللّه رضىٰ وإستصلاح المقام يحصل بحماية المظلوم وإستصلاح العَين بالنّظر الىٰ ما أجازَه الشّـرع وهكذا في جميع النِّعم وهذا هو الشّكر الجامع الكامل الّذي قال اللّه تعالىٰ في كتابه: ﴿وإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَإِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ (١)

و: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ﴾ (٢)

و: ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾ (٣) وقد مرّ الكلام في الشّكر مفصّلاً وذكرنا الآيات والأخبار فيها فلا نعيد الكلام بذكرها ثانياً بل ثالثاً ورابعاً:

وسادسها عدم تضييع النّعمة: واليه أشار ﷺ بقوله ولا تُضيعنّ نعمةً من نِعَم اللّه عندك:

وقد ظهر لك معناه مِمّا قلنا في الجملة السّابقة وذلك لأنّ عدم مُراعاة العَبد حقّ اللّه في نِعَمه هو تضييعها بلا كلام فأنّ تضييع النّعمة صرفها في سبيل الشّيطان ومتابعة النّفس الأمّارة:

وسابعها إظهار النّعمة: واليه الإشارة بقوله ﷺ وليُر عليك أثَرَ ما أَنعم اللّه به عليك:

والأصل فيه قوله تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ (٤)

والمقصود من هذا الكلام هو إظهار النّعمة من المُنعم عليه ليَرىٰ النّاس آثارها لا إختفائها عنهم وإنكارها كما هو دأب كثير من النّاس وأمّا أنّ النّعمة ما هي ففي المقام إحتمالات:

أحدها: أن يكون المراد بها نعمة الدّين وبرؤية أثَرها الأقوال والأفعال الحَسَنة المَرضية عند اللّه ليكون ذلك باعِثاً لِتَشويق الغير في أَمر دينه ويدّل علىٰ صحّة هذا القول ما رواه المُحدّث البَحراني ؒ في تفسير الآية الشّريفة وهذا لفظه:

قال ﷺ بما أُنزَل عليك وأَمَرَك به من الصّلٰوة والزّكاة والصّوم والحجّ

١- أبراهيم ـ ٧
٢- الأحقاف ـ ١٥
٣- النّمل ـ ٤٠
٤- الضّحىٰ ـ ١١

والولاية وما فضّلك اللّه به:

وبأسناده عن فضل البقباب قال سألت أبا عبد اللّه ﷺ عن قول اللّه عزّ وجلّ وأمّا بِنِعَمة رَبّك فَحَدِّث قال الّذي أنعم عليك بما فضّلك وأعطاك وأحسن اليك ثمّ قال ﷺ فحدّث بدينه وما أعطاه اللّه وما أنعم به عليك انتهىٰ:

وثانيها: أن يكون المراد بها نعمة الدّين والدّنيا معاً وعليه فكما أنّ الدّين ينبغي إظهاره وإظهار آثاره من الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر والإتيان بالواجبات وترك المحرّمات إلّا في موارد التّقية كذلك ينبغي إظهار آثار النّعم المادية الدّنيويّة من المال والمقام والصحّة وأمثالها ولا شكّ أنّ الأخذ بالعامّ أولىٰ من الأخذ بالخاصّ فيما لا دليل علىٰ التّخصيص كما فيما نحن فيه وهو واضح:

وثالثها: أن يكون المراد بها القرآن ذكره السّيوطي في الدّر المنثور وروىٰ فيه رواية .

ورابعها: أن يكون المراد مطلق الخير قولاً وفعلاً ذكره أيضاً فيه:

وخامسها: أنّ المراد أن يكون العبد شاكراً علىٰ ما أنعم اللّه عليه وقد روىٰ السّيوطي في تفسيره عن أبي نضرة قال كان المسلمون يرون أنّ من شكر النّعمة أن يُحدّث بها:

وملّخص الكلام في المقام هو أنّ اللّه تعالىٰ يحبّ أن يُرىٰ أثر ما أنعم اللّه به علىٰ عَبده أيّة نِعمةٍ كانت.

▫ **قوله ﷺ: وأعْلمْ أنَّ أفْضَلَ الْمؤْمِنينَ أفضَلُهُمْ تَقْدِمةً منْ نَفْسِه وأهْلِهِ ومَالِهِ فأنّكَ ما تُقدّمُ منْ خَيْرٍ يَبْقَ لَكَ ذُخْرُهُ وما تُؤخِّرُهُ يكُن لِغَيرِكَ خَيْرُهُ...**

تَقْدّمةٍ، بفتح التّاء وسكون القاف وكسر الدّال كتجربة مصدر قدّم بالتّشديد يقال قَدّم يُقدّم تقديماً وتقدّمةً قال الشّارح المعتزلي أى أفضلهم إنفاقاً في البّر والخير من ماله وهي التّقدّمة قال اللّه تعالىٰ: **﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لأنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ﴾** (١) ثمّ قال فأمّا النّفس والأهل فأنّ تقدّمتها في الجهاد وقد تكون

١- البقرة ـ ١١٠

النّفس بأن يشفع شفاعة حَسَنة أو يحضر عند السّلطان بكلام طيّبٍ وثناءٍ حَسَن وأن يصلح بين المُتخاصمين ونحو ذلك والتّقدمة في الأهل أن يحجّ بولده وزَوجته ويكلّفهما المشّاق في طاعة اللّه وأنّ يؤدّب ولده أن أذنب وأنّ يقيم عليه الحدّ ونحو ذلك انتهىٰ وقال المحَقق البحراني في شرحه ما هذا لفظه:

قوله أنّ أفضل المؤمنين أفضلهم تقدّمةً أي صَدَقة تقدّمها من نفسه بأقواله وأفعاله وأمواله ومن أهله كذلك وهو جَذَبٌ له أن يجعل نفسه من أفضل المؤمنين بالصّدقة انتهىٰ.

وأنا أقول: التقدّمة تطلق علىٰ خلاف المُؤخّر فأنّ التّقدم والتّأخّر متقابلان متضادان بمعنىٰ أنّ أحدهما لا يصدق بدون الآخر وعليه فكلّ خير من الخيرات فعلاً كان أو قولاً اذا أتيتَ به فهو من مصاديق التّقدمة وذلك لأنّك قدّمت به لآخرتك وهذا هو الوجه في تفسيرهم التّقدمة بالبَذَل والإنفاق والأعمال الحَسَنة وإلّا فالتّقدمة ليست بمعنىٰ البَذِل والخَير وأمثال ذلك في أصل اللّغة فقول الشّارح المُعتزلي وغيره أي أفضَلهم إنفاقاً في البرّ والخَير من ماله وهي التّقدمة، لا معنىٰ له علىٰ إطلاقه ضرورة أنّ التّقدمة قد يكون من الشّرور والآفات فأنّ المُذنب العاصي في الدّنيا يكون عصيانه وذنبه تقدّمة بالنّسبة اليه فالحقّ أن يقال أنّ الخَيرات من مصاديق التّقدمة وهي المراد من كلامه عليه السلام في المقام بضميمة القرائن الموجودة والدّليل علىٰ ما ذكرناه قوله عليه السلام فأنّك ما تقّدم من خيرٍ يبق لك ذخرها، وذلك لأنّ التّقدمة لو كانت بمعنىٰ الخَير أو الإنفاق فحقّ العبارة أن يقال ما تقدّم سيبق لك ولا إحتياج الىٰ ذكر كلمة (خير) وحيث ذكرها فهو دليل علىٰ إطلاق التّقدمة بالنّسبة الىٰ الشّرور اذا عرفت هذا فلنرجع الىٰ تفسير الكلام وحاصله أنّ أفضل المؤمنين عند اللّه ورسُوله.

أفْضَلُهُمْ عَمَلاً لِلآخرة في دار الدّنيا الّتي هي مَزرعة الآخرة وهو إشارة الىٰ قوله تعالىٰ حيث قال في كتابه: **﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَآتُوا الزَّكَوٰةَ وَمَا تُقَدِّمُوا**

لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (١)

و: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ الىٰ قوله تعالىٰ: فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْراً وَأَعْظَمَ أَجْراً وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (٢)

ثمّ أنّ التّقدمة في الخَيرات تارة تكون من نَفسه كالطّاعات والعِبادات من الصّلٰوة والصّوم والجهاد وأمثالهما ممّا يستلزم تحمل المَشاق وأُخرىٰ من أهله وعياله كما اذا أَدّب زوجته وأولاده بالتّأديبات الشّرعية وواظبهم علىٰ الخيرات والحَسَنات وثالثة في ماله بأن يكون مواظباً في جمعه ومصارفه فأنّ ثمرتها تبقىٰ له وأَمّا المؤخّر فيكون خيره لغيره لا محالة ولأجل هذا قال ﷺ فأنّك ما تقدّم من خيرٍ يبق لك ذخره الىٰ آخر الكلام وفيه إشارة الىٰ قوله تعالىٰ: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلاً﴾ (٣)

و: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًىٰ وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ مَّرَدّاً﴾ (٤)

فأنّ المراد بالباقيات الباقيات عند اللّه ولا نعني بالذُّخر إلّا هذا ولنعم ماقيل بالفارسية:

هر چه بيني در جهان از خير وشر
دُو جهت دارد چه بگشائي نظر
زان يكي ما عندكم يَنفَد شنو
جُز پى ما عنده باقٍ مَرو
كوزه چون بشكست ميگوئي سفال
چون سفالش خاك نشد بنگر تو حال

١- البقرة ـ ١١٠
٢- المزمل ـ ٢٠
٣- الكهف ـ ٤٦
٤- مريم ـ ٧٦

خـــاک مـيگوئي كـنون آنكـوزه كُـو
مـغني وصـورت در آنـجا بـاز جـو
آن هيولي كين همـهٔ صورت بـر اوست
هست هر جا آن صُور نـقشي از اوست
از ره صـــورت نـــماند غـــير دوست
چون نظر كردي بـمعنئ جـملهٔ اوست
گـــر نـــداري ذوق وجـــدان اي فـقيه
قـول رنـدان گـويش كُـن لا شّك فـيه

قال أبو جعفر عليه السلام كان أمير المؤمنين عليه السلام بالكوفة اذا صلّیٰ العِشاء الأخرة يُنادي النّاس ثلاث مرّات حتّیٰ يسمع أهل المَسجد أيّها النّاس تجّهزوا رحمكُم اللّه فقد نودي فيكم بالرّحيل فما التّعرج علیٰ الدّنيا بعد نداء فيها بالرّحيل تجهّزوا رحمكُم اللّه وإنتقلوا بأفضل ما بحضرتكم من الزّاد وهو التّقویٰ وأعلموا أنّ طريقكم الیٰ المعاد وممّركم علیٰ السّراط والهَول الأعظم أمامكم وعلیٰ طريقكم عقبة كؤود ومنازل مَهولة مَخُوفة لابدّ لكم من المَمّر عليها والوقوف بها فَأمّا برحمةٍ من اللّه فنجّاه من هَولها وعظيم خطرها وفظاعة منظرها وشدّة مُختبرها وأمّا بَهلكة ليس بعدها نجاة انتهیٰ مشكوة الأنوار ص ٣٠٤.

وقال أبو عبد اللّه أتیٰ جبرئيل رسول اللّه صلى الله عليه وآله فقال يا مُحمّد أنَ اللّه يقرؤك السّلام ويقول إعمل ما شئت فأنّك لاقيه وأَحَبب من شئت فأنّك مفارقه وعِش ما شئت فأنّك ميّت يا مُحمّد صلوة اللّيل شرف المؤمن وعزّ المؤمن في لسانه انتهیٰ ص ٣٠٤.

وقال رجل من الأنصار يا رسول اللّه مالي لا أُحبّ المَوت قال صلى الله عليه وآله هل لك مال قال نعم يا رسول اللّه قال قدّم مالك فأنّ قلب الرّجل مع ماله أن قدّمه أحبّ أن يلحقه وأن خلّفه أحبّ أن يتّخلف معه انتهیٰ ص ٧٠٤.

وقد ورد في الآثار أنّ ابن آدم اذا مات قالت الملائكة ما قدّم وقال النّاس ما تَرك والأخبار في الباب كثيرة ذكرنا كثيراً منها في مطاوي الأبحاث السّالفة ومن

أراد التّفصيل منها فعليه بالبحار والكافي وأمثالهما من المُطوّلات.

□ **قوله ﷺ: وأَحْذَرْ صَحَابَةَ مَنْ يَضِيلُ رَأيه وَيُنْكَرُ عمَلُهُ فإنَّ الصَّاحِبَ مُعْتَبَرٌ بِصَاحِبِهِ...**

نهىٰ ﷺ عن صحابة ضعيف الرأي ومُنكر العَمَل وإستَبْدَل علىٰ ما ذكره بأنْ إعتبار الصّاحب يكون بصاحبه الّذي إتّخذه لِنفسه رفيقاً وصاحباً فالصّاحب العاقل اذا كان في رأيه قاطعاً وفي عَمَله بَريئاً عن القبائح والمُنكرات ينفعك لا محالة حُسن عَمَله وقوة رأيه واذا كان ضعيف الرأيِ سيئ العَمل يضرك وفي هذا الكلام إرشاد الىٰ حُسن الإنتخاب في أخذ الرّفيق المصاحب ولإجل ذلك قيل اذا أردت المَعرفة بحال الأشخاص فأنظر الىٰ أصدقائهم وأخِلّائهم فأنّ الجنس مع الجنس يميل والنّاس الىٰ أشباههم أميل ثمّ أنّ ضعف رأي الصّاحب يُوجب ضعف رأي صاحبه كما أنّ أعماله القبيحة السيّئة تُوجب التّهمة في حقّ صاحبه بل في أكثر الأوقات تُستَند اليه ويُقال هو فَعَل كذا وبالعكس العكس.

وما المَرء إلّا بأخوانه ... كما يقبض الكفّ بالمِعصَم

ولا خير في الكفّ مقطوعةً ... ولا خير في السّاعد الأجذم

نقل عن زياد بن أبيه أنّه قال خير ما إكتَسَب المَرء الأخوان فأنّهم مَعُونة علىٰ حوادث الزّمان ونوائب الحدْثان وعَون في السّراء والضّراء ونُسب الىٰ عليّ ﷺ أنّه قال:

عليك بأخوان الصّفاء فأنّهم ... عِمادٌ اذا إستنجدتهم وظهُور

وأن قليلاً ألف خلّ وصاحب ... وأن عدواً واحداً لكثيرُ

وقال الأوزاعي الصّاحب للصّاحب كالرّقعة في الثّوب أن لم تكن مثله شانته:

وما بقيتْ من اللّذات إلّا ... محادثة الرّجال ذوي العقول

وقد كنّا نعدّهم قليلاً ... فقد صاروا أقلّ من القليل

قيل لإبن السّماك أيّ الأخوان أحقّ ببقاء المودّة قال، الوافر دينه، الوافي عقله، الّذي لا يملك على القرب ولا ينساك على البُعد أنْ دَنوت فيه داناك وأن

بَعُدتَ عنه راعاك وأن إستَعَنتَ به عضدك وأن إحتَجتَ اليه رفدك وتكون مودّة فعله أكثر من مودّة قوله:

أنّ أخاك الصّدق من يسعىٰ معك   ومَن يضّر نفسه لَيَنفعك

روي عن النّبي ﷺ قال، **الصّاحب رقعة في قميصك فأنظر بِمَ تُرقعه:**

وقالوا أقرب القرابة المشاكلة وقالوا الصّاحب المُناسب وفيه قال الشّاعر:

وقلتُ أخي قالوا أخُ من قرابةٍ   فقلتُ لهم أنّ الشّكول أقارب

وعن النّبي ﷺ **إمتَحِنوا النّاس بأخوانهم كما قيل:**

فأعتبر الأرض بأشباهها   وأعتبِر الصّاحب بالصّاحب

وقال الآخر:

اذا كُنتَ في قومٍ فصاحب خيارهم
ولا تصحب الأردىٰ فتَردىٰ مَعَ الرّدىٰ
عن المَرء لا تسأل وَسَل عن قرينه
فكلّ قرين بالمقارن يقتدي

حكىٰ في عقد الفريد عن أيّوب بن سليمان بأسناده عن أبي القاسم قال بينا سليمان بن داوود تَحمله الرّيح اذ مَرّ بِنَسرٍ وَقَع علىٰ قصرٍ فقال له كم لك مذ وقعت هاهنا قال سبع مِائة سنة قال فمن بنىٰ هذا القصر قال لا أدري هكذا وجدته ثمّ نظر فاذا فيه كتاب منقور بأبيات من شعر وهي:

خرجنا مِن قُرىٰ إصطخرٍ   الىٰ القصر فقلناه
فَمن يسأل عن القصر   فَمّبنياً وَجدناه
فلا تَصحب أخا السّوء   وأيّاك وأيّاه
فكم من جاهلٍ أردىٰ   حكيماً حين آخاه
يُقاس المَرء بالمَرء   اذا ما المَرء ماشاه
وفي النّاس من النّاس   مقاييس وأشباه
وفي العين غِنىً عن للعين   أن تنطق أفواه

□قوله ﷺ: **وأسْكُنْ الأَمْصَارَ الْعِظَامَ فإِنَّها جِمَاعُ الْمُسْلمينَ...**

الأمصار جمع مِصر وهي البَلد والعِظام بكسر العين جمع عظيم وقوله ﷺ: **جماع المُسلمين**، جماع بكسر الجيم مصدر يقال جامَعه مُجامعةً وجِماعاً على كذا إجتَمَع مَعَه ووافَقه قاله في المُنجد:

وقيل أنّه مصدر ثانٍ من قولك جَمَع جَمعاً وجماعاً، وقول الأوّل أقوىٰ يُقال الخير جماع الإثم أي جامعة لكلّ أصنافه، وقد يُقال قدرٌ جماع أي عظيمة وكيف كان فالمقصود من العبارة هو أنّ الأمصار العِظام جامعة لكلّ أصناف النّاس وطبقاتهم ولأجل هذا أمَرَ ﷺ بالسّكون فيها والوَجه فيه واضح لِمن تدبّر وتعقل وقد رُويَ عن النّبي ﷺ أنّه قال **عليكم بالسّواد الأعظم** والمراد بالسّواد الأعظم أنّ صحّت الرّواية هو الأمصار العِظام ويمكن أن يُستَنبَط من كلامه ﷺ وجوه لابأس بالإشارة الىٰ بعضها:

منها – أنّ الكَون مع الجماعة أولَىٰ وأفضل مِن الكَون مع غير الجماعة وقد قيل أنّ يَد اللّه مَعَ الجماعة ولا شَك أنها كلّما كانت أكثر أفراداً فهي أفضَل وذلك لأنّ الجماعة وأن أطلقت علىٰ الكثير والكثير كما قيل أنّ أقلّ الجمع ثلاثة بل إثنين إلّا أنّها مقولة علىٰ مصاديقها لا علىٰ التّواطي بل علىٰ سبيل التّشكيك وعليه فصِدقها علىٰ الأكثر أكمَل وأتم وأولَىٰ من صدقها علىٰ الأقل وهو معلوم ولأجل هذا يُقال في الصّلاة مع الجماعة أنّها أفضل من الصّلاة بغيرها وكلّما كان المأموم أكثر فالثّواب فيها أيضاً أكثر وقد ورد فِي بعض الأخبار أنّ عَدد المأمومين اذا تجاوز عن العَشرة فلا يعلم ثواب المصَلين إلّا اللّه تعالىٰ ومن المعلوم أنّ هذا الثّواب الكثير ببركة الجماعة وإلّا فالصّلاة بما هي هي لا فرق فيها واذا كانت الصّلاة مع الجماعة حالها كذلك فالكَون مع الجماعة أيضاً كذلك لوحدة المِلاك لا من باب القياس الباطل ألا ترىٰ أنّ عُمدة فلسفة الحجّ في إجتماع النّاس لا في أعمال الحجّ مع قطع النّظر عنه وهكذا في كلّ عَمَلٍ من الأعمال وحيث أنّ ثواب العَمَل مع الجماعة أكثر منه بدونها مع أنّ نفس العَمَل في الحالتين واحد نستكشف منه أنّ الجماعة بما هي هي لها فضيلة اذا كانت علىٰ خيرٍ وأمصار العِظام من هذا القبيل لوجود المِلاك فيها

فالكَون فيها أفضل منه في غيرها وهو المطلوب:

ومنها – أنّ البلاد الكبيرة حاوية لأصناف النّاس وطبقاتهم ومن المعلوم أنّ معاشرتهم ومُجالستهم تزيد في العِلم والتّجربة بل العَمَل ولذلك قيل خُذ العِلم مِن أفواه الرّجال، والرّجال في البلاد فكلّما كان البَلَد أعظَم فرجاله كذلك عِلماً وعَمَلاً وتجربةً ومنها أنّ سعة البلد وكُثرة الإجتماع توجب سِعة الفِكر وكُثرة الإدراك والمعلومات كما أنّ ضيق المُحيط بالعكس وهذا مِمّا يُضرب به المَثَل كما قيل بالفارسية ز آب خُورد ماهي خُورد خيزد ألا ترىٰ أنّ السّمك في البحر العظيم أكبر وأثقل منه في البحر الصّغير وهكذا الىٰ أن تَصل النّوبة الىٰ القناة وقد ثبت بالتّجربة أنّ السّمك في الماء القليل لا ينمو إلّا بَحَسبه وحال الإنسان في محيط الإجتماع بعينه حال السّمك في الماء فكلّما كان المُحيط أكبَر وأعظَم كان نُمُو الإنسان ورُشده بحَسَب الفكر والإدراك أكثر وأكمل وبالعكس بالعكس والدّليل علىٰ ما ذكرناه هو الحسّ وتؤيّده التّجربة:

ومنها – أنّ الحُرّية في البلاد العظيمة أكثر منها في الصّغيرة وقد ثبت أنّ الحُرّية توجب التّرقي في الرّوح والصّحة في الجسم كما أنّ سَلبَها عن الإنسان المُعبّر عنه بالإختناق يوجب ضعف الرّوح والجسم ألا ترىٰ أنّ الإنسان اذا كان محبُوساً مدّة طويلة يصير ضعيفاً جسماً ورُوحاً ولا سيّما اذا كان من أهل العِلم والفِكر ولا شكّ أنّ البلاد الصّغيرة بالنّسبة الىٰ الكبيرة بمنزلة السّجن من حيث المَحْدودية وقد ظهر لنا بسبب التّجربة أنّ الإنسان العالِم المتفكِر بعد سكُونه في البلاد الصّغيرة الحقيرة صار عاجزاً عن التّعالي وطّي المَقامات بل رَجع الىٰ القهقري ونَسِي ما كان عالماً به وذلك لعدم وجود الإمكانات الّتي توجب الوصول الىٰ الكمالات وقد قيل بالفارسية:

دِه نِشني مرد را احمق كُند   مرد حقّ را كافر مطلق كُند

ومنها – أنّ الموانع في البلاد الصّغيرة أكثر وأوفَر منها في البلاد العظيمة لا مِن جهة أصل الوجود بل من جهة المّانعية والوّجه فيه واضح ألا ترىٰ أنّك اذا أردتَ أن لا ترىٰ زيداً مثلاً أو تكرِه مُجالسته ومُعاشرته لِعدَم صّلاحيته لا تقدر

علىٰ عدم رؤيته أو معاشرته في البَلد الصّغير عادةً وأمّا في البَلَد العظيم فهو حاصل لك طبعاً وقِس علىٰ ما ذكرناه غير ما ذكرناه والوُجوه كثيرة والمَحاسِن مُختلفة مُتنوعة بالنّسبة الىٰ الأشخاص زماناً ومكاناً وإستعداداً وقد ثبت لمؤلف هذا الكتاب صدق هذا المقال عقلاً وحِسّاً فأنّي بعد الفراغ من التّحصيل ومراجعتي من النّجف الأشرف الىٰ إيران أردتُ أنْ أسكُن في زاوية من زوايا الإجتماع وأشتغل هناك بالمطالعة والتّأليف وتهذيب الرّوح وتصفية الباطن ظنّاً مِنّي أنّ المقصود لا يحصل في البلاد العظيمة لأنّ الموانع فيها أكثر منها في غيرها فأخترتُ لِما أردتُه وَطني المألوف أعني به القائن من بلاد خُراسان الّذي هو كما قال الشّاعر:

دِيارٌ بها حَلَّ الشّباب تَميمَتي وأوّل أرضٍ مَسّ جلدي ترابها

مضافاً الىٰ وجود الإمكانات المّادية من الأملاك المَورُوثة الّتي ربمّا يُظَن أنّها من المُعِدّات والأسباب في الوصول الىٰ المقاصد ولا سيّما بالنّسبة الىٰ أهل العِلم فَسَكنتُ فيه مدّة أكثر من عَشر سنين مع فراغ البال من حيث المعاش ثمّ بعد المدّة ظَهَر لي خَبَطي فرأيتُ أنْ كلّما حَصّلته من العلوم العقلّية والنّقلية صار في معرض الذّهول والنّسيان لعدم وجود الطّلاب والمحصّلين هناك وترك الإشتغال بالبحث والفَحص مضافاً الىٰ وجود الموانع عن التّصنيف والتّأليف فعزمتُ علىٰ الهجرة منه الىٰ بلدٍ آخر وبالجملة بعد الإستشارة مع بعض الأجلّة من العُلماء والإستخارة من اللّه تعالىٰ تركتُ البَلد المألوف وسكنتُ مدّة قليلة في المشهد المقدّس الرّضوي الىٰ أن ألقاني التّقدير وإختارَ لي الحكيم الخبير البصير بعباده ونيّاتهم الهجرة فيه أيضاً الىٰ عاصمة طِهران صانه اللّه عن الحدثان وهو من أكبر بلاد المملكة بل المنطقة في هذا العَصر وقد وَفّقني اللّه تعالىٰ فيها بتوفيقات كثيرة الّتي أوجبت لي الشّكر علىٰ ما أنعَمَ به علَيّ ومن جُملتها تأليفي لهذا السّفر الجليل وغيره وأنّي لأعلم عِلماً قطعياً لا أشك فيه لو كُنتُ في القائن لم أقدر عليه فضلاً عن غيره هذا ومَع ذلك كُلّه فأعلم أنّ الحكم بإعتبار الأغلب الأعمّ لا أنّه يشمل جميع الأفراد ضرورة أنّ

السّكونة في الأمصار العِظام أو الصّغار يختلف بإختلاف الأشخاص والنيّات والقابليات فربما تكون السّكونة في البلاد الصّغيرة أصلح منها في البلاد العظيمة في بعض الأوقات وفي حقّ بعض الأشخاص وربما يكون بالعكس اذ ما من عام إلّا وقد خُصّ:

□ **قوله ﷺ واحْذَرْ مَنازِلَ الغَفْلَةِ والجَفَاء وقِلَّةَ الأَعْوَانِ علىٰ طاعَةِ اللّهِ...**

بعد ما أمَرَ ﷺ في الجملة السّابقة بالسّكون في الأمصار العِظام لما عرفت الوجه فيه نهىٰ ﷺ عن السّكون في منازل الغَفلَة والجفاء الىٰ آخر ما قال وما ذكره ﷺ من الأوصاف من لوازم البلاد الصّغيرة وشؤنها فأنّها منازل الغَفلَة والجَفاء لكون أكثر أهلها من الغافلين لجهلهم وحماقتهم ومن المعلوم أنّ الجهل والحماقَة منشأ الغَفلة والجَفاء علىٰ الغير وعلىٰ النفس الّذي يُوجب القساوة في القلب، قال اللّه تعالىٰ في ذمّ أهل البادية: **﴿الأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْراً وَنِفَاقاً﴾**(1) وهذا هو السّر في قلّة الأعوان علىٰ طاعة اللّه فأن المُتّصف بالغفلَة والجَفاء بعيد عن الحقّ فضلاً عن طاعته والإعانة عليها ولأجل هذا قالوا الغَفلة رأس الشّرور والآفات هذا أن أُريد من منازل الغَفلَة والجَفاء ما ذكرناه من البلاد الصّغار بقرنية السّياق وأمّا أن حَملنا العبارة علىٰ معناها العامّ في أيّ بلدٍ كان فالأمر أوضح من أن يخفىٰ علىٰ أحدٍ وذلك لأنّ ملاك النّهي أينما وُجِد فهو محذُور سواء كان في الأمصار العِظام أو الصّغار:

□ **قوله ﷺ: واقْصُرْ رَأْيَكَ علىٰ ما يَعْنِيكَ وإِيَّاكَ ومَقاعِدَ الأَسْوَاقِ فإِنَّها مَحاضِرُ الشَّيْطانِ ومَعارِيضُ الْفِتَنِ...**

أي وأقصِر رَأيك وعَزمك علىٰ ما يفيدك في الدّارين من الأفعال الحَسنة والأعمال الصّالحة وأمّا الأمور الّتي لا نفع فيها في الحقيقة بل تُعدّ من العَبث فلا تفعلها فأنّها من تضييع الوقت وقد ورد في الأثر من حُسن إسلام المرء تركه ما لا يُعنيه أي ما لا ينتفع به:

وأمّا مقاعد الأسواق فالوجه في مَنعها هو ما ذكره بقوله أنّها محاضِر

1- التوبة -٩٦

الشّيطان أي محالّ حضوره ومعاريض الفِتن أي أنّها تكون مَعرضاً للفِتَن فأنّ السّوق محلّ الفسوق والأسواق مواطن إبليس وجنوده إمّا لوجود الأيمان الكاذبة والبّيوع الفاسدة فيها وإمّا كثرة ما يَمرّ على النّظر فيها من مثيرات اللّذات والشّهوات، وأنّما قال ﷺ: معاريض الفِتن لنكتةٍ وهي أنّ المعاريض جمع مِعراض بكسر الميم كما أنّ المحاريب جمع مِحراب وصيغة المِفعال بكسر الميم تدّل على الألة كما قيل بالفارسية، اسم آلت كه بر آلت دال است، مِفعل ومِفعلة ومِفعال است و على هذا فقوله ﷺ إشارة الى أنّ الأسواق أسباب و ألات لِلفِتن فمن دَخل فيها وَقع فيها.

▫ قوله ﷺ: وأَكْثِرْ أَنْ تَنْظُرَ إِلىٰ مَنْ فُضِّلْتَ عليهِ فإنَّ ذٰلِكَ مِنْ أَبْوَابِ الشُّكْرِ ...

أي لا تنظر الى مَن هو فوقك بل أنظر الى من هو دُونك فأنّ ذلك من أبواب الشُّكر وذلك لأنّ النّظر الى من هو فوقك في النّعمة يُوجب هَمّك وحُزنك على ما فاتك منها وهذا بخلاف النّظر الى من دُونك فأنّه يُوجب الإبتهاج والسّرُور الباعث على الشّكُر فاذا نَظر العالم الى الجاهل والغَنّي الى الفقير والصّحيح الى المريض وهكذا كان ذلك داعياً وباعثاً له على الشّكُر فيقول الحَمد لِلّه الّذي لم يجعلني فقيراً أو مَريضاً أو جاهلاً وهو واضح.

▫ قوله ﷺ: ولاَ تُسَافِرْ في يَوْمِ الجُمُعَةِ حتّىٰ تَشْهَدَ الصَّلاَةَ إلاَّ فاصِلاً في سَبِيلِ اللّٰهِ أوْ في أمْرٍ تُعْذَرُ بِهِ...

نهىٰ ﷺ عن السَفر يَوْمِ الجُمُعَةِ قبل الصَّلاَةَ والمراد بها الظُهر ومفهوم العبارة اذا شهدت الصّلوة فسافِر بعدها وليس النّهي في المقام للحُرمة بل لِلكراهة فالسّفر قبل صلوة الظّهر من يَوْمِ الجُمُعَةِ مكروه وليس بحرام قطعاً ويدّل على ما ذكرناه اتّفاقهم على عدم حرمته قبل الظّهر وقد روي عن الصّادق ﷺ أنّه كره السّفر في ذلك الوقت بغير ضرورة دَعته اليه ثُمّ أنّ السّفر قبل الصّلاة في يوم الجمعة قد نطقت الأخبار بمَدْحه وذَمّه:

فَعن الصّادق ﷺ في حديثٍ رواه في البحار وإجتنب السّفر في يوم الأثنين والأربعاء وقبل الظّهر من يوم الجمعة:

وعن الرّضا عليه السلام أنّه قال ما يؤمن مؤمن سافر يوم الجمعة قبل الصّلاة أن لا يحفظه اللّه في سَفَره ولا يخلفه في أهله ولا يرزقه من فضله:

وحيث إنجرّ الكلام الىٰ السّفر فلا بأس بالإشارة الىٰ بعض ماوَرد فيه فنقول:

قال الصّادق عليه السلام من أراد سَفراً فليسافر في يوم السّبت فلو أنّ حجراً زال عن جبَل في يوم سبت لردّه اللّه الىٰ مكانه أو يوم الثلاثاء فأنّه اليوم الّذي ألانَ اللّه فيه الحديد لداوُد، أو يوم الخميس فأنّ النّبي صلى الله عليه وآله كان يُسافر يوم الخميس وقال يوم الخميس يوم أحبّه اللّه ورسُوله وملائكته وإجتنِب السّفر في يوم الأثنين والأربعاء وقبل الظّهر من يوم الجمعة ويُكره أنْ تُسافر اليوم الثالث من الشّهر والرّابع والخامس منه والسّادس منه والثّالث عشر منه والسّادس عشر والحادي والعشرين والرّابع والعشرين والخامس والعشرين والسّادس والعشرين انتهىٰ:

وفي المزار الكبير اذا عزمتَ علىٰ الخروج فإختَر يوماً له وليكُن أحد ثلاثة أيّام السّبت أو الثلاثاء أو الخميس فقد روي عن الصّادق عليه السلام أنّه قال من أراد سَفراً فليُسافِر يوم السّبت فلو أنّ حجراً زال من مكانه يوم السّبت يَردّه اللّه الىٰ مكانه وأمّا يوم الثلاثاء فأنّه روي عنه أنّه قال سافروا يوم الثلاثاء وأطلبوا الحوائج فيه فأنّه اليوم الّذي ألانَ اللّه عزّ وجلّ فيه الحديد لداوُد وأمّا يوم الخميس فأنّه روي عنه عليه السلام أنّه قال كان رسُول اللّه صلى الله عليه وآله يغزو بأصحابه في يوم الخميس فيظفر فمن أراد سَفراً فليُسافِر فيه وأتّق الخروج في يوم الأثنين فأنّه اليوم الّذي قُبِضَ فيه رسُول اللّه وإنقَطَع الوحي وأبتر هل بيته الأمر وقُتِلَ الحُسين وهو يوم نحس، وأتّق الخروج يوم الأربعاء فأنّه اليوم الّذي خُلِقَت فيه النّار وأهلك فيه الأُمم الطّاغية، وأتّق الخروج يوم الجمعة قبل الصّلاة فأنّه رُوي عن الرّضا عليه السلام أنّه قال ما يُؤمن من مؤمنٍ الحديث وقد ذكرناه ثمّ قال وأتّق الخروج يوم الثالث من الشّهر فأنّه يوم نحس وهو اليوم الّذي سُلِبَ فيه آدم وحوّاء لباسيهما، وأتّق يوم الرّابع منه فأنّه يخاف علىٰ

المُسافِر فيه نزول البلاء وأتق اليوم الحادي والعشرين منه فأنّه يوم نحس أيضاً وهو اليوم الّذي ضرب اللّه تعالىٰ فيه أهل مِصر مع فرعون بالآيات فأن إضطررت الىٰ الخروج في واحدٍ ممّا عددناه فإستَخِرِ اللّه تعالىٰ كثيراً وأسئله العافية والسّلامة وتصّدق بشيءٍ وأخرُج علىٰ إسم اللّه تعالىٰ انتهىٰ «بحار الأنوار ج ٢٢ ص ٢ و٣ ط كمپاني وتفسير الكلام مسطور هناك»...

□ قوله ﷺ: وأطِعِ اللّٰه في جَميعِ أُمورِكَ فإنَّ طَاعَةَ اللّٰهِ فاضِلَةٌ علىٰ ما سِوَاهَا وخادِعْ نَفْسَكَ في الْعِبادَةِ وارْفُقْ بها ولاَ تَقْهَرْها. وخُذْ عَفْوَها ونَشاطَهَا إلاَّ ما كانَ مَكْتُوباً عَلَيْكَ مِنَ الفَرِيضَةِ فإنَّهُ لابُدَّ مِنْ قَضَائِها وتَعاهُدِها عِنْدَ مَحَلِّها...

أمَرَ ﷺ بأُمورٍ ثلاثة فيها سعادة الدّارين وحلاوة النشأتين:

أحدها: الإطاعة لِلّٰه تعالىٰ في جميع الأُمور وعَلّلها بأنّها فاضِلة راجِحة علىٰ ما سواها من الطّاعات والأصل في الحكم قوله تعالىٰ: ﴿وأطِيعُوا اللّٰهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ (١)

و: ﴿فاتّقوا اللّٰه ما إستطعتُم وأسمعوا وأطيعُوا﴾ (٢)

و: ﴿وَمَن يُطِعِ اللّٰهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾ (٣) والمراد بالإطاعة لِلّٰه الإنقياد له في جميع أوامره ونواهيه ولا شكّ أنّها فاضِلة علىٰ ما سواها وذلك لأنّ سعادة الدّارين فيها كما أنّ خُسران النشأتين في تركها كيف وهي أساس العبّودية وملاك التّقرب ومعيار الوصول الىٰ أقصىٰ الكمالات وقد مَرّ الكلام فيها غير مرّة:

وثانيها قوله ﷺ: وخادِعْ نَفْسَكَ الىٰ قوله ﷺ: **ولاَ تَقْهَرْها** والمراد بخدع النّفس في العبادة قيل التّلطف بها في النّوافل وأن يخادعها ولا يقهرها فتَمل وتضجر وتترك:

والحقّ أنّ المراد بخداع النّفس الإحتيال والمَكر بها في العبادة كما تحتال وتَمكُر بالصّبي ومُحصّله أنْ تُظهِر لها غير ما في الواقع ونفس الأمر وقوله ﷺ

١- الأنفال ـ ٢٠
٢- التغابن ـ ١٦
٣- النّساء ـ ١٣

وأرفِق بها ولا تقهرها معناه المُداراة مَعها، والشَّفقة لها لئلا تمَل وتضجر فأنّ النّفس اذا مَلّت ضَعُفَت والعبادة عن ملالةٍ لا خير فيها قال الله تعالى: **﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً﴾**(1) أي وَسَطاً في جميع الأُمور حتّى العبادة فأنّ الإفراط والتّفريط مذمومان بقولٍ مطلق في الشّريعة المقدّسة:

وثالثها قوله عليه السلام: **وخُذْ عَفْوَها ونَشاطَهَا** والضّمير الى النّفس أي عَفو النّفس ونشاطها للعبادة أي لا تحمل عليها العبادة في غير نشاطها إلّا الفرائض الّتي لابدّ من الإتيان بها سواء كانت النّفس على نشاط أم لم تكن وهو قرينة على أنّ كلامه عليه السلام في المُستّحبات لا الواجبات وقد ورد عن علّي عليه السلام **أنّ النّفس مجبولة على سوء الأدب والعبد مأمور بمُلازمة حُسن الأدبِ والنّفس تجري في ميدان المُخالفة والعبد يجهد بردّها عن سُوء المُطالبة فمتى أطلق عنانها فهو شريك في فسادها ومن أعان نفسه في هوى نفسه فقد أشرك نفسه في قتل نفسه انتهى« مشكاة الأنوار ص ٢٤٧»...**

وعن الصّادق عليه السلام أنّه قال أقصِر نفسك عمّا يضرّها من قبل أن تُفارقك وأوسِع في فكاكها كما تسعى في طلب معيشتك فأنّ نفسك رهينة بعملك انتهى «ص ٢٤٤»...

وعنه عليه السلام قال لا ينبغي للمؤمن إذلال نفسه قلت ما يذّل نفسه قال عليه السلام لا يدخل فيما ينبغي أن يُعتذر منه انتهى« ص ٢٤١»...

وعنه عليه السلام لا ينبغي للمؤمن أن يذّل نفسه قيل له وكيف يذّل نفسه قال يتّعرض لما لا يُطيق فيذّلها انتهى« ص ٢٤٥»...

□ **قوله عليه السلام وإِيّاك أنْ يَنزِلَ بِكَ المَوْتُ وأَنْتَ آبِقٌ منْ رَبِّكَ في طَلَبِ الدُّنْيا وإِيَّاكَ ومُصاحبَةَ الْفُسّاقِ فإِنَّ الشَّرَّ بالشَّرِّ مُلْحَقٌ ووَقِّرِ اللَّهَ وأَحْبِبْ أَحِبَّاءَهُ واحْذَرِ الغَضَبَ فإِنَّهُ جُندٌ عَظِيمٌ منْ جُنُودِ إِبْلِيسَ والسَّلَامُ...**

نهى عليه السلام عن ثلاث وأمَرَ بواحدٍ فقال أيّاك أي إحذَر أنّ يُنزل بك المَوت والحال أنّك آبق أي هارب من ربّك بِعصيانك في طلب الدّنيا مُعرِضاً عن

1- البقرة-١٤٣

الآخرة غافلاً عنها والمقصود لا تغفل من المَوت والوُرود على الآخرة فأنه ملاقيك لا محالة:قال الله تعالى:﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾(١)

و : ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾(٢)

و : ﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ﴾(٣)

وقال أمير المؤمنين عليه السلام أيّها النّاس إتّقوا اللّه الّذي إن قُلتم سَمِعَ وأن أضمرتم عَلِمَ وبادروا للمَوت الّذي إن هَربتُم أدرككَم وإن أقِمتُم أخذَكم وأن نسيتُموه ذكركم انتهىٰ« مشكاة الأنوار ص ٣٠٣»...

وحيث إنّا قد تكلّمنا في المَوت غير مرّةٍ في تضاعيف الكتاب فلا نطول الكلام في المقام ولنذكر لك حديثاً رواه في مشكاة الأنوار عن رسُول اللّه صلى الله عليه وآله:

رُويَ أنّ أسامة بن زيد إشترىٰ وليدة بمِائة دينار الىٰ شهر فَسَمِع رسُول اللّه صلى الله عليه وآله فقال ألا تعجبون من أُسامة المشتري الىٰ شهر أنّ أُسامة لطويل الأمل والّذي نفسي بيده ما طرفت عيناي إلّا ظننت أنّ شفراي لا يلتقيان حتّىٰ يقبض اللّه رُوحي ولا رفعتُ طرفي وظننت أنّي خافضه حتّىٰ أُقبض ولا لقمت لقمة إلّا وظننت أنّي لا أُسيغها أنحصر بها من المَوت ثمّ قال يا بني آدم إن كُنتم تعقلون فعدّوا أنفسكم من الموتىٰ والّذي نفسي بيده أنّ ماتوعدُون لآتٍ وما أنتم بمعجزين انتهىٰ «ص ٣٠٢» ولأجل ذلك كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول لو رأىٰ العبد أجله وسُرعته اليه لأبغَض الأمَل وطَلَب الدّنيا...

وعن الصّادق عليه السلام قال عيسىٰ ابن مريم هَولٌ لا تدري متّىٰ يغشاك ما يمنعك أن تستعّد له قبل أن يُفاجاك انتهىٰ وعنه عليه السلام أكثِر ذكر المَوت فأنّه لم يكثر عبد ذكر المَوت إلّا زَهِدَ في الدُّنيا« ص ٣٠٥» ثمّ نهىٰ عليه السلام عن مُصاحبة الفُسّاق وعَلّله بأنّ ذلك يوجب إلحاق الشّر بالشّر والمراد بالفاسق من لا يُبالي بدينه فيعصي اللّه تعالىٰ بترك الواجبات والإتيان بالمُحرمات ومن المعلوم أنّ

١- الجمعة ـ٨

٢- ق ـ١٩

٣-الأحزاب ـ١٦

مُصاحبته تضّر بالدّين والدّنيا لِسراية الفسق منه الىٰ مصاحبه فيصير الإنسان فاسقاً لا محالة وهذا معنىٰ قوله عليه السلام: **فإنَّ الشَّرَّ بالشَّرِّ مُلْحَقٌ**، والوجه فيه هو أنَّ المُصاحبة والمُعاشرة مؤثّرة فأن كان المُصاحب عبداً صالحاً ينفعك وأن كان فاسقاً يضّرك ولعمري أنّ هذا أصلٌ أصيل تبتني عليه فروع كثيرة فأنّ أكثر الإنحرافات والمعاصي، من فروع المُعاشرة والمُصاحبة مع الفسّاق وهذا ثابت بالتّجربة والبُرهان:

وأمّا قوله عليه السلام: **وَوَقِّر اللّهَ وأحْبِبْ أحِبّاءَهُ** ففيه أمر الىٰ توقير اللّه وتعظيمه والمحبّة لأوليائه من المؤمنين الأخيار والصّالحين الأبرار وذلك لأنّ حُبّهم في الحقيقة يرجع الىٰ حُبّ اللّه وبُغضهم الىٰ بُغضه فَمن أحبّ اللّه أحبّ أوليائه وبالعكس:

عن الباقر عليه السلام في حديث قال عليه السلام لزياد ويحك هل الدّين إلّا الحُبّ ألا ترىٰ قول اللّه عزّ وجلّ: ﴿**إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّـهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّـهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ**﴾ (١) أولا ترىٰ قول اللّه عزّ وجلّ لمحمّد صلى الله عليه وآله: ﴿**حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ**﴾ (٢) وقال تعالىٰ: ﴿**يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ**﴾ (٣)

فالدّين هو الحُبّ والحُبّ هو الدّين انتهىٰ« مشكاة الأنوار ص ١٢٠»...

وعنه عليه السلام اذا أردت أن تعلم أنّ فيك خيراً فأُنظر الىٰ قلبك فأن كان يحُبّ **أهل طاعة اللّه ويبغض أهل معصيته ففيك خير واللّه يُحبّك وأن كان يبغض أهل طاعة اللّه ويحبّ أهل معصيته فليس فيك خير والمرء مع من أحبّ انتهىٰ« ص ١٢١»**...

وعنه عليه السلام قال قال رسُول اللّه صلى الله عليه وآله **لإصحابه أيّ عُرىٰ الإيمان أوثق فقالوا اللّه ورسُوله أعلم وقال بعضهم الصّلاة وقال بعضهم الزّكاة وقال بعضهم الصّيام وقال بعضهم الحجّ، والعُمرة وقال بعضهم الجهاد فقال رسُول اللّه كُلّما قلتم فضل وليس به ولكن أوثق عُرىٰ الإيمان الحُبّ في اللّه والبُغض في**

١- آل عمران ـ ٣١   ٢- الحجرات ـ ٧
٣- الحشر ـ ٩

اللّه وأن توالي أولياء اللّه وتبرأ من أعداء اللّه انتهىٰ« ص ١٢١»...

وعنه عليه السلام – قال ما إلتقىٰ المؤمنان قطّ إلّا كان أفضلهما أشدّهما حُبّاً لأخيه « ص ١٢٢»...

وعن أبي جعفر عليه السلام – قال حُبّ الأبرار لِلأبرار ثواب لِلأبرار وحُبّ الفُجّار لِلأبرار فضيلة لِلأبرار وبُغض الفُجّار لِلأبرار زين لِلأبرار وبُغض الأبرار للفُجّار خزيٌ علىٰ الفُجّار انتهىٰ « ص ١٢٢»...

وعنه قال أنّ رجلاً أحبّ رجلاً لِلّه لأثابه اللّه علىٰ حُبّه أيّاه وأن كان المحبوب في علم اللّه من أهل النّار ولو أنّ رجلاً أبغض رجُلاً لِلّه لأثابه اللّه علىٰ بُغضه أيّاه وأن كان المُبغض في علم اللّه من أهل الجنّة انتهىٰ«ص ١٢٢»...والأحاديث كثيرة:

قوله عليه السلام: واحذر الغضب فانّه جندٌ عظيم من جنود ابليس ثمّ نهىٰ عليه السلام عن الغَضَب وعَلّله بأنّه جندٌ عظيم من جُنود إبليس وهو حقّ لا شكّ فيه عرّفوا الغَضَب بأنّه كيفيّة نفسانية موجبة لحركة الرّوح من الداخل الىٰ الخارج للغلبة ومبدؤه شهوة الإنتقام وهو من جانب الإفراط واذا إشتّد يوجب حركة عَنيفة يَمتلئ لأجلها الدّماغ والأعصاب من الدّخان المُظلم فيستر نور العقل ويضعف فعله ولِذا لا يؤثر في صاحبه الوعظ والنّصيحة بل تزيده الموعظة غِلظة وشدّة ولذلك قال بعض العُلماء الغَضَب شعلة نار أُقتَبست من نار اللّه المؤقدة إلّا أنّها لا تَطّلِع إلّا علىٰ الأفئِدة وأنّها لَمُستَكِنة في طَي الفؤاد إستكان الجمر تحت الرّماد وتستخرجها حَمية الدّين من قلوب المؤمنين الحميّة الجاهلَية والكِبر الدّفين من قلوب الجبّارين الّتي لها عِرق الىٰ الشّيطان اللّعين:﴿قَالَ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ فمِن شأن الطّين الكون والوقار ومن شأن النّار التلظّي والإستعار ثمّ قوة الغَضَب تتوجه عند ثورانها إمّا الىٰ دَفع المؤذيات أن كان قبل وقوعها أو الىٰ التّشفي والإنتقام أن كان بعد وقوعها فشهوتها الىٰ أحد هذين الأمرين ولذّتها فيه وكيف كان لا شكّ أنّ الغَضَب من المُهلكات العظيمة وربّما

– الأعراف ـ ١٢

أدّى الى الشّقاوة الأبديّة من القتل والقطع ولذا قيل أنّه جُنون دفعي، قال أمير المؤمنين عليه السلام الحِدّة ضربٌ من الجُنون لأنّ صاحبها يندم فأن لم يندم فجُنونه مُستحكم:

وربّما أدّى الى إختناق الحرارة وأورَث المَوت فجأة قال بعض الحكماء، السّفينة الّتي وَقَعت في اللّجج الغامرة وإضطربت بالرّياح العاصفة وغشيتها الأمواج الهائلة أرجى الى الخلاص من الغضبان المُلتهب ولذلك وَرَد به الذّم الشّديد في الأخبار: قال رسُول اللّه صلى الله عليه وآله الغَضَب يُفسِد الإيمان كما يُفسِد الخَل العَسَل...

وقال الباقر عليه السلام أنّ هذا الغَضَب جَمرة من الشّيطان توقد في قلب ابن آدم وأن أحدكم اذا غَضَب إحمرّت عيناه وإنتفَخت أوداجه ودخل الشّيطان فيه فاذا خاف أحدكم ذلك من نفسه فليلزم الأرض فأنّ رِجز الشّيطان ليذهب عنه عند ذلك...

وقال الصّادق عليه السلام وكان أبي يقول أيّ شئٍ أشدّ من الغَضَب أنّ الرّجل يغضب فيقتل النّفس الّتي حرّم اللّه ويقذف المُحصنة...

وقال عليه السلام أنّ الرّجل ليغضب فما يرضىٰ أبداً حتّىٰ يدخل النّار...

وقال عليه السلام الغَضَب مِفتاح كُلّ شّرٍ...

وقال عليه السلام الغَضَب مُمحِقة لقلب الحكيم...

وقال عليه السلام من لم يملك غضبه لم يملك عقله« جامع السّعادات ج ١ ص ٢٨٩»...

وعن الرّضا عليه السلام الغَضَب مفتاح كُلّ شّرٍ، وقال عليه السلام قال الحواريون لعيسىٰ يا معلم الخير أعلمنا أيّ الأشياء أشدّ قال أشدّ الأشياء غَضَب اللّه قالوا فيما يتّقي غَضب اللّه قال بأن لا تغضبُوا قالوا وما بدؤ الغَضب قال الكِبر والتّجبر ومحقرة النّاس انتهىٰ« مشكاة الأنوار ص ٢١٩»...

والأحاديث في ذَمِّ الغَضَب كثيرة أومأنا الى كثير منها في الأبحاث السّالفة:

ومن كتاب له عليه السلام (٦٨)

الىٰ سهل بن حنيف الأنصاري

وهو عامله علىٰ المدينة، في معنىٰ قومٍ من أهلها لحقُوا بمعاوية

▫ قوله عليه السلام: أمَّا بَعْدَ فقدْ بَلَغَني أنَّ رِجالاً مِمَّنْ قِبلَكَ يَتَسَلَّلُونَ إلى مُعاوِيةَ فَلاَ تَأسَفْ علىٰ ما يَفُوتُكَ منْ عَدَدِهِمْ ويَذْهَبُ عَنكَ منْ مَدَدِهِمْ فَكَفي لَهُمْ غَيّاً ولَكَ مِنهُمْ شَافِياً فِرَارُهُمْ منَ الْهُدىٰ والْحَقِّ وإيضَاعُهُمْ إلىٰ العَمَى والْجَهْلِ وإنّما هُمْ أَهْلُ دُنْيا مُقْبِلُونَ عَلَيْها ومُهْطِعُونَ إِلَيْهَا وقدْ عَرَفُوا العَدْلَ ورَأَوْهُ وسَمِعُوهُ ورَعُوهُ وعَلِمُوا أنَّ النَّاسَ عِنْدَهُ في الحَقِّ أُسْوَةٌ فَهَرَبُوا إلى الأَثَرَةِ فَبُعْداً لهُمْ وسُحْقاً!!

إنَّهُمْ واللّهَ لمْ يَنْفِرُوا منْ جَوْرٍ ولَم يَلْحَقُوا بِعَدلٍ وإنَّا لَنَطْمَعُ في هذَا الأَمْرِ أنْ يُذَلِّلَ اللّهُ لَنا صَعْبَهُ ويُسَهلَ لَنا حَزْنَهُ أنْ شاءَ اللّهُ والسَّلاَمُ.

◁ اللغة

(قِبلَكَ) بكسر القاف وفتح الباء أي عندك (يَتَسَلَّلُونَ) أي يَذهبون (غَيّاً) بفتح الغين وتشديد الياء أي ضلالاً (إيضَاعُهُمْ) الإيضاع مصدر بمعنىٰ الإسراع (مُهْطِعُونَ) إسم فاعل من أهطع اذا أسرع (أُسْوَةٌ) بضم الهمزة الإقتداء والقاسي (الأَثَرَةِ) بالتَّحريك إختصاص النَّفس بالمنفعة (سُحقاً) بضم السّين أي بُعداً (حَزْنَهُ) بفتح الهاء وسكون الزّاء أي خَشِنَة:

◁ المعنىٰ

(أَمَّا بَعْدَ فَقدْ بَلَغني أنَّ رِجالاً مِمَّنْ قِبلَكَ) وعندك من أهل المدينة (يَتَسَلّلُونَ)ويذهبون (إلىٰ مُعاوِيةَ) بالشّام (فَلاَ تأسَفْ) ولا تحزن (علىٰ ما يَفُوتُكَ منْ عَدَدِهِمْ ويَذْهَبُ عَنكَ منْ مَدَدِهِمْ) ونصرتهم إيّاكَ (فَكَفىٰ لهُمْ غَيًّا)وضلالاً بما فعلوا من لحوقهم بمعاوية (ولَكَ مِنْهُمْ شَافِياً) أي وكفىٰ لَكَ منهم ذَلك (فِرَارُهُمْ منَ الْهُدَى والْحَقِّ) أي من حكومة الحقّ (وايضَاعُهُمْ)وإسراعهم (إلىٰ العَمَى والْجَهلِ) وهو معاوية وحكومته (وإنّما هُمْ) أي الهاربُون (أَهْلُ الدُّنيا مُقْبِلُونَ عَليْها) لا أهْل الآخرة (ومُهطِعُونَ) ومُسرعون (إليْهَا) الىٰ الدّنيا (وقدْ عَرَفُوا العَدْلَ ورَأَوْهُ) أي رأوْا العَدل بأعينهم (وسَمِعُوهُ ووَعُوهُ) أي وَسَمِعُوا العَدل (وَوَعُوهُ) أي حفظوه (وعَلِمُوا أنَّ النَّاسَ عِنْدَهُ) عند الحقّ أوْ عِنْدَ عليٍ عليه السلام (في الحَقِّ أُسْوَةٌ فَهَرَبُوا إلى الأثَرَةِ) والتّفضيل بغير حقٍّ (فَبُعْداً لهُمْ وسُحقاً) دعا عليهم بالبُعد عن رحمة اللّه (إنّهُمْ واللّهِ لمْ يَنْفِروا) ولم يهربوا (منْ جَوْرٍ ولَمْ يَلْحقُوا بِعَدْلٍ) .بل الأمر بالعكس (وإنَّا لَنَطْمَعُ في هٰذا الأمْرِ) وهو الخلافة (أنْ يُذلِّلَ اللّهُ لَنا صَعْبَهُ ويُسهلَ لَنا حَزْنَهُ) وخشنه إنْ شاءَ اللّهُ:

◁ الشّرح

كتب عليه السلام هذا الكتاب الىٰ سَهل بن حُنيف الأنصاري وكان عامله علىٰ المدينة وهو أخو عثمان بْن حُنيف الأنصاري الّذي كان عامله علىٰ البَصرة في وقعَة الجَمَل علىٰ ما مرّ شرحها وكانا من أصحاب رسول اللّه صلى الله عليه وآله وإتّفقوا علىٰ عدالتهما ومكانتهما عند الرّسُول وخليفته .

▫ **قوله عليه السلام: أمَّا بَعْدُ فَقدْ بَلَغني أنَّ رِجالاً مِمَّنْ قِبلَكَ يَتَسَلَّلُونَ إلىٰ مُعاوِيةَ فلاَ تَأسَفْ علىٰ ما يَفُوتُكَ منْ عَدَدِهِمْ ويَذْهَبُ عَنكَ منْ مَدَدِهِمْ متن...**

روىٰ المؤرّخون أنّ ناساً من المُهاجرين والأنصار هربُوا من حكومة عليّ الىٰ حكومة معاوية ومن حكومة اللّه الىٰ حكومة الشّيطان وكان الوجه فيه أنّهمْ

لم يقدروا على قبول عَدَله عليه السلام فلحقوا بمعاوية فأنّ النّاس الى أشباههم أميَل كما قيل بالفارسية:

ذرّه ذرّه كاندرين ارض و سماست
جنس خود را مثل كاه وكهرياست
نوريان مر نوريان را طالب‌اند
ناريان مر ناريان را جاذب‌اند

وهذا هو السِّر في إعراضهم عنه عليه السلام بعد رسول الله وإقبالهم الى غيره فلو كانوا طالبين للحقّ راغبين الى سنّة الله ورسوله مُطيعين لِما أمرَهم رسول الله به في أمر الخلافة لَما فَعلوا بأهل البيت ما فَعلوا في السقيفة وبعدها ومَن المعلوم عند المُوافق والمخالف أنّ عليّاً بعد رسول الله لم يفعل شيئاً يُوجب إعراضهم عنه بل عداوتهم له وأمّا ما ذَهب اليه بعض من لا خُبرة له من أنّ الباعث على إعراض النّاس عنه عليه السلام أنّه قَتل في زمان رسول الله صلى الله عليه وآله غير واحدٍ من رؤساء العَرب وصار ذلك مُوجباً لِحقد العَرب فهو ممّا لا يَعتمد عليه العاقل فضلاً عن المحقّق العارِف بالحقائق وقد ذكرنا عند شرحنا للخُطبة الشّقشقية ما يُشبعك ويُغنيك عن غير هذا الكتاب فلا نُطول الكلام بذكره ثانياً وقلنا هناك أنّ العلّة الأصلية في مُخالفة النّاس له عليه السلام لم تكن إلّا عدله عليه السلام في جميع الشؤن وأنّه عليه السلام كان مِمّن لا يأخذه في الله لَومة لائم ومن كان كذلك لا يُحبّه ولا يوافقه إلّا العُدول من النّاس لوجود السّنخية بينهم وبينه وهم قليلون جدّاً في كلّ عصر وزمانٍ فالظّالم الّذي لم يَذُق طَعم العَدالة ولم يُهيئ نفسه لقبولها إمّا لعدم إستعداده لها أو لكونه مُقبلاً على الدّنيا حريصاً عليها مَع علمَه بأنّ إجراء العَدل في حقّه يُنافي أمياله وشهواته ويَضُر بدنياه كيف يقبل حكومة الإمام العادل الّذي ينظر الى جميع النّاس بعينٍ واحدة ولا يُفضّل أحداً على غيره في الحُقوق الماليّة وغيرها بل هُو مضافاً الى عدم قبوله الحكُومة والموافقة للحاكم العادل يُخالفه ويُبارزه ويَمنعه عن الوصول اليها حتّى الإمكان وفي صُورة عدم

القُدرة على المَنع يُفسد عليه الأمر ولو بإعانة أعداءه ومُخالفيه وهذا أصل مسّلم عند الظّالمين المُنحرفين عن الصّراط المُستقيم في كلّ عصرٍ وزمانٍ الىٰ يوم ظهور دَولة الحقَّة في حكومة المهدي الموعُود صلوات اللّه عليه الّذي يَملأ اللّه الأرض به قِسطاً وعَدلاً بعد ما مُلِئَت ظُلماً وجُوراً وأمّا في تلك الحكومة فليس للظّالم مجال ليُظهِر ما أراده من النّفاق والشّقاق ومُخالفة الحقّ وإعانة الظّالم بل هو مقتول مَعدوم بحيث لا يكون منه عين ولا أثر فتصير الأرض من وجوده ووجود أمثاله خالية ثمّ تَجري العدالة علىٰ ما تنبغي وأمّا مع وجود الظّالمين المُعاندين فهذا أعني إجراء العدالة أمرٌ غير مُمكِن ولا مُتحقق وما ذكرناه لا يختّص بزمانٍ دون زمانٍ وبشخصٍ دون شخصٍ ولا خصوصيّة لعلّي عليه السلام وحكومته بل هذه القاعدة كانت ثابتة جارية في طول التّاريخ الىٰ زماننا هذا وتكون كذلك الىٰ ظهور الموعُود أتظّن أنّ عليّاً عليه السلام لو كان في زماننا هذا وكان مُتصدياً لأمر الحكومة لم يخالفوه بل لم يَقتلوه هيهات ثمّ هيهات ولنرجع الىٰ شرح المتن:

قَال قد بَلَغني أنّ رِجالاً مِمَّنْ قِبَلَكَ وعندك يَتَسَلَّلُونَ أي يذهبون ويلتجأون الىٰ معاوية بالشّام فلاَ تَأسَف وَلا تَحزن علىٰ ما يَفُوتُكَ منْ عَدَدِهِم وَيَذْهَبَ عَنكَ منْ مَدَدِهِمْ وإعانتهم أيّاك وذلك لأنّ هؤلاء الأشخاص عدمهم أولىٰ من وجودهم لكونهم ضّالين مضّلين دأبهم العِناد وشأنهم الفساد وسيرتهم النّفاق والشّقاق:

- قوله عليه السلام: **فَكَفَىٰ لَهُمْ غَيّاً وَلَكَ مِنْهُمْ شَافِياً فِرَارُهُمْ مِنَ الْهُدَىٰ وَالْحقِّ وإيضَاعُهُمْ إلَىٰ العَمَىٰ وَالجَهْلِ...**

الظّاهر أنّ قوله عليه السلام: **فِرَارُهُمْ** فاعل، لقوله عليه السلام: **فَكَفَىٰ** والجملة أعني قوله عليه السلام: **لَهُم غَيّاً ولَكَ مِنْهُمْ شَافِياً** وقعت بين الفعل والفاعل والتّقدير فكفىٰ فرارهم الىٰ آخر ما قال عليه السلام لهم غيّاً ولك منهم شافياً ومحصل المعنىٰ أنّ فِرَارُهُمْ من الهُدىٰ والحَقّ وإسراعهم الىٰ العَمَىٰ والجَهْلِ أي فرارهم من حكومة اللّه

وإسراعهم الىٰ حكومة الشّيطان يكفي في إثبات غَيّهم وضَلالتهم وذلك لأنّ من كان علىٰ هدىً من ربّه بصيراً في دينه لا يفّر من اللّه الىٰ الشّيطان ولا من العَدل الىٰ الجُور وأيّة ضلالةٍ أفحَش وأقبَح منه:

وإمّا قوله عليه السلام: **وَلَكَ مِنْهُمْ شَافِياً**، فقال بعض الشّراح فيه ما حاصله أنّ فرارهم كان من مَرَضِهم أعني ضَلالتهم ورئيس الجماعة كأنّه كلّها ولهذا نسب الشّفاء اليه انتهىٰ:

وقال الشّارح المُعتزلي، أي يكفيك في الإنتقام منهم وشفاء النّفس من عقوبتهم أنّهم يتسلّلون الىٰ معاوية انتهىٰ:

وأنا أقول: خرج الكلام مَخرج الإستعارة الخَفية وذلك لأنّه عليه السلام شبّه جماعة المُسلمين بَبَدنٍ واحدٍ فكما أنّ لِلبدَن أعضاء وجوارح بها يَظفَر بمقصوده ويَصل الىٰ مرامه ومقصده والحاكم فيه هو القلب كذلك للجامعة أعضاء وجوارح نُعبّر عنها بالأفراد وكما أنّ البَدن المَحسُوس لا وجود له مستَقِلاً مع قطع النّظر عن أعضاءه وجوارحه بل وجوده وجودٌ وهمّيٌ تخيّلي كذلك الجامعة لا وجود لها مع قطع النّظر عن الأفراد والأشخاص إلّا علىٰ سبيل التّخيل والتّوهم وأن شئت قلت وجود البَدن وجود أعضاءه وجوارحه كما أنّ وجود الجامعة في وجود أشخاصها وهذا ثابت في المعقول ثمّ أنّ البَدن أعني به مجموع الأعضاء والجوارح لا يقدر علىٰ إعمال ما أراد وإنفاذ ما شاء إذا كان مريضاً عليلاً ضرورة أنّ المريض لا يقدر علىٰ شيء فَمن أراد القيام والقُعود والحركة نحو المقاصد والآمال وكان مريضاً ينبغي له أوّلاً تحصيل الصّحة بمراجعة الطّبيب وشَرب الدّواء والمواظبة علىٰ الغذاء وغيرها ممّا يحتاج اليه في الوصول الىٰ الصّحة هذا في الجسم ظاهر محسوس ونحن نقول الجامعة أيضاً كذلك فأنّ الآثار والمنافع تترتب علىٰ الجامعة الصّحيحة عن الآفات والأمراض الإجتماعية ونُعبّر عن أمراضها بالمفسدين المُعاندين والظّالمين المُنحرفين المُخالفين لصلاح الجامعة وسدادها فأنّهم من الموانع القوّية

والعوائق العظيمة في حركة الجامعة الى السّداد والرّشاد وحيث أنّ الحاكم فيها بمنزلة القلب لِلبَدَن فينبغي له أوّلاً رَفع المانع بأيّ نحو كان فاذا فرضنا أنّ المَرض الّذي يُهدّد الإجتماع زال عنه بنفسه من غير إعمال قُدرةٍ لِلحاكم كما إذا خرج المُفسد المُعاند منه والتجأ الىٰ قوم آخر من الكفّار والأشرار فقد حَصَل المقصود وشفيَ الحاكم الّذي هو بمنزلة القلب عن وجود هذا المَرض فصار بَدن الإجتماع صحيحاً بعد كَونه مَريضاً:

(وأمّا بنعمة ربّك فحدّث) فلا مجال للتأسف والتّحزّن علىٰ خروج هذه الأشخاص الّذين هم بمنزلة الأمراض بل ينبغي الشّكر علىٰ هذه النّعمة ولأجل هذه الدّقيقة قال عليه السلام فلا تأسف علىٰ ما يفوتك من عَدَدهم ويذهب عنك من مَدَدهم ضرورة أنّ وجود هؤلاء الأشرار في جامعة المُسلمين غالب الشّر علىٰ الخير وبالعَكس بالعَكس فكأنّه قال عليه السلام قد شفيتَ من مَرضك الّذي حصل لك بوجُود هؤلاء المُفسدين وإستَرحتَ من فسادهم وغيّهم في أصحابك فكفىٰ لَهُم غيّاً أنّهم فرّوا من الحقّ الىٰ الباطل وكفىٰ لك شفاءً أنّك خَلَصت من شرّهم: ﴿فمن نَكَثَ فإنَّمَا يَنكُثُ عَلىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً﴾ (١)

▫ قوله عليه السلام: **وأنّما هُمْ أَهْلُ دُنْيا مُقْبِلُونَ عَلَيْها ومُهْطِعُونَ إلَيْهَا وَقدْ عَرَفُوا العَدْلَ ورَأوْهُ وسَمِعُوهُ ودَعُوه (ورَعُوهُ) وَعَلِمُوا أَنَّ النَّاسَ عِنْدَهُ في الحَقِّ أُسْوَةٌ فَهَرَبُوا إلىٰ الأَثَرَةِ فَبُعْدَا وسُحْقاً...**

إستَدل عليه السلام علىٰ غَيّهم وضلالتهم بأُمورٍ ثلاثة:

أحدها: أنّهم أهَل دُنيا وصدَّر كلامه بقوله (إنّما) لِيفيد الحَصر ولذلك قال عليه السلام: **مُقْبِلُونَ عَلَيْها** أي اقبَلُوا علىٰ الدّنيا بجميع شئونهم ولازم ذلك إعراضهم عن الأُخرة كذلك وأهطَعُوا وأسرَعُوا الى الدّنيا كأنّهم خُلقوا لها وليس وراءهم حساب ولا عقاب ولم يعلموا أنّ متاع الدّنيا قليل وحُبّها رأس كلّ خطيئة

١- الفتح - ١٠

ولنعم ما قيل بالفارسيّة:

اهــل دُنــيا از كَهين واز مَهين　　لَـعنتُ اللّـه عـليهم اجـمعين

وقد ورد في ذَمّ الدّنيا وحُبّها والرّكون عليها من الآيات والأخبار والآثار ما لا يُحصىٰ وقد فرغنا من البحث عنها وبيان ماهيّتها وأنّ الدّنيا المذموم مذكورة في كثيرٍ من أبحاث الكتاب فأنّ أكثر كلماته عليه السلام وخُطبه يدور مدار الإعراض عنها والإقبال علىٰ الأخرة ولنُشر في المقام الىٰ بعض ما ورد في ذمّ أهل الدّنيا الّذين جَعَلوها قبلة لآمالهم وإعتمدوا عليها:

فعن الصّادق عليه السلام أنّه قال (وفيما ناجىٰ اللّه عزّ وجلّ مُوسىٰ، ياموسىٰ لا تَركن الىٰ الدّنيا ركون الظّالمين وركُون من إتّخذها أباً وأُمّاً يـا مـوسىٰ لو وكّلتك الىٰ نفسك لتنظر لها إذن لَغَلب عليك حبّ الدّنيا وزهرتها يا مُـوسىٰ نافس في الخير أهله وإستَبقهُم اليه فأنّ الخير كإسمه وإترك من الدّنيا ما بك الغِنىٰ عنه ولا تنظر عينك الىٰ كلّ مفتونٍ بها وموكّلٍ الىٰ نفسه وإعلم أنّ كلّ فِتنةٍ بدؤها حبّ الدّنيا ولا تغبط أحداً بكثرة المال الحديث « جامع السّعادات ج ٢ ص ٣١»...

قال بعض الأصحاب أنّ اللّه جَعل للدّنيا ثلاثة أجزاء جزءٌ للمؤمن وجزءٌ للمُنافق وجزءٌ للكافر فالمؤمن يتّزود والمُنافق يتّزين والكافر يتّمتع.

وقال الأخر من أقبل علىٰ الدّنيا أحَرَقته نيرانها حتّىٰ يصير رماداً ومن أقبل علىٰ الأخرة صَفته نيرانها فصار سبيكة ذهبٍ ينتفع بها ومن أقبل عـلىٰ اللّـه سبحانه أحَرقته نيران التّوحيد فصار جوهراً لا حَدٌ لقيمته.

وقال بعض الحكماء الدّنيا دار خراب وأخـرب مـنها قـلب مـن يُـعمرها والجنّة دار عمران وأعَمَر منها قلب من يُعمرها.

وقال بعض الزّهاد الدّنيا تخلق الأبدان وتجدّد الأمال وتُقرّب المَنية وتُبعد الأُمنيّة ومن ظَفَر بها تَعب ومن فاقته نَصب، والكلمات والأمثلة حولها كثيرة بحيث لا يمكن لأحدٍ إحصائها مضافاً الىٰ الآيات والأخبار كما مَرّ سابقاً.

وثانيها قوله ﷺ: وقدْ عَرَفُوا العَدْلَ ورَأوْهُ وسَمِعُوهُ ورَعُوهُ...

وجه الإستدلال به على المُدّعىٰ هو أنّ مَن عَرف العَدل ورأه بعينه وسَمِعه ووعاه بقلبه ومع ذلك أعرَض عنه والتَجأ الى الباطل فليس هذا إلّا من إقباله على الدّنيا وإسراعه اليها وأنّها قد تزّينت في عينه وليس هو مثل من لَم يعرف العَدل ولا رَأه فأنّ هذا وأمثاله لو أعرَضوا عن العَدل والعادِل يمكن أنّ يكون المَنشأ فيه عَدم معرفتهم بأصل الموضوع لا حُبّ الدّنيا فأنّ حساب الجُهال غير حساب العُلماء والعُرفاء في الدّنيا والآخرة وحيث أنّ الهاربين من المدينة الى الشّام كانوا عالمين بالقَضية والعارفين بمقام أمير المؤمنين ومعاوية فلم يكن فرارهم الى معاوية إلّا حُبّاً للدّنيا وهو المطلوب.

وثـــالثها قـــوله ﷺ: وعَلِمُوا أنَّ النَّاسَ عِنْدَهُ في الحَقِّ أُسْوَةٌ فَهربُوا إلىٰ الأَثَرَةِ...

وجه الإستدلال به قد ظهر ممّا ذكرناه في الجملة السّابقة فأنّ من عَلِم أنّ النّاس عند الحاكم علىٰ السّواء وأنّه لا يقسم المال عليهم إلّا بالسّوية من غير تفاضلٍ ومَعَ ذلك هَرب منه وأعرَض عنه ودَخل في حزب الشّيطان لوجود التّفاضل هناك فهو مُحبّ لِلدّنيا لا مُحالة وهو واضح ويمكن لنا أنّ نَجعل قوله ﷺ: **وقَد عَرَفُوا العَدْلَ** إلىٰ قوله ﷺ: **الأَثَرَةِ** تعليلاً لقوله ﷺ في الجملة السّابقة أعنىٰ بها قوله وأنّما هو أهل دنيا مُقبلون عليها ومُهطعون اليها، وعليه فالواو في قوله وقد عَرفوا الحقّ للحال وحاصل المعنىٰ أنّهم مُقبلون عليها والدّليل علىٰ إقبالهم عليها أنّهم تَسَلَّلون إلىٰ مُعاويةَ بعد مَعرفتهم العَدل وعلمهم بالأُسوة ولا يفعل هذا إلّا المُقبل علىٰ الدّنيا وبعبارةٍ أُخرىٰ علّة تركهم عليّاً ﷺ هي خَوفهم من عَدله ويأسهم عن التّفاضل في المـال فـي التّـقسيم ولولا وجـود هـاتين الجهتين في حكومته لم يهربوا من حكومته أصلاً والفرق بين التّفسيرين هو أنّ قوله ﷺ: **وقَد عَرَفُوا العَدْلَ** إلىٰ قوله ﷺ: **وسُحْقاً** تعليلٌ لإقبالهم علىٰ الدّنيا علىٰ الأوّل وتعليل لفرارهم علىٰ الثّاني والمآل واحد.

▫ **قوله ﷺ: إِنَّهُمْ واللّهِ لمْ يَنْفِرُوا منْ جَوْرٍ ولمْ يَلْحَقُوا بِعَدلٍ وإِنَّا لَنَطْمَعُ في هَذَا الأَمْرِ أَنْ يُذَلِّلَ اللّهُ لَنا صَعْبَهُ ويُسَهلَ لَنا حَزْنَهُ إِنْ شاءَ اللّهُ والسَّلامُ...**

ثُمَّ أَكَدَّ ﷺ كلامه بالتأكيد والقسم **إِنَّهُمْ لَمْ يَنْفِرُوا** ولَم يَرحلوا منْ جَوْرِ علّي ﷺ الىٰ عَدل معاوية حتّىٰ لا يكون الذّم عليهم بل هربوا من العَدل ولحقوا بالجَور ومن كان كذلك فهو ظالم علىٰ نفسه وما ربّك بظلامٍ للعبيد وعليه فَذَرهم في خَوضهم يَلعبُون وسَيَعلم الّذين ظلمُوا أيّ مُنقلبٍ يَنقلبُون إنّا لِلّه وإنّا اليه راجعون، ثُمّ قال ﷺ: **وإِنَّا لَنَطْمَعُ في هَذَا الأَمْرِ** أي أمر الخلافة أنْ يُذَلّلَ اللّهُ لَنا صَعْبَهُ ويُسَهلَ لَنا حَزْنَهُ وخَشِنه أنْ شاء اللّه.

وذلك لأنّ الأُمور كلّها بيده ولا نريد من الحكومة إلّا إِحياء الحقّ وإماتة الباطل وقد قال اللّه تعالىٰ: **﴿إِنْ تَنْصُرُو الله يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾**(١)

١- محمّد_٧

ومن كتاب له عليه السلام (٦٩)

الى المنذر بن الجارود العبدي، وقد خانَ في بعض ما ولاه من أعماله

□ قوله عليه السلام: أمَّا بَعْدُ فإنَّ صَلاَحَ أَبِيكَ غَرَّنِي مِنْكَ وَظَنَنْتُ أَنَّكَ تَتَّبِعُ هَدْيَهُ وتَسْلُكَ سَبيلَهُ فَإذا أنْتَ فِيما رُقِّيَ إلَيَّ عَنكَ لا تَدَعُ لِهَوَاكَ انْقِياداً ولا تُبْقِي لآخِرَتِكَ عَتَاداً تَعمُرُ دُنْياكَ بِخَرَابِ آخرَتِكَ. وتَصِلُ عِشيرَتَكَ بِقَطِيعَةِ دِينِكَ. ولأن كانَ ما بَلَغَنِي عَنْكَ حَقّاً لَجَمَلُ أهْلِكَ وشِسْعُ نَعْلِكَ خَيرٌ مِنكَ ومَنْ كانَ بِصِفَتِكَ فَلَيْسَ بِأَهْلٍ أَنْ يَسُدَّ بِهِ ثَغْرٌ أوْ يَنْفُذَ بِهِ أمْرٌ أوْ يُعْلى لهُ قَدْرٌ أوْ يُشْرَكَ في أمانَةٍ أوْ يُؤْمَنَ على خِيَانَةٍ فأقْبِلْ إلَيَّ حِينَ يَصِلُ إلَيْكَ كِتَابي هٰذَا إنْ شَاءَ اللهُ...

قال الرضي رحمه الله والمُنذِر هٰذَا هُوَ الَّذِي قَالَ فيهِ أميرُ المُؤمِنينَ عليه السلام إنَّهُ لَنَظَّارٌ في عِطفَيْهِ مُخْتالٌ في بُرْدَيْهِ تَفَّالٌ في شِرَاكَيْهِ.

◁ اللغة

(هَدْيَهُ) الهَدي بفتح الهاء وسكون الدّال الطّريقة والسّيرة (رُقِّيَ) بصيغة المجهول أي رُفع وأُنهي إلَيّ (عَتَاداً) العتاد بفتح العين الذّخيرة المَمدُودة لوقت الحاجة (شِسْعُ) بكسر الشّين سَير بين الأصبع الوّسطىٰ والّتي تليها في النّعل العربي كأنّه زمام ويُسمّىٰ قبالاً ككتاب (عِطْفَيْهِ) العِطف بكسر العين الجانب (بُرْدَيْهِ) تَثنية بُرد بضم الباء ثوبٌ مُخطّط والمُختال المُعجب (شِرَاكَيْهِ)تثنية شِراك وهو سير النّعل كلّه.

◁ **المعنىٰ**

(**أَمَّا بَعْدُ**) الحَمد والثّناء عليه (**فَإِنَّ صَلاَحَ أَبِيكَ**) الجارُود العَبدي (**غَرَّنِي**) أي جَعَلني مغروراً (**مِنْكَ**) لكونك إبنه (**وَظَنَنْتُ أَنَّكَ تَتَّبِعُ**) فـي ديـنك (**هَدْيَهُ**) أي هَدي أبيك وطَريقته (**وتَسْلُكَ سَبِيلَهُ**) وسيرته (**فَإِذَا أَنْتَ فِيما رُقِّيَ**) ورُفـع (**إِلَيَّ**) عـنك (**لا تَدَعُ لِهَوَاكَ انْقِيَاداً**) وطاعة (**ولا تُبْقِي لآخِرَتِكَ عَتَاداً**) وذخيرة (**تَعْمُرُ دُنْيَاكَ بِخَرَابِ آخِرَتِكَ**) بِـــــخيانتك (**وتَصِلُ عِشِيرَتَكَ بِقَطِيعَةِ دِينِكَ**)لإنفاقك علىٰ عَشيرتك من غير مالك (**ولأَنْ كانَ ما بَلَغَنِي عَنْكَ حَقّاً**) من الخيانة الّتي صدرت منك (**لَجَمَلُ أَهْلِكَ وشِسْعُ نَعْلِكَ خَيرٌ مِنكَ**) فأنّ الإنسان يُعرف بدينه فَمن لا دين له لا خير فيه (**ومنْ كانَ بِصِفَتِكَ**) في عدم حفظ الأمانة (**فَلَيْس بِأَهْلٍ أَنْ يَسُدَّ بِهِ ثَغْرٌ**) مـن ثـغور المَملكة (**أَوْ يَنْفُذَ بِهِ أَمْرٌ**) مـن أُمـور الحكومة.

(**أَوْ يُعْلَىٰ لهُ قَدْرٌ**) ومنزلة (**أَوْ يُشْرَكَ في أَمَانَةٍ**) من الأمانات (**أَوْ يُؤْمَنَ عَلَىٰ خِيَانَةٍ**) أي علىٰ دفعها (**فَأَقْبِلْ إِلَيَّ حِينَ يَصِلُ إِلَيْكَ كِتَابي هٰذَا** إنْ شاءَ اللّٰهُ (**قال الرّضي** ﷺ والمُنذر **هٰذَا هُوَ الَّذِي** قالَ فِيهِ أَميرُ الْمؤْمِنينَ (ع)إِنَّهُ لَنظَّارٌ في عِطْفَيْهِ، أي كثير النّظر في جانبيه (**مُخْتالٌ فِي بُرْدَيْهِ**) أي مُعجبٌ فـي ثـوبه (**تَفَّالٌ في شِرَاكَيْهِ**) أي كثير التَّفل والنَّفخ فيهما لينفضهما من التّراب.

◁ **الشّرح**

قال الشّارح المُعتزلي في نسب المُنذر ما لفظه:

هو المُنذر بن الجارُود واسم الجارُود بشر بن حُنيس بـن المُـعلّىٰ وهـو الحارث بن زيد بن حارثة بن معاوية بن ثعلبة بن جذيمة بن عوف بن أنمار بن عمرو بن وديعة بن لكُتير بن أقصىٰ بن عبد القيس بن أقصىٰ بن دُعمي بن جديلة بن أسَد بن ربيعة بن معد بن عدنان بيتهم بيت الشّرف في عبد القيس وأنّما سمّيَ الجارُود لبيتٍ قاله بعض الشّعراء فيه في آخره:

كما جَرَد الجارُود بكر بن وائلِ . وفد الجارُود علىٰ النّبي ﷺ في سنة تسع

وقيل في سنة عشر وذكر أبو عمرو بن عبد البّر في كتاب الإستيعاب أنّه كان نصّرانياً فأسلم وحَسن إسلامه وكان قد وَفَد مع المُنذر بن ساوي في جماعة من عبد القيس وقال:

شهدتُ بأنّ اللّه حقٌّ وسامَحت — بنات فؤادي بالشّهادة والنّهض
فأبلغ رسول اللّه منّي رسالةً — بأنّي حَنيفٌ حيثُ كنتُ من الأرض

قال وقد إختلف في نَسَبه إختلافاً كثيراً فقيل بشر بن المعلّىٰ بن خُنيس وقيل بشر بن خُنيس المعلّىٰ وقيل بشر بن عمرو بن العلاء وقيل بشر بن عمرو بن المعلّىٰ وكنيته أبو قتاب ويُكنّىٰ أيضاً أبا المُنذر وسكَنَ الجارُود البَصرة وقُتل بأرض فارس وقيل بل قُتل بنهاوند مع النّعمان بن مقّرن وقيل أنّ عثمان بن العاص بَعث الجارُود في بعثٍ نحو ساحل فارس فقُتل بموضع يُعرف بقَصَبة الجارُود وأُمّه دريمكة بنت رُويم الشّيبانية انتهىٰ ما أردنا ذكره أقول وقد ذكر المُعتزلي وغيره أنّ الجارُود كان شريفاً في نَسَبه مُطاعاً في قومه بل قيل لم يُوجد رجل أطوَع في قومه منه فأنّه لمّا قُبض رسُول اللّه ﷺ وإرتّدت العَرب خطب قومه وقال أيّها النّاس أنّ كان محمّد قد مات فأنّ اللّه حيّ لا يموت فإستمسِكوا بدينكم ومن ذهب له في هذه الفِتنة دينار أو درهم أو بقرة أو شاة فَعَلّي مثلاه فما خالَفه من عبد القيس أحد وهكذا كان ابنه المُنذر في قومه بعد أبيه إذا عرفت هذا فنقول:

▫ **قوله ؑ: أَمَّا بَعْدُ فإِنَّ صَلاَحَ أَبِيكَ غَرَّنِي مِنْكَ وَظَنَنْتُ أَنَّكَ تَتَّبِعُ هَدْيَهُ وَتَسْلُكُ سَبِيلَهُ...**

أي إنّ صَلاَحَ أَبِيكَ الجارُود وسداده وشَرفه غَرَّني مِنْكَ وظَنَنْتُ أَنَّكَ تَتَّبِعُ هَدْيه أي هَدي أبيك وطريقته المُستّمرة في الدّين والشّرف وحِفظ الأمانة فَولّيتك وجَعَلتك شريكاً لي في أمانتي هذا فأنّ الأبناء كثيراً ما علىٰ مِنهاج الأباء في السّؤدد والشّرف.

▫ **قوله ؑ: فإذا أَنْتَ فِيما رُقِّيَ إِلَّي عَنكَ لا تَدَعُ لِهَوَاكَ انْقِيَاداً وَلا تُبْقِي لآخِرَتِكَ عَتاداً...**

رُقّيَ، بضم الرّاء وتشديد القاف فعل ماضٍ مجهول ومعناه، رُفِع وأنهِي إلّي، ومحصّل معنى العبارة أنّك اذا كنت فيما رُفع إلّي عنك وبعبارةٍ أُخرى أنّ كان ما وَصَل إِلّي عنك حقّاً وصدقاً لا تَدَعْ لِهَوَاكَ ونفسك الأمّارة بالسُّوء إنقياداً بل صرتَ مُطيعاً ومُنقاداً لها بتمام وجودك ولا تُبْقِي لآخِرَتِكَ عَتَاداً وذَخيرة بل أَفَنيت الآخرة من أصلها فأيّ شيئ ترجوه في الأخرة بعد فِعلك هذا وفيما ذكره عليه السلام إشارة الى أنّ الإنسان العاصي ينبغي أن لا يكون مُفرطاً في عصيانه بحيث لا يُبْقِي لآخِرَتِه شيئ فأنّ الإفراط في العصيان يُوجب خسران الدّنيا والأخرة.

□ قوله عليه السلام: **تَعْمُرُ دُنْيَاكَ بِخَرَابِ آخِرَتِكَ وَتَصِلُ عِشيرَتَكَ بِقَطِيعَةِ دِينِكَ...**

يستفاد من هذا الكلام أنّ خيانته كانت في الأموال اذ بها تُعمر الدّنيا غالباً فَمن لم يكن له مال ليست دنياه بمَعمورة ولا يقدر على الإنفاق في عشيرته وأرحامه وفي كلامه لَطيفتان:

الأولى: أنّه قال تَعْمُرُ دُنْيَاكَ بِخَرَابِ آخِرَتِكَ والباء في قوله بخراب، للسّببية أي تعمُر دنياك بسبب خراب آخرتك ومن المعلوم أنّ عمارة الدّنيا اذا كانت ناشئة عن خراب الأخرة بمعنى كون خرابها سَبباً لعمارتها فهي مذمومة لا مُطلق العمران كما تَوَّهم فأنّ بعض النّاس إستفاد من كلامه عليه السلام أنّ الدّنيا والأخرة لا تجتمعان فمن يَعمُر دنياه يخرب آخرته وبالعكس وعليه فلا يمكن لأحدٍ أنْ يَعمُرهما مَعاً لأنّ وجود أحدهما يستلزم نفي الآخر هذا:

وأنت ترى أنّه غلط فاحش إذ لم يتّعلق الذّم بتعمير الدّنيا مطلقاً بل تعّلق بتعميره النّاشئ عن تخريب الأخرة وبين المعنيين بَونٌ بعيد وعليه فَمن قَدَر على تعميرهما معاً فقد فاز فوزاً عظيماً كما قيل:

وآخـــرُ فـــاز بكـــلّتيهما   قـــد جـمع الدّنـيا مَـعَ الأخرة

والثانية: قال عليه السلام: **وَتَصِلُ عِشيرَتَكَ بِقَطِيعَةِ دِينِكَ**، وفيه إشارة الى أنّ صلة الرّحم اذا كانت مُوجبة لقطع الدّين والشّرف فهي مذمومة مثل أنْ تنفق عليهم من أموال غيرك وأنْ كانت في الأصل مَمدُوحة إذ لا مُنافاة بين كون الشّئ مَمدُوحاً

من جهةٍ ومذموماً من أُخرىٰ وما نحن فيه من هذا القبيل:

▫ **قوله عليه السلام: ولأن كان المعنىٰ مَا بَلَغَنِي عَنْكَ حقّاً لَجَمَلُ أَهْلِكَ وشِسْعُ نَعْلِكَ خَيرٌ مِنكَ...**

الجَمَل يُضرب به المَثل في الذّلة والجَهل والهَوان وقال الشّاعر:

لقد عَظُم البعير بغير لُبٍّ ... ولَم تستغن بالعِظَم البَعير
يُصَرّفه الصّبي بكلّ وجهٍ ... ويحسبه علىٰ الخَسف الجرير
وتضربه الوليدة بالهَراوي ... فلا غيرٌ لديه ولا نكيرُ

وأمّا شِسْعُ النَعل فضرب المَثل مشهور في الإستهانة عند العَرب وقد قلنا في شرح اللّغات أنّ الشِّسع بكسر الشّين سير بين الأصبع الوُسطىٰ والّتي تليها في النَّعل العربي وأنّما يُضرب به المَثل لأبتذاله وَوَطئه الأقدام في التُّراب ومعنىٰ العبارة لإن كانَ ما بَلَغَنِي عَنْكَ من الخيانة في الأمانة حقّاً وصِدقاً لَجَمَلُ أهْلَكَ وشِسْعُ نَعْلِك خيرٌ مِنكَ وهو كناية عن حقارته وذلّته عند أمير المؤمنين فأنّ من باع آخرته بدنياه لا قَدر ولا قِيمة له:

▫ **قوله عليه السلام: ومَن كانَ بِصِفَتِكَ فَليْس بأَهْلٍ أَنْ يَسُدَّ بِهِ ثَغْرٌ أَوْ يَنْفُذَ بهِ أَمْرٌ أَوْ يُعْلَىٰ لَهُ قَدْرٌ أَوْ يُشْرَكَ فِي أَمانَةٍ أَوْ يُؤْمَنَ عَلَىٰ خِيَانَةٍ فأقْبِلْ إلَيَّ حِينَ يَصِلُ إِلَيْكَ كِتَابي هَذَا إِنْ شَاءَ اللّٰهُ...**

وأنّما قال عليه السلام ما قال لأنّ الوالي مِن شأنه سَدّ الثّغور وإجراء الأحكام وعُلُوّ الهِمّة والشّركة في الأمانة والتَّنزّه عن الخيانة فإذا كان فاقداً لهذه الأوصاف فهو ليس بأهل للولاية والأمارة ولأجل هذا قال عليه السلام: **ومَن كانَ بِصِفَتِكَ فَليْس بأَهْلٍ أَنْ يَسُدَّ بِهِ ثَغْرٌ** الىٰ آخر ما قال والوجه فيه واضح فأنّ الخائن ليس بمُعتَمد بوجهٍ من الوجوه ولذلك عَزَلَه وأحضَره:

وأمّا قول الرّضي رضي الله عنه في أمر المُنذر فقد قال الشّارح المُعتزلي أنّ هذه الكلمات دالّة علىٰ أنّه نَسَبَه الىٰ التّيه والعُجب فقال نظّار في عِطفيه أي جانبيه مختالٌ في بُردَيه أي يمشي الخيلاء عُجباً تفّال في شراكيه أي كثير النّفخ في نَعليه لينفضهما من التّراب والأمر كما ذكره.

ومن كتاب له عليه السلام (٧٠)

الى عبد الله بن العبّاس

▫ قوله عليه السلام: **أمّا بَعْدُ فإنَّكَ لَسْتَ بِسابِقٍ أجَلَكَ ولا مَرْزُوقٍ ما لَيْسَ لَكَ .وأعْلَمْ بأنَّ الدَّهْرِ يَوْمانِ يَوْمٌ لَكَ وَيَوْمٌ عَلَيْكَ وَإنَّ الدُّنْيا دارُ دُوَلٍ فَما كانَ مِنْها لَكَ أتاكَ عَلىٰ ضَعْفِكَ وما كانَ مِنْها عَلَيْكَ لَمْ تَدْفَعْهُ بِقُوَّتِكَ...**

◁ اللّغة

واضحة والمعنىٰ الإجمالي لا خفاء فيه.

◁ الشّرح

أفاد عليه السلام في هذه الكلمات مع إيجازها وإختصارها أُموراً جليلة:

أحدها قوله عليه السلام: **فإنَّكَ لَسْتَ بِسابِقٍ أجَلَكَ ولا مَرْزُوقٍ ما لَيْسَ لَكَ**، وفيه إشارة الىٰ امرين :

الأمر الأوّل: وهو أنّ الإنسان لا يسبق أجله الّذي أجلّه اللّه له أي لا يموت قبل حلول أجله قال اللّه تعالىٰ: **﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾** (١)

و : **﴿وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَبِّكَ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾** (٢)

و : **﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾** (٣)

١- الحجر ـ٥

٢- الشّورىٰ ـ١٤

٣- الأعراف ـ٣٤

وغيرها من الآيات:

ثُمّ أنّ الأجل علىٰ قسمين مَحتُوم وغير مَحتُوم، والفرق أنّ المَحتُوم لَيس فيه تقديم وتأخير وأمّا غير المَحتُوم ففيه التّقديم والتّأخير بإذن اللّه تعالىٰ: ﴿**يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ**﴾(١)

روي في البحار بأسناده عن أبي عبد اللّه ؑ قال الأجل المقضّي هو المَحتُوم الّذي قضاه اللّه وحَتَمه والمُسمّىٰ هو الّذيفي البَداء يقدّم ما يشاء ويُؤخر ما يشاء والمَحتُوم ليس فيه تقديم ولا تأخير انتهىٰ« ج ٣ ص ٣١»...

إذا عرفت هذا فأعلم أنّ قول أمير المؤمنين يشمل كلا القسمين وذلك لأنّ الإنسان لابدّ له من المَوت سواء كان أجَله محتُوماً أو غير مَحتُوم فأنّه ممّا لا يعلَمه إلّا اللّه والمَوت قبله محال:

نُسير الىٰ الآجال في كلّ ساعةٍ فأيّامنا تُطوىٰ وهُنّ مراحل
ولَم أرَ مثل المَوت حتّىٰ كأنّه إذا ما تخطته الأماني باطل
وما أقبح التّفريط في زَمن الصّبا فكيف به والشّيب في الرأس شاعل
ترّحل من الدّنيا بزادٍ من التُّقىٰ فعُمرك أيّام تعُدّ قلائل

وقال الآخر:

مَن كان يعلم أنّ المَوت يدركه والقبر سكنه والبعث يخرجه
وأنّه بين جنّاتٍ مُزخرفةٍ يوم القيامة أو نارٌ ستنضجه
فكلّ شيّ سوىٰ التّقوىٰ به سمجٌ ومن أقام عليه منه أسمَجَه
ترىٰ الّذي إتّخذ الدّنيا له وَطناً لم يَدر أنّ المنايا سوف تزعجه

فإذا كان المَوت حقّاً لا يأتي إلّا من قِبل اللّه تعالىٰ فالخوف من غيره لا معنىٰ له إذ المفروض أنّه بيده لا بيَد غيره ولنِعم ما قيل بالفارسية:

اگر تيغ عالَم بجُنبَد ز جاي سَبز دُرگي تا نخواهد فداي

الأمر الثّاني: أنّ الأرزاق قد قسّمها عادل بين العباد وهو اللّه تعالىٰ فكلّ موجود يَصل اليه رِزقه قطعاً وليس لأحدٍ أن يأكل رزق غيره أو يأخذه فَطَلب الرّزق من

١- الرعد ـ٣٩.

غيره تعالىٰ لا معنىٰ له وإذا كان كذلك فالعبد الحقيقي لا يَرجُو إلّا ربّه ولا يعتمد إلّا عليه: قال تعالىٰ:﴿وَفِى السَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾(١)

و: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾(٢)

و: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾(٣)

روي في البحار بأسناده عن جعفر عن أبيه قال قال رسُول اللّـه ﷺ أنّ الرّزق لَينزل من السّماء الىٰ الأرض علىٰ عدد قَطر المَطر الىٰ كلّ نفس بما قدّر لها ولكن لِلّه فضول فإسألوا اللّه من فَضله انتهىٰ« ج ٣ ص ٤١»...

وبأسناده عن الباقر عليه السلام أنّه قال ليس من نفسٍ إلّا وقد فرض اللّه لها رزقها حلالاً يأتيها في عافية وعَرض لها بالحرام من وجهٍ آخر فأن هي تناولت من الحرام شيئاً قاصّها به من الحلال الّذي فرض اللّه لها وعند اللّـه سواهما فضل كبير« ص ٤١»....

ثُمّ أنّه كما أنّ الأجل منه محتّوم ومنه غير مَحتُوم علىٰ مامرّ ذكره كذلك الرِزّق علىٰ قسمين:

رزقٌ تَطلبه ورزقٌ يطلبك والفرق أنّ الأوّل لا تصل اليه إلّا بالطّلب والسّعي له بخلاف الثّاني فأنّه من المُقدر المَحتُوم يَطلُبك أينما كُنتَ وقد عَرفت البحث فيهما سابقاً عند قوله عليه السلام وقدّر الأرزاق فكثّرها وقلّلها وقسّمها علىٰ الضّيق والسّعة فَعدل فيها ألخ مفصلاً والمقصود من كلامه عليه السلام في المقام أنّ الإنسان لا يَصل الىٰ ما ليس له مِن الرّزق أمّا فيما تطلبه فمعلوم وأمّا فيما يطلبك فلأنّ الرّزق الّذي يَطلُبك هو الرّزق الّذي قُدّر لك في اللّوح المحفوظ وأمّا ما لم يُقدّر لك أو قُدّر لغيرك فلا:

وثانيها: أنّ الدّهر يومان يومٌ لك ويومٌ عليك،وفيه إشارة الىٰ أنّ نِعم الدّنيا لا تبقىٰ بحالها دائماً وإنّما قلنا ذلك لأنّ المراد بالدّهر الزّمان بإعتبار الزّمانيات الّتي وقَعت فيه من المال والمقام والصّحة والعافية وغيرها وإلّا فالدّهر بما هو

١- الذّاريات ـ ٢٢
٢- هُود ـ ٦
٣- الذّاريات ـ ٥٨

هو لا حكم له وهو واضح:

والمقصود من هذا الكلام عدم الإعتماد على الدّنيا وما فيها فأنّ ما لا بقاء له ويكون دائماً في التّغير والزّوال لا ينبغي للعاقل الرّكون اليه وإذا كان الأمر كذلك فحقّ القول فيه أن تغتنم الفُرصة وتّنتفع من الدّهر في اليوم الّذي لك لدنياك وآخرتك وإلّا ستندم في اليوم الّذي عليك ولا فائدة في النِّدامة قال السّعدي:

اي كـــه دَسـتت مـيرسد كـاري بكـن
پـيش از آن كـز تـو نـيايد هـيچ كـار
نــــا نـــيكي گـــر بـــماند زاد بـــي
بـــه كـــز او مـــانَد ســراي از نگـار
صـورت زيـباي ظـاهر هـيچ نـيست
اي بـــرادر ســيرت زيــبا بــيار
تــا بـدانـند ايـن خـداونـدان مُـلك
كـــز بَســي خـلق است دنـيا يـادگار
پـيش از آن كـز دست تـو بـيرون بـرَد
گـــــردش گـيتي زمـــام إخـتيار

▫ **قوله ﷺ: وإنَّ الدُّنْيا دَارُ دُوَلٍ فَما كانَ مِنْها لَكَ أَتاكَ عَلىٰ ضَعْفِكَ وما كانَ مِنْها عَلَيْكَ لَمْ تَدْفَعْهُ بِقُوَّتِكَ...**

دُوَل، بضم الدّال وفتح الواو جمع دُولة بضّم الدّال أيضاً والدُّولَة ما يتداوله النّاس من السّعادة في الدّنيا يَنتقل من يدٍ الىٰ يدٍ والمعنىٰ أنّ الدّنيا لا تبقىٰ بحالٍ من الأحوال فلا تكون دائماً لك ولا عليك بل يومٌ لك ويوم عليك فما كان من الدّنيا لك أتاك علىٰ ضعفك وما كان منهما عليك لم تَدفعه بقوّتك أي لا تقدر علىٰ دَفعه فكأنّ هذا الكلام منه تَفسير لما سبق من قوله وأعلم بأنّ الدّهر يومان يوم لك ويوم عليك، قيل بالفارسية:

همة سالة نباشد كامكاري
گهي باشد عزيزي گاه خواري
نماند جاودان طالع بيک خُوي
نماند آب دايم در يكي جُوي
در اين صندل سراي آبنوسي
گهي مأتم بُود گاهي عروسي
بجائي بانگ مُطرب ميكند ساز
بجائي مويه گر سردارد آواز
بسا زخنه كه اصل محكمي هاست
بسا انُده كه دروي خُرمّي هاست
فلك چون كار سازيها نمايد
نَخُست از پرده بازيها نمايد
بسا قفلي كه بندش نا پديد است
چه وابيني نه قفل است آن كليداست

قال الله تعالى في كتابه:﴿**إن يَمسَسكُمْ قَرحٌ فَقَدْ مَسّ القَوْمَ قَرحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ وَاللَّـهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ**﴾(١)

أفّ للدّنيا إذا كان لنا ... أنا منها في بلاءٍ وأذىٰ
إن صفا عيش إمريٍ في صُبحها ... جَرعته مُمسياً كأس الرّدىٰ
ولقد كُنتُ إذا ما قيل من ... أنعم العالم عَيشاً قبل ذا

قال يونس بن ميسرة لا يأتي علينا زمان إلّا بكينا منه ولا يتولى عنّا زمان إلّا بكينا عليه.

ربّ يومٍ بكيتُ منه فلمّا ... صرتُ في غيره بكيتُ عليه

وقال الآخر:

١-آل عمران-١٤٠

وما مرّ يوم أرتجي فيه راحة فأخبره إلّا بكيتُ علىٰ أمسي

وَنَقل بعض العامّة عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: ما قال النّاس لشيٍّ طوبىٰ إلّا وقد خبأ له الدّهر يوم سُوء.

فما النّاس بالنّاس الّذين عَهدتهم ولا الدّار بالدّار الّتي كُنتُ أعهدُ

قالوا أنّ عبد الرّحمن بن زياد لمّا ولّىٰ خراسان حازَ من الأموال ما قدّر لنفسه أنّه أن عاش مِائة سنة ينفق في كلّ يوم ألف درهم علىٰ نفسه أنّه يكفيه فرأوا بعد مدّةٍ إحتاج الىٰ أن باع حلية مصحفة وأنفقها وقال هيثم بن خالد الطّويل دخلت علىٰ صالح مولىٰ منارة في يومٍ من الأيّام وهو جالس في قبّة مغشاة بالسّمور وجميع فروشها سَمُور وبين يَديه كانون فضّةٍ ينجّر فيه بالعُود ثُمّ رأيته بعد ذلك في رأس الجسر وهو يسأل النّاس:

ولمّا قتل عامر بن إسماعيل مروان بن مُحمّد نَزَل في داره وقَعد علىٰ فرشه دخَلت عليه عَبدة بنت مروان فقالت يا عامر أنّ دَهراً أنزَل مروان عن فرشه وأقعَدك عليه لقد أبلَغ في عِظتك، وقال مالك بن دينار مررتُ بقصرٍ تضرب فيه الجواري بالدّفوف ويَقُلنّ:

ألا يــا دار لا يــدخلك حُـزنٌ ولا يــغدر بــصاحبك الزّمـان

فــنعم الدّار تــؤوي كـلّ ضـيفٍ إذا مـا ضاق بـالضّيف المكان

ثُمّ مررتُ عليه بعد حينٍ وهو خراب وبه عجُوز فسألتها عمّا كانت رأت وَسمِعت فقالت يا عبد اللّه أنّ اللّه يُغيّر ولا يتغير والمَوت غالب كلّ مخلوق قدر اللّه دَخل بها الحُزن وذَهب أهلها الزّمان قال أبو العتاهية:

لأن كُنتُ في الدّنيا بصيراً فأنّما بلاغك منها مثل زاد المُسافر

إذا أبقت الدّنيا علىٰ المَرء دينه فما فاته منها فَليس بضائِر

وقال عبد الملك بن عُمير رأيت رأس الحُسين عليه السّلام بين يَدي إبن زياد في قصر الكُوفة ثُمّ رأيت رأس إبن زياد بين يَدي المُختار ثُمّ رأيت رأس المُختار بين يَدي مُصعَب بن الزّبير ثُمّ رأيت رأس مُصعَب بين يَدي عبد الملك بن مروان قال سفيان فقلت له كَم بين أوّل الرؤوس وآخرها قال إثنتا

عشرة سَنة وقال الشّاعر:

أنّ لِلدّهر صَرعةُ فأحذرنها | لا تَبيتنّ قد أمنتَ الشّرورا
قد يبيت الفتىٰ مُعافىٰ فيردىٰ | ولقد كان آمناً مسروراً

اقول: قصّة عبد الملك بن عُمير مَشهورة عند المؤرخين ذكرها غير واحدٍ منهم في كتبهم فأعتبروا يا أُولي الأبصار وإليها أشار بعض الشّعراء في نظمه بالفارسية:

يك سره مردي ز عَرب هوشمند | گفت بعبد الملك از روي پند
روي همين مسند واين بارگاه | زير همين قبّة واين تكية گاه
بودم وديدم بَسَر ابن زياد | آه چه ديدم كه دو چشم مباد
تازه سَري چون سپر آسمان | طلعت خورشيد ز رويش عيان
بعد ز چندي سَر آن خيره سر | بُد بَر مختار بروي سپّر
بعد كه مُصعب سَر وسَردار شد | دست كش او سَر مختار شد
اين سَر مُصعب بتقاضاي كار | تا چه كند با تو دِگر روزگار

ذكروا أنّ مُحمّد بن عبد اللّه بن طاهر كان في قصره علىٰ الدّجلة ينظر الىٰ الماء فأذا هو بحشيش في وسط الماء وفي وسطه قصبة علىٰ رأسها رقعة فدعا بها فأذا فيها مكتوب شعر:

تاهَ الأُعيرج وإستعلىٰ به البَطَر | فقل له خير ما إستعملته الحَذَرَ
أحسنتَ ظنّك بالأيّام إذ حَسُنَت | ولَم تَخف سُوء ماياتي به القَدَر
وسالمتك اللّيالي فإغتَررتَ بها | وعند صفو اللّيالي يحدث الكِدَر

وأَعَجب ما وُجِد في السِّير خبر القادر باللّه العبّاسي أَحَد الخُلفاء وقَلَعه من المُلك وخروجه الىٰ الجامع في بطانة جُبّة بغير ظهارة ومدّ يده يسأل النّاس بعد أن كان مَلكه لأقطار الأرض فتبارك اللّه يعزّ من يشاء ويذّل من يشاء ولنعم ما قال الموصلي:

وأنّي رأيت الدّهر منذ صحبتُه | محاسنه مقرونةُ بمعايبه
إذا سَرّني في أوّل الأمر لم أزَل | علىٰ حَذَرٍ من أن تذمّ عواقبهُ

ومن كتاب له عليه السلام (٧١)
الىٰ معاوية

□ قوله عليه السلام: أمَّا بَعْدُ فإنِّي علىٰ التَّرَدُّدِ في جَوَابِكَ وَالاسْتِمَاعِ إلىٰ كِتَابِكَ لَمُوهِنٌ رَأيِي ومُخْطِئٌ فِرَاستي وإنَّكَ إذْ تُحَاوِلُني الأُمُورَ وتُرَاجِعُني السُّطُورَ كالمُستَثْقَل النَّائِمَ تَكْذِبُهُ أحْلاَمُهُ .والمُتَحَيِّرُ القَائِمِ يَبْهَظُهُ مَقَامُهُ لا يَدْرِي أَلَهُ ما يَأتِي أمْ عَلَيْهِ ولَسْتَ بِهِ غيرَ أنَّهُ بِكَ شَبِيه واقسِمُ بِاللَّهِ إنَّهُ لوْلاَ بَعْضَ الإسْتِبْقَاءِ لَوَصَلَتْ إلَيْكَ مِنِّي قَوَارِعُ تقْرَعُ العَظْمَ وَتَهْلِسُ اللَّحْمَ وأعْلمْ أنَّ الشَّيْطانَ قدْ ثَبَّطَكَ عَنْ أنْ تَرَاجِعَ أَحْسَنَ أُمُورِكَ وتَأذَنَ لِمقالِ نَصِيحَتِكَ والسَّلاَم لأهله :

▷ **اللغة**

(**التَّرَدُّدِ**) مَصْدر من باب التَّفعل والماضي منه تَردَّد نحو تَصَّرف (**لَمُوهِنٌ**) مُوَهِن بضّم الميم وفتح الواو وكسر الهاء المُشَّددة علىٰ وزن مُصَّرِف إسم فاعلٍ من وَهَّنَ يُوهِن ومصدره التَّوهين (**مُخْطِي**) أيضاً إسم فاعل من خَطأَ (**فِرَاستي**) الفِراسة بكسر الفاء الفِطانَة وقيل صدق الظّن (**تُحَاوِلُني**) بضّم التاء مضارع حاوَلَ والتَّاء فيه للخَطاب ومعناه الطَّلب أي تُطالبني وهكذا الكلام في تُراجعني فأنّه أيضاً مضارع وماضيه راجع أي تطلب مِنّي الرّجوع الىٰ جوابك بالسّطور (**المُسْتَثْقِل**) إسم فاعل من إستَثْقِل أن كان بكسر القاف وأن كان بفتحها فهو إسم المفعول وكيف كان فهو مأخوذ من الثّقل يقال فلان ثقيل النّوم (**أَحْلاَمُهُ**) الأحلام الرّؤيا الكاذبة (**يَبْهظُهُ**) بتقديم الياء علىٰ الباء من بَهَض

يَبهضُ أي يثقله ويشّق عليه (الإسْتِبْقاءِ) مَصدر من باب الإستفعال يقال إستبقىٰ يستبقي إِستبقاءً ومعناه الإِبقاء (قَوَارِعُ) جَمع قارعة وهي الدّاهية.

(تقْرَعُ) مضارع قَرَع أي تَصدِم وتكسِر (تَهْلِسُ) بفتح التّاء وسكون الهاء وكسر اللامّ علىٰ وزن تَضرِب فعل المضارع وماضيه هَلَس أي ذابَ (ثَبَّطَكَ) بفتح الثّاء والباء المشّددة أي قَعَدك:

▷ المعنىٰ

(أَمَّا بَعْدُ فإِنِّي علىٰ التَّرَدُّدِ في جَوَابِكَ وَالإسْتِمَاعِ إِلىٰ كِتَابِكَ) فلا أَدري أُجيبك أم لا (لَمُوهِنٌ رَأيي ومُخْطِيٌ فِرَاستي) أي أنا مُضّعف رأيي ومُخطِئ فِراستي أي صدق ظّني وكان الأجدَر السّكوت عن إجابتك (وإِنَّكَ إذْ تُحَاوِلُني) وتُطالبني (الأُمُورَ) كولاية الشّام ونحوها (وتُرَاجِعُني السُّطُورَ) أي تطلب منّي أن أرجع الىٰ جوابك بالسّطور (كالمُسْتَثْقَل النَّائِمِ تَكْذِبُهُ أحْلاَمُهُ) أي أنّك كالنّائم الثّقيل نومه يحلم أنّه نال شيئاً فأذا إنتبه وَجَد الرُؤيا كذبته (والمُتَحَيِّرِ الْقائِمِ يَبْهَظُهُ مَقامُهُ) أي وأنت أيضاً كالمّتحير في أمره القائم في شكّه يَهبظُه أي يثقله ويشّق عليه مقامه (لا يَدْرِي أَلَهُ ما يَأْتِي أَمْ عليْهِ) أي لا يدري أنّه ينفع أو يضّر (ولَسْتَ بِهِ) أي بالمّتحير واقعاً لمعرفتك الحقّ (غيرَ أَنَّهُ بِكَ شَبِيه) فأنَت المشّبه به وهو المُشّبه (وأُقسِمُ بِاللّهِ إِنَّهُ لوْلاَ بَعْضَ الإسْتِبْقاءِ) أي لولا بقائي لك وعدم إرادتي لإهلاكِك (لَوَصَلَتْ إِلَيْكَ مِنِّي قَوَارِعُ تَقْرَعُ العَظْمَ وتَهْلِسُ اللَّحْمَ) أي دواهي تصدم العظم وتكسره وتَهلس اللّحم وتُذيبه (وأَعْلَمْ أَنَّ الشَّيْطانَ قدْ ثَبَّطكَ) وَقَعَدك (عَنْ أَنْ تراجِعَ أَحْسَنَ أُمُورِكَ) وهو الطّاعة لنا (وتَأْذَنَ لِمقالَ نَصِيحَتِكَ) أي وأن تَسمع لمقالنا في نَصِيحَتِك.

▷ الشّرح

▫ قوله ﷺ أَمَّا بَعْدُ فإِنِّي علىٰ التَّرَدُّدِ في جَوَابِكَ وَالإسْتِمَاعِ إِلىٰ كِتَابِكَ لَمُوهِنٌ رَأيي ومُخْطِيٌ فِرَاستي...

التَّرَدُّدِ، بفتح التّاء والرّاء وضّم الدّال المُشَدّدة مصدر قولك تَرَدّد يتَرَدَّد تَرَدُّداً نحو تَصّرف يَتَصرف تَصَرُفاً فهو مَصدر باب التَّفعّل يقال تَرَددتُ الىٰ فلان رجعتُ اليه مَرّةً بعد أُخرىٰ، والمُوهِن والمُخِطئ بضم الميم فيهما وفتح الخاء كذلك وفتح الهاء والطّاء المُشدّدتين بناء علىٰ قرائتهما كذلك كما في بعض النّسخ وفي بعضٍ آخر بكسر الهاء والطّاء فهما علىٰ الأوّل بصيغة المفعول من وَهَّنَ يُوَهِّن وخَطِأً يُخطّئ وعلىٰ الثّاني فهما بصيغة الفاعل ومحصل المعنىٰ أنّي مُردد في جوابك والإستماع الىٰ كتابك الّذي كتبته إلّي وهذا التَرَدُّد صار مُوجِباً لضعف رأيِي وصِدق ظَنّي فأنّ الأجدر بي السّكوت عن إجابتك وعدم الإعتناء بكتابك لَقَد حَقّت عليك كلمة العذّاب مالَك من جواب وأنّما قال ﷺ ذلك لأنّ معاوية لَعَنه اللّه كان من المُنافقين المُعاندين ظاهراً والمُشركين الكافرين واقعاً وكان يكتب الىٰ أمير المؤمنين كتاباً بعد كتاب ويرسَل اليه سفيراً بعد سفيرٍ وكان غرضه من المُكاتبات والمُراسلات في الواقع تَضييع الوقت والمُماطلة في الأمر لِيقَوي جُنده لِلحَرب مَعَه ﷺ وإعلام النّاس أنّ عليّاً هو المُوقِد لنار الحَرب ولا يقبل الصُّلح والدّليل علىٰ المُدّعىٰ هو أنّ معاوية كان يطلب منه ﷺ ولاية الشّام تارةً وتسليمه ﷺ قتلة عثمان اليه أُخرىٰ مع علمه بأنّ أمير المؤمنين لا يساعده علىٰ مَطلُوبه أبداً ولمّا كان الأمر علىٰ هذا المنوال قال ﷺ: **أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي عَلىٰ التَّرَدُّدِ فِي جَوَابِكَ** الىٰ قوله **فِرَاستي** ولذلك عَلّل وأكّد وجه التّردّد حيث قال:

▫ **قوله ﷺ: وَإِنَّكَ إِذْ تُحَاوِلُني الأُمُورُ وَتُرَاجِعُني السُّطُور كَالمُسْتَثْقَل النَّائِمِ تَكْذِبُهُ أَحْلاَمُهُ وَالمُتَحَيِّرِ الْقَائِمِ يَبْهَظُهُ مَقامُهُ لا يَدْرِي أَلَهُ ما يَأْتِي أَم عَلَيْه...**

أي أنّ الوجه فيما ذكرناه من التّردّد في الجواب هو أنّك تطلب مِنّي من الأُمُورَ ما لا ينبغي من مثلي إعطائه الىٰ أمثالك وتُراجِعُني السُّطُور أي تطلب منّي أنْ أرجع الىٰ جوابك بالسُّطُور في الجواب عن مكاتباتك وأنّما مَثَلُك مثل

النّائم الثّقيل نومه يحلم أنّه نال شيئاً فإذا إنتبَه وَجد الرّؤيا كذبته فأمانيك فيما تطلب شبيهة بالأحلام والخيالات الباطلة أو أنّك كالمُتَحير في أمره القائم في شكّه لا يخطو الىٰ قصدٍ، يهبَظُه أي يثقله ويشقّ عليه مقامه من الحَيرة لا يَدري أنّ ما يأتيه علىٰ نَفعه أو ضَره ومن كان كذلك فهو جاهل أو متجاهل:

▫ **قوله ﷺ: ولَسْتَ بِهِ غيرَ أنَّهُ بِكَ شَبِيه وأقسِمُ بِاللّٰهِ إنَّهُ لوْلاَ بَعْضُ الإسْتِبْقاءِ لَوَصَلتْ إليْكَ مِنّي قَوارِعُ تقْرَعُ العَظْمَ وتَهْلِسُ اللَّحْمَ...**

قد ثبت في علم البلاغة أنّ وجه الشبّه يكون في المُشبّه به أقوىٰ منه في المُشبه فإذا قلنا زيد كالأسد مثلاً، فزيد هو المشبّه والأسد هو المشبّه به والكاف أداة التّشبيه ووجه الشبّه هو الشّجاعة وهذه الأُمور الأربعة لابدّ لها في كلّ تشبيهٍ وحيث إنّا في المثال شَبّهنا زيداً بالأسد في الشّجاعة رقلنا زيد كالأسد ولم نقل الأسد كزيد فينبغي أن تكون الشّجاعة في الأسد أقوىٰ منها في زيد إذا عرفت هذا فنقول:

قوله ﷺ: **ولَسْتَ بِهِ غيرَ أنَّهُ بِكَ شَبِيه** معناه أنّي وأن شبّهتك بالمُستثقل النّائم والمُتَحير القائم إلّا أنّي ما أردت تشبيهي هذا أنّ وجه الشبّه في المُستثقل النّائم والمُتَحير القائم أقوىٰ منه في حقّك بل الأمر بالعكس وأنّ وجه الشبّه فيك أقوىٰ ففي الحقيقة أنت المشبّه به والنّائم الثّقيل والمُتَحير القائم هو المُشبه وبعبارةٍ اخرى الحقّ تشبيه النّائم والمُتَحير بك لا تشبيهك بهما وأنّما قال ﷺ هذا الكلام مُشعراً بأنّ النّائم الثّقيل نومه والمُتَحير القائم الّذي يَهبظه مقامه ليسا في الغفلة وعدم التّوجه بالأُمور كمعاوية ولعلّ السّر فيه هو أنّ معاوية لَعنه اللّه لم يكن غافلاً عن الحقيقة واقعاً بل كان عارفاً بها حقّ المَعرفة فهو في الواقع كان من المُتغافلين لا الغافلين والوَجه فيه مَعلوم فأنّه كان عارفاً بمقام أمير المؤمنين مطّلعاً علىٰ أوصافه وكمالاته وأنّه كان أليق بالخلافة من غيره كائناً من كان فَمن ظنّ في حقّ معاوية أنّ مُخالفته لعلّي ﷺ كانت من عدم مَعرفته بحاله

فقد أخطأ بل العِلّة فيها هي كُفره وعناده لِلحقّ وأنّه كان مأموراً بهَدم أساس الدّين وقواعد شَريعة سيّد المُرسلين وحيث أنه رأىٰ أنّ الحافِظ للشّريعة بعد رسُول اللّه ﷺ هو أمير المؤمنين وأوصيائه ولا يمكن له الوصُول الىٰ مقام القُدرة وإيجاد البدعة وقتل النّفوس المُحترمة من خيار الصّحابة وغير ذلك من الفجائع والقبائح الّتي هدّدت أركان الدّين لا جَرَم شَمَّر ذيله علىٰ سَبّه عليه السلام وهتكه وقتله وهذا الّذي ذكرناه هو السّر في عَزم معاوية علىٰ سَبّه بعد ما وصل الىٰ الحكُومة وأمَره النّاس أيضاً به ومحصّل الكلام أنّ كلّ ما فَعَله معاوية في حقّ علّيٍ عليه السلام كان ناشئاً عن حُبّ الدّنيا الّذي هو رأس كلّ خطيئةٍ لا عن عدم معرفته بِحال علّيٍ عليه السلام كما تُوّهم، فأنّ حُبّ الشّيْ يُعمي ويُصّم ولأجل هذا يكون وجه الشبّه فيه أقوىٰ:

ثُمّ أقسَم عليه السلام باللّه أنّه لولا بعض الإستبقاء أي إبقائه أيّاه بحاله لوَصَلَت اليه الىٰ معاوية منه عليه السلام قوارع ودواهي تقرع العظم أي تصدمه وتكسره وتهلِس اللّحم وتَذيبه، وفيه إشارة الىٰ أنّه عليه السلام لم يكن عاجزاً عن إستئصال معاوية وقتله بل كان قادراً عليه حقّ القُدرة إلّا أنّ المانع هو قضاء اللّه وَقَدَره ليقضي اللّه أمراً كان مفعولاً فأنّ المَصالح خفيّة لا يعلمها إلّا الحكيم المُطلق وهو اللّه تعالىٰ أو مَن أعلَمَه اللّه بها كأنبيائه وأوصيائهم عليهم السّلام وعلّيٌ عليه السلام كان واقفاً بها مُطّلِعاً عليها لأنه كان عالماً بما كان وما يكون وما هو كائن الىٰ يوم القيامة ويدّل علىٰ المُدّعىٰ قوله عليه السلام: **وأقسِمُ بِاللّهِ إنَّهُ لوْلاَ بَعْضُ الإسْتِبقْاءِ** أي لولا أنّي أعلم بقضاء اللّه وقَدَره وأنّه تعالىٰ أراد بقائك بعدي وتصّديك للحكومة الإسلامية لأجل المصالح المُقتضية له لوَصَلت اليك منّي كذا وكذا:

▫ **قوله عليه السلام: وأعْلَم أنّ الشّيْطانَ قدْ ثَبّطَكَ عَنْ أنْ تراجِعَ أحْسَنَ أُمُورِكَ وتأذَنَ لِمقالِ نَصِيحَتِكَ...**

أعلَمه عليه السلام بأنّ الشّيطانَ قد سَلّطَ عليه كاملاً بحيث مَنَعه وقَعده عن مُراجعة

أحسَن الأُمور والإستماع لِلوعظ والنّصيحة وقد مرّ الكلام مِنّا في الشّيطان وحقيقته وخَطراته وآفاته بما لا مزيد عليه وكفى في ذمّ مُتابعة الشّيطان ما وَرَد في غير واحدٍ من الآيات والأخبار قال تعالى:﴿وَمَن يَكُنْ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِيناً فَسَاءَ قَرِيناً﴾ (١)

و : ﴿وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيّاً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَاناً مُبِيناً﴾ (٢)

و : ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُوراً﴾ (٣)

و : ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوّاً مُبِيناً﴾ (٤)

و : ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾ (٥) والآيات كثيرة.

١- النّساء ـ ٣٨
٢- النّساء ـ ١١٩
٣- الأسراء ـ ٦٤
٤- الأسراء ـ ٥٣
٥- النّمل ـ ٢٤

(٧٢) ومن حِلفٍ له عليه السلام

كَتَبه بين رَبيعة واليَمن، ونقل من خطِّ هشام بن الكلبي

▫ قوله عليه السلام: هذا ما إجْتَمَعَ عليْهِ أهْلُ الْيَمَنِ حاضِرُها وَبَادِيهَا وَرَبِيعَةُ حاضِرُها وَبَادِيهَا أنَّهُمْ علىٰ كِتَابِ اللّٰهِ يَدْعُونَ إلَيْهِ وَيأمُرُونَ بِهِ ويُجِيبُونَ مَنْ دَعَي إلَيْهِ وأَمَر بِهِ لا يَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَناً ولا يَرْضَوْنَ بِهِ بَدَلاً وأَنَّهُمْ يَدٌ واحِدَةٌ علىٰ مَنْ خالَفَ ذلِكَ وتَرَكَهُ أنْصارٌ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ دَعْوَةٌ وَاحِدَةٌ لا يَنْقُضُونَ عَهْدَهُم لَمِعْتَبَةِ عاتِبٍ ولا لِغَضَبِ غاضِبٍ ولاٰ لاِسْتِذْلاَلَ قَوْمٍ قَوْماً. علىٰ ذلِكَ شَاهِدُهُمْ وغائِبُهُم وسَفِيهُهُمْ وعالِمُهُمْ وحَلِيمُهُمْ وجَاهِلُهُمْ ثمَّ إنَّ علَيْهِم بِذلك عَهْدَ اللّٰهِ ومِيثَاقَهُ إنَّ عَهْدَ اللّٰهِ كانَ مَسْئُولاً وكَتَبَ عَلِّي بْن أبي طَالِبٍ عليه السلام...

◁ اللغة

(حِلف) بكسر الحاء أصله اليَمين يأخذ بعضهم من بعضٍ بها العَهَد (حاضِرُها وَبَادِيهَا) الحاضر ساكن المدينة والبادي المُتردد في البادية (لِمِعْتَبَة) المِعْتَبة بكسر الميم وسكون العين وفتح التّاء كالمِضْطبة الغيظ (عاتِب) إسم فاعلٍ من عَتَب إذا أغَتاظ والعاتب المِغتاظ والباقي واضح.

◁ المعنىٰ

هذا، أي هذا الحِلف (ما اجْتَمَعَ عليْهِ أهْلَ الْيَمَنِ حاضِرُها) أي مَن حَضَر

منهم في المدينة (وَبَادِيهَا) ومن يكون مُتردداً بالبادية (وَرَبِيعَةُ) أي وقوم ربيعة (حاضِرُها وَبَادِيهَا أَنَّهُمْ) أي أهـل اليَمَن وربيعة (عَلىٰ كِتَابِ اللّٰهِ) أي علىٰ أحكامِهِ (يَدْعُوْنَ إِلَيْهِ) الىٰ الكتاب (ويَأمُرُونَ بِهِ) أي بالعَمَل به (ويُجِيبُونَ مَنْ دَعَىٰ إِلَيْهِ وأَمَرَ بِهِ) أي مَن دَعىٰ الىٰ الكتاب وأَمَر به (لا يَشترُونَ بِهِ) بالكتاب (ثَمَناً ولا يَرْضَوْنَ بِهِ بَدَلاً) والمقصُود لا يتجاوزون عنه بوجهٍ من الوجوه (وأَنَّهُمْ يَدٌ واحِدَةٌ علىٰ مَنْ خالَفَ ذٰلِكَ وتَرَكَهُ) وهـو كـناية عـن إتّـفاقهم وإجتماعهم علىٰ من خالف الكتاب وتَركه عَمَلاً (أَنْصَارٌ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ دَعْوَةٌ واحِدَةٌ) أي بَعضهم ينصر بعضاً في الدّعوة بكتاب اللّه والمُخالفة لِمَن خالف الكتاب (لا يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ) الّذي عاهدوا عليه (لِمَعْتَبَةِ عاتِبٍ) أي لِغَيظ من أغـتاظ (ولا لِإِسْتِذْلَالِ قَوْمٍ قَوْماً) ظـلماً عـليهم (علىٰ ذٰلِكَ) العَـهد (شَاهِدُهُمْ وغائِبُهُمْ وسَفِيهُهُمْ وعالِمُهُمْ وحَلِيمُهُمْ وَجاهِلُهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْهِمْ بِذلك عَهْدَ اللّٰهِ ومِيثَاقَهُ) أي أنّ اللّه تعالىٰ شاهد وناظر فيما تعاهدوا عليه (إِنْ عَهْدَ اللّٰهِ كانَ مَسْئُولاً) يوم القيٰمة (وكَتَبَ عَلِّي بْنُ أَبِي طَالِبٍ ﷺ)

◁ الشّرح

الحِلف بكسر الحاء وسكون اللاّم العَهد بين القوم، الصّديق يحلف لصاحبه أنّه لا يعذر به، والحَلف بفتح الحاء اليَمين والقَسم يقال حَلف باللّه أقسم به وما نحن فيه من الأوّل علىٰ ما ضَبطوه في شرُوحهم فأنّهم إتّفقُوا علىٰ كسر الحاء في الحِلف ولم يقل أحد منهم بفتحها في المقام ولا نعلم الوَجه فيه فأنّ الحَلَف والحِلف لا فرق بينهما معنىً إلّا بالإعتبار بمعنىٰ أنّه إذا أُستعمل في اليَمين يقال الحَلَف بفتح الحاء وأنْ أُريد به العَهْد يقال الحِلف بكسرها وحيث أنّهم ظنّوا أنّ ما نحن فيه من الثّاني فقرأ واللّفظ بكسر الحاء زعماً منهم لا حِلف لِلإسلام قال الشّارح المُعتزلي في المقام ما لفظه:

واعلم: أنّه قد ورَد في الحديث عن النّبي ﷺ أنّه قال كلّ حِلفٍ كان في الجاهليّة فلا يزيده الإسلام إلّا شدّةً ولا حلف في الإسلام ولكن فعل أمير

المؤمنين عليه السلام أولىٰ بالإتّباع من خبر الواحد وقد تحالفت العَرَب في الإسلام مراراً ومن أراد الوقُوف علىٰ ذلك فليطلبُه من كُتب التّواريخ انتهىٰ:

اقول: ما ذكره الشّارح حقّ لا شّك فيه فأنّ الحِلف المَمنُوع في الشّريعة هو الحَلَف علىٰ ما كان في الجّاهلية من المّعاقدة والمّعاهدة علىٰ التّعاضد والتّساعد علىٰ الفِتن والقِتال بين القبائل والغارات وأمّا الحَلف أي التّعاقد والتّعاهد علىٰ دفع الظّلم عن المظلّوم والإهتمام بأُمور المُسلمين والنّهي عن المُنكرات وأمثالها من الخيرات فَلا مَنع فيه بل هو مَمدُوح بأمورٌ به وقيل أنّ حديث منع الحَلَف منسُوخ وذلك لأنّ الحديث قاله صلى الله عليه وآله في زمن الفتح فكان ناسخاً لِما كان قبله وكيف كان فوقوع الحلف في عهد أمير المؤمنين عليه السلام وبيده حجّة علىٰ الخَصم قال المُعتزلي في المراد بالرّبيعة واليَمَن ما لفظه:

اليَمَن كلّ من ولده قحطان نحو حَمير، وعَكّ، وجُذّام، وكِندة، والأزد وغيرهم.

وَرَبيعة: هو ربيعة بن نزار بن معّد بن عدنان وهم بكر وتَغلب وعبد القيس.

وأمّا هشام: فهو هشام بن مُحمّد بن السّائب الكلبي نسّابة بن نَسّابة عالم بأيّام العَرَب وأخبارها وأبوه أَعَلم منه وهو يروي عن أبيه انتهىٰ أذا عرفت هذا فلنرجع الىٰ شرح الألفاظ:

▫ قوله عليه السلام: **هذَا ما اجْتَمَعَ عَلَيْهِ أهْلُ الْيَمَنَ حاضِرُها وَبَادِيهَا وَرِبيعَةُ حاضِرُها وبَادِيهَا أنَّهُمْ علىٰ كِتَابِ اللّهِ يَدْعُونَ إلَيْهِ وَيَأْمُرُونَ بِهِ ويُجِيبُونَ مَنْ دَعَى إلَيْهِ وأمَرَ بِهِ لا يَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَناً وَلا يَرْضَوْنَ بِهِ بَدَلاً...**

أي هذا الّذي كتبناه أو نحن بصدد كتابته عَهدٌ إجتمع وإتّفق عليه أي علىٰ العَمَل به أهل اليَمَن من الحاضر والغائب أو مِن ساكني الحَضَر والبادي أي ساكِنوا البادية وربيعة كذلك أي حاضرها وباديها كلّهم إتّفقوا بمُوجب هذا العَهد علىٰ أمُور:

أحدها: أنّهم علىٰ كتاب اللّه أي تعاقِدُوا وتَعاهدُوا علىٰ إتّباع كتاب اللّه

والعَمَل به:

وثانيها: أنّهم يَدْعُون النّاس اليه ويأمرونهم بالعَمَل به أو يأمرون بما يأمر الكتاب به.

وثالثها: أنّهم يُجيبُون من دَعَىٰ الىٰ الكتاب وأمّا غير الدّاعي اليه فلا يُجيبُوه وذلك لأنّ إجابة الدّاعي اليه من تعاون البّر والتّقوىٰ وإجابة غيره من تعاون الإثم والعُدوان:

ورابعَها: أنّهم لا يشترون به أي بالكتاب ثَمَناً أيّ ثَمَنٍ كان قلّ أو كَثُر:

وخامسها: أنّهم لا يرضَون به أي بالكتاب بَدَلاً فيأخذوا به وذلك لأنّ البَدَل الّذي يُؤخذ به لابدّ من أن يكون أعلىٰ قَدَراً من المُبِدّل منه إذ لو لم يكن أعلىٰ منه وكان مُساوياً له أو أدنىٰ منه فالأخذ به من التّرجيح بلا مُرجّح في الأوّل وتقديم المَفضُول علىٰ الفاضل في الثّاني وكلاهما كما ترىٰ ومن المعلوم أنّ الكتاب لكونه كلام الحقّ أعلَىٰ وأفَضل من كلّ شيٍ فيُؤخذ به وهو المطلوب:

□ قوله ﷺ: **وأنَّهُمْ يَدٌ واحِدَةٌ علىٰ مَنْ خَالَفَ ذلِكَ وتَرَكَهُ أنْصارٌ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ دَعْوَةٌ واحِدَةٌ لا يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ لِمَعْتَبةِ عاتِبٍ ولا لِغَضَبِ غاضِبٍ ولا لإسْتِذْلالِ قَوْمٍ قَوْماً...**

وسادسها: تَعاهدوا وإتّفقوا علىٰ أن يكونُوا يَدٌ وَاحِدَةٌ علىٰ مَنْ خالَفَ الكتاب وتَرَكه ويمكن أن يكون (**ذلِكَ**) إشارة الىٰ الحِلف والعَهَد وعليه فالمعنىٰ **أنَّهُمْ يَدٌ واحِدَةٌ علىٰ مَنْ خَالَفَ ذَلِكَ** العَهَد وتَركه وراء ظهره من أهل اليَمَن ورَبيعة:

وسابعها: **أنّهم أنْصَارٌ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ** أي بعض أهل اليَمَن والرّبيعة لِبعضٍ آخر دَعَوةٌ واحِدة أي أنّ الدّعوة فيهم واحدة وهي الدّعوة الىٰ الحَقّ والفضيلة:

وثامنها: أنّهم تَعاهدوا علىٰ أن لا يَنَقضون عَهَدهم الّذي عاهَدُوا عليه فأنّ نقض العَهد ممّا حَكَم بقُبحه العَقل والشّرع بل العُرف أيضاً لِمَعْتَبة عاتِبٍ ولا لِغَضَبِ غاضِبٍ أي وأن كان إجراء العَهَد والميثاق ممّا يُوجب الغيظ والغَضَب

بالنّسبة الىٰ بعض الأشخاص إلّا أنّ المؤمن لا ينقض عَهده به ولا لإستذلال قومٍ قوماً، أي ولا ينقضون عهدهم لأجل إستذلال قومٍ قوماً منهم ومن غيرهم فأنّ علىٰ المُعتَدي أنْ يُؤدّي الحقّ للمظلوم بلا قتال ولا جِدال:

▫ **قوله عليه السلام: علىٰ ذٰلكَ شاهِدُهُمْ وَغائِبُهمْ وَسَفِيهُهُمْ وعالِمُهمْ وحَلِيمُهُمْ وَجاهِلُهُمْ ثمَّ إنَّ علَيْهِمْ بِذَلكَ عَهْدَ اللَّهِ ومِيثَاقَهُ إنَّ عَهْدَ اللَّهِ كانَ مَسْئُولاً وكَتَبَ عَلِّي بْنُ أبِي طَالِبٍ...**

بعد ذكره عليه السلام موّاد الحِلف الّتي تَعاهَدُوا وتَعاقَدُوا عليها أشار الىٰ أنّ العَمَل بها لا يختّص بِصَنفٍ خاصّ من القبيلتين بَل علىٰ ذلك شاهدهم أي حاضرهم وغائبهم وهكذا ثمّ إنَّ علَيْهِمْ بِذَلك عَهْدَ اللّهِ ومِيثَاقَهُ إنَّ عَهْدَ اللّهِ كانَ مَسْئُولاً عنه يوم القيٰمة وكتب هذا العَهد علّي ابن أبي طالب بعد الفراغ من شرح ألفاظ الكتاب لا بَأسَ بالإشارة الىٰ ما يستفاد من ذلك الحِلف علىٰ سبيل الإجمال فأنّ فيه فوائد لا تُحصىٰ لِمَن تدّبر فيه:

ففي الأمر الأوّل والثّاني:

أشار عليه السلام الىٰ أنّهم علىٰ كتاب اللّه ولا شّك أنّه من أعظَم السّعادات وأَفضَل البَركات.

وأَفضَل منه الدّعوة اليه فأنّ الدّاعي الىٰ الكتاب أفضل مِمّن يُؤخَذ بـه ولا يدعُوا اليه والأصل في هذا الحُكم قوله تعالىٰ: **﴿يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾**(١)

و: **﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾**(٢)

وفي الثّالث:

أعني به قوله عليه السلام: **ويُجيبُون مَن دَعَىٰ اليه وأَمَر به** إشارة الىٰ حُسن الإجابة مِمّن دَعَىٰ الىٰ اللّه وأَمَر به وفيه إشارة الىٰ قوله تعالىٰ: **﴿يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ﴾**(٣)

١- آل عمران -٢٣
٢- آل عمران -١٠٤
٣- الأحقاف -٣١

و : ﴿وَمَن لا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعجِزٍ فِي الأَرْضِ﴾ (١)

و : ﴿أَمَّن يُجِيبُ المُضطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ (٢) :

وفي الرّابع والخامس:

أعني قوله عليه السلام: **لا يشترُون به ثَمناً** إشارة الىٰ قوله تعالىٰ: **﴿وَلا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً وإيَّايَ فَاتَّقُونِ﴾** (٣)

و : ﴿ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً﴾ (٤)

و : ﴿ولا تشتَرُوا بِعَهد اللّه ثَمَناً قَليلاً﴾ (٥) وغيرها من الآيات:

وفي السّادس:

وهو قوله عليه السلام: **وأنّهم يَدٌ واحدة** إشـارة الىٰ الإجـتّماع والإتّـفاق كـما قـال تعالىٰ: **﴿وَاَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا﴾** (٦)

وقال رسُول اللّه صلى الله عليه وآله المسلمون يَدٌ واحدة علىٰ من سِواهُم .

وفي السّابع:

وهو كون بعضهم أنصاراً لِبعضٍ آخر إشارة الىٰ قوله تعالىٰ حيث قال: **﴿إِنَّمَا الْمُؤمِنُونَ إِخوةٌ فأصلِحُوا بينَ أَخَويكُم﴾** (٧)

و : ﴿وَالَّذِينَ ءَاوَواْ وَنَصَرُوا أُوْلَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءَ بَعْضٍ﴾ (٨)

و : ﴿والَّذِينَ ءَاوَواْ وَنَصَرُوا أُوْلَئِكَ هم المُؤمنُون حقّاً﴾ (٩)

وفي الثّامن:

أعني قوله عليه السلام: **لا ينقضُون** الخ إشارة الىٰ قوله تعالىٰ: **﴿ولا تَنقضُوا الإيـمان بعد تَوكيدها﴾** (١٠)

و : ﴿الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾ (١١)

و : ﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلا يَنقُضُونَ المِيثَاقَ﴾ (١٢) وغيرها من الآيات:

١- الأحقاف ـ ٣٢
٢- النّمل ـ ٦٢
٣- البقرة ـ ٤١
٤- البقرة ـ ٧٩
٥- النّمل ـ ٩٥
٦- آل عمران ـ ١٠٣
٧- الحجرات ـ ٤٠
٨- الأنفال ـ ٧٢
٩- الأنفال ـ ٧٤
١٠- النّمل ـ ٩١
١١- الرّعد ـ ٢٥
١٢- الرّعد ـ ٢٠

(٧٣) ومن كتاب له عليه السلام

الىٰ معاوية في أوّل ما بُويَع له ذكره الواقِدي في كتاب «الجَمَل»

▫ قوله عليه السلام: مِنْ عَبْدِ اللهِ عَلّيٍ أميرِ المُؤْمِنينَ إلىٰ مُعاوِيةَ بْنِ أبي سُفْيانَ أمَّا بَعْدَ فَقَدْ عَلِمْتَ إعْذارِي فِيكُمْ وإعْراضِي عَنْكُمْ حَتّىٰ كانَ ما لابُدَّ مِنْهُ ولا دَفْعَ لَهُ والحدِيثُ طَوِيلٌ والْكلامُ كَثيرٌ وقَدْ أدْبَرَ مَا أدْبَرَ وأقْبَلَ ما أقْبَلَ فَبايِعْ مَنْ قِبَلَكَ وأقْبِلْ إلَيَّ في وَفْدٍ مِنْ أصْحابِكَ...

◁ اللغة

(إعْذارِي) بكسر الألف مصدر قولك أعذَر يُعذر إعذاراً أي إقامتي علىٰ العُذْر (كانَ) أي حَدَث مِن قَبيل قول الشّاعر إذا كان الشّتاء فأدفِئوني، أي إذا حَدَث الشّتاء (أدْبَرَ) أي مضىٰ (قِبَلَكَ) بكسر القاف وفتح الباء أي عندك (وَفْدٍ) بفتح الواو الجماعة.

◁ الشّرح

قد مرّ منا البَحث في معاوية ونَسَبه ونفاقه وأيضاً ذكرنا قِصّة قَتل عثمان وبَيعة النّاس لِعلّي فلا نحتاج الىٰ إعادة البَحث في المقام ولِنشرح ألفاظ الكتاب فَحَسبْ.

▫ قوله عليه السلام: أمّا بَعْدُ فَقَدْ عَلِمْتَ إعْذارِي فِيكُمْ وإعْراضِي عَنْكُمْ حَتّىٰ كانَ ما لابُدَّ مِنْهُ ولا دَفْعَ لهُ والحَدِيثُ طَوِيلٌ وَالْكلامُ كَثيرٌ...

قال بعض الشّراح من المصريين، إعِذاري أي إقامتي علىٰ العُذر في أمَر عُثمان صاحِبكُم وإعراضي عنه بعدم التَعرض له بسُوءٍ حتّىٰ كان قتله انتهىٰ.

وقال المُعتَزلي في كتابه الىٰ معاوية ومُخاطَبته لِبَني أُمّية جميعاً، قال وقد عَلِمتَ إعذراري فيكم، أي كَوني ذا عُذرٍ لَو لِمتكُم أو ذَمَمتكم يعني في أيّام عُثمان، ثمّ قال وإعراضي عنكم أي مع كوني ذا عُذرٍ لو فَعَلتُ ذلك فلم أفعَله بل أعَرضَتُ عن إسائتكم إلّي وضربتُ عنكم صفحاً حتّىٰ كان ما لابدّ منه يعني قتل عُثمان وما جَرىٰ من الرّجبة بالمدينة انتهىٰ ما ذكره بألفاظه وعباراته:

أقول: ما ذكروه في شرح الكلام من إرجاعه الىٰ قصّة عُثمان مع أنّه لا دليل عليه من العقل والنّقل لولا نقول أنّه من حَمل الكلام علىٰ ما لا يرضىٰ به صاحبه فأنّه أشبَه شيئ بالأكل من القَفا وذلك لأنّ ظاهر الكلام مُشعر بأنّه صَدَر عنه ﷺ في أمر الخلافة بعد قتل عُثمان وبَيعة النّاس له وقول المُعتزلي أنّ المُخاطب به هو بنو أُميّة جميعاً نقول بل المُخاطِب به جميع المُسلمين، والمعنىٰ فقد علمتَ إقامتي علىٰ العُذر في أمر الخلافة بعد عُثمان فيكم وإعراضي عنكم أي عن خلافتكم وولايتكم حتّىٰ كان أي حَدَث وَوَقع ما لابدّ منه من أمر البيعة ولا دفع له أي لم أقدَر علىٰ دفع النّاس وهجُومهم عَلَيَ لِلبيعة كما مرّ البَحث فيه سابقاً ومُحصل الكلام أنّ خلافتكم هذه قد حَمّلُوها عَلّيَ بالإصرار والإجبار ولم أكُن راغِباً اليها بطيب النّفس هذا إذا قلنا بأنّ المراد بالإعِذار هو الإقامة علىٰ العُذر كما فَسّروه به:

وأمّا اذا قلنا أنّ الإعِذار بمعنىٰ المُبالغة في العُذر كما يُقال أعذَر في الأمر أي بالَغ فيه فالمعنىٰ أوَضَح وذلك لأنه ﷺ قد بالغ في عُذره عن قبُول الخلافة بما لا يخفي حيث قال ﷺ دعُوني والتَمِسُوا غيري الىٰ آخر ما قال وقد مضىٰ البَحث فيه:

▫ **قوله ﷺ: وقدْ أدْبَرَ ما أدْبَرَ وأقْبَلَ ما أقْبَلَ فَبايعْ مَنْ قِبَلَكَ وأقْبِلْ إلَيَّ في وَفْدٍ مِنْ أصْحابِكَ...**

أي ما مضىٰ مضىٰ فأنّه قد أدبَر ذلك الزّمان وأقبَل زمانٍ آخر فبايَع من قِبَلَك

وعندك أي بايع أنت ومن عندك من أهل الشّام وأقبل إليّ في جماعةٍ من أصحابك ولنعم ما قاله الشّارح المُعتزلي في المقام حيث قال فلم يُبايع ولا قَدِم وكيف يُبايع وعينه طامحة الىٰ المُلك والرّئاسة منذُ أمّره عُمَر علىٰ الشّام وكيف يطيع عليّاً والمُحَرضون له علىٰ حَرْبه عَدَد الحصا.

ولَو لم يكُن إلّا الوليد بن عقبة لِكَفىٰ وكيف يسمع قوله:

فَوَاللّه ما هِندٌ بأُمّك أن مضىٰ النّهار ولم يثأر بِعُثمان ثائرُ
أيَصِلَ عبد القوم سيّد أهله ولَم تقتلُوه ليست أُمّك عاقِرُ
ومن عَجَب أنّ بِتّ بالشّامِ وادِعاً قَريراً وقَد دارت عَلَيه الدّوائِر

أقول: ما ذكره الشّارح حقّ لا مَريَة فيه إلّا أنّ الشّارح كأنّه لَم يَرَ ما قاله حسّان بن ثابت قبل الوليد وهو هذه:

مَن سَرّه المَوت صِرفاً لا مزاج له
فليأت ما سَدّةً في دارِ عثمانا
مُستَشعري حَلَق الماذي قد شَفعت
قبل المخاطم بيضٌ زان أبدانا
صبراً فدىٰ لكُم أُمّي وما وَلَدت
قد ينفع الصّبر في المكروه أحياناً
لقد رضينا بأهل الشّام نافرةً
وبالأمير وبالأخوان أخوانا
أنّي لِمَنهُم وأن غابوا وأن شهدُوا
ما دُمتُ حيّاً وما سُمّيتُ حسّاناً
لِتسمعنّ وشيكاً في ديارِهم
اللّه أكبر يا ثارات عثمانا
ضَحّوا بأشمط عنوان السّجود به
يقطع اللّيل تسبيحاً وقرآنا

ومن وصيّة له عليه السلام (٧٤)

لعبد الله بن العبّاس، عند إستخلافه أيّاه على البَصرة

▫ **قوله عليه السلام: سَعِ النَّاسَ بِوَجْهِكَ ومَجْلِسِكَ وحُكْمِكَ وَإِيَّاكَ والغَضَبَ فإِنَّهُ طِيَرَةٌ منَ الشَّيْطانِ وأَعْلَمْ ما قَرَّبَكَ اللَّهِ منَ اللَّهِ يُباعِدكَ مِنَ النَّارِ وما باعَدَكَ مِنَ اللَّهِ يُقَرِّبُكَ من النَّارِ...**

◁ اللغة

(سَعِ) بفتح السّين فعل أمرٍ من وَسَع يَسَع (طَيْرة) بفتح الطّاء وسكون اليّاء أي خفّة وطيش وقيل الفال الشّؤم:

◁ الشَرح

▫ **قوله عليه السلام: سَعِ النَّاسَ بِوَجْهِكَ وَمَجْلِسكَ وحُكْمِكَ...**

أي لا تُضّيق علىٰ النّاس في المُعاشرة والمُجالسة والحُكم فأنّ من علائم الإيمان حُسن المُعاشرة ففي أمره عليه السلام بالسّعة بالوجه أشار الىٰ بشاشة الوَجه وطلاقته وأن لا يكون عَبُوساً قمطريراً وبالمجلس أشار الىٰ عدم المحدُودّية فيه بأن يكون أهل مَجلِسه من الأغنياء والأشراف مثلاً دون الفقراء والضّعفاء وبالحُكم أشار الىٰ حُسن العَفو عن المُسيئ وعدم التّضييق عليه والجامع هو مداراة النّاس في جميع الأُمور ولا شّك في حُسنها عقلاً وشَرعاً:

قال الصّادق عليه السلام من تولّىٰ أمراً من أُمور النّاس فَعَدل وفَتَح بـابه ورَفَـع

ستره ونَظَر في أُمور النّاس كان حقاً على الله عزّ وجلّ أن يؤمن رَوعته يوم القيٰمة ويُدخله الجنّة « مشكاة الأنوار ص ١٩٢»...

وعن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ وقولوا لِلنّاس حُسناً، قال عليه السلام قولوا لِلنّاس أحَسَن ما تُحِبّون أن يقال لكم فأنّ الله يُبغِض اللّعان السّباب الطّعان علىٰ المؤمنين والفاحِش المُتَفحش والسّائِل المُلحِف ويُحبّ الحَيّي الحَليم العَفيف المُتَعفِف « ص ١٩٠»...

وعن الباقر عليه السلام – قال من خالطتَ فأن إستَطعت أن تكون يدك العُليا عليه فأفعل « ص ٠ صلى الله عليه وآله ١»...

- قوله عليه السلام: وإيّاكَ والغَضَبَ فإنّهُ طِيرَةٌ منَ الشّيطانِ...

ثمّ نهاه عليه السلام عن الغَضَب والمقصود إعماله لا إيجاده ضرورة أنّ وجود الغَضَبَ خارج عن قُدرة البَشر بل هو أمرٌ قهري ينشأ عن غير المُلائمات والنّهي وكذا الأمر لا يتّعلق بأمرٍ لا يكون تحت الإختيار إذ لا يكَلف الله نفساً إلّا وُسعها، فكلّ مورد تعلّق الأمر أو النّهي به ينبغي أن تراعىٰ هذه القاعدة فيه فإذا قيل مثلاً أيّاك والحَسَد إيّاكَ والغَضَبَ إيّاكَ والبُغض وأمثال ذلك من الصّفات النّفسانية الّتي تُوجد فيها بوجود أسبابها الخَارجية والدّاخلية فالمقصود إعماله في الخارج لا إيجاده في النّفس لأنّه ليس تحت الإختيار وكيف كان فقد مرّ الكلام منّا في الغَضَب وحقيقته وآفاته في الدّنيا والآخرة غير مرّةٍ في الأبحاث السّالفة فهو مذموم عقلاً وشَرعاً ولا سيّما بالنّسبة الىٰ الحُكّام والوُلاة فأنّ آثاره في حقّهم أكثر وأوَفر ثمّ علّلَ عليه السلام ما ذكره بأنه طِيرَةٌ منَ الشّيطانِ أي أنّ الشّيطانِ يتّفاءل به في نيل مآربه من الغَضبان وقد ذكرنا الأخبار الواردة في ذمّه وأثبتنا أنّه مَدخلٌ لِلشّيطان في وصوله الىٰ مقاصده:

- قوله عليه السلام: وأعْلَمْ ما قَرّبَكَ منَ اللّهِ يُباعِدكَ مِنَ النّارِ وما باعَدَكَ مِنَ اللّهِ يُقَرّبَكَ منَ النّارِ...

حاصله أنّ ما يُوجب التّقرب الىٰ الله تعالىٰ من فِعل الخيرات وقول الحقّ

بعينه يُوجب البُعد من النّار وبالعكس بالعكس فأنّ الصّدق وأداء الأمانة والعدالة وإطعام المَساكين وأمثالها من الخَيرات أن كان من أسباب التّقرب الى اللّه كما هو كذلك فلا جرم ضِدّ هذه الأعمال يُوجب البُعد عن جوار رَحمته بمُقتضى الضّدية وقد ثبت أنّ اللّه تعالى خَلَق الجنّة وجَعَلها لِمَن أطاعه وخَلَق النّار وجَعَلها لِمَن عَصاه ومن كان بَعيداً عن رَحمة الحقّ فهو عاصٍ لا محالة ومأواه النّار وأنّما قال عليه السلام: **يُقَرِّبَكَ مِنَ النَّارِ** ولم يقل يُدخلك النّار للإشارة الى أنّ العَبَد العاصي إذا تاب وَرَجَع عمّا كان عليه وسَلَك مَسَلك الحقّ لا يدخل النّار بل يدخل الجنّة فهو قبل التّوبة قريب من النّار.

ومن وصية له ﷺ (٧٥)

لعبد الله بن العبّاس، لمّا بَعَثه للإحتجاج لىٰ الخوارج

▫ قوله ﷺ: لا تُخاصِمْهُمْ بِالْقُرآنِ فإِنَّ الْقرآنَ حَمَّالٌ ذُو وُجُوهٍ تَقُولُ ويَقُولُونَ وَلكِنْ حاجِجْهُمْ بالسُّنَّةِ فإِنَّهُمْ لَنْ يَجِدوا عَنْها مَحِيصاً...

◁ اللّغة

(تُخاصِمْهُمْ) تُخاصم بضمّ التاء وكسر الصّاد مضارع من خاصَم يُخاصم والتّاء فيه لِلخطاب مثل تُقاتل وتُجالس والمعنىٰ لا تُجادلهم ولا تُحاجّهم به (حَمَّالٌ) بفتح الحاء وتشديد الميم مُبالغة في الحَمل (حاجِجْهُمْ) فعل أمرٍ من حاجّ يُحاجّ وهُم، مفعول الفعل (مَحِيصاً) بفتح الميم من حاص يَحيص حيصاً ومَحِيصاً إذا عَدَل وحاد والمَحيص المَهرب:

◁ الشّرح

نهىٰ أمير المؤمنين ﷺ عبد الله ابن عبّاس عن مُخاصمة الخوارج وهم أصحاب النّهروان بالقرآن وقال لا تُخاصمهم بالقرآن وعَلّله بأنّ القرآن حمّال ذوو وجوه تقول ويقولون أي تقول شيئاً ويقولون شيئاً آخر فلا يثبت الأمر علىٰ أصلٍ مُسلّمٍ عند الخَصم ولكن حاججهم بالسُّنّة وهي قول المعصُوم وفعلِه وتَقريره وعَلّله ﷺ بأنّهم لَن يجدُوا عنها أي عن السُّنّة محيصاً ومَهرباً أي لابدّ لهم من قبول السُّنّة إذ الوجوه المُحتملة عنها مُنتفية وما قاله ﷺ صِدق

وحقّ:

أمّا أنّ القرآن ذو وجوه فلأنّ فيه محكماً ومُتشابهاً وناسخاً ومَنسوخاً ومُطلقاً ومقيّداً ومُجملاً ومُبيّناً وظاهراً وباطناً وما كان كذلك فهو ذوو وجُوه لا محالة:

قال الله تعالى: **﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وأُخَرُ مُتَشَابِهاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَاتَشَابَهَ مِنْهُ إِبْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وإِبْتغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلّا أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾**[1] وإعلَم أنّ البحث شريف وفوائده كثيرة وحقيقة معنىٰ الوجُوه علىٰ أكثر النّاس غير معلومة فأنّ بعض النّاس توهمُوا أنّ المراد بها بُطُون القرآن وبعضهم قال أنّ المراد بها الإختلاف في التّفاسير والآخرون ومنهم الشّارح المُعتزلي زعموا أنّ المراد بها المُتشابهات والآيات اللّاتي يظنّ أنّها من المُتناقضات المُتنافيات وهكذا ألا ترىٰ أنّ المُعتزلي بعد ما قال أنّ القرآن كثير الإشتباه إذ فيه مواضع يظنّ في الظّاهر أنّها متناقضة مُتنافية مثل لقوله تعالى: **﴿وَلا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ﴾**[2] وقوله: **﴿إِلىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾**[3] وهكذا ولم يعلم أنّ هذه الآيات ونظائرها من المُشكلات والمُعضلات الّتي يحتاج فَهمُها الىٰ التّوغّل في العلُوم الحقّيقية الّتي هو وأمثاله بمعزلٍ عنها لا أنّها من المُتشابهات والمُتناقضات وأمثالها وأمّا عُمر ابن الخطاب لم يفهم معنىٰ الكلالة الىٰ أن مات: فهو خارج عن المَبحُوث عنه فأنّ معنىٰ الكلالة واضحة علىٰ أدنىٰ الطّلَبة فضلاً عن أهل العلم ومن المعلوم أنّ عُمر وأمثاله لم يعلموا الأوّليات من العلوم فضلاً عمّا ذكره وحيث أنّ الأمر علىٰ هذا المنوال فلابدّ لنا من توضيح الوجُوه في القرآن ورفع النّقاب عن أستارها.

فنقُول المراد بقوله عليه السلام أنّ القرآن ذُو وُجوه هو أنّ فيه ألفاظ مُشتركة تُستعمل في المَعاني المُختلفة بمناسبة موارد الإستعمالات وهذا الإستعمال

١- آل عمران- ٧
٢- الانعام- ١٠٣
٣- القيمة- ٢٢/٢٣

يُعدّ من محاسن وجوه الكلام في علم البلاغة فإذا قلنا أنّ الكلام ذُو وجُوه ليس معناه إشتراك اللّفظ بل المراد إستعماله في المعاني المُختلفة وقد ثُبت أنّ الإستعمال أعمّ ونحن نذكر لك شِطراً من وجُوه القرآن توضيحاً للمقال:

منها – لفظ (سُوء) بضّم السّين بمعنى القَبيح، سُوء الخُلق قُبحه، وقد وَرَد هذا اللّفظ في القرآن على تِسعة أوجُه:

أحدها: الشّدة ومنه قوله تعالى: ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ (١) أي شدّة العذاب، أي شدّة الحِساب، يُخافون سُوء الحساب أي شدّة الحساب:

وثانيها: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ﴾ (٢) بمعنى العَقر ومنه قوله تعالى في ناقة ثمود: ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ﴾ (٣) أي بَعَقر.

وثالثها: الزّنا ومنه قوله تعالى: ﴿مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ﴾ (٤) وقوله: ﴿مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا﴾ (٥) أي زنا، ﴿مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ﴾ (٦) أي زانياً:

ورابعها: البَرَص، ومنه قوله تعالى: ﴿تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ (٧) أي من غير بَرَص:

وخامسها: العذاب ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (٨) أي اللّعنة والعذاب.

وسادسها: الشُّرك، ومنه قوله تعالى: ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ﴾ (٩) أي الشُّرك

وسابعها: السّب والشّتم، ومنه قوله تعالى: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ (١٠) يعني بالشّتم أو السّب.

وثامنها: الذّنب ومنه قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ﴾ (١١) أي يعملون الذّنب .

---

١ - البقرة ـ ٤٩ ٢- الرعد- ١٨
٣- الاعراف ـ ٧٣ ٤- يوسف ـ ٥١
٥- يوسف ـ ٢٥ ٦- مريم ـ ٢٨
٧- طه ـ ٢٢ ٨- النحل ـ ٢٧
٩- النحل ـ ٢٨ ١٠- النساء ـ ١٤٨
١١- النساء ـ ١٧ - ١٨

وتاسعها: الضّر، ومنه قوله تعالىٰ:﴿وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾[1] أيَ الضّـر وغيرها من المعاني وأنتَ ترىٰ أنّ اللّفظ لم يُستعمل في غير معناه المَوضوع له في جَميع الوجوه فأنّ الجامع في كلّ الموارد هو القُبح مثلاً إلّا أنّه أُريدَ من اللّفظ في كلّ موردٍ ما يُناسبه وهذا معنىٰ الوجوه فيه .

ومنها ـ لفظ الإمام وقد وَرَد في القرآن علىٰ خمسة أوجه:

أحدها: القائد في الخير كقوله تعالىٰ:﴿وَّاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾[2] يعني قائداً في الخير:

وثانيها : الكتاب، كقوله تعالىٰ:﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾[3] أي بكتابهم الّذي عملوا في الدّنيا.

وثالثها : اللّوح المحفوظ كقوله تعالىٰ:﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾[4] أي في اللّوح المحفوظ:

ورابعها: التّوراة، كقوله تعالىٰ:﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا﴾[5] أي التّوراة

وخامسها: الطّريق الواضح كقوله تعالىٰ:﴿وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾[6] أي الطّريق الواضح:

ومن المعلوم أنّ الجامع فيها هو القُدوَة وهو واضح:

وبذلك قد ظهر لك المراد من وجُوه القرآن وفيما ذكرناه بعنوان المِثال كفاية عمّا لم نذكره مخافة التّطويل فأنّ الألفاظ المُستعملة كذلك في القرآن كَثيرة جدّاً:

فالأُمّة مثلاً أُستعملت في القرآن علىٰ تسعة أوجه، والأمر، أُستعمل علىٰ أربعة عشر أوجه والأُمّ، أستعمل علىٰ أربعة أوجه، والشّهيد علىٰ سِتّة، والشّيعة علىٰ أربعة، والشّيء، علىٰ أثنين وسبعين، والرّوح، علىٰ ثمانية وهكذا وأن شئت الإِطّلاع علىٰ تفصيل الكلام فيها فعليك بالكُتب المَوضوعة لهذا الفَنّ:

١- الاعراف- ١٨٨
٢- الفرقان-٧٤
٣-الاسراء-٧١
٤- يس-١٢
٥- هود-١٧
٦- الحجر-٧٩

إذا أحطت خبراً بما تلوناه عليك في كون القرآن ذا وجوه فقد عرفت سر منع أمير المؤمنين عن الإحتجاج به وقوله عليه السلام: **تقول ويقولون**:

وذكر المبرد وغيره أنّ أمير المؤمنين لمّا وجّه اليهم عبد الله بن العباس ليناظرهم قال لهم ما الّذي نقمتم على أمير المؤمنين قالوا له قد كان للمؤمنين أميراً في دين الله خرج من الإيمان فليتب بعد إقراره بالكفر نعد اليه قال ابن عبّاس ما ينبغي لمؤمن لم يشب إيمانه بشك أن يقر على نفسه بالكفر قالوا أنّه أمر بالتحكيم قال ابن عباس أنّ الله أمر بالتحكيم في قتل صيد فقال يحكم ذوا عدل منكم فكيف في إمامة أشكلت على المسلمين فقالوا أنّه قد حكم عليه فلم يرض قال أنّ الحكومة كالإمامة ومتى فسق الإمام وجبت معصيته وكذلك الحكمان لمّا خالفا نبذت أقاويلهما فقال بعضهم لبعض إجعلوا إحتجاج قريش حجّة عليهم فأنّ هذا من الذين قال الله فيهم: **﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾**(١) وقال جلّ ثناؤه: **﴿وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْماً لُدّاً﴾**(٢) انتهى ما ذكره.

اقول: أنظر الى ما نقلناه بعين التأمل والبصيرة لتعرف صدق مقالته عليه السلام تقول ويقولون فأنّك ترى في هذا الإحتجاج يقول ابن عباس شيئاً وتقول الخوارج شيئاً ومع ذلك لم ينفع فلو كان إحتجاجه عليهم بالسنّة لكان أولى وأنفع قطعاً.

وقال الشارح المعتزلي أنّ ابن عبّاس حاجّهم بقوله تعالى: **﴿فَابْعَثُوا حَكَماً من أهله وحَكَماً من أهلها﴾**(٣) وقوله تعالى في صيد المحرم: **﴿يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾**(٤) ولذلك لم يرجعوا والتحمت الحرب وأنّما رجع باحتجاجه نفر منهم انتهى.

وأمّا الإحتجاج بالسنّة فليس كذلك فأنّ المراد بها على ماذكرناه قول المعصوم وفعله وتقريره فإذا إحتجّ على الخصم بقول النبي صلى الله عليه وآله **يا علي أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبي بعدي وقوله من كنت مولاه فهذا**

١- الزخرف ـ ٥٨
٢- مريم ـ ٩٧
٣- النساء ـ ٣٠
٤- المائدة ـ ٩٥

عليٌّ مولاه اللّهم وال من والاه وعادِ من عاداه وأُنصر من نَصَره وأُخذُل من خَذَله، وقوله من حارَبَ عَلّياً فقد حارَبَني، وقوله ﷺ مُحاربو علّيٍ كَفرة ومُخالفُوه فَسَقَة وأمثال ذلك من الأخبار وهكذا فعله ﷺ وتقريره في حقّ أمير المؤمنين، لا مجال لِلخصم إنكاره ولا يمكن له أن يقول بخلافه ولذلك قال عليه السلام فأنّهم لَن يجدوا عنها مَحيصاً وهذا الّذي ذكره عليه السلام في المقام جار في الإحتجاج على غير الخوارج أيضاً فأنّه قاعدة كلّية ينبغي مراعاتها في الإحتجاجات على المُخالفين مُطلقاً الى يوم القيامة.

ومن كتاب له عليه السلام (٧٦)

الى أبي موسى الأشعري

جواباً في أمر الحكمين، ذكره سعيد بن يحيى الأموى

▫ قوله عليه السلام: فإنَّ النَّاسَ قدْ تغَيَّرَ كَثيرٌ مِنْهُمْ عَنْ كَثيرٍ منْ حَظِّهِمْ فَمالُوا مَعَ الدُّنْيا ونَطَقُوا بالهَوَىٰ وإنِّي نَزَلْتُ منْ هَذَا الأَمْرِ مَنزِلاً مُعْجِباً اجْتَمَعَ بِهِ أقْوَامٌ أعْجَبَتْهُمْ أنْفُسُهُمْ فإنِّي أُداوِي مِنهُمْ قَرْحاً أخافُ أنْ يكُونَ عَلَقاً ولَيْسَ رَجُلٌ فاعْلَمْ أحْرَصَ علىٰ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صلىٰ اللّهِ عليْهِ وآلِهِ وأُلْفَتِها مِنِّي أبْتَغِي بِذَلِكَ حُسْنَ الثَّوَابِ وكَرَمَ المآبِ وسَآفِي بالَّذِي وَأيْتُ علىٰ نَفْسِي وإن تَغَيَّرْتَ عَنْ صَالِحِ ما فارَقْتَنِي عليْهِ فإنَّ الشَّقِيَّ مَنْ حُرِمَ نَفْعَ ما أُوتيَ منَ العَقْلِ والتجْرِبَةِ وأنِّي لأعْبَدُ أن يَقُولَ قائِلٌ بِباطِلٍ وأنْ أفْسِدَ أمْراً قدْ أصْلَحَهُ اللّهُ فَدَعْ ما لاتَعْرِفُ فإنَّ شِرارَ النَّاسِ طائِرُونَ إلَيْكَ بِأقاوِيلِ السُّوءِ والسَّلامُ...

◁ اللغة

(حَظِّهِمْ) الحَظّ بفتح الحَاء المُهملة وسكون الظَاء المُعجمة النَّصيب (مالُوا)أي رغبُوا (مُعْجِباً) المُعْجِب بضم الميم وسكون العين وكسر الجيم الفاعل من أعجَب يُعْجِب أي مُوجباً للتعجُّب، (قَرْحاً) القَرْح بفتح القاف وسكون الرّاء والحاء وهو في الأصل الجَرح وهُنا مَجاز عن فساد الباطن (عَلَقاً) العَلَق بالتّحريك الدّم الغَليظ الجامد (المآب) المَرجع (سَأفِي) أفِي بفتح الألف وكسر الفاء متكلم وحَدة من فعل المضارع باب وفىٰ يَفِي (لأعْبُدُ) أي آنَف

فهو من عَبِدَ يَعبُد كَغَضِبَ يَغضِبَ:

◁ المعنىٰ

(**فإِنَّ النَّاسَ قَدْ تَغَيَّرَ كثيرٌ مِنْهُمْ**) عمّا كانوا عليه في صدر الإسلام (**عَنْ كَثِيرٍ مِنْ حظِّهِمْ**) ونصيبهم فأنّ تغير الباطن مُوجب لتَغيرالحَظّ والنّصيب من السّعادة (**فَمَا لُو امَعَ الدُّنْيا**) أي رَغِبُوا اليها أو سَلَكوا معها حيث سَلَكت (**ونَطَقُوا بالهَوَىٰ**) لا بالعقل والفَهم (**وأنّي نَزَلْتُ منْ هَذَا الأَمْرِ**) وهو الخلافة (**مَنزِلاً مُعْجِباً**) أي مَنزلاً يُوجب التّعجُّب (**اجْتَمَعَ بِهِ**) بالأمر (**أَقْوَامٌ أَعْجَبَتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ**) مع عَدم صلاحيتهم (**فأنّي أُدَاوِي مِنْهُمْ قَرْحاً**) وفساداً (**أَخافُ أَنْ يكُونَ عَلَقاً**) أي دَماً جامداً غليظاً لا يقبل الدّواء (**ولَيْسَ رَجُلٌ فأعْلَمْ أحْرَصَ علىٰ أُمَّةِ مُحمَّدٍ** ﷺ **وأُلْفَتِهَا مِنِّي**) بل أنَا أحْرَص علىٰ أُلفتها من غيري (**أَبْتَغِي بِذَلِكَ حُسْنَ الثَّوَابِ**) من الله (**وكَرَمِ المآب**) والمَرجع عنده تعالىٰ ولا أبتغي الدّنيا وما فيها (**وسَأَفِي بالّذِي وَأَيْتُ علىٰ نَفْسِي**) أي بما وَعدتُ وأخذتُ عليها (**وإن تَغَيَّرْتَ**) يا أبا موسىٰ (**عَنْ صَالِحِ ما فارَقْتَنِي عليْهِ**).

وهو الأخذ والوقوف عند الحقّ الصّريح (**فإِنَّ الشَّقيَّ مَنْ حُرِمَ**) ومُنِع (**نَفْعَ ما أُوتيَ منَ العَقْلِ والتجْرِبَةِ**) كما أنّ السّعيد من أخَذَ به (**وإِنِّي لأَعْبُدُ**) أي لآنف (**أن يَقُولَ قائِلٌ بِبَاطِلٍ**) فكيف لا آنف أنا من ذلك لنفسي (**وأَنْ أُفْسِدَ أمْراً قَدْ أَصْلَحَهُ اللّهُ فَدَعْ ما لا تَعْرِفُ**) أي وأترك ما فيه الرّيبة والشُّبهة (**فإِنَّ شِرَارَ النَّاسِ**)أي عائشة وأصحابها (**طائِرُونَ إِلَيْكَ بِأقاوِيلِ السُّوءِ**) الّتي لا طائل تحتها والسّلام.

◁ الشرح

كَتَبَ ﷺ هذا الكتاب الىٰ أبي موسىٰ الأشعري في جواب كتابه اليه ﷺ وقد مرّ منّا الكلام في نَسَب أبي موسىٰ وبعض حالاته عند ذكرنا قصّة الحَكَمين فأنّ أبا موسىٰ كان أحدهما كما مَرَّ ذكره وهو الّذي كان والياً علىٰ الكُوفة من قِبَل

عثمان وفَعَل ما فَعَل من مُخالفته لأمير المؤمنين ومَنعه النّاس عن نُصرته وغير ذلك ممّا صَدر عنه بالنّسبة اليه عليه السلام علىٰ ما مَرّ ذكره وشرحه وكيف كان فلا شك أنّه كان من أعداءه ومُخالفيه بل هو رأس المُنافقين وأصل المُلحدين المُعاندين حَشَره مع مَن أحَبّه.

▫ **قوله عليه السلام: فإنَّ النَّاسَ قَدْ تَغَيَّرَ كَثيرٌ مِنهُمْ عَنْ كَثيرٍ مِنْ حَظِّهِمْ وَنَطَقُوا بالهَوَىٰ...**

أشار عليه السلام بهذا الكلام الىٰ أنّ الإنسان بمُقتضىٰ طبعه وجبلّته واستعداده وقابليّته يَصلح للترقي الىٰ الكمالات المترقبة له والوصول الىٰ السّعادات والحظُوظ في الدّنيا والآخرة لأنّه أشرف المخلوقات لو عَرف قَدره وقد مَدَح اللّه نفسه في خلقه وقال فتبارك اللّه أحسَنَ الخالقين، ومَدَحه بقوله: **﴿لَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾**[1] وقال عَبدي أطِعني حتّىٰ أجعلك مثلي أو مَثَلي.

ثمّ أنّ الوصُول الىٰ المقامات والفَوز الىٰ الدّرجات والإتّصاف بالكمالات أنّما يحصل بمُتابعة الرّسول وأوصيائه والعَمَل بكتاب اللّه وسُنّة رسُوله لِقوله تعالىٰ: **﴿مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾**[2] وقوله: **﴿وَلَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾**[3] وأمثال ذلك من الآيات ومن المعلوم أنّ مُتابعة الرّسُول في أقواله وأفعاله يُنافي مُتابعة الهَوىٰ والشّيطان وقد ثَبت بالعلم والتّجربة أنّ الدّنيا وزخارفها والنّفس الأمّارة ومُتابعتها أسباب وآلات للتّقرب الىٰ الشّيطان بل الحقّ أنّه لا وسيلة له في وصوله الىٰ مَقصده غير حُبّ الدّنيا وما فيها فأنّ كلّ الصّيد في جَوف الفَراء فحُبّ الدّنيا هو الأصل وما سِواه فرع عليه ولِذا قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله حُبّ الدّنيا رأس كلّ خَطيئة ولأجل هذا قال أمير المؤمنين في المقام أنّهم تغيّروا وعن كثير من حظُوظهم وفرّع عليه ميلهم الىٰ الدّنيا ونطقهم بالهَوىٰ فكأنّه قيل له عليه السلام ولِمَ تَغير كثير من حظّهم وأيّ دليل يدلّ عليه فقال عليه السلام في الجواب ما قال أي لو لم يُحرموا من حظّهم لِما مالوا مع الدّنيا

١- الاسراء ـ ٧٠
٢- الحشر ـ ٨
٣- الاحزاب ـ ٢١

وحيث أنّهم مالوا مَعَها فَهُم محرومُون منه قَطعاً وأنّما قال ﷺ مَعَ الدّنـيا ولم يقل في الدّنيا لِنكتةٍ وهي أنّ الكون في الدّنيا لا ذمّ فيه فأنّ الأنبياء والأوصياء والصّلحاء كلّهم كانوا فيها وأنّما المذموم هو الكَون مَع الدّنيا والسّلوك علىٰ مَسلكها فأنّ المعيّة تستلزم المُتابعة ولذلك قال عليّ عليه السلام في بعض كلماته كُن في النّاس ولا تَكُن معهم ولا شكّ أنّ أبناء الدّنيا ينطقُون بـالهَوىٰ لا بـالعَقل والشّرع فأنّ التّابع ينطق علىٰ ميل المَتبُوع إذ لو نطق علىٰ خلاف ميله لا يكون تابعاً له واقعاً:

▫ **قوله عليه السلام: وإِنِّي نَزَلْتُ مِنْ هَذَا الأَمْرِ مَنزِلاً مُعْجِباً اجْتَمَعَ بِهِ أقْوَامٌ أعْجَبَتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ فإِنِّي أُدَاوِي مِنْهُمْ قَرْحاً أخافُ أَنْ يكُونَ عَلَقاً...**

أشار عليه السلام في هذا الكلام الىٰ أُمور ثلاثة:

أحدها: أنّه عليه السلام نَزَل مِن هذا الأمر أعني به الخلافة مَنزِلاً يُوجِب التّـعجّب لوجُوهٍ:

الأوّل: أنّه عليه السلام كان وصّياً لِرسُول اللّه ﷺ وخليفة له بِمُقتضىٰ النّص والنّاس أخّروها عن مقامه حتّىٰ وَصَلت النُوبة اليه في المَرتَبة الرّابعة بعد عُثمان وهو يُوجب التّعجّب:

الثّاني: أنّ الخُلفاء قبله ولا سيّما الأوّل منهم قد تشبّثوا في صحّة خلافتهم لِرسُول اللّه بكونهم من قُريش أو بِكونهم من أصحابه وبذلك إحتجّوا علىٰ الأنصار في السّقيفة والنّاس لم ينكروا عليهم بل قَبلُوه وقالوا سَمِعنا وأطِعنا وأمّا بالنّسبة الىٰ أمير المؤمنين الّذي كان من أقرب النّاس الىٰ رسُول اللّه سَبباً ونَسَباً وأحبّهم اليه ديناً ووَرَعاً وإيماناً فلم يقبلُوا ما كان موجوداً فيه فَضَلاً عمّا قاله الرّسُول في حقّه وهو عَجيب:

الثّالث: أنّ الزّبير وَطَلحة وأبا موسىٰ الأشعري المُخاطب بـهذا الخـطاب وغيرهم من المُلحِدين وافقوا الخلفاء وأطاعُوهم ولم يُخالفُوهم أصلاً ولمّـا وَصَلت النّوبة اليه خالفوه وحاربُوه وهو عَجيب:

الرّابع: أنّ أبا موسىٰ نفسه الّذي كان والياً علىٰ الكوفة من قِبل عُثمان وبعده من قِبله عليه السلام كان يحثّ النّاس الىٰ طاعة عُثمان ويحثّهم علىٰ مُخالفة عليه السلام وعَدم نِصرتهم له علىٰ أعداءه وهو عَجيب :

وثانيهما: **أنّه إجْتَمَعَ بِهِ أَقْوَامٌ أَعْجَبَتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ**، والضّمير في قوله عليه السلام (به) الىٰ الأمر وهو الخلافة والمراد بهم إمّا أصحاب الجَمَل أو الأعَمّ منهم ومن غيرهم أمثال معاوية وأبي مُوسىٰ وابن العاص والحاصل أنّ هذا الأمر أعني الخَلافة لمّا وصل إِلَيّ إجتَمع به أقوام شبّه عليه السلام الأمر بالمائدة الّتي جَلَس حَولها غير واحدٍ مِمّن لا يُدعىٰ اليها لِلأكل منها حِرصاً وطَمَعاً وفي قوله عليه السلام: **أَعْجَبَتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ** إشارة الىٰ أنّهم لم يعرِفوا مكانتهم ومَنزِلتهم فادّعوا شيئاً خارِجاً عن قابلّيتهم ولِياقتهم وهو الخلافة.

وثالثها : **أنّي أُدَاوِي مِنْهُمْ قَرْحاً أَخَافُ أَنْ يَكُونَ عَلَقاً**.شبّه عليه السلام إدّعائهم وإعجابهم بِنفُوسَهم بالقَرْح وهو الجَرح الّذي وقع عليهم من مُتابعة الهَوىٰ ونفسه الشّريفة بالطّبيب المُداوي لِلمَرَض فقال أنّي أُداوي منهم قَرحاً وفي قوله عليه السلام: **أَخَافُ أَنْ يَكُونَ عَلَقاً** إشارة الىٰ ان القَرح قابل لِلعلاج لأنّه في ظاهر الجسم وأمّا العَلَق الّذي هو الدّم الغَليظ الجامد فقد صَعُبَت مُداواته بل فَساده يَسري الىٰ البَدَن كلّه ومحّصل الكلام أنّي أُداويهم أن كانوا مُستَعدين ولكنّي أخاف عَدَم قابليّتهم وإستعدادهم وأن يكونوا من مصاديق قوله تعالىٰ:**﴿خَتَمَ اللّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾** (١)

و : **﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللّهُ مَرَضاً وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾** (٢)

كيف لا يكونوا كذلك، **﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ. أَلاَ إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لاَ يَشْعُرُونَ﴾** (٣) ، الىٰ قوله تعالىٰ: **﴿ صُمٌ**

١- البقرة ـ ٧
٢- البقرة ـ ١٠
٣- البقرة ـ ١١/١٢

بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ﴾(١)

▫ قوله عليه السلام: **وَلَيْسَ رَجُلٌ باعْلَمْ أَحْرَصَ علىٰ جماعة أُمَّةِ مُحمَّدٍ صلى الله عليه وآله وأُلْفتِها مِنِّي أبْتغِي بِذَلِكَ حُسْنَ الثَّوَابِ وكَرَمَ المَآبِ...**

وحيثُ أنّ المُخالفين والمُحاربين كانوا يَدّعُون الإصلاح بين الأمّة والإجتماع على كلمةٍ واحدة كما نقل عن عائشة لمّا سُئِلت عن مَسيرها الىٰ البَصرة قالت أُريد الإصلاح بين الأُمّة، قال عليه السلام في المقام وليس رجل أَحرص علىٰ هذا الأمر مِنّي وهو كناية عن كِذبهم وأنّهم يبتغُون بذلك الوصُول الىٰ آمالهم وأغراضهم وأمّا أنا فأبْتغي بذلك حُسن الثّواب في الدّارين وكَرم المآب والمَرجع في الآخرة.

تنبيةٌ - إعلم أنّ النّسخ المَوجودة من الكتاب الّتي ظفرنا بها إتّفقت علىٰ أنّ العبارة كما نقلناها من قوله عليه السلام: **وَلَيْسَ رَجُلٌ فأعْلَمْ أحْرَص علىٰ جماعة أُمَّةِ مُحَمَّدٍ** صلى الله عليه وآله ونحن أيضاً تابعناهم ووافقناهم عليه وشرحنا العبارة بِمُقتضىٰ ألفاظها فأنّ النّسخة القديمة من النّهج الّتي حاضرة عندنا أيضاً علىٰ هذا المِنوال مع أنّ العبارة بظاهرها لا تُساعده القَواعد الأدبية والعقُول السّليمة، فضلاً عن خُروجها عن قانون البلاغة فأن كانت العبارة كما هي الآن موجودة في النّسخ فهي لا تشبه بكلام أمير المؤمنين عليه السلام الّذي هو منبع البلاغة ومَصدر الفصاحة وذلك فأنّ قوله (فأعلم) لا موقع له بين قوله عليه السلام: **وَلَيْسَ رَجُلٌ** وقوله **أَحْرَصَ** بل هو غَلَط زائد يضّر بسلاسة الكلام، فأن كان ولا بدّ منه فحقّ العبارة كونه في أوّل الكلام لا وَسطه مثل أن يُقال وأَعلم ليس رجل أَحرص الخ مع أنّه لو كان في صدر الكلام يَنبغي أن يَذكر بعده كلمة (أنّه) فأنّ كلمة (أنّ) تقع بعد هذا اللّفظ دائماً كقوله تعالىٰ: ﴿وَأعْلَموُا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ﴾(٢) ﴿وَأعْلَم أَنَّ اللّه عَزِيزٌ حَكِيم﴾(٣) ﴿فَاعْلَمْ اَنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ﴾(٤) ﴿فَاعْلَمْ أَنَّه لاَ إلٰهَ إلاَّ اللّهُ﴾(٥) وأمثالها من

١- البقرة - ١٨

٢- الانفال - ٤١ ٣- البقرة - ٢٦٠

الآيات واذ ليس فليس:

فظَهر مِمّا ذكرناه أنّ قوله ﷺ:(فأعْلَمْ) الواقع بين إسم (لَيْسَ) وَخبره لا معنىٰ له والعَجَب أنّ الشّراح لم يتَفطنوا له حتّىٰ الشّارح المُعتزلي مع إدّعائه التّوغل في علم الأدب غَفَل عنه بل زاد في الطّنبور نغمةً أُخرىٰ وقال وأدخَل قوله ﷺ: (فأعْلَمْ) بينَ إسم ليس وَخبرها فصاحة ويجوز رفع أخْرَصَ بجعله صفة لإسم (لَيْسَ) ويكون الخبر محذوفاً أي ليس في الوجود رَجُلٌ انتهىٰ ما ذكره.

ويقال له أمّا أوّلاً مِن أينَ عَلِمتَ أنّ إدخاله ﷺ: (فأعْلَمْ) بين إسم لَيْسَ وخَبرها فصاحة وأيّة فصاحة فيه ومن صَرّح بهذا القول المَوهوم من عُلماء الأدب وبُلغاء العَرَب ولا ينبغي لمن يَدّعي الفضل والإطّلاع علىٰ القواعد الأدّبية التّفوه بأمثال هذه الكلمات المُستخرجة من الأوهام ثُمّ إستنادها الىٰ قانون الفَصاحة الّتي تُنادي بأعلىٰ صوتها بكذب هذه المقالة:

وأمّا ثانياً: فَمن الّذي قال من الأُدباء بجوازه فضلاً عن فَصاحته مَع أنّ الحقّ أنّه لا يجوز أصلاً وأمّا قوله ويجوز رفع (أخْرَصَ) بجعله صفة لإسم (لَيْسَ) ويكون الخبر محذوفاً أي ليس في الوجود، فيقال له هذا أشبه شيءٍ باللّغو وما لا فائدة فيه أصلاً وذلك لأنّ الرّجل الّذي هو إسم (لَيْسَ) نكرة في سياق النّفي في العبارة وهو تفيد العمُوم وعليه فأيّ إحتياج الىٰ هذا التّقدير، جاز أم لم يَجُز ضرورة أنّ المراد بقوله ﷺ: (رجل) هو الرّجل الموجود لا الرّجل المعدُوم وعليه فالمعنىٰ ليس رجل موجود كذلك وأيّ فرقٍ بينه وبين أن نقول ليس رجل في الوجود كذلك هذا:

والّذي يختلج بالبال في حلّ الإشكال هو أنّ الصّحيح في العبارة (بأعلم) بدل (فأعْلَمْ) وأصل العبارة هكذا، ولَيْسَ رَجُلٌ بأعلم وأخْرَصَ علىٰ جماعة أُمّةِ مُحمّدٍ ﷺ وأَلْفَتِهَا مِنّي، وعليه فالنّقطة إنتقلت من التّحت الىٰ الفوق أو أنّ

٤- المائده - ٤٩   ٥- محمد - ١٩

النّقطة تحت الباء لم تكن بَمقروّة مرئيّة فظنّ الكاتب أنّ العبارة (فأَعْلَمْ) فَضَبطها كذلك وكيف كان فالإشتباه من النّساخ لا من المتكلم و لذالك صححّنا المتن والله أعلم.

▫ **قوله ﷺ: وَسَأفِي بالّذِي وَأيْتُ علىٰ نَفْسِي وإن تَغَيَّرتَ عَنْ صَالِحِ ما فارَقْتَني عليْهِ...**

أي وسَأَفِيَ بالّذِي وعَدتُ علىٰ نَفْسِي وشَرطت لها وَهُو العَمَل بكتاب اللّه والإقتداء بسُنة رسُول اللّه وإن تَغيَّرتَ يا أبا موسىٰ عَنْ صَالِحَ ما فَارَقْتَني عليْهِ وهو الأخذ بالحَذر والوقُوف عند الحقّ الصّريح وحيث تغيّرت فأنت شقي فإنَّ الشَّقيّ مَنْ حَرِمه اللّه نفع التّجربة والعَقل وأنت كذلك وأنّما قال ﷺ له ذلك لِما أشرَنا اليه في صَدر البحث من عناده ونفاقه وإلحاده وأيّ شقيٍّ أشقىٰ ممّن خالف إمام العَدل وحُجَة الحقّ الّذي إفترض طاعته علىٰ الأنام وأبو موسىٰ كان كذلك ولنعم ما قال له عمرو بن العاص بعد الحكومة أنّما مَثَلُك مَثَل الحِمار يَحمل أسفاراً ومن قال له بهذه المَقالة رأس المُلحدين فحاله معلوم كما قيل ويلٌ لِمَن كفّره نَمرُود:

▫ **قوله ﷺ: وإنِّي لأَعْبُدُ أن يَقُولَ قائِلٌ بِبَاطِلٍ وأنْ أُفْسِدَا أمْراً قدْ أَصْلَحَهُ اللّهُ فَدَعْ ما لا تَعْرِفُ فإنَّ شِرارَ النَّاسِ طائِرُونَ إلَيْكَ بأقاوِيلِ السُّوءِ والسَّلاَمُ...**

أَعْبَد، بفتح الهمزة وسكون العين وفتح الباء متّكلم وحدة من المضارع علىٰ وزن أَعَلمُ، والعبد بكسر العين الأنف والغضب والمعنىٰ أنّي لأغضب وآنِف أن يقول قائل بباطلٍ فكيف أقول به.

وبعبارةٍ أُخرىٰ مَن يأنف أن يقول غيره قولاً باطلاً فكيف يقول به ولا يأنَف به وقوله وأن أُفسِد الواو للعطف أي وكيف أُفسِد الخلافة الّتي أصلَحها اللّه في حقّي بالنّص والبيعة فَدَع أي أُترك ما لا تعرف من القَول ولا تقُل ما لَيْس لك به عِلم فأنّ شرار النّاس وأراذلهم طائرونَ اليك بأقاويل السُّوء: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ (١) ونِعم الحَكَم اللّه:

١ـ الشعراء ـ ٢٢٧

ومن كتاب له عليه السلام (٧٧)
لمّا إستخلف الىٰ أمراء الأجناد

□ قوله عليه السلام: أَمَّا بَعْدُ فإِنَّما اهْلَكَ مَنْ كانَ قَبْلَكمْ أَنَّهُمْ مَنَعُوا النَّاسَ الْحَقَّ فاشْتَرَوْهُ وأَخَذُوهُم بالْباطِلِ فاقْتَدَوْه...

◁ الشّرح

بيّن عليه السلام في هذا الكلام عِلّة خُسران الأُمراء وهلاكهم في الدّارين وهي أمران:

أحدهما: أنّهم أي الأُمراء والحُكّام مَنعُوا النّاس الحقّ أي لم يعدلُوا فيهم فَلم يصلُوا الىٰ حقُوقهم فأشتروه أي إضطَر النّاس لشراء الحقّ منهم بالرّشوة فصارت الرّشوة فيهم شائعة فأنقلبت الدّولة عن الحقّ الىٰ الباطل وصار المعروف مُنكراً والمُنكَر معروفاً؛

وثانيهما: أنّ الحُكّام أخذُوا النّاس بالباطل أي كَلّفوهم بإتيانه فأتوه وصار قُدوة يَتّبعها الأبناء بعد الآباء فصارت الدّولة بتمامها باطلة عاطلة والباطل لا دوام له؛

وأنا أقول: ما ذكره عليه السلام في هذا الكلام مع إختصاره وإيجازه بحرٌ عميق لا يُدرك ساحله ولَعمري أنّ هذا الكلام ينبغي أن يُكتب بالنّور علىٰ الأحداق لا بالحِبر علىٰ الأوراق وذلك لإنّا بعد ما تأمّلنا فيه وفَتّشناه حقّ التّفتيش وَجدنا هلاك الدّولة والأُمّة فيما ذكره عليه السلام ولا ثالث لهما وأنتَ أيضاً إذا تأمّلتَ فيه تجد

ما وجدناه وتعرف ما عرفناه فتقول صَدَق ولّي اللّه ولولا مخافة الإطالة والخُروج عمّا نحن بِصَدده من الإيجاز وعدم التّجاوز عن طور الكتاب لقُلنا في المقام غير هذا المقال مُضافاً الىٰ أنه ربما يكون من توضيح الواضحات ولا سيّما عند ذوي الألباب وهذا آخر الكلام في شَرح المُختار من الكُتب والرّسائل لمولانا أمير المؤمنين عليه السلام والحَمد لِلّه ربّ العالمين وصلّىٰ اللّه علىٰ رسُوله والأئِمَة الميامين ونَشكره علىٰ ما وفّقنا الىٰ الآن ونرجوا التّوفيق منه تعالىٰ علىٰ شرح القِصار من كلماته عليه السلام:

قصار الكلمات

باب المختار
من حِكَم أمير المؤمنين عليه السلام
ويدخل في ذلك المختار
من أجوبة مسائله والكلام القصير
الخارج في سائر أغراضه

١

قوله عليه السلام: كُنْ في الْفِتْنَةِ كابْنِ اللَّبُونِ لا ظَهْرٌ فَيُرْكَبَ ولا ضَرْعٌ فَيُحْلَبَ...

اللغة

(الفِتْنةِ) بكسر الفاء وسكون التّاء وفتح النّون على وزن حِنطَة،

وهي مصدر قولك فَتن يُفتن فَتناً وفُتوناً وفِتنةً ومعناها الضّلالة والحَيرة والفساد والجامع شوب الحقّ بالباطل بحيث صارت الأُمور مشتبهة (اللّبُون)بفتح اللاّم وضّم الباء النّاقة والشّاة ذات اللّبن وإبن اللّبُون وَلد النّاقة إذا إستكمل السّنة الثّانية ودَخل في الثّالثة والأُنثىٰ بنت لَبُون سُمّي بذلك لإنّ أُمّه ولدت غيره فصار لها لَبن (ظَهْرٌ) بفتح الظّاء المُعجمة وسكون الهاء خِلاف البَطن والجمع منه أظهُر وظُهور (ضَرْعٌ) بفتح الضّاد وسكون الرّاء مَصدر من ضَرَع يَضرع ضَرعاً وهو مَدُّر اللّبن للشّاة والبقر ونحوها وهو كالثّدي لِلمرأة والجمع منه ضُروع ويقال له بالفارسية (پستان) (فَيُحْلَبَ) بضَم الياء مجهول يَحلب يُقال حَلَب الشّاة إذا خرج ما في ضرعها من اللّبن فالحَلب الدّر:

الشّرح

شبّه عليه السلام الإنسان العاقل إذا وقع في الفِتنة ولم يدّر ما يفعل بإبن اللّبُون وقال عليه السلام: كُن فيها مثله فكما أنّ إبن اللّبُون لِصِغره لا ظَهْرٌ له فَيُركَبَ الرّاكب علىٰ ظهره ولا ضَرعٌ له ليُحلِبَ اللّبن منه فكذلك أنتَ في عَدم إنتفاع الظّالمين بك

بوجهٍ فلا تكن مركُوباً لهم ولا مُعيناً لهم في ظُلمهم وهو كلام عجيبٌ والمقصود إعتزل بيتك وأحفِظ دينك فأنّ حِفظه في موارد الفِتنة في الإعتزال عن الخلق:

ثمّ أنّ المراد بالفِتنة ليس مُطلق الحادثة والواقعة بل المراد بها الحادثة الّتي إشتَبَه الحقّ فيها بالباطل بحيث صارت مُوجبة لِلضّلالة والحِيرة لِلإنسان بأن لا يعلم الحقّ من الباطل أو عَلِمَ الحقّ ولا يقدر على إجرائه لضعف عقُول العَوام من النّاس عن دَركه وذلك كفِتنة السّقيفة في صَدر الإسلام وبعدها الى زماننا هذا ألا ترىٰ أنّ أمير المؤمنين عليه السلام جَلَسَ في بيته وهكذا أوصيائه وأتباعه في طول التّاريخ وأمّا إذا كان في رأس الأمر من يُوثق بدينه وإيمانه كما في خلافة علّي عليه السلام فيجب علىٰ كلّ مؤمنٍ باللّه أن يَعينه ويَنصره لأنّه من التّعاون على البّر والعَجب كلّ العَجب من بعض المُسلمين في صَدر الإسلام أمثال أبي موسىٰ الأشعري وعبد اللّه ابن عُمر وسعدٍ بن وقاص وأمثالهم حيث أنّهم لم يبايعُوا عليّاً وأختاروا الإنزواء في بيوتهم مُستدلاً بأنّ هذه فِتنة وصلاح الدّين والدّنيا في عدم الدّخول فيها وأمّا في عهد أبي بكر وعُمر وعُثمان لم يقولوا بهذه المقالة بل عاونوهم ونَصروهم مع أنّ الحقّ في خلافة علّيٍ كان واضحاً وهو يَدور مداره عليه السلام بخلافه في عهد الخُلفاء قبله لِخفائه وإستتاره فيه وليس هذا إلّا أنّهم لم يعرفوا الفِتنة أو عرفوها ولكن حُبّ الدّنيا يُعمي ويُصّم ومحصّل الكلام هو أنّ المَوضوع في كلّ قضيةٍ يَجب المَعرفة به أوّلاً ثُمّ تفريع الحكم عليه:

﴿٢﴾

□ **قوله ﷺ: أَزْرَىٰ بِنَفْسِهِ مَنِ اسْتَشْعَرَ الطَّمَعَ وَرَضِيَ بالذُّلِّ مَنْ كَشَفَ عَنْ ضُرِّهِ وهانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ مَنْ أَمَّرَ عَلَيْها لِسانَهُ...**

◁ اللغة

(**أَزْرَىٰ**) فعل ماضٍ من باب الإفعال يقال أزْرَىٰ بِنَفْسِهِ إذ حَقَّرها (**اسْتَشْعَرَ**) فعل ماضٍ من باب الأستفعال والأستشعار التَّخلُق يقال استَشْعَرَه أي تَبَّطنه وتَخَلقَ به (**الذُّل**) بضم الذال مصدر من ذَلَّ يذُل والذُّل الحقارة والذِلة (**ضُرِّهِ**) بضَم الضّاد أيضاً مصدر بمعنىٰ البَلية (**هانَتْ**) يقال هانَ يَهُون هَوناً أي لانَ وسَهُلَ، ويقال هانَ هُوناً وهَواناً، أي ذَل وحقّر ضَعُف وَسَكَن وما نحن فيه من الثّاني (**أَمَّرَ**) بفتح الألف وتشديد الميم فعل ماضٍ من باب التّفعيل أي جَعَلَه أميراً:

◁ الشرح

أشارَ ﷺ في هذا الكلامِ بأُمورٍ ثلاثة الّتي هي من أُصول عِلم الأخلاق واقعاً:

أحدها: أنّ مَن إستشعَر الطَّمَع أي جَعَله شعاراً لنفسه فقد أزرىٰ بنفسه وحَقّرها من حيث لا يعلم والتّعبير بالإستشعار إشارة بكونه لازماً لها لأنّ الإستشعار مأخوذ من الشِعار بكسر الشّين وهو مايُلبَس تحت الثياب ملازماً ملاصقاً للبَدن وعليه فالكلام خرج مَخرج الإستعارة حيث شَبه ﷺ الطَّمع

بالشِعّار الملازم للجَسَد والطّامع يكون كذلك لإنه يطمع في كلّ شيئٍ فكأنّه لازم له غير مُنّفكٍ عنه وهذا هو الوجه في التّعبير بالإستشعار الموجب لتحقير النّفس يجب ان وفيه دلالة صريحة علىٰ ذمّ الطّمع فأنّ ما يوجب تحقير النّفس أن يجتنب عنه وهو كذلك عقلاً ونقلاً.

أمّا العقل: فلأنّه يوجب تحقير النّفس وتذليلها وكلّ ما هو كذلك مذموم فَهو مذمُوم:

أمّا الصّغرىٰ: فلا خفاء فيها بل الحقّ إنّها من المحسّوسات فإنّ الطّامع يحسّ الحقارة من نفسه:

وأمّا الكُبرىٰ: فلإنّ النّفس حقيقة الإنسان وصورته الّتي بها يصير الإنسان إنساناً فإنّ شيئية الشّئ بصُورته لا بمادّته فما يوجب تحقيرها وسقوطها عن مقامها الشّامخ مذمومٌ عقلاً إذ لو لم يكن مذموماً فلا محالة يكون ممدوحاً لعدم الواسطة بين المَدح والذّم وهو كما ترىٰ فالنّتيجة قطّعية .

أمّا النّقل: قال رسُول اللّه ﷺ إيّاك والطّمع فأنّه الفقر الحاضر« جامع السّعادات ج ٢ ص ١٠٦»...

وقال الباقر عليه السلام بئس العَبد عَبدٌ له طمعٌ يقوده وبئس العَبد عبدٌ له رَغبة تذلّه « ص ١٠٦»...

وقيل للصّادق عليه السلام ما الّذي يثبت الإيمان في العَبد قال الوَرَع والّذي يخرجه الطّمع « ص ١٠٦»...

وضدّه الإستغناء عن النّاس وهو من الفضائل الموجبة لتَقرب العَبد الىٰ اللّه تعالىٰ إذ مَن إستغنىٰ باللّه عن غير اللّه أحبّه اللّه والأخبار في فضله وذمّ الطّمع كثيرة جدّاً ولنعم ما قيل:

حَسبي بعِلمي أن تَفَع ... ما الذلّ إلاّ في الطّمع
مَن راقب اللّه نَزَع ... عن سُوء ما كان صَنَع
ما طار طيرٌ وأرتَفَع ... إلاّ كما طارَ وَقَع

وقال الآخر :

ويطمع في سوف ويهلك دُونها		وكم من حريصٍ أهلكَته مَطامَعه
يُخادع ريب الدّهر عن نفسه الفتىٰ		سفاهاً وريب الدّهر عنها يُخادعه

قال الآخر:

ولا تـغضبنّ علىٰ إمـرُوءٍ		لك مـانع مـا فـي يَـديه
وأغضب علىٰ الطّمع الّذي		إستدعاك تطلب ما لدَيه

وثانيها قوله ﷺ: وَرَضِيَ بِالذُّلِّ مَنْ كَشَفَ عَنْ ضُرِّهِ...

والمقصُود أنّ من كشَف عن شدّته وسُوء حاله وضيقه في المعاش وأمثال ذلك من البَليّات لغيره من النّاس بأن يشكوا اليهم حاله فقد رضي لنفسه بالذِلّ والحَقارة وذلك لأنّ الضّر كائناً ما كان يدخل في النُّقص سواء كان في الجِسّم أم كان في المال ولا يطّلع عليه أحد إلّا اللّه تعالىٰ فلو كشَف الإنسان عنه وأظهَره لغيره فقد جعل نفسه ذليلاً عنده والسِّر فيه أنّ المطّلع علىٰ الضُّر بعد الإطّلاع عليه ينظر الىٰ صاحب الغّر بغير ما كان ينظر اليه قبل إطّلاعه عليه أي ينظر اليه بعنوان أنّه فقير مُحتاج أو مَعيُوب في الجِسّم وهذا النظّر يوجب تحقيره وتذليله وذَنبه علىٰ من رضي به بل ينبغي لصاحب الضُّر أن يَستره من غيره ليَصُون به ماء وجهه وثياب عليه من ربّه ومع ذلك يدخل في الصّابرين والوجه فيه هو أنّ الضُّر من اللّه تعالىٰ ولا كاشف له إلّا هو فللعَبد أن يتوجه الىٰ ربّه عند إبتلائه قال اللّه تعالىٰ: **﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾**(1) ألا ترىٰ أنّ العَبد الصّالح أيّوب النّبي لم يكشف ضُّره إلّا لِللّه تعالىٰ حيث قال تعالىٰ: **﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾**(2) وقال تعالىٰ في مَدح من أنابَ اليه عند الضُّر: **﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾**(3)

قال رسُول اللّه ﷺ قال اللّه عزّ وجلّ ما من عبدٍ أريد أن أدخله الجنّة إلّا إبتليته في جَسده فأن كان ذلك كفّارة لذنوبه وإلّا ضيّقت عليه في رِزقه فأن

1- الأنعام-17
2-الأنبياء-83
3- الرّوم-34

كان ذلك كفّارة لذنوبه وإلّا شددت عليه المَوت حتّىٰ يأتيني ولا ذنب له ثُمّ أدخله الجنّة الحديث «مشكاة الأنوار ص ٢٩١»...

وعن الصّادق ﷺ أنّ اللّه تبارك وتعالىٰ ليتعاهد المؤمن بالبلاء وما يمنّ عليه أن يقوم ليلة إلّا تَعاهده بمرضٍ في جسده أو مُصيبةٍ في أهل أو مالٍ أو مُصيبة من مصائب الدّنيا ليأجره عليها انتهىٰ« ص ٢٩٣»...

وعن أبي عبد اللّه ﷺ قال لأحبّ الرّجل إذا جاء أمرٌ يكرهه أن لا يُرىٰ ذلك في وجهه وإذا جاء ما يسّره أن لا يُرىٰ ذلك في وجهه:« ص ٣٠١ » وقد مضىٰ البَحث في باب الرّضا والتّسليم ولنعم ما قيل:

وإذا مَسّك الزّمـــان بـــضُرٍ عَظُمت دونه الخطوب ومَلّت
وأتَت بَـعده نـوائب أخـرىٰ سَـئِمت نفسك الحياة ومَلّت
فأصطبر وأنتظِر بلوغ الأماني فـــالرّزايـا إذا تَـولّت تَـولّت
وإذا أوهَـــنت قِـــواك وَبـلّت كَشَفت عنك جُملةً وَتَـخَلّت

وقال الآخر:

عـليك بإظهار التّجلّد لِلعِدىٰ ولا تظهرنّ منك الذّبول فتحقرا
أما تنظر الرّيحان يشمّم ناضِراً ويطرح في البيداء إذا ما تغيّرا

وقال الآخر:

إذا ما أتاك الدّهـر يوماً بِنكبَةٍ فأفرغ لها صبراً وَوسّع لها صدرا
فأنّ تـصاريف الزّمـان عـجيبةٌ فَيوماترىٰ يُسراً ويوماً ترىٰ عُسراً

وقال الآخر:

وما مسّني عُسرٌ ففَوّضتُ أمره الىٰ المَـلَك الجَبار إلّا تَـيَسّرا

وثالثها قوله ﷺ: **وهانَتْ علَيْهِ نَفْسُهُ مَنْ أمّرَ علَيْها لِسَانَهُ...**

أي ذلّت وحَقرت نَفسُهُ علَيهِ إذا جَعَل لِسَانَهُ أميراً علىٰ نفسه وتوضيحه أنّ القاعدة بحسب الخِلقة تقتضي كون النّفس أميراً وحاكماً علىٰ جميع أعضاء البَدن وجوارحه لأنّها في مَملكة البدن بمنزلة السّلطان في المَملكة فكما أنّ السّلطان إذا كان مأموراً والرّعية آمرة عليه يكون حقيراً ذليلاً لا ينبغي له إسم

السّلطان فضلاً عن معناه كذلك في مملكة البَدن اذا كانت النّفس مأمورة والأعضاء والجوارح آمرة مسلّطة عليها تصير النّفس حَقيرة ولازمه إختلال النّظم في البَدن وهذا الّذي ذكرناه يجري في جميع الجوارح والأعضاء إلّا أنّه ﷺ خصّ اللّسان منها بالذّكر لكونه أهمّ من غيره إذ وظيفته إخراج المكنُون عمّا في الضّمير هذا.

ويمكن أن يكون المراد بتأمير اللّسان علىٰ النّفس هو التّكلّم بلا فكرٍ ورويّة وذلك لأنّ العاقل يتّفكر ثمّ يقول فَمن قال أوّلاً ثمّ تَفكّر فيما قال فهو أحَمق وحيث أنّ النّفس آمرة علىٰ الكلّ فلا يقول اللِّسان إلّا بأذنها فلو عكس الأمر هانت عليه نفسه وكيف كان فالغَرض الأصلي من هذا الكلام هو عَدم تأمير اللّسان واذا لم يكن أميراً فهو مأمور لا محالة لعدم الواسطة واذا كان مأموراً فهو مضبُوط لا يقول إلّا حقّاً وفيه حفظ نظام الدّين والدّنيا مع شَرف النّفس وعزّها كما أنّ في تأمير اللّسان وكونه مطلق العنان آفات لا تُعدّ ولا تُحصىٰ.

قال رسول الله ﷺ أمسِك لسانك فأنّها صدقة تتّصدق بها علىٰ نفسك ثمّ قال ﷺ ولا يعرف عبدٌ حقيقة الإيمان حتّىٰ يخزن لسانه...

وعن أمير المؤمنين من حَفِظَ لسانه ستر الله عورَته...

وعن أبي جعفر قال كان أبو ذّر يقول في خطبته يا مُبتغي العلم أنّ هذا اللِّسان مفتاح خير ومفتاح شرٍ فأختم علىٰ لسانك كما تختم علىٰ ذَهَبك وَوَرقك، وقال رسول الله ٩ أن كان في شيٍ شؤم ففي اللّسان «مشكاة الأنوار ص ١٧٥»...

وهنا إحتمال آخر في شرح العبارة وهو أن يكون المراد بتأمير اللّسان علىٰ النّفس والقلب هو أن يتّكلم بخلاف ما إعتقده بقلبه وذلك كما ترىٰ في المادحين المُدلِّسين الّذين يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم ومن المعلوم أنّ اللّسان لو كان مأموراً يَنبغي أن يظهر ما في القلب وهو ظاهر.

٣

◘ قوله عليه السلام: الْبُخْلُ عارٌ والجُبْنُ مَنْقَصَةٌ والْفَقْرُ يُخرِسُ الْفَطِنَ عَنْ حُجَّتِهِ، والمُقلُّ غَرِيبٌ في بَلْدَتِهِ والْعَجزُ آفَةٌ، والصَّبْرُ شَجاعَةٌ، والزُّهْدُ ثَرْوَةٌ، والْوَرَعُ جُنَّةٌ...

◁ اللّغة

(الْبُخْلُ) بضم الباء مصدر قولك بَخل يبخُل بُخلاً، وبفتح الباء مصدر بَخِلَ يَبخَل بَخلاً، والأوّل هو المراد لو لم يكن أصح (الْجُبْنُ) بضم الجيم وسكون الباء مصدر جَبُن، ضعف القَلب (مَنْقَصَةٌ) النّقص (يُخْرِسُ) أي يعجز عن الكلام (المُقِلُّ) بضّم الميم وكسر القاف الفقير (جُنَّةٌ) بضّم الجيم السّترة:

◁ الشّرح

ذكر عليه السلام في المقام أموراً ثمانية:

أحدها: الْبُخْلُ هو الإمساك حيث ينبغي البَذل كما أنّ الإسراف هو البَذل حيث ينبغي الإمساك وكلاهما مذمومان والمحمود هو الوَسط وهو الجُود والسّخاء، والعار العَيب والنّقص فكلّ ما يُعيّر به الإنسان من فعلٍ أو قولٍ، يُقال له العار وأنّما وَصف الْبُخْلَ به لأنّه أي الْبُخْلَ يوجب خروج الإنسان في قوله وفعله وماله وهكذا عن حدّ الوَسَط الممدوح في الشّريعة وقبح الْبُخْلَ عقلاً معلوم لا خفاء فيه ويكفي في إثباته أنّ جميع العُقلاء يُقبّحون البُخل ويذمّون صاحبه على الإتّصاف به وأمّا نقلاً فلورود الآيات والأخبار في ذمّه وقُبحه:

قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا ءَاتَـاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ (١)

و: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا ءَاتَىٰهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْراً لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ (٢)

وقال رسُول الله ﷺ - أيّاكم والشُّح فأنّه أهلَك من كان قبلكم حمَلهم على أن سفكوا دمائهم وأستحلوا محارمهم:

وقال ﷺ - لا يدخل الجنّة بخيل ولا خبّ ولا خائن ولا سيئ الملكة:

وقال ﷺ - البخيل بعيد من الله بعيد من النّاس بعيد من الجنّة قريب من النّار وجاهلٌ سخّي أحبّ الى الله من عابدٍ بخيل وأدوئ الدّاء البُخل:

وقال ﷺ - الموبقات ثلاث، مُشّحٌ مُطاع وهوى مُتّبع وإعجاب المَرء بنفسه:

وقال ﷺ - أنّ الله يبغض الشّيخ الزّاني والبخيل المنّان والمُعيل المختال،والأحاديث في ذمّه كثيرة ذكرنا شطراً منها في تضاعيف الأبحاث وما نقلناه« عن جامع السّعادات ج ٢ ص ١٠٩»...

وهبني جمعت المال ثمّ خزنتُه وحانت وفاتي هل أُزاد به عُمراً
إذا إختزن المال البَخيل فأنّه سيورثه غمّاً ويعقبه وِزراً

قالوا بُخلاء العَرب أربعة، الحَطيئة، وحميد الأرقط، وأبو الأسود الدّئلي، وخالد بن صفوان فأمّا الحطيئة فمرّ به إنسان وهو على باب داره وبيده عصا فقال أنا ضيف فأشار الى العَصا وقال لكعاب الضّيفان أعدَدتها، وأمّا حميد الأرقط فكان هَجّاءً للضّيفان فحّاشاً عليهم نَزل به مرّة أضياف فأطعمهم تمراً وهجاهم وذكر أنّهم أكلوه بَنواه ، وأمّا أبو الأسود فتصدق على سائل بتمرةٍ فقال له جَعل الله نصيبك من الجنّة مثلها وكان يقول لو أطعنا المساكين في أموالنا لكنّا أسوَء حالاً فيهم، وأمّا خالد بن صفوان فكان يقول لِلدرّهم إذ دخل عليه يا عياركم

١- النّساء ـ ٣٧ ٢- آل عمران ـ ١٨٠

تَعيروكم تطوف وتطير لأطيلنّ حَبَسك ثُمّ يَطرحه في الصّندوق ويقفل عليه وقيل له لِمَ لا تنفق ومالك عريض فقال الدّهر أعرض:

ذكروا أنّ حَنظَلة إستأذَن علىٰ صديقٍ له بخيل فقيل هو مَحمومٌ فقال كُلوا بين يَديه حتّىٰ يعرق.

وثانيها: والْجُبْنُ مَنْقَصةٌ،الْجُبْنُ سكون النّفس عن الحَركة الىٰ الإنتقام أو غيره مع كونها أولىٰ والغضب إفراط في تلك الحَركة فَله ضِدّية للغضب بإعتبار وللتّهوّر بإعتبار آخر وعلىٰ الإعتبارين هو في طرف التّفريط من المُهلكات العظيمة ويلزمه من الأعراض الذّميمة مهانة النّفس والذِلة وسُوء العيش وطمع النّاس فيما يملكه وقلّة ثباته في الأُمور ولذلك ورد في ذمّه من الشّريعة ما ورَد:

قال رسُول اللّه ﷺ – **لا ينبغي للمؤمن أن يكون بخيلاً ولا جباناً**؛

وقال ﷺ – **اللّهم أنّي أعوذ بك من البُخل وأعوذ بك من الجُبن وأعوذ بك أن أُرِد الىٰ أرذل العُمر «جامع السّعادات ج ١ ص ٢٠٦»...**

وثالثها: والْفَقْرُ يُخْرِسُ الْفَطِنَ عَنْ حُجَّتِهِ، أي أنّ الْفَقْرَ يُعجز الْفَطِنَ اللّبيب عن حجّته وبرهانه فلا يقدر علىٰ إثبات مدّعاه لفُقره والوجه فيه واضح بل مَحسُوس فأنّ الْفَقير لا يُسمع كلامه ولا يُعتنىٰ بشأنه فأنّ النّاس أبناء الدّنيا والجِنس الىٰ الجِنس يَميل ولذلك قال اللّه تعالىٰ:**﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾**[1] وقيل الفُقر رأس كلّ بلاء وداعية الىٰ مَقت النّاس وهو مع ذلك مُسلبة للمروءة مُذهبة للحياء فمتىٰ نَزل الفُقر بالرّجل لم يجد بُدّاً من ترك الحياء ومن فَقد حياؤه فَقِد مروّته مقت ومن مَقت أُزدرىٰ به ومن صار كذلك كان كلامه عليه لا له:

قال لقمان لإبنه يا بُنّي أكلتُ الحَنظَل وذُقتُ الصّبر فلم أرَ شيئاً أمَرّ من الفقر فأن إفتَقَرتَ فلا تُحدث به النّاس كيلا يتنقصوك ولكن إسأل اللّه تعالىٰ من فَضله فَمن ذا الّذي سأل اللّه فَلَم يُعطِه أو دعاه فَلم يُجبه أو تضرّع اليه فلم

١- الكهف ـ٤٦.

يَكشف ما به:

وكان العبّاس عمّ النّبي ﷺ يقول النّاس لصاحب المال ألزَم من الشّعاع لِلشّمس وهو عندهم أعذَب من الماء وأرفَع من السّماء وأحلىٰ من الشّهد وأذكىٰ من الورد خطأه صواب وسيئاته حسنات وقوله مقبول يرفع مجلسه ولا يُملّ حديثه والمُفلس عند النّاس أكذَب من لمَعان السّراب وأثقل من الرّصاص لا يسّلم عليه إن قَدِم ولا يُسأل عنه إن غاب أن حَضَر إزدروه وإن غاب شتموه وإن غَضَب صَفعوه مُصافحته تنقص الوضُوء وقراءته تقطع الصّلوٰة، وقال بعض العُرفاء نظرتُ الىٰ كلّ ما يذّل القوي ويكسره فَلم أَرَ شيئاً أذلّ له ولا أكسر من الفاقة كما قال الشّاعر:

وكُلّ مُقِلٍ حين يَغدُو لحاجةٍ الىٰ كلّ ما يلقىٰ من النّاس مُذنب
وكانت بنو عمّي يقولون مرحباً فلمّا رأوني مُعدماً مات مَرحَب

وقال الآخر:

المال يرفع سقفاً لا عِماد له والفَقر يُهدم بَيتَ العِزّ والشّرف

وقال الآخر:

جُروح اللّيالي ما لَهنّ طبيبُ وعيش الفتىٰ بالفقر ليس بطبيب
وحُبّك أنّ المرء في حال فُقره تُجمّعه الأقوام وهو لَبيبُ
ومن يغترر بالحادثات وَصرفهما يَبُت وهو مغلوب الفؤاد سَليبُ
وما ضرّني أن قال أخطأتَ جاهل إذا قال كلّ النّاس أنتَ مُصيب

وقال الآخر:

يمشي الفقير وكلّ شئ ضدّه والنّاس تغلق دونه أبوابها
وتراه مَبغوضاً وليس بمُذنبٍ ويَرىٰ العداوة لايرىٰ أسبابها
حتىٰ الكلاب إذا رأت ذا ثروة خَضَعت لَديه وحركّت أذنابها
وإذا رأت يوماً فقيراً عابراً نَبحت عليه وكشرت أنيابها

وقال الآخر:

أنّ الدّراهم في المواطن كُلّها تكسُوا الرّجال مهابةً وجمالاً
فهي اللّسان لمن أراد فصاحةً وهي السّلاح لِمن أراد قتالاً

وقال الزّمخشّري:

وإذا رأيت صعوبةً في مطلبٍ فأحمِل صُعوبته على الدّينار
وأبعثه فيما تشتهيه فأنّه حَجرُ يُليّن قوةُ الأحجار

ورابعها: والمُقِلّ غريب في بَلدته،المُقلّ بضّم الميم وكسر القاف الفقير والمعنىٰ أنّ الفقير غريب في بلَدَته لفقره ولعدم إعتناء النّاس بشأنه كما أنّ الغنّي بالعَكس وقد قيل بالفارسية:

مُنعم بكوه ودشت وبيابان غريب نيست
هرجاكه رفت خيمةزد وبارگاه ساخت

ان قلت ـقد ذكر أمير المؤمنين في الجملة السّابقة أنّ الفقير حاله كذا وهو يشمل ما ذكره في المقام أيضاً فما وجه إختصاصه بالذّكر ثانياً أَلَيس هذا من التّكرار:

قلت ـ لا وذلك لأنّ الفَقر له مراتب شدّةً وضعفاً وكثرةً وقِلّةً فالفقر الّذي أشار اليه سابقاً هو مرتبة الشّديدة منه والمُقّل ليس كذلك بل هو مَرتبة الضّعيفة منه ولذلك قيل في معناه، المُقّل الفقير وفيه بقيّة، وعَليه فمعناه قليل المال لا عديمُه وبذلك ظَهر الفرق بين الفقير والمُقِلّ فلا تكرار في العبارة لا لفظاً ولا معنىً والىٰ ما ذكره عليه السلام أشار الشّاعر حيث قال:

واللّه ما الإنسان في قَومه اذا بَلىٰ بالفقر إلّا غريب

أوصىٰ بعض الحكماء ولده فقال يابُنّي عليك بطلب العلم وجمع المال فأنّ النّاس طائفتان خاصّة وعامّة فالخاصّة تكرمك للعِلم والعامّة تكرمك لِلمال:

النّاس أتباع مَن دامَت له نِعَمُ والوَيل لِلمرء أن زَلّت به القَدَم
المال زَينُ ومَن قَلّت دَراهمُه حَيٌّ كمَن ماتَ إلّا أنّه صَنمُ
لمّا رأيت أخِلاّئي وخالصتي والكلّ مُستترٌ عَنّي وَمُحتَشم

أَبدو جَفاءً وإِعراضاً فقلتُ لهم أذنبتُ ذنباً فقالُوا ذَنبك العَدَم

وخامسها: والعَجز آفة، العَجز بفتح العين مصدر قولك عَجز يَعجز عجزاً وهو عدم القُدرة علىٰ تحصيل المُراد وعليه فمعنىٰ العبارة عدم القُدرة علىٰ تحصيل المراد آفة أي نَقص أو يُوجب النّقص ويلزم منه أن يكون ضدّ العجز وهو القُدرة من الكمال وهو كذلك.

اذ لا شك في كون القُدرة من الكمالات والْعَجْزُ من النّقائص والعيُوب في كلّ موجُودٍ ولأجل هذا لا يكون الواجب موصُوفاً به مع أنّه موصُوف بضدّه وهو القُدرة سواء كان العَجز عَجز القصُور أن عَجز التّقصير وقد ورد في الدّعاء أعوذ بك من العَجز والكَسل، وفي الخَبر كلّ شئ بقَدَر حتّىٰ العَجز والكيس.

ومحصّل الكلام هو أنّ العَجز أعني به عَدم القُدرة نقص وآفة في حدّ ذاته للموجُود لكونه مانعاً من الوصول الىٰ الكمالات والمقاصد العالية وهذا ممّا لا كلام فيه:

ان قلت ـ كلّية هذا الحكم ممنوعة وذلك لأنّا نرىٰ العَجز في بعض الموارد من المَحاسِن بالنّسبة الىٰ صاحبه كالعَجز عن الظّلم مثلاً فأنّه لا شك في حُسنه بل وكماله للموصُوف به فكيف قال ﷺ العَجز آفة مطلقاً.

قلت ـ ما ذكره ﷺ حقّ وهو آفة علىٰ الإطلاق وأمّا المثال الّذي ذكرته من العَجز عن الظّلم وما شابهه فَلَيس العَجز فيه حَسناً بل عدم الظّلم حَسَنٌ والفرق واضح:

وسادسها: والصّبْرُ شَجاعَةٌ، وذلك لأنّ الصّبر عرّفوه بثبات النّفس وعدم إضطرابها في الشّدائد والمصائب بأن تُقاوم معها بحيث لا تخرجها عن سِعة الصّدر وما كانت عليه قبل ذلك من السّرور والطّمأنينة فيحبس لسانه عن الشّكوىٰ وأعضائه عن الحَركات الغير المُتعارفة وهذا هو الصّبر علىٰ المكروه.

وأمّا الشّجاعة فهي طاعة قوّة الغَضَب للعاملة في الإقدام علىٰ الأُمور الهائلة وعدم إضطرابها بالخَوض فيما يَقتضيه رأيها وعليه فالصّبر هو الشّجاعة

والجامع بينهما هو تسلّط العاقلة على الغَضَب والإضطراب وأن شئت قلت عدم إضطراب النّفس في الشّدائد مأخوذ فيهما ونحن قد تكلّمنا في كلّ واحدٍ منهما وبيّنا ما هيّتهما والآثار المترتبة عليهما مفصّلاً:

وسابعها: والزُّهد ثروة، الزُّهد بضّم الزّاء في الأصل التّرك وفي الإصطلاح يقال على من تَرك الدّنيا للآخرة وهو من أعلى مقامات السّالكين وأشرف منازل الدّين والآيات والأخبار الواردة في مدحه كثيرة:قال اللّه تعالى:﴿وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾(١)

و : ﴿وَلاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾(٢)

وقال رسول اللّه ﷺ من أصبح وهَمّه الدّنيا شتّت اللّه عليه أمره وفرّق عليه ضَيعته وجَعل فَقَره بين عينيه ولم يُؤته من الدّنيا إلّا ما كُتب له ومن أصبح وهَمّه الآخرة جَمع اللّه له هَمّه وحفظ عليه ضَيعته وجَعل غناه في قلبه وأتته الدّنيا وهي راغمة.

وقال ﷺ – إذا رأيتم العبد قد أُعطي صُمتاً وزُهداً في الدّنيا فأقتربوا منه فأنّه يلقي الحكمة.

وقال ﷺ – من أراد أن يُؤتيه اللّه علِماً بغير تعلُّمٍ وهُدى بغير هداية فليزهد في الدّنيا.

وقال ﷺ – أزهد في الدّنيا يحبّك اللّه وأزهد فيما في أيدي النّاس يحبّك النّاس.

وقال ﷺ – ياعلّي مَن عرضت له دنياه وآخرته فأختار الآخرة وترك الدّنيا فله الجنّة ومَن أختار الدّنيا إستخفافاً بآخرته فله النّار.

وقال ﷺ – سيكون بعدي قوم لا يستقيم لهم المُلك إلّا بالقَتل والتّجبّر ولا الغنى إلّا بالفَخر والبُخل ولا المحبة إلّا بإتّباع الهَوى ألا فَمَن أدرك ذلك الزّمان

١- الشّورى-١٩ ٢- طه-١٣١

منكم فَصَبر علىٰ الفَقر وهو يَقدر علىٰ الغناء وصَبَر علىٰ البغضاء وهو يقدر علىٰ المحبّة وصَبَر علىٰ الذُّل وهو يَقدر علىٰ العِزّ لا يريد بذلك إلّا وجه اللّه أعطاه اللّه ثواب خمسين صدّيقاً «جامع السّعادات ج ٢ ص ٥٦»...

إذا عرفت الزّهد وما ورد في مَدحه فقوله ﷺ: أنّه ثَروة إشارة الىٰ نكتةٍ خفّية لا تَصل اليها أفهام أكثر النّاس وهي الإستغناء عن غيره فكما أنّ الثّروة وهي كثرة المال تُوجب الإستغناء فكذلك الزُّهد وذلك لأنّ الزّاهد بزُهده يرىٰ نفسه مُستغنياً عن غيره وأن كان فاقداً للمال والثّروة كما نرىٰ هذه الحالة في الزّاهدين وأيّة ثروةٍ أنفَع منه ولذلك قيل أنّ الزُّهد هو الغنىٰ الأكبر ووجه كونه أكبر هو أنّ الغنّي بالمال كثيراً ما يَجد نفسه حريصاً مُحتاجاً الىٰ ما في أيدي النّاس بل قيل كلّ غنّي حريص وقلّما يتّفق في الأغنياء بخلافه والسِّر فيه هو أنّ غناه بالمال لا بالقلب والغنّي بالمال لا يوجد واقعاً إلّا قليلاً وأمّا الزّاهد فهو غنّي بالقلب ومن كان غنياًكذلك لا يعتني بالدّنيا وما فيها ولذلك قيل هو الأكبر كيف لا يكون كذلك وهو يرىٰ الدّنيا بأسرها فانية وأموالها وذخائرها دائرة غير باقية وما كان كذلك فطالبها في الحقيقة يطلب ما لا بقاء له وأن شئت قلت هو طالب المعدوم لا طالب المَوجود وأمّا الزّاهد التّارك لها الآخِذ بما هو خير وأبقىٰ أعني به الآخرة ومقاماتها العالية ونِعمها الباقية فقد أخَذَ بما هو مَوجُود حقّاً:

رأيتُ خيال الظِّل أعظم عبرةً | لِمَن كان في علم الحقائق راقي
شخوصاً وأصواتاً تُخالف بعضها | لبعضٍ وأشكالاً وفاقٍ
تجيُ وتَمضي بابةٍ بعد بابةٍ | وتفنىٰ جميعاً والمحّرك باقِ

وقال الآخر:

ما أنَعم اللّه علىٰ عبده | بنعمةٍ أوَفىٰ من العافية
وكلّ من عُوفي في جسمه | فأنّه في عَيشةٍ راضية
والمال حُلوٌ حَسَنٌ جيّدٌ | علىٰ الفتىٰ لكنّه عارية
ما أحسَن الدّنيا ولكنّها | مع حُسنها غدّارةٌ فانية

نُقل في بعض السّير أنّ رجلاً من كِندة مات وكتب على قبره هذه الأبيات:

يـاواقفين أَلَـم تكونوا تـعلموا ... أنّ الحـمام بكـم عـلينا قـادمُ
لو تـنزلون بشـعبنا لعـرفتموا ... أنّ المـفّرط فـي التّـزود نـادمُ
لا تـتـشّعزوا بـالحياة فأنكـم ... تـبنُون والمَوت المُفرق هـادِمُ
ساوىٰ الرّدىٰ ما بيننا في حُفرةٍ ... حيث المخّدم واحـدُ والخـادم

فثبت وتحقق ممّا ذكرناه وحقّقناه أنّ الزُّهد أعنيٰ به عدم الإعتناء بشأن الدّنيا ومافيها ثَروة توجب الإستغناء عمّا في أيدي النّاس والثّبات والطّمأنينة في النّفس وهو المطلوب.

وثامنها: والوَرَع جُنّة، الوَرَع بفَتحتين قد يُفسّر بملكة التّنزّه والإجتناب عن مال الحرام أكلاً وطلباً وأخذاً وإستعمالاً وقد يُفَسر بكَفّ النّفس عن مطلق المعاصي ومَنعها عمّا لا ينبغي فعلىٰ الأوّل يكون من رذائل الشّهوة وعلىٰ الثّاني يكون ضدِّ مَلِكة الوَلوَع علىٰ مطلق المعصية ويكون من رذائل القوّة الغضّبية والشّهوية جميعاً، ثُمّ أنّه أخصّ من الزّهد الّذي مرّ ذكره فأنّ الزّاهد يجتنب عن أكل الحلال في كثير من الموارد فضلاً عن الحرام لزُهده وبعبارة أُخرىٰ بالزُّهد يُترك كلّ ما يُنافي مقامه حلالاً كان أو حراماً وبالوَرَع يُترك الحَرام فقط فكلُّ زاهدٍ متّصف بالوَرَع أيضاً ولا عَكس.

والجُنّة بضّم الجيم في الأصل السُّترة ومنها المَجنّ والمَجَنّة لكلّ ما وقىٰ من السّلاح ومنها الجَنين أيضاً لإستتاره في الرّحم ويقال لها بالفارسية (سَپر).

ثُمّ أنّ كون الوَرَع جُنّته يمكن أن يراد به أنّه سُترة من العذاب يوم القيامة كما أنّ الجُنّة تُستَر بها في الحُروب فهو جُنّة أي يَدفع به البلاء والعذاب غداً وهو كذلك.

ويمكن أن يراد به كونه جُنّة في الدّنيا وعليه فالمراد أنّ به يُدفع عن الآلام والمصائب الوَضّيعته المُترتبة علىٰ أكل مال الحرام من القسارة في القلب وعدم قبول الدّعاء بل والعبادات أيضاً الىٰ أن زالَ أثَر الحرام أو مَضىٰ عليه

أربعُون صباحاً من حين الأكل ولا شك أنّ آثار الحرام في الإنسان أَضّر من كلّ أَلم محسوس وتوضيحه إجمالاً هو أنّ اَلـلّطمات الواردة عـلىٰ الإنسـان مـن الأعداء وغيرهم علىٰ قسمين، قسمٌ منها مربوط بالبَدَن، وقسمٌ مربوط بالرّوح، والأوّل يُدفع بالآلة والسَبَب المَادي والثّاني يُدفع بالآلة المَعنوية وما نحن فيه من الثّاني أي أنّ الوَرَع جُنّة من اللَطّمات المَعنوية الغير الحِسّية الّتي تَرد علىٰ رَوح الإنسان من الآثار الوضَعية المُترتبة علىٰ الأكل الحَرام والغيبة والكَذِب وأمثالها فأنّ الضَرر الوارد علىٰ الرّوح من أمثال هذه الأرجاس والخَبائِث يُدفع بالوَرَع مُضافاً الىٰ أنّه جُنّة من النّار يوم القيٰمة وهو واضح:

الكلمة ٤

▫ قوله ﷺ: نِعْمَ الْقَرِينُ الرِّضَى ، والْعِلْمُ وِرَاثَةٌ كَرِيمَةٌ، والآدَابُ حُلَلٌ مُجَدَّدَةٌ، والْفِكْرُ مِرْآةٌ صافِيَةٌ...

أمّا الأوّل قوله ﷺ: فلأنّ الْقَرِينُ في الأصل المُصاحب وكلّ مقرونٍ بالآخر فهو قَرين له، والرِّضا بكسر الرّاء ترك الإعتراض والسّخط باطِناً وظاهِراً قولاً وفِعلاً وهو من ثمرات المحبّة ولوازمها إذ المُحبّ يستحسن كلّ ما يَصدر عن محبوبه وصاحب الرّضا يستوي عنده الفَقر والغِنىٰ والرّاحة والعَناء والبَقاء والفَناء والعِزّ والذّل والصّحة والمَرَض والمَوت والحَياة ولذلك يَكون صاحب الرّضا أَبَداً في روح وراحة وسُرورٍ وبهجة لأنّه يُشاهد كلّ شيْ بعين الرّضا ويَنظر في كلّ شيْ الىٰ نور الرّحمة الإلهية وسِرّ الحِكمة الأزَلية فكأنّ كلّ شيْ حَصَل علىٰ وفق مراده ففائدة الرّضا عاجِلاً فراغ القَلب لِلعبادة والرّاحة من الهمُوم وآجِلاً رِضوان الله والنّجاة من غضبه تعالىٰ وهو من أَفْضَل مقامات الدّين وأشرف منازِل المُقرّبين ومن دَخَله دَخَل الجنّة وهذا هو السِّر في كَونه نِعَم القَرين إذ أي مُصاحِبٍ لِلأنسان يتَصور أفضَل وأشرف وأنفع منه وقد ورد في مَدحه ما ورد قال الله تعالىٰ رَضِيَ الله عنهم ورضوا عنه.

عن النّبي ﷺ -أنّه سأل طائفة من أصحابه (ما أنتم) فقالوا مُؤمنون فقال (ما علامة إيمانكم) فقالوا نَصبِر علىٰ البَلاء ونشكُر عند الرّخاء ونرضىٰ بِمواقع القَضاء...

فقال ﷺ - مُؤمنون وربّ الكَعبة وفي خبر آخر قال ﷺ حُكَماء عُلَماء كادوا من فِقههم أن يكونوا أنبياء...

وقال ﷺ - أعطُوا اللّه الرّضا من قلُوبكُم تَظفِروا بثواب فقركُم...

وقال الصّادق عليه السلام - أنّ اللّه بِعَدله وحِكمته وعِلمِه جَعَل الرَّوح والفَرَح في اليَقين والرّضا عن اللّه تعالىٰ وجَعَل الهَمّ والحَزَن في الشّك والسّخَط...

وروي أنّ موسىٰ عليه السلام قال يا ربّ دلّني علىٰ أمرٍ فيه رِضاك فقال تعالىٰ:(أنّ رضاي في رِضاك بِقَضائي...

والأحاديث الواردة في فضله كثيرة وما ذكرناه نقلناه عن جامع السّعادات « ج ٣ ص ٢٠٢ » فقد ظهر لك أنّ المؤمن لا مصاحب له أَحسَن من الرّضا في الدّنيا والآخرة وهو المطلوب .

والثّاني قوله عليه السلام: والْعِلْمُ وِرَاثَةٌ كَرِيمَةٌ...

الوِراثة بكسر الواو مَصدر ما يَخلفه المَيّت لِوَرَثته والكَريمة مؤنث الكريم والمعنىٰ أنّ العلم أكرَم وأشرَف وأَفضل ما يَخلفه الإنسان لِمَن بَعده بعد مَوته وبعبارةٍ أُخرىٰ كلّ إنسان بَعَد مَوته امّا أن يخلف شيئاً أو لا لا بحث لنا في الثّاني فإذا خلف فأمّا أن يكون المخلف من المادّيات كالأموال أو من المعنّويات كالعِلم والأعمال الصّالحة ولا شك أنّ العِلم أحسَن مِن المال بعد مَوته كما أنّه أحسَن منه في حياته وذلك لأنّ قيمة كلّ شئٍ بآثاره ولوازمه وآثار العِلم لا يُقاس بآثار المال والمقام وغيرهما لأنّ الإنتفاع بالمال من الإنتفاع بالمحسُوس والإنتفاع بالعِلم من الإنتفاع بالمعقُول والأوّل يفنىٰ والثّاني يبقىٰ والأوّل غذاء لِلجسم والثّاني للرّوح والأوّل للدّنيا والثّاني لِلآخرة والدّنيا معاً وهكذا وإذا كان كذلك فأيّة وراثة أكرَم من وراثة العِلم وقد قال اللّه تعالىٰ: **﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ﴾** (١) وقال: **﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾** (٢) ثمّ إعلَم أنّ العِلم بما هو هو شئ ووراثته شئ آخر ولا مُلازمة

١- الزّمر ـ ٩

٢- المجادلة ـ ١١

بينهما إذ يمكن أن يكون العالم بخيلاً ضَنيناً في تعليم علمه ونَشره وكتابته وهو واضح وبحثنا في المقام في وراثته لا في أصل وجوده لأنّه ﷺ لم يقل العلم كريم أو شريف بل قال العِلم وراثة كريمة فقوله ﷺ: وِرَاثَةٌ كَرِيمَةٌ، إشارة الىٰ ما يستفاد من عِلم العالم بعد مَوته وهي أي الوراثة تتحقق بالتّعليم والتّأليف، والأوّل مثل أن يخلّف بعد مَوته علماء تعَلمُوا من علمه، والثّاني مثل أن ألّف أو صَنّف كتاباً يُنتفع به بعد مَوته وكلاهما من مُخلّفاته داخلان في الوِراثة، والأخبار ناطقة بِمَدح القسمين:

فمن الأوّل: ما رواه في البحار بأسناده عن النّبي ﷺ قال من الصّدقة أن يتّعلم الرّجل العلم ويعلّمه النّاس وقال ﷺ زكوة العلم تعليمه من لا يعلمه « ج ١ ص ٧٧ ط كمپاني»...

وقال رسُول اللّه ﷺ رحم اللّه خلفائي فقيل يا رسُول اللّه ومَن خلفاؤك قال الّذين يحبّون سنّتي ويُعلّمونها عباد اللّه « ص ٧٧»...

وقال ﷺ ما تصّدق النّاس بصدقة مثل علم يُنشر، وقال ﷺ ما أهدىٰ المَرء المُسلم الىٰ أخيه هدية أفضل من كلمة حكمةٍ يزيده اللّه به هُدىٰ ويرّده عن ردىٰ، وقال ﷺ أفضل الصّدقة أن يعلم المَرء علماً ثُمّ يعلّمه أخاه، وقال ﷺ العالم والمتّعلم شريكان في الأجر ولا خير في سائر النّاس «ص ٧٧»... والأخبار كثيرة في الباب جدّاً.

ومن الثّاني: ما رواه عن أنَس قال قال رسُول اللّه ﷺ المؤمن اذا مات وتَرَك ورَقةً واحدة عليها علم تكون تلك الوَرَقة يوم القيامة ستراً فيما بينه وبين النّار وأعطاه اللّه تبارك وتعالىٰ بكلّ حرفٍ مكتوب عليها مدينة أوسَع من الدّنيا سبع مرّات « ج ١ ص ١٠٧»...

وبأسناده عن المفضل بن عُمر قال قال أبو عبد اللّه ﷺ أكتُب وبثّ علمك في أخوانك فأن مِتّ فوَرِث كتبك بنيك فأنّه يأتي علىٰ النّاس زمان هرج ما يأنسون فيه إلّا بكتبهم « ص ١٠٩»...

وقال ﷺ أنّ العلماء ورثة الأنبياء وذلك أنّ الأنبياء لم يُورثوا درهماً ولا دِيناراً وأنّما أورثُوا أحاديث من أحاديثهم فَمن أخَذ بشيءٍ فقد أخَذ حظّاً وافراً فأنظُروا عِلمَكم عَمّن تأخذوه «ص ١٠٩»...

يـــا أيّـــها الرّجـــل المُـــعلّم غـــيره
هَـــلاّ لنـــفسك كـــان ذا التّـــعليم
تَـصف الدّواء لذي السّقام وذي الضّناء
كـــميما يـــصّح بـــه وأنت سَـــقيمُ
ونـــراك تـــصلح بـــالرّشاد عـــقُولنا
أبـــداً وأنت مـــن الرّشـــاد عـــديمُ
فـــأبدأ بـــنفسك فأنـــهها عـن غـيّها
فـــإذا إنـــتَهت عـــنه فأنت حكـــيم
فـــهناك يـــقبل مـــا تـــقول ويـــهتدي
بـــالقول مـــنك ويـــنفع التّـــعليم
لا تَـــنه عـــن خـــلقٍ وتأتـــي مـــثله
عـــار عـــليك اذا فَـــعلتَ عـــظيمُ

وقال الآخر:

أنّـــي رأيت النّـــاس فـــي عـــصرنا
لا يَـــطلبُون العـــلم لِـــلعلم
إلّا مُـــباهاةً لأصـــحابه
وعِـــدّةً للـــغّش والظّـــلم

فأنّ العلم وراثة كريمة اذا حَصَل للعالم من طَريقه ثُمّ قَرَن بالعَمَل فالحاصل من غير الطّريق وما لا يقرن بالعَمَل فهو وِزرٌ ووَبال وحملُ الأسفار ولنعم ما قال العالم العارف في المقام:

ولَـم أقـضِ حَـقّ العلم أن كُنتُ كلّما
بـــدا طَـــمعٌ صَـيَّرتُه ليَ سُـــلّماً
ولَـم أُبـتَذل في خِدمةِ العِلم مُهجتي
لأخـــدِم مـــن لاقيتُ لكَـن لأخـــدما
ءَأُســـقي بـــه غـــرساً وأجَـــنه ذِلّةً
إذاً فـــإتّباع الجَـهل قـد كـان أسـلَما
فأن قـــلت زنـــد العـلم كـابَ فأنّـما
كَـبا حـين لَـم تـحرس عُـماه وأظلَما
ولو أنّ أهـــل العـــلم صـــانُو عـيانهم
ولو عَـــظّمُوه فـــي النّـفوس لَـعُظّما
ولكـــن أهـــانُوه فـــهانوا ودَنَّسُـــوا
مـــحيّاه بـــالأطماع حـــتّى تَـجهّما

وقال الآخر:

العــلم أنـفَس شـيٍّ أنتَ‌داخـره	من يدرس‌العلم له‌تدرس مفاخره
أقبل على العِلم واستَقبل مقاصده	فأوّل العِــلم إقــبالٌ وآخــره

وقال الآخر:

إذا لَم يَزِد علم الفَتىٰ قلبه هُـدىً	وسيرَته عَـدلاً وأخـلاقه حُسـناً
فَــبَشِّره أنّ اللّــــه أولاه فِـتنةً	تـغَشيه حرماناً وتُوسعه حُزناً

وقال الآخر:

تَـعَلّم إذا مـا كـنتَ لسـتَ بعالمٍ	فـما العِـلم إلّا عـند أهـل التّعلِم
تَـعلّم فأنّ العِـلم أزيَـن لِـلفتىٰ	مِن الحِلّة الحَسناء عـند التّكَلُم

وقال الآخر:

لا تَدّخر غير العلُوم فأنّها نعم الذّخائر
فالمَرء لوربح البقاء مع الجهالة كان خاسر

والأخبار والأشعار حَول العلم كثيرة جدّاً ويكفي في مَدحه أنّه ممّا يُحبّه كلّ من عَرفه

والثّالث قوله ﷺ: والآدابُ حُلَلٌ مُجَدَّدَةٌ...

حُلَل، بضّم الحاء المُهملة وفتح اللاّم بعدها جَمعُ، حُلّة، مثل قُلَل جمع قُلّة، والحُلّة كلّ ثوبٍ جديد أو عموماً الثّوب السّاتر لجميع البَدن وقوله ﷺ مُجَدَّدَةٌ دليل على أنّ المراد بها المعنى الأوّل أعني الثّوب الجديد والمعنى أنّ الآداب في الإنسان كالحُلَل الجديدة المُستَحدثة فكما أنّ الثّوب يستر عيُوب البَدن ومع ذلك يكون زينةً له كذلك الآداب تستُر عيُوب النّاس وتُوجب الزّينة لصاحبها وفاقد الآداب بالعَكس وأن كان مُتّصفاً بجميع الكمالات النّفسانية فكما أنّ اللّباس ولاسيّما الفاخر منه يَحجُب عيُوب البَدن كذلك الآداب الحَسَنة تَحجب عيُوب البّاطنية وهو واضح بل محسُوسٌ مَشهُود:

قال بعض الحكماء العقل يحتاج الىٰ مادّة من الأدَب كما تَحتاج الأبدان الىٰ قُوتها من الطّعام وعن أمير المؤمنين من طريق العامّة أنّه قال الأَدَب كنز عند الحاجة عَونٌ على المرّوة صاحبٌ في المَجلس أنيس في الوحدة تُعمر به القلُوب الواهية وتُحيىٰ به الألباب الميّتة وينال به الطّالبُون ما حاولوا.

وقال بعض، عَقلٌ بلا أدَب كشُجاع بلا سِلاح.

حُكي أنّ رجلاً تَكلّم بين يَدي المأمون فأحَسن فقال المأمون إبن مَن أنت قال إبن الأدب قال نعم النّسَب إنتَسبتَ اليه ولهذا قيل المَرء من حيث يُنبت ومن حيث يُوجد لا من حيث يُولد:

كُن إبن مَن شِئت وإكتسب أَدَباً   يُغنيك محمُوده عن النّسب

أنّ الفتىٰ من يقول ها أنا ذا   ليس الفتىٰ من يقول كان أبي

وقال بعض الحكماء من كَثر أَدَبه كثر شَرفه وأن كان وضيعاً وبَعُد صيتُه وأن كان خاملاً وساد وأن كان غريباً وكثرت حوائج النّاس اليه وأن كان فقيراً وقال بعض الشّعراء:

لكــلّ شيءٍ زينةٌ في الوَرىٰ وزيــنة المَــرء تـمام الأدَب
قـــد يشـرف المَـرء بآدابـه فـينا وأن كـان وضـيع النَّسب

وقيل الفضل بالعقل والأدَب لا بـالأصل والحَسَب، وقـيل المَـرء بـفضيلته لا بفصيلته وبكماله لا بجماله وبآدابه لا بثيابه، وقيل لرجلٍ من أَدّبك قال رأيت جَهل الجُهّال قبيحاً فإجتنبته فتأدبتُ، ونظيره ما قيل أنّه سُئل من رجل مِمّن إكتَسبت أدَبك قال إكتَسبته مِمّن لا أَدَب له:

فـي النّـاس قـوم أضاعُوا مَجد أوّلهم
مـا فـي المكـارم والتـقوىٰ لهـم إرَبُ
سُـــوء التّأدب أرداهــم وأرذَلَـــهم
وقـــد يـزين صـحيح المَـنصب الأدب

والرّابع قوله عليه السلام: والفِكْرُ مِرْآة صافِيَةٌ..

في هذا الكلام إشارة الىٰ أهمّية الفكر وعظمته وأنه مِرآة صافية فكـما أنّ قيمة المرأة وحُسنها بصفائها وأمّا الكِدر فيها لا يستفاد منه كذلك قيمة الفكر وحُسنه بصفائه عن شوائب الأوهام فالفكر المشوب بها كالمرأة الغير الصّافية ومحصّل الكلام أنّ الفكر بما هو هو ليس بشيءٍ وأنـما الفكـر فـي الحـقيقة مِمّايُستدَل به علىٰ الطّريق ويُستَخلص به عن الرّدىٰ والبحث في مقامين:

المقام الأوّل في تعريف الفِكر وبيان حقيقته قالوا الفِكر والفِكرة قوّة مُطرقة لِلعلم الىٰ المعلوم والتّفكر جولان تلك القوّة بحسب نظر العقل وذلك لِلأنسان دون الحيوان قاله الرّاغب في مفرداته وقالت الفلاسفة في تعريفه أنّه تَـرتّب أُمورٍ معلومة حاصلة يتوسل بها تحصيل أمرٍ غير معلوم، وقال المُتأخرون فيهم أنّه حَركة من المطالب التّصورية والتّصديقية الىٰ المبادئ ومن المـبادئ الىٰ المراد أي الى تلك المطالب ثانياً والىٰ هذا المعنىٰ الأخير أشار السّبزواري في منظومته حيث قال:

الفِكـر حَـرَكـةٌ الىٰ المـبادئ ومــن مــبادئ الىٰ المُــراد

وتوضيحه إجمالاً أنّ المفّكرة لِلوصل والفصل في الباطن أي لتركيب الصّور والمعنىٰ بعضها مَع بعضٍ كالإنسان له رأسان أو جناحان وتفصيل بعضها عن بعضٍ كالإنسان لا رأس له فالتّركيب في المُوجبات والتّفصيل في السّوالب ولكونها متّصرفة في الصّور والمعاني جميعاً جَعَل الصّانع الحكيم موضعها بين اللّوحين مقّدم البطن الأوسط من الدّماغ فهي المفّكرة من حيث إستعمال العقل أيّاها وأمّا إذا إستَعمله الوَهم فهي متّخيلة وهذا هو الفَرق بين الخيال والفِكر إذا عرفت هذا فقد علمت أنّ الفِكر الصّحيح لا يُوجد إلّا لِلعاقل وهذا هو المرآة الصّافية وأمّا الّذي لا يكون لِلعقل فيه مَدخل فهو الخيال لكونه من ثَمرات الوَهم وهذا هو السِّر في قوله ﷺ الْفِكْرُ مِرْآةٌ صافِيَةٌ ولأجل هذا ورد في مدح الفِكر والتّفكر في الآيات ما وَرد:قال اللّه تعالىٰ:﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (١)

و : ﴿وَالَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلاً﴾ (٢)

و : ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ (٣)

و : ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ (٤) والآيات كثيرة.

روي في البحار بأسناده عن أبي عبد اللّه، قال قال أمير المؤمنين ﷺ نبّه بالتّفكر قلبك، وجاف عن اللّيل جَنبك وإتّق اللّه ربّك انتهىٰ...

وبأسناده عن الحسن الصّيقل قال سألت أبا عبد اللّه ﷺ عمّا يروي النّاس أنّ تفكّر ساعة خير من قيام ليلة قلت كيف يتّفكر قال ﷺ يمُرّ بالخَربة فيقول أين ساكنُوك وأينَ بانُوك مالك لا تتّكلمين...

وأيضاً بأسناده عنه ﷺ قال أفضل العبادة إدمان التّفكر في اللّه وفي قُدرته...

١- الأعراف ـ ١٧٦
٢- آل عمران ـ ١٩١
٣- البقرة ـ ٢٦٦
٤- الأنعام ـ ٥٠

وعن العَسكري ﷺ قال ليست العبادة كثرة الصّيام والصّلوٰة وأنّما العبادة كثرة التّفكر في أمر اللّه...

وقال رسُول اللّه ﷺ فكرة ساعة خير من عبادة سنة ولا ينال منزلة التّفكر إلّا من خَصّه اللّه بنُور المَعرفة والتّوحيد، والأحاديث كثيرة« بحار الأنوار ج ١٥، جزء الثاني ص ١٩٣»...

تَفكّر في نبات الأرض وأُنظُر   الىٰ آثاره ما صَنع المليك
فـفي رأس الزّبرجد شاهدات   بأنّ اللّه ليس له شريك

وقيل بالفارسية :

چشم جانم چونكه بيناشد بدوست
هرچه مىبينم بعالم جملةاوست
من نديدم غير جانان در جهان
در حقيقت اوست پيدا ونهان
ذوق اين معنى برون از فهم ماست
كشف اين از گفتگوي ما جداست

فإذا وصل الفِكر الىٰ هذا المقام وأنّه لا مؤثر في الوجود إلّا هو بل ولا موجود في الحقيقة إلّا الواجب المُتعال وما سواه كائناً ما كان لا بقاء له واقعاً والدّنيا بأسرها باطلة عاطلة ينتج أنّ الإعتماد علىٰ غير الحقّ من شئون الأوهام فلا محالة يتّيَقظ من نوم الغَفلة ويَدخل في وادي اليَقظة ويَصل في مقام القُرب الىٰ ما لا عين رأت ولا أُذنٌ سَمِعت وهذا هو الفِكر الّذي عبّر ﷺ عنه بأنّه مرآة صافية وقال رسُول اللّه أنّه خير من عبادة سنة وفي بعض الأخبار من عبادة ستّين أوسبعين سنة فافهم واغتنم.

٥

□ قوله عليه السلام: صَدْرُ الْعاقِلِ صُنْدُوقُ سِرِّهِ، والْبَشَاشَةُ حُبالَةُ المَوَدَّةِ، والإِحْتِمَالُ قَبْرُ العُيوبِ، والْمُسَالَمَةُ خِبَاءُ الْعُيُوبِ، ومَنْ رَضِيَ عَنْ نَفْسِهِ كَثُرَ السَّاخِطُ علَيْهِ...

هنا أمور خمسة:

أحدها قوله عليه السلام: **أنّ صَدَر العاقل صُندوق سِرّه...**

وفيه إشارة الىٰ لزوم حفظ الأسرار وأنّه من علائم العقل وهو كذلك ووَجه الشّبه في الصّدر بالصّندوق هو عدم الفتح فكما أنّ الصّندوق لا يُفتح فيَطّلع الغير علىٰ ما فيه كذلك صُندوق الصّدر الّذي هو محلّ الأسرار لا يُفتح الا باللّسان فيَطّلع الغير علىٰ ما فيه فمن فَتَحه لا يَلُومنَّ إلّا نفسه وقد ورد في الأخبار في مَدَحه ما لا يُحصىٰ.

منها ما رواه في البحار عن الباقر عليه السلام قال قال أمير المؤمنين عليه السلام من كَتَم سّره كان الخير بيَده وكلّ حديث جاوزا أثنين فشئ: .

ومنها ما رواه عن الرّضا عليه السلام قال لا يكون المؤمن مؤمناً حتىٰ يكون فيه ثلاث خِصال سُنّة من ربّه وسُنّة من نبّيه وسُنّة من وَلّيه فالسُنّة من ربّه كتمان سّره قال اللّه عزّ وجلّ ﴿**عالِمُ الْغَيْبِ فَلايُظْهِرُ علىٰ غَيْبِهِ اَحداً اِلاّ مِنِ ارْتَضىٰ مِنْ رَسُولٍ**﴾ (١)، وأمّا السّنّة من نبّيه فَمُداراة النّاس فأنّ اللّه عزّ وجلّ أمَر نبّيه بِمُداراة النّاس قال: ﴿ **خُذ العَفو وأْمُر بالعُرف وأعرض عن الجاهلين**﴾ وأمّا السُنّة

١ - الجن - ٢٦

من وليّه فالصّبر على البأساء والضّراء فإنّ اللّه عزّ وجلّ يقول: ﴿**وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ**﴾[1] انتهى.

وبأسناده عن مُوسى بن مُحمّد المحاربي عن رجلٍ قال قال المأمون لِلرّضا عليه السلام أنشدني أَحسن ما رويته في كتمان السّر فقال عليه السلام:

وأنّي لأنسى السِّر كي لا أذيعه
فيامَن رآى سِراً يُصان بأن يُنسى
مخافة أن يجري ببالي ذِكره
فينبذه قلبي الى ملتوى الحَشا
فيوشك من لَم يفش سُراً وجال في
خواطره أن لا يُطيق له حَبَساً

والأحاديث مرّوية في البحار نقلناها في المقام ج ١٦ ص ١٣٦ ومن أراد التّفصيل فعليه بالمطوّلات أقول ولأجل هذا قال اللّه تعالى في كتابه حكاية عن يعقوب النّبي حيث قال لإبنه يوسف، ﴿**يا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُؤْياكَ عَلى إِخْوَتِكَ**﴾[2] فلمّا أفشى يوسف رُؤياه بَمشهد إمرأة يعقوب أَخبرت أخوته فحلّ به ما حلّ وقد وردني الخَبر إستعينُوا على قضاء حوائجكم بالكِتمان فأنّ كلّ ذي نعمةٍ مَحسُود، وعن علّيٍ عليه السلام في خبر آخر أنّه قال سِرك أسيرُك فأذا تكلّمت به صِرتَ أَسيرَه.

قال بعض الأعاظم أنّ أُمناء الأسرار أقلّ وجوداً من أمناء الأموال وحفظ الأموال أَيسر من كِتمان الأسرار لأنّ إحراز الأموال مَنيعة بالأبواب والأقفال وإِجراز الأسرار بارزة يذيعها لسانُ ناطق ويشيعها كلامٌ سابق وحَمل الأسرار أثقل من حَمَل الأموال فأنّ الرّجل يستقل بالحَمَل الثقيل فَيحمله ويَمشي به ولا يَستطيع كتم السِّر وأنّ الرّجل يكون سّره في قلبه فيلحقه من القلق والإضطراب ما لا يلحقه من حَمَل الأثقال فإذا أذاعه إستراح قلبه وسَكَن

١- البقرة- ١٧٧
٢- يوسف ـ٥.

خاطره وكأنّما أُلقي عن نفسه حَمَلاً ثَقيلاً، وقال عُمر بن عبد العزيز القلوب أَوْعِيَة والشّفاه أقفالها والألسن مفاتيحها فليحفِظ كلّ إنسانٍ مفتاح سِّره، قال الشّاعر:

ولستُ بِمُبدٍ للرّجال سَريرتي
ولا أنا عن أسرارهم بِسُؤلِ

وقال أبو مُسلم صاحب الدّولة العبّاسية :

أدرَكتُ بالحَزم والكتمان ما عَجزت
عنه ملوك بني مروان إذ جَهدوا
ما زلتُ أسعي عليهم في ديارهم
والقوم في غفلةٍ بالشّام قد رقدوا
حتّىٰ ضربتهم بالسّيف فإنتبهُوا
من نَومةٍ لم يَنُمها قبلهم أحَد
ومن رَعىٰ غنماً في أرضٍ مُسبعةٍ
ونام عنها تولّىٰ رعيها الأسد

قالوا كتمان الرّجال الأسرار يدّل علىٰ جواهر ذواتهم وكما أنّه لا خير في آنيةٍ لا تُمسك ما فيها فكذلك لا خير في إنسانٍ لا يُمسك سّره وفيه قال الشّاعر:

أنّي كَتمتُ حديث ليلىٰ لَم أَبُح   يوماً بظاهره ولا بَخفَيه
وحفظت عهد ودادها مُتمسكاً   في حُبّها برشاده أو غَيّه
ولها سرائر في الضّمير طويتُها   نسي الضّمير بأنّها في طَيّه

وقال الآخر :

ومستودعي سِّراً كَتمتُ مكانه
عن الحِسّ خَوفاً أن ينم به الحسّ
و خِفتُ عليه من هوىٰ النّفس شهوة
فأودعته من حيث لا يبلغ الحِسّ

وقال الآخر:

أجُود بمكنون التّلاد وأنّني — بسّري عمّن سألني لَضنينُ

وإن ضيّع الأقوام سّري فأنّني — كتومٌ لأسرار العشير أمينُ

وقال الآخر:

إذ المَرء أفشئ سُره بلسانه — ولامَ عليه غيره فهو أحمَق

إذاضاق صدرالمَرء عن سُر نفسه — فَصَدر الّذي يستَودع السّر أضيق

وقال الآخر:

إذا ما ضاق صدرك عن حديثٍ — وأفشَته الرّجال فَمن تَلُوم

وإن عاتَبتُ من أفشئ حديثي — وسّري عنده فأنا المَلُوم

وثانيها قوله ﷺ: والْبَشَاشَةُ حُبالَةُ المَوَدَّةِ...

الْبَشَاشَةُ، بفتح الباء مصدر قولك بَشّ بَشّاً وبَشاشةً يقال رجل بشّاش إذا كان طلق الوَجه والحُبالة قيل بضّم الحاء وقيل بِكَسرها شَبَكة الصّيد الّتي بها يَصيد الصّياد والمعنىٰ أنّ البشُوش يصيد مودّات القلوب ويَجذبها وهي ممدوحة شرعاً وعَقلاً، أمّا عقلاً فواضح وأمّا الشّرع:

فقد روي في البحار بأسناده عن أبي عبد اللّه قال قال رسُول اللّه ﷺ يا بني عبد المطّلب أنكم لَن تَسعُوا النّاس بأموالكم فألقوهم بطلاقة الوَجه وحُسن البَشر:

وبأسناده عنه ﷺ قال ثلاث مَن أتىٰ اللّه بواحدة منهنّ أوجب اللّه له الجنّة، الإنفاق مِن إقتار، والبَشر بجميع العالم، والإنصاف من نفسه:

وعن أبي بصير عن أبي جعفر ﷺ قال أتىٰ رسُول اللّه ﷺ رجل فقال يا رسُول اللّه أوصِني فكان فيما أوصاه أن قال إلقِ أخاك بوجهٍ مُنبَسِط:

وبأسناده عن أبي عبد اللّه ﷺ لَمّا سُئل عن حدّ حُسن الخُلق قال تلين جناحك وتطيب كلامَك وتلقي أخاك ببشرٍ حسَن «بحارالأنوار ج ١٦ ص ٤٧»...

وثالثها قوله عليه السلام: **وَالإِحْتِمَالُ قَبْرُ الْعُيُوبِ...**

قالوا في شرح الكلام الإحتمال تحمّل الأذىٰ ومن تحمّل الأذىٰ خَفِيَت عُيوبُه كأنّما دُفِنت في قبرٍ وقال المُعتزلي أي إذا إحتمَلت صاحبك وَحَلِمتَ عنه سَتُر هذا الخُلق الحَسَن مِنك عُيوبك كما يَستُر القبر الميّت وهذا مثل قولهم في الجُود كلّ عيبٍ فالكَرَم يُغطّيه انتهىٰ:

ورابعها قوله عليه السلام: **المُسَالَمَةُ خَبِاءُ الْعُيُوبِ...**

المُسَالَمَةُ مفاعلة من السِّلم والخَباء بفتح الخاء وسكون الباء قال المُعتزلي أنّه مصدر، خبأته أخبأه وقال البحراني نقلاً عن الجوهري الخِبأ واحد الأخبية بيت من وَبَرٍ أو صوفٍ ولا يكون من شعرٍ ويكون علىٰ عمودين أو ثلاثة وما فوق ذلك فهو بيت وكيف كان فالمعنىٰ علىٰ قولهم هو أنّ المُسالمة ساترة للعُيوب قال المُعتزلي ومن كلامه من سالم النّاس سَلِمَ منهم الخ:

اقول: يظهر من كلام المُعتزلي أنّه ضبط اللّغة بفتح الخاء وسكون الباء كما تَقدم ومن البحراني أنّه ضَبطها بكسر الخاء والمَدّ في آخره كالكِساءِ وجَمعها علىٰ أخبِيَة، كما أنّ جمع، عِماد بكسر العَين والكِساء علىٰ أكسِية والغِطاء علىٰ أغطِية وهكذا والّذي يَجمع القولين هو معنىٰ اللّفظ أعني به السّتر فعلىٰ قولهما المُسالمة ستر العُيوب كما أنّ الإحتمال أي تحمّل الأذىٰ أيضاً يَستُرها كما مرّ،

ولقائلٍ أن يقول ما الفرق بين الجُملتين من حيث المعنىٰ فأنّكم قلتم إنّ تحمّل الأذىٰ يَستُر العُيوب كما أنّ القبر يَستُر جَسَد الميّت وهنا تقولون المُسالمة تَستُر العُيوب فصار محصّل القول أنّ الإحتمال والمُسالِمة يَستران العُيوب في صاحبهما وعليه فلا وجه لإنفرادهما بل الحقّ جمعهما في جملةٍ واحدةٍ كما ذكرناه:

والّذي ظَهر لنا في شرح اللّفظ هو أنّ الخَباء في قوله عليه السلام: **والمُسَالَمَةُ خَباءُ الْعُيُوبِ** بفتح الخاء وسكون الباء مَصدَر جاء بمعنىٰ المفعول وهو المَخبُوء وهو النّبات لِلأرض والمَطَر لِلسّماء وغيرهما ممّا خبأه اللّه في غُيوبه والغُيوب

بالغين المعجمة جمع غَيب والمعنىٰ أنّ المُسالمة تَنبُت الغَيوب أي أنّها كا لنّبات الّتي تخرج من الأرض أو كالمَطَر الّذي يَمطر من السّماء بعد كَونهما مَخبُوًاً تحت الأرض والغيم قال الله تعالىٰ في كتابه: **﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾**(١) وقرأ الخَبْ بتّخفيف الهمزة بالحذف كما قال تعالىٰ: **﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيراً﴾**(٢)

أي سَكنت يُقال خَبت النّار خَبواً من باب قعد خَمد لهبها وفي الحديث ما عُبد الله بشيءٍ أحبّ اليه من الخباء، يعني التّقية والإستتار إذا عرفت هذا فنقول:

معنىٰ العبارة أنّ المُسالِمة كالنّبات أو المَطَر أو كلّ شيءٍ تخرج من الغُيوب والأستار وأن قلنا بالعُيوب جمع عَيب فالمعنىٰ أنّها انبتَ العُيوب وذلك لأنّ النّاس تارةً يقولون في المُسالم أنّه ضعيف وأُخرىٰ يقولون أنّه جَبان، وثالثة يقولون أنّه ماكِر وهكذا فأنّ المُسالِمة لا تكون خالية عن الإفتراء ونسبة العَيب ومع ذلك فهي مَمدوحة في نفسها في بعض الموارد ومذمومة في بعضها هذا ما فهمنا من العبارة والله أعلم:

وخامسها قوله ﷺ: وَمَنْ رَضِيَ عَنْ نَفْسِه كَثُرَ السَّاخِط عَلَيْهِ...

والوجه فيه واضح فأنّ الرّاضي عَنْ نَفسِه يكون مُتكبراً لا محالة وهو يُوجب سخط النّاس وغَضبهم عليه أو يكون مُعجباً بها والعُجب أيضاً يوجب السّخط والغَضب من النّاس وتنفّرهم عنه وكيف كان فلا شكّ أن مَنْ رَضِيَ عَنْ نَفسِهِ يرىٰ نفسه فوق نفوس الغَير وقد قال رسُول الله ﷺ **ثلاث مُهلكات، شُحٌ مطاع، وهوىٰ مُتّبع، وإعجاب المَرء بنفسه** وقد مرّ الكلام في الكبر والعُجب:

١- النّمل ـ٣٥ـ
٢- الأسراء ـ٩٧ـ

٦

□ **قوله عليه السلام: الصَّدَقَةُ دَوَاء مُنْجِح .وأعْمالُ الْعِبَادِ في عاجِلِهِمْ نُصْبُ أعْيُنِهِمْ في أجِلِهِمْ...**

مُنجح، بضم الميم إسم فاعل من أنجَح يُنجح إنجاحاً يُقال أنجَحتَ حاجته إذا قضيتها والثلاثي منه نَجح، يُقال نَجح الأمر إذا تَيّسر وسَهل، نَجَح فلان بحاجته فاز وظَفر بها، والبحث في مقامين:

المقام الأوّل قوله عليه السلام: **الصَّدَقَةُ دَوَاء مُنْجِح** ، وفيه إشارة الى فضل الصَّدقة وأنّها كالدّواء الشّافي للمَريض فكما أنّ المريض يُداوي مَرضه بالدّواء كذلك المؤمن يتوسل بالصّدقة في دفع البلاء.

قال رسُول اللّه صلى الله عليه وآله – تَصّدقُوا ولو بتَمرة فأنّها تسدّ من الجائع وتُطفئ الخطيئة كما يُطفئ الماء النّار...

وقال صلى الله عليه وآله أيضاً –إتّقوا النّار ولو بشّق تَمرة فإن لم تجدُوا فبكلمةٍ طيّبة...

وقال صلى الله عليه وآله – ما من عبدٍ مُسلمٍ يتَّصدق من كسب طيبٌ ولا يقبل اللّه إلّا طيباً إلّا كان اللّه آخذها بيمينه فيُربّها له كما يُربّي أحدكم فصيله حتّىٰ تبلغ التّمرة مثل أُحد...

وقال صلى الله عليه وآله – كلّ إمرؤٍ في ظلّ صدقته حتّىٰ يقضي بين النّاس، وقال صلى الله عليه وآله أرض القيامة نار ما خلا ظلّ المؤمن فأنّ صدقته تظلّه..!

وقال صلى الله عليه وآله –أنّ اللّه لا إله إلّا هو لَيدفع بالصّدقة الدّاء والدّبيلة والحرق

والغَرق والهَدم والجُنون وعدّ سبعين باباً من الشّر...

وقال الباقر عليه السلام البرّ والصّدقة ينفيان الفقر ويزيدان في العُمر ويدفعان عن صاحبهما سبعين ميتة سُوء...

وقال الصّادق عليه السلام داوُو مَرضاكم بالصّدقة وإدفعُوا البلاء بالدّعاء وإستنزلُوا الرّزق بالصّدقة فأنّها تفك من بين لحمي سبع مِائة شيطان وليس شئ أثقل علىٰ الشّيطان من الصّدقة علىٰ المؤمن وهي تقع في يد الرّب تعالىٰ قبل أن تقع في يَد العبد« جامع السّعادات ج ٢ ص ١٤٣»...

المقام الثاني قوله عليه السلام: وأَعْمالُ الْعِبادِ في عاجِلِهِمْ نُصْبُ أَعْيُنِهِمْ في أجِلِهِمْ...

وفيه إشارة الىٰ أنّ أعمال العباد في الدّنيا محفوظة مكتوبة وأنّ اللّه تعالىٰ لا يضيع عَمَل عاملٍ قال اللّه تعالىٰ: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً﴾ (١)

و : ﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾ (٢)

و : ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾ (٣)

و : ﴿وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾ (٤)

و : ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾ (٥)

و : ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَىٰ الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً ولاَ كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً﴾ (٦) والآيات علىٰ إثبات المَدّعىٰ كثيرة ومعها لا حاجة لنا بذكر الأخبار الواردة في الباب.

١- آل عمران ـ ٣٠
٢- الروم ـ ٤٤
٣- الجاثية ـ ١٥
٤- النّحل ـ ١١١
٥- الزلزلة ـ ٧
٦- الكهف ـ ٤٩

﴿٧﴾

□ قوله عليه السلام: **أَعْجِبُوا لِهَذَا الإِنْسَانِ يَنْظُرُ بِشَحْمٍ وَيَتكَلَّمُ بِلَحْمٍ ويَسْمَعُ بِعَظْمٍ وَيَتَنَفَّسُ في خُرْمٍ...**

الشّحم شَحم الحَدَقة واللّحم اللّسان والعظم عِظام في الأُذُن يضربها الهواء فتقرع غَضَب الصّماخ فيكون السّماع وقد فصّلنا الكلام فيها وفي غيرها عند شرحنا للخُطبة الأولىٰ من الكتاب وأمّا في المقام فنقول إجمالاً أنّ الأمور المُشار اليها أربعة:

الأمر الأوّل: أنّ الإِنْسَانِ يَنْظُرُ بِشَحْمٍ: وهو حَدَقة العين والباء فيه وبعده لِلسّببية أي ينظر بَسَببه وفي هذا الكلام أشار عليه السلام الىٰ العَين الّتي هي أكرم أعضاء الإنسان وأنفعها وهي مُركبة من أجزاء ظاهرة وهي الحاجب والجفنان والأهداب ومن أجزاء باطِنة وهي نوعان النّوع الأوّل الأغشية المُلتَحمة وهي غشاءٌ رقيق شفّاف وهو سبب لمعان العين:

والنّوع الثّاني الصُّلبة أي بياض العين وهي غشاء ليفيّ متين مثقوب من الخلف ثقباً ضيقاً يمرّ فيه العَصب البَصري وأمّا المَشيمة فهي داخلة في الصُّلبة، والقَزَحية المسمّاة بالحَدَقة فهي غشاءٌ ليفيّ وعائي موضوع خلف القرنية وفيه فَتحة مختلفة الألوان فقد تكون سَوداء أو زرقاء وهي المُعطية لون العين وهي لطيفة تنقبض من الضّوء الشّديد وتنبسط في الخفيف والشّبكية وهي إمتداد من العَصَب البَصري وهي الجزء الحسّاس من العين وبها يتم

الإبصار إذ عليها ينطبع الشيء المرئي أوّلاً ثمّ ينتقل الى المخّ بواسطتها دائرة المعارف لفريد وجدي ج ٦ ص ٧٩٥.

الأمر الثاني: أنّ الإنسان **يَتكَلَّمُ بِلَحْمٍ** وهو أيضاً مُدلّل محسوس والمراد باللّحم ليس هو اللّسان فقط بل الأعمّ منه ومن الشّفة وكُلّ ما يؤثر في التّكلم وهو واضح.

الأمر الثّالث: أنّ الإنسان **ويَسْمَعُ بِعَظْمٍ** وعَبّروا عن آلة السّمع بالأُذن وهو مركبة من ثلاثة أجزاء، الظّاهرة، المتّوسطة، الباطنة.

أمّا الظّاهرة، فهي مرئيّة بالنّظر مكونّة من تلك الصفّحية الغضّروفية وتسمّىٰ الصيّوان وهي بارزة تمسك باليد، ومن القناة السّمعية وهي تُحسّ بالأصبع الصّغير تمتّد داخل العظم الصّدغي.

والمتّوسطة، فهي منفصلة عن الظّاهرة بغشاء الطّبلة وهو غشاء شفاف تحته صندوق وهو تجويف ضيق يتّصل بالفم الخلفي الىٰ آخر ما قالوا:

والباطنة، هي الجزء الإنتهائي وهي مكونة من دهليز موضوع في الوَسَط تنفتح فيه قنوات شكلها كنصف الهلال مملؤة بسائل من نوع السّائل الّذي يملأ ذلك الدّهليز الخ دائرة المعارف لفريد وجدي ج ١ ص ١٣٥.

ثُمّ أنّك تعلم أنّا لسنا بصدد البحث عنها تفصيلاً لخروجه عن وظيفة الكتاب فأنّ علماء التّشريح ذكروا فيها ما يُفضيك الىٰ التّعجب والحَيرة فتقول بالبّداهة فتبارك اللّه أحسَن الخالقين.

٨

□ **قوله عليه السلام: إذَا أقْبلَتِ الدُّنْيا علىٰ أحدٍ أعارَتْهُ مَحاسِنَ غيرِهِ .وإذا أدْبَرَتْ عَنْهُ سَلَبَتْهُ مَحاسِنَ نَفْسِهِ...**

فيه إشارة الىٰ أنّ النّاس عبيد الدّنيا فمن أقْبَلَت الدُّنْيا اليه بنعمها يصير ممدوحاً عندهم ومن أدبَرَت عنه يَصير مذموماً عندهم فأنّ المدار في المَدح والذّم والحُبّ والبُغض هو إقبال الدّنيا وإدبارها وأمّا الشّخص وكمالاته المعنَوية فلا مَدخَل له في الحُبّ والبُغض عندهم وما ذكره حقّ لا مرية فيه فكم من رجلٍ أو رجال رأيناه محبوباً ممدوحاً عندهم مادام كونه مُتَنعِماً بالدّنيا ثُمّ صار هذا الشّخص بعينه مبغوضاً مذموماً عندهم بعد إدبارها عنه ولم ينقص من كمالاته الشّخصية وهو دليل علىٰ عدم إعتبار الدّنيا بَسَبب إنقلابها وتغيّرها وعدم بقائها علىٰ حالٍ وعلىٰ عدم صحّة الإعتماد علىٰ النّاس والرّكُون اليهم في ذمّهم ومَدَحهم وحُبّهم وبُغضَهم وإذا كان هذا شأن الدّنيا وأبنائها فالعاقِل لا يَعتمد عليها وعلىٰ أبنائها أصَلاً ولِنِعم ما قيل:

لَـــم أبك مـــن زَمَـنٍ لم أَرضِ خـلّته
إلّا بكـــيتُ عـــليه حـــين يـــنصرم

ولآخر:

يـــا مُـــعرِضاً عـــنّي بِـــوجهٍ مُـدبِرٍ
ووجـــوه دنـــياه عـــليه مُـــقبلة

هَــل بـعد حـالك هـذه مـن حـالةٍ

أو غــايةٍ إلّا إنـحطاط المــنزلة

وقال عبد الله بن عُروة بن الزّبير:

ذَهَب الّــذين إذا رأونــي مُــقبِلاً

بــثّوا إلّــي ورحّــبُوا بـالمُقبل

وبـقيت فــي خَـلفٍ كأنّ حـديثهم

ولَـغ الكِـلاب تَـهارَشت فـي المَـنزِل

وقال ابن المَوصلي:

وأنّــي رأيتُ الدّهــر مـنذُ صَحِبتَهُ

مَــحاسِنهُ مَــقرُونةٌ ومــعايبه

اذا سَــرّني فــي أوّل الأمــر لَـم أزِل

عــلىٰ حَـذَرٍ مـن أن تَـذُم عـواقِـبَهُ

وكان يقال إذا أدَبر الأمر أتىٰ الشّر من حيث يأتي الخَير والأمر واضح بل هو محسُوس مشهُود.

٩

▫ قوله عليه السلام: **خالِطُوا النَّاسَ مُخالَطَةً إنْ مُتُّمْ مَعَها بكَوْا عليْكُمْ وإنْ عِشْتُمْ حَنُّوا إلَيْكُمْ...**

والمقصود من هذا الكلام هو الإرشاد الى المُعاشَرة والمُخالَطة مع النّاس فقال خالطوهُم أن مِتّم معها بكوا عليكُم لِفَقدهم أيّاكم وإن عِشتُم أي إن كُنتُم من الأحياء معهم حَنّوا اليكُم بالتّحية والسّلام والمحبّة ولا يتّيسر هذا المقام إلّا لِمَن واظب على نفسه قولاً وفِعلاً:

عن الصّادق عليه السلام: قال لا تفتّش النّاس فتبقىٰ بغير صَديق...وعن كتاب المَحاسِن عن معاوية بن وهَب قال قُلت لأبي عبد الله عليه السلام كيف ينبغي لنا أن نضع فيما بيننا وبين قومنا وفيما بيننا وبين خُلَطائِنا من النّاس فقال عليه السلام تؤدّون الأمانة اليهم وتُقيمون الشّهادة لهم وعليهم وتعودون مرضاهُم وتشهَدون جَنائِزَهُم.وعنه عليه السلام **قال إحضروا مع قومكم مساجدكم وأحبّوا للنّاس ما تحبّون لأنفسكم أما يستحي الرّجل منكم أن يعرف جاره حقّه ولا يعرف حقّه جاره...**

وعن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ وقولوا لِلنّاس حُسناً، قال قولوا لِلنّاس أحسن ما تحبّون أن يقال لكم فأنّ الله يبغض اللّعان السّباب الطّعان علىٰ المؤمنين والفاحش المتّفحش والسّائل المُلحف ويُحبّ الحَييّ الحليم العَفيف المُتّعفف انتهىٰ...

وقال النّبي ﷺ أنكم لَن تَسعُوا النّاس بأموالكم فَسعوهم بأخلاقكم، «مشكاة الأنوار ص ١٨٦ و ٢١٢»...

وَمَن لَم يَغمضْ عينه عن صديقه
وعن بعض ما فيه يَمتِ وهو عاتبُ
إذا كُنتَ في كلّ الأُمور مُعاتباً
صديقك لم تَلقَ الّذي لا تعاتبه
وإن أنتَ لم تشرب مراراً على الأذىٰ
ظمِئت وأيّ النّاس تصفوا مشاربه

١٠

□ قوله عليه السلام: إذا قَدَرْتَ علىٰ عَدُوِّكَ فاجْعَلِ الْعَفْوَ عَنْهُ شُكْراً للْقُدْرَةِ عليْهِ...

أي إذا ظَفَرتَ علىٰ عَدُوك وسلّطتَ عليه فأجعل العَفو عنه أي عن العَدو شكراً لك لِللّه تعالىٰ وتوضيحه أنّ شُكر المُنعم واجب عقلاً وأيّة نِعمة أفضل وأحسَن من القُدرة علىٰ العدّو فيجب عليك الشّكر عليها وأحسَن الشّكر عفوك عنه فأنّ اللّه تعالىٰ يعفو عن عباده ويُحبّ العافين كما ورد في كتابه:﴿والْكاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ (١)

و : ﴿وأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلا تَنسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ (٢)

و : ﴿ولَيعفُوا ولَيصفَحُوا ألا تُحبوّن اللّه أن يغفر لكم﴾ (٣)

و : ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (٤)

ومن كتاب المحاسن عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال عليه السلام ثلاثة من مكارم الدّنيا والآخرة أن تعفوا عمّن ظَلَمك وتَصِل مَن قطعك وتحلم إذا جهلَ عليك...

وعن الباقر عليه السلام قال ثلاثة لا يزيد اللّه بهّن المَرء إلّا عِزّاً، الصّفح عمّن ظَلَمه وإعطاء من حَرَمه وصِلة من قطَعه...

وعنه عليه السلام قال قال رسُول اللّه صلى الله عليه وآله عليكم بالعفو فأنّ العَفو لا يزيد العَبد إلّا عِزّاً فتعافوا يعزّكم اللّه: وعن الباقر عليه السلام قال النّدامة علىٰ العَفو أفضَل والسّير

١- آل عمران ـ١٣٤
٢- البقرة ـ٢٣٧
٣- النّور ـ٢٢
٤- الأعراف ـ١٩٩

من النّدامة علىٰ العقوبة « مشكاة الأنوار ص ٢٢٨»....

فَهبني مُسيئاً كالّذي قلت ظالماً ... فعفواً جميلاً كي يكون لك الفضل
فأن لم أكُن لِلعفو منك لسُوء ما ... أتيت به أهلاً فأنتَ له أهلُ

وقال الآخر :

فأن كُنتَ تبغي بالعقاب تشَفياً ... فلا تزهدون عند التّجاوز في الأجر

وقال الآخر :

إذا ما طاش حكمك عن عدّوٍ ... وهان عليك هجران الصّديق
فَلَستَ إذاً أخا عفوٍ وصفحٍ ... ولا لأخ علىٰ عهدٍ وَثيق
إذا زَّل الرّفيق وأنت مِمّنْ ... بلا رِفقٍ بقيت بلا رفيق
إذا أنتَ إتّخذتَ أخاً جديداً ... لما أنكرتَ من خلقٍ عتيقٍ
فما تدري لعلّك مُستجيرٌ ... من الرّمضاء فَرّ الىٰ الحريق
فكم من سالِكٍ لطريق آمنٍ ... أتاه ما يُحاذر في الطّريق

وقال الآخر :

يستوجب العفو الفتىٰ إذا إعترف ... وتاب عمّا قد خبأه وإعترف
لقوله قل للّذين كفروا ... أن ينتهوا يغفر لهم ما قد سَلَف

۱۱

□ قوله عليه السلام: **أَعْجَزُ النَّاسِ مَنْ عَجِزَ عَنِ اكْتِسَابِ الإِخْوَانِ وَأَعْجَزُ مِنْهُ مَنْ ضَيَّعَ مَنْ ظَفِرَ بِهِ مِنْهُمْ...**

والوجه في الأوّل أعني به اكْتِسَابِ الإِخْوَانِ هو أنّ عجزه عن إكتسابه معلول عن سُوء خُلقه وجهله بالمُعاشَرة وعدم لياقته لإتّخاذ الأصدقاء والأخوان وذلك لأنّ الإنسان إذا كان مُعتدِلاً مُستقيماً في حركاته وأفعاله ومعاشرته فلا محالة يجذب النّاس الىٰ نفسه فمن عَجز عن إكتساب الأحبّاء والأخوان فالعيب منه وفيه وهو عجزٌ ونقص والوَجه في الثّاني هو أنّ من وَجَد نعمةً ولم يقدر علىٰ حفظها فهو أنقص وأعجز مِمّن لم يصل اليها لعدم قُدرته وذلك واضح:

ثُمّ أنّ المراد بالأخوان في الدّين أو الأعمّ من الدّين والدّنيا:

قال أمير المؤمنين عليه السلام فيما روي عنه عليكم بالأخوان فأنّهم عدّةٌ لِلدّنيا وعدّةٌ لِلآخرة ألا تسمع الىٰ قول أهل النّار،(فما لنا من شافعين ولا صديقٍ حميم « مشكاة الأنوار ص ١٨٧»...

وقال الصّادق عليه السلام المؤمن أخو المؤمن لا يَظلمه ولا يَخذله ولا يَغشّه ولا يغتابه ولا يَخونه ولا يكذبه «ص ١١٦ » وقال الشّاعر:

وما المَرء إلّا بإخوانه كما يقبض الكَفّ بالمَعصم
ولا خير في الكَفّ مقطوعة ولا خير في السّاعد الأجذم

وقال الآخر:

عـليك بـأخوانِ الصَّفاء فأنّـهم عـمادٌ إذا إسـتنجدّتهم وظُـهورُ
وأن قليلاً ألف خلٍّ وصاحبٍ وأنّ عـدّواً واحـلاً بـالكثير

وقال زياد ابن أبيه خير ما إكتسب المَرء الأخوان فأنّهم مَعُونة على حوادث الزّمان ونوائب الحدثان وعَونٌ في السّراء والضّراء وقال سليمان بن عبد الملك أكلتُ الطّيب ولبستُ اللّين وركبتُ الفارة وإفتَضضتُ العذراء فلم يبق من لذّاتي إلّاصديق أطَرح مَعه مؤنة التّحفظ.

وقال عبد اللّه بن طاهر المال غادٍ ورائح والسّلطان ظلّ زائل والأخوان كنوز وافِرة.

وقال المأمون للحسن بن سَهل نظرتُ في اللّذات فوجدتها كلّها مملولة سَبعة قال وما السّبعة، قال خُبز الحِنطة ولحم الغَنم، والماء البارد، والثّوب النّاعم، والرّائحة الطّيبة والفراش الوطئ والنّظر الى الحَسَن من كلّ شئ قال الحَسَن له فأينَ أنت من محادثة الرّجال قال المأمون صدقت وهي أوّلَيهن: وفيه قال الشّاعر:

ومـا بَـقيت مـن اللّـذات إلّا مـحادثة الرّجال ذوي العقول
وقـد كـنّا نـعدّهم قـليلاً فـقد صاروا أقـلّ من القليل

﴾١٢﴿

◽ قوله عليه السلام: إذا وصَلَتْ إلَيْكُمْ أطْرَافُ النعَمِ فلاَ تُنفرُوا أقْصَاها بِقِلَّةِ الشُّكْرِ...

أطراف النِّعم أوائلها وأقصى النِّعم أو آخرها وأقاصيها والمقصود إذا أقبلت النِّعم من اللّه تعالىٰ اليكم فأكثروا من الشّكر عليها فأنّ قلّة الشّكر تُوجب زوال النّعمة وأنّما قال عليه السلام: فلا تُنفِروا تباء الخطاب لأنّ الإنسان لقلّة شكره علىٰ النِّعمة يصير سَبباً لزوالها فكأنّه أزال النِّعمة عن نفسه بنفسه وكيف كان ففي هذا الكلام حثٌّ منه عليه السلام علىٰ الشّكر الّذي هو في الحقيقة سبب لبقاء النِّعمة وإزديادها.قال اللّه تعالىٰ:﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾(١)

و : ﴿نعمة من عندنا كذلك نجزي من شكر﴾(٢)

و : ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾(٣)

وأمّا البحث في ماهيّة الشّكر وحقيقته وأقسامه فقد مرّ الكلام في هذه الأمور في أوائل المُجلد الأوّل من الكتاب عند البحث في الحَمد والشّكر والمَدح والفَرق بينهما مضافاً الىٰ ما أوردناه في الشّكر في سائر المُجلدات حَسَب ما إقتضاه المقام.

عن أبي عبد اللّه عليه السلام عن آبائه عليهم السّلام قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله ما فتح اللّه

١- النمل ـ ٤٠ ٢- القمر ـ ٢٥
٣- الأحقاف ـ ١٥

لعبدٍ باب شكرٍ فَخزن عنه باب الزّيادة «مشكاة الأنوار ص ٢٧»...

وقال رسول اللّه الطّاعم الشّاكر له من الأجر كأجر الصّائم المُحتسب والمعافي الشّاكر له من الأجر كأجر المُبتلي الصّابر والمُعطي الشّاكر له من الأجر كأجر المحروم القانِع «ص ٢٧»...

وعنه ﷺ قال أنّ المؤمن ليَشبع من الطّعام والشّراب فَيحمد اللّه فيعطيه من الأجر ما يُعطي الصّائم أنّ اللّه شاكر يحبّ أن يُحمَد« ص ٢٨» والأخبار كثيرة.

قال بعض الحكماء لِلشّكر ثلاث منازل ضمير القلب ونشر اللّسان ومكافاة اليَد وفيه قال الشّاعر:

أفـادتكم النّـعماء منّي ثـلاثةً　　　يَدي ولساني والضّمير المُحجبّا

وقال بعض آخر ما أنعم اللّه علىٰ عبدٍ نعمةً فَظَلَم بها إلّا كان حقّاً علىٰ اللّه تعالىٰ أن يُزيلها عنه كما قيل:

أعـارك مـا له لتقوم منه　　　بـواجـبه وتقضي بعض حقّه
فـلم تـقصد بطاعته ولكـن　　　قـويت علىٰ مـعاصيه بـرزقه

١٣

▫ قوله عليه السلام: مَنْ ضَيَّعَهُ الأَقْرَبُ أُتِيحَ لَهُ الأَبْعَدُ...

(أُتِيحَ) بضم الألف وكسر التاء مجهول أتاحَ أي قَدّر والمعنىٰ (مَنْ ضَيَّعَهُ الأَقْرَبُ) اليه حَسَباً ونَسَباً وسَبباً أُتيح أي قُدِّر له الأبعد ليحفظه ويُساعده فَكَم من شخصٍ أضاعه أقاربه فقدّر الله تعالىٰ له من الأباعد من يَحفظه ويساعده وفي هذا الكلام إشارة الىٰ أنّ العبد ينبغي له التّوكل علىٰ اللّه والإستمداد منه في جميع شئونه لا علىٰ أقربائه وأصدقائه إذ كثيراً ما شُوهِد تضييع الحقّ أو الحقُوق من الأقرباء وتنفيذه وتثبيته من الأباعد بل قد يقال أنّ التّجربة دلّت علىٰ أنّ ضر الأقرباء علىٰ الإنسان أكثر من الأباعد والسّر فيه أنّ البَعيد أقلّ طَمَعاً من القَريب كما قيل بالفارسية:

من از بيگانگان هرگز ننالم   كه هر چه كرد با من آشنا كرد

ألا ترىٰ أنّ رسول اللّه صلى الله عليه وآله وهكذا الأئمّة بعده لم يُنصروا من أقاربهم إلّا قليلاً بل نُصرُوا من الأباعد فأبو لَهَب كان أقرب النّاس الىٰ رسول اللّه ومع ذلك كان أضَّرَهم عليه وهكذا أكثر أقربائه ولكن اللّه تعالىٰ أُتيح وقدّر له صلى الله عليه وآله الأبعد أمثال سلمان وأبي ذَر ومقداد، وعمّار وغيرهم مِمّن لم يكونوا من قومه وقَبيلته ثمّ بعده صلى الله عليه وآله أُنظر الىٰ علّي عليه السلام في خلافته فالزّبير بن العَوام إبن عمّته وهو يُقاتله ويحاربه والأباعد من حيث النّسب أمثال عمّار، وإبن أبي بكر، والأشتر وغيرهم كانوا ينصُرونه وهكذا في جميع الأئمّة بل وجميع النّاس لكنّ اللّه ينصر عبده لا محالة.

١٤

▫ قوله ﷺ: مَا كُلُّ مَفْتُونٍ يُعاتَبُ...

المَفتُون من دَخِل في الفِتنة، وقوله يُعاتَبُ، بضم الياء وفتح التّاء مجهول يُعاتِب بكسر التّاء والعِتاب اللّوم والمَعنىٰ ليس كلّ مَن دَخل في الفِتنة بمُستّحقٍ لِلّوم والتّقبيح اذ منَ المُحتمل أن يكون دخوله فيها لأجل الإضطرار أو الجَهل بها ثُمّ بعد العِلم بها لم يَقدر علىٰ الخروج عنها نعم لو دَخل فيها عالِماً عامداً فهو يليق بأن يُعاتب هكذا قالوا في شرح العبارة.

وقال الشّارح المُعتزلي عند هذا الكلام هذه الكلمة قاله علّيٌ ﷺ لسعد بن أبي وقاص ومُحمّد بن مَسلمة وعبد اللّه بن عُمر لَما إمتَنعُوا من الخُروج مَعه لحَرب أصحاب الجَمَل انتهىٰ ما ذكره:

ولقائلٍ أن يقول أيّها الشّارح لكلامه ﷺ والجاهل بمرامه من أين عَلمتَ أنّ علّياً قال هذا الكلام لهؤلاء وليس فيه ما يدّل عليه لا صراحةً ولا كنايةً ولم يُنقل من أحدٍ هذا الّذي تقول مع أنّ الأمر لو كان كما تقول يلزم منه تبرئة هؤلاء المُنافقين المُعاندين عن قعودهم عن نُصرة الحقّ وتخلّفهم عن البَيعة ألَم يَعلم الشّارح أنّهم لم يُبايعوه أصلاً ومن لم يُبايعه كيف يخرج مَعه الىٰ الحَرب مع أعدائه ألَيس عَدم البَيعة كاشفاً عن عَدم رؤيتهم أمير المؤمنين صالحاً لِلخلافة مع أنّهم بايعوا مَن قبله من الخُلفاء وإذ فرضنا عَدم صلاحيّته ﷺ لها بزعمهم

فلا يخرجون مَعَه قطعاً وهذا الّذي ذكرناه منهم هو الّذي صار سَبَباً لقعودهم وعدم خروجهم مَعَه لا ما ذكره المُعتزلي هذا **أوّلاً**.

وثانياً: إنّ لازم ما ذكره الشّارح كون خلافته وحكومته عليه السلام من الفِتنة إذ لو لم تكن كذلك فلا وجه لِقعُودهم عن نُصرته وعليه فَحُكمه عليه السلام بعدم اللّوم عليهم يُشعَر بإقراره عليه السلام علىٰ كون خِلافته فِتنته وقد قال عليه السلام كُن في الفِتنة كابنَ اللّبُون الخ وقد مرّ الكلام فيه أيَظن عاقِل بأنّ خِلافة علّي عليه السلام كانت من الفِتنَة وهو أيضاً كان مقِرّاً بها تَلويحاً ولذلك قال ماكلّ مَفتُونٍ يُعاتب أنّ هذا الشيء عجاب ولِنَعم ما قيل بالفارسية:

نيش عَقرب نه از رَه كين است   اقتضاي طبيعتش اينست

ولكنّي أظّن بل أقطع بِعِنادهم لإهَل البَيت إلّا أنّ البَعض منهم كالشّارح المُعتَزلي لم يتظاهر بِمُخالفتهم وعِنادهم ولكّن البَغض والعَداوة مُستَتر في قلُوبهم وسيعلم الّذين ظلموا أيّ مُنقلبٍ ينقلِبون.

وثالثاً: لو كان الأمر كما ذكره يلزم منه أن يكون أمير المؤمنين مُكذِّباً لِنفسه بل ولِلّه ولِرسوله وذلك لأنّه قد تظافرت الآيات والأخبار بوجوب طاعَته والإنقياد له بعد النّبي وإنّ مَن خالفه فقد خالَف اللّه ورسوله ولا شكّ لأحدٍ من أهل الإطّلاع إنّ هؤلاء الّذين ذكرهم الشّارح كانوا من مُخالِفيه ومُعانِديه ولذلك تخلفوا عن بيعته وإلّا فأيّ إضطِرارٍ دعاهم الىٰ ترك البَيعة والقعُود عن النّصرة والأمر واضح من أن يخفىٰ علىٰ عاقلٍ فضلاً عن عالم.

ثمّ إنّ هذا الّذي ذكروه وذكرنا بِناءٌ علىٰ أن يكون المَفتُون بِمعنىً من دخل في الفِتنة أو وَقَع فيه وأن يكون المراد بِالفِتنة الحادثة والواقعة الّتي الحَق فيها بالباطِل بحيث صار الأمر مُشتبهاً علىٰ النّاس.

وإمّا إذا قلنا بأنّ المراد بالمَفتُون في كلامه عليه السلام المُبتلي بإحدىٰ البَلّيات من الفقر والمَرَض والسّجن وأمثالها فالمعنىٰ أنّ المُبتلي لا يُعاتَب علىٰ إبتلائه

وذلك لأنّ الإبتلاء كثيراً ما يكون لِلإختبار والإمتِحان كما في أيّوب النّبي ويعقوب ويوسف وغيرهم من الأنبياء والأوصِياء والصُّلحاء ووجه عدم اللّوم واضح إذ ليس كلّ إبتلاءٍ مَعلُولاً عن العِصيان والمُخالفة والعِناد بل قد يكون كما في الظّالمين وقد لا يكون كما في الصّالحين ولأجل هذا لم يحكم أمير المؤمنين حُكماً كُلّياً بل حَكَم على سبيل البَعضية وقال ماكلّ مَفتُونٍ يُعاتَب أي بعض المفتُون يُعاتَب وبعضٌ لا يُعاتَب والدّليل على ما ذكرناه قول أرباب اللّغة وحيث أطلقوا الفِتنة على الإختِبار قال في المُنجِد في مادّة فَتَن:

الفِتنة مَصدر، الخِبرة، الضّلال، والكُفر، النّصيحة، المِحَسنة، الجنُون، العِبرة العذاب، المَرَض، المال والأولاد، إختلاف النّاس في الآراء، وما يقع بينهم من القِتال انتهى:

وعليه فَحمل المفتون في كلامه ﷺ على مَن دَخل في الفِتنة فَحسبُ لا دليل عليه فيُحمل على معناها العَام كما هو مقتضى القاعدة فيما لا يكون هناك دليل على التّخصيص:

﴿ ١٥ ﴾

□ قوله عليه السلام: تَذِلُّ الأُمُورُ لِلْمَقادِيرِ حَتَّىٰ يكُونَ الحَتْفُ في التَّدْبيرِ...

وحاصل هذاالكلام هو أنّ الأُمور الواقعة في العالم من البَليّات والحوادث وغيرها تَتبع المقادير الّتي قدّرها اللّه تعالىٰ لها لا إنّها تَتبع التّدبيرات والسّياسات فأنّ العبد يدّبر واللّه يقدّر ولأجل هذا قد يكون الحَتف والهَلاك في التّدبر:

والدّليل علىٰ ما ذكره عليه السلام أعني كون الأُمور تابعة للمقادير بعد شهادة العقل بل الحسّ عليه قوله تعالىٰ: ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ القَادِرُونَ﴾ (١)

و: ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ الَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ (٢)

و: ﴿نحن قدّرنا بينكم المَوت وما نحن بمسبوُقين﴾ (٣)

و: ﴿إِنَّ اللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً﴾ (٤)

و: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً﴾ (٥)

عن أبي جعفر عليه السلام قال أنّ اللّه قضىٰ فأمضىٰ قضائه وحكَم فعَدل في حكومته فلم يكن لقضائه رادّ ولا لحُكمه مُعَقب فأحقّ خلق اللّه أن يسلم لما قضىٰ اللّه عزّ وجلّ من عرف اللّه تعالىٰ ومن رضي بالقضاء مضىٰ عليه القضاء وعظّم اللّه أجره ومن سخط القضاء مضىٰ عليه القضاء وأحبَط اللّه

١- المرسلات ـ ٢٤
٢- الأعلىٰ ـ ٣
٣- الواقعة ـ ٦٠
٤- الطّلاق ـ ٣
٥- الفرقان ـ ٢

أجْره «مشكاة الأنوار ص ٣٠١»...

وفي البحار بأسناده عن عليّ ﵇ قال قال رسُول اللّه ﷺ أنّ اللّه عزّ وجلّ قدّر المقادير ودبّر التّدابير قبلَ أن يخلق آدم بألفي عامٍ «ج ٣ ص ٢٨ ط كمپانی»...

وبأسناده أيضاً قال رسُول اللّه ﷺ سَبَقَ العِلم وجَفّ القلم ومضىٰ القضاء وَتَمّ القَدر بتحقيق الكتاب وتصديق الرُّسُل وبالسّعادة من اللّه لِمن آمَن وإتّقىٰ وبالشّقاء لِمن كذب وكَفَر «الحديث ص ٢٨»...

وأيضاً بأسناده قال سُئلَ العالم كيف عَلِم اللّه قال ﵇ عَلِم وشاء وأراد وقدّر وقضىٰ وأمضىٰ فأمضىٰ وقضىٰ ما قدّر وقدّر ما أراد فَبِعلمه كانت المشيّئة وبمَشيّئته كانت الإرادة وبإرادته كان التّقدير وبتقديره كان القضاء وبقضائه كان الإمضاء «الحديث ص ٣٠»...

ذكروا أنّ رجلاً قال لبزرجمهر تعال نتناظر في القَدَر قال وما تَصنع بالمناظرة قال رأيتُ شيئاً ظاهراً إستدللتُ به علىٰ الباطن و رأيت جاهلاً مَبرُوراً وعالماً محروماً فعلمتُ أنّ التّدبير ليس للعباد:

ولمّا قَدِم موسىٰ بن نصير بعد فتح الأندلس علىٰ سليمان بن عبد الملك قال له يزيد بن المهلب أنت أدهىٰ النّاس وأعلمهم فكيف طرحتَ نفسك في يد سليمان فقال أنّ الهُدهد ينظر الىٰ الماء في الأرض علىٰ ألف قامة ويبصر القريب منه والبعيد علىٰ بُعدٍ في التّخوم ثمّ ينصب له الصّبي الفَخ بالدّودة أو الحَبّة فلا يبصره حتّىٰ يقع فيه وأنشدوا فيه:

وإذا خشيت من الأُمور مقدّراً ... وفَرَرتَ منه فَنحوَه تتوّجه

وقال الآخر:

أقام علىٰ المسير وقد أُنيخت ... مطاياه وغَرّد حاديها
وقال أخاف عادية اللّيالي ... علىٰ نفسي وأن ألقي رداها
مشيناها خُطاً كُتبت علينا ... ومن كُتبت عليه خُطاً مشاها

ومـــن كـــانت مـنيّته بأرضٍ فليس يموت في أرضٍ سواها

قالوا ولمّا قتل كسرىٰ بزرجمهر وجد في منطقته كتاب فيه، إذا كان القضاء حقّاً فالحرص باطل وإذا كان القدر في النّاس طباعاً فالثّقة لكلّ أحدٍ عجز وإذا كان المَوت بكلّ أحدٍ نازلاً فالطّمأنينة الىٰ الدّنيا حُمق، والأمثلة في الباب كثيرة والأخبار متظافرة والأمر واضح قال السّعدي بالفارسية:

هرآن نصيبته كه پيش از وجود پنهاده است
هر آنكه در طلبش سعي ميكند باد است
كـليد گـنج اقـاليم در خزانـهٔ اواست
كسي بقوّت بازوي خويش نگشاده است
سَـر قـبول بـبايد نـهاد وگـردن طَوع
كه هر چه حاكم عادل كند نه بيداد است
تو پاك باش ومدار اي برادر از كس باك
بياد دار كه اين پندم از پدر ياد است
اگـر نـياي بـبوئي وگـر بسَـر بَـروي
به هـمتّت نـدهد روي كـه نـنهاده است
رضـا بـحكم قـضا إختيار كـن سـعدي
كه هر كه بندهٔ حقّ شد ز خلق آزاد است

والّذي حَصَل لنا في المقام هو أنّ التّوكل علىٰ اللّه في جميع الأُمور أولىٰ وأحسَن منه تفويض الأمر اليه .

﴿١٦﴾

■ وسُئِلَ عليه السلام عَنْ قَوْلِ الرَّسُولِ اللّه صلى الله عليه وآله: غَيِّرُوا الشَّيْبِ ولا تَشَبَّهُوا بالْيَهُودِ فقالَ عليه السلام إنّما قالَ صلى الله عليه وآله ذلِكَ والدِّينُ قُلٌّ فأمّا الآنَ وَقَدِ اتَّسَعَ نِطَاقُهُ وضَرَبَ بِجِرَانِهِ فامْرُؤٌ وَما اخْتارَ...

(غَيِّرُوا) فعل أمرٍ من غَيّر يُغيّر ومصدره التّغيير (الشَّيْبِ) بفتح الشّين مصدر قولك شاب يشيب شَيباً، إذا إبيَضّ شعره،

(ولا تَشَبَّهُوا) نهي من شَبَّه يُشَبّه ومصدره التشبيه (قُلٌّ) بضم القاف أي قليل (نِطَاقُهُ) النِّطاق ككتاب الحزام العريض وإتّساعه إنتشاره (بِجِرَانِهِ) الجِران بكسر الجيم على وزن النِّطاق مقدّم عُنق البَعير يضرب به على الأرض إذا إستَراح والمعنى سُئل أمير المؤمنين عن قول رسُول اللّه صلى الله عليه وآله غيّروا الشّيب أي بياض الشّعر بالخِضاب لا تُشبّهُوا باليَهود بسَبب عدم الخضاب وذلك لأنّ الشّعر في اللّحية إذا لَم يُخضَب بالحَناء ونحوه يكون أبيض لا محالة وهذا هو الوجه في التّشبه لليهود لأنّهم لا يخضَبُون،

فقال عليّ عليه السلام في الجواب أنّما قال رسُول اللّه ذلك والدّين قَلّ أي قليل أهله فأمّا الآن وقد إتّسعَ وإنتَشر نِطاقه رَحبله رضرب بجرانه وهو كناية عن ثباته وإستقراره فإمرؤٌ وما إختار أي كلّ مسلم فهو مختار في هذا الحكم إن شاء غيّره وإن لم يشأ فَلا ومحصّل ما أفاده أمير المُؤمنين عليه السلام في الجواب هو أنّ أمْرَ

الرّسُول بتّغير الشّيب لم يكن من الأوامر المّولوية الواجبة على كلّ واحدٍ من المسلمين الى يوم القيامة مثل الصّلاة والصّوم والحجّ والزّكوة وأمثال ذلك بل كان من الأوامر الإرشادّية المقّيدة بزمانٍ خاصّ وأفراد خاصّ لأجِل مصلحة خاصّة رأها رسول اللّه ﷺ في الحُكم وهي عدم تشّبههم بِاليَهود مع قلّة المسلمين في صدر الإسلام وبعبارةٍ أُخرىٰ كان غرضه ﷺ من هذا الحُكم تمييز المسلمين عن اليَهُود من هذه الجِهة فكان الباعِث عليه هو قلّة عدد المُسلمين في المَدينة وكثرة اليَهُود فيها ومن المَعلُوم إنّ إنتفاء العِلّة يُوجب إنتفاء المَعلول وحيث إنّ المُسلمين في زَمَن السّؤال كانوا كثيرين فلا محالة صار الأمر بالعكس وهو تشبّه اليَهُود بالمسلمين في صورة عدم الخِضاب فالأمر ساقِط من أَصله ولِذلك قال ﷺ في الجواب فأمّا الآن وقد إتسّع نِطاقة ألخ

﴿١٧﴾

▫ **قوله ﷺ: في الّذين إعتزلوا القِتال معه :خَذَلُوا الْحَقَّ ولَمْ يَنْصِرُوا الْباطِلَ...**

المراد بالمُعتَزلين عن القِتال معه ﷺ من إعتزَل عنه من غير عُذرٍ عقلي أو شرعي مثل سعد بن أبي وقّاص ومحمّد بن مُسلمة وأُسامة بن زيد وعبد الله بن عُمرو وأبو موسى الأشعري وغيرهم مِمّن لم ينصروا عليّاً ظاهِراً لا مَعاوية والزّبير وطلحة زعماً منهم إنّ هذه فِتنة يجب الإحتِراز عنها فقال ﷺ فيهم إنّهم خَذَلوا الحقّ ولم ينصروا الباطِل.أمّا إنّهم خَذَلوا الحقّ فلإنّهم لن ينصروه وعدم نُصرة الحقّ خِذلانه وذلك لإنّ الحقّ إذا لم يكن له مُعين لا يَظهر وعدم ظهوره خِذلانه إذ لا نعني بِالخِذلان إلّا كون الشّيئ مَستُوراً معزولاً عن مقامه.

وإمّا إنّهم لم ينصَروا الباطِل فهو واضح لعدم لحوقهم بمعاوية وأصحاب الجَمَل في ظاهر الأمر وإن كان هذا العَمَل منهم في الحقيقة نُصرة للباطِل لإنّ الإعراض عن الحقّ يُوجب خِذلانه ولازمه تَقوية الباطِل إلّا إنّ المُعتزل حيث لم ينوي بإعتزاله تقوية الباطِل قال ﷺ: **ولم يَنصرُوا الباطِل** أو إنّ كـلامه ﷺ ناظِر الى الظّاهِر وظاهِر الأمر عدم نُصرتهم لِلباطِل كيف كان ففي كلامه إشعارٌ بإنّ الإعتِزال إذا كان مُوجِباً لِخِذلان الحقّ فهو مذمُوم إذ يجب على كلّ مُسلم نُصرة الحقّ وجُوباً عَينّياً لا سبيل الى تركه إذا وُجدت شرائط النُصرة ولاشكّ انّها كانت في حكومته ﷺ موجودة فلا عُذر لأحدٍ في الإعتِزال فمن إعتزل عن الإسلام وهذا الكلام منه ﷺ دليلٌ واضح على عَـدم مـعذورية المُـعتزِل عـن نُصرته سواء كانت النُصرة باليَد كما في الحروب أم باللّسان والأعمال ومع ذالك رَدٌ على الشّارح المُعتزلى حيث حَمَل كلامه ﷺ ما كلّ مفتونٍ يُعاتَب، على ما حَمَل وقدمرّ ذكره.

﴿ ١٨ ﴾

□ قوله عليه السلام: مَنْ جَرَىٰ في عِنانِ أمَلِه عَثَرَ بِأجَلِهِ...

العِنان، بكسر العين ككِتاب سير اللِّجام تمسك به الدّابة و (عَثَرَ) أي سَقَط والجَري المَشي، والمعنىٰ من أَطلَق عِنان أَمَله ولم يُمسكه عَثَر أي سَقَط بأجله ومَوته شبّه عليه السلام الأمَل بِالفَرس ثمّ أَثبت له أي لِلأمَل عِناناً تَخييلاً فهو إستعارة تَخييليّة ووجه الشّبه معلوم وهو إنّ الفَرس إذا أُطلق عِنانه يذهب حيث يشاء وينتهي سيره الىٰ السّقُوط والهَلاك كذلك الأمَل لِلإنسان إذا أطلق عِنانه ولم يقّيده صاحِبُه ينتهي الىٰ السُّقُوط عن مقام الإنسانية والخُلود في نار جهّنم وأمّا أصل وجوده فهو ممّا لا مَحيص عنه في كلّ الأفراد علىٰ إختلافه فيهم شدّةً وضعفاً ونَقصاً وكمالاً ولا يقدر الإنسان علىٰ إعدامه وقَطعه من نفسه ولذلك لم يقل عليه السلام مَن له الأمَل عَثَر بأجَلِه بل قال من جرىٰ في عِنان أَمَله مُشعِراً بأنّ وظيفة الإنسان تقييده وعدم المَشي علىٰ طريقه:

ثمّ إنّ إتّباع الأمَل مَذمومٌ عقلاً وشرعاً، أمّا العقل فلإنّ الوصول الىٰ الآمال محالٌ مُمتنع وكلّ شيءٍ لا يمكن الوصول اليه فَطَلبه مذمُوم عقلاً لِكونه من تضييع الوقت ومع ذلك هو من طلب المجهول، المُمتنع والدّليل علىٰ ما ذكرناه هو إنّه لم يوجد في العالم من بَدو الخِلقة الىٰ زماننا هذا من وَصَل الىٰ آماله في الدّنيا وهكذا الأمر الىٰ آخر الدّنيا فإنّ حُكم الأمثال واحد وإذا كان كذلك فكيف يجوز لِلعاقل أن يمشي علىٰ طريقه وينتظر الوصول اليه وأمّا

الشّرع فقد ورد في ذمّه ما ورد وقد تقدّم البحث فيه غير مرّةٍ وذكرنا الأخبار والآيات الواردة في الباب ولا نرىٰ حاجة الىٰ التّكرار وقد قال رسول اللّه ﷺ إنّ أخوف ما أخاف عليكم إثنان إتّباع الهوىٰ وطُول الأمَل، وفي حديث آخر الحِرص وطول الأمَل، أمّا إتّباع الهوىٰ فيسّد عن الحقّ وأمّا طُول الأمَل فيُنسي الآخرة:

وأمّا قوله عليه السلام: **عَثَرَ بأجله**، فمعناه إنّ من جرىٰ في عِنان أمَله ولم يُقيّده فهو يسقط في المَوت قبل الوصول الىٰ أمَله والتّعبير بالسّقوط للدّلالة علىٰ غفلته فإنّ فَوت الغافِل سُقُوط في الحَقيقة:

﴿١٩﴾

□ قوله عليه السلام: أَقِيلُوا ذَوِي المُرُوَّاتِ عَثَرَاتِهِمْ فَمَا يَعْثُرُ مِنْهُمْ عاثِرٌ إلّا ويَدُ اللّهِ بِيَدِهِ يَرْفَعُهُ...

المُرؤات جمع مُرَوّة وهي بضّم الميم صفة لِلنّفس تحملها علىٰ فِعل الخَير لأنّه خير هكذا قيل في تعريفها والعَثرات، جمع عَثَرة وهي السّقطة والزّلة وإقالة العَثَرة رفعها والغَض عنها،والمعنىٰ إذا صدرت عن ذوي المَرؤاتِ وهم النُّجباء من النّاس عَثرةٌ وزلّةٌ فأقيلوها أي أرفعوها عنهم كإنّها لم تكن أصلاً سواء إعتذروا عنها أم لا وذلك لإنّه ما يعثر فيهم عاثِرٌ إلّا ويَد اللّه بيده يرفَعه كما رَفَع منهم العَثَرة أو إنّ اللّه يرفع مقام العاثِر في الدّنيا والآخرة وإنّما قال عليه السلام أقيلوا ولم يقل وأعفوا عنهم مثلاً مع إنّ مرجع الإقالة الىٰ العَفو والإغماض لِنكتةٍ خفّية وهي إنّ العَفو عبارة عن عدم مجازات العاصي مع إنّ أصل العِصيان ملحوظة منظُورة والإقالة عبارة عن رفع الشّئ وجَعله كإنّ لم يكن ومنه إقالة البَيع أي كانّه لم يقع فمقام الإقالة أعلىٰ وأشرف من مقام العَفو ولذلك ورد في الدّعاء (وأقِلني عَثرتي)

وعليه فالإقالة الإعراض عن الشّئ وجَعله كالعَدم وقد يُعبّر عنها بالصَفح قال اللّه تعالىٰ: ﴿ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (١)
و: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ (٢)

١- التغابن-١٤ ٢- النور-٢٢

و : ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (1) وأمثال ذلك من الآيات.

وأمّا وجه تخصيصها بذوي المَرُوَات مع أنّها جميلة حَسَنة على كلّ حال فلإنّ أهل المُرُوّة أولى بِالعَفو والإقالة عن غيرهم لإنّ الخطأ منهم قد يتّفق ومع ذلك يكون عن غير عمدٍ غالِباً بِخلاف غيرهم من الأشخاص الّذين يكون الذّنب منهم على حَسب عاداتهم ولعلّه لهذه الجهة قال عليه السلام في كلامه عَثَراتهم، ولم يقل خَطيئاتهم أو ذنوبهم مثلاً فإنّ العَثرة السّقطة والزّلة وهي في أكثر الأوقات لولا كلّها تكون بِغير عمدٍ وقد مرّ الكلام في العَفو والإقالة فيما مضى.

1- المائدة ـ 13

﴿٢٠﴾

□ قوله عليه السلام: قُرِنَتِ الهَيْبَةُ بِالخَيْبَةِ والحَيَاء بِالحِرْمانِ. والْفُرْصَةُ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ فانْتَهِزوا فُرَصَ الْخَيْرِ...

(الهَيْبَةُ) بفتح الهاء المُهابة وهي الإجلال والمَخافة وهي مصدر قولك هاب يَهاب هَيباً وهَيبةً ومَهابةً يقال هاب الشّئ إذا خافه وإذا وقّره وعظّمه خَوفاً منه (والخَيْبَةِ) بفتح الخاء أيضاً مصدر يقال خابَ خَيبةً إذا لَم يظفر بما طلب، وأنقطع أَمَله، خابَ سَعيه لم ينجح يصل الىٰ مراده، (الحَيَاء) بفتح الياء مَمدُوداً الإستحياء وهو الإنقباض والإنزواء عن القبيح مخافة الذّم قال الأخفش وهو يتعدّىٰ بنفسه وبالحرف فيقال إستحييتُ منه وإستحييته (الحِرْمانِ) بكسر الحاء مصدَر والماضي منه حَرِم بفتح الحاء وكسر الرّاء وفتحها يقال حَرِمه وحَرَمه حَرَماً وحَريماً وحِرماناً، مَنَعه إيّاه ولذلك قيل الحِرمان نقيض الرّزق (الْفُرْصَةُ) بضّم الفاء النّوبة وهي إسم من تقارص القَوم البئر يقال جائت فُرصتك من السّقي نوبتك (السَّحَابِ) بفتح السّين الغَيم والجمع منه، سُحُب (فإنْتَهَزوا) أمر من الإنتهاز أي فإغتَنِموا (فُرَصَ) بضّم الفاء وفتح الرّاء جمع فُرصة، كغُرَف جمع غُرفَة وفي المقام ثلاث أمور:

أحدها قوله عليه السلام: قُرِنَتِ الهَيْبَةُ بِالخَيْبَةِ، والمقصود من هذا الكلام هو إنّ الهَيبَة أعني الخَوف من الشّئ يقرن عَدَم الظّفر به فإذا خاف الإنسان من شئ يطلبه لا يصل اليه قطعاً فَمن رام الوصول الىٰ مقصدٍ قَصَده ينبغي أن لا يخاف من

الورُود والدّخول في طريق حصُوله ولهذا قيل إنّ الخَوف من الشّئ في الخَوف عنه وفيه إشارة بل دلالة علىٰ إنّ الإنسان يقدر بحسب إستعداده ولياقته الذّاتية علىٰ الظّفر بمقاصده المُمكنة دُنيَوية كانت أو أُخروية والّذي يمنعه عنه هو خوفه من عدم الوُصول ولذلك لا يُقدم عليه فإذا أزال عن نفسه هَيبته المَقصد ومخافته ويقدم علىٰ ما أراد وإستقام عليه فهو يَصِل اليه لا مُحالة فإنّ اللّه تعالىٰ قد سخّر له البّر والبَحر والجنّة ومقاماتها ألا ترىٰ إنّ الإنسان في القوس الصَعودي يصل الىٰ مقام القرب الّذي لا يصل اليه غيره من المَخلوقين كما إنّه في القوس النّزولي يكون كالأنعام بل أضَل سبيلاً هذا بحسب المعنويات وأمّا بحسب التّرقيات المّادية الدُّنيوية فهو أيضاً كذلك فتارةً يترّقىٰ الىٰ أعلىٰ المقامات وأحسن الإكتشافات والإختراعات وأخرىٰ ينظر ويتحّسر بل ويتّعجب ولا يعلم إنّه أيضاً كان قادِراً بحسب ذاته علىٰ ماظفر به غيره:

وثانيها: إقتران الحياء بالحِرمان، أيّ أنّ الحياء عن طلب الشئ مقترن بعدم الظّفر به وهو معلوم ولتوضيح المقال نقول، الحياء إنحصار النّفس وإنفعالها من إرتّكاب المحّرمات الشّرعية والعقلية والعّادية حَذراً من الذمّ واللّوم وهو أعمّ من التّقوىٰ إذ التّقوىٰ إجتناب المعاصي الشّرعية والحياء يعمّ ذلك وما يقبحه العقل والعُرف أيضاً وهو من أشرف الصّفات النّفسية ولذا ورد في فضله ما وَرَد:

قال الصّادق عليه السلام –الحياء من الإيمان والإيمان في الجنّة « جامع السّعادات ج ٣ ص ٣٦»...

وقال عليه السلام – الحياء والعفاف والعَيّ أعني عَيّ اللّسان لا عَيّ القلب من الإيمان «ص ٣٦»...

وقال عليه السلام – الحياء والإيمان مقرونان في قرن فإذا ذهب أحدهما تبعه صاحبه...

وقال عليه السلام لا إيمان لِمن لا حياء له «ص ٣٦»...

وقال رسُول اللّه ﷺ مَن ألقىٰ جِلباب الحياء فلا غيبة له، والأحاديث كثيرة جدّاً.

ثُمَ اِعلم أنّ الحياء علىء قسمين ممدوح ومذمُوم، فالأوّل كالحَياء من الباطِل والثاني كالحَياء من الحقّ وقد يُعبّر عن الأوّل بحياء العقل ومن الثّاني بحياء الباطل وهذا التّقسيم مأخوذ عمّا رُوي عن رسُول اللّه ﷺ حيث قال **الحَياء حياءان حياء عقلٍ وحياء حُمقٍ فحياء العقل هو العلم وحياء الحُمق هو الجهل** «مشكاة الأنوار ص ٢٣٣» إذا عرفتَ معنىٰ الحياء وأنّه علىٰ قسمين فقد عَلِمتَ أنّ الحَياء من الحقّ مذموم لا ينبغي للمؤمن الإتّصاف به لكونه مُستلزماً لِلحِرمان أعني عدم الوصول الىٰ الكمالات والبلوغ الىٰ المقامات وهذا هو المراد من كلام أمير المؤمنين ؑ في المقام وأمّا حَياء الحُمق فهو مَمدوح وإن كان مُستلزماً لِلحِرمان بالنّسبة الىٰ بعض الأشياء وتوضيحه إجمالاً هو أنّ الحرمان أيضاً علىٰ قسمين:

أحدهما: الحِرمان عن الباطل بمعنىٰ عدم الظّفر به فكلّ شئٍ يُوجب ذلك مَمدُوح وحيث أنّ الحياء باعث عليه فهو مَمدُوحٌ وصورة القياس هكذا:

الحَياء يُوجب عدم الظّفر بالباطل وكلّ ما يُوجب ذلك ممدوحٍ فالحَياء مَمدُوح:

وثانيهما: الحِرمان عن الحقّ ومن المعلوم أنّه مذموم لكونه مانعاً من الوصول اليه وصورة القياس الحَياء يُوجب الحِرمان عن الحقّ وكلّ ما كان كذلك مذمُوم فهو مذمُوم، والتّحقيق أنّ الحَياء قسم واحد ومعناه إنفعال النّفس وإنحصارها في إرتكاب شئ من الأشياء فأن كان الشّئ حقّاً فهو أي الحَياء يتّصف بالقُبح والحُمق وأن كان باطلاً فالحَياء متّصف بالحُسن وعليه فالحُسن والقُبح والعقل والحُمق من صفاته وشئونه بالإعتبار ولنضرِب لك مثلاً وهو أنّ المرأة إذا لَم تَتكلم مع الأجنبي حياءً فهو مَمدُوح بلا إشكال ثُمّ أنّ هده المرأة إذا لَم تتكلم معه لِلسؤال عن مسألةٍ شرّعية فهو مذمُوم وأن كان السّبب في عدم

السّؤال الحَياء في المرأة فالمرأة واحدة والحَياء فيها أيضاً واحد إلّا أنّه يختلف بإختلاف الأغراض والجامع هو الحقّ والباطل ولذلك وَرد في الأخبار مَدح الحَياء:

عن الصّادق عليه السلام قال قال رسُول اللّه صلى الله عليه وآله رحم اللّه عبداً إستحيىٰ من ربّه حقّ الحَياء: خفظ الرأس وماحَوي والبطن وما وَعىٰ وذكر القبر والبلىٰ وذكر أنّ له في الآخرة معاداً.«مشكاة الأنوار ص ٢٣٤»...

وقال رسُول اللّه صلى الله عليه وآله **إستحيوا من اللّه حقّ الحَياء الحديث وقال صلى الله عليه وآله الإيمان عريان ولباسه الحَياء وزينته الوفاء ومروّته العَمل الصّالح وعماده الدّرع ولكلّ شيْ أساس وأساس الإسلام أهل البيت «ص ٢٣٢»...**

وقد قال اللّه تعالىٰ في كتابه:**﴿إنّ اللّهَ لا يَستَحْيِ أن يَضرِبَ مَثَلاً مَا بَعُوضَةً﴾**[1]

وإذا كان اللّه تعالىٰ لا يستحي عن ضرب المَثَل في البعوضة إعلاماً للحقّ فكيف تستحي أنتَ عن السّؤال لتَرفع به جَهلك أو عن قول الحقّ لتنتشر به المَعروف أو لَيسَ هذا موجباً لِحرمانك عن الوصول الىٰ السّعادة الأبديّة وهذا هو المقصود في المقام:

وثالثها، أنّ الفُرصة تَمرّ مَرّ السّحاب فإنتهِزُوا فُرص الخير،

وقد روي عن رسُول اللّه صلى الله عليه وآله **أنّه قال إغتنِموا الفُرص فأنّها تَمرّ مَرّ السّحاب** فكلامه عليه السلام مأخوذ من كلام الرّسُول وهو مأخوذ من الوَحي وحاصل ما أفاده عليه السلام في المقام هو التّنبيه واليَقظة لِمن كان له عَقل ودين لا النّوم والغفلة في الدّنيا فأنّه شأن الجّهال والكفّار الّذين يظنّون أنّ هذه الدّنيا وما فيها باقية لهم أو يعتقدونَ بعدم الحساب والعقاب والثّواب بعد المَوت ولا كلام لنا معهم فعلاً وإنّما الكلام في ذوي العقول من المؤمنين المعتقدين بيوم الجزاء ففيما ذكره عليه السلام حثّ وترغيب الىٰ صالح الأعمال في الدّنيا وقوله عليه السلام: فإنتهِزوا إشارة

١- البقرة-٢٦

الىٰ الإستباق في الخيرات والمُسارعة الىٰ الحَسَنات في الأقوال والأفعال والأصل فيه قوله تعالىٰ في كتابه حيث قال:﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾ (١)

و: ﴿وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ (٢)

و: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ (٣)

و: ﴿وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (٤) وغيرها من الآيات: ولِنَشِر الىٰ بعض الأخبار أيضاً:

روي في جامع السّعادات عن النّبي ﷺ أنّه قال إغتَنِم خمساً قبل خمسٍ شبابك قبل هِرمك وصحتّك قبل سُقمِك وغِناك قبل فقرك وفِراغك قبل شغلك وحياتك قبل مَوتك،« ج ٢ ص ٣٣» ونحن قد تكلمّنا في الباب وذكرنا الأخبار فيه سابقاً بما لا مزيد عَليه:

١- البقرة ـ ١٤٨
٢- المائدة ـ ٤٨
٣- آل عمران ـ ١٣٣
٤- آل عمران ـ ١١٤

٢١

□ قوله ﷺ: **لَنا حَقٌّ فإنْ أُعْطِينَاهُ وإلّا رَكِبْنا أعْجَازَ الإبِلِ وإنْ طَالَ السُّرَي...**

قال الرّضي ﷺ: وهذا من لطيف الكلام وفصيحه، ومعناه إنّا إن لم نُعطَ حقنّا كُنّا أذِلّاء. وذلك أنّ الرّديف يركب عجز البعير، كالعَبد والأسير ومن يجري مجراهما...

وقال بعض الشّراح المعنىٰ أن لم نُعطَ حقّنا تحمّلنا المشّقة في طَلَبه وأن طالت الشّقة وركوب مؤخرات الأبل ممّا يشّق إحتماله والصّبر عليه: وقال المعتزلي نقلاً عن غيره نظير هذا وأنا أقول مضافاً الىٰ ما ذكروه في شرح العبارة أنّه لا شّك لأحدٍ أنّ مراده ﷺ من الحقّ في قوله لنا حقّ، هو الخلافة بعد موت النّبي ﷺ وفرض الطّاعة علىٰ النّاس وقوله فإنْ أُعْطِينَاهُ بصيغة المجهول أي فأن أعطىٰ النّاس حقنّا الّذي ثبت لنا وهو الخلافة والوِلاية فهو المطلوب منهم وإلّا أي وأن غَصبُوا حقنّا ومنعونا منه كما فعلُوا ذلك ركبنا أعجاز الابل وفيه وجهان:

الأوّل: أن يكون المراد بأعجاز الابل المَركَب الصّعب الشّاق وهو كناية عن الصّبر وعليه فالمعنىٰ ركبنا مركباً من الضّيم صعباً شاقاً صابرين علىٰ ذلك كما قال ﷺ في الخطبة الشّقشقية فَصبرتُ في العين قذىٰ وفي الحلق شجىٰ، وقال في موضع آخر منها فَصبرتُ علىٰ طول المدّة وشدّة المِحنة.

□ وقوله ﷺ: **وإنْ طَالَ السُّرَي أي وإنْ طَالَت الشّقة...**

الثّاني: أن يكون المراد بأعجاز الإبل تأخيره عن رُتبته وتقدّم غيره عليه والمعنىٰ أنّ قُدِمنا كما هو حَقّنا فهُو وأن أُخِرنّا عن رُتبتنا كتأخير من يُحمل علىٰ أعجاز الإبل عليه غيره مَحمولاً علىٰ ظهرها تأخّرنا وَصَبرنا وإن طالت الأيّام والجامع بين الوجوه هو إنّا لو مُنِعنا عن حقّنا نَصبر عليه وأن طال الصّبر فأنّ الله يحبّ الصّابرين: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ (١) وقد مضىٰ البحث فيه مفصلاً عند الخطبة الشّقشقية:

١ - الشعراء - ٢٢٧

﴿٢٢﴾

▫ قوله ﷺ: مَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ...

أبطأ فعل ماضٍ ومصدره الإبطاء من البُطوء وهو ضدّ السُّرعة والمقصود إنّ الإنسان إذا كان بَطيئاً في عَمَلهُ لمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ وفي بعض النّسخ نَسَبه أي لا يفيده الحَسَب والنَّسب والمراد بالعَمَل البَطيء أمّا نقصه من حيث الشّرائط المقرّرة في الشّريعة أو عدم مُبالاته في الإتيان به وعَدمه ومحصّل الكلام هو إنّ التقّرب الىٰ اللّه والفوز الىٰ السّعادة الأبدية إنّما هو بإستباق الخيرات .

ومُسارعة الحَسنات لا بالحَسَب والنَّسب والدّليل عليه من الكتاب قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (١)

و : ﴿قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ (٢)

و : ﴿وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ﴾ (٣)

وقال رسول اللّه ﷺ: إنّ نبيّكم واحد وإنّ أباكم واحد وإنّه لا فضل لعربيّ علىٰ عجميّ ولا لأحمر علىٰ أسود إلّا بالتّقوىٰ ألا هل بلّغت:

١- الحُجرات ـ ١٣ ٢- الأنعام ـ ١٣٥
٣- هود ـ ٩٣

وقال الأصمعي بينما أنا أطوف بالبيت ذات ليلة إذ رأيتُ شاباً متعلِقاً بأستار الكعبة وهو يقول:

يا من يُجيب دُعا المُضطّر في الظُلّم
يــا كــاشف الضّر والبلوىٰ مع السِقّم
قــد نــام وفَــدَك حول البيت وإنتَبهُوا
وأنتَ يــا حــيّ ويــا قــيّوم لم تــنِم
أدعــوك ربّــي حَــزيناً ائِــماً قَــلِقاً
فأرحــم بُكــائي بــحقّ البيت والحَــرَم
إن كــان جُــودِك لا يــرجــوه ذو سَــفهٍ
فَــمَن يــجُود عــلىٰ العــاصين بــالكَرَم

ثمّ بكىٰ بُكاءاً شديداً وأنشد يقول:

ألا أيّــــها المــقصود فــي كــلّ حــاجةٍ
شكــوتُ اليك الضُــرّ فأرحــم شكــايتي
ألا يــــا رجــــائي أنت تكشــف كُــربتي
فَــهَب لي ذنــوبي كلّها وأقــض حــاجتي
أتــــيتُ بــــأعمال قــــبائح رَديــئة
ومــا فــي الورىٰ عــبدٌ جَنىٰ كجنايتي
أتَــــحرقني بــــالنّار يــــا غــاية المُــنىٰ
فأيــــن رَجــــائي ثــــمّ أيــنَ مَــخافتي

ثمّ سَقَط علىٰ الأرض مغشّياً عليه فدنوتُ منه فإذا هو زين العابدين علي إبن الحُسين بن علي بن أبي طالب فرفعتُ رأسه في حُجري وبكيتُ فقطرت دَمعة من دُموعي علىٰ خدّه ففَتح عينَيه وقال من هذا الّذي يهجم علينا قلت عُبيدك الأصمعي سيّدي ما هذا البُكاء والجَزَع وأنت من أهل بيت النّبوة ومعدن الرّسالة أَليس اللّه تعالىٰ يقول: **﴿إنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ**

وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[1] فقال عليه السلام هيهات هيهات يا أصمعي إنّ اللّه خَلق الجنّة لِمَن أطاعَه ولو كان عبداً حبشيّاً وخلق النّار لِمَن عصاه ولو كان حُرّاً (سيّداً) قرشيّاً أليس اللّه تعالى يقول:﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلاَ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلاَ يَتَسَاءَلُونَ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾[2] وقال سلمان الفارسي:

أَبـي الإســلام لا أبَ لِي ســواه ... إذا إفــتخروا بِـقيسٍ أو تـميمِ

وكفاك في المقام توضيحاً للمقال أنّ اللّه تعالى قد ذمّ أبا لَهب في كتابه وقال:﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾[4] وقال في إمرأته:﴿وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾[44] مَعَ أنّه كان عمّاً للنّبي صلى الله عليه وآله وإبناً لعبد المُطّلب وقد تبرّءَ اللّه ورَسُوله منه ولم يُراعي فيه حَسَبَه، ومَدَح رسُول اللّه سلمان الفارسي ولم يكُن له حَسَب شريف ولا قرابة مع الرّسُول وقال صلى الله عليه وآله فيه سلمان منّا أهل البيت، وليس هذا إلّا ببركة الإسلام والإطاعة لِلّه ولِرسُوله:

١- الاحزاب ٣٣

٢- المؤمنون ـ ١٠١ـ١٠٥

٤- تبت ـ ١

٤٤- تبت ـ ٤

﴿٢٢﴾

▫ قوله عليه السلام: مِنْ كَفَارَاتِ الذُّنُوبِ الْعِظَامِ إغاثَةُ المَلْهُوفِ والتَّنْفِيسُ عَنِ الْمَكْرُوبِ...

(إغاثَةُ) بكسر الألف مصدر قولك أغاثَ يُغيث إغاثةً والإغاثة الإعانة والنُصرة (مَلهُوفِ) بفتح الميم على وزن مضروب إسم مفعولٍ من لَهفَ يلْهف، واللّهف الظُلم (تنْفِيسُ) مصدر باب التّفعيل وماضيه نَفس يُقال نَفس يُنفس يقال نَفّس عنه الكُربة أي فرّجها (مَكْرُوبِ) أيضاً مفعول من كرب يكرب والكَرب الغّم والمعنى أنّ النَصر لِلمظلوم وتفريج الغّم منه لمن يقدر عليه من كفّارات ذُنوبه أي هو بسبب نُصرته المظلُوم يُكفّر عن ذُنوبه وسيّئاته:

روي في البحار بأسناده عن النّبي صلى الله عليه وآله قال أنّ النّبي أمَرَ بَسَبع، عيادة المريض، وإتباع الجنازة، وإبرار القسم، وتسميت العاطس، ونَصر المظلوم، وإفشاء السّلام، وإجابة الدّاعي...

وفي خبر مناهي النّبي صلى الله عليه وآله أنّه قال ألا ومن فَرّج عن مؤمنٍ كربةً من كُرَب الدّنيا فَرّج اللّه عنه إثنين وسبعين كُربة من كُرَب الآخرة وإثنين وسبعين كُرَب من كُرَب الدّنيا...

وبأسناده عن الصّادق عن آبائه قال رسُول اللّه صلى الله عليه وآله أوحىٰ اللّه تعالىٰ الىٰ داوُد النّبي يا داوُد أن عبداً من عبادي ليأتيني بالحَسَنة فأحكم له بالجنّة قال داوُد وما تلك الحَسَنة قال تعالىٰ كُربة ينفّسها عن مؤمن بقدر تُميرة أو شّق

تمرة فقال داوُد يا ربّ حقٌّ لمن عرفك أن لا يقطع رجاءه منك...

وبأسناده عن أسيد بن خضير قال قال رسُول اللّه ﷺ من أغاث أخاه المؤمن حتّىٰ يخرجه من هم وكُربةٍ وَوَرطةٍ كتب اللّه له عشر حَسنات ورفع له عشر درجات وأعطاه ثواب عِتق عشر نسيمات ورَفع عنه عشر نقمات وأعدّ له يوم القيامة عشر شفاعات...

وبأسناده عن زيد الشّحام قال سمعت أبا عبد اللّه ؑ يقول من أغاث أخاه المؤمن اللّهفان عند جُهده فنفّس كربته وأعانه علىٰ نجاح حاجته كانت له بِذلك عند اللّه إثنَتان وسبعُون رحمة مِن اللّه يعجّل له منها واحدة يصلح بها معيشته ويدّخر له إحدىٰ وسبعين رحمة لإفزاع يوم القيٰمة وأهوالها...

والأحاديث في الباب كثيرة وما نقلناه نقلناه عن البحار« ج ١٥ كتاب العَشرة ص ١٢٣ » بل يظهر من الرّوايات وجُوب إغاثة المَلهُوف والتنفيس عنه إذا كان المَظلُوم من المؤمنين...

كما روي في البحار بأسناده عن أبي عبد اللّه ؑ قال ما من مؤمنٍ يَخذل أخاه وهو يقدر علىٰ نُصرته إلّا خَذله اللّه في الدّنيا والآخرة:

وعنه ؑ عن أبيه قال لا يحضّرن أحدكم رجلاً يضربه سلطان جائر ظُلماً وعِدواناً ولا مقتولاً ولا مَظلوماً إذا لم ينصره لإنّ نُصرة المؤمن علىٰ المؤمن فَريضة واجبة إذا هو حَضَره والعافية أوَسع ما لم يلزمك الحجّة الظّاهرة«ص ١٢٣»...

۲۴

▫ **قوله عليه السلام: ياابْنَ آدَمَ إِذَا رَأَيْتَ رَبَّكَ سُبْحانَهُ يُتابِعُ عَلَيْكَ نِعَمَهُ وأَنْتَ تَعْصِيهِ فَأْحْذَرْهُ...**

وذلك لإنّ الشّكر على النِعمة من الواجبات العقلية والشّرعية وقد إتّفقوا على وجُوب شكر المُنعِم، وعليه فتتابع النِعم يُوجب تتابع الشّكر فإذا عصى العبد ربّه فهو في الحقيقة لم يشكره عَمَلاً بل هو كافر بنِعمَته فصار مُصداقاً لِقوله تعالى: ﴿ولَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذابِي لَشَدِيدٌ﴾ (١)

ولِذلك قال عليه السلام فأحذره أي فأحذر من عَذابه الّذي يصل اليك بسبب عَدَم الشّكر وفي قوله عليه السلام: **يُتابِعُ عَلَيْكَ نِعَمَهُ** إشارة الى قوله تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ (٢) وقد مرّ الكلام مِنّا في الشكّر وبينّا ماهيّته وأقسامه وذكرنا الآيات والأخبار الواردة فيه غير مرّة في هذا الكتاب ولا سيّما المجّلد الأوّل منه ولِنعم ما قاله العطّار بالفارسية:

ای‌که بر خوان خُدا نان مَیخوری	واین هَمة فرمان شیطان میبري
رَه رَوان رفتند وتو در ماندهٔاي	حَلَقة بر دَر زَن که بَس واماندهٔاي
اي سرا وباغ تو زندان تو	خانمان تو بَلاي جان تو
در غم دنیا گرفتار آمدي	خاک بر فرقت که مِردار آمدي
چشم همّت بَر گُشا وَره بین	پس قدم در رَه نه ودرگه به بین
ازقدم تافرق نعمتهای‌اوست	عرض‌کُن برخویش‌نعمتهای‌دوست
تابدانی کز که دُور افتادهٔای	واز جدائی چه صَبُور افتادهٔای

١- إبراهيم ـ ٧
٢- لقمان ـ ٢٠

﴿٢٥﴾

▫ قوله ﷺ: ما أضْمَرَ أحَدٌ شَيْئاً إلّا ظَهَرَ في فَلَتاتِ لِسَانِهِ وصَفَحَاتِ وَجهِهِ ...

(فَلَتاتِ) مُحَرّكة جمع فَلَتة وهي المرّة من الفَلت بمعنىٰ التُخلص يقال ملَكَ منه فَلت، أي تَخلّص والفَلتَة تقال للأمر الّذي يقع من غير إحكام وفي الكلام زلّاته وهَفَواته (صَفَحَاتِ) جمع صَفحة وصَفحة الوَجه ظاهره وكلمة (ما) في قوله ﷺ ما أضمر أحَد، نافية بمعنىٰ ليس والإضمار الإستتار والمعنىٰ لا يَستتر أحَدٌ شيئاً في قلبه إلّا وأنّ المَستور ظَهر في فَلتات لسانه أي في زلّات كلامه وهَفَواته وصَفحات وجهه والمقصود أنّ العاقل يفهم من كلام المتكلم وظاهر بَشَرته أنّ في قلبه شيئاً مَستُوراً والسّر فيه هو أنّ الظّاهر عنوان الباطن واللسان مُعربٌ عمّا في الضّمير فاذا كان القلب مُضطرباً مُتزلزلاً باضمار الشّئ فيه يُؤثر ذلك في الكلام ويُوجب القَلق فيه.

وكذا صَفحة الوَجه إنقباضاً وإنبساطاً ألا ترىٰ أنّ السّرور في القلب يُوجب الإنبساط في الوجه والسّلاسة في الكلام كما أنّ الحزن فيه يُوجب الإنقباض في الوجه وكونه عَبُوساً واللُكنة في الكلام والبيان وهذا الّذي ذكره ﷺ مَعلوم لكلّ ناظرٍ بصيرٍ وعاقلٍ خَبيرٍ في كلمات النّاس وصَفحات وجوههم كما قيل:

ومهما تكُن عند إمرؤٍ من خليقةٍ ... وأن خالهاتخفىٰ علىٰ النّاس تُعلَم

وقال الآخر:

وفي عَينَيك ترجمةٌ أراها ... تدلّ علىٰ الضّغائن والحقُود

وأخلاق عهدتَ اللّين فيها ... غَدت وكأنّها زُبر الحديد

وقد عاهدتني بخلاف هذا ... وقال اللّه أوفوا بالعقُود

٢٦

▫ **قوله عليه السلام: إمْشِ بِدَائِكَ ما مَشَىٰ بِكَ...**

وفي أكثر النّسخ بداءك وفي نسخة المُحّقق البحراني (**إمْشِ بِدَائِكَ**)ما حَمَلك ثمّ قال وفي روايةٍ ما مشىٰ بك ولذلك إختلف المعنىٰ أيضاً.

فالشّارح المُعتزلي حيث ضَبَط اللّفظ بدايك ما مشىٰ بك، علىٰ مارأيناه في النّسخة الجديدة قال في شرح الكلام ما لفظه:

يقول عليه السلام مهما وجدتَ سبيلاً الىٰ الصّبر علىٰ أمرِ التّي قد دفعتَ اليها وفيها مشّقةعليك وضررٌ لاحق بك فأصبر ولا تلتمس طريقاً الىٰ تغيير ما دفعت اليه أن تَسلكها بالعُنف ومراغمة الوقت ومعاناة الأقضية والأقدار الىٰ آخر ما ذكره:

وأمّا من ضَبَط اللّفظ بدَاءِك وهو أكثر الشّراح فالمعنىٰ مادام الدّاء سهل الإحتمال يمكنك مَعَه العَمل في شئونك فأعمل فأن أعياك فأسترح له، وقال المّحقق البحراني في شرح العبارة أي ما دام المَرض لا يَنهَضك ويَعجزك فلا تنفعل عنه ولا تتعاجز به بل كُن في صُورة الأصّحاء وقيل فيه إيماء الىٰ ما أُمر به من كتمان المَرض كما قال الرّسول من كنوز البّر، كتمان الصّدقة والمَرض والمُصيبة الىٰ آخر ما قال:

وأنا أقول: في العبارة إحتمالات من حيث اللّفظ وبها تختلف المعاني قهراً ونحن نشرحها إجمالاً:

أحدها: أن تكون العبارة، إمشِ بداءك ما مشىٰ بك وعليه فلا يبعد أن يكون

المراد من المَشي في قوله ﷺ: (إمشِ) الصّبر علىٰ سبيل الكناية والمعنىٰ إصبر علىٰ داءك ما قَدرت علىٰ المَشي مَعه وقد رُوي عن النّبي ﷺ إنّه قال إصبر علىٰ الدّاء ما قدرَت علىٰ المَشي مَعه أي لا تصبر علىٰ الدّاء والمَرَض بـعَدم مُعالِجتك إيّاه حتّىٰ صار المَرَض قويّاً شديداً لا تقدر علىٰ مُعالجته إلّا بصُعوبةٍ وتعجز عن الحَرَكة مَعَه بل عالجه قبل ذلك فإنّ الإهمال في المعالجة ربّـما يفضي الىٰ مقاهرة ذلك المَرَض الصغّير بالأدوية الىٰ أن يصير كَبيراً مُعضِلاً كما قيل بالفارسيّة:

سَرِ چشمه شـايد گـرفتن بـه‌بيل چه پُرشد نشايد گرفتن بـه‌پيل

ومحصّل الكلام عالِج مَرَضك قبل أن تَعجز عن مُعالجَته أمّا بعَدم القُدرة علىٰ المشي والحَرَكة أو بسبب كون المَرَض صَعب العِلاج وكيف كان عالج الواقَعة قبل وقوعها هذا إن أرِدنا من الدّاء معناه العُرفي وهو الدّاء الجسماني أعني به المَرَض وإن أرِدنا منه معناه العَام الشّامل لِلدّاء الرّوحي أيضاً كالبُخل والحَسَد والكِبَر وأمثالها فالمعنىٰ أيضاً واضِح فإنّ كلّ مَرَضٍ من الأمراض رُوحَياً كان أو جسمَياً ينبغي لِصاحبه أن يُعالجه قبل شدّته وقُوتّه ولا فرق فيه بين المقامين وبذلك قد ظهر لك إنّه لا دليل علىٰ حمل العبارة علىٰ الدّاء الجسمي فقط بل القاعدة تقتضي حَمَلها علىٰ العمُوم ما لم يدّل دليل علىٰ التّقيد وما نحن فيه كذلك:

وثانيها: أن تكون العِبارة، إمشِ بِدائِك ما حَمَلك، كما في النّسخة البحراني‎‎‎‎‎‎:

والمعنىٰ إمشِ بِدائِك ما حَمَلك عليه أي عالِج دائِك ممّا وُجد الدّاء وبعبارةٍ أُخرىٰ تأمّل في مَرَضك لِتَعلَم مَنشأه ومَولِدَه ثمّ عالِجه بِقَطع الأصل ألا ترىٰ إنّ الطّبيب يسأل عنك قبل المعالجة عن عِلّة المَرَض فيقول لك ما أكَلت مثلاً أو مافعلتَ فَصِرتَ مَريضاً فتقول أكَلتُ غَذاءاً كذا أو فعلتُ كذا وبعد ذلك يُعالِجُك وليس هذا السّؤال إلّا لأجل علم الطّبيب بِمَولِد المَرَض لِيقدر به علىٰ

قطع المادّة عن بَدَنك وهكذا في الأمراض الرّوحانية فإنّ الدّواء الواقعي فيك كما إنّ الدّاء فيك فأطلب الدّواء من حيث وُجد الدّاء وإلىٰ هذا المعنىٰ يُشِير قوله:

دواءك فـــيك ولا تشـــعر وداءك مـــنك ولا تُـــبصر

وأمّا قول المحّقق البحراني ﷺ في شرح العِبارة من إنّه ما دام المَرَض لا ينهضك ولا يعجزك فلا تنفعل عنه ولا تَتعاجز وكُن في صُورة الأَصّحاء فليس في محلّه وهكذا قوله بِحُسن كِتمان المَرَض وإنّه مأمور به وذلك لإنّ ما ذكره ﷺ علىٰ فرض صِحّته في مورده لا يناسب العِبارة والله أعلم:

وثالثها: أن تكون العِبارة، أمشِ بِدأبك ما مشىٰ بك، كما في النّسخة المُعتزلي الجَديدة،

وعليه فالمعنىٰ إمشِ بطَبيعتك ما مشىٰ بك فأنّ الدَّأب الطّبيعة والجِبِلّة والعادة وأمثالها يُقال دأبُه كذا أي عادته وطبيعته كذا ومحصّل المعنىٰ إمشِ مع النّاس ما مشَوا بك وهذا لا يستقيم عقلاً وشرعاً ولذلك نقول أنّ الدّأب في العبارة لا معنىٰ له في المقام وكأنّه من خبط النّاسخ أو الطّبع فإنّا راجعنا الىٰ نسخته المطبوعة القديمة فكان المضبوط هناك إمشِ بدائك علىٰ وُتيرة سائر النّسخ:

٢٧

▫ قوله ﷺ: **أفضَلُ الزُّهْدِ إخْفاءِ الزُّهْدِ...**

الزُّهْد بِضَم الزّاء وسكون الهاء مَصدر يُقال زَهَد وَزَهِدَ وزَهَدَ زُهداً وزهادةً، رَغَبَ عنه وتَرَكَه وهو في الإصطلاح عبارة عن ترك الدّنيا والتّخلي عنها للعبادة فلو تَرَكها لا لها فليس بزاهدٍ إصطلاحاً ولذلك قالوا في تعريفه أنّه الرّغبة عن الدّنيا عُدولاً الىٰ الآخرة أو عن غير الله عُدولاً الىٰ الله وكيف كان فهو من أعلىٰ الصّفات وأفضلها بل هو أصل الفضائل والكمالات إذ لا تحصل الفضائل إلّا به ثمّ أنّه أي الزُّهد إذا كان عن غير الله تعالىٰ بمعنىٰ أنّ الزاهد رغب عن كلّ ما سوىٰ الله حتّىٰ الفراديس ولم يحبّ إلّا الله فهو الزُّهد المُطْلَق ومن رغب عن حظوظ الدّنيا خوفاً من النّار أو طمعاً في نعيم الجنّة من الحُور والقصُور والفواكه والأنهار فهو أيضاً زاهد ولكنّه دُون الأوّل، ومن ترك بعض حظوظ الدّنيا دون بعضٍ كالّذي يترك المال دُون الجاه فهُو ليس بزاهدٍ والزُّهد أحد منازل الدّين وأعلىٰ مقامات السّالكين قال الله تعالىٰ في كتابه: ﴿**فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ**،الىٰ قوله **وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ**﴾[1] فنسب الزّهد الىٰ العلماء ووصف أهله بالعلم وهو غاية المَدح والأخبار الواردة في فضله كثيرة قال رسُول الله ﷺ **إذا أراد الله بعبدٍ خيراً زَهّدَه في الدّنيا ورغّبه في الآخرة وبصّره بعيُوب نفسه...**

---

١ - القصص ـ ٧٩

وقال ﷺ – أزهد في الدّنيا يُحبّك اللّه وإزهد فيما في أيدي النّاس يُحبك النّاس...

وقال ﷺ – إذا رأيتم العَبد قد أُعطي صمتاً وزُهداً في الدّنيا فأقترِبُوا منه فأنّه يلّقي الحِكمة...

وقال ﷺ – من إشتاق الىٰ الجنّة سارع الىٰ الخيرات ومن خاف النّار لَها عن الشّهوات ومن ترقب المَوت ترك اللّذات ومن زَهد في الدّنيا هانت عليه المُصيبات «جامع السّعادات ج ٢ ص ٥٧ و ٥٨»...

والأحاديث في مَدحه كثيرة قد ذكرنا شطراً منها فيما مضىٰ:

ثمّ أنّ قوله ﷺ: **أفْضَلُ الزُّهْدِ إخْفاءِ الزُّهْدِ** إشارة الىٰ نكتته خَفِيّة وهي أنّ الزُّهد شئ وإخفائه عن النّاس شئ آخر والثّاني أفضل ومع ذلك أصعَب من الأوّل وتوضيحه أنّ ترك الدّنيا تارةً يكون لِلدّنيا وأُخرىٰ يكون لِلآخرة فَمن تركها لِلآخرة أخفىٰ زُهّده عن النّاس ومن تركها للوصول اليها تظاهر به ومن المعلوم أنّ العَمل إذا كان خالصاً لِلّه تعالىٰ فلا يعلمه إلّا هو.

فَعدَم إخفاء الزُّهد عن المخلوق يرجع الىٰ العُجب والرّياء وقد ثبت أنّ عَمَل المُرائي لا خير فيه إذ المُرائي يطلب بذلك المنزلة في قلوب النّاس وهو أدلّ دليلٍ علىٰ أنّ عَمَله لم يكن لِلّه تعالىٰ وقد ورَد في ذمّ الرّياء ما قد وَرَد، قال اللّه تعالىٰ: ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَآؤُنَ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ (١)

و : ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً﴾ (٢)

و : ﴿يُرَآؤُنَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلاً﴾ (٣)

و : ﴿كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ﴾ (٤)

وقال رسُول اللّه ﷺ أنّ أخوف ما أخاف عليكم الشّرك الأصغر قالوا وما

١- الماعون-٧
٢- الكهف-١١٠
٣- النّساء-١٤١
٤- البقرة-٢٦٣

الشّرك الأصغر قال ﷺ الرّياء يقول الله عزّ وجلّ يوم القيامة للمرائين إذا جازى العباد بأعمالهم إذهبُوا الى الّذين كنتم تُراؤن لهم في الدّنيا فإنظروا هل تجدون عندهم الجزاء:

وقال ﷺ لا يقبل الله تعالى عَملاً فيه مثقال ذَرةٍ من رِياء:

وقال ﷺ - أنّ المرائي ينادي عليه يوم القيامة يا فاجر يا غادر يامرائي ضلّ عملك وحَبط أجرَك إذهب فخُذ أجرك مِمّن كُنت تعمَل له « ج ٢ ص ٤٧٠ باب الرّياء». وهناك أحاديث كثيرة هذا الّذي ذكرناه من أنّ عدم إخفاء الزّهد يرجع الى الرّياء أنّما هو فيما إذا كان الزّاهد بصدد إعلانه عَمداً وأمّا إذا لم يكن متّعمداً فيه فلا فأنّ الأعمال بالنّيات:

۲۸

قوله عليه السلام: إذا كُنْتَ في إدْبارٍ والمَوْتُ في إقْبالٍ فَما أسْرَعَ المُلْتَقىٰ...

أي إذا كُنتَ في إدبارٍ من الدّنيا بحسب مضي الزّمان وزوال العُمر ساعةً بعد ساعةٍ ولحظةً بعد لحظةٍ كما هو كذلك بالنّسبة الينا والمَوت في إقبالٍ بالنّسبة اليك فأنّه يقرب اليك كلّ لحظةٍ وليس له إدبار عنك ولا لك إدبارٌ عنه ففي هذه الصُورة ما أسرَع المُلتقىٰ أي تكون المُلاقاة سريعة لا محالة وفي هذا الكلام حَثّ علىٰ التّوجه الىٰ المَوت وعدم الغفلة عنه والىٰ هذا المعنىٰ أُشير في القرآن حيث قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنهُ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ﴾ (١) وقال: ﴿قُلْ لَن يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ﴾ (٢)

قال أمير المؤمنين عليه السلام أيّها الـنّاس إتّـقُوا اللّـه الّـذي إن قُـلتم سَـمع وإن أضمرتُم عَلِم وبادرُوا لِلموَت الّذي إن هَربتُم أدرَكَكُم وإن أقمتم أخذكم وإن نسيتُموه ذكركم« مشكاة الأنوار ص ۳۰۳» وقد تكلّمنا في المَوت غير مرّةٍ بما لا مزيد عليه ولنعم ما قيل:

إعمل وأنتَ صحيح مطلق فرحٌ ... مادُمتَ ويحك يامغرور في مَهَلٍ
يرجُو الحياة صحيح ربّما كَمُنت ... له المـنّية بـين الزّبـد والعَسَـلُ

وقال الآخر:

ومُـتعب الرّوح مـرتاح الىٰ بـلدٍ ... والمَـوت يـطلبه فـي ذلك البَـلَد

١- الجمعة ـ ٨

٢- الأحزاب ـ ١٦

٢٩

▫ قوله ﷺ: أَلحَذَرَ الحَذَرَ فَوَا اللّٰهِ لَقَدْ سَتَرَ حَتّٰى كَأَنَّهُ قدْ غَفَرَ...

تكرار اللّفظ لِلدّلالة علىٰ التّأكيد والواو في قوله ﷺ: فَوَا اللّٰهِ، لِلقَسَم والمعنىٰ إحذَر عن المَوت أو عن سخط اللّه وغضبه وما أعدّه للعصاة يوم الجزاء فوا اللّه أي أُقسِم باللّه لَقد سَتَر اللّه علىٰ العَبد سيّئاته في الدّنيا حتّىٰ كأنّه قد غَفَر أي حتّىٰ ظنّ العَبد أنّه مَغفور لا ذنب له وفيه إشارة الىٰ أنّ السّتارية فيه تعالىٰ صارت باعثة علىٰ وجود بعض الأوهام الكاذبة في بعض الأفراد مِمّن لا عِلم له بحقيقة الحال فظنّ أنّ اللّه تعالىٰ قد غَفَر له ولم يعلم أنّه يَستُر الذّنب علىٰ عبده إمهالاً له ليتنبّه عن نوم الغَفلة ثُمّ يأخذه أخذَ عزيزٍ مُقتدِر وقد مرّ البحث في الباب سابقاً.

﴿٣٠﴾

□ قوله عليه السلام: وسُئِلَ عَنْ الإيمانِ فَقَالَ، الإيمَانُ على أرْبَعِ دَعائِمَ على الصَّبْرِ واليَقِينِ وَالْعَدْلِ والجِهادِ وَالصَّبرُ مِنها على أرْبَعِ شُعَبٍ على الشَّوْقِ والشَّفقِ والزُّهدِ والتَّرقُّبِ .فَمَنِ اشْتَاقَ إلىٰ الجَنَّةِ سَلاَ عَنِ الشَهَوَات .ومَنْ أشْفقَ مِنَ النَّارِ اجْتَنَبَ المُحَرَّماتِ.ومَنْ زَهِدَ فيِ الدُّنْيا اسْتهانَ بالمُصِيبَاتِ. ومَنِ ارْتَقَبَ المَوْتَ سَارَعَ إلىٰ الخَيْرَاتِ والْيَقينُ مِنْها على أرْبَعِ شُعَبٍ على تَبْصِرةِ الْفِطْنَةِ وتَأوُّلِ الْحِكْمَةِ .وَموعِظَةِ الْعِبْرَةِ وسُنَّةِ الأوَّلين. فَمَنْ تَبصَّرَ في الْفِطْنَةِ تَبيَّنَتْ لهُ الْحِكْمَةُ ومَنْ تَبيَّنَتْ لهُ الْحِكْمَةُ عَرَفَ الْعِبْرَةَ وَمَنْ عَرَفَ الْعِبرَةَ فكأنَّما كانَ في الأوَّلينَ، والْعَدْلُ مِنْها عَلىٰ أرْبَعِ شُعَبٍ عَلىٰ غائِصِ الْفَهمِ وغَوْرِ الْعِلْمِ وزُهْرَةِ الْحُكْمِ وَرَسَاخَةِ الحِلْمِ .فَمنْ فَهِمَ عَلِمَ غَوْرَ الْعِلْمِ ومَن عَلِمَ غَوْرَ الْعِلْمِ صَدَرَ عَنْ شَرائعِ الْحُكْمِ ومَنْ حَلُمَ لمْ يُفَرِّطْ في أمْرِهِ وعاشَ في النَّاسِ حَمِيداً .والْجِهاد مِنْها عَلىٰ أرْبَعِ شُعَبٍ عَلىٰ الأمْرِ بالمَعْرُوفِ والنَّهْيِ عَن المُنْكرِ.والصِّدْقِ فِي المَواطِنِ وَشَنَآنِ الْفاسِقِينَ فَمنْ أمَرَ بِالمَعْرُوفِ شَدَّ ظُهُورَ المُؤْمِنينَ. ومَنْ نَهىٰ عَنِ المُنْكرِ أرْغَمَ أنُوفَ الْكافِرينَ ومَنْ صَدَقَ في المَواطِنِ قَضَى ما علَيْهِ ومَنْ شَنِئَ الْفاسِقِينَ وغَضِبَ لِلّهِ غَضِبَ اللّهُ لهُ وأرْضَاهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ، وقال عليه السلام الْكُفْرُ علىٰ أرْبَعِ دَعائِمَ علىٰ التَّعمُّقِ والتَّنازُعِ والزَّيْغِ والشِّقاقِ فَمنْ تَعَمَّقَ لمْ يَنِبْ إلىٰ الحقِّ ومَنْ كَثُرَ نِزَاعُهُ بالجَهْلِ دَامَ عَمَاهُ عَنِ الْحَقِّ ومَنْ زَاغَ سَاءَتْ عِنْدَهُ الْحَسَنَةُ وحَسُنَتْ عِنْدَهُ السَّيِّئةُ وَسكِرَ سُكْرَ الضّلاَلةِ .وَمَنْ شَاقَّ وعُرَتْ عليْهِ طُرُقُهُ

.وأعْضَلَ عليْهِ أمْرُهُ وضَاقَ عليْهِ مَخْرَجُهُ، والشَّكُ علىٰ أرْبَعِ شُعَبٍ عَلىٰ التَّمارِي والْهَوْلِ والتَّرَدُّدِوالإسْتِسْلاَمِ فَمنْ جَعَلَ الْمِرَاءَ دِيناً لمْ يُصْبِحْ لَيْلُهُ ومَنْ هالَهُ ما بيْنَ يَدَيْهِ نَكَصَ عَلىٰ عَقِبَيْهِ .وَمَنْ تَرَدَّدَ في الرَّيْبِ وَطِئَتْهُ سَنَابِكُ الشَّياطِينِ ومَن اسْتَسْلَمَ لِهَلَكَةِ الدُّنْيا والآخِرَةِ هَلَكَ فِيهِمَا...

وبَعْدُ هذاالكلاَمُ تَرَكْنا ذِكْرَهُ خَوْفَ الإطَالَةِ والْخُرُوجِ عَنَ الغَرَضِ المَقْصُودِ في هذا البَابِ...

◁ اللّغة

(الإِيمَانِ) إيمان بكسر الألف مصدر مِن آمَن يُؤمِنُ بمعنى الإعتقاد الجازم المقرون بالقول والعَمَل (دَعائِمَ) جمع دُعامة وهي عماد البيت (شُعَبٍ) بِضَم الشّين وفتح العين جمع شُعبة (الشَّفَقِ) بالتّحريك الخَوف (التَّرَقُّبِ) بضَم القاف مصدر باب التَّفعّل والفِعل منه تَرَقَّب مثل تَصَرفَ (سَلىٰ) بفتح السّين فعل ماضٍ مثل رَمىٰ يُقال سَلىٰ عنه إذا خَرَج وصَبفىٰ منه (أشْفَق) خافَ (ارْتَقَبَ) بكسر الألف فعل ماض أي إنتظر (الْفِطْنَةِ) بكسر الفاء مَصدر والفعل منها فَطِن، الحذاقة وسُرعة الفهم (تَأوُّلِ) بفتح التّاء وفتح الهمزة وضمّ الواو مصدر باب التّفعل والفعل منه تَأوّل مثل تَصرف تَأوُّلِ الحكمة الوصول الىٰ دقائقها (الْعِبْرَةَ) بكسر العين وسكون الباء وفتح الرّاء العِظة والنّظر في الأحوال تُجمع علىٰ العِبَر (غائِصٍ) الفاعل من غاصَ يَغُوص يُقال غاصَ في الماء إذا غَطِسَ ونَزَل فيه ومنه الغَوّاص (غَوْرِ) بفتح الغين مصدر يقال غار يغُور غَوراً يقال فلان بعيد الغَور أي مُتعمق النّظر (زُهْرَةِ) بضَم الزّاء وسكون الهاء الحُسن (رَسَاخَةِ) يقال رَسَخ رسُوخاً ورساخةً والرّسُوخ الثّبوت (شَرَائِعِ) بفتح الشّين جمع شريعة وهي الطّريقة المستقيمة (شَنَآنِ) بالتّحريك البُغض (أرْغَمَ) فعل ماضٍ من باب الأفعال والمصدر منه الإرغام والثّلاثي منه الرّغم، وهو القهر والقَسر يُقال رَغِم الشّيَ كَرهه (أُنُوفَ) بضَم الأنف والنّون جمع أنف يقال رَغَم اللّه أنفَه أي أذلّه (الزَّيْغِ) بفتح الزّاء الميل مع الهَوىٰ والشّقاق والعناد (يَبَبٌ)

بفتح الياء وكسر النّون مجزوم بلَم مضارع أنابَ والمصدر منه الإنابة يقال أنابَ يُنيب أنابة والإنابة الرّجوع (زَاغَ) فعل ماضٍ ومصدره الزّيغ أي مالَ عن الحقّ (وَعُرَتْ) بفتح الواو وضّم العين فعل ماضٍ ومصدره الوّعر أي خشِنت ولم يَسهل (أعْضَلَ) إشتّد (التَّمارِي) بفتح التّاء مصدر باب التّفاعل بمعنىٰ التّجادل يقال تمارىٰ فيه إذا تجادَل (الْمِرَاءَ) بكسر الميم الجَدَل (دَيدناً) الدَّيدَن بفتح الدّال العادة (سَنابِكَ) بفتح السّين جمع سُنبك بضّمها وهو طرف الحافِر:

◁ الشّرح

اعلم: أنّ هذا الفصل من كلامه عليه السلام صدر في معنىٰ الإيمان والكُفر وتوضيحها بما لم يسبُقه اليه أحد ونحن نشرح كلماته عليه السلام بما تيّسر لنا من الفِهم مُستمداً فيه باللّه تعالىٰ فنقول:

الإِيمان بكسر الألف مصدر وهو في اللّغة يطلق علىٰ الإعتقاد القلبي الجازم وعلىٰ التّصديق والتّوثيق والخضوع والإنقياد وأمثالها يقال آمن به إذا صدّقه وَوثق به وخَضَع له وفي الإصطلاح يطلق علىٰ الإعتقاد بالقلب والقول باللّسان والعَمَل بالأركان بمعنىٰ أنّ له أجزاء ثلاثة فمنهم من قال ببساطته ومنهم من قال بكونه مرّكباً فعلىٰ الأوّل يكون الإيمان مشروطاً بها وعلىٰ الثّاني موجوداً بها وأن شئت قلت علىٰ القول ببساطة الإيمان لا جزء له فهذه الأمور من شرائط تحققه وعلىٰ القول بتّركبه فهذه الأُمور أجزائه وذلك كإختلافهم في بساطة التّصديق وتّركبّه حيث ذهب القائل ببساطته الىٰ أنّ المحكوم والمحكوم عليه والنّسبة الحكّمية شرائط له فأخذها فيه بعنوان الشّرطية لا الشّطرية والقائل بكونه مركّباً جعلها أجزاء له:

والحقّ أنّ الإيمان كالتّصديق من البسائط لا من المرّكبات بل الإيمان في الحقيقة هو التّصديق والفرق باللّفظ وذلك لأنّ الإيمان بشيءٍ هو تصديقه لا غير وعليه فالإيمان يتحقّق في الخارج بما ذكرناه من شروطه كما أنّ الطّهارة الشّرعية مشروطة بالوّضوء والغُسل والتّيمم مع النيّة وأمّا اللّغوية منها فلا

يشترط بها بل تُحصَل بكلّ ما يزيل الخَبَث إذا عرفت هذا فنقول:

الإيمان لغَوي، وشَرعي:

فاللّغوي منه هو الإعتقاد والتّصديق بشيٍ حقّاً كان أو باطلاً، والشَرعي هو الإعتقاد الحقّ الجازم الثّابت في القلب الّذي يَظهر باللّسان وجوداً لفظياً وبالأركان وجوداً خارجياً وعليه فهو مشروط بهذه الأُمور في وجوده العَيني الخارجي الّذي تترتب الأثار عليه وبذلك ظَهر لك إنّ مَن قال أو يقول بِعَدم إشتِراط الإقرار والعَمَل فيه كجمهور العامّة لم يفهم معناه واقِعاً ثمّ لم يقدر على الفرق بين معناه اللّغوي والشّرعي ولا بين وجود الشّئ بحسب الواقع ونفس الأمر وفي الذّهن ووجوده في الخارج ولم يعلم إنّ الآثار المترتبة على الشّئ ليست مترتبة على وجوده الذّهني والنّفس الأمري بل تترتب على وجوده العيني الخارجي ولا شك إنّ الإيمان الّذي له أَثر ونفع في العقل والشّرع إنّما هو إذا وجد في الخارج ولا يكون ذلك إلّا بالإظهار والعَمَل بالأركان وأمّا الإيمان القلبي بما هو هو أيّ نفع فيه وأيّ أَثرٍ يترتّب عليه ولذلك قالت الشّيعة تَبَعاً لأئِمّتهم إنّ الإيمان لا يكون ولا يتحقق إلّا بالشّروط الثّلاثة فأفهم ذلك وأغتنم فإنّه ثمين ولنَرجع الىٰ شرح المتن:

▫ قوله ﷺ: **سُئِلَ ﷺ عَنِ الإِيمَانِ فَقَالَ، الإِيمَانُ علىٰ أَرْبَعِ دَعائِمَ علىٰ الصَّبْرِ واليَقِينِ والعَدْلِ والجِهَادِ...**

أي سُئِلَ أمير المؤمنين ﷺ: **عَنِ الإِيمَانِ** ما هو فَقالَ ﷺ: **الإِيمَانُ علىٰ أَرْبَعِ دَعائِمَ** شبّه ﷺ الإيمان بالسّقف الّذي له دعائم وقوائم فكما أنّ السّقف يعتمد عليها في وجوده كذلك الإيمان يعتمد علىٰ ما ذكره ﷺ في تحققه ووجوده ثُمّ بيّن ﷺ أنّ دعائم الإيمان أربعة:

الأوّل الصّبر: وهو في اللّغة الحَبس يقال صبرت نفسي عن كذا أي حَبستها، وفي إصطلاح المتشرعة وعلماء الأخلاق هو ثبات النَفس وعدم إضطرابها في الشّدائد والمَصائب بأن تقاوم معها بحيث لا تخرجها عن سعة الصّدر وما

كانت عليه قبل ذلك من السّرور والطّمأنينة وأنّما جَعَله من دعائم الإيمان لما فيه من الفضيلة والمَدح عَقلاً وشرعاً فأنّه منزل من منازل السّالكين ومقام من مقامات الموّحدين وبه ينسلك العبد في سِلك المُقرّبين ويصل الىٰ جوار ربّ العالمين وقد أضاف اللّه تعالىٰ أكثر الدّرجات والخَيرات اليه وذكره في نيّف وسبعين موضعاً من القرآن ووَصَف اللّه الصّابرين بأوصاف فقال تعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾ (١)

و: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا﴾ (٢)

و: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٣)

و: ﴿أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا﴾ (٤)

بل وما من فضيلةٍ إلّا وأجرها بتقديرٍ وحساب إلّا الصّبر فأنّه بغير حساب كما قال اللّه تعالىٰ:﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (٥)

و وَعَد الصّابرين بأنّه مَعهم فقال:﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (٦)

وعلّق النّصرة علىٰ الصّبر فقال: ﴿بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ (٧)

وجَمَع للصّابرين الصّلوات والرّحمة والهُدىٰ، فقال:﴿أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ (٨) وهكذا:

وقال رسُول اللّه ﷺ الصّبر نصف الإيمان:

وقال ﷺ من أقلّ ما أُوتيتم اليقين وعزيمته الصّبر ومن أعطىٰ حظّه منهما لم يُبال ما فاته من قيام اللّيل وصيام النّهار الحديث.

وقال ﷺ - الصّبر كنزٌ من كنُوز الجنّة: وقال ﷺ الصّبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجَسد: والأخبار كثيرة« جامع السّعادات ج ٣ ص ٢٨٢»...

١- السّجدة ـ ٢٤
٢- الأعراف ـ ١٣٧
٣- النّحل ـ ٩٨
٤- القصص ـ ٥٤
٥- الزّمر ـ ١٠
٦- الأنفال ـ ٤٨
٧- آل عمران ـ ١٢٥
٨- البقرة ـ ١٥٧

وقد مرّ الكلام فيه مفصّلاً وذكرنا الآيات والأخبار فيه:

الثّاني اليَقين: وهو في اللّغة الجزم والقَطع طابق الواقع أو لا يّطابقه وفي الإصطلاح هو الإعتقاد الثّابت الجازم المُطابق للواقع غير زائلٍ بشّبهةٍ وأن قويت فالإعتقاد الّذي لا يُطابق الواقع ليس يقيناً وأن جزم به صاحبه وإعتقد مُطابقته للواقع فهو من حيث إعتبار الجزم فيه يكون ضدّاً للحَيرة والشّك ومن حيث إعتبار المُطابقة للواقع يكون ضدّاً للجّهل المُركب فالعِلم إن إعتبرنا فيه المُطابقة للواقع لا فرق بينه وبين اليَقين وإلّا فالفرق راضح:

ثُمّ أنّ لليَقين مراتب:

أوّلها علم اليَقين، وهو الإعتقاد الثّابت الجازم المطابق للواقع كما مرّ ويحصل من الإستدلال باللّوازم على الملزوم ومثاله اليَقين بوجود النّار من مشاهدة الدّخان.

وثانيها عين اليَقين، وهو مشاهدة المطلوب ورؤيته بعين البَصيرة والباطن وهو أقوى من المُشاهدة بالبَصر والى هذه المرتبة أشار عليّ عليه السلام بقوله لم أعبد ربّاً لم أرَه، وقوله عليه السلام رأى قلبي ربّي ومثاله في الخارج اليَقين بوجود النّار بعد رؤيتها عياناً.

وثالثها حقّ اليَقين، وهو يحصل بوحدةٍ معنَوية وربطٍ حقيقي بين العاقل والمعقُول بحيث يرى العاقل ذاته رَشحةً من رَشحات المعقُول ومرتبطاً به غير منفكٍ عنه ويشاهد دائماً ببصيرته الباطنة فيضان الأنوار ومثاله اليَقين بوجود النّار بالدّخول فيها من غير إحتراقٍ ولايحصل هذه المرتبة إلّا للعارفين الكاملين المُستغرقين في لُجّة حُبّه وأُنسه.

وقد أثبتَ بعض أهل السّلوك في المقام مرتبةً رابعة وعبّر عنها بحقيقة حقّ اليَقين ومثّل فيها باليقين بوجود النّار بدخوله فيها وإحتراقه منها وقد أشار اللّه تعالى في كتابه الى مراتبه الثلاثة بقوله: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ. لَتَرَوُنَّ

الْجَحِيمَ. ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ (١)

و: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾ (٢)

و: ﴿وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ﴾ (٣)

و: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ (٤) وأمّا الأخبار في فضله فكثيرة أيضاً...

قال رسول الله ﷺ اليقين الإيمان كلّه: وقال الصّادق ﷺ أنّ العمَل الدّائم القليل علىٰ اليَقين أفضل عند الله تعالىٰ من العَمَل الكثير علىٰ غير يقينٍ...

وقال ﷺ - أنّ الله تعالىٰ بعدله وقِسطه جَعل الرّوح والرّاحة في اليَقين والرّضا وجَعَل الهَمّ والحُزن في الشّك والسّخط « جامع السّعادات ج ١ ص ١١٩»....

وروي في مشكاة الأنوار عن أبي عبد الله ﷺ قال أنّ الإيمان أفضل من الإسلام وأنّ اليَقين أفضل من الإيمان وما من شيٍ أعزّ من اليَقين...

وعن يونس بن عبد الرّحمٰن قال سألت أبا الحسن الرّضا ﷺ عن الإيمان والإسلام فقال أبو جعفر أنّما هو الإسلام والإيمان فوقه بدرجةٍ والتّقوىٰ فوق الإيمان بدَرجة واليَقين فوق التّقوىٰ بدَرجة ولم يقسم بين ولد آدم شيٌ أقلّ من اليَقين قلتُ فأيّ شيٍ من اليَقين قال التّوكل علىٰ الله والتّسليم لِلله والرّضا بقضاء الله والتّفويض الىٰ الله قلتُ ما تفسير ذلك قال ﷺ هكذا قال أبو جعفر عليه السّلام « ص ١١»...

الثّالث العَدل: وهو وضع الشّئ في محلّه ومَدحه لا يخفىٰ علىٰ أحَد كيف لا وقد عدّوه من المُستّقلات العقلّية التّي يحكم العقل بحُسنها حُكماً بَطّياً وقد إتفقوا علىٰ أنّ أجناس الفضائل تنحصر في أربعة الحِكمة والعِفّة والشّجاعة والعَدالة وقد فسّروا العدالة بإنقياد العَقل العَمَلي للقوّة العاقلة وتبَعيته لها في

١- التكاثر ـ٤

٢- الواقعة ـ٩٥

٣- الحاقة ـ٥١

٤- الحجر ـ٩٩

جميع تصّرفاته، أو ضبطه الغضب والشّهوة تحت إشارة العَقل والشّرع، أو سياسة قوّتي الغَضب والشّهوة وحملها على مُقتضىٰ الحِكمة، وقال الغزالي أنّها حِلّة للنّفس وقوّة بها يسوس الغَضَب والشّهوة ويحملهما على مُقتضىٰ الحِكمة ويضبطهما في الإسترسال والإنقباض على مُقتضاها وبعض آخر فَسّره بإئتلاف جميع القِوىٰ وإتّفاقها علىٰ إمتثالها للعاقلة وكيف كان فالعَدل من أحسن الصّفات وأفضل البَركات وقد حثّ اللّه تعالىٰ عليه في كتابه فقال:

﴿أعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوىٰ وَإتَّقُوا اللَّهَ﴾ (١)

و: ﴿وَإِذَ قُلْتُمْ فَاعِدلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ (٢)

و: ﴿وأُمِرْتُ لأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ﴾ (٣)

وقد وَصَف اللّه نفسه به حيث قال:﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لآ إِلَهَ إِلا هُوَ وَالْمَلَٰئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِماً بِالْقِسْطِ﴾ (٤)

الرّابع الجِهاد: بكسر الجيم مَصْدر يقال جاهد مجاهدةً وجهاداً وهو في الأصل بذل الوّسع وفي الإصطلاح بذل الوّسع في طريق الخَير كالقتال مَع الكفّار والمُخالفة لِلنّفس الأمّارة مثلاً وأمّا في غيره كبذل الوّسع في تحصيل المال والمقام فلا يطلق عليه الجهاد فَضلاً عن طُرق الشّرور والآفات وهو من أركان الدّين وقد وردت في مَدحه آيات كثيرة:قال اللّه تعالىٰ:﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ﴾ (٥)

و: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ والصَّابِرِينَ﴾ (٦)

و: ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (٧)

و: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ (٨)

١- المائدة ـ٨
٢- الأنعام ـ١٥٢
٣- الشّورىٰ ـ١٥
٤- آل عمران ـ١٨
٥- البقرة ـ٢١٨
٦- آل عمران ـ١٤٢
٧- الصّف ـ١١
٨- الحجّ ـ٧٨

و : ﴿وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (١)

و : ﴿فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً﴾ (٢)

و : ﴿فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً﴾ (٣) والآيات كثيرة جداً:

وعن الصّادق عليه السلام قال الجهاد أفضل الأشياء بعد الفرائض:

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله جاهدوا تغنموا...

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال أنّ الله فرض الجهاد وعظّمه وجعله نصره وناصره والله ما صلحت دُنيا ولا دين إلّا به...

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله من خرج في سبيل الله مجاهداً فله بكلّ خطوةٍ سبع مِائة ألف حسنة ويمحي عنه سبع مِائة ألف سيّئة ويرفع له سبع مِائة ألف درجة وكان في ضمان الله الخبر وسائل الشّيعة باب الجهاد« ج ١١ ص ٧»...

وقد مرّ البحث فيه أيضاً عند شرحنا لقوله أمّا بعد فأنّ الجهاد باب من أبواب الجنّة فتحه الله لخاصّة أوليائه الخ.

إذا عرفت الدّعائم الأربعة فإعلم أنّ قوله عليه السلام الإيمان على أربع دعائم معناه لا تحقّق له في الخارج إلّا بها وإذا كان وجود الإيمان متوقفاً عليها فالمؤمن الحقيقي لابدّ له من الإتّصاف بها.

□ قوله عليه السلام و**الصَّبْرُ مِنها عَلىٰ أَرْبَعِ شُعَبٍ علىٰ الشَّوْقِ والشَّفَقِ والزُّهْدِ والتَّرَقُّبِ فَمَنِ اشْتَاقَ إِلىٰ الجَنَّةِ سَلىٰ عَنِ الشَّهَوَاتِ .وَمَنْ أَشْفَقَ مِنَ النَّارِ اجْتَنَبَ المُحَرَّماتِ .وَمَنْ زَهِدَ في الدُّنْيَا اسْتَهانَ بالمُصِيبَاتِ .وَمَنِ ارْتَقَبَ المَوْتَ سَارَعَ إِلىٰ الخَيرَاتِ .**

أثبت عليه السلام للصّبر أربع شُعَب لابدّ من وجودها في تحقّقه وإلّا لايكون الصّبر صبراً كاملاً الأوّل الشّوق بفتح الشّين وهو المَيل والرّغبة الىٰ الشّئ وهو الّذي يحرّك العضلات نحوه.

١- التوبة ـ ٤١
٢- النساء ـ ٩٥
٣- النساء ـ ٩٥

الثّاني الشّفق محّركة وهو الخَوف عن الشّئ فأنّ من لَم يَخف لَم يَصبر.

الثّالث الزُهد بضَم الزّاء وهو التّرك للدّنيا وما فيها فأنّ الرّاغب اليها لا يَصبر علىٰ ما فات منها.

الرّابع التّرقّب: وهو الإنتظار والرّجاء للثّواب اذ لولا إنتظار المَوت لما يسرع الىٰ الخَير فالصّابر الحقيقي يكون شائقاً خائفاً زاهداً مُترقباً للمَوت ثُمّ فسّر ﷺ ما قال:

فقال فَمن إشتاق الىٰ الجنّة سَلىٰ أي خَرج وصَفىٰ عن الشّهوات وذلك لقول رسُول اللّه ﷺ حفّت الجنّة بالمَكاره وحُفّت النّار بالشّهوات ومَن أشفق وخاف من النّار إجتنب المحرّمات بعدم إرتكابها ومن زهد في الدّنيا إستهان بالمُصيبات أي يعدّها سَهلاً خفيفاً وذلك لعِلمه بأنّ الدّنيا بأسرها فانية ولذلك تَركها وأعرض عنها ومن كان كذلك لا يعبأ بها وبما يَقع فيها لِحقارتها في عينه ولا نعني بالإستهانة إلّا هذا، ومن إرتَقب المَوت، وإنتظَره سارع الىٰ الخَيرات لِعلمه بأنّ بعد المَوت ينتفع بها وكلّ ذالك حقّ لا مرية فيه فالأوّل من هذه الأقسام نُعبّر عنه بالصّبر علىٰ الحلال ومن الثّاني بالصّبر علىٰ الحَرام، ومن الثّالث بالصّبر علىٰ المُصيبة ومن الرّابع بالصّبر علىٰ الطّاعة وأظنّ أنّ كلامه ﷺ هذا مأخوذ من قول رسُول اللّه ﷺ في الصّبر حيث قال ﷺ الصّبر ثلاثة ،صبر عند المُصيبة وصبرٌ علىٰ الطّاعة وصبرٌ عن المَعصية إلّا أنّ أمير المؤمنين ﷺ جَعَل الصّبر علىٰ الطّاعة قسمين، أحدهما الصّبر علىٰ الحَلال بترك الشّهوات وثانيهما الصّبر علىٰ الطّاعة بفعل الخيرات والمُسارعة اليها فأنّ القسمين داخلان في الطّاعة وأمّا العُرفاء فقد قسّمُوا الصّبر بإعتبار حكمه الىٰ الأقسام الخَمسة أعني بها الواجب والحرام والمندوب والمُباح والمَكرُوه وأمثلتها واضحة:

▫ قوله ﷺ: **والْيَقِينُ مِنْهَا عَلَىٰ أَرْبَعِ شُعَبٍ عَلَىٰ تَبْصِرَةِ الْفِطْنَةِ وتَأَوُّلِ الْحِكْمَةِ وَمَوْعِظَةِ الْعِبْرَةِ وسُنَّةِ الأَوَّلِينَ.فَمَنْ تَبَصَّرَ في الْفِطْنَةِ تَبَيَّنَتْ لَهُ الحِكْمَةُ ومَنْ**

تَبَيَّنَتْ لهُ الْحِكْمَةُ عَرَفَ الْعِبرَةَ وَمَنْ عَرَفَ الْعِبرَةَ فَكأَنَّما كانَ في الأَوَّلِينَ) .

أثبتَ ﷺ لليقين أيضاً أربع شُعَب اذا حَصَلت حصل اليَقين كاملاً.

الأوّل: تَبصرة الفِطنة والمراد من تَبصرة الفِطنة كون الإنسان بصيراً في دينه فَطِناً أي دقيقاً مُتَعمقاً في حقائقه للوصول الىٰ دَرك لُبِّه ولُبابه والوَجه في ذلك هو أنّ الإنسان اذا لم يكن بصيراً في دينه عميقاً فطِناً في دَرك حقائقه فكيف يَتّصف باليَقين في الدّين:

الثاني: تأوّل الحِكمة قالوا في تفسير الكلام أي الوصُول الىٰ دقائقها ولابدّ لنا من تفسير الحِكمة أوّلاً ثُمّ تفسير الكلام ثانياً فنقول:

الحِكمة بكسر الحاء في الأصل إصابة الحقّ بالعِلم والعَقل وهي من اللّه تعالىٰ معرفة الأشياء وإيجادها علىٰ غاية الإحكام، ومن الإنسان معرفة الموجودات أو العِلم بحقائقها بقدر الطّاقة البَشرية وقد تطلق علىٰ فعل الخَيرات والىٰ هذين أشار اللّه تعالىٰ في كتابه حيث قال: **﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾**(١)

و : **﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾**(٢)

و : **﴿ومن يؤتي الحِكمة فقد أُوتي خيراً كثيراً﴾**

و : **﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾**(٣) وأمثالها من الآيات.

والتّأويل عبارة عن إرجاع الكلام وصرفه عن معناه الظّاهر الى معنىٰ أخفىٰ منه مأخوذ من آل يؤل إذا رَجع وصار اليه يقال تأوّل فلان الآية إذا نظر الىٰ ما يؤل معناها قال اللّه تعالىٰ: **﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾**(٤) اذا عرفت معنىٰ الحِكمة والتّأويل فنقول المراد بتأوّل الحِكمة تفسيرها وتقديرها يقال تأوّل الكلام، أي فَسّره وقَدّره وصاحب اليَقين هكذا وإلّا يكون جاهلاً

١- اللقمان- ١٢
٢- النحل- ١٢٥
٣- آل عمران- ١٦٤
٤- آل عمران- ٧

والجاهل لا يكون مُوقِناً:

الثالث: مَوعظة العِبَرَة أي الإتّعاظ والإعتبار بأحوال الماضين والموجُودين فأنّ الدّنيا وحوادثها وتغيراتها وإنقلابها وعدم ثباتها على حال من أَحسن المواعِظ ومَن لم يتّعظ بها لم يتّعظ بغيرها والرّابع سُنّة الأوّلين وما رزئوا به عند الغفلة وما حَظوا به عند الإنتباه ثمّ أشار ﷺ الى وجود المُلازمة بينها فقال ﷺ فَمن تبَصّر في الفِطنة تبيّنت له الحِكمة وذلك لإنّ البَصير المُتفَطِن في الأمور يكون عارِفاً بِحَقائق الأشياء وفِعل الخَيرات بِقَدر طاقته وإلّا لا يكون بصيراً:

ومن عَرَف الحِكمة تبيّنت له عرف العِبَرة لا محالة وذلك لإنّ المفروض إنّه حكيم أي عالِم بِحَقائق الموجودات بِقَدر إستطاعته ومن المعلوم إنّ الموجودات متغيّرة غير ثابِتة فَيَعتبِر بها لِنفسه ولا نعني بِالعِبرة إلّا هذا وبعد معرفته العِبرة فكإنّما كان في الأوّلين الماضين فإنّ حُكم الأمثال واحد فما بقي من الدّنيا كما مضى منها فكأنّه معَ الأوّلين:

▫ قوله ﷺ: **والْعَدْلِ مِنْهَا عَلىٰ أَرْبَعِ شُعَبٍ عَلىٰ غائِصِ الْفَهْمِ وغَوْرِ الْعِلْمِ وزُهْرَةِ الحُكْمِ ورَسَاخَةِ الحِلْمِ .فَمنْ فَهِمَ عَلِمَ غَوْرَ الْعِلْمِ ومَنْ عَلِمَ غَوْرَ الْعِلْمِ صَدَرَ عَنْ شَرَائِعِ الحُكْمَ ومَنْ حَلُمَ لمْ يُفَرِّطْ في أمْرِهِ وعاشَ في النَّاسِ حَمِيداً)** :

أثبتَ ﷺ لِلعدل الّذي هو وضع الشّئ في محلّه أيضاً أرْبَعِ شُعَبٍ:

الأوّل: غائِص الفهم أي الفَهم السّريع الدّقيق الّذي به تُستَخرج الحَقائق كما إنّ الغائص في البَحر يستخرج منه الأشياء النّفيسة القَيّمة وفي هذا الكلام وبعده إشارة الى إنّ المُجري لِلعَدل لا يكون من السّفهاء الحُمقاء بل ينبغي أن يكون من الأذكياء العُلَماء:

الثاني: غَور العِلم وهو كناية عن تعمّق النّظر في القَضايا لِلبلوغ الى مقام الإطمئنان:

الثالث: زهرة الحُكم، أي حُسنه وذلك لإنّ ما ذكره سابِقاً من الوَصفين لو رُوعي يوجب حُسن الحُكم لا محالة كما إنّ عدم وجودهما يوجب قُبحه وهو

واضح:

الرّابع: رساخة العِلم، أي كون العِلم راسِخاً ثابِتاً وهو إشارة الىٰ إنّ المُجري لِلعدل لا يكون مُضطرِباً مُتَزلزلاً في حُكمه فإنّ من كان كذلك لا يَصلح لِلحُكم وتقدير الكلام هو إنّ العَدَل موقُوف علىٰ الفِهم الغائص والعِلم الغائر والحُكم الزّاهر والعلم الرّاسخ فما ذكره ﷺ من قبيل إضافة الصّفة الىٰ المَوصُوف نحو لُجين الماءِ ثمّ بيّن ﷺ ما أفاده وقال **فَمنْ فَهِمَ عَلِمَ غَوْرَ الْعِلْمِ** أي إنّ الفِهم يستلزم الغَور فيه ومن عَلِم الغَور فيه **صَدَرَ عَنْ شَرَائِعِ الحُكْمِ** أي رَجَع عن ظواهر الحُكم وإنّما فسّرنا الكلام به لأنّ الشّرائع جمع شريعة وهي الظّاهر المُستقيم من المَذاهب ومورد الشّارية فَمَن دَخَل فيها للشُّرب يرجع عنها بعد ما إغتَرف.

والشّريعة أيضاً هكذا فمن دَخَل فيها غائراً مُتعَمقاً يغترف منها من الأسرار والحَقائق ثمّ يُفضيها علىٰ غيره فيُحسن حُكمه، ومَن حَلُم لم يُفرّط في أمره أي إنّ العالم الغائر لم يُقصر في أمره فإنّ التّقصير والتّفريط في الأمر من شئون الجَهل نعم العالم قد يُقصّر وهو أمرٌ آخر ومن كان كذلك فقد عاش في النّاس حَميداً مرَضياً:

- قوله ﷺ: **والْجِهادُ مِنْهَا عَلىٰ أرْبَعِ شُعَبٍ عَلىٰ الأَمْرِ بالمَعْرُوفِ والنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ والصِّدْقِ فِي المَوَاطِنِ وشَنَآنِ الْفاسِقِينَ فَمَنْ أَمَرَ بالمَعْرُوفِ شَدَّ ظُهُورَ المُؤمِنينَ ومَنْ نَهىٰ عَنِ الْمُنْكَرِ أَرْغَمَ أُنُوفَ الْكافِرِينَ ومَنْ صَدَقَ فِي الْمَوَاطِنِ قَضىٰ ماعلَيْهِ .ومَنْ شَنِئَ الْفاسِقِينَ وَغضِبَ لِلّٰهِ غَضِبَ اللّٰهُ لهُ وأرْضاهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ...**

أثبت ﷺ لِلجهاد أيضاً أربع شُعَب لابدّ لِلمجاهد مراعاتها كامِلاً:

أولها: الأمر بالمعرُوف وثانيها النّهي عن المُنكر وقد أشبعنا الكلام فيهما سابقاً:

وثالثها: الصِّدق في المواطِن أي مَواطِن القِتال أو الأعّم منها، ورابعها شنئان

الفاسقين وبغضهم فَمَن أَمَر بالمعروف شدّ وأحكم ظهور المؤمنين فإنّ رواج المعروف ممّا يشدّ به ظهر المؤمن كما إنّ رواج المُنكر يقصِم ظهره ومن نهىٰ عن المُنكر أرغم وأذلّ أنوف الكافرين وذلك لإنّهم يحبّون أن تشيع الفاحِشة دائماً فَمَنع الفَحشاء مخالف بطباعهم، ومن صَدق في المَواطن وأحترز عن الكِذب والخِيانة قضىٰ ما عليه من صاحب الشّريعة وأدّىٰ وظيفته ومن شنأ الفاسقين وغضب عليهم لِللّه لا لِشيءٍ آخر غضب اللّه له وأرضاه يوم القيٰمة فإنّ من كان لِللّه كان اللّه له .

□ قوله ﷺ: **الْكُفْرُ علىٰ أرْبَعِ دَعائِمِ علىٰ التَّعمُّقِ والتَّنارُعِ والزَّيْغ والشِّقاقِ...**

الكُفر بضّم الكاف مصدر كَفَر، وهو في الأصل السَّتر والغَطاء يقال كفر درعه بثوبه أي غطّاها به وفي الإصطلاح يطلق علىٰ من لم يؤمن باللّه ورسوله ولِذلك صار مُقابلاً للإيمان وضداً له وإنّما سُمّي غير المؤمن المُسلم كافِراً لِكونه مِمّن ستَر الحقّ وأخفاه وعليه فالكافر هو السّاتِر لِلحقّ المُنكر له بِقلبه ولِسانه فإن كان مُنكراً بِقلبه دون لِسانه فهو مُنافق فهما أعني الكافر والمُنافق مُتشارِكان في إنكارِهما الحقّ قلباً ومُتمايزان في إنكارِهما لِساناً وقد ورد في الآيات والأخبار في ذمّ الكُفر ما وَرد وسنُورد شِطراً ممّا وَرِدَ في مدح الإيمان وذمّ الكُفر في خاتمة البَحث إنشاء اللّه تعالىٰ وأمّا إنّه أي الكُفر له أربَع دعائِم لا أقلّ ولا أكثر فلإنّه يقابل الإيمان ويضّاده فكلّ ما يثبت للإيمان يَثبُت لضدّه و هو الكُفر وحيث إنّه ﷺ أثبت للإيمان أربع دعائم أثبت له أيضاً كذلك:

الأوّل: التَّعمّق قال بَعض الشّراح التّعمّق الذّهاب خلف الأوهام علىٰ زعم طلب الأسرار انتهىٰ.

أقول عليه فالمقصود من هذا اللّفظ متابعة الأوهام وهو كما ترىٰ فإنّ الكافر وإن كان متابعاً لِلأوهام إلّا أنّ التّعمّق ليس معناه ما ذكره لا في اللّغة ولا في الإصطلاح ولو كان المراد منه ما ذكره فحقّ العبارة أن يُقال علىٰ إتّباع الوَهم مثلاً وأمّا الشّارح المعتزلي فلم يأتِ بشيءٍ في المقام أصلاً كما هو دأبه في أمثال

المقام من هذا الكتاب ولذلك قَنَع في المقام من أوّل قوله عليه السلام الإيمان على أربع دعائم الىٰ آخر الباب بذكر ثلاث قصص نقلها عن كتاب ابن قُتيبة وغيره من أساطير التّاريخ بعضها مربوط بالعدالة وبعضها خارج عمّا نحن بصدد البحث عنه ولم يتّعرض لشرح اللّغات وتوضيح المراد أصلاً مع أنّ وظيفة الشّارح لكلّ كلامٍ أن يُبيّن مراد المَتن لُغةً ومَعنىً وأنتَ ترىٰ أنّ كلام علّيٍ عليه السلام في المقام ليس في العَدل فقط حتّىٰ يُقنع بذكر قصّةٍ موهومة فيه قبل معنىٰ العَدل بل كلامه يدور علىٰ أمور كثيرة أحدها العَدل وهو لم يذكر من غير العَدل شيئاً والمقصود أنّ الشّراح غالباً يفرّون من المُعضلات ويقنعُون بذكر الواضحات وهذا أمرٌ مستمر.

وأنا أقول، التّعمق مصدر من باب التّفعل مأخوذ من العُمق وأصل العُمق البُعد سُفلاً، يُقال بئرٌ عميق ومَعيق إذا كانت بعيدة القعر إذا عرفت هذا فنقول:

لا يُبعد أن يكون المراد بالتّعمّق الّذي جَعَله عليه السلام من دعائم الكفر التّعمّق في ذات اللّه وحقيقته وذلك لأنّ التّعمّق فيه يوجب الإنحراف عن الحقّ وأحياناً إنكاره مطلقاً ولذلك نُهينا عنه في الشّريعة فقد روي في مشكاة الأنوار عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال أنّ اللّه يقول: ﴿وأنّ الىٰ ربّك المُنتهىٰ﴾ فإذا انتهىٰ الكلام الىٰ اللّه فأمسِكوا« ص ٨»...

وروي في البحار بأسناده عن سليمان بن خالد قال قال أبو عبد اللّه عليه السلام أيّاكم والتّفكر في اللّه فأنّ التّفكر في اللّه لا يزيد إلّا تيهاً أنّ اللّه عزّ وجلّ لا تدركه الأبصار ولا يوصف بمقدار « ج ٢ ص ٨٢»...

وبأسناده عن محمّد بن مسلم قال قال أبو جعفر يا مُحمّد أنّ النّاس لا يزال لهم المنطق حتّىٰ يتكلموا في اللّه فإذا سمعتم ذلك فقولوا لا إله إلّا اللّه الواحد الّذي ليس كمثله شيٌ« ص ٨٣ »...

وبأسناده عن أبي عبد اللّه قال عليه السلام مَن نظَر في اللّه كيف هو هَلَك « ص ٨٣»...

فهذه الأخبار كما ترىٰ تنادي بأعلىٰ صوتها بالنّهي عن التّفكر والتّعمّق في ذات اللّه وهو المطلوب وعليه فالتّعمّق في ذات اللّه من دعائم الكُفر وليس معناه أنّ الكفر ينحصر به بل لِلكفر طُرق مُتعددة وكلامه ﷺ هذا لا يدّل علىٰ إنحصار الكفر بل يدّل علىٰ أنّ التّعمّق في ذات اللّه من طرق الكُفر وأركانه وهو كذلك والدّليل علىٰ ما ذكرناه هو أنّه ﷺ ذكر للكُفر أربع دعائم ويمكن أن يكون المراد به معناه الظّاهر وهو البُعد ولا شكّ أنّ الكافر بعيد عن الحقّ وأمّا التّنازع فهو رُكنه الآخر والمراد به علىٰ ما فسّره ﷺ النّزاع والجِدال جَهلاً ومن المعلوم أنّ المقصود من التّنازع ليس معناه العُرفي وهو نزاع شخصٍ مع الآخر في أمرٍ من الأُمور بل المقصُود التّنازع في العقليات والدّقائق الفلسفية الّتي تَرتَبط بذاته وصفاته لأنّ النّزاع فيها ينتهي بالآخرة الىٰ مقام الذّات وقد عرفت المنع عن التّفكر فيه بل ينبغي للعاقل أن يعتمد في هذه الأُمور علىٰ الكتاب والسُّنّة ولا يتجاوز عنه:

وأمّا الزّيغ وهو الحيدان عن مذاهب الحقّ والميل مع الهوىٰ الحيواني فهو أيضاً ينتهي الىٰ الكفر ألا ترىٰ أنّ اللّه تعالىٰ قال في كتابه: **﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ﴾** (١) وتوضيحه أن الّذي في قلبه زَيغ أي ضيق ومَرض يتبع المُتشابهات من الآيات كالآيات الدّالة علىٰ رؤية اللّه تعالىٰ في الدّنيا والآخرة كقوله تعالىٰ: **﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾** (٢) فقوله تعالىٰ الىٰ ربّك ناظرة يدّل بظاهره علىٰ أنّ اللّه تعالىٰ منظور اليه يوم القيامة ولازم ذلك أن يكون جسماً في جهةٍ ووضع وغيرهما من شرائط تحقق الرّؤية بالبَصَر وهو كفر لأنّ الواجب تعالىٰ ليس كذلك ومثل قوله تعالىٰ: **﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا﴾** (٣) ومن المعلوم أنّ نسبة المجيء الىٰ الرّب لا معنىٰ لها لكونه مُنزهاً عن هذه النّقائص الإمكانية مع أنّ ظاهر الآية يدّل عليه فمن كان في قلبه

١- آل عمران ـ ٧
٢- القيامة ـ ٢٣
٣- الفجر ـ ٢٢

زيغ يأخذ بهذه الظواهر فيكفر بالله عَلِم أو لا يعلَم فقد ثبت أنّ الزّيغ من طرق الكفر وأركانه وأمّا الشُّقاق، فهو العناد الّذي ينشأ من الشّقاوة وخبث السّريرة ولا شّك في كونه من أركان الكُفر وأُصوله فأنّ الإنسان إذا لم يكن متّصفاً بالعناد يقبل الحقّ ويؤمن بالله وإذا كان متّصفاً به لا يقبله وأن عَلِمَ بكونه حقّاً ولازم ذلك هو الكُفر بالحقّ:

▫ قوله عليه السلام: **فَمَنْ تَعَمَّقَ لمْ يَنِبْ إلىٰ الحَقِّ ومَنْ كَثُرَ نِزَاعُهُ بالجَهْلِ دَامَ عَمَاهُ عَنِ الْحَقِّ ومَنْ زَاغَ سَاءَتْ عِنْدَهُ الْحَسَنَةُ وَحَسُنَتْ عِنْدَهُ السَّيِّئَةُ وسَكِرَ سُكْرَ الضَّلاَلَةِ .ومَنْ شَاقَّ وَعُرَتْ عليهِ طُرُقُهُ .وأَعْضَلَ عَلَيْهِ أَمْرُهُ وَضَاقَ عليْهِ مَخْرَجُهُ...**

بين عليه السلام وجه كون الأربعة من دعائم الكُفر فقال من تَعمّق بالمعنىٰ الّذي ذكرناه لم يَنب الىٰ الحقّ أي لم يَرجع اليه ومن كثُر نزاعه بالجهل دام عَماه عن الحقّ أي لا يرىٰ الحقّ كالأعمىٰ الّذي لا يرىٰ شيئاً ومن زاغ قلبه ساءت عنده الحَسَنة أي يحكم بقبحها وحَسَنت عنده السيّئة فيحكم بحُسنها ولازم ذلك فعل السيّئات وترك الحَسَنات وسكر سُكر الضّلالة أي أنّه يصير بزيغه كالسّكران الّذي لا يعقل حين سكره بل الحقّ أنّ سُكر الضّلالة أضّر وأخبَث من سكر الخَمر وهو واضح ومن شاقّ وعانَد وَعُرت أي خَشُنت وصَعُبت عليه طُرقه أي طُرق الحقّ وأعضَل وأشكَل عليه أمره كلّ ذلك لِزيغ قلبه عن الحقّ وضاق عليه مخرجه بحيث لا يقدر علىٰ الخروج عمّا هو عليه لسُهولةٍ:

▫ قوله عليه السلام: **والشَّكَ عَلىٰ أَرْبَعِ شُعَبٍ عَلىٰ التَّمارِي والْهَوْلِ والتَّرَدُّدِ والإسْتِسْلاَمَ فَمنْ جَعَلَ الْمِرَاءَ دِيْناً لمْ يُصْبِحْ لَيْلُهُ ومَنْ هالَهُ ما بَيْنَ يَدَيْهِ نَكَصَ عَلىٰ عَقِبَيْهِ ومَنْ تَرَدَّدَ في الرَّيْبِ وَطِئَتْهُ سَنابِكُ الشَّياطِينِ ومَن اسْتَسْلَمَ لِهَلَكَةِ الدُّنْيا والآخِرَةِ هَلَكَ فِيهِمَا...**

ثمّ قال الرّضي رحمه الله وبعد هذا الكلام تركنا ذكره خوف الإطالة والخروج عن الغرض المقصود في هذا الباب:

بعد فراغه عليه السلام عن ذكر حقيقة الإيمان والكُفر وبيان ماهيّتهما وأُصولهما أشار الىٰ الشّك الواقع بين الطّرفين فإنّ الأمر لا يخلو في جميع الموارد عن ثلاثة، مقطوع الحقّ وهو الإيمان ومقطوع الباطل وهو الكُفر والمردّد بين الحقّ والباطل أو الإيمان والكُفر يُعبّر عنه بالشّاك اذا كان طَرفا القضيّة مُتساويين وبالظّان اذا كان الرّجحان لأحدهما فالظّن ليس قسماً برأسه وإنّما هو الشّك في الحقيقة مع رجحان أحد الطّرفين ضرورة إنّه لا يخرجه عن أصل الشّك وعلىٰ هذا فالأقسام ثلاثة لا أربعة كما ظنّوا فإنّ الشّئ أمّا مقطوع الوجود أو مقطوع العَدم أو مشكوك الطّرفين هذا بحسب الظّاهر من جهة تعلّق الإعتقاد به وإلّا فهو بحسب الواقع لا يخلو عن أمَرين، حقّ وباطل أو موجود ومَعدوم ولا ثالث في الواقع بينهما اذا الأمر دائرٌ بين النّفي والإثبات والوجود والعدم فالحصر عقّلي وحيث إنّ الواقع لا نصِل اليه بعقولنا فالشّك في محلّه أذا عرفت هذا فنقول ذكر عليه السلام في المقام لِلشّك أيضاً أربع شُعب:

أحدها: التّماري وهو التّجادل لإظهار قوّة الجَدَل لا لإحقاق الحقّ.

وثانيها: الهَول وهو بفتح الهاء رسكون الواو الخوف من الأمر والدّهشة منه.

وثالثها: التّرَدّد أي كون الإنسان مردّداً مثل أن يعزم علىٰ شئ ثمّ ينفسخ ولذلك قيل في تعريف التّردد إنّه إنتقاص العَزيمة وإنفساخها ثمّ عَودها ثمّ إنفساخها.

ورابعها: الإستسلام وهو إلقاء النّفس في تيّار الحادثات وإن شئت قلت هو الإنقياد بلا قيد وشرط فَمَن جَعَل المِراء والجَدال بغير حقٍّ ديدَنه وعادَته لم يصبح ليله وهو كناية عن عدم بلوغه الىٰ الحقّ بِعدم إرتفاع الجَهل عنه كما هو شأن المُجادل لا لإحقاق الحقّ نعم لو كان جِداله لِلحقّ فهو جيّد، وَمن هَالَه ما بين يَديه أي خافَه نَكص وَرَجع علىٰ عِقبيه وذلك لإنّ الدِهشة والخَوف مِن الأمر توجب أن لا يُقدم عليه واذا لم يُقدم عليه فقد منع من الكمال المُترتب له

ومَنَع الكمال هو النّقص على عقبيه بعينه وهو واضح وقد مرّ الكلام في هذا الباب عند قوله قرنت الهَيبة بالخَيبة وقلنا إنّ الخَوف من الشّئ في الخَوف عنه، ومن تَرّدد في الرَّيب والشُّبهة وطئته سنابك الشّياطين أي تستزّله شياطين الهَوىٰ فتطرحه في الهَلَكة وهو كناية عن تسلّط الشّياطين عليه فإنّ السّنابك جمع سُنبك بضّم السّين وهو طرف الحافر، ومن المعلوم إنّ الحافِر من لوازم الحيوان والشّيطان لا حافر له فإثباته له إستعارة تخيّيلة، ومن إستسلم وألقىٰ نفسه في تيار الحادثات في الدّنيا والآخرة هَلَك فيهما لا محالة وهذا الّذي ذكره عليه السلام في المقام من شعّوب الشّك فمن رام الخروج عنه لابدّ له من مراعاتها لئلا يبقىٰ فيه أو يدخل فيه فإنّ الشّك من السُّمُوم المُهلكة في الدّارين ولا سيّما في الأمُور الدّينية ثمّ قال الرّضي رحمه الله وبعد هذا أي بعد هذا الّذي ذكرناه عنه عليه السلام في الإيمان والكُفر والشّك، كلامٌ تركنا ذكره خوف الإطالة والخروج عن الغَرض المقصّود في هذا الباب ولَعلّه الإختصار:

تنبيهٌ: أعلم إنّ الأمور المذكورة في المقام أعني الإيمان والكُفر والشّك من أمّهات المسائل الإعتقادية الّتي تبتني عليها فروع كثيرة في أمر الدّين والدّنيا بل هي أساس السّعادة والشّقاوة في الدّارين وأُصول الكمال والإنحطاط في النّشأتين وحيث إنجّر البحث إليها أردنا أن نذكر لك بعض ما ورد في هذه الأُصول من الآيات والأخبار تيمّناً وتبّركاً فنقول:

أمّا الإيمان فقد ورد في مَدَحه ما لا يُحصىٰ في الكتاب والسُنّة أمّا الكتاب:
قال تعالى: ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾ (١)
و: ﴿ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا ﴾ (٢)
و: ﴿ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ ﴾ (٣)
و: ﴿ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِياً يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ ﴾ (٤)

١ - البقرة - ١٣٦
٢ - آل عمران - ١٦
٣ - آل عمران - ٥٣
٤ - آل عمران - ١٩٣

و :﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ (١)

و :﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾ (٢)

و :﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ﴾ (٣) والآيات كثيرة وأمّا الأخبار الواردة فيه فكثيرة جداً.

منها – ما وَرد في بيان حقيقة الإيمان الكامل وهو يكفينا في المقام فأنّ فيه ما تَشتَهيه الأنفس وتَلَذ به الأعيُن.

روي في الكافي بأسناده عن سلام الجُعفي عن أبي عبد اللّه قال سألته عن الإيمان فقال ﷺ الإيمان أن يُطاع اللّه ولا يُعصىٰ.

وبأسناده عن أبي عمرو الزّبري قال قلت لأبي عبد اللّه ﷺ أيّها العالم أخبرني أيّ الأعمال أفضل عند اللّه قال ﷺ ما لا يقبل اللّه شيئاً إلّا به قلت وما هو قال ﷺ الإيمان باللّه الّذي لا إله إلّا هو أعلىٰ الأعمال درجةً وأشرفها منزلةً وأسناها حظّاً قلت ألا تخبرني عن الإيمان هو عَمَل أم بلا عَمَل فقال الإيمان عَمَلٌ كلّه والقول بعض ذلك العَمَل بفرضٍ من اللّه بيّن في كتابه واضح نُوره ثابتة حجّته يشهد له بالكتاب ويدعوه اليه قال قلت له...

صِفه لي جُعلت فداك حتّىٰ أفهمه قال ﷺ الإيمان حالات ودرجات وطَبقات ومَنازل فمنه التّام المُنتهي تمامه ومنه النّاقص تبيّن نقصانه ومنه الرّاجح الزّائد رجحانه قلت أنّ الإيمان ليتّم وينقص ويزيد قال ﷺ نعم قلت كيف ذلك قال لأنّ اللّه تبارك وتعالىٰ فَرض الإيمان علىٰ جوارح بن آدم وقسّمه عليها وفرّقه فيها فليس من جوارحه جارحة إلّا وقد وكلت من الإيمان بغير ما وكّلت به أُختها فمنها قلبه الّذي به يَعقل ويَفقه ويَفهم وهو أمير بَدنه الّذي لا تَرد الجَوارح ولا تَصدر إلّا عن رأيه وأميره ومنها عيناه اللّتان يَبصر بهما وأُذناه اللّتان يَسمع بهما ويداه اللّتان يَبطش بهما ورجلاه

١- البقرة ـ٢٥٧ ٢- آل عمران ـ٥٧
٣- النّساء ـ٥٧

اللّتان يمشي بهما وفَرجه الّذي الياه من قبله ولسانه الّذي يَنطق به ورأسه الّذي فيه وجهه فَليس من هذه جارحة إلّا وقد وكّلت من الإيمان بغير ما وكّلَت به أُختها بفرضٍ من اللّه تبارك إسمه يَنطق به الكتاب ويشهد به عليها فَفرض علىٰ القلب بغير ما فرض علىٰ السّمع وفَرض علىٰ السّمع غير ما فَرضَ علىٰ العينينن وفَرضَ علىٰ العينين غير ما فَرضَ علىٰ اللّسان وفرض علىٰ اللّسان غير ما فرض علىٰ اليَدين وفَرض علىٰ اليَدين غير ما فَرضَ علىٰ الرّجلين وفَرض علىٰ الرّجلين غير ما فَرض علىٰ الفرج وفرض علىٰ الفرج غير ما فَرض علىٰ الوجه فأمّا ما فرضَ علىٰ القلب من الإيمان فالإقرار والمعرفَة والعقد والرّضا والتّسليم بأن لا إله إلّا اللّه وحده لا شريك له إلٰهاً واحداً أحداً لم يتّخذ صاحبةً ولا وَلداً وأنّ محمّداً عبده ورسُوله والإقرار بما جاء به من عند اللّه من نبّي أو كتاب فذلك ما فَرض اللّه علىٰ القلب من الإقرار والمعرفة وهو عَمله وهو قول اللّه عزّ وجلّ: ﴿اِلاّ مَنْ اُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْاِيْمَانِ وَلٰكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً﴾ (١)

و : ﴿اَلاٰ بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (٢)

و : ﴿الّذين آمنوا بأفواههم ولَم تؤمن قلوبهم﴾

و : ﴿وَاِنْ تُبْدُوا مٰا فِي اَنْفُسِكُمْ اَوْ تُخْفُوهُ يُحاسِبْكُمْ بِهِ اللهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشٰاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشٰاءُ﴾ (٣) فذلك ما فرض اللّه عزّ وجلّ علىٰ القلب من الإقرار والمعرفة وهو عمله وهو رأس الإيمان - وفَرضَ اللّه علىٰ اللّسان القول والتّعبير عن القلب بما عقد عليه وأقرّ به قال اللّه تبارك وتعالىٰ: ﴿وقولوا للنّاس حُسناً﴾ وقال: ﴿قُولُوا اٰمَنّٰا بِاللّٰهِ وَمٰا اُنْزِلَ اِلَيْنٰا وَمٰا اُنْزِلَ اِلَيكُم وَاِلٰهُنٰا وَاِلٰهُكُم وٰاحِدٌ وَنَحْنُ لَه مُسْلِمُونَ﴾ وهذا ما فَرضَ اللّه علىٰ اللّسان وهو عمله: وفَرضَ اللّه علىٰ السّمع أن يتّنزه عن الإستماع الىٰ ما حرّم اللّه وأن يُعرض عمّا لا

١- النحل- ١٠٦　　٢-الرعد ٢٨
٣- البقرة- ٢٨٤

يحلّ له ممّا نهىٰ اللّه عزّ وجلّ عنه والإصغاء الىٰ ما أسخط اللّه تعالىٰ فقال في ذلك:﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى الْكِتابِ أَنْ إِذا سَمِعْتُمْ اٰياتِ اللّٰهِ يُكْفَرُ بِها وَيُسْتَهْزَءُ بِها فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتّىٰ يَخُوضُوا في حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ (١) ثمّ إستثنىٰ اللّه تعالىٰ موضع النّسيان وقال:﴿وَإِمّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيطانُ فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظّالِمِينَ﴾ (٢)

و : ﴿فَبَشِّرْ عِبادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ اَحْسَنَه اُولٰئِكَ الَّذِينَ هَدٰا هُمُ اللّٰهُ وَ اُولٰئِکَ هُمْ اُولُوا الْاَلْبابِ﴾ (٣)

و : ﴿قَدْ اَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ، الَّذِينَ هُمْ في صَلاتِهِمْ خاشِعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكٰوةِ فاعِلُونَ﴾ (٤)

و : ﴿وَ إِذا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقالُوا لَنا أَعْمالُنا وَلَكُمْ أَعْمالُكُمْ﴾ (٥)

و : ﴿وَ إِذا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّ كِراماً﴾ (٦) فهذا ما فَرَضَ اللّه علىٰ السّمع من الإيمان أن لا يصغي الىٰ ما لا يحلّ له وهو عَمَله وهو من الإيمان.

وفرضَ علىٰ البصر أن لا ينظر الىٰ ما حرّم اللّه عليه بأن يُعرض عمّا نهىٰ اللّه عنه ممّا لا يحلّ له وهو عَمله وهو من الإيمان فقال اللّه تبارك وتعالىٰ : ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ (٧) فمنعهم أن ينظروا الىٰ عوراتهم وأن ينظر المَرء الىٰ فرج أخيه ويحفظ فرجه أن يُنظر اليه وقال:﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِناتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ (٨) من أن تنظر أحديهن الىٰ فرج أُختها وتحفظ فرجها من أن تنظر اليها وقال:(كلّ شيءٍ في القرآن من حفظ الفَرج فهو من الزّنا إلّا هذه الآية فأنّها من النّظر ثمّ نظم ما فَرض علىٰ القلب واللّسان والسّمع والبصر في آية أُخرىٰ فقال:﴿وَما كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلاَ أَبْصارُكُمْ وَلاَ جُلُودُكُمْ﴾ (٩) يعني بالجلود

١- النساء ـ ١٤٠
٢- الانعام ـ ٦٨
٣- الروم ـ ١٧
٤- المؤمنون- ١/٢/٣/٤
٥- القصص ـ٥٥
٦-الفرقان- ٧٢
٧- النور ـ ٣٠
٨- النور ـ ٣١
٩- فصلت ـ ٢٢

الفروج والأفخاذ، وقال:﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُلاً﴾ (١) فهذا ما فرضَ اللّه علىٰ العينين من غضّ البصر عمّا حرّم اللّه وهو عملهما وهو من الإيمان وفَرضَ علىٰ اليَدين أن لا يبطش بهما الىٰ ما حرّم اللّه وأن يَبطش بهما الىٰ ما أمَر اللّه عزّ وجلّ وفَرضَ عليهما من الصّدقة وصِلة الرّحم والجهاد في سبيل اللّه والطّهور للصّلٰوات فقال:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاَةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُؤُسِكُمْ وَ أَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ (٢) من أن تنظر أحديهن الىٰ فرج أُختها وتحفظ فرجها من أن تنظر اليها وقال:(كلّ شيءٍ في القرآن من حفظ الفَرج فهو من الزّنا إلّا هذه الآية فأنّها من النّظر ثمّ نظم ما فَرض علىٰ القلب واللّسان والسّمع والبصر في آية أُخرىٰ فقال:﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلاَ أَبْصَارُكُمْ وَلاَ جُلُودُكُمْ﴾ (٣) يعني بالجلُود الفروج والأفخاذ، وقال:﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُلاً﴾ (٤) فهذا ما فرضَ اللّه علىٰ العينين من غضّ البصر عمّا حرّم اللّه وهو عملهما وهو من الإيمان وفَرضَ علىٰ اليَدين أن لا يبطش بهما الىٰ ما حرّم اللّه وأن يَبطش بهما الىٰ ما أمَر اللّه عزّ وجلّ وفَرضَ عليهما من الصّدقة وصِلة الرّحم والجهاد في سبيل اللّه والطّهور للصّلٰوات فقال:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاَةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُؤُسِكُمْ وَ أَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ (٥) وقال:﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ فَإِمَّا مَنّاً بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ (٦) فهذا ما فَرضَ اللّه علىٰ اليدين لأنّ الضّرب من علاجهما وفَرضَ اللّه علىٰ الرّجلين أن لا يمشي بهما الىٰ شيءٍ من معاصي اللّه وفَرض عليهما المشي الىٰ ما يرضي اللّه عزّ وجلّ فقال:﴿وَلاَ

١- الاسراء ـ ٣٦
٢- المائده ـ ٦
٣- فصلت ـ ٢٢
٤- الاسراء ـ ٣٦
٥- المائده ـ ٦
٦- محمد ـ ٤

تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً﴾ (١) وقال:﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ (٢) وقال فيما شهدت الأيدي والأرجل علىٰ أنفسهما وعلىٰ أربابهما من تضييعهما لما أمر اللّه عزّ وجلّ به وفرضه عليهما:﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (٣) فهذا أيضاً ممّا فَرَضَ اللّه علىٰ اليَدين وعلىٰ الرّجلين وهو عملهما وهو من الإيمان وفرض علىٰ الوجه السّجود له باللّيل والنّهار في مواقيت الصّلوٰة فقال:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٤) وهذه فريضة جامعة علىٰ الوجه واليَدين والرّجلين وقال في موضعٍ آخر:﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً﴾ (٥) وقال فيما فَرضَ علىٰ الجوارح من الطّهور والصّلوٰة بها وذلك أنّ اللّه عزّ وجلّ لمّا صَرَف نبيّه ﷺ الىٰ الكعبة عن بيت المقدس فأنزل اللّه عزّ وجلّ:﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ ٤ فسمّىٰ الصّلوٰة إيماناً فَمَن لَقىٰ اللّه حافظاً لِجوارحه مُوفياً كلّ جارحة من جوارحه ممّا فرض اللّه عزّ وجلّ لقىٰ اللّه مستكملاً لإيمانه وهو من أهل الجنّة ومن خانَ في شيءٍ منها أو تعدّىٰ ما فرض أمر اللّه عليها عزّ وجلّ فيها لقىٰ اللّه عزّ وجلّ ناقص الإيمان فقلت قد فهمت نقصان الإيمان وتمامه فَمِن أينَ جاءت زيادته فقال ﷺ قول اللّه تعالىٰ:﴿وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيمَاناً فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾ ا

وقال ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ اا ولو كان كلّه واحد لا زيادة فيه ولا نقصان لم يكن لأحدٍ منهم فضل

١- الاسراء ـ ٣٧ ٢-لقمان ـ ١٩
٣- يس ـ ٦٥ ٤- الحج ـ ٧٧
٥- الجن ـ ١٨ ٤-البقرة ١٤٣
ا- التوبة ـ ١٢٥ اا- الكهف ـ ١٣

علىٰ الآخر ولا إستوت النِعم فيه و لإستوىٰ النّاس وبَطَل التّفضيل ولكن بِتمام الإيمان دَخَل المؤمنون الجنّة وبالزّيادة في الإيمان تفاضل المؤمنون بالدّرجات عند اللّه وبالنّقصان دَخَل المُفرطون النّار انتهىٰ مِرآت العقول في شرح الكافي« ج ٢ ص ٤٩»...

أقول: وإنّما ذكرنا الحديث بطوله لما فيه من الحقائق والدّقائق ما لا يخفي ومع ذلك فهو من أكمل الأحاديث في الباب وأَجمعها وأَبسطها ولا نحتاج معه الىٰ ذكر غيره مِمّا وَردَ وقد ظَهَر لك منه معنىٰ الإيمان وكونه مثبوتاً علىٰ الجوارح والأعضاء وإنّه لا يَحصل بالإعتقاد فقط بل يشترط معه الإقرار بِاللّسان والعَمَل بالأركان فقول أمير المؤمنين عليه السلام إنّ الايمان علىٰ أربع دعائم علىٰ الصّبر واليقين والعَدَل والجِهاد حقّ لا شّك فيه وتوضيحه قد ظهر من الحَديث بما لا مزيد عليه فإنّ الإيمان علىٰ ما يستفاد من هذا الحَديث ونظائره تحصيله مشكل جِدّاً ثمّ حفظه أشكل وأصعَب ولذلك ورد في مَدَح المؤمن ما ورَدَ ولا بأس بالإشارة الىٰ شطرٍ من الأخبار الواردة في علّو شأنه:

روي في البِحار عن مَيسر عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال إنّ المؤمن منكم يوم القيٰمة لِيَمُرّ به الرّجل وقد أُمِر به الىٰ النّار فيقول يا فلان أَغِثني فإنّي كنتُ أصنع إليك المعروف في دار الدّنيا فيقول لِلملَك خلّ سبيله فيأمر اللّه به المَلَك فَيُخلّي سبيله:

وعن المفضّل عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال يقال للمؤمن يوم القيٰمة تصفّح وجوه النّاس فَمَن كان سقاك شربة أو أطعمك أكلة أو فَعَل بك كذا وكذا فخُذ بيده فأدخله الجنّة قال فإنّه لَيَمُرّ علىٰ الصّراط ومَعَه بشر كثير فتقول الملائكة يا وَلّي اللّه الىٰ أين يا عبد اللّه فيقول جلّ ثناؤه أجيزوا لِعَبدي، فأجازوه وإنّما سُمّي المؤمن مؤمِناً لإنّه يُجيز علىٰ اللّه فَيُجز أمانه:

وعن أبي عبد اللّه عليه السلام قال عليه السلام - المؤمن أَعظم حرمةً من الكعبة: ورُوي عن رسُول اللّه صلى الله عليه وآله إنّه نظَر الىٰ الكَعبة فقال مَرحباً بالبيت ما أَعظَمك وما

أعظَم حرمتك علىٰ اللّه واللّه لِلمؤمن أعظم حُرمةً منك لإنّ اللّـه حـرّم مـنك واحدة ومن المؤمن ثلاثة ماله ودَمَه وإن يظّن به ظنّ السُّوء...

وعنه ﷺ قال - مَثَل المؤمن كَمَثل مَلَك مقرّب وأنّ المؤمن أعظم حرمةً عند اللّه وأكَرم عليه من مَلَكٍ مقرّب وليس شيْ أحبّ الىٰ اللّه من مؤمنٍ ثابت ومؤمنةٍ ثابتة وإنّ المؤمن يعرف في السّماء كما يعرف الرّجل أهله وولده، والأحاديث نقلناها عن «البِحار ج ١٥ ص ٢٠» ولِلإيمان درجات علىٰ ما يظهر من الأخبار روي في البِحار بأسناده عن أبي عبد اللّه ﷺ قال - يا عبد العزيز إنّ الإيمان عَشَر درجاتٍ بِمنزلة السُلّم يصعد منه مرقاة بعد مرقاة فلا يقولنّ صاحب الإثنين لصاحب الواحد لست علىٰ شيْءٍ حتّىٰ ينتهي الىٰ العاشرة فلا تسقط من هو دُونك فيسقطك من الّذي فوقك وإذا رأيت من هو أسفل مـنك بِدَرجة فأدفعه اليك برِفقٍ ولا تحملنّ عليه ما لا يطيق فتكسره فإنّ من كَسَر مؤمناً فعليه جَبَره«ج ١٥ ص ٢٦١»...

وأمّا الكُفر: فهو ضدّ الإيمان كما عرفت وقد ورَد في ذمّه أيضاً ما ورَدَ قال اللّه تعالىٰ:﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ (١)

و :﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٢)

و :﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ فِيهَا خَلِدُونَ﴾ (٣)

و :﴿فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِن نَاصِرِينَ﴾ (٤)

و :﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلَدُهُم مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَأُولَئِكَ

١- البقرة ـ ١٦١
٢- البقرة ـ ٣٩
٣- البقرة ـ ٢٥٧
٤- آل عمران ـ ٥٦

أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ (١)

و :﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾ (٢) وغيرها من الآيات.

ومن الأخبار ما رواه في البحار بأسناده عن أبي بصير قال سمعت أبا عبد الله يقول أُصول الكُفر ثلاثة الحِرص والإستكِبار والحَسَد، أمّا الحِرص فأنّ آدم حين نُهي عن الشّجرة حَمله الحِرص علىٰ أن أكَل منها وأمّا الإستكبار فإبليس حين أُمر بالسّجود لِآدم إستكبر، أمّا الحَسَد فإبنا آدم حيث قتل أحدهما صاحبه حَسَداً، انتهىٰ« ج ١٥ جزء الثّالث ص ٧»...

وعنه عليه السلام قال رسول الله صلى الله عليه وآله أنّ أوّل ما عُصي الله عزّ وجلّ به سِتّ، حُبّ الدّنيا، وحُبّ الرّئاسة وحُبّ الطّعام وحُبّ النّوم وحُبّ الرّاحة وحُبّ النّساء « ص ٧»...

وعنه عليه السلام أنّ رجلاً من خَشعم جاء الىٰ النّبي صلى الله عليه وآله فقال أيّ الأعمال أبغض الىٰ الله عزّ وجلّ فقال صلى الله عليه وآله الشّرك بالله قال ثُمّ ماذا قال قطيعة الرّحم قال ثُمّ ماذا قال الأمر بالمنكر والنّهي عن المعروف « ص ٨»...

وبأسناده عنه عليه السلام قال قال النّبي صلى الله عليه وآله أركان الكُفر أربعة الرّغبة والرّهبة والسّخط والغَضَب « ص ١١»...

وأمّا الشّك فقد وَرد في ذمه أيضاً كثير من الآيات والأخبار:

قال الله تعالىٰ:﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (٣)

و : ﴿وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ (٤)

و : ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ﴾ (٥)

و : ﴿فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ﴾ (٦)

و : ﴿بل هُم في شَكٍ يَلعبُون﴾ (٧)

١- آل عُمران ـ ١١٦ — ٢- النبأ ـ ٤٠

٣- إبراهيم ـ ١٠ — ٤- إبراهيم ـ ٩

٥- النّمل ـ ٦٦ — ٦- غافر ـ ٣٤

٧- الدّخان ـ ٩

و : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾ (١)

روي في البحار بأسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال قال علي عليه السلام أنّ الشك والمَعصية في النّار لَيسا منّا ولا الينا وأنّ قلوب المؤمنين لَمطوية بالإيمان طياً فاذا أراد الله إنارة ما فيها فتحها بالوَصي فزرع فيها الحِكمة، زارعها وحاصدها...

وعنه عليه السلام قال كان رسُول الله صلى الله عليه وآله يتعوذ في كلّ يومٍ من ستٍّ، من الشك والشّرك والحَمية والغضب والبَغي والحَسَد...

وبالأسناد عن الرّضا عن آبائه قال رسُول الله صلى الله عليه وآله أفضل الأعمال عند الله عزّ وجلّ إيمان لا شك فيه وغزوٌ لا غلول فيه وحَجّ مَبرور الحديث...

وقال صلى الله عليه وآله الرّيب كُفر، وبأسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال من شك في الله وفي رسُوله فهو كافر...

وبأسناده عن الصّادق عليه السلام عن أبيه عليه السلام قال عليه السلام أنّ الله عزّ وجلّ جَعَل علّياً عَلَماً بينه وبين خَلقه ليس بينه وبين خَلقه عَلَمٌ غيره فمن تَبعه كان مؤمناً ومن جَحَده كان كافراً ومن شك فيه كان مُشركاً...

وعن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٢) قال هو الشك...

والأحاديث في ذمّ الشك في الدّين كثيرة فظهر أنّ الكُفر والشك مَذمومان وهو المطلوب.

١- الحجرات ـ١٥.
٢- الانعام ـ١٢٥.

٣١

□ قوله عليه السلام: فاعِلُ الخَيرِ خيرٌ مِنْهُ وفاعِلُ الشَّرِّ شَرٌّ مِنْهُ...

الخَير بفتح الخاء ما يَرغب فيه الكلّ كالعَقل والعَدل والفَضل والسّخاوة والشّجاعة والعِفّة وأمثالها من الأشياء النّافعة وضدّه الشّر فهو عبارة عمّا لا يَرغب فيه كالجَهل والظّلم والبُخل وأمثالها من المضّار ثمّ أنّ الخَير علىٰ ضَربين، خيرٌ مُطلق وخيرٌ مُقيّد، فالأوّل عبارة عن كلّ ما يكون مَرغوباً فيه بكلّ حالٍ وعند كلّ أحَدٍ كالعِلم والعَقل والعَدل مثلاً والثّاني أن يكون خيراً لواحد وشرّاً لآخر كالمال الّذي ربّما يكون خيراً لزيد وشرّاً لعمرو وهكذا الكلام في الشّر من حيث الإطلاق والتّقييد وقد مَثّلوا للشّر المُطلق بالكُفر والظّلم وأمثالهم أمّا المُقيّد منه فَمعلوم، هذا ما ذكروه فيهما وأمّا الفلاسفة فقد أنكروا الإطلاق في الشّر دون الخَير وقالوا أنّ الشّر المُطلق لَم يُوجد ولن يُوجد أبداً لأنّه عدمٌ مَحض كما أنّ الخَير المُطلق هو الوجُود ومُحصّل ما ذكروه في المقام هو أنّ الموجُود إمّا خَير مَحض لكلّ شئ لا يَستّضر بوجوده شئ وقد مَثّلوا له بالعقُول في عالم الإمكان.

وإمّا شَرّ مَحض يَستّضر بوجوده كلّ شئ وأمّا نفعه غالب وأمّا ضَره غالب وإمّا هما مُتساويان فهذه خَمسة أقسام، خَير مَحض وشّر مَحض، غالب الخَير علىٰ الشّر وغالب الشّر علىٰ الخَير والمُتساوي خيراً وشّراً قالوا أنّ الشّر المَحض ومُتساوي الخَير وغالب الشّر علىٰ الخَير والشّر لم يُوجد أصلاً أمّا

الأوّل لأنّه عَدم مَحض وأمّا الثّاني فلأنّ تَساويهما خيراً وشّراً معناه تَساويهما وجوداً وعَدماً وهو محال أن يُوجد فأنّ الشّيَ إن كان موجودا فخَيره غالب لوجوده وإن كان معدوماً فهو خارج عن البَحث لأنّ البَحث في الموجود وبهذا البيان ظَهر لك عَدم وجود غالب الشّر أيضاً وذلك لأنّ المُتساوي إذا كان مُحالاً في تَحقّقه فالغالب علىٰ الخَير بطريق أولىٰ بقىٰ في المقام مَحض الخَير وغالبه علىٰ الشّر والأوّل مثل العقُول كما مَرّ والثّاني كغيرها من الموجودات التّي يكون الخَير منها غالباً علىٰ الشّر وأكثر الموجودات من هذا القبيل فأنّ الإنسان مثلاً يكون خيره غالباً علىٰ شّره والحيوان والنّبات والجماد هكذا إذ لو لم يكن الخَير فيها غالباً علىٰ الشّر فكيف وُجدت هذه المَوجودات ولا نعني بالخَير إلّا الوجود.

فقد تَحصل ممّا ذكروه أنّ المَوجودات في عالم الوجود لا يخلو حالها من قسمين، خيرٌ مَحض، وغالب الخَير علىٰ الشّر وأمّا الأقسام الثلاثة فهي باطلة بأسرها قال السّبزواري في المنظومة:

ثُمّ الوجود إعلم بلا إلتباسِ   خيراً هو النّفسي والقياسي

أي أنّ الوجود ولو كان إمكانياً فهو خير بذاته وخير بالمُقايسة الىٰ الغير، أمّا أنّه خَير بذاته لأنّ حَيثية الوجود طرد العَدم ورَفع القوّة وصَريح النُور والظّهور، وأمّا أنّه خَير بمُقايسته الىٰ الغير فلأنّ المُقايسة قسمان أحدهما مُقايسته مَع علّته وثانيهما مُقايسته الىٰ ما في عَرضه ممّا ينتفع به ومن المَعلوم أنّ المَعلول يُلائم علّته وإلّا لَم يُوجد وهذه المُلائمة ليست إلّا خَيراً لأنّ علّته واجب الوجود الّذي هو خير مَحض لا شّر فيه أصلاً فهو أي المَعلول بذاته خَيرٌ، وأمّا بالمُقايسة الىٰ ما في عَرضه فهو أيضاً خَير لكونه موجوداً فقول السّبزواري في الشّعر، هو النّفسي والقياسي إشارة الىٰ نفس الوجود من حيث هو هو وقياسه الىٰ علّته وما في عَرضه وهو في الكلّ خَير ثُمّ قال:

والخَير كالشّر إحتمالاً حَويا   المَحض والكثير والمُساويا

وفي هذا الشّعر أشار الىٰ الأقسام الخَمسة المَذكورة ثُمّ قال:

فالمَحض كالعقُول والّذي كثر　　خيراته مثل المعاليل الأُخر
إذا لكثير الخَير مَع شَرٍ أقلّ　　في تركه شَرٌ كثير قد حَصَل
تَرجيح مَرجُوح وما تَماثلا　　شَراً كثيراً مَع مَساوٍ أبطلا
والشّر أعدامُ فكم قد ضلّ مَن　　يقول باليزدان ثُمّ الأهرمن

إذا عرفت معنىٰ الخَير والشّر فنقول:

مراده ﷺ من الشّر في المقام ليس المَحض منه ولا غالبه ولا مُساويه فأنّ هذه الأقسام الثلاثة لم تُوجد ولا تَصلح للوجود أصلاً بل المراد منه ما يعدّه العُرف العامّ والخاصّ كالشرائع والأديان شّراً وأن شئت عبّر عنه بالشّر القياسي لا الذّاتي المُعبّر عنه بالشّر المَحض الّذي هو عبارة أُخرىٰ عن عَدم المَحض وأنّما فَسّرنا كلامه ﷺ به لأنّ الشّر الذّاتي شّر ما لم يُوجد فإذا وُجد يكون خَيره غالباً علىٰ شّره فكيف يقال زيد مثلاً فاعل الشّر الذّاتي المطلق والمفروض أنّه صار موجوداً فقوله ﷺ: **فاعِلُ الشَّرِّ** مراده فاعل الشّر المعهود في العُرف أو الشّرع لا فاعل الشّر بما هو هو فأنّ شُرب الخَمر مثلاً يُعدّ في الشّرع من الشّرُور ومعلوم أنّ المَفسدة فيه غالبة علىٰ المَصلَحة بالنّسبة الىٰ بعض الشّاربين وبالعكس بالنّسبة الىٰ بعضٍ آخر كما إذا شَربه للتّداوي به علىٰ ما قُرّر في الشّريعة، وهكذا أكل الميّتة والقتل والزّنا وأمثالها ممّا يُعدّ في الشّرع من الشّرُور ضرورة أنّها من حيث الوجود لا شّر فيها وأنّما الشّر فيها بالأضافة الىٰ المَصالح الموجودة في تركها وبعبارةٍ أُخرىٰ الموجود لا يكون شّراً بذاته وأنّما يطلق عليه الشّر بالقياس والإعتبار إذا قيس بموجود آخر ولنرجع الىٰ شرح المتن.

فقوله ﷺ: **فاعِلُ الخَيرِ** أي مُوجده والمراد بالخَير ما يرغب فيه الكلّ وفاعل الشّر والمراد به ما لا يَرغب فيه كذلك هذا أن أردنا من الخَير والشّر معناهما المُتعارف وأمّا إذا أردنا منهما معناهما الشّرعي فقط فالخَير في كلّ شريعةٍ ما

حَثَّ الشّارع عليه والشّر ما نهىٰ عَنه ففاعل الخَير في شَرعنا وهو الإسلام ما أمَرَنا الشّارع به وحَثّنا عليه ورَعَد الثّواب علىٰ فعله والشّر بالعكس وهذا ظاهر فمن الخَير الصّلوة والصّوم والحجّ والزّكوة وإطعام المَساكين وإعانة المظلوم وأمثالها ومن الشّر شرب الخَمر والزّنا والكذب والخِيانة وأمثالها وبعد اللّتيا واللّتي المقصود من فاعل الخَير فاعل الأفعال المُتّصفة بالخَيرات والحَسَنات ومن فاعل الشّر فاعل الأفعال القَبيحة من جهة تَرتّب العِقاب عليها لأجل المَفاسد والمضّار الموجودة فيها التّي هي أكثر من مصالحها إذ ما من موجودٍ إلّا وفيه مَصلحة أو مَصالح فالمراد بالشّر ليس إلّا غالب المَفسدة علىٰ المَصلحة بالمُقايسة ولو كان في حدّ ذاته غالب الخَير علىٰ الشّر كما هو كذلك علىٰ القاعدة ألا ترىٰ أنّ ضرب اليَتيم مثلاً إذا كان للتّأديب فهو خير وفاعله يدخل في فاعل الخَير وإذا كان ظلماً فهو شّر مَع أنّ الضَرب في المقامين حقيقة واحدة وقتل المؤمن شّر وقتل الكافر المَحارب خير والإنفاق بقصد القُربة أو لِسَّد جوعه خير وبقصد الإعانة علىٰ الإثم شّر والصّلوة لِللّه تعالىٰ خير ولِلرّياء شّر وهكذا ولأجل هذا قالوا أنّ الخَير والشّر من الأُمور النّسبية والخَير المُطلق ليس إلّا الوجود المُطلق وهو الواجب تعالىٰ.

والشّر المُطلق هو العَدم المُطلق الّذي لا يقبل الوجود أصلاً إذا عرفت الخير والشّر في كلامه ﷺ بقىٰ في المقام سؤال وهو إنّه لِمَ حَكَم ﷺ بأنّ فاعل الخير خيرٌ منه أي خير من نفس الخير وفاعل الشّر شرّ منه أي من نفس الشّر مع إنّ الفاعل يتصّف بكونه فاعِلاً لِلخير أو لِلشّر بسبب نفس الخير والشّر وبعبارةٍ أُخرىٰ الخير والشّر يسريان من الفعل الىٰ الفاعل فكيف يعقل كون الفاعل خيراً أو شرّاً منهما:

والجواب إنّ الخير والشّر لهما إعتباران:

أحدهما إعتبارهما بِذاتهما مع قطع النّظر عن وجودهما.

وثانيهما إعتبارهما بإعتبار الوجود في الخارج، فهما بإعتبار الواقع وإن

شئت قلت بإعتبار الوجود الذّهني مثلاً لا أثر لهما أصلاً اذ قد ثبت إنّ الآثار موقوفة علىٰ الوجود الخارجي والثّواب والعقاب في الشّريعة أيضاً مُترتّبان علىٰ الوجود الخارجي لا الذّهني وعليه فإذا لم يكن لهما مُوجد وفاعل فلا ينتفع ولا يستّضر بهما أحد ولا ثواب ولا عِقاب هناك وأمّا إذا كان لِلخير أو لِلشّر من أوجَدهما في الخارج فهو المُقِصّر الحقيقي في الشّر والمُعطي الحقيقي في الخَير وعليه فقوله ﷺ: **فاعِلُ الخَيرِ خيرٌ مِنْهُ** معناه إنّه أوَجده والمُوجد والعِلّة أقوىٰ من المُوجد والمعلّول لِكونه باعِثاً علىٰ وجوده وفاعِل الشّر شَرٌ منه معناه إنّه أوجَده في الخارج وكلّ من أوجد الشّر فهو شَرٌ منه إذ لو لم يوجده لَما يُوجد ولم يستضّر به شئ وقد قلنا أنّ العلّة أقوىٰ من معلوله وهو واضح:

فالواجب تعالىٰ شأنه فاعل الخيرات ومُوجدها بل أصلها وأساسها ولا شّك إنّه خير من جميع الخيرات الصّادرة عن المخلوق والشّيطان فاعل الشّرور ومُلقيها في النّفوس وهو شرٌ من جميع الشّرور لإنّه أصلها وقِس علىٰ هذا كلّ فاعل لهما في عالم الوجود بالنّسبة الىٰ فعله ولنختم الكلام في الباب مع إنّه لتفصيل البحث فيه مجال واسع فإنّ البحث في الخير والشّر من أهّم الأبحاث كيف وعليها مدار السّعادة والشّقاوة والجَبر والتّفويض فَمَن زَعَم إنّ الشّر مخلوق وهو موجود فلا محيص له من القول بالجَبر ونحن إن وفقّنا اللّه تعالىٰ مُزيد أن نكتب فيهما رسالة علىٰ حِدَة ونكشف عن أستارها النّقاب ونزيل عن مُعضلاتها الإبهام إنشاء اللّه وأمّا في المقام فلا يَسعنا البحث أكثر ممّا أوردناه لِكون الإطالة مُوجباً لِلملال وخروج الكتاب عمّا إشترطنا فيه من الإيجاز وإنّما تكلّمنا فيهما أكثر من غيرهما مَن الموضوعات لِما ذكرناه:

٣٢

□ قوله ﷺ: كُنْ سَمْحاً ولا تَكُنْ مُبَذِّراً. وكُنْ مُقدِّراً ولا تَكُنْ مُقتِّراً...

السَمْح بفتح السّين وسكون الميم مصدر يقال سَمَح سَمْحاً وسَماحة بِكذا، جاد، فهو سَمْحٌ وسَميحٌ، والمُبَذِّر بضم الميم وفتح الباء وكسر الذّال المشّددة إسم فاعلٍ من بذّر نحو صرّف وهو الإسراف في المال والمُقدّر كالمُبذّر ومعناه المُقتّصد والمُقِتّر من قتّر يُقتّر ومصدره التّقتير المُضيق في النّفقة والمعنى، كُن سَمحاً أي جَواداً مُعطياً ولا تكُن مُسرفاً في الإعطاء وكُن مُقدّراً أي إنفق بقَدره ولا تكُن مُقِتّراً أي مُضيقاً في النّفقة، أَمَر ﷺ بالجُود ونَهى عن التّبذير والإسراف فيه ثُمّ بالتّقدير في جميع الأُمور ونهى عن التّضيق أمّا الجُود فقد دَلّ عليه قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ (١)

و: ﴿فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُم وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ (٢)

وأمّا التّبذير فقال اللّه تعالى: ﴿وءَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيراً﴾ (٣)

و: ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً﴾ (٤)

وأمّا التّقتير فقال اللّه تعالى فيه: ﴿ولا تَجعَل يَدك مَغلُولة الىٰ عُنقك﴾

وفي التّقدير قال: ﴿وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً﴾ (٥)

١- سبأ ـ ٣٩
٢- الحديد ـ ٧
٣- الإسراء ـ ٢٦
٤- الإسراء ـ ٢٧
٥- الإسراء ـ ٢٩

وقد قال اللّه تعالىٰ في مَوضع آخر من كتابه في النّهي عن الإسراف والإقتار:﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَاماً﴾(١)

نهىٰ اللّه تعالىٰ عن الإسراف والتّبذير، ثُمّ عن التّقتير والتّضييق وجَعَل القوام بينهما ومحصّل الكلام أنّ الإفراط والتّفريط في الشّريعة المـُقدّسة مذمومان سواء كانا في الأموال أم في غيرها حتّىٰ الطّاعات والعبادات والأكل والنّوم والحركة والسّكُون وبالجملة في جميع الشّئون والوجه فيه واضح عَقلاً ونقلاً:

أمّا العَقل: فلأنّهما من الظّلم القَبيح عَقلاً وذلك لأنّ الظّلم عبارة عن وضع الشّئ في غير محلّه والمقام من هذا القَبيل فأنّ وضع الشّئ في كلّ واحدٍ من طَرفي القَضية وَضعه في غير محلّه وتوضيحه بطريق الإجمال هو أنّ الإفراط و التّفريط خارجان عن حدّ الإعتدال فمن دَخل فيهما خَرج عن حدّه ألا ترىٰ أنّ الإنفاق حدّه المعقُول عبارة عن الإعتدال فيه فالإفراط والتّفربط فيه يُوجبان الخُروج عن حَقيقته وهو ظلم وكلّ ظلمٍ قبيح عَقلاً فهما قبيحانو هو المطلوب.

وأمّا النّقل: فلمّا عرفت من الآيات النّاهية عنهما ومَعها لا نَحتاج الىٰ ذكر الأخبار الواردة في ذَمّهما وأمّا قوله ﷺ: **وكُنْ مُقدّراً ولا تَكُنْ مُقتّراً**، فقد زَعم بعضهم أنّ هذا الكلام توضيح لما قبله وأظنّ أنّ الأمر ليس كذلك بل المقصود من ذكر هذا الكلام هو شئ آخر غير ما ذكره أوّلاً وحاصله أنّ قوله ﷺ: **كُنْ سَمْحاً ولا تَكُنْ مُبَذّراً**، أَمرٌ بالجُود والإعطاء الىٰ الغَير من المـُحتاجين و المَساكين ونَهيٌ عن التّبذير والإسراف فيه علىٰ ما مَرّ ذكره وبيانه، وأمّا قوله و كُن مُقدّراً ولا تكُن مُقتّراً ففيه أمرٌ بتقدير المَعيشة ونَهيٌ عن التّضييق فيها وهو وأن كان داخلاً في الإنفاق بمعناه العامّ إلّا إنّه ليس داخلاً فيه بمعناه المُصطلح ففيه إرشاد الىٰ كيفيّة الإنفاق علىٰ الأهل والعيال وتعليم في الحقيقة لأمر المَعاش وأنّ الإفراط والتّفريط فيه أيضاً مَذمُوم والىٰ هذا المعنىٰ أشار الصّادق

---

١ - الفرقان ـ ٦٧.

ﷺ حيث قال الكمال كلّ الكمال التّفقه في الدّين وتَقدير المَعيشة والصَّبر علىٰ النّائبة، فقول عليّ ﷺ كُن مُقدّراً إشارة الىٰ تَقدير المَعيشة فأنّ المُقدّر المُقتصد كأنّه يُقدّر كلّ شيْ بقيمته فيَنفق علىٰ قَدره والمُقتّر المُضيق في النّفقة كأنّه لا يُعطي إلّا القتر أي الرّمقة من العَيش وكيف كان فكلامه ﷺ من صَدره الىٰ ذَيله حَثّ علىٰ الإعتدال والتّوسط في الإنفاق ونَهيٌ عن الإسراف والتّقتير فيه كما هو لائق بهذه الأمّة التّي قال الله تعالىٰ في حقّها:﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً﴾ (١)

١- البقرة-١٤٣

﴿٣٣﴾

▫ قوله عليه السلام: أَشْرَفُ الغِنَى تَرْكُ المُنَى...

المُنىٰ بضّم الميم جمع مُنية ما يتّمناه الإنسان لنفسه والمعنىٰ أَشَرف الغِنىٰ وأفَضله تَرك التّمني لِما في يَد غيره أو مُطلقاً وفيه إشارة الىٰ فَضل القناعة في دار الدّنيا وهي عبارة عن الرّضا بما جَعَل الله له من الرّزق والتّسليم لأمره ولذلك نقول أنّ الإنسان لا يكون قانعاً حقّاً إلّا بعد وصُوله الىٰ مقام الرّضا والتّسليم وهو من أعلىٰ المقامات وأنّما عَبّر عليه السلام عن القناعة بالغِنىٰ وقال أَشَرف الغِنىٰ مَع أنّ القانع يكون فقيراً غالباً لأنّ الغِنىٰ علىٰ قسمين:

أحدهما: الغِنىٰ بالمال ومعناه أن يكون ذا مالٍ وثروةٍ كثيرة لا يحتاج بها الىٰ غيره ويُعبّر عنه بالغنّي في العُرف وضدّه الفقير وهو من لا يكون له مال وثروة وهذا هو واضح.

وثانيهما: الغِنىٰ بالطّبع والقلب وهو أن يكون له طبعٌ قانعٌ بما حَصَل له مُعرِضٌ عمّا لَيس له ممّا في أيدي النّاس مَع أنّه فاقد المال والثّروة ونُعبّر عن هذا القِسم بالغنّي طبعاً كما نُعبّر عن الأوّل بالغنّي مالاً اذا عرفت القسمين فإعلم أنّ الثّاني أَشَرف من الأوّل لوجوهٍ:

أحدها: أنّه في مقام الرّضا والتّسليم في عبُوديته بخلاف الأوّل فأنّه لَيس كذلك ولا شّك أنّ العَبد في هذا المقام أشَرف منه في غيره.

وثانيها: أنّ الأوّل لا يكون غنّياً واقعاً وأن كان من الأغنياء عُرفاً بخلاف

الثّاني فأنّ الأمر فيه بالعَكس وذلك لَما ثَبت أنْ كثرة المال لا تُوجب الغِنىٰ في صاحبه واقعاً بل كلّما كَثُر ماله كَثُر حِرصه علىٰ جمع المال ومنشأ الحِرص هو الفَقر والإحتياج ولو ظنّاً وَوَهماً ولذلك يحرص فأنّه يظنّ البقاء في الدّنيا دائماً أو أكثر من غيره ويخاف الفَقر فَيَجمع المال لئلّا يحتاج في المُتسقبل فهو يرىٰ نفسه مُحتاجة الىٰ جمعه ولا نعنىٰ بالفَقر إلّا هذا فهو من أحْوَج المُحتاجين وأفْقر الفقراء والمَساكين عند نفسه مَع أنّ النّاس يَعدّونه غنيّاً وهذا بخلاف القسم الثّاني فأنّ الغنّي بالطّبع يرىٰ غنيّاً عمّا سوىٰ اللّه تعالىٰ لعدم إلتفاته بالدّنيا وما فيها من الأموال فيقنع بما قَدّره اللّه له ومن المعلوم أنّ النَّفس الغنيّة أشرف من النّفس الفقيرة.

وثالثها: أنّ الغِنىٰ في النّفس يُصيرها عزيزةً شريفةً في نظر الخَلق والخالق بخلاف المال والثّروة حيث أنّ المال الحِرص والمُنىٰ وأيّةُ ذلّةٍ للنّفس أخْبَث منها فبهذه الوجُوه المذكورة وغيرها ممّا لَم نَذكره حذراً عن الإطناب علمنا أنّ أشْرَف الغنىٰ تَرك المُنىٰ وهو المطلوب:

عن أبي جعفر عليه السلام قال قال رسُول اللّه صلى الله عليه وآله من أراد أن يكون أغنىٰ النّاس فَليَكُن بما في أيدي اللّه أوْثَق منه في أيدي غيره...

وعنه عليه السلام - قال اللّه عزّ وجلّ يا بن آدم أرضِ بما أتيتك تكُن من أغنىٰ النّاس...

وعن علّي ابن الحُسين عليه السلام قال من قَنع بما قَسم اللّه له فهو من أغنىٰ النّاس...

وقال الصّادق عليه السلام أغنىٰ الغِنىٰ القناعة: وقال عليه السلام لِرجلٍ يَعظه إقنع بما قَسَم اللّه لك ولا تَنظر الىٰ ما عند غيرك ولا تتَمن ما لَستَ نائله فأنّه من قَنع شَبَع ومن لَم يَقنع لَم يَشبع وخُذ حَظّك من آخرتك...

وقال عليه السلام كان علّي عليه السلام يقول من تَمَّنىٰ غِنىٰ نفسه ولَم يَشف غَيظه مات بحَسَرةٍ« مشكاة الأنوار ص ١٣٠»...

وفي المُستَطرف قال رسُول اللّه ﷺ القناعة مال لا ينفد، قيل يا رسُول اللّه ما القناعة قال ﷺ اليأس ممّا في أيدي النّاس وأيّاكم والطّمع فأنّه الفَقر الحاضر ولنعم ما قيل...

إقنع بأيسر رزقٍ أنت نائله | وإحذَر ولا تَتَّعرض للإرادات
فما صَفىٰ البَحر إلّا هو مُنتقِص | ولا تَتَّكر إلّا بالزّيادات

وقال الآخر:

هي القناعة فألزمها تَعش مَلِكاً | لو لَم يَكُن منك إلّا راحة البَدن
وأُنظر لِمَن مُلك الدُّنيا بأجمعها | هل راح منها بغير القُطن والكَفن

وقال الآخر:

وأنّ القناعة كنزُ الفَتىٰ | فَصرتُ بأذيالها مُتَّمسك
فلا ذا يَراني علىٰ بابه | ولا ذا يراني مُنَّهمِك
فَصرتُ غنّياً بلا درهمٍ | أَمُرّ علىٰ النّاس شبه المَلِك

٣٤

◘ قوله عليه السلام: مَن أَسْرَعَ إِلى النَّاسِ بِمَا يكْرَهُونَ قالُوا فِيهِ بِمَا لا يَعْلَمُونَ...

غرضه عليه السلام من هذا الكلام أنّ من أَسْرَعَ إِلى النَّاسِ قولاً أو عَملاً على خلاف طباعهم وأميالَهم قالوا في حقّه ما لا يَعلمون صَحّته وسُقمه بل ربّما يَتّهمونه بما لا ينبغي أن يُتّهم به والمراد بالإسراع اليهم الإسراع في الكلام أو في العَمَل من غير روّيةٍ وفكرٍ ضرورة أنّ العاقل الّذي لسانه وراء قلبه لا يقول ولا يَعمل بسُرعةٍ بل يتّفكر ويتعقل أوّلاً ثمّ يقول ويعمل بما فيه صلاح نفسه ألا ترى أنّ من سَبَّ غيره يَسبُّه بأشنَع وأفحَش والوجه فيه هو أنّ السّاب أوّلاً أسرَع في كلامه فقال ما لا ينبغي له من غير تأملٍ وتفكرٍ إذ في صورة التّأمل لا يُقدم على السّب بسُرعةٍ وهذه الرّوية منه أوجَبت بُغض المسبُوب وخروجه عن حدّ الإعتدال فلا محالة يقول في الجواب بما لا يعلم من فرط العَصَبية وهذا واضح ولذا ترى السّاب والمسبُوب بعد رجوعهما الى حالة الإعتدال يندّمان مِمّا قالا أو فَعلا ففي الحقيقة صار الإسراع من السّاب باعثاً ومُوجباً لِلتّقول بما لا يعلم فالذّنب أوّلاً للمُسرع وثانياً للمُجيب هذا في الكلام ظاهر وأمّا في العَمَل فالأمر أيضاً كذلك فأنّ المَشي على خلاف طباع النّاس إذا كان من غير رَوّيةٍ يُوجب الأقوال الشّنيعة والإتّهامات الفَظيعة من النّاس وإذا كان الأمر على هذا المنوال فللعاقِل أن لا يُسرع في القول والعَمَل حتّى لا يقال فيه ما يقال:

۳۵

▫ قوله عليه السلام: مَنْ أطَالَ الأَمَلَ أَسَاءَ العَمَلَ...

أي أنّ طُول الأمَل في الدّنيا يُوجب سُوء العَمَل فيها وذلك المتّصف بطول الأمل يتَشَبَّث في نيله الىٰ أمَلَه بكلّ عَمَلٍ سُوء إذ لو قيّد نفسه بالأعمال الصّالحة فليس فيه طول الأمَل ضَرورة أنّ نفس طول الأمَل من سيّئات الأعمال والنّيات فكذا ما يوصله اليه بزعمه ألا ترىٰ أنّ السّيئات من الأعمال تصدر من أبناء الدّنيا لا من أبناء الآخرة غالباً وقد مرّ الكلام في ذمّ الحِرص وطول الأمَل غير مَرّةٍ وذكرنا الآيات والأخبار الواردة في ذمّهما.

وقال بعض الحكماء أيّاكم وطول الأمَل فأنّ مَن ألهاه أَمَله أخزاه عَمَله ولِنعم ما قيل:

تعالىٰ اللّه يا سلم بن عَمرو ... أذلّ الحِرص أعناق الرّجال

هَب الدّنيا تقاد اليك عَفواً ... أليسَ مصير ذلك لِلزّوال

قيل لمُحمّد بن واسع كيف نجدك قال قصير الأجل طويل الأمل مُسئ العَمَل.

﴿٣٦﴾

□ قوله عليه السلام: وَقَدْ لَقِيَهُ عِنْدَ مَسِيرِهِ إلى الشَّامِ دَهَاقِينُ الأَنْبَارِ فَتَرَجَّلُوالَهُ واشْتَدُّوا بيْنَ يَدَيْهِ، فقال:

ما هَذَا الَّذِي صَنَعْتُمُوه فَقَالُوا .خُلُقٌ مِنَّا نُعَظِّمُ بِهِ أُمَرَائَنا فَقَالَ واللّهَ ما يَنْتَفِعُ بِهَذَا أُمَرَاؤُكُمْ. وإنَّكُمْ لَتَشُقُّونَ علىٰ أَنْفُسِكُمْ في دُنْياكُمْ وتَشْقَوْنَ بِهِ في آخِرَتِكُمْ وما أَخْسَرَ المَشَقَةَ ورَاءَها العِقَابُ وأرْبَحَ الدِّعَةَ مَعَها الأمانُ مِنَ النَّارِ...

◁ اللغة

(دَهَاقِينُ) بفتح الدّال جمع دهقان زعيم الفلاحين (الأَنْبارِ) من بلاد العراق (تَرَجَّلُوا) أي نزلوا عن خيولهم (اشْتَدُّوا) أي أسرَعُوا (لَتَشُقُّون) بضَم الشّين وتشديد القاف من المشّقة (تَشْقَوْنَ) بسكون الشّين وفتح القاف من شَقىٰ يشقىٰ من الشّقاوة (الدَّعَةَ) بفتح الدّال الرّاحة:

روي أنّ دَهَاقِينُ الأَنْبارِ وزعمائهم لَقوا أمير المؤمنين عليه السلام عند مَسيره الىٰ الشّام لحَرب معاوية فإستقبلوه وترَجلّوا اله أي نَزلوا عن خَيولهم مشاةً وإشتّدوا وأسرَعوا في المَشي بين يديه فقال لهم عليه السلام ما هذا الّذي صَنعتّموه من النّزول عن الخيَول والمشي بين يَديَّ فقالوا في الجواب أنّ الّذي فَعلناه خُلقٌ وسَجيَّةٌ مِنّا نعظّم ونُجلّل به أُمراؤنا وأشاروا بهذا الىٰ ما كانوا عليه قبل الإسلام بالنّسبة الىٰ سلاطينهم في عهد الأكاسرة فقال علّي عليه السلام ما ينتفع بهذا الفعل منكم أُمراؤكم، وكلمة (ما) يمكن أن تكون لِلنّفي ولِلإستفهام فعلىٰ الأوّل معنىٰ

العبارة أنّهم أي أمراؤكم لا نفع لهم فيه في الماضي والحال وعلىٰ الثّاني أيَ نفع فيه لأُمراكم والمآل واحد وهو عدم الإنتفاع فأنّ الإستفهام إنكاري مرجعه الىٰ النّفي ثمّ علّل عليه السلام عدم الإنتفاع بما حاصله أنّ هذا العَمَل منكم يوجب المَشَقّة علىٰ أنفسكم في الدّنيا والشّقوة والعذاب في الآخرة وأيّ خسران للمرء أشدّ من مشّقةٍ ورائها العذاب والعقاب وأيّ شيٍ أربَح وأنفَع من راحةٍ مَعها الأمان من النّار وبعبارةٍ أُخرىٰ فِعلكم هذا شّاق علّيكم في الدّنيا والآخرة ففي الدّنيا المشّقة وفي الآخرة العذاب وأمّا تركه فهو راحة في الدّنيا وأمانٌ مِن النّار في الآخرة والعاقل يختار الثّاني دون الأوّل وأنّما قال عليه السلام ذلك لأنّ هذه الأعمال لا تصلح للمخلوق في جنب المخلوق لكونها مُوجباً للعُجب والكِبر في الإنسان إلّا من عَصَمه اللّه تعالىٰ مضافاً الىٰ أنّها تذليل وتحقيرٌ لِلنفس لمخلوقٍ آخر وهو قبيح فأنّ اللّه تعالىٰ خلق النّاس وجَعَلهم أحراراً في الدّنيا وكلّفهم العُبودية لخالقهم ورازقهم لا غير وهذه الرُؤية القذِرة المُستمرة الىٰ زماننا هذا هي الّتي دَعت الحكّام والسّلاطين الىٰ إستعمار النّاس وإستثمارهم في طول التّاريخ وإتّخاذهم كالعبيد لإنفسهم والحُكم عليهم بما شاؤوا لَعَن اللّه من أسّس هذا الأساس:

٣٧

▫ قوله عليه السلام: لابْنِهِ الحَسَنِ:

يا بُنَيَّ احْفَظْ عَنِّي أرْبَعاً وأربَعاً لا يَضُرُّكَ ما عَمِلْتَ مَعَهُنَّ، أغنَى الغِنَى العَقْلُ، وأكْبَرُ الفَقْرِ الحُمْقُ، وأوْحَشُ الوَحْشَةِ العُجْبُ وأكْرَمُ الحَسَبِ حُسْنُ الْخُلُقِ.

يا بُنَيَّ إيَّاكَ ومُصَادَقَةَ الأَحْمَقِ فإنّهُ يُرِيدُ أنْ يَنْفَعكَ فَيَضُرُّكَ. وإيَّاكَ ومُصادقَةَ البَخِيلِ فإنّهُ يَبْعُدُ عَنْكَ أحْوَجَ ما تكُونُ إليهِ. وإيَّاكَ ومُصَادَقَةَ الفَاجِرِ فإنّهُ يَبِيعُكَ بالتَّافِهِ وإيَّاكَ ومُصَادقَةِ الكَذَّابِ فإنّهُ كالسَّرابِ يُقَرِّبُ عَليكَ البَعِيدُ ويُبْعِدُ عليكَ القَرِيبَ...

قال عليّ عليه السلام: **لابْنِهِ الحَسَنِ يا بُنَيَّ احْفَظْ عَنِّي أرْبَعاً وأربَعاً** أي ثمانية أمور وأنّما قال عليه السلام: أربعاً وأربعاً ولم يقل ثمانية مثلاً لأنّ الأربعة الأولىٰ من أصول الفضائل والمحاسن، وأمّا الأربعة الأخيرة فقد نهىٰ عليه السلام عنها فكأنّه قال عليه السلام إحفِظ أربعاً من الفضائل وإتّصف نفسك بها وإحفِظ أربعاً فيما لا ينبغي الإتّصاف بها أمّا الأربعة الأولىٰ الّتي لا يضر معهنّ شيئ:

أحدها قوله عليه السلام: أغنَى الغِنَى العَقْلُ...

العَقل بفتح العين مصدر قولك عَقَل يَعقل عَقلاً وهو في أصل اللّغة الإمساك والإستمساك كَعَقل البعير بالعِقال وَعَقل الدّواء البَطن، عَقَل لِسانه أي كفّه ومنه قيل لِلحصن مَعقِل وبأعتبار عقل البعير يقال عقلتُ البعير أي أعطيتُ دَيته وقيل أصلَه أن تُعقل الإبل بفناء ولّي الدّم قاله الرّاغب في المفردات:

وأمّا في الإصطلاح يقال للقوّة المُتهيئة بقبول العلم ويقال للعلم الّذي

يستفيده الإنسان بتلك القوّة عَقلٌ وكيف كان فلا شكّ أنّه من أشرف النّعم الإلهية وأفضلها وأحسَنها بل لا يقاس به شيئ في عالم الوجود ولذلك جَعَل اللّه تعالىٰ مدار الثّواب والعقاب عليه وقد نطقت الآيات والأخبار بفضله وَشَرفه، قال اللّه تعالىٰ: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾ (١)

و: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُوْلِي الْأَلْبَابِ﴾ (٢)

و: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُوْلِي الْأَلْبَابِ﴾ (٣) والآيات كثيرة وقد ذمّ اللّه تعالىٰ من لا يعقل من النّاس في كثير من الآيات فقال: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (٤)

و: ﴿يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (٥)

و: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (٦)

روي في البحار بأسناده عن أبي مسكان عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال لم يُقسم بين العباد أقلّ من خمسٍ اليقين والقنوع، والصّبر، والشّكر، والّذي يكمل به هذا كلّه العقل «ج ١ ص ٣٠»...

وبأسناده قال رسُول اللّه صلى الله عليه وآله يا معشر قُريش أنّ حَسب المَرء دينه ومُرؤته خلقه وأصله عقله «ص ٣١»...

وبأسناده عن الفضيل بن عثمان قال سمعت أبا عبد اللّه عليه السلام يقول من كان عاقلاً ختم له بالجنّة إنشاء اللّه « ص ٢٢»...

وبأسناده عنه عليه السلام قال من كان عاقلاً كان له دين ومن كان له دين دَخل الجنّة « ص ٣١»...

وبأسناده قال رسُول اللّه صلى الله عليه وآله ما قسم اللّه للعباد شيئاً أفضل من العقل فنوم العاقل أفضل من سَهر الجاهل وإفطار العاقل أفضل من صوم الجاهل وإقامة العاقل أفضل من شخوص الجاهل وما بعثَ اللّه رسولاً ولا نَبيّاً حتّىٰ

١- البقرة ـ ٢٦٩
٢- آل عمران ـ ١٩٠
٣- يوسف ـ ١١١
٤- البقرة ـ ١٧١
٥- المائدة ـ ١٠٣
٦- الأنفال ـ ٢٢

يَستكمل العقل ويكون عقله أفضل من جميع أُمّتِه وما يضمر النبّي في نفسه أفضل من إجتهاد المُجتهدين وما أدّىٰ العاقل فرائض اللّه حتّىٰ عقل منه ولابَلَغ جميع العابدين في فضل عبادتهم ما بَلَغ العاقل إنّ العُقلاء هم أُولُوا الألباب قال اللّه عزّ وجلّ:﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ [1] وقال رسول اللّه ﷺ - أوّل ما خلق العقل وروُي بِطريقٍ آخر إنّ اللّه عزّ وجلّ لمّا خلق العقل قال له إقبل فأقبَل ثمّ قال له أدبر فَأدبَر فقال اللّه تعالىٰ وعزّتي وجلالي ما خلقتُ خَلقاً هو أكرم عَلَّيَ منك بك أُثيب وبك أُعاقب وبك آخذ وبك أُعطي « ص ٢٣ »والأحاديث في فضله كثيرة

وثانيها قوله ﷺ: وأَكْبَرُالفَقْرِ الحُمْقُ...

والوجه فيه ظهر ممّا ذكرناه في العقل فإنّ الحُمْقَ نقيضه فإذا كان العقل أغنىٰ الغِنىٰ فَنقيضه وهو الحُمق أكبَر الفَقْر وحاصل هاتين الجُملتين إنّ العاقل أغنىٰ النّاس والجاهل الأحمقَ أفقرهم ولذلك ترىٰ اللّه تعالىٰ ذمّ الأحمق في كثير من الآيات كما مرّت الإشارة اليها:

روي في البِحار عن أبي عبد اللّه ﷺ قال:- ما خلق اللّه عزّ وجلّ شيئاً أبغَض اليه من الأحمَق لإنّه سَلَبه أحَبّ الأشياء اليه وهو العَقل:« ص ٣١ ج ١ »..

ويكفيك في شرف العَقل وقُبح الحُمق والجَهل إتفاق النّاس بأجمعهم مؤمنهم وفاسقهم وكافرهم علىٰ حُسن العقل وقُبح الجَهل ولذلك قيل بِكونهما من المستقّلات العقلية الّتي لا يشك فيها أحَد من العُقلاء:

وثالثها قوله ﷺ: وأَوْحَشُ الوَحْشَةِ العُجْبُ...

ولعَلّ الوجه فيه هو إنّ المُعجب بِنفسه مَقَته النّاس فلا يُوجد له أنيس فهو في وَحْشةٍ دائِماً هكذا قالوا في شرح الكلام وهنا وجه آخر غير ما ذكروه وهو أنّ المُعجب بِنفسه لا يرىٰ من يَصلح لِلإنس به والمُعاشرة مَعَه وذلك لأنّه يرىٰ نفسه فوق النّاس فلا مُحالة لا يجد رفيقاً منهم فَيترك النّاس وبِذلك يكون في الوَحْشة والخَوف دائماً وتوضيحه إجمالاً هو إنّ العُجب علىٰ ما فسّروه

١- ص -٢١

إستعظام النفّس لأجل ما يرىٰ لها من صفة كمالٍ سواء كانت له تلك الصفّة في الواقع أم لا وسواء كانت صفة كمالٍ في نفس الأمر أم لا وكيف كان فهو من المُهلكات العظيمة والمَلَكات الذّميمة وقد تظافرت الأخبار بذّمه بعد إستعلال العقل بقُبحه:

قال رسول الله ﷺ - ثلاث مُهلكات شُحٌّ مُطاع وهَوَىٰ مُتبّع وإعجاب المَرء بِنَفسه...

وقال ﷺ - لَو لَم تَذنِبوا لَخَشيتُ عليكم ما هو أكبَر من ذلك العُجُب العُجُب...

وقال الصّادق عليه السلام - إنّ الله عَلِم إنّ الذّنب خير لِلمؤمن من العُجُب ولولا ذلك ما إبتلَىٰ مُذنِباً بِذَنبٍ أبَداً...

وقال رسول الله ﷺ - قال الله عزّ وجلّ:(يا داوُد بشّر المُذنبين وإنذُر الصّديقين قال كيف أُبَشر المُذنبين وأُنذِر الصّديقين قال بشّر المُذنبين إنّي أقبل التّوبة وأعفو عن الذّنب وأنذر الصّديقين ألّا يعجبُوا بِأعمالهم فإنّه ليس عبد أَنصبه لِلحساب إلّا هَلَك) والأحاديث نقلناها عن جامع السعّادات « ج ١ ص ٣٢٥»...

ورابعها قوله عليه السلام: وأَكْرَمُ الحَسَبِ حُسْنُ الْخُلُقِ...

وذلك لإنّ حُسْن الخُلُق يُصَير الإنسان مَحَبُوباً عند النّاس كما إنّ سُوء الخُلُق يُصَيره مَبغُوضاً مَنفُوراً عندهم قال الله تعالىٰ مُخاطباً لِنبّيه:﴿إِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (١) وقال:﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ (٢) وأنّما قال عليه السلام ذلك لأنّ بعض النّاس كانوا يفتخرون بآبائهم وأُمّهاتهم ويذكرون مفاخرهم والآن أيضاً كذلك فقال عليه السلام ما قال رغماً لأنوفهم والحَسَب بفتحتين الشّرافة بالآباء وما يُعدّ من مفاخرهم وهو مَصدر حَسُبَ بضّم السّين كَكَرمُ والحَسَب النّسَب يقال كيف حَسَبه فيكم أي نَسَبه وكان التّفاخر بين الأعراب شائعاً ذائعاً في زمان الجاهلّية كغيره من رذائل الأخلاق فلمّا بعُث النّبي ﷺ

١- القلم-٤ ٢-آل عمران-١٥٩

وجَعَل اللّه تعالىٰ أساس الفضيلة علىٰ التّقوىٰ لم يبق منه ومن أمثاله من الخبائث عين ولا أثر إلّا لمن إنقلب علىٰ عقبيه قال أبي الطّمحان:

وأنّي من القوم الّذي هُم هُم — إذا مات فيهم سيّدٌ قام صاحبه
نجوم سماءٍ كلمّا غاب كوكَبٌ — بَدا كَوكبٌ تأوي اليه كواكبه
أضائت لهم أحسابهم ووجوههم — دُجىٰ اللّيل حتّىٰ نظّم الجزع ثاقبه
وما زال فيهم حيث كان مُسَوداً — تسير المنايا حيث سارت ركائبه

قَدم وفدٌ من تميم علىٰ رسُول اللّه ﷺ ومَعهم خطيبهم وشاعرهم فَخطب خطيبهم فلمّا سَكَت أمَرَ رسُول اللّه ﷺ ثابت بن قيس أن يخطب بمعنىٰ ما خطب به خطيبهم فخطب ثابت بن قيس فأحسَن ثمّ قام شاعرهم وهو الزّبرقان بن بدر فقال:

نحن الملوك فلا حيٌّ يُفاخرنا — فينا العلاء وفينا تنصب البَيع
ونحن نطعمهم فيٰ القحط ما أكلُوا — من العبيط إذا لم يؤنس القَزَع
وننحر الكوم عبطاً في أرومتنا — للنّازلين إذا ما أنزلوا شبعُوا
تلك المكارم حُزناها مقارعةً — إذا الكرام علىٰ أمثالها إقترعُوا

ثمّ جَلَس فقال رسُول اللّه ﷺ لحسان بن ثابت قُم فقام وقال:

أنّ الذّوائب من فهرٍ وأخِوتهم — قد بيّنوا سُنناً لِلنّاس تُتّبع
يرضىٰ بها كلّ من كانت سَريرته — تقوىٰ الإله وبالأمر الّذي شرعوا
قومٌ إذا حاربُوا ضّروا عدوّهم — أو ماولوا النّفع في أشياعهم نَفعُوا
سَجيّةٌ تلك منهم غير محدّثةٍ — أنّ الخلائق فأعلم شرها البَدع
لو كان في النّاس سبّاقون بعدهم — فكلّ سبقٍ لأدنىٰ سَبقهم تَبعُ
لا يرفع النّاس ما أودت أكُفّهم — عند الدّفاع ولا يوهون ما رَفعُوا
ولا يضنّون عن جارٍ بفضلهم — ولا يَمسّهم في مَطمعٍ طَمعٌ
خُذ منهم ما أتوا عفواً إذا عطفوا — ولا يكن همّك الأمرُ الّذي مَنعُوا
أكرم بقومٍ رسُول اللّه شيعتهم — إذا تفرّقت الأهواء والشّيَعُ

وكتب الحَكَم بن عبد الرّحمٰن المرواني من الأندلس الىٰ صاحب مصر يفتخر:

أَلسنا بني مروان كيف تبّدلت بنا الحال أو دارت علينا الدّوائر
أذا وُلد المَولود منا تهلّلت له الأرض وأهتزت اليه المَنابرُ

ونظائره كثيرة في كتب السّير وأمّا الإسلام فكما قال سلمان الفارسي:

أبي الإسلام لا أبَ لي سِواه إذا إفتخروا بقيسٍ أو تميمِ

إذا عرفتَ الحَسَب والإفتخار به فإعرِف حُسن الخُلُق أيضاً علىٰ سبيل الإجمال قالوا في تعريفه هوّن جناحك وتطّيب كلامك وتلقي أخاك ببشرٍ حَسَن وقد ورد في مَدحه ما وَرَد: قال رسول الله ﷺ - **ما يوضع في ميزان إمريءٍ يوم القيٰمة أفضل من حُسُن الخُلُق...**

وقال ﷺ - **إنّ الله إستخلص هذا الدّين لِنفسه ولا يصلح لِدينكم إلّا السخّاء وحُسُن الخُلُق ألا فزيّنوا دينكم بهما...**

وقال ﷺ - **حُسْنُ الْخُلُقِ خلق الله الأعظم:** وقيل له ﷺ **أيّ المؤمنين أفضَلهم إيماناً قال أحسنهم خُلُقاً...**

وقال ﷺ - **إنّ أحبّكم إلّي وأقربكم منّي مَجلِساً يوم القيٰمة أحسنكم خُلُقاً...**

وقال الصّادق عليه السلام - **ما يَقدم المؤمن علىٰ الله عزّ وجلّ بِعَملٍ بعد الفَرائِض أحبّ الىٰ الله تعالىٰ من أن يَسَع النّاس بِخُلُقه...**

وقال الباقر عليه السلام - **إنّ أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خُلُقاً « جامع السّعادات ج ١ ص ٣٠٩»...**

وأمّا الأربعة الّتي نهىٰ عليه السلام عنها:

أحدها قوله عليه السلام: يا بُنّي إيّاك ومُصادقة الأحمق فإنّه يريد أن يَنفعك فيَضّرك...

أي إحذر من أن تأخذ الأحمَق صَديقاً لِنفسك وذلك لإنّ الأحمَق يريد أن ينفَعَك فيَضّرك لِحُمقه وجَهَله لا لِعناده وشقائه وما ذكره عليه السلام حقّ لا مِريَة فيه وقد مَرّ الكلام في ذمّ الحُمق كتاباً وسُنّةً مع إنه لا يحتاج الىٰ الإثبات لِكونه من الواضحات:

قال بعض الحُكَماء صفة الأحمَق في فِعلِه، ترك نظره في العَواقب، وَثِقته بِمن لا يعرفه، والعُجْب وكثرة الكلام وسُرعة الجَواب، وكُثرة الإلتِفات والخَلْو من العلم، والعَجَلة في الأمور، والخِفّة، والسفه، والغِفّلة، والسّهو، والخَيلاء، إن إستَغنىٰ بَطَر وإن إفتَقَر قَنَط وإن قال أفحش وإن سُئِل بَخَل، وإن سَأل ألح وإن قال لم يَحِسن وإن قيل لم يفقه، وإن ضَحَك قهقه وإن بكىٰ صَرَخ، ومن كان هذه صِفاته كيف يجوز مُصادقته ولَنِعم ما قيل:

لِكـلّ داءٍ دَواءٌ يســتطّب بـه   إلّا الحماقة أعيَت من يداويها

وقال الآخر:

إذا لم يكـن للـمرء عقلٌ فأنّـه   وأن كان ذا بيتٍ علىٰ النّاس هَيِّنٌ

ومن كـان ذا عـقلٍ أجـلّ لِـعقله   وأفـضل عـقلٍ عـقل مـن يـتّدين

وثانيها قـوله ﷺ: **وإيَّاكَ ومُصَادَقةِ البَخِيلِ فإنّهُ يَبْعُدُ عَنْكَ أحْوَجَ ما يكُونُ إلَيه...**

نَهىٰ ﷺ عن مُصادقَةِ البَخِيلِ كما نَهىٰ عـن مـصادَقةِ الأحـمَقِ وعـلّله بأنّ البَخِيلِ عنك بسَبب بُخله أحوَج ما تكون اليه وفي أكثر النُّسخ يَقعُد. فكان يُبْعد وهو أولىٰ فَعلىٰ الأوّل أعني (يُبْعُدُ) معنىٰ العبارة أنّه يَجعل ما تحتاج اليه بَعيداً لئلّا تَصل اليه وعلىٰ الثّاني معنىٰ العبارة أنّه يَقعُد عنك ما تـحتاج اليـه أي لا يَقضي حاجتك لِبُخله مَع أنّ الصّديق أولىٰ بقَضاء الحاجة من غيره وقد ذَمّه الله تعالىٰ في كتابه حيث قال: **﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا ءَاتَٰهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾** (١)

و: **﴿ولا يَحسبنَّ الّذينَ يَبخلُون بما أتاهم اللّه من فَضله هو خيراً لهم بل هو شّر لهم﴾** (٢).

وقد مَرّت الأخبار الواردة في ذَمّ البُخل فيما مَضىٰ ولنِعم ما قيل:

أرَىٰ النّاس أخوان الكَريم وماأرَىٰ   بـخيلاً له فـي العـالمين خـليلُ

وثالثها قوله ﷺ: **وإيَّاكَ ومُصَادَقَةِ الفَاجِرِ فإنّهُ يَبِيعُكَ بِالتّافِهِ...**

١- النّساء ـ٣٧.
٢- آل عمران ـ١٧٥.

التّافِه القليل حَذَرﷺعن مُصادقة الفاجر وعَلَّله بأنّه أي الفاجر يَبيعُكَ بالقليل من حُطام الدّنيا وذلك لأنّ الفَاجِرِ هوالّذي لايُبالي في أمر دينه ولايَجتنب عن الفجُور والمَعاصي ومن كان كذلك لاينبغي الإعتماد عليه و هو واضح:

ورابعها قوله ﷺ: وإيَّاكَ ومُصَادَقَةِ الكَذّابِ فإنّهُ كالسَّرَابِ يُقَرِّبُ عَليكَ البَعِيدُ ويُبْعِدُ عليكَ القَرِيبَ...

حَذَّر ﷺ عن مُصادقة الكذّاب وشَبَّهه بالسَّراب الّذي يَحسبه الظّمآن ماءً وفي قوله ﷺ: **يُقَرِّبُ عَليكَ البَعِيدُ** إشارة الى أنّ الكذّاب شأنه تَقريب البَعيد وتَبعيد القَريب فالحَذَر منه أولىٰ قال الله تعالى: **﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾** (١)

و: **﴿فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾** (٢)

و: **﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾** (٣)

و: **﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ﴾** (٤)

وقال رسُول الله ﷺ أيّاكم والكَذب فأنّ الكَذِب يَهدي الىٰ الفجُور والفجُور يَهدي الىٰ النّار...

وقال ﷺ – المؤمن إذا كَذِب من عُذرٍ لَعَنه سبعون ألف مَلَك وخَرج من قلبه نتن حتّىٰ يَبلغ العرش فيلعَنه حَمَلة العَرش وكتب اللّه له بتلك الكذبة سبعين زَنية أهونها كمن زنىٰ بأُمّه.

وسُئِل ﷺ، يكون المؤمن جباناً قال نعم قيل ويكون بَخيلاً قال نعم، قيل ويكون كذّاباً قال لا: وقال أبو جعفر ﷺ أنّ اللّه عزّ وجلّ جعَل لِلشّر أقفالاً وجَعل مَفاتيح تلك الأقفال الشّراب والكَذِب أشّر من الشّراب.والأحاديث الواردة في ذَمّه كثيرة ومَن كان هذا شأنه فكيف يؤخذ صَديقاً.

لا يَكذب المَرء إلّا من مهانته	أو فعله السُّوء أو من قِلّة الأَدَبِ
لَبعضُ جيفة كَلبٍ خير رائحةً	من كذبة المَرء في جدٍّ وفي لَعبٍ

١- غافر ـ٢٨
٢- النّحل ـ٣٦
٣- المرسلات ـ١٥
٤- النّحل ـ١٠٥

٣٨

□ قوله عليه السلام: لا قُرْبَةَ بالنَّوافِلِ إذا أضرَّتْ بالفَرائِضْ...

القُرْبة بضّم القاف وسكون الرّاء وبضّمها ما يُتقرب به الىٰ اللّه تعالىٰ من أفعال البّر والطّاعات والنّوافل جمع نافِلة مأخوذ من النّفل بمعنىٰ الزّيادة سمّيت بها لأنّها زيادة علىٰ الفَرض، والفَرائض جمع فَريضة مأخوذة من الفَرض وهو التّوقيت ومنه قوله تعالىٰ: ﴿فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ﴾ [1] أي وقته وقيل الفَرض الوجُوب ومنه فَرَض اللّه الصّلوٰة والزّكوٰة وغيرهما من الواجبات وكيف كان لا شّك أنّ المراد بالنّوافل في المقام المَندوبات وبالفَرائض الواجبات والمعنىٰ لا يُتقرب بالنّوافل الىٰ اللّه تعالىٰ إذا أضّرت النّوافل بالفَرائض بأن كان العَمَل بالنّوافِل مُوجباً لتّضييع الفَرائض والمراد بالنّوافل جميع الأعمال الغير الواجبة ممّا يَعمل لوجه اللّه وإمّا تَخصيصها بالصّلوٰة المندوبة فعرفٌ طار وقد ورد في الحديث، أنّ عبدي يتّقرب الّي بالنّوافل حتّىٰ أحبّه:

فالّذي يستفاد من الكلام هو أنّ الأصل في الدّين الفَرائض وأمّا النّوافِل فهي الزّيادات المُتفرعة علىٰ الواجبات فلا يَجوز عَقلاً وشرعاً ترك الأهمّ والأخذ بالمُهمّ وتفصيل الكلام فيهما في الفقه.

١- البقره- ١٩٧

﴿٣٩﴾

□ قوله ﷺ: لِسَانُ العاقِلِ وَرَاءَ قَلْبِهِ وقَلْبُ الأَحْمَقِ ورَاءَ لِسَانِهِ...

قال السيد ﷺ: وهذا من المعاني العَجيبة الشّريفة، والمراد به أنّ العـاقل لا يُطلق لسانه، إلّا بعد مشاورة الرَؤية ومؤامرة الفكرة. والأحَمق تستبق خَدَمات لسانه وفَلَتات كلامه مُراجَعة فكره ومُماخضة رأيه فكأنّ لسان العاقل تابع لقلبه وكأنّ قلب الأحمق تابعٌ لِلسانه.

وقد رُوي عنه عليه السّلام هذا المعنىٰ بلفظٍ آخر، وهو قوله:

قَلْبُ الْأَحْمَقِ فِي فِيهِ، وَلِسَانُ الْعَاقِلِ فِي قَلْبِهِ...

ومعناهما واحد انتهى .ماذكره الرّضي ﷺ أقول قد فَسَّره السيّد بما لا مزيد عليه:

دَخل رجل علىٰ سليمان بن عبد المَلك فتكّلم عنده بكلامٍ أعَجب سليمان فأراد أن يَختبره لينظر أَعَقله علىٰ قدر كلامه أم لا فَوجده مضعوفاً فقال فضل العقل علىٰ المنطق حكمة وفَضل المنطق علىٰ العَقل هِجنة وخير الأُمـور مـا صدّق بعضه بعضاً وأنشَد:

وما المَـرء إلّا الأصغران لسـانه ... ومـقوله والجسـم خَـلقٌ مُـصّورُ

فــإن تَـرَ مـنه مـا بـروق فـربّما ... أمَرّ مذاق العُود والعُـود أخَـضر

ومن أحَسن ما قيل في هذا المعنىٰ قول زهير:

وكأن تَرىٰمن صامتٍلك مُعجبٍ ... زيـادته أو نـقصه فـي التّكـلم

لسان الفتىٰ نصفٌ ونصفٌ فؤاده فلَم يَبق إلّا صُورة اللّحم والدَّم

وقال الآخر:

يُعرف عقل المَرء في أربعٍ مَشيَته أوّلها والحَرَك

ودَور عَينيه وألفاظه بَعدُ عليهنّ يدُور الفَلَك

وربّما أخلَفن إلّا التي آخرها مَنهنّ سُمّين لَك

هذي دليلات عَلىٰ عَقله والعَقل في أركانه كالعَلَك

إن صَحّ صَحّ المَرء من بعده ويَهلك المَرء إذا ما هَلَك

فأنظُر الىٰ مَخرج تدبيره وعَقله ليس الىٰ ما مَلَك

فربّما خَلّط أهل الحجا وقد يكون النّوك في ذي النُّسك

فأن إمامٌ سأل عن فاضلٍ فأدلُل علىٰ العاقل لا أُمّ لك

وقال الآخر:

يُمثل ذُو العقل في نفسه مصائبه قبل أن تَنزلا

فأن نَزلت بَغتةً لم تَرُعه لما كان في نفسه مَثّلاً

رأىٰ الهَمّ يُفضي الىٰ آخرٍ فَصّير آخره أوّلاً

وذُو الجَهل يأمن أيّامه ويَنسىٰ مصارع من قد خلا

وقيل بالفارسية:

تا مَرد سخن نگفته باشد عَيبُ وهُنرش نهُفته باشد

هر بيشه گمان بَركه خالى است شايد كه پلنگ خفته باشد

٤٠

قوله عليه السلام: لِبَعْضَ أَصْحَابِهِ فِي عِلَّةٍ إعْتَلَّها: جَعَلَ اللَّهُ مَا كانَ مَنْ شَكْوَاكَ حَطَّاًلِسَّيئاتِكَ فَإِنَّ المَرَضَ لا أَجرَ فِيهِ ولَكِنَّهُ يَحُطُّ السَّيِّئَاتِ. ويَحُتُّها حَتَّ الأَوْرَاقِ. وإِنَّما الأَجْرُ فِي القَوْلِ باللِّسانِ والْعَمَلُ بالأَيْدي والإِقْدَامِ وإِنَّ اللَّهَ سُبحانَهُ يُدْخِلُ بِصِدْقِ النِّيَّةِ والسَّرِيرَةِ الصَّالِحَةِ مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبَادِهِ الْجَنَّةَ...

قال الرضي رحمه الله: صَدق عليه السَّلام، أنَ المَرض لا أجر فيه، لأنّه من قبيل ما يستَحق عليه العِوَض، لأنَ العِوَض يُستَحق علىٰ ما كان في مقابلة فعل اللّه تعالىٰ بالعَبد، من الآلام والأمراض، وما يجري مَجرىٰ ذلك. والأجر والثواب يُستَحقان علىٰ ما كان في مقابلة فعل العَبد، فبينهما فرق قد بيّنه عليه السّلام ،كما يقتضيه عمله الثاقب ورأيه الصّائب...

حاصل ما أفاده عليه السلام في المقام هو أنّ المَرَض بما هو هو لا أجر فيه نعم هو يَحط السيئات من الأعمال والأقوال ويحتّها حتّ الأوراق من الأشجار وأنما الأجر من اللّه تعالىٰ من القَوْلِ باللِّسَانِ والْعَمَلِ بالأركان بالأَيْدِي والأقدام ثمّ قال عليه السلام وإنَّ اللّهَ يُدخِلَ مِنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ الجَنَّةَ بِصِدْقِ النِّيَّةِ والسَّرِيرَةِ الصَّالِحَةِ، وحاصل ما أفاده السيّد رحمه الله في تفسير كلام أمير المؤمنين هو أنّ الأجر والثّواب من اللّه تعالىٰ مقابلة فعل العبد والمَرض ليس من فعله حتّىٰ يثاب عليه بل هو فعل اللّه تعالىٰ وبين فعل العَبد وفعل اللّه فرق واضح: وقال الشّارح المعتزلي في المقام ما لفظه:

ينبغي أن يُحمل كلام أمير المؤمنين في هذا الفصل على تأويلٍ يطابق ما تدّل عليه العقول وإلّا يُحمل على ظاهره وذلك لأنّ المَرض إذا إستّحق عليه الإنسان العِوض لم يَجُز أن يُقال أنّ العِوض يَحطّ السّيئات بنفسه لا على قول أصحابنا ولا على قول الإمامية أمّا الإمامية فأنّهم مُرجئة لا يذهبون الى التّحابط وأمّا أصحابنا فأنّهم لا تحابط عندهم إلّا في الثّواب والعقاب فأمّا العقاب والعِوض فلا تحابُط بينهما لأنّ التّحابُط بين الثّواب والعقاب أنّما كان بأعتبار التّنافي بينهما من حيث كان أحدهما يتّضمن الإجلال والإعظام والآخر يتّضمن الإستخفاف والإهانة ومحالٌ أن يكون الإنسان الواحد مُهاناً مُعظَماً في حالةٍ واحدة ولمّا كان العِوض لا يتّضمن إجلالاً وإعظاماً وأنّما هو نفعٌ خالص فقط لم يكن منافياً للعقاب وجاز أن يجتمع لِلإنسان الواحد في الوقت الواحد كونه مستّحقاً للعقاب والعِوض أمّا بأن يوفَر العِوض عليه في دار الدّنيا وأمّا بأنّ يوصل اليه في الآخرة قبل عقابه أن لم يمنع الإجماع من ذلك في حقّ الكافر وأمّا أن يخفّف عنه بعض عقابه ويجعل ذلك بَدلاً من العِوض الّذي كان سبيله أن يوصل اليه وإذا ثبت ذلك وَجَب أن يُحمل كلام أمير المؤمنين ﷺ على تأويل صحيح وهو الّذي أراده ﷺ لأنّه كان أعرف النّاس بهذه المعاني ومنه تعلّم المتكلّمون علم الكلام وهو أنّ المَرض والألَم يحطّ اللّه تعالى عن الإنسان المبتلى به ما يستّحقه من العقاب على معاصيه السّالفة تفضيلاً منه سبحانه فلمّا كان إسقاط العقاب متّعقباً لِلمرض وواقعاً بعده بلا فصل جاز أن يطلق عليه اللّفظ بأنّ المَرض يحطّ السّيّئات ويحتّها حتّ الوَرق كما جاز أن يطلق اللّفظ بأنّ الجماع يحبل المرأة وبأنّ سقي البَذر الماء يُنبته و أن كان الوَلد والزّرع عند المتكّلمين وَقعا من اللّه تعالى على سبيل الإختيار لا على الإيجاب ولكنّه أجرى العادة وأن يفعل ذلك عقيب الجماع وعقيب سَقي البَذر الماء، فأن قلت أيَجوز أن يُقال أنّ اللّه تعالى بمرض الإنسان المستّحق للعقاب ويكون أنّما أمرَضه ليسقط عنه العقاب لا غير، قُلتُ لا لأنّه قادر على أن يُسقط

عنه العذاب إبتداءً ولا يجوز إنزال الألم حيث لا يمكن إقتناص العِوض المُجزئ به اليه إلّا بطريق الألم وإلّا كان فعل الألَم عَبثاً ألا ترىٰ أنّه لا يجوز أن يستحقّ زيد علىٰ عمرو ألف درهم فيضربه فيقول أنّما أضربه لأجل ما يناله من ألَم الضَرب مُسقِطاً لما إستحقه من الدّراهم عليه وتذّمه العقلاء ويُسفّهونه فيقولون له فهلاّ وَهبتها له وأسقطتَها عنه من غير حاجةٍ الىٰ أن تضربه أو تؤلمه والبحث المستقصي في هذه المسائل في كتبي الكلاّمية فليرجع عليها وأيضاً فالآلام قد تنزل بالأنبياء وليسُوا ذوي ذنوب ومعاصٍ ليقال أنّها تَحطها عنهم انتهىٰ ما ذكره بألفاظه وعباراته وأنّما نقلناه بطَوله لأنّه من الممكن أن تفهم من كلامه غير ما فِهمنا منه وأمّا علىٰ ما إستفدنا منه فتَرد عليه إشكالات:

الأوّل: أن كان مراده بحمل كلامه ﷺ علىٰ ما تدل عليه العقول وتطابقه عقول المعتزلة فهو من حمل الكلام علىٰ ما لا يرضي به صاحبه لأنّه ﷺ لم يتكلّم علىٰ مذاق الإعتزال وأن كان المراد عقول الصّحيحة السّليمة فهو مَتين إلّا أنّ الكلام لم يخالفها ليحتاج الىٰ التأويل كما ستعرف الحقّ فيه:

الثّاني: قوله أنّ العِوض لا يحطّ السّيئات بنفسه لا علىٰ قول أصحابنا ولا علىٰ قول الإمامية أمّا الإمامية فأنّهم مرجئة لا يذهبون الىٰ التّحابط وأمّا أصحابنا فأنّهم لا تحابط عندهم إلّا في الثّواب والعقاب الخ.

لا يرجع الىٰ مُحصلّ بل ظنّي أنّه لم يعرف معنىٰ التّحابط الّذي لا نقول به فلا بدّ لنا أوّلاً من تحرير محّل النّزاع ثمّ نذكر ما يرد عليه فنقول:

الإحباط معناه سقوط ثواب المتّقدم بالمَعصية المتأخرة والتّكفير عكسه أي يكفّر ذنوبه المتّقدمة بطاعته المتأخرة وبعبارةٍ أُخرىٰ الإحباط إسقاط الثّواب بسبب المعصية بعده والتّكفير إسقاط المعصية بسبب الثّواب المتأخر عنها فالمحقّقون علىٰ إستحالتهما لكونهما من الظّلم القبيح قال المحقّق الطّوسي ﵀ في التّجريد والإحباط باطل لإستلزامه الظّلم ولقوله تعالىٰ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ

﴿ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾ (١) وقال العَلامة في شرحه ما لفظه

إختلف النّاس هنا فقال جماعة من المعتزلة بالإحباط والتّكفير ومعناهما أنّ المكلّف يسقط ثوابه المتقدم بالمعصية المتأخرة أو يكفر ذنوبه المتقدمة بطاعته المتأخرة ونفاهما المحققون:

ثمّ القائلون بهما إختلفوا فقال أبو علي أنّ المتأخر يسقط المتقدم ويبقى على حاله وقال أبو هاشم أنّه ينتفي الأقل بالأكثر وينتفي من الأكثر بالأقل ما ساواه ويبقى الزائد مستحقاً وهذا هو الموازنة ويدّل على بطلان الإحباط أنّه يستلزم الظُلم لأنّ من أساء وأطاع وكانت إساءته أكثر يكون بمنزلة من لم يحسن وأن كان إحسانه أكثر يكون بمنزلة من لم يسئ وأن تساويا يكون مساوياً لمن يصدر عنه أحدهما وليس كذلك عند العقلاء ولقوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ (٢) والإيفاء بوعده ووعيده واجب انتهى ما قاله العَلامة بعباراته وألفاظه وتبعه الفاضل القُوشجي وهو من أعيان العّامة في شرحه على التّجريد وقال ذَهَب جماعة من المُعتزلة الى الإحباط الى آخر ما قال إذا عرفت هذا فنقول في كلام المُعتزلي إشكالان:

أحدهما، أنّه قال وأمّا أصحابنا أي المعتزلة لا تحابط عندهم، وقد عرفت خلافه وأنّ بعض المُعتزلة يقولون به كيف لا يقول المُعتزلة به مع أنّ أبا علي الجبائي وابنه أبي هاشم قالا به فكأنّ الشّارح لم يكن عارفاً بمذهَبه وأصحابه حيث نفاه عنهم مطلقاً فهذا أوّلاً:

وثانيهما، أنّ الإمّامية وأن خالفت المعتزلة فيه وقالت ببطلانه إلّا أنّ الإحباط الباطل عندهم ليس ما ذكره الشّارح في المقام وإستفاده من كلام علّي بزعمه وذلك لما عرفت من أنّ الإحباط المستحيل عندهم هو إسقاط الثّواب المتقدم بالمعصية المتأخرة بأن عَمِل عملاً صالحاً يستّحق الثّواب عليه ثمّ عَمِل سيّئاً يحبط ثوابه المتقدم فهذا هو الّذي أبطلناه عقلاً وشرعاً وما نحن فيه ليس من

---

١ - الزلزلة ـ ٧

٢- الزلزلة ـ ٧

هذا القبيل فأنّ المريض لم يَعمَل عَملاً سيّئاً يسقط به ثوابه المتّقدم وأمير المؤمنين ﷺ لم يقل هذا بل قال ولكنّه يحطّ السيّئات أي يجعلها كأنّ لم تكن وهذا ليس من الإحباط المصطلح بشيءٍ بل هو التّكفير وهو غير الإحباط بل عكسه كما عرفت ونحن لا ننكره ولا دليل على بطلانه لا عقلاً ولا نقلاً والشّارح المعتزلي حيث لم يفهم معناهما ولم يفرق بين الإحباط والتّكفير فقال ما قال وبعبارةٍ أُخرىٰ الإحباط المُستحيل عندنا غير ما فهمه المعتزلي ولا ربط له بما نحن فيه أصلاً وعلىٰ فرض التّسليم فما نحن فيه داخل في التّكفير لا في الإحباط وهما متقابلان متناقضان وذلك لأنّ المرض أحبَط ذنوبه المتّقدمة علىٰ الفرض لا ثوابه المتّقدم حتّىٰ تُسمّيه إحباطاً ومن لم يفرق بين المقامين كيف يحمل كلامه ﷺ علىٰ ما حَمَل وليتَ شعري ما الّذي قاله في كتبه الكلاّمية وهو لم يفرق بينهما ولَم يعرف مَذهبه ومَذهَب أصحابه ونسَب الشيعة الإمامية بالمرجئة وأمثال ذلك مِمّا قاله من غير أن يتّعقل معناه:

الثّالث: قوله فلمّا كان إسقاط العقاب متّعقباً للمرض وواقعاً بعده بلا فصل جاز أن يُطلق اللّفظ بأنّ المَرَض يحّط السيّئات ففيه مضافاً الىٰ ما ذكرناه في الإشكال الثّاني من أنّ المقام ليس من الإحباط، أنّ ما ذكره لا يرجع الىٰ محصّل وذلك لأنّه أيّ فرقٍ بين القول بأنّ المَرَض يحطّالسيّئات أو يحطّ العقاب أليسَ العقاب من لوازم السيّئات من الأعمال ونفي الملزوم يستلزم نفي اللاّزم فإذا كان المَرَض ينفي العقاب علىٰ قول المعتزلي فهو ينفي السيّئات بطريق أولىٰ وذلك لأنّ نفي العقاب لا يخلو من وجهين، أحدهما أن نقول بأنّ المَرض ينفي العقاب فقط والسيّئات موجودة بحالها، والثّاني القول بنفي العقاب والسيّئات معاً فعلىٰ الأوّل يلزم إنفكاك اللاّزم عن الملزوم وهو محال وعلىٰ الثّاني يثبت المطلوب ومحصّل الكلام هو أنّ نفي الملزوم بعينه نفي اللاّزم فَنفي المَرض السيّئات هو نفيه العقاب وبالعكس وليس هذا من التّحقيق بشيءٍ كما زعم الشّارح المعتزلي وأمّا الأمثلة الّتي ذَكرها من أنّ الجماع يحبل المرأة

أوسقي البَذر الماء يُنبته فهي خارجة عن محلّ الكلام لأنّ الحَبل ليس من لوازم الجماع ولا الإنبات من لوازم سقي البَذر ألا ترىٰ أنّ كلّ جماع لا يستلزم الحَبل ولا كل سقي الإنبات نعم في بعض الأوقات يلزمه وهذا بخلاف ما نحن فيه فأنّ العَمَل صالحاً كان أو سيئاً يلزمه الثّواب أو العقاب فالثّواب والعقاب من لوازمه الّتي لا ينفك عن الملزوم فكأنّ الشّارح لم يفرق بين اللّوازم وأنّها بيّنة وغير بيّنة ثمّ البيّن منهما بينٌ بالمعنىٰ الأعمّ وبينٌ بالمعنىٰ الأخصّ وأنّها تارة تكون من لوازم الوجود وأُخرىٰ من لوازم الماهيّة وهكذا:

الرّابع : قوله فأن قلت أَيَجُوز أن يُقال أنّ اللّه يمرض الإنسان المستّحق للعقاب ويكون أنّما أمرَضَه ليَسقط عنه العقاب لا غير قُلتُ لا لأنّه قادر علىٰ أن يسقط عنه العقاب إبتداءً الىٰ آخر ما قال:

فنقول ليس الأمر كما ذكرتَ فأنّ اللّه تعالىٰ أبىٰ أن تجري الأُمور إلّا بأسبابها وسبب رفع العقاب هو المَرض وأمثاله فأنّ اللّه إذا أراد بعبدٍ خيراً هيّأ له أسبابه ومن الأسباب المَرض والحجّ كما وَرد أنّ الحاجّ بعد فراغه من الأعمال كيوم ولدته أُمّه وكالجهاد في سبيل اللّه وأمثال ذلك من الأسباب الباعثة علىٰ حَطّ السّيئات والعقاب يوم القيامة فقول الشّارح لأنّه قادر علىٰ أن يسقط عنه العقاب إبتداءً قول بلا تحصيل ولا دراية فأنّ اللّه قادر علىٰ أن يخلق الإنسان إبتداءً كما خلق آدم وحوّاء فلأيّ شيئٍ خلق الذّكر والأُنثىٰ وقال: **﴿إنّا خَلَقْنَاكُم مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾**[1] وأنّ اللّه قادر علىٰ إيجاد جَميع الأشياء إبتداءً من غير أن يكون لها أسباب فَلِمَ خَلَقَ الأسبابَ وأمَرَنا بالتّمسّك اليها وأعجبُ من ذلك تمثّله بإستّحقاق زيد علىٰ عمرو وألف درهم فيضربه ويقول أنّما أضربُه لأجعَل ما يناله من الضّرب مُسقطاً لما إستّحقه من الدّراهم عليه، وذلك لعدم الرّبط بينه وبين ما نحن فيه فأنّ اللّه تعالىٰ لم يضرب العبد ولم يؤلمه أصلاً وإنّما إختَبره بمَرضه إمّا شاكِراً وإمّا كَفوراً فمن شَكر فإنّما يشكر لِنَفسه ومن كَفَر فعَليها والىٰ هذا المعنىٰ أشار أمير المؤمنين عليه السلام حيث قال إنّ اللّه سُبحانه يُدخل لصدق

١- الحُجرات ـ ١٣

النيّة والسّريرة الصّالحة من يشاء من عِباده الجنّة والكلام طويل والبَحث عَميق والأفكار كَليلة وفيما ذكرناه كِفاية لأولي الدّراية فثبت وتحصّل مِمّا ذكرنا كلّه إنّ ما ذكره الشّارح المُعتَزلي وسمّاه التحقيق بزَعمه من حمل كلام علّيٍ عليه السلام علىٰ غير ظاهره علىٰ ما مرّ تفصيله لا طائل تحته مُضافاً الىٰ إنّ الأساس في إشكال المُعتَزلي الّذي صار مُوجِباً لِصَرف الكلام عن ظاهره هو إنّ الإحباط باطل وقد عرفت إنّ كلام أمير المؤمنين خارج عن الإحباط وداخل في التكفير وهو أي التكفير لا إشكال فيه ولا سيّما علىٰ مَذهبنا الّذي مُؤيّد بِالكتاب والسُنّة قال الله تعالىٰ: ﴿وأقِمِ الصَّلوٰةَ طَرَفَيِ النَّهارِ وَزُلَفاً مِّنَ الَّيلِ إنَّ الحَسَنَاتِ يُذهِبنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ﴾ (١)

و: ﴿إلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِم حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَّحِيماً﴾ (٢)

و: ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا﴾ (٣) وأمثال ذلك من الآيات وأنت ترىٰ إنّ هذه الآيات تدّل علىٰ إمكان تبديل السيّئة بالحَسَنة بل علىٰ وقوعها ولا نعني بالتكفير إلّا هذا نعم لابُد لِلتبديل من أسباب خارجيّة ومنها المَرَض إذا كان المَريض شاكِراً بِالقلب واللّسان والأركان لا نفس المَرَض بِما هو هو وإلّا فَالكافِر أيضاً قد يمرض مع إنّه لاحظّ هناك قَطعاً ولذلك قال عليه السلام فإنّ المَرَض لا أجر فيه وإنمّا الأجر من القَول بِاللّسان والعَمَل بالأيدي والأقدام وإذا عرفت ما تلوناه عليك فقد علمت إنّ كلام أمير المؤمنين في غاية الإستِحكام والمَتانة عقلاً ونقلاً ولا يحتاج الىٰ التّأويل أصلاً فإنّه علّق الحظّ علىٰ المَرَض والأجر علىٰ الشكر القَولي والعَمَلي هذا خلاصة ما فهمناه من العِبارة ومع ذلك لا ندّعي إنّه الحقّ فإنّ الإنسان محَل النسّيان والخَطأ وكلام المعصوم لا يفهمه واقِعاً إلّا المَعصُوم فإنّه تحت كلام الخالق وفوق كلام المَخلوق:

١- هود-١١٤ ٢- الفرقان-٧٠
٣- الأعراف-٩٥

٤١

□ قوله ﷺ: في ذكر خَباب يرحم الله خباباً بن الأرت، فَلَقَدْ أَسْلَمَ رَاغِباً وهَاجَرَ طَائِعاً وقَنِعَ بالكَفافِ ورَضِيَ عَنِ اللهِ وَعاشَ مُجاهِداً...

قال في الإصابة، خباب بن الأرث بتشديد المثناة بن جندلة بن سعد بن خزيمة بن كَعَب سعد بن زيد مناة بن التميم التمّيمي ويقال الخُزاعي أبو عبد الله سُبي في الجاهلية فَبيع بِمَكّة وكان مولىٰ أمّ أنمار الخزاعيّة وقيل غير ذلك ثمّ حالف بني زهرة وكان من السّابقين الأوّلين قال ابن سعد بيع بِمَكّة ثمّ حالَف بني زهرة وأسلم قديماً وكان من المُستضعفين وروي الباوردي إنّه أَسلم سادس ستّة وهو أوّل من أظهَر إسلامه وعُذّب عَذاباً شديداً لأجل ذلك الىٰ أن قال ثمّ شَهد المشاهد كلّها وآخىٰ رسول الله بينه وبين جُبير بن عتيك رَوي عن النّبي ﷺ ورَوي عنه أبو إمامة وعبد الله بن خَبات وأبو معمر وقيس بن أبي حازم ومسروق وآخرون روي الطّبراني من طريق زيد بن وَهَب قال لمّا رجع عليّ ﷺ من صفّين مَرّ بقَبر خباب فقال رَحم الله خَباباً أسلم راغِباً وهاجر طائِعاً وعاش مُجاهِداً وابتلىٰ في جسمه أحوالاً ولن يضيع الله أجره وشهد خباب بَدَراً وما بعدها ونزل الكوفة ومات بها سنة سبع وثلاثين زاد ابن حيان مُتصرف عليّ من صفّين وصلّىٰ عليّ ﷺ عليه وقيل مات سنة تسع عشرة والأوّل أصّح وكان يعمل السّيوف في الجاهلية وساق الحَديث الىٰ أن قال ويقال إنّه دُفن بِظهر الكوفة وهو أوّل من دُفن بِظهرها:

وقال ابن عبد البّر في الإستيعاب نظير ذلك وقال إنّه نَزَل الكوفة ومات بها سنة سبع وثلاثين منصرف عليّ من صفّين وقيل بل مات سنة تسع بعد أن شهد مَعَ عليٍ صفّين ونَهروان وصلّىٰ عليه عليّ ابن أبي طالب وكان سنّه إذ مات ثلاثاً وستّين سَنة انتهىٰ.

وكيف كان لا شّك لأحدٍ إنّه كان من شيعة أمير المؤمنين عليه السلام وأمّا إنّه مات قبل وقعة صّفين أو بعدها ففيه خلاف ولا يهّمنا البَحث فيه وقد أثبت أمير المؤمنين عليه السلام في كلامه هذا له أموراً خَمسة

أحدها قوله عليه السلام: **فَلَقدْ أَسلمَ رَاغِباً**، وفيه إشارة الىٰ إنّ إسلامه لم يكن عن كُرهٍ ولا عن نفاقٍ فإنّ كثيراً من المُسلمين في صدر الإسلام أَسلموا من غير رغبةٍ لهم في الإسلام كأبي سفيان وإبنه معاوية وابن عوف وأمثالهم من مشاهيرهم ولذلك عُدّوا من المنافقين إذ أسلموا ظاهِراً ولم يسلموا قَلَباً فأظهروا الإسلام وأَبطنوا الكُفر ولا نعني بِالنّفاق إلّا هذاوإنّما قلنا إنّهم أَسلموا عن كُرهٍ لأنّهم خالَفوا الإسلام وقاتلوا المسلمين فلّما لم يقدروا علىٰ إطفاء نور اللّه وخافوا منه علىٰ نفوسهم وأموالهم أَسلموا الا ترىٰ إنّ أبا سفيان لم يسلم حتّىٰ رأىٰ الخَطَر علىٰ نفسه بعينه وأكثر المسلمين في صدر الإسلام كانوا من هذا القبيل وقلّما يُوجد فيهم من كان بِخَلافه أمثال سَلمان وأبي ذَر وعمّار وخباب بن الأرت والمقداد وغيرهم مِمّن يشار اليهم بِالبَنان:

وثانيها قوله عليه السلام: **وهاجر طائعاً**، وفيه إشارة الىٰ إنّه كان من المُهاجَرين مع رسول اللّه صلى الله عليه وآله من مكة الىٰ المدينة وإنّ هجرته كانت لأجل طاعته لِللّه ولِرسوله لا لِغَرضٍ آخر من الأغراض النّفسانية.

فأنّ قبول الإسلام والهجرة مع النّبي لا خير فيها اذا كانا لغير اللّه وبعبارةٍ أُخرىٰ الإسلام عبارة عن مجّرد الشّهادتين باللّسان والهجرة عبارة عن الإنتقال من مكانٍ الىٰ مكانٍ آخر، ومن المعلوم أنّ الآثار الشّرعية في الدّنيا والآخرة أنّما تتَرتب علىٰ النّية فمن كان قصده من الإسلام والهجرة حفظ مالِه وصَون دَمه وبلُوغه الىٰ مقاصده الدّنيوية تحت لواء الإسلام والهجرة فهو رَهين نيّته وأسير

هَواه والله ورسُوله بَريئان منه هذا أن أردنا من هجرته من مكّة الى المدينة وأمّا أن أُريد منها الهجرة من المدينة الىٰ الكوفة مع أمير المؤمنين عليه السلام فالمعنىٰ أنّه كان في تلك الهجرة أيضاً من المُطيعين لإمام زمانه ولم تكن هجرته هجرة النّفاق والإلحاد:

وثالثها قوله عليه السلام: **وقَنَع بالكَفاف** وفيه إشارة الىٰ مدح ثالث له وهو كونه قانعاً بما رزقه الله ولم يكن حريصاً في الدّنيا علىٰ جمع الأموال كالزّبير وطلحة وأمثالهما وقد مَرّ الكلام في مدح القناعة.

ورابعها قوله عليه السلام: **ورضي عن الله**، وفيه إشارة الىٰ مقام الرّضا له وأنّه كان من الرّاضين في مقام العبوديّة وقد عرفت سابقاً أنّ مقام الرّضا والتّسليم بقضاء الله وقَدره من أفضل المقامات وأعلىٰ الدّرجات قال الله تعالىٰ: **﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾** (١)

و: **﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ﴾** (٢)

و: **﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَالِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾** (٣)

وخامسها قوله عليه السلام: **وعاشَ مجاهداً**، بقلبه ولسانه وأركانه في سبيل الله وقد قال الله تعالىٰ في حقّ المُجاهدين: **﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾** (٤)

و: **﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾** (٥) والآيات كثيرة ومرّت غير مرّةٍ ومحّصل الكلام أنّ أمير المؤمنين أثبت له الإسلام عن رغبةٍ والهجرة عن طاعةٍ والقناعة عن كفاف والرّضا برضاء الله والحَياة في الدّنيا بالمُجاهدة في سبيله ومن كان هذه الأوصاف ثابتة له فهو المؤمن حقّاً ولاسيّما إذا شَهد بوجود هذه الأُوصاف فيه إمام زمانه وحجّة الله علىٰ خَلقه.

١- التوبة ـ ١٠٠
٢- المجادلة ـ ٢٢
٣- البيّنة ـ ٨
٤- العنكبوت ـ ٦٩
٥- الأنفال ـ ٧٤

۴۲

□ قوله عليه السلام: **طُوبىٰ لِمنْ ذَكْرَ المَعادَ وعَمِلَ للْحِسَابِ وقَنِعَ بالْكَفافِ وَرضِيَ عَن اللّهِ...**

طُوبىٰ بضّم الطّاء قيل هو شجرة في الجنّة وقيل بل إشارة الىٰ كلّ مُستطاب فيها من بقاء بلا فناء وعزٌ بلا زوال وغِنىٰ بلا فقر والمقصود أنّ من إتّصف بهذه الصّفات الأربعة في الدّنيا وهي ذكر المعاد وهو كناية عن الموت وما بعده من مراحل الآخرة وعَمِل للحساب لا لِلهَوىٰ وقَنع بالكَفاف بما رَزقه اللّه ورضي بقضاء اللّه وقَدره فطُوبىٰ له وحُسن مآب وقد مَرّ الكلام فيها غير مَرّةٍ.

﴿ ٤٣ ﴾

▫ **قوله ﷺ: لوْ ضَرَبْتُ خَيْشُومَ الْمُؤْمِنِ بِسَيفِي هذا عَلى أنْ يُبْغِضَني ما أبْغَضَني أوْ لَوْ صَبَبْتُ الدُّنْيا بِجَمَّاتِها علىٰ المُنافِقِ علىٰ أنْ يُحِبَّني ما أحَبَّني وذلِكَ أنَّهُ قُضِي فانْقَضَى علىٰ لِسَانِ النَّبيِّ الأُمِّيِّ صَلىٰ اللّٰهُ عَلَيهِ وَآلِهِ قالَ ﷺ ياعَلِيُّ لا يُبْغِضُكَ مُؤمِنٌ ولا يُحِبُّكَ مُنَافِقٌ...**

(الخَيْشُومَ) بفتح الخاء أصل الأنف (بجَمَّاتِها) الجمّات بفتح الجيم جمع جَمّة بفتحها أيضاً والجَمّة من السّفينة مجتمع الماء المترشح من ألواحها والمعنىٰ لو ضربتُ أنف المؤمن بسيفي هذا علىٰ أن يَبغُضني ما أبغَضني أي إنّ ضَربتي عليه لا توجب بُغضه أو لو صَببتُ الدّنيا بِجَمّاتها أي لو كفأت عليه الدّنيا بِجَليلها وحَقيرها علىٰ أن يُحبنّي ما أحَبنّي بإعطائي إيّاه والوَجه فيه إنّه قُضِيَ فإنقَضىٰ أي قُدّر وسَبق في علم اللّه وَجرىٰ علىٰ لِسان النّبي الأمّي يا علّي لا يُبغِضُك مؤمن ولا يَحُبّك مُنافق، وما قُضي كان:

غرضه ﷺ من هذا الكلام إنّ الحُبّ والبُغض من النّاس في حقّي أمران يرجعان الىٰ ذواتهم فَمَن كان مؤمناً فهو مُحب لي لِطيب ذاته ومن كان مُنافق مُبغِضٌ لي لِخُبث ذاته فالمؤمن لا يكون عدّواً مُبغضاً لي كما إنّ المُنافق لا يكون مُحِباً لي أبَداً وإستَدّل عليه بقوله ﷺ يا علّي لا يُبغِضُك الحديث ثمّ إنّ هذا الحَديث الّذي رواه ﷺ عن رسول اللّه رتمسّك به في إثبات المُدّعي من الأحاديث المَشهورة المُتَواترة بين العامّة والخاصّة وقد رواه غير واحد

منهم ونحن نذكر شطراً منها فنقول: أمّا العامّة فَبِطُرقٍ كثيرة منها، ما رواه أحمد بن حنبل في مسنده بإسناده عن رزين بن حُبيش عن عليٍ عليه السلام قال عَهَد النبّي صلى الله عليه وآله إلّي إنّه لا يحبّك إلّا مؤمن ولا يُبغِضُك إلّا مُنافق...

ومنها – عبد اللّه بن أحمد بن حَنبل بإسناده عن أبي سعيد الخدري قال ما كنّا نعرف منافقي الأنصار إلّا ببغضهم عليّاً...

ومنهاـ عبد اللّه بن أحمد بن حنبل بإسناده عن جابر بن عبد اللّه قال ما كنّا نعرف منافقينا معاشر الأنصار إلّا ببغَضهم عليّاً...

ومنها– ما رواه بإسناده عن مساور الحُميري عن أبيه قال دخلتُ علىٰ أمّ مَسَلمة فَسمعتها تقول قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله لِعلّي عليه السّلام لا يُبغِضُك مؤمن ولا يحبّك منافق...

ومنها– ما رواه بأسناده عن أبي الزّبير قال قلت لِجابر كيف كان علّيٌ فيكم قال ذاك من خير البشر ما كنّا نعرف المُنافقين إلّا ببغضهم إيّاه...

ومنها– ما رواه بأسناده عن عمّار بن ياسر قال سمعت رسول اللّه صلى الله عليه وآله يقول لعلّي عليه السّلام ياعلّي طُوبىٰ لِمن أحبّك وصدّق فيك وويلٌ لمن أبغضك وكُذّب فيك...

ومنهاـ ما رواه بأسناده عن أبي سعيد الخدري قال قال رسُول اللّه ٩ من أبغضنا أهل البيت فهو مُنافق...

ومنهاـ ما رواه بأسناده عن رزين بن جيش قال قال علّيٌ عليه السلام واللّه أنّما عَهد إلّي النّبي الأُمّي أنّه لا يبغُضني إلّا مُنافق ولا يَحبّني إلّا مؤمن، والأحاديث من طرق العامّة كَثيرة« غاية المرام ص ٦١٠»...

ومن طُرق الخاصّة: ابن بابويه في آماليه بأسناده عن ابن عبّاس قال قال رسُول اللّه صلى الله عليه وآله المُخالف علىٰ علّي بن أبي طالب بعدي كافرٌ والمُشِرك به مُشرك والمُحبّ له مؤمن والمُبغض له مُنافق والمُقتضي له لاحق والمُحارب له مارق والرّاد عليه زاهق علّيٌ نور اللّه في بلاده وحجّته علىٰ عباده سيف اللّه علىٰ أعداءه ووراث علم أنبياءه. علّيٌ عليه السلام كلمة اللّه العُليا وكلمة أعداءه

السُّفلىٰ عليّ سيّد الأوصياء ووصّي سيّد الأنبياء عليّ أمير المؤمنين وقائد الغرّ المحجّلين وإمام المُسلمين لا يقبل اللّه الإيمان إلّا بولايته وطاعته...

وأيضاً بأسناده عن الأصبغ بن نباتة قال قال أمير المؤمنين ذات يومٍ علىٰ منبر الكوفة أنا سيّد الوصّيين ووصّي سيّد النّبيين أنا إمام المُسلمين وقائد المُتّقين وولّي المؤمنين وزوج سيّدة نساء العالمين أنا المُتختم باليّمين والمُعّفر للجَبين أنا الّذي هاجرتُ الهُجرتين وبايعتٌ البيعتين أنا صاحب بدرٍ وحُنين أنا الضّارب بالسّيفين والحامل علىٰ فَرسين أنا وارث علم الأوّلين وحجّة اللّه علىٰ العالمين بعد الأنبياء ومُحمّد بن عبد اللّه خاتم النّبيين أهل موالاتي مرحومون وأهل عداوتي ملعونون ولقد كان حبيبي رسُول اللّه ﷺ كثيراً ما يقول لي ياعلّي حُبّك تقوىٰ وإيمان وبُغضك كُفرٌ ونِفاق وأنا بيت الحِكمة وأنت مفتاحه كذب من زَعم أنّه يُحبّني ويُبغضك« غاية المرام ص ٦١١» قال صاحب بن عباد:

بحُبّ علّيٍ تَزُول الشّكوك ... وتزكُوا النّفوس وتَصفُوا البحار
ومهما رأيتَ مُحبّاً له ... فثَمّ الذّكاء وثُمّ الفخار
ومهما رأيت عَدّواً له ... ففي أصله نَسبٌ مُستعار
فلا تَعذلُوه علىٰ فِعله ... فحيطان دار أبيه قصار

وقال أيضاً:

حُبّ علّي ابن أبي طالبٍ ... هو الّذي يَهدي الىٰ الجَنّة
أن كان تَفضيلي له بدعةٌ ... فلَعنة اللّه علىٰ السُنّة

وقال أيضاً :

أبا حسنٍ لو كان حُبّك مُدخلي ... جَهنّم كان الفَوز عندي جَحيمُها
وكيف يخاف النّار من كان مُوقناً ... بأنّ أمير المؤمنين قَسيمها

وقال أيضاً:

لو شُق عن قلبي يُرىٰ وسُطه ... سطران قد خُطّا بلاكاتبٍ
العَدل والتّوحيد في جانبٍ ... وحُبّ أهل البيت في جانبٍ

٤٤

□ قوله عليه السلام: سَيِّئَةٌ تَسُوءُكَ خَيرٌ عِنْدَ اللّهِ مِنْ حَسَنَةٍ تُعْجِبُكَ...

وذلك لأنّ الإنسان إذا عَمَل السّيئة وإعتَرف بقُبحها فهو يَعدّ نَفسه عاصِيةً في مقام العبُودّية فَيتُوب الىٰ اللّه تعالىٰ وأمّا إذا عَمَل الحَسَنة وأعَجَب بها فهو لا يَقّر بالذّنب بل يرىٰ نفسه في أعلىٰ الدّرجات وأسنىٰ المقامات وهذا هو العُجب المُهلك الّذي لا يَتُوب ما دام فيه وقد مَرّ الكلام في ذَمّ العُجّب وما ورد فيه من الأخبار عند شرح قوله عليه السلام وأوَحَشُ الوَحشة العُجب.

﴿٤٥﴾

□ قوله ﷺ: قَدْرَ الرَّجُل علىٰ قَدْرِ هِمَّتِهِ .وصِدْقُهُ علىٰ قَدْرِ مُرُوءَتهِ وشَجَاعَتِهِ عَلىٰ قَدْرِ أَنَفَتِهِ .وعِفَّتُهُ علىٰ قَدْرِ غِيرَتهِ...

القَدر بفتح القاف وسكون الدّال والرّاء مَصدر، مَبلغ الشّيء، كون الشّيء مُساوياً لغيره بلا زيادة ونقصان يقال هذا قدر ذاك أي مساوٍ له، والصِّدق بكسر الصّاد أيضاً مصدر وهو خلاف الكذب والأنفة ثوران الغَضَب لما يتخيل من مكروه ويعرض إستنكاراً له وإستنكافاً من وقوعه والباقي واضح فهنا أمور أربَعة:

أحدها : أنّ قَدْرَ الرَّجُل أي مَبلغه ومَنزلته علىٰ قَدر هِمَّتِهِ فَمَن كان أكثر هَمّةً فهو أعلىٰ قدراً وبالعَكس بالعكس والوجه في ذلك أنّ الهِمّة بكسر الهاء وفتح الميم المشدّدة الجزم القوّي ثمّ الإستقامة علىٰ جَزمه بأن لا يكون مضطرباً فيه وعليه فَمن لا يَجزم بشيءٍ بل يكون مضطرباً مُتزلزلاً في الأُمور فهو كاشف عن ضعف نفسه ومن كان ضعيف النّفس لا قَدرّ له لأنّ النّفس في الإنسان بمنزلة الصّورة للمادّة وقد ثبت أنّ شيئته الشّيّ بصورته لا بمادته فشيّئته الإنسان بنفسه لا بجسمه فإذا كانت النّفس ضعيفة عليلة فالإنسان عليل وإذا كانت قوّية جازمة فالإنسان قوّي جازم ولا نعني بالقَدر إلّا هذا وقد وَرَد في الحديث أن من كانت الدّنيا همتّه أي قصده الوصول اليها، فَرق اللّه أمرَه وجَعَل فقره بين

عَينَيه ولَم يأته من الدّنيا إلاّ ما كُتب له ومن كانت هِمتّه الآخرة جمع اللّه شَمله وجَعَل غناه في قلبه وأتته الدّنيا وهي راغمه ذليلة،ولذلك لا يوصف اللّه تعالىٰ بها فلا يقال أنّ اللّه عالي الهِمّة مثلاً لأنّ الهِمّة والعَزيمة يجوز علىٰ من له قلب بل ورد أنّه تعالىٰ مُريد بلا هِمّة إذا عرفت معنىٰ الهِمّة فنقول الإنسان لا يخلو في حالاته بالنّسبة الىٰ مقاصده إمّا أن يكون متّصفاً بعلوّ الهِمّة أو بذمائمها وخِستّها ولا ثالث في المقام فأن قصرت عن طلب معالي الأُمور وقَنع بأدانيها فهو دَنيّ النّفس ومتّصف بدَناءَة الهِمّة وإلّا فهو عالي الهِمّة فعُلو الهِمّة عبارة عن حصول مَلَكة السّعي في تحصيل السّعادة والكمال وطَلب معالي الأُمور في النّفس من دُون ملاحظة منافع الدّنيا ومضارّها حتّىٰ لا يعتريه السّرور بالوجدان ولا الحُزن بالفقدان بل لا يبالي في طريق الوصول الىٰ مَقصده من المَوت والقتل وأمثالهما وصاحب هذه الملكة هو المؤمن الحقيقي الشائق للموت أن كان مقصده الأعلىٰ حقّاً وليس بمؤمنٍ إن كان باطلاً وعلىٰ أيّ التّقديرين لا شَك في مَدح الصّفة سواء كانت في المؤمن أم في غيره كما أنّ العدالة والشّجاعة والسّخاوة وأمثالها صفات يستحسنها العقل ويستقّل بحُسنها وأن كانت في الكافر وأمّا الظّلم والجبن والبخل ونظائرها مذمومة وأن كانت في المؤمن المُسلم فالحُكم بحسن الصّفة من حيث هي هي غير الحكم بها من حيث وقوعها في طريق حقٍّ أو باطلٍ ضرورة أنّ وقوعها في طريق الباطل لا يخرجها عن حُسنها الذّاتي ألا ترىٰ أن الكافر العادل يُذّم علىٰ كُفره لا عدله وهكذا المؤمن الظّالم يُذم علىٰ ظُلمه لا علىٰ إيمانه وهو دليل علىٰ أنّ الإيمان والعَدل لا ذنب لهما بل همّا محكومان بالحسن عقلاً وانّما القُبح في الفاعل ولأجل هذه الدّقيقة لم يخصّ أمير المؤمنين عليه السلام كلامه بالمؤمن بل قال قَدَر الرّجل علىٰ قَدر هِمتّه مؤمناً كان أو كافراً إلّا أنّه في المؤمن أفضل وأولىٰ وهذا الّذي ذكرناه هو الّذي صار سَبَباً وباعثاً علىٰ إستيلاء الكفّار علىٰ

المسلمين المؤمنين من حيث الإختراعات والإكتشافات بل والتجارات والزّراعات والصّناعات حتّىٰ الأخلاقيات و ذلك في الأُمور الدنّيوية واضح لا شك فيه وأمّا الأُمور الأُخروية فلا إعتناء لهم بها و لذالك حُرِمُوا من نِعمها ومقاماتها ودرجاتها ولا كلام لنا فيها وبعبارةٍ أُخرىٰ الهِمّة تارة تتّعلق بالأُمور الدنّيوية وأُخرىٰ بالأُخروية وثالثة بهما جميعاً فالمؤمن ينبغي أن يكون عالي الهِمّة بالنّسبة إليهما لا الىٰ أحدهما فَمن كان من النّاس هَمّه الدّنيا يصل اليها ولا حظّ له في الآخرة كالكفّار وغيرهم مِمّن كان كذلك ومن كان هَمّه الآخرة يصل اليها كالزّاهد العابد الحقيقي ومن كا أكثر هَمّه كليهما فهو أيضاً يصل الىٰ المقصود ومن لا همّ له كالمجانين والسّفهاء فلا كلام لنا معه فأُنظر أيّها المُسّلم المدّعي لِلإيمان الىٰ نفسك لتعلم من أيّ الفِرق أنت هل من أهل الآخرة أو من أهل الدّنيا أو منهما أو لا منها ولا منها وذلك هو الخُسران المُبين ولِنعم ما قيل بالفارسية:

همّت بلنددار كه مردان روزگار از همّت بلند بجائي رسيده‌اند

وثانيها: وصِدْقُهُ علىٰ قَدْرِ مُرُوءَتِه...

أي أنّ صِدقَه يدور مدار مرؤتّه قلّةً وكثرةً وكمالاً ونقصاً وذلك لأنّ الإنسان إذا لم تكن له مَروْة فلا يبّالي في أفعاله وأقواله وقد مرّ الكلام في المَروْة والصّدق وقد روي عن النّبي ﷺ أنّه قال لا دين إلّا بمروْة:

قال ربيعة الرأي المروْة ستّ خصال ثلاثة في الحَضَر وثلاثة في السّفر، فأمّا الّتي في السّفر.

فَبَذل الزّاد، وحُسن الخُلق، ومُداعبة الرّفيق وأمّا الّتي في الحَضر فتلاوة القرآن ولزوم المساجد وعفاف الفَرج:

وقدِمَ وَفدٌ علىٰ معاوية فقال لهم ما تَعدّون المَروْة قالوا العفاف وإصلاح المعيشة، قال إسمَع يا يزيد وقيل لأبي هُريرة ما المروْة قال تقوىٰ الله وتَفقد

الضَيعة، وقيل لِلأحنَف ما المرؤة قال العِفّة والحِرفة، وقال لا مُرؤة لكذوب ولا سُودد لبخيل ولا وَرَع لسّيِئ الخُلق:

وقال النّبي ﷺ **تجاوزوا لذوي المرؤات عن عَثرتهم فوا الّذي نفسي بيده أنّ أحدهم ليعثر وأنّ يَده لَبيد اللّه**، رواه في عقد الفريد:

وقال العتبي عن أبيه لا تتّم مرؤة الرّجل إلّا بخمسٍ، أن يكون عالماً، صادقاً، عاقلاً، ذا بيانٍ مستغنياً عن النّاس وقال الشّاعر:

وما المَرء إلّا حيث يجعل نفسه ففي صالح الأخلاق نفسك فإجعل

قالوا من أخَذ من الديك ثلاثة أشياء ومن الغراب ثلاثة أشياء تَمَّ بها أدَبه ومُرؤته، مَن أخَذَ من الدّيك سخاؤه وشجاعته وغَيرته، ومن الغراب بكُوره لطلب الرّزق وشدة حَذَره وسَتَر سِفاره.

وثالثها قوله ﷺ: وشَجَاعَتِهِ عَلىٰ قَدْرِ أَنَفَتِهِ...

قال في المَنجد أنَف أنفاً من العار تَرّفع وتَنزه عنه، كَرهه فهو أنوف والأسم الأَنَفة:

وعليه فالمعنىٰ شجاعة المَرء علىٰ قدر تَرّفعه وتَنَزهه وكَراهته من العار فمن كان أرفَع وأعَلىٰ تنزهاً منه فهو أشَجع من غيره وبالعكس بالعَكس:

اعلم: أنّ الشّجاعة من أُصول الفضائل وهي إطاعة القوّة الغَضّبية للعاقلة في الإقدام علىٰ الأُمور الهائلة وعدم إضطرابها بالخَوض فيما يَقتضيه رأيها حتّىٰ يكون فعلها مَمدوحاً وصبرها محمُوداً ولا ريب في أنّها أشَرف المَلكات النّفسية وأفَضل الصّفات الكماليّة وهي الوَسَط في قوّة الغَضَب قال عمرو بن معد يكرب يَصف صَبره وبَلَده في الحَرب:

أعاذِل عُدّتِي بزّي ورُمحي وكلّ مُقلّصٍ سَلس القِياد
أعاذِل أنّما أفَنىٰ شبابي إجابتي الصّريخ الىٰ المُنادي
مَع الأبطال حتّىٰ سَلّ جسمي وأقرع عاتقي حَمل النّجاد

ويبقىٰ بعد حلم القوم حِلمي   ويَفنىٰ قبل زاد القوم زادي
ومن غَجَبٍ غجبتُ له حديث   بديعٌ ليس مِن بدع السّداد
تَمَنّىٰ أن يُلاقيني أتيٌ   وَدِدتُ وأينما مُنّي ودادي
فلو لاقيتني لَلَقيتَ ليثاً   هَصُوراً ذا ظُباً وشَباً حداد
ولا إستَيقنتَ أنّ المَوت حتّىٰ   وصَرَّح شحم قلبك عن سوادٍ
أُريد حياته ويُريد قتلي   غديرك من خليلك من مرادٍ

ورابعها قوله ﷺ: وعِفَّتُهُ علىٰ قَدْرِ غِيرَتِهِ...

العِفّة بكسر العين إنقياد القوّة الشّهوية للعاقلة فيما تأمرها به وتنهاها عنه تكتب الحرّية وتتّخلص عن أسر عبوديّة الهَوىٰ، والغَيرة بفتح الغين السّعي في محافظة ما يلزم مُحافظته وهي من نَتائج الشّجاعة وكِبر النّفس وقوّتها وبها تتحق الرّجولية والفّحلية والفاقد لها غير معدود من الرّجال والمعنىٰ من كان أكثر غيرةً كان أكثر عِفّةً وبالعكس بالعكس.

قال أمير المؤمنين أفضل العبادة العفاف: وقال الباقر ﷺ ما من عبادةٍ أفضل من عِفّة بطنٍ وفَرج...

وقال ﷺ ما عُبد اللّه بشيءٍ أفضل من عِفّة بطنٍ وفَرج....

وقال ﷺ أيّ الإجتهاد أفضل من عِفّة بطنٍ وفَرج «جامع السّعادات ج ٢ ص ١٦»...

وأمّا الغَيرة فهي أيضاً مَمدوحة عقلاً وشرعاً وهي تارةً تكون في الدّين وأُخرىٰ في الأهل وثالثة في الأولاد ورابعة في المال كلّ ذلك لا بأس به اذا لم يَتجاوز حدّ الإعتدال:

قال رسُول اللّه ﷺ أنّ اللّه لَغيُور ولأجل غيرته حرّم الفواحش...

وقال أنّ اللّه يغار والمؤمن يُغار وغيرة اللّه أن يأتي الرّجل المؤمن ما حرّم اللّه عليه...

وقال الصّادق ﷺ أنّ اللّه تعالىٰ غيُور يوحِبّ الغيرة ولغيرته حرّم الفَواحش ظاهرها وباطنها «جامع السّعادات ج ١ ص ٢٦۶»...

٤٦

□ **قوله ﷺ: الظَّفَرُ بالجَزْمِ. والجَزْمِ بإجالَةِ الرَّأيِ والرَّأيُ بِتَحْصِينِ الأسْرَارِ...**

أي أنّ الغَلَبة على العَدّو وأن شئت قلت البلّوغ الى كلّ مَقصدٍ بالظّفر والغَلَبة عليه لا تتُحقق إلّا بالحَزم والتّأني في الأُمور المعبّر عنه بالإحتياط فأنّ العَجَلة من الشّيطان ثُمّ أنّ الحَزم لايَحصل إلّا بإجالة الرّأي أي التّعمق والتّدبر وهو لا يَحصل إلّا بتَحصين الأسرار وكتمانها عن الأغيار فَمَن كتَم سّره أصاب الرّأي ومن أصابه حَزَم ومن حَزم ظَفَر قال أبو مسلم صاحب الدّولة العبّاسية:

أدركتُ بالحَزم والكِتمان ما عَجزَت
عنه ملُوك بني المروان إذ جَهدُوا

ما زلتُ أسعىٰ عليهم في ديارهم
والقَوم في غَفلةٍ في الشّام قد رَقدوا

حتّىٰ ضربتهم بالسّيف فإنتبهوا
من نومةٍ لَم يَنُمها قبلهم أحَد

ومن رعىٰ غَنماً في أرض مُسبغةٍ
ونام عنها تَولّىٰ رَعيها الأسد

وقال أنوشروان من حصن سّره فَلَه بتَحصينه خِصلتان الظَفر بحاجته والسّلامة من السّطوات وقيل كلّما كثرت خزّان الأسرار زادت ضياعاً، وقيل إنفرد بِسّرك لا تُودعه حازماً فَيزَل ولا جاهلاً فَيخون.

وقد مَرّ الكلام فيه عند قوله ﷺ صدر العاقل صندُوق سّره.

﴿٤٧﴾

▫ قوله ﷺ: إِحْذَرُوا صَوْلَةَ الكَرِيمِ إِذا جاعَ واللَّئِيم إِذا شَبِعَ...

الصَّولة بفتح الصّاد وسكون الواو مصدر قولك صال يَصُول صَولاً وصَولةً، الصَّولة السَّطوة والقُدرة والقَهر والجَولة والحَملَة في الحَرب، والكَريم، بفتح الكاف ذو الكرم يقال رجل كَريمٌ أي سَخيّ، واللّئيم، بفتح اللاّم خلاف الكريم البَخيل الدَّنيّ، والمعنىٰ إحذروا أي كونوا علىٰ حَذَرٍ من صَولة الكَريم وسَطوته إذا جاعَ وهو كناية عن إحتياجه في أمر معاشه وإحذروا اللّئيم إذا شَبِعَ وإستَغنىٰ.

ولعلّ الوَجه فيه هو أنّ الكَريم بمُقتضىٰ جبّليته وطبعه صار مُعتاداً بالسّخاء والجُود والإعطاء لغيره فإذا جاعَ أي اذا لَم يَقدر علىٰ إجراء ما كان عليه من الكِرم فهو صَعبٌ عليه جدّاً وأمّا اللّئيم فهو بالعكس لأنّه كان دَنيّاً بخيلاً مُمسكاً فإذا شَبِع وصار متّمولاً ذا ثَروةٍ لا يُنفق علىٰ المُحتاجين بمُقتضىٰ طَبعه وهو مُشكلٌ جدّاً فالمراد من قوله ﷺ: إِحْذَرُوا صَوْلَةَ الكَرِيم إذا جاعَ هو المنع عن جُوعه حتّىٰ الإمكان كماأنّ المراد بالجملة الثّانية هو المَنع عن شَبع اللّئيم فأنّ جوع الكَريم آفة علىٰ الإجتماع وشَبع اللّئيم كذلك وأمّا الشّارح المُعتزلي فقال في شرح الكلام ليس يعني بالجوع والشّبع ما يتعارفه النّاس وأنّما المراد إحذروا صَولة الكَريم إذ أُضيم وأُمتهن وإحذروا صَولة اللّئيم إذا أُكرم ومثل المعنىٰ الأوّل قول الشّاعر:

لا يَصبر الحُرّ تحت ضيمٍ   وأنّما يَصبر الحمارُ

ومثل المعنىٰ الثّاني قول أبي الطّيب:

إذا أنتَ أكرَمت الكَريم مَلكته   وأن أنتَ أكرَمتَ اللّئيم تمَردا

هذا ما ذكره في شرح كلامه عليه السلام بألفاظه وعباراته وعليه فيرجع معنىٰ كلام أمير المؤمنين عليه السلام الىٰ أنّ لا تهينُوا الكَريم ولا تَظلمُوه ولا تُكرمُوا اللّئيم فأنّ الكَريم إذا ظُلم واللّئيم إذا كُرم ينبغي أن يُحذر شرّهما أو سَطوتهما:

وأنت خبير بأنّ الجُوع ليس بمعنىٰ الظّلم ولا الشّبع بمعنىٰ الإكرام نعم هما من لوازم الظّلم والإكرام فى بعض الموارد لا في كلّها وعليه فالكلام يُحمل علىٰ المجاز بذكر اللاّزم وإرادة المَلزوم وأيّ دليل عليه أو أيّ قرينةٍ فيه فأنّ حَمل الكلام علىٰ غير معناه المُتعارف لا يَجوز إلّا بدليلٍ وعلىٰ المَدّعي إثباته وإذ لَيس فَلَيس وليت شعري ما الباعث علىٰ هذه التّخريجات الواهِنة وصرف اللّفظ عن معناه الحقيقي فالمعنىٰ ما ذكرناه وهو التّحذير عن سَطوَة الكَريم الجائع واللّئيم الشّابع والمراد بالتّحذير إعلام الخَطَر بالنّسبة الىٰ الجامعة من حَيث أنّ جُوع الكَريم وشبع اللّئيم يُسدّان الإعطاء والإنفاق علىٰ الفُقراء وأرباب الإحتياج لفقد المال في الأوّل ووجود اللّئامة في الثّاني هذا ما فَهمناه من العبارة والعلم عند الله ومَع ذلك فأقض ما أنت قاض بين التّفسيرين.

﴿۴۸﴾

□ قوله عليه السلام: قُلُوبُ الرِّجالِ وَحْشِيَّةٌ فَمَنْ تألَّفَها أقبَلَتْ عَلَيْهِ...

الوَحَشيّة بفتح الواو وسكون الحاءِ مؤنّث الوَحشّي واحد الوَحَش كلّ ما يَستوحش وينفر عن النّاس ولذلك سمّي حَيوان البّر بالوحَش وفي الكلام دلالة على إنّ الأصل في القلوب التوحّش والتّنفر وعدم الأنس وجذبها يحتاج الى مؤونةٍ زائدة من المحّبة والإعطاء والتّعليم والإشفاق والعدالة وأمثالها ممّا يوجب تأليف القلوب فَمَن تألّف القلوب بِسَبَب من الأسباب المُوجبة له فلا محالة أقبلت القلوب عليه وإلّا فلا وليُعلم أن كون القلوب كذلك لا ينافي كونها بحسب أصل طبيعتها الصّفو والسّلامة عن التّكدر فإن صَفو النّفس شئ ووحشتّها شئ آخر إذ الأوّل بمقتضى الفِطرة والطّبيعة الخَلقية والثّاني بمقتضى المقايسة الى غيرها من النّفوس فالنّفس أو القلب أو ما شئت فَسَمّه خُلقت في الأصل صافية عن التّكدرات ولذلك تستّعد لقبول كلّ صورةٍ، فِطرة اللّه الّتي فطر النّاس عليها وانّما تكدر بسبب العوارض الطّارئة من البُخل والحَسد والكُفر وأمثالها ولذلك شُبّهت بالمرآة الصّافية القابلة لكل صورةٍ تنعكس فيها وأمّا كون النّفس وحشّياً أو غير وحشّي مثلاً أنّما يكون بإعتبار مقايستها الى غيرها وهي خارجة عن مقام ذاتها لو خُليّت وَطَبعها وأمّا الشّارح المعتزلي فحيث لم يفرق بين المقامين نقل شعر عمارة إبن عقيل ثمّ حَكم بكونه مخالفاً

لقول أمير المؤمنين عليه السلام وقال في وجه المخالفة لأنّ أمير المؤمنين عليه السلام جَعَل أصل طبيعة القلوب التّوحش وأنّما تُستمال لإمرٍ خارج وهو التّآلف والإحسان، وعمارة جَعَل أصل طبيعة النّفس الصَّفو والسّلامة وأنّما تتكدّر وتجمع لأمرٍ خارج وهو الإساوَة والإيحاش، ولم يعلم أنّ قول عمارة لا يخالف قول أمير المؤمنين أصلاً لأنّ أمير المؤمنين ذَكر وَصف النّفس بالنّسبة الى غيرها عند المقايسة من حيث التّآلف والتّنفير، وأمّا عمارة فقد وَصفها بالصَّفو والسّلامة من حيث هي هي مع قطع النّظر عن العوارض واللّواحق وبينهما بون بعيد ألا ترىٰ أنّ صفاء النّفس لا ينافي وَحشّتِها إذا قيست الىٰ غيرها فأين التّنافي:

٤٩

▫ قوله ﷺ: عَيْبُكَ مَسْتُورٌ ما أسْعَدَكَ جَدُّكَ...

قال الشّارح المعتزلي قد قال النّاس في الجدّ فأكثرُوا والىٰ الآن لم يتحقق معناه ومن كلام بعضهم اذا أقبل البَخت باضَت الدّجاجة علىٰ الوَقَد وإذا أدبَرَ البَخَت أسعر الهاون في الشّمس انتهىٰ والىٰ هذا المعنىٰ ذَهَب مَن كان بَعده من الشّراح فقال الشّارح البحراني سعادة الجدّ عبارة عن حُسن البَخت وتوافق أسباب المَصلحة في حقّ الإنسان ومن مصالحه ستر العُيوب والرّذائل ويحسب دوام ذلك يدوم سترها انتهىٰ وأنت ترىٰ أنّ تفسيره الجدّ يوافق تفسير المعتزلي فعلىٰ هذا يصير هكذا، عَيبك مَستور فيك لا يعلم به أحَد ما دام ساعَدَك عليه البَخَت أي إن ساعدك علىٰ ستر العيوب بَختك فأنت مستور العيب وأن لم يساعدك عليه فأنت مكشوف العَيب هذا:

وأنا أقول: في اللّفظ ثلاث لغات جَدّ بفتح الجيم وضَمها وكسرها، فعلىٰ الكسر معناه الإجتهاد ضدّ الهَزل، وعلىٰ الضّم معناه الحظّ يقال فلان ذو جُدّ أي ذو حظٍ، وعلىٰ الفتح فيطلق علىٰ معان **أحدها**، الحَظّ، **وثانيها**، أبُو الأب وأبو الأمّ، **وثالثها**، العظمة ومنه قوله تعالىٰ:(**جَدّ ربّنا**) أي عظمه ربّنا من قولهم جَدّ الرّجل في صدور النّاس وفي عُيونهم عَظم، ورابعها السّلطَنة وعن أبي عبد الله ﷺ: **قال جَدّ ربّنا** أي سلطانه يقال زال جَدّ القوم أي زال مُلكهم وفي الحديث

تبارك إسمك وتعالىٰ جَدّك أي عَظمتك وسلطانك، وخامسها، الإسراع يقال جَدّ بَسيره إذا أسرَعَ فيه اذا عرفت هذا فنقول:

الجَدّ في كلامه ﷺ يمكن أن يكون بكسر الجيم وفتحها وضمّها ولا دليل لنا علىٰ واحدٍ منها بخصوصه إلّا تناسب المعنىٰ فعلىٰ الكسر معناه عيبك مستور ما أسعَدَك علىٰ سَتره إجتهادك أي ما دام كُنتَ مُجدّاً في سِتره وأمّا اذا لم تجتهد فيه فيصير مكشوفاً لا محالة فأنتَ الّذي تستر عَيبك وتكشفه:

وعلىٰ الضّم يصير معنىٰ العبارة عيبك مستور عن أعين النّاس حيث ساعدك عليه حَظّك ونَصيبك وأن شئت قلت بَختُك فأنْ لم يساعدك البَخت علىٰ سَتره بإدباره عليك فهو مكشوف:

وعلىٰ الفتح، معنىٰ العبارة عيبك مستور ما أسعَدَك عليه سلطانك أو عظمتك وأمّا إذا زال عنك المُلك والسّلطنة والعَظمة فهو مكشوف فهذه الوجوه كلّها لا بأس بها إلّا أنّ المعنىٰ الأخير أولىٰ وأنسَب بالعبارة وذلك لأنّ العُيوب مستورة تحت حجاب العِزّة والعَظمة في كلّ إنسانٍ فإذا زالت ظهرت لا محالة ألا ترىٰ أنّ السّلاطين والحكّام بل وكلّ من له شخصيّة إجتماعيّة لا يُرىٰ لهم عيب ما داموا كذلك حتّىٰ أنّ يزيد بن معاوية لَعنهما اللّه قال مروان بن الحَكَم في حقّه أنّه مِمّن يستسقي الغمام بوجهه، مع أنّه كان مَنبَع العُيوب بل لم يكن عيب إلّا وهو فيه موجود وليس هذا من القضايا النّادرة في التّاريخ بل هو شائع في كلّ عصرٍ وزمانٍ بالنّسبة الىٰ الرّجال الّذين سُلطّوا علىٰ النّاس أو حَصَلت الشّهرة لهم بأيّ سببٍ كان وقد مرّ منه ﷺ في كلمة (٨) حيث قال ﷺ إذا أقبلت الدّنيا علىٰ أحدٍ أعارته محاسن غيره وإذا أدبرَت عنه سَلَبته محاسن نفسه.

٥٠

- قوله ﷺ: أَوْلىٰ النَّاسِ بالعَفْوِ أقْدَرُهُمْ على العُقُوبَة...

وقد مرّ نظير هذا الكلام وهو قوله ﷺ اذا قَدرتَ علىٰ عدوّك فأجعَل العَفو عنه شكراً للقدرة عليه (١٠) والمَعنىٰ من كان أقدَر علىٰ العُقوبة فهو أولىٰ بالعَفو مِمّن لم يقدر عليها وذلك فأنّ غير القادر عليها لا محيص له عن العَفو اذا أراده وهذا بخلاف القادر عليها إذ له العَفو وله المجازات وحيث أنّ الضّعيف لا يقدر عليها وهو يقدر فالقادر أولىٰ به من غيره وهذه الأولَوية عقّلية وشّرعية وقد ذكرنا بعض الأخبار الواردة في الباب هناك ويكفيك في هذا مضافاً الىٰ حكم العقل بحسنه قوله تعالىٰ:﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾(١) وغيرها من الآيات وقد أشرنا اليها سابقاً ولنذكر في المقام بعض ما وَرَد فيه من الماضين نُقل أنّ المأمون العباسي كان يحبّ العَفو ويؤثره ويقول لقد حَبّب إليّ العَفو حتّىٰ أنّي أخاف أن لا أُثاب عليه وكان يقول لو علم أهل الجرائم لذّتي في العَفو لأرتكبُوها:

وقال لو علم النّاس حُبّي لِلعَفو لَما تقرّبُوا إلَيّ إلّا بالجنايات، وقال المسْتنصر لذّة العَفو يلحقها حَمد العاقبة ولذّة التشّفي يَلحقها ذمّ النّدَم: وقيل من عادة الكريم إذا قَدَر غفر وإذا رأىٰ زلّة سَتَر، أمَر عُمر بن عبد العَزيز بعقوبة رجل فقال له رجاء بن حَيوة أنّ الله قد فَعَل ما تحبّ من الظّفَر فأفعَل ما يُحبّه من العَفو:كلّم الشّعبي إبن هبيرة في قوم حَبَسهم فقال أن كُنتَ حَبستَهم بباطلٍ فالحقّ يُطلقهم وأن كُنتَ حَبَستَهم بحقٍّ فالعَفو يَسَعَهم والأمثال كثيرة جداً:

١- الأعراف-١٩٩

﴿٥١﴾

□ قوله عليه السلام: السَّخَاءِ ما كانَ ابْتِدَاءً فأمَّا ما كانَ عَنْ مَسألةٍ فَحَيَاءٌ وتَذَمُّمٌ...

السّخاء بفتح السّين مصدر من سخىٰ يسخُو وسخىٰ يسخي وهو ضدّ البُخل والسّخاء من ثَمرة الزّهد كما أنّ البُخل من ثمرة حُبّ الدّنيا فينبغي لكلّ سالكٍ لطريق الآخرة أن يكون حاله القناعة إن لم يكن له مال، والسخّاء واصطناع المَعروف إن كان له مال ولا ريب في كون الجُود والسخّاء من شرائِف الصفّات ومعالي الأخلاق وهو أصل من أصول النّجاة وأشهَر أوصاف النّبيين وأعرف أخلاق المُرسلين وقد حَكَم العَقل بِحُسنه ومَدَحه بل لا يبعد أن يكون من المستّقلات العقّلية وأمّا الشّرع فما ورد منه فوق حدّ الإحصاء:

فَعَن الباقر عليه السلام قال قال - رسول اللّه صلى الله عليه وآله الجنّة دار الأسخِياءِ...

وعن أبي عبد اللّه عليه السلام قال - ما من عبدٍ حَسُن خُلُقه وبَسَط يده إلّا كان في ضمان اللّه لا مُحالة ومِمّن يهديه حتّىٰ يدخله الجنّة...

وعن أبي جعفر عليه السلام - شابٌ مقارف لِلذّنوب سخّي أحَب الىٰ اللّه من شيخٍ عابِد بَخيل...

عنه عليه السلام قال قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله - السخّاء شجرة في الجنّة أغصانها مُتدّليات في الأرض فَمَن أَخَذ بِغُصنٍ من أغصانها قاده ذلك الغُصن الىٰ الجنّة...

وقال صلى الله عليه وآله - لا يجتمع الشُّح والإيمان في قلب عبدٍ أبَداً...

قيل لأبي عبد الله ﷺ أيّ الخِصال بالمرء أجمل قال ﷺ - قالوا بلا مهابة وسماحة بلا طلب مكافاة وتشاغل بغير متاع الدّنيا انتهىٰ...

أقول: لعل الصّحيح القول بلا مَهابة، ولكن لفظ الحَديث في الكتاب (قالوا) وقد رأيت في بعض الكُتب وقارٌ بلا مَهابَة:

وقال النّبي ﷺ - أبواب الجنّة مفتّحة علىٰ الفُقراء والرّحمة نازلة علىٰ الرّحماء والله راض عن الأسخّياء...

وقال ﷺ - السخّي قريب من الله قريب من الجنّة قريب من النّاس بعيد من النّار والبَخيل بعيد من الله بعيد من الجنّة بعيد من النّاس قريب من النّار « مشكاة الأنوار ص ٢٢٩ الىٰ ٢٣٢ » والأخبار كثيرة...

إذا عرفت معنىٰ السخاء وما ورد فيه من المَدح شرعاً فأعلم إنّ السخّاء المَمدوح ما كان إبتداءً أي من غير سؤال السّائل فأمّا ما كان بعد سؤاله فَحياءٌ وتذّمم أي إنّ المُعطي بعد السّؤال قد يؤخَذ بالحَياء وخَوف الذّم علىٰ ترك العَطاء ولِذلك يُعطي السّائل ومن المعلوم إنّ هذا الإعطاء لا يدّل علىٰ جُوده وسخائه والتَّذَمّم بفتح التّاء والذّال وضمّ الميم المشّددة الفرار من الذّم كالتأثّم والتّحرُج بمعنىٰ الفِرار من الإثم والحَرَج وما ذكره ﷺ أمرٌ معقول بل مَحسُوس فإنّا نرىٰ كثيراً من المُعطين يعطون السّائل بعد السّؤال ولا يعطونهم قبله وهو أدّل دليلٍ علىٰ صحّة ما ذكره ﷺ :

قال سعيد بن العاص قبّح الله المَعروف إن لم يكن إبتديٰ من غير مسألةٍ فالمعروف عِوض عن مسألة الرّجل إذا بَذّل وجهه فقلبه خائِف وفرائِصه ترتعد وجَنبيه يرشح لا يدري أيَرجع بِنُجُح الطّلب أم بِسُوء المنقَلب قد إنقمع لونه وَذَهب دَم وَجهه اللّهم فإن كانت الدّنيا لها عندي حظاً فلا تجعل لي حظاً في الآخرة وقال أكثم بن صيفي، كلّ سؤالٍ وإن قلّ أكثر من كلّ نوالٍ وإن جلّ قال الشّاعر:

عطاؤك لا يفني ويستَغرق المُنىٰ وتبقىٰ وجوه الرّاغبين بمائها

وقال أيضاً:

ذُلّ السّؤال شَجاً في الحَلق مُعترِضُ من دُونه شَرَق من خَلفه جَرَضُ
ما ماءِ كفّك إن جادت وإن بَخَلت من ماء وجهي إذا أفنيتُه عِوض
إنّي بالسّر ما أُدينت مُنبسطُ كما بأكثر ما أقصيت مَنقبضُ

وقالوا من بَذَل اليك وَجهه فقد وَفّاك حقّ نِعمتك، وقالوا السّخي من كان مسروراً ببَذله مُتبرعاً بعطائه لا يَلتّمس عَرض دُنيا فَيحبط عَمَله ولا طلب مُكافاة فيسقط شكره ولا يكون مَثَله فيما أعطى مَثَل الصّائد الّذي يُلقي الحَبّ لِلطّائر لا يريد نفعها ولكن يريد نفع نفسه:

نظر المُنذر بن أبي بَسرة الىٰ أبي الأسود الدُّئلي وعليه قميص مرقّوع فقال له ما أصبرك علىٰ هذا القَميص فقال له ربّ مَملوكٍ لا يستطاع فراقه فَبعث اليه بتختٍ من ثياب فقال أبو الأسود:

كَساني ولَم أستكسه فَحَمِدتُه أخٌ لَك يُعطيك الجزيل وناصرُ
وإن أحقّ النّاس أن كنتَ شاكراً بشُكرك من أعطاك والعِرض وافرُ

وسَأل معاوية صعقعة بن صُوحان، ماالجُود، فقال التّبرع بالمال والعطيّة قبل السؤال:

كريمُ علىٰ العِلّات جزلٌ عطاؤه يُنيل وأن لَم يُعتمد لنوالِ
وما الجُود مَن يُعطي إذا ما سألته ولكِنّ من يُعطي بغير سؤالِ

وقال الآخر:

لأن جَحدتك ما أولَيتَ من نِعمٍ أنّي لَفي اللّوم أمضي منك في الكَرم
أنسىٰ إبتسامتك والألوان كاسفةٌ تَبسم الصُّبح في داجٍ من الظُّلَم
ردَدَت رونق وجهي في صحيفته ردّ الصّقال بهاء الصّارِم الخَذِم
وما أبالي وخير القول أصدَقه حَقَنتَ لي ماء وجهي أو حَقَنتَ دَمي

٥٢

▫ **قوله ﷺ لاغِنىٰ كالعَقْلِ، ولا فَقْرِ كالجَهْلِ .ولا مِيرَاثَ كالأَدَبِ، ولا ظَهِيرَ كالمُشَاوِرَةِ...**

أشار ﷺ الىٰ أربعة:

أحدها قوله ﷺ: **لا غِنىٰ كالعَقْلِ.**

وثانيها قوله ﷺ: **لا فَقْرِ كالجَهْلِ**، وقد مَرّ البَحث فيهما عند قوله ﷺ: أغنىٰ الغنَي العَقل وأكبر الفقر الحُمق في وصية لإبنه الحَسن ﷺ كلمة (٣٧) وذكرنا الآيات والأخبار في مَدح العقل وذَمّ الجَهل هناك فلا نُعيد الكلام بذكرها في المقام خَوفاً من الإطالة ولنذكر لك بعض الأقوال فيهما:

قالوا العاقل بقيٰ ماله بسلطانه ونفسه بماله ودينه بنفسه.

وقال الأحنف أنا للعاقل المُدبر أرجىٰ مِنّي لِلأحمق المُقبل.

وقالوا أجلّ الأشياء أصلاً وأحلاها ثمرةً صالح الأعمال وحُسن الأدب وعقلٌ مُستعمل.

وقيل، من فاته العَقل والفتوّة فرأس مالِه الجَهل.

وقيل العاقل دائم المَودة والأحمق سَريع القَطيعة.

وقيل، العقل أدرَك الأشياء علىٰ حقائقها فَمن أدرَك شيئاً علىٰ حقيقته فقد كَمُل عقله:

وقيل العَقل مرآة الرّجل:

عَـقل هــذا المَــرء مِــرآةٌ		تــرىٰ فـيها فــعاله
فــإذا كـــان عَــليها		صَـــدأً فـــهو جـهالة
وإذا أخَـــلَصَه اللّـــه		صـــقالاً وصَـــفا له
فـــهي تـــعطي كـــلّ حـــيٍّ		نـــاظرٍ فـــيها مـــثاله

وقال الآخر:

إذا لم يكـن لِـلمَرء عَقل فأنّـه		وأن كان ذا نُبلٍ علىٰ النّاس هيّنٌ
وأن كـان ذو عـقلٌ أجَـلٌ لعـقله		وأفـضَل عـقل عـقل مـن يـتَّدين

وقال الآخر:

إذا كنتُ ذا عَقلٍ ولَم تَكُ ذا غِنىٰ		فأنتَ كَذي رجلٍ ولَيس له بَـغلٌ
وأن كُنتَ ذا مالٍ ولَم تَكُ عاقلاً		فأنتَ كَذِي بَغلٍ ولَيس له رَجِـلٌ

ويقال أنّ العَقل عين القلب فإذا لم يكن لِلمَرء عقل كان قَلبه أكَمَة، وقيل الهَوىٰ مصاد العَقل:

ألا أنّ عَـقل المَـرء عـينا فـؤاده		وأن لَم يكن عَقل فلا يُبصرالقلب

وقيل ثلاث من كُنّ فيه حوىٰ الفَضل وأن كان راغباً عـن سِـواهـا، صـحّة العَقل، والتّمسك بالعَدل، وتَنزيه نفسه عن هواها كما قيل:

وآفـة العَـقل الهَـوىٰ فَـمَن عـلا		عـلىٰ هَـواه عَـقله فـقد نـجا

وقال بعض الحُكماء ما عُبد اللّه بشيءٍ أحَبَ اليه من العَقل وما عُصي بشيءٍ أحَبُّ اليه من السّتر:

إذا أحَـــبَبت أقـوامــاً فـلاصِق		بأهـل العَـقل مـنهم والحـياءُ
فأنّ العَـــــقل ليس له إذا مـــا		تـفاضلت الفـضائل مـن كـفاء

وقال الآخر:

وأفضل قَسـم اللّـه لِـلمَرء عَـقله		وليس من الخَيرات شيٌ يُقاربه
إذا أكَمَل الرّحمٰن للمَرء عَقله		فـقد كَـملت أخـلاقه وقـاربه
يعيش الفتىٰ بالعَقل في النّاس أنّه		علىٰ العَقل يجري علمه وتجاربه

ومَن كان غلاّباً بعقلٍ ونَجدَةٍ فذو الجدّ في أمر المَعيشة غالبه
فَزَين الفتىٰ في النّاس صحّة عَقله وأن كان محصُوراً عليه مكاسبه
وشَين الفتىٰ في النّاس قلّة عَقله وأن كَرُمت أعراقه ومناسبه

وقال الآخر:

العَقل يأمر بالعفاف وبالتقىٰ واليه يأوي الحِلم حين يؤُول
فأن إستَطَعت فخُذ بفضلك فَضله أنّ العقُول يُرىٰ تفضيلُ

وقال الآخر:

إذا جُمع الآفات فالبُخل شّرها وشَّرٌ من البُخل المواعيد والمَطَل
ولا خير في عقلٍ إذا لم يَكن غِنىً ولاخَير في غمدٍ إذا لَم يكن نَصَل
وأن كان للإنسان عَقل فَعَقله هُو النُصل والإنسان من بَعده فَضل

وقال الآخر:

يُمَثّل ذو العَقل في نفسه مصائبه قبل أن تنزلا
فأن نَزَلت بَغتَةً لَم ترعُه لما كان في نفسه مَثّلاً
رأىٰ الهَمّ يُفضي الىٰ آخرٍ فَصّير آخره أوّلاً
وذو الجَهل يأمن أيّامه وينسىٰ مصارع من قد خَلا

وأمّا الجَهل الّذي لا فَقر مثله، فقد قال النّبي برواية العامّة، الجاهل يظلم من خالَطه ويَعتدي مَن هو دُونه ويَتّطاول من هو فَوقه ويتكّلم بغير تَمييزٍ وأن رأىٰ كريمة أعرَض عنها وإن عَرَضت فِتنة أرَدته وتَهّور فيها:

وقال أبو الدّرداء علاقة الجاهل ثلاث، العُجب، وكثرة المنطق وأن ينهي من شئٍ ويأتيه:

وقال أرد شير، حسبكم دلالةٌ علىٰ عيب الجهل أنّ كلَّ النّاس تنفر فيه وتغضب من أن تنسب اليه وكان يُقال، لا تَغررك من الجاهل قرابة ولا إخوَة ولا إلف فأنّ أحقّ النّاس بتحريق النّار أقربهم منها:

وقيل، خصلتان تقرّبك من الأحمق كُثرة الإلتفات وسُرعة الجواب، وقيل لا

تصطحب الجاهل فأنّه يريد أن ينفعك فيضّرك ولنعم ما قيل فيه:

لكلّ داءٍ دواءُ يُستطّبُ به ... إلّا الحماقة أعيَت من يداويها

ولأبي العتاهية :

إحذر الأحمق أن تصحَبه ... أنّما الأحمق كالثّوب الخَلَق

كلمّا رَقعَته من جانبٍ ... زَعزَعَته الرّيح يوماً فإنخَرَق

أو كصَدعٍ في زجاجٍ فأخشوا ... هَل ترىٰ زجاجٍ يُلتصَق

فإذا عاتَبتُه كي يرعَوي ... زاد شَراً وتَماديٰ في الحُمق

وثالثها: قوله ﷺ: ولا مِيرَاثِ كالأَدَبِ...

الميراث بكسر الميم مفعال من الإرث ويائه منقلبة عن واو من المَورُوث وهو علىٰ الأوّل إستحقاق إنسانٍ بمَوت آخر بَنسَبٍ شيئاً بالأصالة وعلىٰ الثّاني ما يستحقه إنسان الخ بحذف كلمة (الشّيٰ) وهو في المال ظاهر وأمّا في غير المال فالحقّ أنّ إطلاق الإرث عليه مجاز هذا اذا قلنا بأنّ الميراث حقيقة في المال وأمّا أن قلنا بعدم إختصاصه به في أصل اللّغة بل هو موضوع لكلّ ما يُورث سواء كان من المحسوسات والمادّيات أم من المعنّويات فإطلاقه علىٰ الصّفات حقيقة لا مجاز فقوله ﷺ لا ميراث كالأدب يمكن أن يُحمل علىٰ الحقيقة ويمكن أن يُحمل علىٰ المجاز تشبيهاً لِلأدب بالمال وفيه إشارة الىٰ الحَديث الّذي رواه في المجمع وهو قوله ﷺ **خير ما وَرَث الآباء لأبناءهم الأدَب**، وفي حديث آخر **إذكِ بالأدَب قلبك فنِعم العَون الأدَب**، وفي حديث الوالد مع الولد، وأعلم أنّك مسؤل عمّا وليّته من حُسن الأدَب، والمراد بالأدَب علىٰ ما يظهر من كلمات المحققين هو حُسن الأخلاق وحُسن المُعاشَرة مع النّاس طِبقاً للأُصُول العقّلية والشّرعية ولذلك قيل في تعريفه أنّه رياضة النّفس ومَحاسِن الأخلاق وأمّا في اللّغة فيقال أدَب أدَباً من باب ضَرَب أي صَنَع صَنعاً ودعي النّاس اليه وإسم الصّنع المأدُبة:

عن أبي جعفر ﷺ قال قال رسُول الله ﷺ الا أُخبركم بأشبهكم بي خُلقاً

قالوا بلىٰ يا رسُول اللّه قال ﷺ أحسَنكم خُلقاً وأعظمَكم حِلماً وأبرّكم بقرابته وأشدّكم بحُبّنا ولإخوانه في دينه وأصبركم عن الحقّ وأكظمَكم للغيظ وأحسَنكم عفواً وأشدّكم من نفسه إنصافاً في الغضب والرّضا...

وعن أبي عبد اللّه ؏ قال أنّ اللّه تبارك وتعالىٰ خصّ الأنبياء صلوات اللّه عليهم بمكارم الأخلاق فَمن كانت فيه فليعلم أنّه من خير أراده اللّه به وما لم تكن فيه فليتّضرع الىٰ اللّه عزّ وجلّ وليسأله أيّاها عدّها وقال:

اليقين، والقناعة، والصّبر، والشّكر، والحِلم، وحُسن الخُلق، والسّخاء، والغَيرة، والشّجاعة، والمروّة، والبرّ، وأداء الأمانة: وفي حديث آخر عنه ؏ أنّ المكارم عشر فأن إستطعت أن تكون فيك فَلتكُن فأنّها قد تكون في العَبد ولا تكون في سيّده وتكون في الرّجل ولا تكون في ولده قيل وما هُنّ، قال ؏ صِدق البأس، وصِدق اللّسان، وأداء الأمانة، وصِلة الرّحم، وقري الضّيف، وإطعام السّائل، والمكافاة عن الصّنائع، والتذّمم للجار، والتذّمم للصاحب، ورأسهنّ الحياء «مشكاة الأنوار ص ٢٣٨»...

ومن طريق العَامة، قال النّبي ﷺ فيما أدّب به أُمتّه وحَضّها عليه من مكارم الأخلاق وجميل المُعاشرة وإصلاح ذات البين وصِلة الأرحام، أوصاني ربّي بتسعٍ وأنا أوصيكم بها، أوصاني بالإخلاص في السّر والعلانية والعَدل في الرِضا والغَضب، والقَصد في الغنىٰ والفقر، وأن أعفُو عمّن ظَلَمني وأعطي من حَرَمني، وأصِل من قطعُوا، وأن يكون صُمتي فكراً ونُطقي ذكراً، ونظري عِبَراً...

وقال ﷺ - نهيتكم عن قيلٍ وقالٍ وإضاعة المال وكثرة السؤال: وقال ﷺ لا تقعدوا علىٰ ظهور الطّرق فأن أبيتم فغُضّوا الأبصار وأفشُوا السّلام، وإهدُوا الضّال، وأعينُوا الضّعيف «عقد الفريد ج ٢ ص ٤١٧»...

أوصىٰ بعض الحُكماء بنيه فقال:

الأدَب أكرم الجواهر طبيعتاً وأنفَسها قيمةً يرفع الأحساب الوَضيعة ويُفيد

الرّغائب الجليلة، ويُعزّ بلا عشيرة ويُكثر الأنصار بغير رزّية فألبِسُوه حلّة وتَزّينُوه حلية، يؤنسكم في الوَحشة ويجمع لكم القلوب المُختلفة: وقال شبيب بن شيبة: إطلبوا الأدب فأنه مادّة للعقل، ودليل على المَروّة، وصاحب في الغُربة، ومؤنس في الوَحشَة، وحِلية في المجلس ويجمع لكم القلوب المُختلفة:

وقال عبد الملك بن مروان لَبنيه، عليكم بطلب الأدب فأنّكم أن إحتَجتُم اليه كان لكم مالاً وأن إستغنَيتُم عنه كان لكم جمالاً:

وقال بعض الحُكماء، إعلم أنّ جاهاً بالمال أنّما يَصحَبُك ما صَحَبك المال وجاهاً بالأدب غير زائلٍ عنك: وقال مَصقلة الزّبيري لا يستغني الأديب عن ثلاثة وإثنين، فأمّا الثلاثة فالبلاغة والفصاحة وحُسن العبارة، وأمّا الإثنان فالعلم بالأثر والحفظ للخبر: وقالوا الحَسَب محتاج الى الأدب والمعرفة محتاجة الى التّجربة: وقال بزرجمهر ما ورّث الآباء الأبناء شيئاً خيراً من الأدب لأنّ بالأدب يكسبون المال وبالجهل يتلفونه، وقال الفُضيل رأس الأدَب معرفة الرّجل قدره: وقال حُسن الخلق خير من قرينٍ والأدَب خير ميراث، والتّوفيق خير قائد: وقيل لبعض الحُكماء أيّ شيٍ أعوَن للعقل بعد الطّبيعة المولودة قال أدبٌ مُكتسب: ولنِعم ما قيل فيه:

ما وَهَبَ اللّه لإمرئٍ هِبةً ... أفضَل من عَقله ومن أدَبه

هما حياة الفتى فأن فُقِدا ... فأنّ فَقد الحياة أحسَن به

وقالت الحُكماء إذا كان الرّجل طاهِر الأثواب كثير الأدَب، حَسن المَذهب تأدّب بأدَبه وصَلُح لصلاحه جميع أهله وولده:

رأيتُ صلاح المَرء يُصلح أهلَه

ويُفسدهم ربّ الفساد وإذا فَسَد

يُعظّم في الدّنيا لفَضل صلاحه

و يُحفظ بعد المَوت فى الأهل والوَلد

ثمّ أنّ الأدَب تارةً يكون في الحديث والإستماع وتارةً في المجالسة والمُعاشرة وثالثة في المماشاة.

فمن الأوّل، قول الحُكماء، رأس الأدَب كلّه حُسن الفَهم والتّفهم والإصغاء للمتّكلم:

وقال الشّعبي في عبد الملك بن مروان واللّه ما علمتُه إلّا آخذاً بثَلاث، تاركاً لثَلاث، آخِذاً بحُسن الحديث إذا حَدَّث وبحُسن الإستماع إذا حُدِّث، وبأيسَر المؤنة إذا خُولِف، تارِكاً لمجاوبة اللّئيم ومُماراة السّفيه ومُنازعة اللّجُوج:

وقالوا من حُسن الأدَب أن لا تغالب أحداً علىٰ كلامه، واذا سُئل غيرك فلا تُجب عنه، وإذا حدَّث بحديث فلا تنازعه أيّاه ولا تقتحم عليه فيه، ولا تراه أنّك تُعلّمه، وإذا كلّمتَ صاحبك فأخذته حجّتك فحسِن مخرج ذلك عليه ولا تُظهر الظّفر به وتعلم حُسن الإستماع كما تعلم حُسن الكلام:

ومن الثّاني، أعني به الأدَب في المجالسة ما روي عن النّبي ﷺ من طرق العّامة أنّه قال لا يُقِم الرّجل عن مَجلسه ولكن ليُوسّع له، وقال ﷺ **الرّجل أحقّ** بَصدر دابتّه وصدر مجلسه وصَدر فراشه ومن قام عن مجلسه ورَجَع اليه فهو أُحقّ به: والجامع في الباب قوله تعالىٰ: **﴿فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ﴾** (١)

وقال إبراهيم النّخعي اذا دَخَل أحدَكم بيتاً فَليجلس حيث أجلَسه أهلَه:

ومن الثالث، وهو الأدَب في المُماشاة أن لا تحمَل علىٰ صاحبك شيئاً وترفق به كلّ الرِفْق والبَحث في المقام طويل والكلام كثير وفيما أشرنا اليه كفاية لأولي الدّراية:

ورابعها: قوله ﷺ: ولا ظَهيرَ كالمُشَاورَةِ...

الظَّهير بفتح الظّاء مشتّق من الظُّهر وهو الخَلف ومنه ظَهر الدّابة موضع رُكوبها قال اللّه تعالىٰ: **﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾** (٢) أي ولو كان بعضهم لبعضٍ مُعيناً وناصراً والمعنىٰ لاظهير أي لا مُعين لِلإنسان كالمشاورة وقد ورد

١- المجادلة ـ ١١

٢- التحريم ـ ٤

في الحديث لا مظاهرة كالمشاورة، ثمّ أنّ الفَصيل والفَعُول يستوي فيهما المذّكر والمؤنث والمفرد والجمع كما عرفت من الآية وكيف كان ففيما ذكره حَثٌ على المَشورة في الأُمور ونهيٌ عن الإستبداد بالرأي في الحقيقة ولا شّك في حُسن المَشوَرة عقلاً ونقلاً:

أمّا العقل: فلأنّ الإنسان محلّ الخطأ والنّسيان ومع ذلك لا يكون عالماً بكلّ شيئ بل يكون جهله أكثر من عِلمه دائماً ولا شّك أنّ العُقول من حيث الإدارك منفاوِتة مُتغايرة فعقلُ زيد يدرك شيئاً وعقل عمرو يدرك شيئاً آخر وهكذا فربّ شيئ أو أشياء خفي على زيد دون عمرو وبالعكس وعليه فاذا أراد الإنسان أن يَفعل فعلاً من الأفعال أو يتكلّم بكلامٍ وكان مُردّداً في حُسنه وقُبحه ينبغي له المَشوَرة مع من يَصلح لها ويَستفيد من فِكره وعِلمه وهو أمرٌ يحكم به العقل السّليم والذّوق المُستقيم ولا يذهب عليك أنّ المشوَرة توجب الإصابة الى الحقّ في جميع الموارد فأنّ كثيراً من الأُمور لا تحيط بها العقُول لخفائها عليها ولكن فائدة المشوَرة قلّة الخطأ بالنّسبة الى عدمها وهي تكفي في حُسنها ولعلّ الوجه في قوله ﷺ ولا ظهير كالمشاورة حيث عَبّر بلفظ الظّهير هو ما ذكرناه أي أنّ المشاورة تقويك على الإصابة في أكثر الموارد فهي ظهير لك ولذلك قالوا أوّل الحَزم المشورة، وقيل لا يهلك أمرؤ عن مشورَةٍ، وقال الحَسن البصري النّاس ثلاثة فَرجلٌ هو رَجُل، ورجُل هو نصف رجُل، ورَجُل لا رجُل فأمّا الرّجل الرّجل فذو الرّأى والمشورة وأمّا الرّجل الّذي هو نصف رجل فالّذي له رأيٌ ولا يشاور وأمّا الرّجل الّذي ليس برَجُل فالّذي ليس له رأي ولا مشورَة، وقال بعضهم لا مال أوفَر من العَقل ولا فقر أعظم من الجهل ولا ظهراً أقوى من المشوَرة، وقال الفضل، المشوَرة فيها بَركة وأنّي لأستَشير حتّى هذه الحبَشية الأعجمية، وقيل من بَدء بالإستخارة وثنّي بالإستشارة فحقيق أن لا يخيب رأيه وقيل الرأي السّديد أحمى من البَطل الشّديد وفيه قيل:

وما ألف مطرور السّنان مُسَدَّدٌ يعارض يوم الرّوع رأياً مُسَدداً

وقال الآخر:

أنّ اللّبيب إذا تفرّق أمَره فتق الأمور مُناظراً ومُشاوراً

وأخو الجهالة يَستبّد برأيه فتراه يعتسف الأمور مُخاطراً

وأمّا النّقل:

فمن الآيات قوله تعالى مُخاطباً لنّبيه: **﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾** (١)

و: **﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾** (٢)

و: **﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾** (٣).

ومن الأخبار ما رواه في البحار بأسناده عن أبي جعفر الثّاني عن آبائه قال قال أمير المؤمنين عليه السلام خاطَر بنفسه من إستَغنى رأيه ومنها ما رواه أيضاً بأسناده عن الصّادق عليه السلام قال ثلاث هُنّ قاصمات الظّهر، رجل إستكثر عَمله ونسي ذنوبه وأعجَب برأيه...

وقال عليه السلام لا يَطمعنّ القليل التّجربة المُعجب برأيه في رئاسة.

وقال عليه السلام فيما أوصى به سفيان الثّوري، وشاور في أمرك الّذين يَخشون اللّه عزّ وجلّ...

وقال رسُول اللّه صلى الله عليه وآله ما من قومٍ كانت لهم مَشورة فَحضر معهم من إسمه مُحمّد وحامد أو محمُود أو أحمد فأدخلُوه في مَشوَرتهم إلّا خير لهم...

وبأسناده عن جعفر بن مُحمّد عن أبيه قال قيل لرسُول اللّه ما الحَزم قال مشاورة ذوي الرّأي وأتباعهم...

وقال رسُول اللّه صلى الله عليه وآله فيما أوصى به علّياً عليه السلام لا مُظاهرة أوثق من المُشاورة ولا عَقل كالتّدبير...

١- آل عمران ـ١٥٩ ٢- الشورى ـ٣٨

٣- البقرة ـ٢٣٢

وبإسناده عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال لن يَهلك إمرؤٌ عن مَشوَرةٍ...

والأحاديث كثيرة، هذا في المُستشير وأمّا المُستشار فقد روي في أوصافه أنّه ينبغي أن لا يكون جباناً ولا بخيلاً ولا حَريصاً...

روي في البحار بإسناده عن مُحمّد بن آدم عن أبيه قال قال رسُول صلى الله عليه وآله ياعلّي لا تُشاور جباناً فأنّه يضيق عليك المخرج ولا تُشاور البَخيل فأنّه يقصر بك عن غايتك ولا تُشاور حريصاً فأنّه يزين لك شَّرهما وإعلم يا علّي أنّ الجبن والبُخل والحِرص غريزة واحدة يَجمَعها سُوء الظّن، ويشترط أن يكون عاقلاً...

قال رسُول اللّه صلى الله عليه وآله إستَرشدوا العاقل ولا تَعصوه فَتندموا: وأن يكون خائفاً من اللّه....

عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال قال علّي في كلامٍ له شاور في حديثك الّذين يخافُون اللّه...

وأن لا يكون خائناً قال أمير المؤمنين من غشّ المُسلمين في مشورةٍ فقد برئت منه: والأحاديث مرّوية عن البحار« ج ١٦ ص ١٤٧»...

وماكلّ ذي نُصح بمؤتيك نُصحه وماكلّ مُؤتٍ نُصحه بلَبيبٍ
ولكن إذا ما استَجمعا عند واحدٍ فحقٌّ له من طاعةٍ بنصيبٍ

قال بعض الحكماء لا تَستَحقر الرّأي الجزيل من الرّجل الحقير فأنّ الدُّرة لا يستهان بها لِهَوان غائصها، وقال مُحمّد بن جعفر لا تكوننّ أوّل مُشير وأيّاك والرّأي الخطير وتَجنب إرتجال الكلام ولا تَشيرنّ علىٰ مُستَبدٍ برأيه ولا علىٰ مُتلّون ولا علىٰ لجوج، وقيل ينبغي أن يكون المُستشار صحيح العلم مهذّب الرّأي فليس كلّ عالمٍ يعرف الرّأي الصّائب وكم فاقد في شيٍ ضعيف في غيره.

٥٣

□ قوله ﷺ: الصَّبْرُ صَبْرَانِ صَبْرٌ علىٰ ما تَكْرَهُ وَصبرٌ عَمَّا تُحِبُّ...

الصَّبر بفتح الصَّاد مَصدر كالضَّرب وهو في الأصل الإمساك في ضيقٍ يقال صَبرت الدَّابة، اذا حَبستها بلا عَلَف وصَبرتُ فلاناً خلقته خَلقةً لا خُروج له منها، وفي الشَّرع يقال علىٰ حَبس النّفس علىٰ ما يقتضيه العَقل والشَّرع أو عمّا يقتضيان حبسها عنه فَالصَّبر لفظٍ عامّ وربّما خولف بين أسمائه بَحَسب إختلاف مواقعه فأن كان حَبس النّفس لمصيبةٍ سُمّي صَبراً لا غير ويُضادّه الجَزع وأن كان في مُحاربةٍ سُمّي شجاعة ويُضادّه الجُبن وأن كان في نائبةٍ مُضجرة سُمّي رَحب الصّدر ويُضادّه الضّجر وأن كان في إمساك الكلام سُمّي كتماناً ويُضادّه المذل وكيف كان فلا شكّ في مَدحه عقلاً وشرعاً وعُرفاً وقد مرّ الكلام فيه مُفصلاً غير مرّةٍ والآيات الواردة في حُسنه كثيرة.قال الله تعالىٰ مخاطباً لنَبيه:﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلا تَسْتَعْجِل لَهُمْ﴾ (١)

و : ﴿سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ (٢)

و : ﴿وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ (٣).

وأمّا الأخبار الواردة في مَدح الصّبر فكثيرة جداً وقد مضىٰ كثير منها فيما تَقدم غير مرّةٍ وسيأتي الكلام في الصّبر فيما سيجئ إن شاء الله تعالىٰ مُضافاً

١- الأحقاف ـ٣٥ ٢- الرّعد ـ٢٤

٣- النّحل ـ١٢٦

الىٰ أنّ الآيات المُصّرحة علىٰ مَدحه قد أغنَتنا عن ذكر الأخبار ولنذكر لك شطراً ممّا قالوا فيه من الأمثال:

قالوا من أراد طول البقاء فليّوطن نفسه علىٰ المَصائب، وقالوا المُصيبة للصّابر واحدة وللجازع إثنتان وقال أكثم بن صَيفي حيلة مَن لا حيلة له الصّبر، ومنه قولهم لا تَلّهف علىٰ ما فاتك، وقالوا عواقب المكاره محمُودة، وقالوا عند الصّباح يَحمد القوم الّسري، وقالوا لا تَدرك الرّاحة إلّا بالتّعَب:

والمراد بالصّبر علىٰ المكروه هو الصّبر علىٰ المُصيبة ومن الصّبر علىٰ المَحبُوب هو الصّبر علىٰ النُعمة علىٰ ما مَرّ تَفصيله.

﴿٥٤﴾

▫ قوله ﷺ: الغِنىَ في الْغُرْبَةِ وَطَنٌ .والفَقْرُ في الوَطَنِ غُرْبةٌ...

أي أنّ صاحب المال والثّروة في أيّ مكانٍ كان فهو وَطَنه والفقير المُحتاج وأن كان في وطنه فهو في الغُربة واقعاً والسّر فيما ذكره ﷺ معلوم وذلك لأنّ الغني وأن كان في غير وطنه إلّا أنّه بوجرد الإمكانات وأسباب الرّفاهية لا يحسّ ألَم الغُربة فأنّ النّاس عبيد الدّنيا وهم مُجتَمعُون حَوله أينما كان وأمّا الفقير فالنّاس مُتفرقون عن حَوله في وَطنه ولا نعني بالغُربة إلّا الوَحشة الناشئة عن الوَحدة وقال الشّاعر بالفارسية:

مُنعم بكوه ودشت وبيابان غريب نيست

هر جاكه رفت خيمه زَد وبارگاه‌ساخت

﴿ ٥٥ ﴾

□ **قوله عليه السلام: القَناعَةُ مالٌ لا يَنْفُدَ...**

أشار عليه السلام بكلامه هذا الىٰ قول رسُول الله صلى الله عليه وآله القناعة مال لا ينفد، وقوله عليه السلام القناعة كَنزٌ لا يَفنىٰ، والوَجه فيه معلوم فأنّ القناعة من صفات النّفس ومعناها الرّضا والتّسليم بما رَزَقه الله وهي ليس من الأموال المادّية حتّىٰ تفنىٰ بل باقية دائمة ما دام صاحبها حيّاً.

قال رسُول الله صلى الله عليه وآله من قَنَع بما قَسم الله له فهو من أغنىٰ النّاس، وقد مَرّ الأحاديث فيها مفصّلاً.

﴿٥٦﴾

▫ قوله ﷺ: المَالُ مادَّةُ الشَّهَوَاتِ...

وذلك لأنّ إعمال الشّهوة كثيراً ما يبتني على وجود المال أو أنّ المال والثّروة في أكثر الأشخاص يُوجب إيجاد الشّهوة فيهم بمعنىٰ أنّ الفقير الّذي لا مال له لا يَشتهي الىٰ كثير من الأشياء الّتي تتوقف وجودها علىٰ المال لِعلمه بعدم قُدرته من جهة المال وهذا بخلاف الغنّى اذ المفروض أنّ المادّة وهي المال موجودة فالصُّورة وهي الشّهوة أو إجرائها تبتني عليها لا محالة.

ان قلت ـ لازم ما ذكره ﷺ من أنّ المال مادّة الشّهوات هو أنّه من لا مال له لا شهوة له وليس كذلك لأنّ الشُّهوة الميل وهو لا يتفاوت في الغنّي والفقير فكما أنّ الغنّي يشتهي اللّذيذ من الطّعام والعَذب من الماء وهكذا اللّباس الفاخر والمَسكَن الوَسيع وأمثالها كذلك الفقير يشتهي الأُمور المذكورة بطبعه وميله إلّا أنّ الغنّي لِغِناه يصل الىٰ مراده والفقير لفقره لا يصل اليه ومن المعلوم أنّ الوصول وعَدمه غير المَيل والشّهوة فما معنى كلامه ﷺ مضافاً الى أنّ الحُكم علىٰ سبيل الكلّي مَمنُوع.

قلتُ ـ أمّا أوّلاً أنّ المراد من كلامه ﷺ هو أنّ المال مادة إجراء الشُّهوات وإعمالها وإيجادها في الخارج لا أنّه مَنشأ الشُّهوات ومُوجدها فأنّ الشّهوة من الأُمور الطّبيعية ولا دخل للمال وعدمه فيها نعم إجرائها في أكثر الموارد مترتب علىٰ وجود المال فالكلام بحذف المُضاف.

وثانياً: أنّ إثبات الشّي لا ينفي ما عداه فإذا قلنا أنّ المال مادّة الشّهَوات ليس معناه أنّ الشَّهَوات تُوجد بوجُوده بل معناه أنّ المال أحَد الأسباب وأن كانت لها أسباب غيره:

وثالثاً: إنّا نرىٰ كثيراً من المعاصي التّي يَرتكبها الغنّي دون الفقير بحيث لو لم يكن له مال لَما فَعَله كما أنّه لو كان للفقير أيضاً مال لا يبعد أن يَفعَله فقوله ﷺ إشارة الىٰ أنّ المال وأن كان حَسَناً مَمدوحاً في نفسه إلّا أنّه يُوجب ما ذكرناه في أكثر الأمور وبذلك قد ظهر لك أنّ الحكم لَم يَرد علىٰ سبيل الكلّي بل وَرد علىٰ سبيل الأغلب.

﴿٥٧﴾

▫ قوله ﷺ: مَنْ حَذَّرَكَ كَمَنْ بَشَّرَكَ...

أي مَن حَذَّرك عن شيٍ يُكره الوقوع فيه فهو كَمَن بَشَّرَكَ بشيٍ تُحبه، وتوضيح الكلام إنّك تَكره المَوت مثلاً وتحبّ الحَياة بمعنى أنه لو جاءك المَوت تَصير مغموماً مَحزوناً كما أنّك بالحَياة تكون مَسرُوراً فَمن حَذَّرك عن الوقوع في المَوت بأن يقول لك لا تَفعل هذا فأن فَعَلته تُقتَل فكأنه بَشَّرك بالحَياة اذ لولا التّحذير لكُنتَ من الأموات وأن شئت قلت لا فرق بين قوله أُحذِّرك عنه وبين قوله أُبَشّرك بالحَياة أن لم تَفعل هذا وعليه فيجب عليك شكر المحذِّر كما يجب عليك شكر المُبَشر اذا عرفت هذا فاعلم أنّ من حَذَّرك عن الآخرة وما جَعَل الله فيها من العذاب للعاصين وقال لك لا تَشرب الخَمر ولاتكذب ولا تَغتَب وهكذا لأنّها تُوجب السّقوط في الهَلَكة والخلُود في العذاب فهو مثل من بَشّرك بالجَنّة ونَعيمها والخلُود فيها أن تقبل تحذيره والأنبياء والأوصياء كانوا كذلك فيجب علينا الشّكر على تَحذيرهم الّذي يَرجع الى تَبشيرهم.

﴿٥٨﴾

▫ قوله عليه السلام: اللسَّانُ سَبُعٌ إنْ خُلِّيَ عَنْهُ عَقَرَ...

السَّبع بفتح السَّين وضمّ الباء المُفترس من الحَيوان مطلقاً يُجمع علىٰ سباع وأَسْبُع وسُبُوع، وعَقَر، أي عَضّ وجَرَح ومنه الكلب العَقُور، والمعنىٰ اللّسان كالسَّبُع في الإفتراس والسَّبعية أن خُلّي عنه أي أن أُطلِق بحيث يقول ما شاء عَقَر وجَرَح كما أنّ السّبع لو أُطلَق حاله كذلك شبّه عليه السلام اللّسان بالسَّبُع بتقدير حَرف التّشبيه ويمكن أن يكون الكلام علىٰ سبيل المُبالغة في التّشبيه مثل زيد عَدل أي أنّ زيداً من كثرة عَدله صار نفسه فكذلك نقول اللّسان من كثرة شباهته بالسَّبُع صار نفسه إدعاءً ومثله زيد أسَد وكيف كان ففي الكلام وجوه من اللّطائف:

أحدها: أنّ السَّبُع لو خُلّي عنه عَقَر وكذلك اللّسان لو خُلّي عنه عَقَر فكما أنّ السّبع يحتاج الىٰ من يَمنَعه عن إعمال سَبُعيته كذلك اللّسان:

وثانيها: أنّ الكلام مشتق من الكَلم وهو في اللّغة الجَرح سُمّي به لكونه جارحاً علىٰ القلوب وعليه فالكلام بما هو هو متّصف بالجَرح بل هو عينه لولا المانع وهذا بعينه صفة السَّبع فأنّه لا ينفك عنه أبداً ولذلك شبّه عليه السلام اللّسان بالسَّبُع دون غيره من الحَيوانات:

وثالثها: أنّ اللّسان لا ذنب له ولا نقص فيه وأنّما الذّنب ثابت للمتّكلم الّذي يتكلم به كما أنّ السَّبُعية ليست نقصاً للحيوان بل هي كمال له وأنّما الذّنب في جرحه علىٰ من أطلَقه وخَلّىٰ سبيله وغيرها من الوجوه المُشتركة وقد تقدّم

الكلام في آفات اللّسان فيما مضىٰ ولنذكر شطراً ممّا ورد فيه في المقام أيضاً:

قال رسُول اللّه ﷺ أمسك لسانك فأنّها صَدقة تتّصدق بها علىٰ نفسك ثمّ قال ولا يعرف عبد حقيقة الإيمان حتّىٰ يخزن لسانه...

وعن عليٍّ ؑ قال من حفظ لسانه سَتر اللّه عَورَته...

وقال رسُول اللّه أن كان في شيءٍ شؤم ففي اللّسان «مشكاة الأنوار ص ١٧٥»...

قال لقمان الصّمتُ حُكم وقليل فاعله: وقال بعض الحُكماء البلاء موكّل بالمنطق...

وقال أبو الدّرداء: أنصِف أُذنيك من فيك فأنّما جُعل لك أُذنان أثنان وفَمٍ واحد لتَسمع أكثر ممّا تقول...

قيل، جَلسوا عند معاوية فتكلّموا وسَكَت الأحْنَف فقال معاوية مالَك لا تتكلم يا أبا بحر قال أخافك أن صدقت وأخاف اللّه أن كذبتُ...

وقال المهَلب بن أبي صُفرة لأن أرىٰ لعَقل الرّجل فضلاً علىٰ لسانه أحبّ الّي من أن أرَىٰ لِلسانه فضلاً علىٰ عَقله.

وقال سالم بن عبد الملك فضل العقل علىٰ اللّسان مُروّة وفضل اللّسان علىٰ العَقل هُجنة:

وقالوا: من ضاق صَدره إتّسع لسانه ومن كَثر كلامه كَثر سقطه ومن ساء خُلقه قلّ صديقه:

وقال أكثر الصّيفي، مَقتَل الرّجل بين فكّيه، ولنعم ما قيل:

يمُوت الفتىٰ من عَثرةٍ بلسانه وليس يَمُوت المَرء من عَثرة الرّجل
فَعَثرته من فَيه تَرمي برأسه وعَثرَته بالرّجل تَبرأ علىٰ مَهَلِ

وعن النّبي ﷺ قال ما أعطىٰ العَبد شَّراً من طلاقة اللّسان: وقالوا إذا أعجبك الكلام فأصمُت.

الحِلم زينٌ والسّكوت سلامَةٌ فـإذا نطقتَ فلا تكن مِكثاراً
ما إن ندمتُ علىٰ سكوتي مرّةً لكن ندمتُ علىٰ الكلام مراراً

وقال الآخر :

خلِّ حبيبك لرامي و أمضِ عنه بسلام

مُت بداء الصُّمتِ خيرٌ لكَ من داءِ الكلام

رُبَّ لفظٍ ساق آجال فئام وفئام

وإنّما السّالم من ألجم فاهُ بلجامٍ

وقال بعض الحُكماء حظّي من الصَّمت لي ونفعه مقصورٌ علّي وحظّي من الكلام لغيري ووباله راجع عَلّيَ:

ثمّ إنّ أمير المؤمنين عليه السلام نهىٰ في الحقيقة عن إطلاق اللّسان وعدم إلجامها بلِجام العقل وعليه فالمعنىٰ إنّ العاقل لا يتكلّم بما لا يُعنيه بل يتكلّم فيما يجب أن يتكلّم ويسكت فيما يجب أن يسكُت فلا يستفاد من هذا الكلام إنّ السّكوت مُطلقاً أولىٰ من التكّلم ولا بالعكس بل كلّ واحدٍ منهما يحسن في موضعه وهذا هو السِرّ في قوله عليه السلام: **أن خُلّي عنه عَقَر**، وإلّا فإنّ الأنبياء قد بُعِثوا بالكلام لا بالسكوت، وبالكلام وُصِف فضل الصَّمت ولم يُوصف القول بالصَّمْت وبالكلام يؤمر بالمعروف وينهي عن المُنكر ويعظّم اللّه ويسبّح بحمده والبيان من الكلام هو الّذي منّ اللّه علىٰ عباده فقال:﴿**خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ**﴾ (1)،والعِلم كلّه لا يُؤدي الىٰ أوعية القلوب إلّا باللّسان فنفع التكّلم عّام لِقائله وسامعه ومن بَلّغه وأمّا نفع الصّمت فهو خاصّ بِفاعله ولذلك قيل الكلام في الخير كلّه أفضل من الصّمّت والصُّمّت في الشّر كلّه أفضل من الكلام وفيه قال الشّاعر يرثي بعض العُلماء:

صَمُوتٌ إذا ما الصَّمت زيّنُ أَهلَه — وفتّاق أبكار الكلام المُختّم

وَعىٰما وَعىٰ القرآن من كلّ حكمةٍ — وسيطت له الآداب باللّحم والدّم

وقد قيل إنّ الصّمت نومٌ والكلام يقَظة، وقيل طول الصُّمت حُبسه:

1-الرحمن - 3/4

﴿ ٥٩ ﴾

▫ قوله ﷺ: المَرْأةُ عَقْرَبٌ حُلْوَةُ اللَّبْسَةِ...

المَرأة بفتح الميم مؤنّث المَرء والمَرء مثّلثة الميم الإنسان وجمعه على رجال من غير لفظه وقد سُمع مَرؤُون وعليه فالمَرأة هي إنسان مؤنّث والعَقرَب بفتح العين دُويبَةٌ ذات سّم تَلسع يقال لِلذكَر والأنثى والغالب عليه التأنيث وكُنيتها أمّ عريط وأمّ ساهرة، ويقال لِلذّكر أيضاً (عقربان) وربّما قيل لِلأنثى (عقربة) وقد جاء العَقرَب بمعنى الشّدة أيضاً يقال عَيشٌ ذو عَقارب، أي فيه شدّة وخشُونة (والحُلوة) بضم الحاء وسكون اللاّم وفتح الواو الطّيبُ الموافق لِلطّبع يقال طِعامٌ حُلو وفاكهة حُلوة (واللّبسة) بفتح اللاّم وقيل بكسرها ضربٌ من من الثّياب حالة من حالات اللّبس والمعنى إنّ جنس المَرأة إن كانت اللاّم الدّاخل عليها لِلجنس، أو كلّ مرأةٍ إن كانت لِلإستغراق، عَقرَبٌ أي إنّها كالعَقرَب أو إنّها عَقرب نفسه مُبالغةً في الإدّعاء نحو زيد أسَدٌ ثمّ وَصفها بإنّها حُلوة اللّبسة أي حُلوة اللّسعة وعليه فالوصف لِلعَقرب بالأصالة ولِلمَرأة على سبيل التشّبيه ويظهر من صريح كلام المُعتزلي اللّبسة بتقديم السّين على الباء فإنّه قال اللّبسة اللّسعة يقال لَسَبته العَقرب بالفتح ولَسِبتُ العَسل بكسر السّين أي لِعقتُه هكذا قال المُعتزلي وأمّا المُحقق البَحراني فقال بعد أن فَسّر اللّبسة باللّسعة ما لفظه وإستعار لِلمَرأة لفظ العَقرب بالوصف المذكور بإعتبار إنّ من شأنها الأذى لكن آذاها مشوب بما فيها من اللّذة بها فلا فُحش به وهو كأذى

الجرب المشوب بلذّته انتهى أقول ولعلّه خطأ منه إذ اللُّبسة بتقديم الباء على السّين كما هو موجود في نسخته ليست بمعنى اللّسعة في لغة العرب نعم اللّسبة بتقديم السّين على الباء معناها اللّسعة واللّدغة يقال لسبته الحيّة أي لدغته كما ذهب اليه المعتزلي:

اقول: يظهر منهما ومن تأخّر عنهما إنّهم جعلوا قوله عليه السلام: **(حُلوة اللّبسة)** صفة للعقرب ولذلك فسّروا الكلام بما فسّروه وهذا التفسير لا يستقيم لا لفظاً ولا معنىً:

إمّا لفظاً فلانّ العقرب ليس بمؤنّث حتّى يقال في وصفه حُلوة اللّبسة، فأنّ التّاء في الحُلوة للتأنيث يقال طعامٌ حُلو وفاكهة حُلوة، ولو قلنا بأنّه أي العقرب يقال للذّكر والأنثى ولذا يوصف بالمؤنّث كما يوصف بالمذّكر فلقائل أن يقول كونه للذّكر أقوى من إطلاقه على الذّكر والأُنثى لوجود المعارض وهو القول بأنّ المؤنث منه (عقربة) وعلى فرض التّسليم لا رجحان لأحد الطّرفين واقعاً وأمّا لفظاً فهو مذكّر فتذكير الصّفة أولى من تأنيثها ثمّ بعد الغضّ عمّا ذكرناه من حيث العبارة فنقول:

ما معنى كون العقرب حُلوة اللّبسة أي حُلوة اللّسعة وبعبارةٍ أُخرى أيّ دليلٍ دلّ على إنّ لسعة العقرب متّصفة بالحُلوة فإنّ ذلك الكلام لا نفهم معناه ولا نظّن أحدٌ يفهم معناه وعلى المُدّعي الإثبات وما قاله المحقّق البحراني في توجيه الكلام لا يرجع الى مُحصّلٍ وذلك لأنّ الكلام إذا خرج مخرج الإستعارة فلابدّ من أن يكون وجه الشّبه في المشبّه به أقوى منه في المشبّه وحيث إنّ عليّاً عليه السلام في المقام شبّه المرأة بالعقرب الّتي حُلوة اللّبسة على قول البحراني فيلزم أن يكون الوصف في المشبّه به وهو العقرب أقوى فيسئل عنه أيّةِ حُلوةٍ في لسعة العقرب ثمّ أيّة حُلوةٍ في لسعة المرأة حتّى صحّ تشبيهها بالعقرب في هذه الصّفة وأقبح من أصل المدّعي تعليله بقوله بإعتبار إنّ من شأنها الأذى لكن أذاها مشوب بما فيها من اللّذة، ووجه كونه أقبح هو إنّ الضّمير في قوله

(من شأنها) إن كان راجعاً الىٰ العَقرب فلا معنىٰ لقوله لكن أذاها مَشُوب بما فيها من اللّذة إذ لم يقل أحد من العقلاء إنّ أذىٰ العَقرب مَشُوبة باللّذة، وأن كان راجعاً الىٰ المَرأة فهو أيضاً فاسد إذ علىٰ فرض التّسليم، لم يوجد هذا الوصف في المشبه به أعني العَقرب فكيف يثبت في المشّبه وهو المَرأة فظهر لك فساد ما قالوه في شرح العبارة:

والّذي خطر بالبال في شرح العِبارة وحلّ الإشكال هو إنّ اللّبسة بتقديم السّين علىٰ الباء غلط والصّحيح هو اللّبسة بتقديم الباء علىٰ السّين واللاّم فيها مكسورة لا مفتوحة كما زعموا واللِّبسة بالكسر مؤنث اللِّبس وهو ما يُلبس من الثّوب أو مأخوذة من اللِّباس وهو أيضاً ما يُلبس من الثّوب وعلىٰ أيّ التّقديرين معنىٰ اللِّبسة ما يُلبس من الثّوب والمراد بكونها حُلوة رِقتَها ولطافتها فإنّ الحُلو في كلّ شيٍ بحَسبه وقد مرّ أن معناه في اللّغة الطّيب الموافق للطّبع واللّباس الرّقيق هكذاً وعليه فالكلام من إضافة الصّفة الىٰ موصوفها والتّقدير لِبسَةٌ حُلوة ضرورة إنّ الحُلو لا يتصّف باللِّبس وأمّا الثّوب واللّباس يتصّف به إذا عرفت هذا فقد علمت إنّ قوله ﷺ: **(حُلوة اللِّبسة)** وصف لِلمَرأة لا لِلعَقرب وتقدير الكلام المَرأة كالعَقرب في الإيذاء إلّا إنّها أي المَرأة لَبَستها حُلوة وبهذا الوصف تمتاز عن العَقرب وعلىٰ ما ذكرناه فالتّشبيه ثابت لها في الإيذاء فقط وأمّا الوصف فهو خارج عن التّشبيه فهنا أمران:

أحدهما: إنّ المَرأة كالعَقرب في الإيذاء، وثانيهما إنّها أي المَرأة حُلوة اللِّبسة:

أمّا الأوّل، فهو أمر محسُوس مشهُود لا يحتاج الىٰ إقامة الدّليل ووجه تشبيهها بالعَقرب في الحَيوانات دون الحيّة وغيرها مع إنّ الحيّة أيضاً تَلسع ولها سَمّ مُهلك أقوىٰ وأشّد ممّا في العَقرب، هو إنّ العَقرب له خاصّية مخصوصة به وهي إنّ لَسع العَقرب بمقتضىٰ طبعه وغريزته لا بُغضه وعداوته كما قيل بالفارسية:

نِيش عَقرب نه از رَه كين است		اقتضاى طبيعتش اينست

وهذا بخلاف الحيّة وأمثالها من الحيوانات الّتي لها سَمٌ ولَسَعٌ فإنّها لا تَلسع ولا تؤذي أحَداً بالفِطرة والغريزة وإنّما تؤذي بعد أن تؤذيها بالضَرب والجَرح مثلاً وقد ثبت هذا بالتَّجربة والحِسّ وحيث كان الأمر على هذا المنوال شبّه عليه‌السلام المَرأة بالعقرب مشعراً بأنّ المَرأة شأنها وطبعها الإيذاء بالنّسبة الىٰ زوجها وإن كان الزّوج مُحسناً اليها شفيقاً عليها فإنّها لا تلتفت الىٰ إحسان الزّوج أصلاً ألا ترىٰ إنّ الزّوج يتّحمل في عمره مصائب كثيرة لِتَحصيل المَعاش ورفاهيّة الأهل والعيال ومع ذلك كلّه لو خالف الزّوجة في موردٍ واحدٍ فكأنّه أجنَبيٌ عنها بحيث تقول في حقّه ما تشاء وهذه الرّؤية بعينها شأن العَقرب في الإيذاء ومحصّل الكلام هو إنّ الإيذاء مُخمر بفطرة العَقرب في الحيوانات وبفطرة النّساء في الإنسان وهذا هو وجه الشبّه بينهما ولنعم ما قيل فيها:

تمتّع بها ما ساغصنك ولا تكُن		جزُوعاً إذا بانت فسوف تبين

وخُفها وإن كانت تَفي لك إنّها		علىٰ قَدِمِ الأيّام سَوف تَخُون

وإن هي أعطتك اللّيان فإنّها		لغيرك من طلابها سَتُلين

وإن حَلفَت أن ليس تنقض عَهدها		فليس لمخضوب البنان يَمينُ

وأن سكبت يوم الفراق دُموعُها		فليس لعمرو اللّه ذاك يقينُ

وقال الآخر:

رأيت مواعيد النّساء كأنّها		سَرابٌ لمرتاد المناهل حافِلُ

ومنتظر الموعود منهنّ كالّذي		يُؤمل يوماً أن تلين الجنادل

قال حكيمٌ النّساء شّر كّلهن وشّر ما فيهنّ قلّة الإستغناء عنّهن، وقالت الحكماء لا تثق بأمرأةٍ ولا تغتر بمالٍ وأن كثر وقال بعض، النّساء حبائل الشّياطين، وقال الآخر لم تَنه المَرأة عن شيٍ قطّ إلّا فَعَلَتهُ:

أنّ النّساء متىٰ ينهين عَن خُلقٍ		فأنّه واقع لابدّ مفعولُ

وقيل، مِن إقتراب السّاعة طاعة النّساء، وقيل مَن أطاع عرسه فَقد أضاع نفسه:

لا تأمنّن علىٰ النّسـاء ولو أخـا ما في الرّجال علىٰ النّساء أمـينُ
أنّ الأمـين وأن تُـحفَظ جـهده لابـدّ أنّ بـنظرةٍ سـيَخُون

وثانيهما: أنّ المرأة حُلوة اللّبسة، وفيه إشارة الىٰ أنّ المرأة مع كونها كالعقرب في الإيذاء لزوجها فهي حُلوة اللّبسة أي أنّها كاللّباس الفاخر الموافق للطّبع والغريزة لوجود الشّهوة في الرّجل بحيث لا يقدر علىٰ تركها فكما أنّ الإنسان يُستَر بلباسه كذلك يُستَر بها وهذا الكلام منه مأخوذ من قوله تعالىٰ: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾ (١) فأنّ اللّباس يستر العَورة في ظاهر الجسم والنّساء تَستر العَورة في الباطن والإنصاف أنّ الأمر كذلك إذ عرفت ما تلوناه عليك في شرح كلامه عليه السلام فنقول محصّل كلامه عليه السلام هو أنّ المرأة كالعَقرب في الإيذاء وكاللّباس السّاتر للبدن في الواقع ونفس الأمر بحيث لا محيص عنها لكلّ إنسانٍ مُعتدل ومع ذلك كلّه ليس الحُكم بكونها مؤذياً كليّاً بل الحكم بإعتبار الأغلب إذ ما من عامٍ إلّا وقد خُصّ فأنّ العيش كلّه مقصور علىٰ الخليلة الصّالحة والبَلاء كلّه موكلّ بالقرنية السّوء الّتي لا تسكن النّفس الىٰ عشرتها ولا تَقر العُيون برؤيتها وفي حكمة سليمان، المرأة العاقلة تعمر بيت زوجها والمرأة السّفيهة تهدمه وقد عَدّ رسُول الله صلى الله عليه وآله إحدىٰ سعادات المَرء المرأة العَفيفة الصّالحة ولنعم ما قيل:

إذا تـزوجّتَ فكُـن حـاذِقاً وإسأل عن الغُصن وعن مَنبَته

وقال الآخر:

وأوّل خُبث الماء خُبث ترابه وأوّل خُبث القوم خُبث المناكح

ولذلك قال رسُول الله صلى الله عليه وآله أُنظر في أيّ شيءٍ تضع ولدك فأنّ العرق دسّاس، والبَحث في الباب طويل.

١ - البقرة - ١٨٧

﴿٦٠﴾

□ قوله عليه السلام: الشَّفِيعُ جَنَاحُ الطَّالِبِ...

قد ذكر الشّارح المعتزلي قبل هذا الكلام كلاماً آخر وهو قوله عليه السلام اذا حُيّيت بَتحيَةٍ فَحيّ بأحسَن منها وإذا أُسديَت اليك يَدٌ فكافئها بما يُربي عليها والفَضل مع ذلك للبادئ انتهى أقول لم يذكر هذا الكلام غير المُعتزلي أحَدٌ من شرّاح كلامه عليه السلام ولا هو موجود في نُسَخهم ولم ينقله المُحقق البحراني أيضاً والنُّسَخ القديمة الموجودة عندنا خالية عنه ولذلك لم نذكره في هذا الكتاب مضافاً الىٰ وضوح معناه من أيّ شخصٍ صَدر هذا الكلام وهو ممّا لا بأس به إلّا أنّا لا نشرح إلّا كلام علّي عليه السلام في هذا الكتاب وهو الّذي ثَبت عندنا بالشّهرة ومع ذلك كان موجوداً في نُسخ النَّهج وما ليس فَليس ولنرجع الىٰ شرح ما نحن بصدده فنقول:

الشَّفيع بفتح الشّين صاحب الشّفاعة، وهو من العَدد الزّوج، والجَناح بفتح الجيم، من الطّائر ما يطير به ومن الإنسان، اليَد والأبط والعضُد والجانب والكَتَف ومنه أنا في جناح فلان، أي في داره وظِلّه ويجئ أيضاً بمعنىٰ النّاحية والطّائفة من الشّئ، يُجمع علىٰ أجنُح وأَجنح: وأمّا الجناح بضّم الجيم فهو بمعنىٰ الإثم يقال لا جُناح عليك، أي لا إثم عليك:

والمعنىٰ أنّ الشّفيع لِلإنسان بمنزلة العَضُد واليَد وهكذا فكما أنّه يتّمسك في صدور الأفعال منه الىٰ أعضائه وجَوارحه التّي تُعينه علىٰ هَدفه ومَقصده

كذلك الشّفيع يُعينه الىٰ مَقصده وكما أنّها تدفع الضّرر عنه كذلك الشّفيع يُنجيه عن المَهالك، أو نقول كما أنّ الطّائر يطير بجناحيه كذلك الإنسان يطير الىٰ مقصده بشَفيعه قال اللّه تعالىٰ في كتابه: **﴿مَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا﴾** (1) دلّت الآية علىٰ مَدح الشّفاعة وحُسنها في الأُمور إذا لَم يتّرتب عليها أثَر سُوء وذلك لأنّها تُوجب قضاء حَوائج المُسلمين أو رَفع الخَطر عنهم وكلاهما مَمدُوحان وهيِ الّتي عبّر اللّه تعالىٰ عنها بالشّفاعة الحَسَنة، وأمّا إذا كانت في الشّرور والآفات وتبرئة الظّالم وتَضييع حقُوق المَظلُوم وأمثالها من الأُمور السّيئة القَبيحة فهي مذمومة مطرودة وهي التّي قال تعالىٰ أنّها شفاعة سيّئة وذلك لأنّ الشّفاعة ليست إلّا الوساطة في قضاء الحاجة فأن كانت الحاجة صالحة فالشّفاعة حَسَنة وأن كانت قَبيحة سَيّئة فالشّفاعة كذلك فإتّصافها بالحُسن والقُبح بإعتبار متعلّقها لا بإعتبار نفسها، فقد رَوت العامّة والخاصّة أخباراً كثيرة في مَدحها إذا وقَعت في محلّها قال رسول اللّه ﷺ أنّ اللّه تعالىٰ يسأل العبد عن جاهه كما يسأله عن عُمره فيقول له جَعَلت لك جاهاً فَهل نَصرت به مظلوماً أو قَمعتَ به ظالماً أو أغثتَ به مكرُوباً...

وقال ﷺ - أفضل الصّدقة أن تُعين بجاهك من لا جاه له...

وعن أبي بُردة عن أبي موسىٰ الأشعري قال قال رسُول اللّه ﷺ إذا جاءني طالب حاجةٍ فأشفعُوا له لكي تُؤجروا ويقضي اللّه تعالىٰ علىٰ لسان نبّيه ما شاء...

وقال رسُول اللّه أفضل الصّدقة صَدقة اللّسان قيل يا رسُول اللّه وما صَدقة اللّسان قال الشّفاعة تفكّ بها الأسير وتَحقن بها الدّماء وتجرّ بها المعروف الىٰ أخيك وتَدفع عنه كَريهة رواه الطّبراني في المكارم...

وأمّا من طرق الخاصّة فالرّوايات كثيرة وفيما ذكرناه كفاية قال المُبرد أتاني

١- النّساء ـ٨٥

رجل لأشفع له في حاجة فأنشد لنفسه:

أنّـــي قَـــصدتك لا أدلي بـــمعرفةٍ
ولا بـــقُربٍ ولكـــن فَشَـــتت نِـعمك
فَـــبِتُ حـــيران مَكـــروباً يُـــؤرقني
ذُلّ الغَـريب ويَـغشيني الكـرىٰ كَرمك
مـــا زلتُ أنكب حـتّىٰ زُلزلت قَـدمي
فأحـــتل لِـــتَثبيتها لا زُلزلت قَـدمك
فـلو هَـممتُ بـغير العُـرف ما علقت
بـه يَـداك ولا إنـقادت له شِـيَمُك

قال فَشفعتُ وأنلتُه من الإحسان ما قدرتُ عليه وكتب رجل الى يحيى بن خالد رقعة فيها هذا البيت:

شفيعي اليك اللّه لا شيَ غيره ... وليس الىٰ رَدّ الشّـفيع سـبيلُ

فأمَره بلزوم الدَّهليز فكان يعطيه كلّ يوم عند الصّباح ألف دِرهم فلمّا إستوفىٰ ثلاثين ألفاً ذَهَب الرّجل فقال يحيىٰ واللّه لو أقام الىٰ آخرِ عُمره ما قطعتها عنه ولنعم ما قيل في الشّفاعة عند اللّه تعالىٰ:

وقد جئتكم بالمُصطفىٰ متّشفعاً ... وما خابَ مَن بالمُصطفىٰ يتّشفع
الىٰ باب مولانا رفعتُ ظلامتي ... عَسَىٰ الهَمّ عنّي والمَصائب ترضع

وقال الآخر:

تَشَّـفع بـالنّبي فكُـلّ عَـبدٍ ... يُـجار إذا تَشَّـفع بـالنّبي
ولا تَـجزع إذا ضـاقت أُمـوراً ... فكـم لِـللّه مـن لُـطفٍ خفّيٍ

٦١

□ قوله عليه‌السلام: أَهْلُ الدُّنيا كَرَكْبٍ يُسَارُ بِهِمْ وهُمْ نِيَامٌ...

الرَّكب بفتح الرّاء وسكون الكاف ركبان الإبل أو الخَيل وهو إسم جمع، والنِّيام بكسر النّون جمع نائم.

والمعنىٰ أنّ أهل الدّنيا كركبان الإبل أو الخَيل يُسار بهم وهُم نائمون لا يَدرُون الىٰ أينَ يَسيرُون وهو إشارة الىٰ قوله صلى‌الله‌عليه‌وآله النّاس نيام اذا ماتوا إنتبهوا وكيف كان فهو إشارة الىٰ غَفلة أهَل الدّنيا عن سَيرَهم الىٰ الآخرة والدّليل علىٰ غفلتهم هو عَدم تَوجّههم الىٰ أعمالهم فأنّ من عَلِمَ مَسيره يَستَعدله وفي قوله عليه‌السلام: (يُسار بهم) بضّم الياء بصيغة المَجهول إشارة الىٰ أنّهم لا يَسيرون بمَيلهم ورِغبَتهم بل يُسار بهم كما أنّ النّائم علىٰ ظهر الإبل كذلك وقد مرّ منه عليه‌السلام نظير هذا الكلام فيما مضىٰ كثيراً:

نُسير الىٰ الآجال في كلّ ساعةٍ
فأيّامنا تطوي وهُنّ مراحلُ
ولم أرَ مثل المَوت حتّىٰ كأنّه
إذا ما تَخطّته الأماني باطل
وما أقبَح التّفريط في زَمن الصّبا
فكيف به والشّيب في الرّأس شاعلُ

تَــرَّحل مــن الدّنــيا بــزادٍ مــن التُّــقىٰ

فــــعُمرك أيّـــــام تَـــعدّ قـــلائل

وقال الآخر:

يــــــا خَـــــلِّ أنّك أن تُـــوسَّد لَـــيِّناً

وَسِّـــدت بـــعد اليــوم صــمّ الجَــندل

فأمـــهد لنـــفسك صـــالحاً تَسـعَد بـه

فَـــــلتَندمنّ غـــــداً إذا لَـــم تَـــفعِل

وقال الآخر:

مـــن كــان يَـعلم أنّ المَـوت يُـدركه

والقَـــبر مَسكـــنه والبَـعث يُـخرجـه

وأنّـــــه بـــين جـــنّاتٍ مُـــزّخرفةٍ

يـــوم القـــيامة أو نـــارٍ سَـــتُنضجه

فكـــلّ شـيءٍ ســوىٰ التّـقوىٰ بــه سَمجٌ

ومـــن أقـــام عـــليه مـــنه أسمَجَه

تـــرىٰ الّـــذي إتّـخذ الدّنـيا له وَطـناً

لَـــم يَـدر أنّ المـــنايا سَــوفَ تَـزعُجه

٦٢

▫ قوله عليه السلام: فَقْدُ الأَحِبَّةِ غُرْبَةٌ...

الفَقد بفتح الفاء وسكون القاف والدّال مصدر من فقد يفقد، والأحِبَّةِ بفتح الألف وكسر الحاء وفتح الباء المُشدّدة جمع حَبيب، والغُربة بضَم الغين وسكون الرّاء مصدر من غَرُب، إذا نَزَح عن وطنه والمعنىٰ من لا يَجد في وطنه حَبيباً يأنس به فهو غريب فيه وبعبارةٍ أخرىٰ الغَريب يطلق علىٰ معنيين:

أحدهما: البُعد عن الوطن المألوف والتّوطن في غيره وهذا هو الغَريب العُرفي.

وثانيهما: البُعد عن الأحبّة وأن كان في الوَطَن فأنّ من لا حَبيب له فهو غريب واقعاً وإن لا يُعَدّ به عُرفاً وذلك لأنّ الوَطَن بما هو هو لا مدخليّة له في نفي الغُربة بل الأصل المُعتمد عليه هو وجود الأقرباء والأحبّة فالغُربة الواقعية تدور مداره نفياً وإثباتاً والأرض خارجة عن الموضوع والإنصاف أنّ فراق الأحبّة من أجلىٰ مصاديق الغُربة بل الغُربة في الحقيقة ليست إلّا هو:

لِلّه باكٍ علىٰ أحبابه جَزعاً
قد كُنتُ أحذر هذا قبل أن يَقعا

ما كان واللّه شؤم الدّهر يتركني
حتّىٰ يُجرعني من بعدهم جَرعاً

أنّ الزّمـــان رأىٰ أُلف السّـــرور لنـــا

فَـــدَّب بـــالبَين فـــيما بـينـنا وسَـعىٰ

فَـليَصنع الدّهـر بـي مـا شـاء مُجتهداً

فـــلا زيـــادة شـــيٍّ فـوق مـا صَـنعا

قال الآخر:

وقـفتُ يـوم النّـوىٰ مِـنهم عـلىٰ بُعدٍ

ولم أُوَدِّعـــــهُم وَجـــدّاً وإشـــفاقاً

أنّـي خَشيت علىٰ الإظعان من نفسي

ومـــن دمُـــوعي إحـــراقـاً وإغـراقـاً

وقال الآخر:

أتـىٰ الرّحـيل فحين جـدّ تـرحـلت

مُـهج النّـفوس له عـن الأجسـاد

مـن لَـم يَبِتْ والبَين يَصدع قـلبه

لَـم يَـدر كـيف تَـفتّت الأكـباد

٦٣

□ قوله عليه السلام: **فَوْتُ الحَاجَةِ أَهْوَنُ مِنْ طَلَبِهَا إلىٰ غيرِ أهلِهَا...**

أي فَوت الحاجة وذهابها برأسها أهْوَن وأسْهَل من طلب الحاجة من غير أهلها وفيه إشعار بأنّ الإنسان العاقل لا يَتَشبث في قضاء حاجته الىٰ كلّ لَئيم دنيّ الطّبع وذلك لأنّ طلب الحاجة من غير أهلها أصْعَب علىٰ الإنسان من تركها وفَوتها ولنعم ما قيل بالفارسيّة:

دست حاجت چوبری پيش خداوندی بَر

که کريمست ورحيمست وغفورست وَدُود

قيل لأعرابي ما السُّقَم الّذي لا يَبرأ والجَرح الّذي لا يَندمل قال حاجة الكَريم الىٰ اللّئيم:

إذا ما رماك الدّهر في الضّيق فإنتجع

قديم الغِنىٰ في النّاس أنّك حامده

ولا تطلبنّ الخَير مِمّن أفاده

حديثاً ومَن لا يُورث المجد والده

وقد روت العامّة عن رسُول اللّه صلى الله عليه وآله أنّه قال مسئلة النّسا من الفَواحش ما أحلّ من الفَواحش غيرها، وقال صلى الله عليه وآله لأن يأخذ أحَدكم حَبله فيحتطب علىٰ ظهره خير له من أن يأتي رجلاً فيسأله أعطاه أو مَنَعه قال الشّاعر:

لَـمَوت الفـتىٰ خـير مـن البُـخل لِلفتىٰ
وللـــبَخيل خـــيرٌ مـــن ســئوال بــخيلِ
لَـــعمرك مـــا شـــيءُ لوجــهك قــيمة
فـــلا تَـــلق إنســـاناً بـــوجه ذليـــلِ

وقال الآخر:

إذا أذن اللّـــه فـــي حـــاجةٍ أتـــاك النّـجاح عـلىٰ رسُـله
فـلا تسأل النّـاس من فضلهم ولكــن سَـل اللّـه مـن فـضله

وقال الآخر:

لا تَسألَنّ بـــني آدم حـــاجة وسَـل الّـذي أبـوابه لا تُـحجب
اللّـه يَغضب أن تـركتَ سؤاله وبـنَي آدم حين يُسأل يَـغضب

وقال الآخر:

شاد الملُوك قصورهم وتَـحصّنوا من كلّ طالب حـاجةٍ أو راغبِ
فأرغب الىٰملك الملُوك ولا تكُن يا ذا الضّراعة طالباً من طـالبِ

سأل رجل رجلاً حاجةٍ فلم يَقضها فقال سألت فلاناً حاجة أقلّ من قـيمته فَرّدني ردّاً أقبح من خِلقته:

وسأل عُروة مَصعباً حاجة فَلم يَقضها فقال علم اللّه تعالىٰ أنّ لكـلّ قـومٍ شيخاً يَفزعُون اليه وأنا أفزَع منك قال حكيمٌ، لا شـيءُ أوَجَـع للأخـيار من الوقُوف بباب الأشرار:

لا تَحسبنّ المَـوت مَوت البلىٰ وأنّـما المَـوت سؤال الرّجـال
كـــلاهما مَـــوتٌ ولكـــنّ ذا أخَـــفّ مـن ذاك لذّل السّـؤال

٦٤

◘ قوله ﷺ: لا تَسْتَحِ منْ إِعْطَاءِ القَلِيلِ فإنَّ الحِرْمانَ أَقَلُّ مِنْهُ...

لا تَستَحِ بفتح التَّاء وكسر الحاء أصله تَستحي بعد دخُول لاء النَّاهية عليه حُذفت الياءَ الثَّانية ثُمّ نُقلت كسرة الياء الىٰ ما قبلها لثقل الكسرة وحُذفت الياء لدلالة الكسرة عليه فَصار تَستَحِ، وأمّا قول بعضهم أنّه من باب إستَحىٰ يَستَحي، فَلم أعرف معناه ولا إستعماله وفي بعض النّسخ القديمة، لا تَستَحِي، بثبوت الياء بعد الكسرة وهو أيضاً لا إشكال فيه إلّا أنّ الياء بعد إنتقال كسرتها الىٰ ما قبلها لا أثَر لها فحذفُها أوَلىٰ (والحِرمان) بكسر الحاء نقيض الرّزق المعبّر عنه باليأس والظّاهر أنّه مصدر من باب حَرم وحَرِم يقال حَرِمَه ر ٰ رِمه حرماً وحَريماً وحِرماناً وحَرِماً وحَريمة، الشّئ مَنَعه أيّاه.

والمَقصود من هذا الكلام هو أنّه إذا سألك سائل وأنت لا تَقدر علىٰ إعطاءه ما سألك وتَقدر علىٰ إعطاء القليل فأعطه ولا تَستح أي لا تَقُل أنّه أقلّ مِمّا سألني وذلك لأنّ الأمر يَدُور بين حِرمان السّائل بالكلّية وإعطاءه القليل ولا شكّ أنّ الحِرمان أقلّ قيمةً من القليل ومحصّل الكلام أنّ المَيسور لا يُترك بالمَعسور ولا يُكلّف اللّه نفساً إلّا وُسعها وعليه فلا تَحرم السّائل حتّىٰ المَقدور وقد قال اللّه تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾(1) أي لا تَحرمه بالكلّية ولم يَقل وأمّا السّائل فأعطِه ما سَأله دلّت الآية علىٰ النّهي عن ردّ السّائل وحِرمانه وأمّا قضاء حاجته فَمشروطٌ بالقُدرة عليه:

ليس فــيٰ كــلّ وَهــلةٍ وأوانٍ   تــتَهيأ صــنائع الإحسـان
فــإذا أمكَــنَت فــبادر اليــها   حــذراً مــن تــعذّر الإمكــانِ

١- الضحىٰ-١٠

٦٥

▫ قوله ﷺ: العَفافُ زِينَةُ الفَقْرِ...

العَفاف بفتح العين مصدر عَفَّ عَفّاً وعِفَّةً وعَفافاً وأصل العَفَّ الكَفّ والإمتناع عمّا لا يحلّ أو لا يَحمل والمعنىٰ أنّ لكلّ شيءٍ زينة وزينة الفَقر إمتناع الفَقير عمّا لا ينبغي أخذه كما أنّ زينة الغنّي السّخاوة وينبغي للفَقير أن لا يكون كارِهاً لِلفقر من حيث أنّه فعل اللّه ومن حيث أنّه فقر بل يكون راضياً به طالباً له ويكون قانعاً به كارهاً للزّيادة عليه فَتقطع الطّمع عن الخلق غير ملتفتٍ الىٰ ما في أيديهم وغير حريصٍ علىٰ إكتساب المال كيف كان وأن يكون صابراً شاكراً علىٰ فقره ومن كان كذلك فهو عفيف لا محالة إذ لا نعني بالعِفّة للفَقير إلّا هذا.

قال أمير المؤمنين ﷺ ما أحَسَن تواضع الغنّي للفَقير رغبةً في ثواب اللّه أحَسَن منه تِيه الفَقير علىٰ الغنّي ثِقّةً باللّه.

قال بعض العُرفاء أنّ الفَقير ينبغي أن لا يدّخر لنفسه أزيد من قدر الحاجة فأن لم يدّخر أكثر من قُوت يَومه وليلته فهو من الصّديقين وأن لم يدّخر أكثر من قُوت أربعين يوماً كان من المُتّقين، وأن لَم يدّخر أكثر من قُوت سَنة وهو الفَضل المُشترك بين الغنّي والفَقير كان من الصّالحين ولو زاد عليه خرج عن زمرة الفقراء.

وقال بعض آخر ينبغي للمؤمن أن لا يسأل النّاس من غير حاجةٍ إضطُر اليها بل يَستَعف عن السّؤال ما إستطاع لأنّه فقر مُعَجل وحساب طويل يوم القيامة والأصل فيه التّحريم لتَضمنه الشّكوىٰ من اللّه وإذلال السّائل نفسه عند غير اللّه

وإيذاء المسئول غالباً إذ ربّما لم تَسمح نفسه بالبَذل عن طيّب القلب وبعد السّؤال ألجأه الحياء أو الرّياء اليه ولتَضمنه هذه المفاسد ورد في الشّريعة المَنع عنه:

قال رسُول اللّه ﷺ مسألة النّاس من الفَواحش: وقال ﷺ من سَأل عن ظهر غني فأنّما يستكثر من جمر جهنّم...

ومن سأل وله ما يُغنيه جاء يوم القيامة ووَجهه عَظم يتقعقع ليس عليه لَحمٌ...

وقال ﷺ ما من عَبد فتح علىٰ نفسه باباً من المسألة إلّا فَتح اللّه عليه سبعين باباً من الفقر «جامع السّعادات ج ٢ ص ٩٤»...

ولأجل ذلك كان رسُول اللّه ﷺ يأمر الفقراء غالباً بالتّعفف عن السّؤال ويقول من سألنا أعَطيناه ومن إستَغنىٰ أغناه اللّه ومَن لَم يسألنا فهو أحَبّ الينا.

وقال ﷺ وما قلّ من السّؤال فهو خير قالوا ومنك يا رسُول اللّه قال ﷺ ومِنّي...

وقال ﷺ لو أنّ أحدكم أخَذ حبلاً فيأتي بحزمة حَطَب علىٰ ظهره فيبيعُها ويكفّ بها وَجهه خيرٌ له من أن يَسأل والأحاديث كثيرة« ص ٩٧» ولنعم ما قيل في ذَمّ السّؤال:

ذُلّ السّؤال شجىً في الحَلق مُعترضٌ ... من دونه شَرقٌ من تحته جَرَضُ
ما ماء كفّك إن جادت وإن بَخِلت ... من ماء وجهي إن أفنَيته عِوَضُ

وقال الآخر:

ما نال باذِلُ وجَهه بِسُؤاله ... عِوَضاً ولو نال الغني لِسؤالِ
وإذ النّوال مع السّؤال وزنته ... رَجَح السّؤال وشال كلّ نوالِ

وقال الآخر:

سَل النّاس إنّي سائل اللّه وَحده ... وصائن عِرضي عن فلانٍ وعن فُلِ

﴿٦٦﴾

▫ **قوله عليه السلام: إذَا لمْ يكُنْ ما تُرِيدُ فلاَ تُبَلْ ما كُنْتَ...**

تُبَل بضّم التاء وفتح الباء أصله تُبال حُذفت ألَفِه تخفيفاً لكثر الإستعمال والمعنىٰ إذا كان لك مرام لم تنله فأذهب في طلبه كلّ مَذهَبٍ ولا تبال إن حقّروك أو عظّموك فإنّ محّط السّير الغاية وما دونها فداء لهما ويمكن أن يكون المراد إذا عَجَزت عن مرادك فأرض بأيّ حالٍ علىٰ رأي القائل:

إذا لم تستطع أمْراً فَدَعه وجاوزه الىٰ ماتستطيع

وقال الشّارح المُعتزلي مراده إذا لم يكن ما تريد فلا تُبَل بذلك أي لا تكترث بِفوت مرادك ولا تبتئس بِالحِرمان ولو وقَفَ علىٰ هذا لَتَم الكلام وكَمُلَ المعنىٰ وصار هذا مثل قوله (فلا تكثر علىٰ ما فاتك منها أَسَفاً) ومثل قوله تعالى: ﴿**لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَافَاتَكُمْ**﴾ (١) وقال المحقّق البَحراني نظير ذلك:

اقول: في أكثر النّسَخ (**كيف كُنت**) بَدَل (**ما كُنتَ**) ثمّ إنّ ما ذكروه في تفسير الكلام لا بأس به لأنّهم لم يقولوا إلّا ما فهموه من العبارة وقد خطر ببالنا معنىٰ آخر غير ما ذكروه ولا بأس بذكره وهو إنّ الإنسان بالنّسبة الىٰ مَقصده ومراده لا يخلو عن حالين، إمّا أن يصل اليه، وإمّا لا يَصَل، وبعبارةٍ أُخرىٰ أمّا يَحصَل المُراد أو لا يَحصل فإن حَصَل فهو المطلوب وإن لم يَحصل فَما يَفعل قال عليه السلام

١- حديد ـ ٢٣

فلا تُبَل كيف كُنتَ، أي أن لم تصل الىٰ مقصدك فأرض بما أنت فيه في الحال ولا تَحَزن بعدم وصُولك الىٰ المراد إذ من المُمكن أن تكون المَصلحة في عدم وصُولك الىٰ ما تريد وأنت لا تعلم بها وعليه فكلامه ﷺ هذا تفسير في الحقيقة لقوله تعالىٰ: ﴿وعَسَىٰ أن تُحِبُّوا شَيئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [1] والله أعلم بحقائق الأمور.

١- البقرة-٢١٦

٦٧

□ قوله ﷺ: لا تَرَى الجَاهِلَ إلّا مُفَرِطاً أوْ مُفَرِّطاً...

(مُفَرِّطا) بضّم الميم وفتح الفاء وكسر الرّاء المشّددة إسم فاعلٍ من فَـرّط يُفرِّط، والمُفرِط بضّم الميم وسكون الفاء وكسر الرّاء أيضاً إسم فاعلٍ من باب أَفرط يُفرِط، ومصدر الأوّل التّفريط والثّاني الإفراط وهـو تـجاوز الحَـدّ فـي جانب الزّيادة والكَمال، كما إنّ التّفريط تجاوز الحدّ في جانب النّقص ولذلك فُسّر بالتّضييع والتّقصير والمعنىٰ إنّ الإفراط والتّفريط كلاهما من لوازم الجهل وشئون الجاهل والسّر فيه هو أنّ التّجاوز والعُدول عن حدّ الإعتدال في طَرَفي الكمال والنّقص محكوم عقلاً وشرعاً فلا يتجاوز عن الحَدّ إلّا الجاهل سواء كان العُدول عن الحقّ في العبادة أم في المال بل وفي جميع الشّئون وقد مرّ الكلام في ذمّهما وذكرنا الآيات والأخبار فيما مضىٰ:

٦٨

▫ قوله عليه السلام: إِذَا تَمَّ الْعَقْلُ نَقَصَ الْكَلاَمُ...

ولعلّ السِّر فيه هو إنّ العاقل الكامل في عقله يعلم إنّ آفات الكلام غالباً مترتّبة على كثرة الكلام لا على نقصه وذلك لأنّ الكلام إذا كثر لم يمكن ضَبطه غالباً بخلافه إذا كان قليلاً فإنّه يمكن ضبطه وحَصره ومن المعلوم إنّ الخَطَر في الكلام مُتَوجه الى فَلَتاته لا الى نفسه وَلذلك قال بعض الحكماء:

من ضاقَ صَدره إتّسَع لسانه ومن أكثَر أهجَر، أي خَرَج الى الهُجر وهو القبيح من القَول وقالوا المِكثار كحاطب ليلٍ وحاطب اللّيل ربّما نَهشته الحيّة أو لَسَعته العَقرب في إحتطابه ليلاً، وقالوا أوّل العَيّ الإختلاط وأسوء القول الإفراط، وقالوا النّدم على السّكوت خير من النّدم على الكلام وإذا كان كذلك فقِلّة الكلام من العقِل كما أنّ كثرته من الحُمق والجَهل:

﴿٦٩﴾

▫ **قوله ﷺ: الدَّهرُ يُخْلِقُ الأَبْدَانَ ويُجدِّدُ الآمالَ ويُقرِّب المَنِيَّةَ ويُباعِدُ الأُمْنِيَّةَ مَنْ ظَفِرَ بهِ نَصِبَ ومَنْ فاتَهُ تَعِبَ...**

يُخلق، بضّم الياء فعل مضارع مِن أخلَق ومَصدره الإخلاق ذو المَنيّة، بفتح الألف المَوت (**والأُمنيَّة**) بضّم الألف وكسر النّون وفتح الياء المشدّدة جمع أمان وأمانّي، ما يُتمنّىٰ (**نَصِب**) أي أعيَىٰ:

والمعنىٰ أنّ الدّهر أي الزّمان يُخلق الأبدان ويُبليها يقال أخلق الثّوب إذا بَلىٰ أي أنّ الدّهر يصيّر الأبدان باليات مُندرسات وهو محسوسٌ مشهود فضلاً عن كونه معقولاً ألا ترىٰ أنّ كلّ يوم مضىٰ من عُمرك أوجَب الضّعف في بَدَنِك وهكذا يكون الأمر الىٰ أن لا تقدر علىٰ الحركة لكثرة الضّعف والنّقاهة في جسمك ومن المعلوم أنّه ليس من فِعلك ولا عن مشيّتك وإرادتك بل هو علىٰ خلاف مَيلك وليس هذا إلّا من مُرور الأيّام واللّيالي عليك فالدّهر هو الّذي يبليك ويعجزك وهو المطلوب:

وأمّا أنّه يجدّد الآمال فالمقصود منه أنّ الآمال والمقاصد في طول الحياة لا نهاية لها ولا حَصر لها بل كلّما نِلتَ منها يَحدُث لك أمَلٌ آخر ألا ترىٰ أنّ الإنسان من بَدو حياته الىٰ آخر عُمره لا يخلو قلبه عن الآمال والمُشتهيات بل كلّما ظَفَر بشيءٍ منها وقع في أمَلٍ آخر:

وأمّا أنّه يُقرّب المَنيّة فلا خفاء فيه إذ كلّ ساعةٍ بل لحظةٍ قضَت علينا قَرُب

المَوت الينا وأمّا أنّه يُباعد الأُمنيّة فالمراد أنّك لا تصل الىٰ ما تتمنّاه في الدّنيا أبداً ويُعده كناية عن عدم الوصول اليه ثمّ ذكر عليه السلام لِلدّهر خصلتين آخرين أحدهما، أنّ من ظَفر به أي بالدّنيا نِصب أي أنّه يقع في شِدّةٍ ومشقّةٍ وثانيهما، أنّ من فاته الوصول اليها أيضاً يقع في تَعبٍ وعذاب وهو عجيب ألا ترىٰ أن الغنّي في تعبٍ لغناه والفقير في تَعبٍ لفقره وهكذا العزيز والذّليل والصّحيح والسّقيم والعالم والجاهل وبالجُملة حال الدّنيا وما فيها من النّعم كذلك وهو أدّلّ دليلٍ علىٰ ذمّ الدّنيا وسّوء حالها وأنّها ليست بمحلّ الأمن والرّاحة مطلقاً وقد مرّ الكلام في بيان ماهيتها وذمّها بما لا مزيد عليه مفصّلاً فيما مضىٰ غير مرّة.

٧٠

□ **مَنْ نَصَبَ نَفْسَهُ لِلنَّاسِ إِمَاماً فَلْيَبْدَأْ بِتَعْلِيمِ نَفْسِه قَبْلَ تَعْلِيمِ غيرِهِ ولْيَكُنْ تأدِيبُهُ بِسيرَتِهِ قبْلَ تأدِيبهُ بِلِسَانِهِ ومُعلِّمُ نَفْسِه ومُؤَدِّبُهَا أحَقُّ بالإجْلاَلِ منْ مُعلِّمِ النَّاسِ ومُؤَدِّبِهِمْ...**

ذكر عليه السلام في هذا الكلام أموراً ثلاثة لِلإمام ينبغي التّوجه اليها لكلّ من تصدّىٰ نفسه لها:

أحدها: أنّ من نَصَب نَفسَه لِلنّاس إماماً يُقتدىٰ به فَليَبدء أوّلاً بتعليم نَفسه وتزكيتها عن الأرجاس البّاطنية قبل تعليم غيره، والأصل فيه قوله تعالىٰ: **﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾**(١)

وفي قوله عليه السلام: **مَن نَصَب نفسه لِلنّاس إماماً**، إشارة الىٰ أنّ الإمام علىٰ قسمين:

أحدهما من نَصَبَه اللّه لِلنّاس إماماً ولا دخل لنفسه ولا لغيره في نَصبه لِلإمامة كالأئمّة الأثني عشر علىٰ مذهَبنا حيث أنّهم لم يجعلوا ولم ينصبُوا أنفسهم أئِمّة بل اللّه نَصَبهم لِلإمامة.

وثانيهما من نَصَبَه النّاس أو هو نَصَب نفسه لِلإمامة بالقهر والغَلبة علىٰ النّاس وهذا القسم مثل جميع الخلفاء والحُكّام بعد رسُول اللّه الىٰ زماننا هذا:

---

١ - الصّف ـ ٢.

أمّا القسم الأوّل: فهو خارج عن البحث وما ذكره عليه السلام في المقام لا يشمله لأنّه لم ينصب نفسه لهم إماماً بل اللّه نَصَبه وإذا كان كذلك فلا معنىٰ لابتداءه بتعليم نفسه قبل تعليم غيره وذلك لأنّه لا يخلو حاله إمّا أنّه محتاج الىٰ التّزكية والتّعليم أو ليس بمحتاج اليها، فأن كان الثّاني فقد ثبت المطلوب وأن كان الأوّل فالذّنب فيه يتّوجه الىٰ اللّه الّذي نَصَبه لِلإمامة وهو أي الإمام محتاج الىٰ التّزكية وبعبارةٍ أخرىٰ مَن لا يصلح لِلإمامة كيف نَصَبه اللّه لها ولو قيل بأنّ اللّه نَصَبه لها لِيبدَء بتعليم نفسه قبل تعليم غيره، يقال هذا غير معقول إذ قبل إصلاحه نفسه لا يكون إماماً علىٰ الفرض مع أنّه نُصِبَ لها قبله كما هو المَفروض:

وأمّا القسم الثّاني: فهو الّذي عليه مدار البحث وقد فصلّنا البحث في الإمامة وشرائطها عند شرحنا للخُطبة الشّقشقية في المُجلّد الأوّل من هذا الكتاب والحاصل أنّ المُتصدّي لمَنصَب الإرشاد والإصلاح ينبغي أن يُهذّب نفسه ويُصلحها ليؤثر كلامه في غيره ويصّح الإقتداء به كما قيل بالفارسية:

ذات نايافته از هستى بخش | كى تواند كه شود هستى بخش

وثانيها: أن يكون تأديبه بسيرَته وعَمَله قبل تأديبه بلسانه والوَجه فيه أنّ العَمَل مقدّم علىٰ الحَثّ عليه فأنّ اللّفظ اذا لم يَحكي عن عَمل المتكلّم لا أثر فيه مضافاً الىٰ أنّ الكلام يحتمل الصّدق والكذب والمتكلّم يحتمل أن يكون مؤمناً بكلامه بالقلب وأن يكون مخالفاً له به كالمُنافق وعليه فالمُخاطب لا يَدري أصَدَقَ المتكلّم أم كَذِب وهذا بخلاف العَمَل فأنّه لا إحتمال فيه:

وثالثها: أنّ مُعلّم نفسه ومؤدّبها أحقّ بالتّعظيم والإجلال من معلّم غيره والوَجه فيه أيضاً واضح لأنّ تعليم النّفس وتأديبها يُعدّ من التّزكية وهي مقدّم علىٰ التّعليم وقد تحصّل ممّا ذكره عليه السلام أنّ الإمام الّذي يكون بصدد هداية الخلق وإرشادهم ينبغي أن يكون صالحاً في العلم والعَمَل قبل أن يكون مُرشداً لغيره والأصل في الكلّ قوله تعالىٰ: ﴿**أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّي إِلَّا**

أن يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[1]

ثمّ أنّ أمير المؤمنين عليه السلام أشار بكلامه هذا الىٰ بطلان إمامة غير المعصوم وبطلان حكومة الفاسق الجائر الّذي لا يليق بمنصَب الزّعامة لفساده وبُعده عن طريق الحقّ علىٰ ما تقدّم ذكره سابقاً ولَعمري أنّ هذا هو الأصل في إصلاح الإجتماع وجُوداً وإفسادهم عَدماً ولو أنصَفْتَ حقّ الإنصاف لعَلِمت أنّه لو رُوعي هذا الأصل في القائدين الحاكمين علىٰ النّاس في طُول التّاريخ لَما كان النّاس كما نشاهدهم في زماننا هذا من الإختلاف وتشتّت الآراء وفساد العقيدة والعَمَل وغير ذلك ممّا عجز الأقلام عن بيانه وكلّ الألسن عن نِطاقه ولا يشكّ عاقل أنّ منشأ هذه المصائب الواردة علىٰ الإسلام والمُسلمين بحيث لم يبق معها من الإسلام إلّا إسمه ولا من القرآن إلّا رَسمه ليس إلّا سُوء التّدبير وعدم لياقة الحكّام في الماضي والحال فأنّ النّاس علىٰ دين ملوكهم والرّعية لا تَصلَح إلّا بصلاح الرّاعي.

١- يونس ـ٣٥

٧١

◘ قوله عليه السلام: نَفَسُ المَرْءِ خُطاه إلىٰ أجَلِه...

أي كلّ نَفسٍ يتنفّسه المَرء من بَدو حياته فهو كخطوةٍ وقَدَمٍ يُقرّبها الىٰ أجَلَه وموتَه والوجه فيه واضح لا خفاء فيه إلّا أنّ الإنسان غافل عنه والخُطا بـضّم الخاء جمع خُطوة وهي المشي بالرّجل فكأنّه قال عليه السلام أنّ الإنسان في حياته يَسرَع الىٰ أجَلَه:

﴿٧٢﴾

□ **قوله ﷺ: كلُّ مَعْدُودٍ مُنْقِضٍ وكلُّ مُتَوقَّعٍ آتٍ...**

قال الشّارح المعتزلي الكلمة الأُولىٰ تؤكِد مَذهَب جُمهور المُتكلّمين مِن أنّ العالم كلّه لابدّ أن ينقضي ويفنىٰ ولكنّ المتكلّمين الذّاهبين الىٰ هذا القول لا يقولون يجب أن يكون فانياً ومُنقضياً لأنّه معدود فأنّ ذلك لا يلزم ومن الجائز أن يكون معدوداً ولا يجب فناءه ولهذا قال أصحابنا أنّما عَلِمنا أنّ العالم يُفنىٰ عن طريق السّمع لا من طريق العقل فيجب أن يُحمل كلام أمير المؤمنين ﷺ علىٰ ما يطابق ذلك وهو أنّه ليس يُعني أنّ العَدَد علّة في وجوب الإنقضاء كما يشعر به ظاهر لفظه وهو الّذي يسمّيه أصحاب أُصول الفقه إيماءً وأنّما مراده كلّ معدودٍ فأعلموا أنّه فانٍ ومُنقضٍ فقد حَكَم علىٰ كلّ معدودٍ بالإنقضاء حُكماً مجّرداً عن العِلّة كما لو قيل زيد قائم ليس يعني أنّه قائم لأنّه يُسّمىٰ زيد انتهىٰ ما ذكره بألفاظه وعباراته:

وأنا أقول حاصل كلامه أنّ العَدَد لا علّية له لِلإنقضاء، ويَرد عليه وجوه من الإشكال:

أحدها: أنّ أمير المؤمنين ﷺ لم يقل كلّ عددٍ منقضٍ بل قال كلّ مَعدُودٍ مُنقضٍ والشّارح المعتزلي حيث لم يفرق بين العَدد والمَعدُود خَلَط بينهما وقال ما قال:

وثانيهما: أنّ ما ذكره ﷺ لا ربط بإنقضاء العالم وعَدمه فأنّ الكلام ناظر الىٰ

المَعدُود بما هو هو لا الىٰ غيره، وثالثها، قوله ومن الجائز أن يكون معدُوداً ولا يجب فناءه وأنّ العالم يفني من طريق السّمع دون العقل كلام باطل لا طائل تحته بل نقول كلّ معدُودٍ يجب فناءه وفناء العالم عقّليّ قبل أن يكون سَمَعياً، ورابعها: أنّ حَمل كلام أمير المؤمنين علىٰ قول أصحاب المُعتزلي كما ذَهَب اليه مضافاً الىٰ أنّه ليس مَرْضياً عند العقل يلزم منه أن يكون أمير المؤمنين تابعاً لأصحابه ولا يقول به عاقل فضلاً عمّن يدّعي العلم كيف وقد قال ﷺ هذا الكلام قبل ظهور مَسلك الإعتزال ونحن نشرح كلامه ﷺ لتعلم وجه الخطأ في كلام الشّارح بوجهٍ أبسط فنقول:

المَعدُود يطلق لُغةً وإصطلاحاً علىٰ كلّ ما دَخَل في العَدد وتعلّق العُّد به فكلّ شيئٍ قبل تعلّق العُّد به داخل في العَدَد ولا يكون مَعدُوداً بالفعل فإذا قلنا مثلاً الكتاب واحد أو إثنان أو ثلاث وهكذا فَقد عدّدناه فصار الكتاب مَعدُوداً وأمّا قبله فلا إذا عرفت هذا فأعلم أنّ قوله ﷺ: كلّ معدودٍ مُنقَضٍ معناه أنّ الإنقضاء داخل في المَعدُودية ومترتبٌ عليه مفهوماً لا وجوداً بمعنىٰ أنّ المَعدود هو المنقضي مصداقاً ووجوداً وأن تغايرا مفهوماً فالمَعدود هو نفس الإنقضاء لا أنّه علّة لوجوده ألا ترىٰ أنّ الإمام ﷺ قال كلّ مَعدودٍ مُنقض ولم يقل يُنقض أي هو هو في الحال لا أنّه يوجب الإنقضاء في الإستقبال ولو بعد التكلّم لتثبت العلّية وأن شِئت قلت كلّ مَعدودٍ فهو محدود وكلّ مَحدودٍ فهو حادث لكونه مسبوقاً بالعَدم وكلّ حادث فهو مُنقض لا محالة إذ لا نعني بالإنقضاء إلّا الحدُوث ولا من الحدُوث إلّا الإنقضاء:

أمّا الأوّل، أعني كلّ مَعدُودٍ محدود فلأنّ الشّيّ اذا لم يكن مَحدُوداً في العقل لا يكون مَعدُوداً إذ العُد فرع التّعقل والتّصور، وأمّا أنّ كلّ محدود فهو حادث فلمّا ذكرناه من كونه مسبوقاً بالعَدَم والثّالث واضح وصورة القياس هكذا، هذا معدود، وكلّ معدودٍ محدودٍ فهذا محدود:

ثمّ نقول هذا محدود وكلّ محدودٍ مُنقض حادث فهذا مُنقض حادث فَثبت

أنّ المَعدُود مُنقضٍ وهو المطلوب:

وهذا هو السِّر في قول الفلاسفة وإتّفاقهم على أنّ اللّه تعالى واحد وأنّ وَحدَته ليست وحدةً عدديّة أي أنّه تعالى ليس بداخلٍ في الأعداد فإذا قلنا أنّه واحد ليس معناه أنّه واحد كما أنّ الكتاب مثلاً واحد أو زيد واحداً بل الوحدَة فيه وحدَةٌ حقّة حقيقة بمعنى أنّ الوحدة عين وجوده ووجوده عين وحدته لا أنّ الوحدَة زائدة على ذاته كما في المعدودات الخارجية فإذا قلنا زيد واحد معناه أنّ زيد بما هو هو شيئ ووحدتّه شيئ آخر وليس كذلك في الواجب:

فكلام أمير المؤمنن ناظر الى أصلٍ ثابتٍ في الفلسفة وهو أنّ المَعدُود بالعَدد ملازم للحدوث والإنقضاء وحيث أنّ ما سوى اللّه كلّه داخل في المَعدود بهذا المعنى فهو مُنقضٍ لا محالة وحادث بالإصالة وما كان كذلك لا ينبغي الإعتماد عليه لعدم بقاءه فالدّنيا أعني ما سوى اللّه لحدوثها وإنقضائها لا يعتني بها العاقل هذا ما فهمناه من العبارة:

وأمّا الشّارح المُعتزلي فحيث أنّه لم يفهم مراده ﷺ حَمَل كلامه على مذاق أصحابه الّذين كانوا مَعزُولين عن المباحث العُرفية فضلاً عن العقّليات وإلّا فكيف يمكن القول بأنّ المعدُود بالعَدد لا يجب أن يكون فانياً أو أنّ العَدد ليس علّة في وجوب الإنقضاء مع أنّه هو هو بعينه كما مرّ والعجَب من هذا كلّه قوله بأنّ فناء العالَم سَمَعيّ لا عقّليّ، مع أنّ العقلاء إتّفقوا على خلافه وأنّ فناء العالَم عقّلي لِحدُوثه وقد ثبت أنّ كلّ حادث يُفنى بل الحُدوث ملازم للفناء لو لم يكن عينه مصداقاً وأن كان غيره مفهوماً وأنّما السّمع مُؤيد لِلعقل ومُشعِر بعدم خطأه في هذا الحكم وكيف يُعقل أن لا يحكم العقل بالأدّلة العقّلية على فناء العالم والسّمع حَكَم به نعم يمكن أن يحكم السّمع بشيئ عَجَز العقل عن دَركه والحُكم به وأمّا ما كان العقل مُستّقلاً به فالسّمع يُؤيده وهذا معنى قولنا أنّ وجوب فناء العالم عقّلي قبل أن يكون سمّعياً وقد أذعَن بهذا الحكم من لا دين له أصلاً ولتفصيل الكلام موضع آخر:

وأمّا قوله عليه السلام: وكلّ متّوقعٍ آتٍ، فالمُتّوقع هو المُنتظر والإنتظار لا يتّحقق إلّا بعد وجود الشّيئ بالفعل أو إمكان وجوده في المُستَقبل وكـلّ مـمكنٍ آتٍ لا محالة إذ لو لم يأت أصلاً فهو محال من وجوده ووقوعه وقد فرضناه ممكناً.

ثمّ أنّ في هذا الكلام إشارة الىٰ أنّ المُتّوقع كالموجود بالفعل لإشتراكهما في أصل الإمكان الّذي هو السّبب في الوجود في ظرفه ولا سيّما إذا كان المُتّوقع محقّق الوقوع في المستقبل كالقيامة ومراحلها فأنّه ممّا ينبغي أن يُعتمد عليه كما أنّ الدّنيا وما فيها مع كونها موجودة بالفعل لنا لا ينبغي الإعـتماد عـليها لزوالها وحدوثها ومحصّل الكلام هو أنّ الإعتماد علىٰ الموجود الباقي لا علىٰ الفاني وأن كان الباقي مؤجلاً والفاني مُعجّلاً إذ رُبّ نَسيته أولىٰ وأفضل مـن النّقد:

﴿٧٣﴾

□ **قوله ﷺ: إنّ الأُمورَ إذا اشْتَبَهَتِ اعْتُبر آخِرُها بأوَّلِها....**

والمعنىٰ أنّ الأمور المُشتبهة الّتي أُختلط حقّها بباطلها من أوّل الأمر فهي تكون كذلك في آخر الأمر أيضاً فأنّ النّهايات تكون علىٰ حَسب البدايات بل لا يبعد أن يكون آخرها أقبح من أوّلها وذلك لأنّها كلمّا مرّ عليها الزّمان يكون الإشتباه فيها أكثر وعليه فالحقّ عَدَم الأخذ بها من أوّل الأمر لئلا يقع الإنسان فيها ولا يقدر علىٰ التّخلص منها وقد نهىٰ اللّه تعالىٰ عن الأخذ بها والإتّباع لها في كتابه فقال،:**﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ﴾**(١)

وفي قوله ﷺ: **أُعتبر آخرها بأوّلها** إشارة الىٰ عَدم إعتبار آخرها كما أنّه لا إعتبار بأوّلها فأنّ حكم الأمثال واحد وهذا الكلام منه ﷺ نظير قوله ﷺ في وَصف الدّنيا وأنّه يُقاس آخرها بأوّلها في عَدم إعتبارها ونحن قد تكلّمنا فيما مضىٰ في المُشتبهات وعدم جواز الأخذ بها وما ورَد فيها مفصلاً.

١- آل عمران-٧.

﴿٧٤﴾

ومن خبر ضرار بن حمزة الضّبائي عند دخوله على معاوية ومسئلته له عن أمير المؤمنين قال فأشهد لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى اللّيل سدوله وهو قائم في محرابه قابض على لحيته يتململ تململ السليم ويبكي بكاء الحزين ويقول:

▫ قوله ﷺ: يا دُنْيا يا دُنْيا إِلَيْكِ عَنِي أَبِي تَعَرَّضْتِ أَمْ إِلَيَّ تَشَوَّقْتِ .لا حَانَ حِيْنُكِ هَيْهاتَ غُرِّي غيرِي لا حاجَةَ لِي فِيك قدْ طَلَّقْتكِ ثلاثاً لا رَجْعةَ فيهَا فَعَيْشُكِ قَصيرٌ وخَطَرُكَ يَسيرٌ وأَمَلُكَ حَقيرٌ .آهِ مِنْ قِلَّةِ الزَّادِ وطُولِ الطَّرِيقِ وبُعْدِ السَّفَرِ وعَظِيمِ المَوْرِدِ...

◁ اللّغة

(إليْكِ) بكسر الألف والكاف أي بَعّدِ (أَبِي) الهَمزة لِلإستفهام والياء لِلنّسبة (تعّرضتِ وتشّوقتِ) من باب تَعّرض وتشّوقّ فِعلان ماضيان ومصدرهما التّعّرض والتّشّوق (حَانَ) بفتح النّون فعل ماضٍ بمعنىٰ جاء (حِيْنُكِ) بكسر الحاء أي وقتُكِ فإنّ الحِين بمعنىٰ الوقت (هَيْهاتَ) إسم فعلٍ بمعنىٰ بَعُد (غُرِّي) بضّم الغين فعل أمرٍ من غرّ يغرّ من الغُرور (المَوْرِدِ) بفتح الميم الموقِف:

◁ الشّرح

خاطب عليه السلام الدّنيا بحرف النّداء وقال لها إليكِ عنّي أي بَعّد عنّي ولا تقرب إلّي فإنّي لستُ من أبنائك وأتباعك ثمّ قال عليه السلام علىٰ سبيل الإستفهام التّوبيخي أبي تعَرّضتِ أي هَل تطلبَني أمَ إلّي تشَوقتِ أي وهل تشتاق أن تخدعني، لا حَانَ حِيْنُكَ، أي لا جاء وقت وصُولك لقلبي وتمكّن حُبّك منه، هيهات أي بعيد غاية البُعد أن تصل الىٰ ما تَمنّيتَ، غُرّي غيري، أي أطلبِ غيري وأجْعَله مَغرُوراً بك، لا حاجة لي فيك لستُ من أبنائك، قد طَلَّقْتُكِ ثَلاثَاً لا رَجْعةَ فيهَا، شَبّهها عليه السلام بالمَرأة المُطلّقة ثلاثاً الّتي لا رجعة للزّوج فيها ثمّ ذكر عليه السلام بعض نقائصها وقال فَعَيشُكِ قصيرٌ، أي الإنتفاع بك قصير مُدّته، وخَطَرك يَسيرٌ وأَمَلك حقير كلّ ذلك يدّل علىٰ حقارة الدّنيا ودنائتها ثمّ قال عليه السلام آه أي أتَوجّعُ وأتَأسّفُ من قلّة الزّاد لِلآخرة وطول الطّريق اليها وبُعْد السّفر من الدّنيا الىٰ الآخرة والمقصود إنّي قليل الزّاد لها معَ طول طريقها وبُعْد سَفرها وعِظم موردها أي موقف الورود علىٰ اللّه لِلحساب:

أعلم: إنّ في هذا الكلام إيقاظ وتنبيه علىٰ خِسّة الدّنيا وعدم إعتبارها وإنّه لا ينبغي للعاقل الرّكُون بها والإعتماد عليها لكونها حادثة فانية مَحفوفة بِالغَدِر والبَلاء مَشهورة بعدم الوَفاء مُزّينة بأنواع الحُلل والزّخارف ولأجل ذلك قد وَرَد في ذمّها ما ورد من الآيات والأخبار وقد ذكرنا فيما مضىٰ كثيراً منها غير مرّةٍ وَمَع ذلك نُشير في المَقام الىٰ شطرٍ آخر ممّا وَرد في ذمّها إذ كلّ ما يقال فيها فهو قليل بالنّسبة اليها لأنّها رأس كلّ خَطيئة وأصل كلّ سيّئةٍ ورذيلةٍ:

ففي مجموعة ورّام أنّ رسول اللّه صلى الله عليه وآله مَرّ علىٰ شاة ميتّة فقال أتَرون هذه الشّاة هيّنة علىٰ صاحبها قالوا نعم، قال صلى الله عليه وآله والّذي نفسي بِيده الدّنيا أهْوَن عند اللّه عزّ وجلّ من هذه علىٰ صاحبها ولو كانت الدّنيا تزَن عند اللّه جناح بَعوضة ما سقىٰ كافراً منها شربة ماءٍ...

وقال صلى الله عليه وآله حُبّ الدّنيا رأس كلّ خَطيئة...

وقال بعضهم كُنتُ معَ رسول اللّه صلى الله عليه وآله فرأيتهُ يَدفع عن نفسه شيئاً فقلتُ يا

رسُول اللّه ﷺ ما الّذي تدفع عن نفسك...

قال ﷺ هذه الدّنيا مثلت لي فقلت لها اليك عنّي فرَجعت فقالت أنك أن فَلّتَ منّي لَم يَفلت عني مَن بَعدك...

ورُوي أنّ رسُول اللّه ﷺ وَقَف علىٰ مَزبَلة فقال هَلّموا الىٰ الدّنيا وأخَذَ خَرقاً قد بُليت علىٰ تلك المَزبَلة وعظاماً قد نَخرت فقال هذه الدّنيا وهذه إشارة الىٰ أنّ زينتها ستَخلق مثل تلك الخِرق فأنّ الأجسام التّي تَرونها تصير مثل تلك العِظام البالية وقال أنّ الدّنيا حلوة خَضرة وأنّ اللّـه مُستَخلفكم فيها فَناظروا كيف تعملون أنّ بني إسرائيل لمّا بَسطت لهم الدّنيا ومَهدّت بأهوائها في الحلّية والنّساء والثّياب والطّيب قال عِيسىٰ لا تَتّخذوا الدّنيا ربّاً فَتتّخذكم عَبيداً أكنزوا كنزكم عند من لا يضيعه فأنّ صاحب كنز الدّنيا يخاف عليه الآفة وصاحب كنز اللّه لا يخاف عليه الآفة...

وقال رسُول اللّه ﷺ أنّ اللّه جلّ ثناؤه لَم يَخلق خلقاً أبغض اليه من الدّنيا...

وقال ﷺ الدّنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له لها يُجمع من لا عَقل له وعليها يعادي من لا علم له وعليها يحسد من لا ثقة له ولها يسعىٰ من لا يَقين له...

وقال ﷺ من أصبح والدّنيا أكبر همّه فَليس من اللّه في شئٍ وألزَم قلبه أربع خصالٍ، همّاً لا ينقطع عنه أبداً وشغلاً لا ينفرج منه أبَداً وفَقراً لا يبلغ غِناه أبداً وأمَلاً لا يبلغ منتهاه أبَداً...

وقال عِيسىٰ يا معشر الحوارّيين أرضوا بدَنيّ الدّنيا مع سَلامة الدّين كما رضي أهل الدّنيا بدَنيّ الدّين مَع سلامة الدّنيا وفي معناه قيل...

أرىٰ رجالاً بأدنىٰ الدّين قد قنعُوا
ولا أرَاهم رَضُوا في العَيش بالدُّون
فاستَغن بالدّين عن دُنيا الملُوك كما
استَغنىٰ الملُوك بدُنياهم عن الدّين

ومَرّ مُوسىٰ ؑ برجلٍ وهو يبكي ورَجع وهو يبكي فقال يارَبّ عبدك يبكي

من مخافتك فقال تعالىٰ يا بن عمران لو نَزَل دماغه مَع دمُوع عَينيه ورَفع يَديه حتّىٰ تَسقطا لَم أغفر له وهو يُحبّ الدّنيا:

ومن يَحمد الدّنيا لعيشٍ يَسّره	فسوف لَعمري عن قليل يلُومها
اذا أدبَرت كانت علىٰ المَرء حَسرة	وأن أقبلت كانت كثيراً هُمُومها

وأقبل قوم علىٰ رجل زاهد فذكروا الدّنيا وأقبلوا علىٰ ذمّها فقال إسكتُوا من ذكرها فلولا موقعها من قلُوبكم ما أكثرتم من ذكرها ألا مَن أحَبّ شيئاً أكثر من ذكره ولنعم ما قيل:

نُرَقّع دُنيانا بتَمزيق ديننا	فلا ديننا يبقىٰ ولا ما نرَقّع
فطُوبىٰ لعبدٍ آثر اللّه ربّه	وجاد بدنياه لما يتَوقع

ولآخر:

أرىٰ طالب الدّنيا وأن طال عُمره	ونال من الدّنيا سروراً وأنعُما
كبانٍ بنىٰ بنيانه فأتّمه	فلمّا إستوىٰ ما قد بناه تَهدّما

ولآخر:

هب الدّنيا تُساق اليك عَفواً	أَلَيس مصير ذاك الىٰ إنتقالِ
وما دُنياك إلّا مثل فيّ	أظلّك ثُمّ أذن للزّوال

وقال لقمان لإبنه يا بنّي بع دنياك بآخرتك تربحهما جميعاً ولا تَبع آخرتك بدنياك تخسرهما جميعاً وقال إبن عبّاس أنّ اللّه جعل الدّنيا ثلاثة أجزاء جُزء للمؤمن وجُزء للمُنافق وجُزء للكافر فالمؤمن يتَزود والمُنافق يتَزين والكافر يتَمتع:

وقال بعضهم الدّنيا جيفة فَمن أراد منها شيئاً فَليصبر علىٰ معاشرة الكلاب:

يا خاطب الدّنيا الىٰ نفسها	تَنَح عن خطبتها تَسلِمُ
أنّ التي تَخطب غدارة	قريبة العُرس من المأتم

وقال رجل لأمير المؤمنين عليه السلام صف لنا الدّنيا فقال وما أصف من صحّ فيها أَمن ومن سَقُم فيها نَدم ومن إفتقر فيها حَزن ومن إستغنىٰ فيها فُتن في حلالها حساب وفي حَرامها عقاب:

والأخبار والآثار الواردة في ذمّ الدّنيا فوق حدّ الإحصاء مضافاً الىٰ حُكم

العَقل بعدم بقائها ومن المعلوم إنّ ما لا بقاء له ومع ذلك بالبلاء مَحفوفة وبالغَدر معرُوفة فتركه أولىٰ ولذلك ترىٰ كثيراً من الآيات القُرآنية ورد في ذمّها وقُبح الإعتماد عليها:قال اللّه تعالىٰ:﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ (١)

و : ﴿فَمَا مَتَاعُ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ (٢)

و : ﴿وَمَا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ (٣)

و : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنفُسِكُم مَتَاعَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا﴾ (٤) والآيات كثيرة وحيث إنّا تكلّمنا في الدّنيا وبيّنا ماهيّتها وخَطراتها ونقلنا الآثار الواردة فيها مفصّلاً غير مرّةٍ ولا سيّما في المجّلد الثّاني من الكتاب فلا نطول البحث بها في المقام أعاذنا اللّه من شرّها:

وأمّا قوله ﷺ في آخر الكلام حيث قال آه من قلّة الزّاد الىٰ قوله عظيم المورد ففيه إشارة الىٰ أُمور أربعة واقعيّة لا مجال لأحدٍ من العُقلاء إنكارها:

أحدها: قوله آه من قلّة الزّاد وفيه إشارة الىٰ لزوم الزّاد في هذا السّفر الخطير أعني المَوت وما يتبعه ومن المعلوم إنّ خير الزّاد فيه هو التّقوىٰ الّتي لا تحصل إلّا بالعَمل الصّالح كما قال اللّه تعالىٰ في كتابه:﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾ (٥)

وثانيها: طول الطّريق أعني به الطّريق الىٰ الآخرة.

وثالثها: بُعْد السَّفر بحيث لا يُرجىٰ الرّجوع منه الىٰ الدّنيا للتّعيّش ثانياً، ورابعها عِظم المَورد وهو المَوقف الّذي لا ينفع فيه مال ولا بنُون إلّا من أتىٰ اللّه بقلبٍ سَليم، وقد مرّ الكلام في هذه الأُمور مفصّلاً:

١- البقرة ـ ٢١٢ — ٢- التّوبة ـ ٣٨

٣- آل عمران ـ ١٨٥ — ٤- يونس ـ ٢٣

٥- البقرة ـ ١٩٧

(٧٥) ومن كلام له عليه السلام

لمّا سأله: أكان مسيرنا الى الشام بقضاءٍ من الله وقدره؟

قوله عليه السلام: وَيحَكَ! لَعلَّكَ ظَنَنتَ قَضَاءً لازِماً وقَدَراً حاتِماً. ولوْ كانَ كَذلِكَ لَبَطَلَ الثوَابُ والْعِقابُ وسَقَطَ الوَعْدُ والوَعِيدُ أنّ اللّهَ سُبْحَانَهُ أمَرَ عِبادَهُ تَخْيِيراً ونهَاهُمْ تَحْذِيراً وكلّفَ يَسِيراً ولَم يُكلفْ عَسِيراً وأعْطىٰ علىٰ القَلِيلِ كَثيراً وَلَم يعْصَ مَغْلُوباً وَلمْ يُطَعْ مُكْرِهاً ولَمْ يُرْسِلِ الأَنْبِيَاءَ لَعِباً ولَمْ يُنْزِلِ الْكِتَابَ لِلْعَبادِ عَبَثاً وَلا خَلَقَ السّمٰوَاتَ والأَرْضَ وما بَيْنَهُمَا باطِلاً (ذٰلِكَ ظَنُّ الّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ).

◁ اللّغة

(وَيْحَك) بفتح الواو وسكون الياء وفتح الحاء كلمة تَرَحّم وتَوّجع وقد تأتي بمعنىٰ المَدح والتّعجب وقيل أنّها بمعنىٰ، وَيل، والكاف للخطاب والمعنىٰ وَيلٌ لك (قَضَاءً) القضاء الحُكم (قَدَراً) القَدَر بفتحتين التّدبير يقال قَدر الأمر أي دبّره وجَعله علىٰ مقدار (حاتِماً) إسم الفاعل من حَتَم، أي جازماً قاطعاً (الوَعِيدُ) بفتح الواو التّهديد والوَعْدُ بالشّر (عَسِيراً) بفتح العين ضدّ اليَسير:

◁ الشرح

إعلم أنّ هذا الكلام قد صَدر منه عليه السلام في نفي الجَبر وقد رواه غير واحدٍ من رواة العامّة والخاصّة بإختلاف يَسير في ألفاظه وعباراته وقد نقل الشّارح المُعتزلي في شرحه عن شيخه أبي الحسين أنّ هذا الخبر في كتاب الغُرر ورواه

عن الأصبغ بن نباتة قال:

قام شيخ الى عليٍ فقال أخبرنا عن مسيرنا الى الشّام أكان بقضاء اللّه وقدره فقال والّذي فَلَق الحبّة وبَرأ النّسمة ما وطأنا مَوطئ ولا هَبطنا وادياً إلّا بقضاء اللّه وقَدَره فقال الشّيخ فعند اللّه أحتَسب عنائي ما أرى لي من الأجر شيئاً فقال صه أيّها الشّيخ لقد عَظم اللّه أجركم في مسيركم وأنتم سائرون وفي مُنصرفكم وأنتم مُنصرفون ولَم تكونوا في شيٍ من حالاتكم مكرهين ولا اليها مُضطَرين فقال الشّيخ وكيف القضاء والقَدر ساقانا فقال عليه السلام: **وَيحَك لَعلّك ظَننتَ قضاءً لازماً وقَدَراً حتِماً** لو كان ذلك كذلك لَبَطل الثّواب والعقاب والوَعد والوَعيد والأمر والنّهي ولم تأت لائمة من اللّه لمُذنبٍ ولا مَحمدة لمُحسنٍ ولم يكن المُحسن أولى بالمَدح من المُسيئ ولا المُسيئ أولى بالذّم من المُحسن تلك مَقالة عَبّاد الأوثان وجنُود الشّيطان وشهُود الزُور وأهل العمي عن الصّواب وهُم قدَرية هذه الأُمّة ومَجُوسُها أنّ اللّه سُبحانه أمَر تَخييراً ونَهى تَحذيراً وكلّف يسيراً ولم يُعص مغلُوباً ولم يُطع مُكرهاً ولم يُرسل الخ.

فقال الشّيخ فما القضاء والقَدر اللّذان ما سِرنا إلّا بهما فقال هو الأمر من اللّه والحُكم ثُمّ تَلى قوله تعالى: **﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾** (١) فَنَهض الشّيخ مسرُوراً وهو يقول:

أنت الإمام الّذي نرجو بطاعته	يوم النّشور من الرّحمن رضواناً
أوضَحتَ من ديننا ما كان مُلتَبساً	جزاك ربّك عنّا فيه إحساناً

انتهى ما ذكره المُعتزلي في شرحه لهذا الكلام ولَم يَزد على ما نقله عن شيخه في المقام شيئاً لتوضيح كلام أمير المؤمنين عليه السلام مع أنّه من المُعضلات العَويصات بل لا يُوجد في النّهج كلام أعضل وأشكل منه فكيف قنع الشّارح في شرحه بما ذكره نقلاً عن شيخه وهو ليس إلّا نقل الكلام بوجهٍ آخر وأظنّ أنّه عَجز عن شرح الكلام بما يليق به كما هو دأبه في شرحه فتَركه على ما كان

١-الاسراء ٢٣

وَفَّر فرار الثّعلب من الأسَد وعَمَل بقول الشّاعر:

إذا لَـم تَسـتطع أمَـراً فَـدَعه ... وجـاوزه الىٰ مـا تَسـتَطيعُ

ومَع ذلك كلّه فهو ممدوحٌ في فعله هذا فإنّ العِلم بعدم العلم عِلمٌ في الحقيقة هذا:

وأمّا الشّارح البحراني ﷺ فأنّه وأن كان من فرسان هذا الميدان إلّا أنّه قَنع بشرح ألفاظ الكتاب علىٰ سبيل الإجمال ولَم يأت بشيٍ مُقنع فيه مَع أنَّ المَوضوع كما ذكرناه من المُشكلات بحيث لا يُوجد في العُلوم العَقليّة والنّقلية بحث أصعَب وأغمَض منه ولذلك ترىٰ غير واحدٍ من عُلمائنا الماضين قد تَصّدوا للبحث عن القَضاء والقَدر وأطالوا الكلام فيه ولَعَلّ الشّارح البحراني راعي حقّ الإحتياط وهو كذلك لورُود الأخبار به بل ونهيها عن الدُّخول في بحث الخَير والشّر والسّعادة والشّقاوة النّاشئان عن القَضاء والقَدر ونحن نُشير الىٰ ما قال في المقام قال ﷺ بعد نَقله ما نقلناه عن المُعتزلي ما هذا لفظه:

والوَيح كلمة تَرَحم والحاتم الواجب وتقرير سؤال السّائل أن كان يسيرنا بقضاءٍ من اللّه وبقدرٍ لَم يكن لنا في تَعَبنا ثواب وذلك أنّ القَضاء قد يُراد به في اللّغة الخلق وما خَلقه اللّه تعالىٰ في العَبد فلا إختيار له فيه وما لا إختيار له فلا ثواب له فيما فَعَله وقوله وَيحَك الىٰ قوله والوَعيد بيان لِمَنشأ وهَمه وهو ما لعلّه يظنّه من تَفسير القضاء والقَدر بمعنىٰ العلم الملزوم والإيجاد والواجب علىٰ وفِقه وقوله أنّ اللّه سُبحانه أَمَر تَخييراً إشارة الىٰ تَفسير القضاء بالأمر كما صرّح به في جواب السّائل عن معناه مُستشهداً في تفسيره بالأمر والحُكم بقوله وقضىٰ ربّك الآية ومعلوم أنّ أمَر اللّه ونَهيه لا يُنافيان إختيار العبد في فعله وهذا الجواب إقنّاعي بحسب فهم السّائل وربّما فُسّر القضاء بأنّه عبارة عن إبداع الأوّل تعالىٰ لجميع صُور الموجودات الكلّية والجزئية التّي لا نهاية لها من حيث هي معقولة في العالم العقلي ثُمّ لمّا كان إيجاد ما يتعلق منها بالمّادة في مادّته وإخراج ما فيها من قبول تلك الصّور من القوّة الىٰ الفعل لا

يمكن إلّا على سبيل التعاقب لإمتناع قبول المادّة لِلصّور الكثيرة دفعةً قدّر تعالى بلطيف حكمته وجود الزّمان المديد لتخرج فيه تلك الصّورة من القوّة الى الفعل واحداً بعد واحدٍ كان القَدر عبارة عن ذلك الإيجاد لتلك الأمور في تفصيلها واحداً بعد واحدٍ كما قال تعالى:﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ﴾(١) ﴿وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾(٢) وأعلم إنّه على هذا التّفسير يمكن تقرير الجواب عن السّؤال المذكور أيضاً وذلك إنّ القضاء بالمعنى المذكور لا يُنافي إختيار العبد وحُسن تكليفه وثوابه وعقابه لإنّ معنى الإختيار هو علم العبد بإنّ له قوّة صالحة لِلفعل والتّرك المُمكنين مهيّئة لهما إذا إنضّم اليها الميل الى الفعل المسّمى إرادة فعلٍ أو النّفرة المسّمى كراهة ترك وذلك أمرٌ لا ينافي علم اللّه تعالى بما يقع أو لا يقع من الطّرفين وأن حصل عنه وجوب فهو خارج عرضّي ثمّ إنّ التكّليف لم يَرد على حسب ما في علم اللّه تعالى بل له مَبدأن أحدهما فاعلّي وهو حكمته تعالى أعني إيجاده الموجودات على أحكم وجهٍ وأتقنه رشوق ما هو ناقص منها من مبدأها الى كمالها شوقاً ملائماً لها والثّاني قابلّي وهو كون العبد بالصّفة المذكورة من الإختيار ولذلك ذكر من لوازم الإختيار والتكّليف المقصود من الحكمة لغايته أُموراً عَشرة:

أحدها – أمره لعباده تخييراً وتخييراً مصدر سدّ مسّد الحال، **الثاني** نهيهم تحذيراً وتحذيراً مفعول له **الثالث** تكليفهم اليسير ليسهل عليهم العَمل فيرغبُوا فيه، **الرّابع** عدم تكليفهم العسير لغرض أن يكونُوا بحال الإختيار فلا يخرجون بالعَسير الى تكليف ما لا يطاق كما أشار اليه تعالى بقوله:﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾(٣) **الخامس** إعطائه على القليل كثيراً في العَمَل وذلك من لوازم إختيارهم أيضاً، **السّادس** إنّه تعالى لم يُعص حال كونه مغلوباً عنهم اذ هو القاهر فوق عباده بل لأنّه خلّي بينهم وبين أفعالهم وهيّأهم لها وذلك من

١- الحجر _٢١
٢- الحجر ٢١.
٣- البقره _١٨٥

لوازم إختيارهم، **السابع** أنّه لَم يُطع مُكرهاً أي لَم يكن طاعةٍ مُطيعهم له عن إكراهٍ منه تعالىٰ له عليها وذلك من لوازم إختيارهم، **الثامن** ولَم يُرسل الأنبياء لعباً بل ليكونوا مُبَشرين ومُنذرين لمن أطاع بالجنّة ولمن عَصىٰ بالنّار وذلك من لوازم الإختيار، **التاسع** ولَم ينزل الكتب للعباد عَبثاً بل ليعرفوا منه وجوه تكليفهم وأحكام أفعالهم التّي أُمروا أن يكونوا عليها وبيان حدود اللّه التّي أمَرهم بالوقوف عندها وكلّ ذلك من لوازم إختيارهم، **العاشر** ولا خَلق السّموات والأرض وما بينهما باطلاً بل علىٰ وجوهٍ من الحِكمة منها أن يحصل لعباده بما وهَب لهم من الفكر في آياتها إعتباراً فيتّنبهوا من ذلك للَطيف حكمته ويستّدلوا علىٰ كمال عظمته كما قال تعالىٰ: **﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾**(١) الآيات ونفر عن إعتقاد غير ذلك بأنّه **﴿ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾**(٢) الآية إقتباس انتهىٰ ما ذكره.

أقول: أنّما ذكرنا ما ذكرناه بطُوله لتَعلم أنّ تحقيقه في المقام ناقِص جداً مُضافاً الىٰ أنّه ليس بدَواءٍ لهذا الدّاء المُعضل الّذي حارت فيه عقُول العُقلاء فضلاً عن غيرهم وأنّي وإن كنتُ من المُوافقين لِتَرك هذا البَحث لصعُوبته وغمُوضه ولكن لمّا رأيتُ تَوَفُّر رَغَبات المحصّلين وكثرة أشواق الطّالبين الىٰ دَرك حقيقة الأمر في معنىٰ القَضاء والقَدَر وربط أفعال العباد بهما أرَدتُ أن أبَحث في هذه المسألة وأذكر لك ما وَصَل إلّي من كلمات المُحقّقين وقد إشترطتُ علىٰ نفسي أن لا أقول إلّا ما أعتقده بقلبي وإستَخرجته عن الآيات والأخبار وكلمات الأصحاب مُعرضاً عن التّعصّب والعِناد مُجتَنباً عن ذكر الفضُول وما لا طائِل تحته في المقال مُتعوذاً باللّه تعالىٰ شأنه عن الضّلالة والإنحراف راجياً منه تعالىٰ أن يَحفظني عمّا لا يَصلح لي ولا يَرضىٰ به عليه توكّلت واليه أُنيب فنقول:

القَضاء بفتح القاف مَصدر قولك قضىٰ يَقضي قضاءً ومعناه الحُكم والقَدر

١-آل عمران - ١٩٠

٢- ص - ٢٧

محركَةٌ التّقدير والتّدبير قال الرّاغب في المُفردات القَضاء فصل الأمر قولاً كان ذلك أو فعلاً وكلّ واحدٍ منهما علىٰ وجهين، إلٰهيّ وبشّريّ فمن القول الإلٰهي قوله:﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ لا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاه﴾ [1] أي أمَرَ بذلك وقوله تعالىٰ: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ﴾ [2] فهذا قضاءٌ بالإعلام والفَصل في الحُكم أي أعلمناهم وأوحَينا اليهم وحَياً جَزماً وعلىٰ هذا قوله تعالىٰ: (وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَٰلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ﴾ [3]

ومن الفعل الإلٰهي قوله: ﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ﴾ [4] وقوله:﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ [5] إشارة الىٰ إيجاده الإبداعي والفراغ منه نحو بديع السّمٰوات والأرض.

ومن القول البشري نحو قضىٰ الحاكم بكذا فأنّ حكم الحاكم يكون بالقول، ومن الفعل البَشري قوله تعالىٰ: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ، ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾انتهىٰ موضع الحاجة منه.

وقال في معنىٰ القَدَر، القَدير هو الفاعل لما يشاء علىٰ قدر ما تقتضي الحكمة لا زائداً عليه ولا ناقصاً عنه ولذلك لا يصّح أن يُوصف به إلّا الله تعالىٰ قال الله أنّه علىٰ ما يشاء قدير، وساق الكلام الىٰ أن قال:

والقَدر والتّقدير تبيين كمّية الشّئ يقال قدرته وقَدّرته وقَدَّره بالتّشديد أعطاه القُدرة فتقدير الله الأشياء علىٰ وجهين أحَدهما بإعطاء القُدرة، والثّاني بأن يَجعلها علىٰ مقدارٍ مخصُوص ووجهٍ مَخصُوص حسبما إقتَضت الحكمة وذلك أنّ فعل الله تعالىٰ ضربان:

ضربٌ أوَجَده بالفعل ومعنىٰ إيجاده بالفعل أن أبَدعه كاملاً دفعةً لا تَعتريه الزّيادة والنّقصان الىٰ أنْ يشاء أن يُفنيه كالسّمٰوات وما فيها، ومنها ما جَعَل أُصوله موجودةً بالفعل وأجزاءه بالقوّة وقَدّره علىٰ وجهٍ لا يتأتّي منه غير ما

١- اسراء ـ٢٣
٢- اسراء ـ٤
٣- الحجر ـ٦٦
٤-غافر ـ٢٠
٥-فصلّت ـ١٢

قَدّره فيه كتَقديره في النّواة أن ينبت منها النّخل دون التّفاح والزّيتون وتَقدير مَنِي الإنسان أن يكون منه الإنسان دون سائر الحَيوانات فتقدير اللّه على وجهين:

أحَدهما: بالحكم منه أن يكون كذا أو لا يكون كذا إمّا على سبيل الوجُوب وإمّا على سبيل الإمكان وعلى ذلك قوله: ﴿ **قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً** ﴾ (١)

والثّاني: بإعطاء القُدرة عليه انتهىٰ مَوضع الحاجة من كلامه اذا عرفتَ معنىٰ القَضاء والقَدر في اللُّغة والعُرف فأعرِفهما في عُرف الفَلاسفة أيضاً لتكون على بَصيرةٍ في بَحثنا هذا:

فالقضاء عند الفَلاسفة عبارة عن وجود الصُّور العقلّية لجميع المَوجُودات بإبداع الباريءِ أيّاها في العالم العقلي علىٰ الوجه الكلّي بلا زمانٍ.

والقَدَر عبارة عن ثبُوت صُور جميع الموجودات في العالم النَّفس علىٰ الوَجه الجزئي مطابقة لما في موادّها الخارجّية الشّخصية مستندةً الىٰ أسبابها وعِللها واجبة بها لازمة لأوقاتها المعنّية ويشملها العناية الأُولىٰ الإلٰهية شمول القَضاء للقَدَر والقَدَر لِما في الخارج إلّا أنّ العناية لا محلّ لها علىٰ التّحقيق ولكلّ من القضاء والقَدَر محلّ ومَحلّها القلم واللُّوح وبيان ذلك أنّ عناية الباريءِ إقتَضت جوهراً قُدسياً يُسمّىٰ بالقلم الأعلىٰ والعَقل الأوّل والرّوح الأعظم والملك المُقرّب والممكن الأشَرف كما وَردت به الأحاديث النّبوية ونطقت به الحكمة الإلٰهية وبتوسطه جواهر قُدّسية وأجراماً سمّاوية مع نفوسها وعناصر جسّمية مَع قواها الطّبيعية على ما أُشير اليها في الكُتب الحكمة وتلك العقُول القُدّسية أنوار قاهرة مؤثّرة فيما تحتها من النّفوس والأجرام بتأثير اللّه تعالى فقاهرّيتها التّي هي تأثيرها في غيرها ظِلّ لقاهرّيته تعالىٰ وأثَر من آثار جلاله وقُدرته كما أن نُورّيتها التّي لا تزيد علىٰ ذواتها لمعة من لمعات وجهه وبهذا الإعتبار تُسمّىٰ الملائكة المُقّربين وعالمها عالم القُدرة وكما يفيض منها صُور

١- الحج ـ ٢.

الأشياء وحقائقها بإفاضة الحقّ فكذلك تفيض صفاتها وكمالاتها الثّانوية التّي بها تجبر نقصانها فبهذا الإعتبار أو بإعتبار أنّها تجبرها على كمالاتها والتّوجه اليها عند فقدآنهاوحِفظها عند حصولها ما أمكن يسمّىٰ عالم الجَبروت وهي صُورة صفة جبّارية اللّه تعالىٰ ومعلوم أنّ صُور جميع ما أوجَده اللّه تعالىٰ من إبتداء العالم الىٰ آخر حاصله فيها علىٰ وجهٍ بسيط مقّدس عن الكثرة التّفصيلية وهي صُورة القضاء الإلٰهي في عالم الجبرُوت المُسمّىٰ بأُمّ الكتاب بهذا الإعتبار كما قال اللّه تعالىٰ: ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [(١)] وتُسمّىٰ بالقلم بإعتبار إفاضة الصُّور منه علىٰ النّفُوس الكلّية قال اللّه تعالىٰ: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ [(٢)].

الآيات وكلّما تفيض علينا من العلوم الحقّة أنّمايفيض عن ذلك العالم ولاشّك أنّ تلك الجواهر التّي هي خزائن علمه مفاتيح غَيبه كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ﴾ [(٣)] وقال:﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ [(٤)] مُتعالية عن تعلّق الزّمان مُقدّسة عن التّغير والنّقصان فالقَضاء كذلك وكما أنّ العالم العقلي المُعبّر عنه بالقَلم محلّ القَضاء فالعالم النّفساني محلّ قَدَره تعالىٰ ولوح قَضاءه اذ كلّ ما جرىٰ في العالم أو سيجري مكتوب مُثبَتٌ في النّفوس القُدّسية الىٰ آخر ما قالوه في المقام ولتَفصيل البَحث فيه مقام آخر اذا عرفت معنىٰ القَضاء والقَدَر فلنرجع الىٰ شرح المتن.

▫ **قوله ﷺ: وَيْحَكَ لَعلّكَ ظَنَنْتَ قَضَاءً لازِماً وقَدَراً حاتِماً...**

لمّا سأَله الشّيخ عن مسيره الىٰ الشّام لحَرب معاوية وأصحابه هل كان المَسير بقَضاء اللّه وقَدَره أم لا فقال ﷺ في جوابه وَيحَك الىٰ آخر ما قال وتَوضيحه أنّ مَسيرنا الىٰ الشّام كان بقضاءٍ من اللّه إلّا أنّ قضاءه لم يكن قضاءً لازِماً ولا قَدَره حاتِماً واجباً وهذا الجواب منه ﷺ في الحقيقة يَنحَل الىٰ أمرين

١-زخرف ـ٤ — ٢- العلق ـ٣
٣-الحجر ـ٢١ — ٤-انعام ـ٥٩

أحدهما، موجب (مُثبَت) والآخر سالب (مَنفي)، أمّا الموجب (المُثبَت) فهو وجود القضاء والقَدر في المَسير وذلك لأنّ الإمام ﷺ لم ينفهما بالكلّية ولم يقل لا يكون المسير بقضاءه وقَدره بل قال ﷺ: **ويحك لَعلّك ظَننتَ قضاءً لازماً وقَدَراً حاتماً** أي إن ظَنَنتَ هكذا فقد أخطأتَ، وأمّا المسلوب (المنفي) فهو القضاء المقيّد باللّزوم والقَدَر المقيّد بالحتم والوجُوب فالمُثبت هو القضاء والقَدَر على إطلاقهما والمنفي هو القضاء المقيّد والقَدَر كذلك ولا إشكال في ثبوت المُطلق ونفي المقيّد وعكسه فالبحث يقع في مقامين :

المقام الأوّل: في ثبوت أصل القضاء والقَدَر فيه وهو ممّا لا شكّ فيه ضرورة أنّ أفعالنا وحركاتنا وكلّ ما يصدر عنّا بقضاء الله وقَدَره بمعنى أنّها مسبوقة بعلمه وتقديره في الأزل إذ لا يمكن لنا الخروج من حكومته إلّا أنّ القضاء بهذا المعنى لا لزوم فيه كما أنّ القَدَر بهذا المعنى لا حَتم فيه ولا وجوب إذ المفروض كونهما على إطلاقهما والمُطلق بما هو هو خالٍ عن القُيود وعارٍ من الشّئون وعليه فكون الفعل بقضاءه وقَدَره معناه أنّه وُجِدَ في الخارج عن فاعله بمقتضى علمه تعالى وتقديره في الأزل وأمّا أنّ الفعل صَدَر فيه بلا إرادةٍ وإختيارٍ وأنّ الفاعل لا يكون إلّا كالآلة لوجود الفعل فهو ممّا لا دليل عليه لا عقلاً ولا نقلاً ومجرّد كون الفعل مسبوقاً بالقضاء والقَدَر لا يكفي في ثبوت هذا المدّعى اذا لم يكن القضاء والقَدَر مقيّداً باللّزوم والوجوب والمفروض أنّهما على إطلاقهما وقد ثبت أنّ المُطلق من حيث هو هو لا تأثير فيه ولا علّية له وملخصّ الكلام هو أنّ كون الفعل من العبد بقضاء اللّه وقَدَره لا يوجب مقهوريّته ومَغلوبيّته للقضاء والقَدَر السّابقين بحيث لا يكون قادراً على تركه ليلزم الجبر نعم يُوجب ذلك لو كان مَسبُوقاً بالقضاء اللّازم والقَدَر الواجب والمفروض خلافه وعلى المُدّعي إثباته:

المقام الثّاني: في نفي القضاء والقَدَر اذا كانا مقيّدين باللّزوم والحَتم وهذا هو المراد بقوله ﷺ ويحك لعلّك ظَننتَ قضاءً لازماً وقَدراً حاتماً أي ليس

الأمر كما ظَنَنتَ وذلك لأنّه يوجب سلب الإختيار عن العَبد في فعله وهذا هو الجَبر المستحيل عقلاً ونقلاً:

أمّا كونه مُستلزماً للجَبر فلأنّ العَبد مجبورٌ في فِعله بحيث لا يقدر علىٰ تركه ولا علىٰ خلافه ضرورة أنّه مقهورٌ مغلوب تحت قدرة الخالق والمفروض أنّ اللّه حَتّم عليه وألزَمه علىٰ طبق القضاء والقَدَر والعبد مخلوق ضعيف لا يقدر علىٰ مخالفة الخالق ولا نعني بالجَبر إلّا هذا ولأجل ذلك نفىٰ عليه السلام اللّزوم من القضاء والحَتم من القَدَر ولم ينفِ القضاء والقَدَر بقولٍ مطلقٍ لأنّ نفي المطلق يرجع الىٰ نفيِ العلم عنه تعالىٰ بأفعال العباد في الأزل ونفىٰ العلم بعينه إثبات الجَهل له تعالىٰ اللّه عنه عُلواً كبيراً.

وهذا بخلاف نفي المُقَيد فأنّ نفيه يَرجع الىٰ نفي قَيده وهو اللّزوم والحَتم فيه ومن المعلوم أنّ نفي القَيد والتّقيد لا يضُر بالمُقَيد بما هو هو مَع قَطع النّظر عن قَيده ومُلّخص الكلام هو أنّه في المقام أثبت المطلق ونفي المُقّيد والفرق قد ظَهَر ممّا ذكرناه أن قلت أيّ إشكالٍ في المُقَيد حتّىٰ نحتاج الىٰ نفيه وبعبارةٍ أُخرىٰ أيّ إشكالٍ في كون فعل العَبد مُستَنداً الىٰ قضاءه اللاّزم وقَدَره الحاتِم.

قلتُ، عُمدة الإشكال فيه هو الجَبر المنَفي عَقلاً ونَقلاً:

أمّا عَقلاً فلأنّ الجَبر يَستلزم الظّلم في حقّه تعالىٰ وهو مُنزه عنه لِقُبحه بل نقول أنّ الجَبر هو الظّلم بعينه وذلك لأنّ الظّلم عبارة عن وضع الشّئ في غير محلّه وما نحن فيه كذلك فأنّ إجبار الضّعيف علىٰ شئٍ لا يَقدر علىٰ تَركه هو مِن وضع الشّئ في غير مَحلّه فلو فَرضنا أنّ الواجب أجّبَر عَبده علىٰ فعلٍ من الأفعال القَبيحة ثُمّ عاقبه عليه أَلَيس للعَبد أن يقول له لِمَ أجَبرتني عليه وهذا ممّا يَحكم به العَقل ويَعدّه من الظّلم وأمّا نقلاً فَيجئ الكلام فيه:

ويمكن أن يقّرر الإشكال والجواب بوجهٍ آخر وهو أن نقول أنّ القَضاء علىٰ وَجهين:

أحدهما: كونه بمعنىٰ الأمر كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَقَضىٰ رَبُّكَ إلّا تَعبُدُوا إلّا

أَيّاه﴾[1] وقد ثَبَت أنّ الأوامر الإلٰهية علىٰ قسمين، تشْريعية، وتكْوينية، والتّشريعات لا جَبر فيها أصلاً بل أساسها علىٰ الإختيار ألا ترىٰ أنّه تعالىٰ أمَرنا بالصَّلٰوة والزّكٰوة والحجّ وغيرها ولم يُجبرنا عليهافَمِن العباد من يأتي بها ومنهم من لا يأتي بها وهذا واضح لا خلاف فيه بخلاف الأوامر التّكوينية أعني بهٰ الأوامر الإيجادية فأنّها جَبرٌ محض ولا إختيار لِلعَبد في قبولها وعَدمه فأنّه تعالىٰ اذا قَضىٰ أمراً يقول له كُن فيكُون وحيث أنّ القَضاء في المقام من القَضاء التّشريعي فلا يمكن القول بالجَبر فيه وأن شئت قلت القَضاء اللاّزم هو القضاء التّكويني لا التّشريعي فأنّه غير لازم الوجود في الخارج لوجود الإختيار للعبد فيه وعليه فقوله عليه السلام: **لَعلّك ظَننتَ قَضاءً لازماً** معناه لَعلّك ظَننتَ أنّ هذا القَضاء من القضاء التّكويني الّذي لا مَرّد لقضاءه مَع أنّه ليس كذلك بل هو من القَضاء التّشريعي الّذي لا حَتم فيه بل للعبد أن شاء فَعل وأن لَم يَشاء لَم يَفعل.

وثانيهما: أن تقول أنّ القضاء بمعنىٰ العلم المُلزم والإيجاد الواجب علىٰ وِفقه وهو أنّ القضاء عبارة عن إبداع الأوّل تعالىٰ لصُور الموجودات الكلّية والجزّئية التّي لا نهاية لها من حيث هي معقُولة في العالم العقلي ثُمّ لمّا كان إيجاد ما يتّعلق فيها بمّواد الأجسام في موادها وإخراج المادّة من القوّة الىٰ الفعل غير ممكنٍ إلّا علىٰ سبيل التّعاقب والتّدرج لإمتناع قبولها لتلك الصُّور الكثيرة دفعة وكان الجود الإلٰهي مُقتضياً لإيجادها ولتكميل المادّة بإبداعها فيها وإخراج ما فيها من قبول تلك الصُّور من القوّة الىٰ الفعل قدّر بلطيف حكمته وجوده زماناً لا ينقطع ليخرج فيه تلك الأُمور من القوّة الىٰ الفعل واحداً بعد واحدٍ:

فيصير في جميع ذلك الزّمان موجودة في موادّها والمادّة كاملة بها فالقُدرة علىٰ هذا التّقدير عبارة عن وجود هذه الأشياء مفصّلةً واحداً بعد واحدٍ في موادّها السّفلية الخارّجية بعد أن كانت مُقدّرة في صحائفها العلوية بأيدي

[1] ١-اسراء-٢٣

المُدبرات النَّفسانية كما قال تعالىٰ في كتابه: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [1] اذا عرفت هذين الوَجهين في تفسير القَضاء والقَدَر فنقول تقرير السّؤال علىٰ الوَجه الأوّل هو أنّ اللّٰه لمّا قضىٰ وحَكَم علينا وأَمَرَنا بصُدور أفاعيلنا من مَسيرنا ومَوقعنا ومَرجعنا كُنّا مُكرَهين في أفعالنا مُضطَرين في أحوالنا كلّها فلا ثواب ولا أجَر لنا في فعلنا كما لا ثواب في فعل المكره والمُضطَر.

وتقرير الجواب أنّ أمره تعالىٰ ونَهيه وتكليفه ليس أمرَ جبارٍ وإكراهٍ كما قال تعالىٰ: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [2] بل أمرُه أمرَ تَخييرٍ ونَهيه نهي تحذيرٍ فلا يُنافي في أمْره ونَهيه وتكليفه إختيار العَبد في فعله وتركه لأنّه في الحقيقة راجع الىٰ إعلامٍ وتنبيهٍ كأنّه قيل مَن فَعل هذا فَله الثّواب ومَن تَركه وفَعل ضدّه فَله العِقاب فقوله عليه السلام: **لَعلّك ظَننتَ قضاءً لازماً** معناه أنّ القضاء بهذا المعنىٰ لا لزُوم فيه لأنّه أمر تشْريعي غير حتْمي ومن المعلوم أنّ هذا الجواب إقنْاعي لا يَحسم مادّة الإشكال إذ لقائلٍ أن يقول أيّ دليلٍ من العَقل دلّ علىٰ كون القضاء بهذا المعنىٰ فلابدّ لنا من تقرير آخر به يحسم الإشكال عن أصله.

فنقول: الحقّ أن يُقرر السّؤال والجواب علىٰ تفسير القضاء بالعلم الأزلي ومحصّل الكلام فيه هو أنّه لمّا كان جميع ما يصدر عنّا من الأفعال والأعمال قبل صدُورها مقضّية مُقدرة بهيئته وزمانه في عالمٍ آخر مكتُوبةٌ علينا قبل وجودنا فلا يمكن لنا خلاف ما قدّر لنا وكتب علينا فلا إختيار لنا في فعلٍ وتَرك وطاعةٍ ومَعصية حتّىٰ يمكن تقرير الجواب علىٰ وفق ما ذكره أمير المؤمنين عليه السلام بأنّ سبق علمه تعالىٰ وجريان قضاءه وقَدَره لا يُوجب علينا الحَتم والجَبر والإضطرار ولا يُنافي القُدرة لنا والإختيار ولا أيضاً حسن تكليفه وثوابه وعقابه لأنّ معنىٰ الإختيار أن يكون للعَبد قوّة فاعليّة صالحة لِلفعل والتّرك يقال لها القُدرة وقوّة أُخرىٰ علْمية مدركة للنّفع والضّرر والآفة والشّر في جانبي ما يقدر

١ـ الحج ـ ٢١.
٢ـ البقره ٢٥٦

عليه وقوّة أخرىٰ إراديّة باعثة تطيعها القوّة المسّماة بالْقُدرة بحيث متىٰ إنبَعَثت الإرادة لفعلٍ أوتركٍ بحسب ما أدركته النَفس وأذعَنته بقوّته الإدراكيّة إطاعتها تلك القوّة فَفعلت أو تَركت وذلك أمر لا يُنافي علم اللّه تعالىٰ بما يقع أو لا يقع من الطّرفين فأن حصل وجوبٌ بعد تصّور نفع مظنونٍ أو مجزوم وإنبعاث إرادةٍ عازمة فذلك وجوبٌ عارضٌ لاحقٌ لا يُنافيه إمكان سابق لأنّ موضوعهما مُتغايران فَموضوع الإمكان وهو القُدرة علىٰ الطّرفين نفس تلك القوّة الفاعلة المحرّكة للأعصاب قبضاً وبسطاً ثُمّ لِلأعضاء إقداماً وإحجاماً، وأمّا موضوع الوجوب مع إنضمام الدّاعي والإرادة ثُمّ أنّ التّكليف لَم يرد علىٰ العَبد بمُجّرد ما في علم اللّه وقضاءه بل له مبدأن:

أحدهما: فاعلَي وهو حكمته تعالىٰ أعني إيجاده الموجودات علىٰ أحكم وجهٍ وأتقَنه وشوق ما هو ناقص منها من مَبدأها الىٰ كمالها شوقاً ملائماً لها.

والثّاني: قابِلي وهو كون العَبد بالصّفة المذكورة من الإختيار ولذلك ذكر عليه السلام من لوازم الإختيار والتّكليف المقصود من الحكمة لغايته أُمُوراً عشرة كما ستَعرفها مفصّلاً وحاصل الكلام في هذا الوجه هو أنّ القضاء الإلٰهي أعني به علمه تعالىٰ أزلاً بما يصدر عنّا من الأفعال والأعمال ليس علّة تامّة لوجود الأفعال النّاشئة عن العباد لكونها مسبوقة بالمباديْ الأربعة التّي لا يُوجد الفعل بعدها إلّا علىٰ الإختيار إذ لا نعني بالأفعال الإختيارية إلّا ما كان مسبوقاً بها فحيث أنّ المباديْ الأربعة توسّطت بين العلم الأزلي ووجود الفعل في الخارج فلا يكون العلم علّة لوجودها وهو المطلوب كما قيل:

علم أزلي علّت عصيان بودن   نزد عقلاء ز غايت جهل بُوَد

وعليه فمعنىٰ قول مير المؤمنين عليه السلام في الجواب حيث قال لَعلّك ظَننتَ قضاءً لازماً وقَدَراً حاتماً هو أنّك ظَننتَ قضاءً أي علماً لازماً أي لازم الوجود في مَعلومه وليس كذلك بل قضاءه أي علمه بوجود الفعل غير لازم أي ليس عِلّة لوجود المعلوم خارجاً حتّىٰ يلزم الجَبر هذا خلاصته ما خَطَر بالبال وإستَفدنا

من المُحققين في معنى القَضاء والقَدَر ولزومهما وعَدمه ثمّ أنّ أمير المؤمنين عليه السلام رتّب على كون القضاء لازماً والقَدَر حاتِماً بالمعنى الّذي فصّلناه أموراً كلّها يدّل على كون القَضاء غير لازمٍ والقَدَر غير حاتِمٍ ونحن نُشير اليها بعون اللّه تعالى:

أحدها قوله عليه السلام: وَلَوْ كانَ كَذَلِكَ لَبَطَلَ الثَّوابُ والْعِقابُ...

وذلك لأنّ الثّواب مترتب على الطّاعة والعقاب على المَعصية وهو واضح فإذا فَرضنا كون العَبد مُكرَهاً في أفعاله وأعماله من غير ثبُوت الإختيار له فيها فلا ثواب ولاعقاب هناك قطعاً والوَجه واضح اذ المَفروض عدم قُدرة العَبد على تَرك الطّاعة وتَرك المَعصية وحيث أنّ الثّواب والعِقاب ثابتان نَكشف منه أنّ القضاء غير لازم وهو المطلُوب وصُورة القياس هكذا:

هذا الفعل صَدَر عن العَبد بقضاء اللّه وقَدَر اللاّزمين الحَتْميين، وكلّ فعلٍ صَدر منه هكذا لا ثواب عليه ولا عقاب فيه ينتج أنّ هذا الفعل لا ثواب ولا عقاب على فعله وتَركه وهو يُنافي العَقل والنّقل.

أمّا العَقل فلأنّه يحكم بتَرتب الثّواب على الطّاعة والعِقاب على المَعصية وإلّا يلزم كون المُطيع والعاصي واحداً عند الحاكم الآمر وهو كما ترى مضافاً الى كونه مُستلزماً لِلظّلم على العَبد المُطيع وقد ثَبت أنّ اللّه تعالى مُنزه عنه بريءٌ عن الإتّصاف به وهو واضح وأمّا النّقل فمن الآيات قوله تعالى: ﴿والبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلاً﴾ (١)

و: ﴿وَخَيْرٌ مَّرَدّاً﴾ (٢).

و: ﴿هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَاباً وَخَيْرٌ عُقْباً﴾ (٣)

و: ﴿وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ثَوَاباً مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾ (٤)

و: ﴿وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً﴾ (٥)

١- الكهف ـ٤٦ ٢- مريم ـ٧٦
٣- الكهف ـ٤٤ ٤- آل عمران ـ١٩٥
٥- القصص ـ٨٠

و : ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ (١)

و : ﴿وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ (٢)

و : ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٣)

و : ﴿أُوْلَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (٤) والآيات كثيرة جداً.

ومن الآيات الواردة في ثبوت العقاب قوله تعالى:﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (٥)

و : ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (٦)

و : ﴿إِنِّي أَرَى مَا لاَ تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (٧)

و : ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾ (٨) وغيرها من الآيات التي لم نذكرها مخافة الإطناب وهل يمكن لمن آمن بالله واليوم الآخر إنكار هذه الآيات أليس إنكار الكتاب والخالق والرّسول وهل يظن ظانٌ أنّ الله أجبَر عبده على فعلٍ من الأفعال ثُمّ يُعاقبه عليه وأمّا الأخبار الواردة في الباب الدّالة على ترتّب الثّواب والعقاب على الطّاعة والعِصيان فأكثر من أن تُحصى ولا نحتاج الى ذكرها مع صراحة الآيات على المُدّعى.

وثانيها قوله ﷺ: وسَقَطَ الوَعْدُ والوَعِيدُ...

الوَعد يقال للخير والوَعِيدُ على الشّر فالثّواب وعَدٌ والعقاب وَعيد والكتاب مصّرح بهما أيضاً في كثير من الآيات قال الله تعالى:﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (٩)

و : ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾ (١٠)

١- الكهف ـ ٣١
٢- آل عمران ـ ١٩٥
٣- النّحل ـ ٩٦
٤- آل عمران ـ ١٩٩
٥- البقرة ـ ١٩٦
٦- آل عمران ـ ١١
٧- الأنفال ـ ٤٨
٨- فصّلت ـ ٤٣
٩- المائدة ـ ٩
١٠- التّوبة ـ ٧٢

و : ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ (١)

و : ﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ﴾ (٢)

و : ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ (٣)

و : ﴿أَفَمَن وَعَدْنَاهُ وَعْداً حَسَناً فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا﴾ (٤)

و : ﴿فِي الْوَعِيدِ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾ (٥)

و : ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ (٦)

و : ﴿وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِداً﴾ (٧)

و : ﴿لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ﴾ (٨) وأمثالها من الآيات الواردة في العقاب والإنذار للعاصين في الدّنيا والأخرة.

وثالثها قوله ﷺ: إِنَّ اللَّهَ سُبْحانَهُ أَمَرَ عِبادَهُ تَخْيِيراً ونَهاهُمْ تَحْذِيراً...

أي أنّه تعالىٰ أمَر عباده بطاعته وخيّرهم فيها ولَم يَجبرهم عليها ونَهاهم عن المَعصية وحذّرهم عليها وهو أدَلّ دليلٍ علىٰ إختيار العَبد في طاعته ومَعصيته وممّا يدّل علىٰ المُدّعىٰ بعد شهادة الحسّ به قوله تعالىٰ: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (٩)

و : ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً﴾ (١٠)

و : ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ (١١)

ورابعها قوله ﷺ: وكَلَّفَ يَسيراً ولمْ يَكلِّف عَسيراً وأَعْطَى علىٰ القَلِيلِ كَثيراً...

١- يس ـ ٥٢
٢- إبراهيم ـ ٢٢
٣- آل عمران ـ ١٩٤
٤- القصص ـ ٦١
٥- إبراهيم ـ ١٤
٦- ق ـ ٤٥
٧- الكهف ـ ٥٩
٨- ق ـ ٢٨
٩- البقرة ـ ٢٥٦
١٠- الإنسان ـ ٣
١١- الكهف ـ ٢٩

وجه كونه دليلاً على المّدعىٰ هو أنّ اللّه تعالى لو كان مُجبراً للعَبد في أفعاله وأعماله لم يُكلّفه يَسيراً ضرورة أنّ الإجبار على الفعل يُنافي تسهيله على العَبد مَع إنّا نرىٰ السّهولة واليّسر في كلّ التّكاليف قال اللّه تعالى: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لا نُكَلِّفُ نَفساً إِلَّا وُسْعَهَا﴾ (١)

و: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لاَ نُكَلِّفُ نَفساً إِلَّا وُسْعَهَا﴾ (٢)

و: ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا مَا ءَاتَٰهَا﴾ (٣)

و: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْءَانُ هُدىً لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَىٰ، إلىٰ قوله يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَيُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ (٤)

وأمّا إعطاءه الكثير على القليل فلقوله تعالى:﴿مَن جَآءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَآءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلاَ يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾ (٥)

و: ﴿وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ (٦)

و: ﴿مَّن ذَاالَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناًفَيُضَاعِفَهُ لَهُ﴾ (٧) وأنت خَبير بأنّ التّضعيف في الحَسنات ومُراعاة اليُسر في التّكاليف من الله تعالى في حقّ العَبد يُنافي إجباره العَبد على الفعل فأنّ الإجبار بما هو هو عُسر لا يُسر:

روي في البحار بأسناده عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام أنّه قال، من قال بالجَبر فلا تَعطوه من الزّكوة ولا تَقبلوا لهم شهادة أنّ اللّه تبارك وتعالى لا يُكلّف نفساً إلّا وسُعها ولا يُحمّلها فوق طاقتها ولا تكسب كلّ نفسٍ إلّا عليها ولا تَزر وازرةٌ وزر أُخرىٰ انتهىٰ« ج ٣ ص ٦»...

وبأسناده عن أبي عبد اللّه عليه السلام في قول اللّه عزّ وجلّ:(وقد كانوا يُدعون الىٰ السّجود وهم سالمُون) قال عليه السلام وهم مُستطيعون يَستطيعُون الأخذ بما أُمروا والتّرك لما نُهوا عنه وبذلك إبتلُوا الحديث « ص ١١»...

١- الأنعام ـ ١٥٢
٢- الأعراف ـ ٤٢
٣- سروة الطّلاق ـ ٧
٤- البقرة ـ ١٨٥
٥- الأنعام ـ ١٦٠
٦- الشّورىٰ ـ ٢٣
٧- البقرة ـ ٢٤٥

وبأسناده عن أبي جعفر عليه السلام لمّا سأله زرارة فقال أفرأيت ما إفترض الله علينا في كتابه ونهانا عنه جعلنا مُستطيعين لترك ما نهانا عنه فقال عليه السلام نعم انتهى «ص ١١»...

وبأسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال لا يكون العبد فاعلاً ولا مُتحركاً إلّا والإستطاعة مَعه من الله عزّ وجلّ وأنّما وقع التكليف بعد الإستطاعة فلا يكون مكلّفاً للفعل إلّا مُستطيعاً انتهى «ص ١١»...

وخامسها قوله عليه السلام: ولَمْ يُعصَ مَغلُوباً ولَمْ يُطَعْ مُكْرِهاً...

أي لَمْ يُعصَ الله لكونه مَغلُوباً لعَبده العاصي بل هو القاهر فوق عباده ولم يُطَع لكونه أجبَر وأكرَه العَبد على الطّاعة بحيث لا يقدر العَبد على تركها بل يُطاع عن إختيار العَبد وإرادته والّذي أفهم من هذا الكلام هو أنّ قوله عليه السلام لَم يُعصَ مَغلُوباً إشارة الىٰ نفي التّفويض وقوله لَم يُطَع مُكرَهاً الىٰ نفي الجَبر وذلك لأنّ عدم مَغلُوبيته تعالىٰ للعاصين مُشعرٌ بكونه غالباً عليهم لا مَغلُوباً لهم في عصيانهم وهو أعنىٰ الغالبية والقاهريّة لا يُنافي الجَبر فأنّ القائل بالجَبر يلتزم بكونه تعالىٰ قاهراً قادراً ضرورة أنّه لو لم يكن غالباً لم يَقدر علىٰ إجبار العَبد في فِعله فلازم كونه تعالىٰ مَغلُوباً هو القول بالتّفويض وأنّ الأفعال مُفوّضة الىٰ العباد وهو لا يَقدر علىٰ دفعها كما قالت اليَهود يد الله مَغلُولة ولازم كونه مُطاعاً مُكرَهاً هو القول بالجَبر وأنّ الأفعال بيده ولا إختيار للعَبد فيها وحيث أنّ الشّراح لم يتفطنوا لهذه الدّقيقة حَملُوا كلامه علىٰ نفي الجَبر ولم يَعلمُوا أنّ قوله عليه السلام: **ولَم يُعصَ مَغلُوباً** لا ربط له بالجَبر أصلاً إذالجبري لا يقول به.

وسادسها قوله عليه السلام: ولَمْ يُرْسِلِ الأنْبِيَاءَ لَعِباً ولَمْ يُنزِلِ الكِتَابَ لِلْعِبادِ عَبَثاً...

وذلك لأنّه بناءً علىٰ القول بالجَبر وأنّ العباد لا إختيار لهم يلزم كون بعث الأنبياء وإنزال الكُتب السّماوية عَبَثاً ولَغواً ضرورة لأنّه بناءً علىٰ عَدم الإختيار لهم لا معنىٰ للهداية والإرشاد بسبب الأنبياء والوَعد والوَعيد بواسطة الكُتب

السّماوية أَليس للعَبد أن يقول للرّب تبارك وتعالىٰ أنك خَلقتني وأجبرتني علىٰ فعلِ ما شئتَ وتَرك ما شئتَ من غير إختيارٍ لي في الفعل والتّرك فإذا كنتُ مَجبُوراً في فعلي وعَمَلي فما يقول لي رسُولك وكتابك أَليس الرّسُول والكتاب مُرشدين الىٰ ما هو خير للعَبد ليَختاره ويَصل به الىٰ كماله المطلُوب والمَفروض أنّه مَجبُور لا خيار له فيكون الإرشاد الىٰ ما هو الأصلح لَغواً وعَبَثاً وقد قال اللّه تعالىٰ في كتابه: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ (١)

و: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ (٢).

وسابعها قوله ﷺ: وَلا خَلقَ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُما باطِلاً ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ...

و: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا﴾ (٣)

و: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (٤) يظهر من الإستدلال بالآية الشّريفة أنّه بناءً علىٰ الجَبر يلزم بطلان خَلقَ السّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا من المَخلوقات وأشرفهم الإنسان وهو كذلك وتوضيحه علىٰ ما خطر ببالي هو أنّه لا شّك أنّ الإنسان أشرَف المخلوقات إمّا مُطلقاً كما هو الحقّ الحقيق بالإتّباع المؤيّد بالبَراهين العقّلية والنّقلية ولا سيّما عند الإماميّة وأمّا في عالم السِّفْلي أعني به غير عالم المُجّردات من عالم العقول والنّفوس والملائكة كما عليه الجمهور من العامّة فإنهم لا يقولون بإنّ الإنسان أشرَف من المَلَك وكيف كان ينتج إنّ الإنسان أشرَف المَخلُوقات في العالم السّفلي أعني به سوىٰ عالم المَلائِكة بالإجماع المرّكب وحيث إنّ السّموات والأرض وما بينهما من الجنّ والإنس والجَماد والحَيوان والنّبات وغيرهما من المَوجودات إن كان، تسمىٰ بالعالم السّفلي والإنسان أشرَف الخَلق فيه فقد ثبت كونه

١- الحديد-٢٥
٢- الأنعام-٤٨
٣- ص-٢٧
٤- آل عمران-١٩١

الموجود الأشرف وهو المطلوب ثمّ إنّه لا شك إنّ التّكاليف الإلٰهية بحسب الشّرائع المقدّسة متوجهة الىٰ العقلاء من الموجودات فالحيوان والجماد والنبات لا تكليف لها بقي في المقام الإنسان والأجنّة علىٰ المشهور من كون الجنّ مكلّفاً كالإنسان، وهذا الموجود العاقل هو الّذي يكون مكلّفاً بالتكليف وعليه المدار في بَعث الرّسُل وإنزال الكُتب كما هو ظاهر ويدّل علىٰ ما ذكرناه قوله تعالىٰ: **﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾**(١) والعقل والنّقل يحكمان بأنّ العبادة لا تكون علىٰ سبيل الجَبر والإكراه كما إنّ المَعصِية أيضاً كذلك ضرورة إنّا نرىٰ أكثر النّاس لا يعبدون الله فلو كانوا مجبورين علىٰ الطّاعة لم يقدروا علىٰ تركها وهكذا نرىٰ بعض النّاس لا يَعصُونه فلو كانوا مَجبورين علىٰ العِصيان لم يقدروا علىٰ تركه وإذا كان الأمر علىٰ هذا المِنوال يكشف الإختيار لهم في طاعاتهم ومعاصيهم فلو فرضنا كونهم مَجبورين علىٰ الطّاعة والعِصيان فأيّة فائدة في هذا الخَلق أليس خلق السّموات والأرض وما فيهما من الموجودات والنِّعم لأجل الإنسان كما قال تعالىٰ: **﴿خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً﴾**(٢) فلو كان الإنسان كَغيره من الحيوان والجماد مسلوب الإختيار فأيّ شرَفٍ وفضيلةٍ فيه ليقال إنّ السّموات والأرض مخلوقتان له فيَلزم البِطلان في خَلقهما ولعلّه الىٰ هذا المعنىٰ أشار السّعدي بالفارسية حيث قال:

ابَر وباد ومَه وخورشيد وفلك در كارند

تا تو نانى بكف آرى وبغفلت نخورى

همة از بهر تو سرگشته وفرمانبردار

شرط إنصاف نباشد كه تو فرمان نَبَرى

قال الله تعالىٰ: **﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ۝ وَالأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ ۝ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ**

١-ذاريات ـ٥٦.　　٢-البقره ـ٢٩

نَذِيرٌ مُبِينٌ، وَلا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَٰهاً ءَاخَرَ إِنِّي مُّنه نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾(١)

و : **﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَاداً، وَالْجِبَالَ أَوْتَاداً، وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجاً، وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتاً، وَجَعَلْنَا الَّيْلَ لِبَاساً، وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشاً وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعاً شِدَاداً، وَجَعَلْنَا سِرَاجاً وَهَّاجاً، وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَآءً ثَجَّاجاً، لِنُخْرِجَ بِهِ حَبّاً وَنَبَاتاً، وَجَنَّاتٍ أَلْفَافاً﴾**(٢) فهذه الآيات وأمثالها تُنادي بأعلىٰ صوتها إنّ السّموات والأرض وما بينهما مخلوقتان لِلإنسان لِيعبد اللّه بإختياره وإرادته وهو المطلوب هذا تمام الكلام في شرح كلامه ﷺ في المقام مَع مُراعاة الإختصار وحيث إنّ البحث من الغُويصات كما أشرنا اليه في صدر المبحث فلابّد لنا من الخوض في بحث الجبر والتّفويض وإثبات الأمر بين الأمرين الّذي نعبّر عنه بالإختيار ونذكر فيه ما وَصَل بأيدينا من كلمات المُحققين والآثار المروّية عن المعصُومين والآيات الواردة في الكتاب المُبين كلّ ذلك علىٰ سبيل الإجمال والإختصار فإنّ الميسُور لا يُترك بالمعسُور وما لا يُدرك كلّه لا يترك كلّه وأرجو من اللّه تعالىٰ أن يعصمني من الزلَل والطّغيان والإنحراف والعِصيان فإنّ الإنسان محّل الخَطأ والنّسيان إلّا من عَصَمه اللّه وما توفيقي إلّا باللّه عليه توكّلتُ واليه أُنيب فنقول:

إعلم وفقّك اللّه تعالىٰ إنّ الأقوال في المَسئلة أعني فعل العبد لا تخلو من ثلاث، أحدها الجَبر، وثانيها – التّفويض، وثالثها – بين الجَبر والتّفويض المُعّبر في لسان المَذهب بالأمر بين الأمرين أو المَنزلة بين المَنزلتين ولا رابع لها وذلك لإنّ فعل العبد لا يخلو أمّا أن يكون مُستنداً الىٰ اللّه تعالىٰ بحيث لا تأثير في إرادة العبد فيه وهو المُسمّىٰ بالجَبر، وأمّا أن يكون بالعكس أعني به إستناده الىٰ العبد فقط من غير تأثيرٍ في إرادة اللّه في إيجاده وهو المُسمّىٰ بالتّفويض وأمّا أن لا يكون ذا ولا يكون ذاك بل الفعل يكون مُستنداً الىٰ اللّه والىٰ العَبد معاً بمعنىٰ تأثيرهما في إيجاده وهو الأمر بين الأمرين وإن شئت قلت كلّ ما يصدر عن العَبد أمّا أن يصدر منه ومن خالقه مشتركاً وأمّا من أحدهما منفرداً ولا ثالث

١ - الذّاريات ـ ٤٦ الىٰ ٥١

٢- النّبأ الآيات ٦ الىٰ ١٦

فالحصر عقلي دائر بين النّفي والإثبات والأوّل هو الأمر بين الأمرين وعلىٰ الثّاني أمّا يصدر من العَبد مُنفرداً وهو التّفويض وأمّا عن الرّب كذلك وهو الجَبَر فَثبت وتحقّق إنّ الشّقوق المُحتملة في المَسْئلة لا تزيد علىٰ الثّلاثة هذا كلّه بحسب البُرهان العقلي وأمّا بحسب العُرف والإصطلاح فهو أيضاً كذلك ضرورة إنّه لم يُوجد في المقام قول رابع غير الثّلاثة ولو كان لَوَصل الينا بل النّاس كلّهم متفقّون علىٰ هذه الأقوال ولم نَسمع قولاً آخر يُغايُرها ولعلّ الوَجه فيه ما ذكرناه وهو كون الحَصَر عقلّياً وكيف كان فالبَحث في المقام يقع في أمور:

الأمر الأوّل : في معنىٰ الجَبَر والتّفويض لغةً وإصطلاحاً وإنّه هل يتصور بينهما منزلةٌ أم لا، فنقول الجَبَر بفتح الجيم مصدر قولك جَبَر جَبَراً وهو في الأصل بمعنىٰ الإلزام يقال جَبَره علىٰ الأمر أي أَلزمه بفعله وأَكرهه عليه، والتّفويض بفتح التّاء مصدر قولك فَوّض تَفويضاً فهو من باب التّفعيل وهو في الأصل إيكال الأمر اليه إذا صيّره اليه وجَعَله الحاكم فيه ومنه يظهر معناهما إصطلاحاً ووجه النّسبة اليهما فالجَبَري من يقول بإنّ اللّه أَلزمه وأَكرهه علىٰ فِعله بحيث لا يقدر علىٰ تركه والقائل بالتّفويض يقول إنّ اللّه فَوّض الأمر الىٰ عباده فالعبد هو الّذي يفعل ما يشاء وعليه فالجَبَريون منسُوبُون الىٰ الجَبَر والمفوّضة الىٰ التّفويض وأمّا القائل بالأمر بين الأمرين فيقول بإنّ الفعل مستند الىٰ الرّب والعَبَد مَعاً علىٰ ما ستعرف الحال فيها مفصّلاً إن شاء اللّه:

الأمر الثّاني: في إنّ القول بالجَبَر والتّفويض متىٰ نَشاء بين النّاس هل هو من إبداعات المُسلمين أم لا والّذي ظهر لنا في الباب هو عدم كونه من مُبدِعات المسلمين بل كان القول بهذه المَقالة رائِجاً بين اليَهود والنّصارىٰ قبل الإسلام وأظّن إنّ القول بالجَبَر والتّفويض كان شائِعاً عند الفلاسفة اليونانّيين وقد نُسب الىٰ شقراط وتلميذه أفلاطون القول بالجَبَر وقد يقال إنّهم أخذوه عن عُلماء مصر وهم عن عُلماء الهِند ومحصّل الكلام هو إنّ القَول بالجَبَر والتّفويض كان

شائِعاً قبل الإسلام وقد ثبت إنّ مَذهب أَهل الجّاهلية كان علىٰ الجَبر والّذي نحن بِصَدده هو البَحث في المَسئلة بعد الإسلام وأمّا قبله فلا كلام لنا فيه فِعلاً والّذي حَصَل لنا بعد مراجعة التّواريخ وكُتب الآثار هو أنّ أوّل من قال بالجَبر صريحاً وأَفشىٰ القول فيه جهم بن صَفوان في خلافة هُشام بن عبد المَلِك فإنّه نفىٰ الفعل عن العبد وسَلَب عنه الإختيار والقُدرة بقول مطلق حتّىٰ قيل إنّه أنكَر الآثار المُترتّبة علىٰ الأشياء ونَسَبها الىٰ اللّه تعالىٰ وقال إنّ الإحراق في النّار والضيّاء في السّراج ورفع العطش في شُرب الماء وسدّ الجوع في الغذاء وأمثالها كلّها مِن آثار المؤثّر الحقيقي وهو اللّه تعالىٰ بمعنىٰ إنّه لا مؤثر في الوجود إلّا اللّه وخالفه فيه بعض العُلماء في ذلك العَصر فقال المَعبَد الجُهَنّمي والغَيلان الدّمشقي ويُونس الأسواري وغيرهم بمقالة التفويض وإنّ الأفعال بِيَد العِباد وهم المُؤثّرون فيها والمَعبَد هذا، قُتل في سنة الثّمانين من الهُجرة قتله الحجّاج وقيل قتله عَبد المِلك بالشّام ثمّ شاع هذا من المَسلكين بين المُسلمين وفُرقتهم وشتّتهم تفرّق أيادي صَبا فأخذ كلّ فريق منهم مأخذاً وحَملوا الآيات والأخبار الواردة علىٰ مَشربهم وكلّ حزبٍ بما لديهم فَرِحُون والأصل في هذا التشتّت والإفتراق بحسب الإعتقاد الّذي صار مَنشاءً لخسران الدّنيا والآخرة هو إعراضهم عن أهل البيت بعد موت النّبي ﷺ وعَدَم أخذهم بقوله ﷺ حيث قال: (**إنّي تارك فيكم الثّقلين كتاب اللّه وعِترتي أهل بيتي ما أن تمسّكتم بهما لن تضّلوا أبداً**) ولم يعلموا إنّ الأخذ بأحدهما لا ينفع فقالوا حَسبُنا كتاب اللّه ثمّ فسّروا القرآن بآرائهم الفاسدة بل أوّلوا الآيات وطَبّقوها علىٰ مذاهبهم ومسالكهم ومن المعلوم إنّ ظواهر بعض الآيات تدّل علىٰ الجَبَر وبعض آخر علىٰ التفويض ولا يعلم تأويلها إلّا اللّه والرّاسخُون في العلم كما سَتَقِف عليه مفَصلاً.

الأمر الثّالث: في بيان أدلّة الجَبريّين وما تَمسّكُوا به عَقلاً ونقلاً، قد عرفت إنّ أوّل مَن صَرّح بالجَبَر في الإسلام وأعلن به هو الجهم بن صَفوان فقتلوه

وشَتّتوا أشياعه وأتباعه ثمّ بَعْده تبعه أبو الحَسَن الأشعري (علّي أبن إسماعيل) منسوب الىٰ أبي موسىٰ الأشعري الّذي كان من أصحاب الرّسول وصار حَكَماً بين علّي ومعاوية في دَوَمة الجَنْدل وقد مرّ البحث فيه وذكرنا نَسَبه هناك والأشعر إسم جبلٍ بين المدينة ومكّة وقيل بين الشّام والمَدينة وكانت ولادة أبي الحَسَن الأشعري في سنة (٢٥٦ هجري) بالبَصرة ومات بِبغداد سنة (٣٣٠ هجري) ولأجل كونه مَنسُوباً الىٰ الأشعر سُميّت أتباعه وأشياعه بالأشاعِرة ولهذا قيل إنّ مَسَلك الجَبَر يدُور مدار الأشاعرة:

ثمّ إنّ الأشعري كان في أوائل أمره مُعتَزِلياً مُصاحباً لِرئيس المعتزلة أبو علي الجبائي ثمّ عَدّل عنه فصعد المَنبر بالبَصرة وذَمّ المُعتزلة وجَرَحهم علىٰ مَسَلكهم وتبرّأ منهم بالكلّية:

قالوا في وجه برائته عن المُعتزلة إنّه سَأل يَوماً أستاذه أبو علّي الجبائي فقال له هل يجب علىٰ اللّه مراعاة العباد وصلاحهم قال بلىٰ، ما تقول في ثلاث أطفال وُلِدوا من الكفّار علىٰ الكُفر، أحدهم مات قبل الوصول الىٰ البلُوغ وثانيهم بلغ وأَسَلم وثالثهم بلغ ولم يسلم بل عاش علىٰ الكُفر ومات عليه فما يفعل اللّه بهم في الآخرة، قال أبو علي في الجواب أمّا من أَسَلم منهم فهو في الجنّة، ومن مات علىٰ الكُفر فهو في النّار، ومن مات قبل البلُوغ فهو لا في الجنّة ولا في النّار:

فقال له الأشعري أَلَيس لمن مات قبل بلوغه علىٰ الكُفر، أن يقول لِلّه تعالىٰ لو أَبقيتني في الدّنيا لكنت من المؤمنين بك ودخلتُ الجنّة فلو قال هذا فما يقول اللّه في جوابه قال أبو علي هو لا يعلم إيمانه ولا كُفره لو أبقاه اللّه ومن أَيَن ثَبت له إنّه لو بَقّي في الدّنيا آمن به ولعلّه لو كان حيّاً لكان كافِراً وحيث إنّ اللّه تعالىٰ يعلم السِّر والخَفّيات فأماته والمَوت بصلاحه فَمَوته قبل بلوغه أصَلح بحاله منه بَعَده لإنّه بِمَوته قبل البلوغ لم يدخل النّار وإن لم يدخل الجنّة أيضاً وأمّا بعد البلوغ فحيث إنّ اللّه كان عالِماً بِبقائه علىٰ الكُفر ودخوله النّار لا

مُحالة أماته اللّه لئلاّ يدخل النّار، فقال الأشعري لِمَ يراعي اللّه هذه المَصلحة في حقّ الآخر وهو الّذي بَلَغ ولم يسلم ومات علىٰ الكُفر ودخل النّار أو لَم يكن مَوته قبل البلوغ مُوجباً لعدم دخوله النّار فَعَجز أبو علي عن الجواب وسَكَت فقام الأشعري من عنده وقال تعالىٰ ذو الجلال من أن تُوزن أحكامه بالإعتزال ثمّ قال بمقالة الجَبَر وأشاعها بين أصحابه ولمّا كان مَذهب الجَبَر يدور علىٰ مدار نفي الأسباب والعِلل في أفعال العِباد وإنّه لا مؤثّر في الوجود إلّا اللّه ولا إختيار لِلعبد في فعله بل ولا قدرة له علىٰ ترك ما قدّره اللّه له وهو في الحقيقة ليس إلّا كالآلة لإيجاد الفِعل في الخارج من غير دخلٍ لإرادته فيه فلا مُحالة حَكَموا بِكُفر من توّسل بالأسباب والوسائل المُوجبة لِصدور الفِعل وقالوا إنّه من الشِرك فعلىٰ مَذهب الجَبَر يكون مدار التّكليف علىٰ نفي الإختيار من العَبَد كما سيظهر لك وهذا المَذهب وإن كان في حياة الأشعري قليل الإتبّاع إلّا إنّه بعد موته صار شائعاً رائجاً بين المسلمين الّذين أكثرهم لا يعقلون وكانت عمدة ترويج هذا المَذهب في حكومة بني أيّوب بعد حكومة الفاطّميين فإنّهم أَمَروا علىٰ النّاس في المَغرب أكثر من ثمانين سنة (٥٦٧ - ٦٤٩ هجري) وفي هذه المُدّة شاع مَسلك الجَبَر حتّىٰ تبعه كثير من فحُول الإسلام أمثال القاضي أبي بكر الباقلاني وحُجّة الإسلام الغزالي وابن فورك وأبو إسحاق الشيرازي وأبو إسحاق الأسفرايني وأبو الفتح الشّهرستاني وأبو محمّد الظّاهري والإمام فخر الدّين الرازّي وغيرهم من أعاظم عُلماء أهل السُّنّة وقد أَلّفوا وصَنّفوا في إثبات مسلكهم كُتباً كثيرة ومقالاة لا تُحصىٰ وأوّل مَن صنّف فيه هو إمامهم الأشعري فإنّه كتب فيه اللّمع الموجز، وإيضاح البيان والتّبيين علىٰ أصول الدّين، والشّرح والتّفصيل علىٰ أهل الإفك والتّفضيل في الرّد علىٰ المُعتزلة القائلين بالتّفويض إذا عرفت هذا فلنرجع الىٰ أدلّتهم فنقول أمّا الأدلّة العقلية الّتي أقاموها علىٰ إثبات الجَبَر فكثيرة إلّا أنّه لا طائل تحت أكثرها ولذلك أعرَضنا عن ذكرها ونشير الىٰ ما هو أقوىٰ عندهم وعليه إعتمادهم:

الأول: لا شَك أنّ اللّه تعالىٰ خَلق الخَلق ومنه العَبد أعني به الإنسان وجَعَل فيه أي في العَبد إرادة وقُدرة فالإرادة لترجيح فعلٍ علىٰ فعلٍ آخر والقُدرة لإيجاد الفعل في الخارج وتركه وهذا ممّا لا كلام لنا فيه لأنّه أمرٌ عقلي بل ضروَريّ محسوس لا يقبل الشّك فضلاً عن الإنكار:

ثمّ أنّ العبد حين حدوث الفعل منه موصوف بهذين الوصفين أعني بهما القدرة والإرادة فلا محالة هما حادثان فيه بحدوث الفعل ومقارنان له ولا شّك أيضاً أنّ الفعل الصّادر من العَبد كائناً ما كان من الممكنات الّتي يجوز وجوده وعدمه وبعبارةٍ أُخرىٰ مردّدة بين الوجود والعَدم وقد ثبت أنّ الممكن مساوي الطّرفين بالنّسبة اليهما فيحتاج الىٰ مُرجح خارج عن ذاته إذ المفروض أنّ ذاته بالنّسبة الىٰ الوجود والعَدم علىٰ السّوية ثمّ أنّ المرّجح المُخرج للممكن عن حدّ الإستواء الىٰ الوجود أو العَدم إذا فرضنا كونه خارجاً عن ذاته فأمره يدُور مدار شيئين أحدهما أن يكون المُرجح هو إرادة اللّه تعالىٰ والثّاني أن يكون المرّجح إرادة العبد ولا ثالث لهما للزومه أن يكون المعلول بلا علّة والمسّبب بلا سَبَب وهو مُحال ولا شّك أنّ إرادة اللّه تعالىٰ قديمة وإرادة العَبد حادثة فإسناد الفعل الىٰ إرادته تعالىٰ أولىٰ من إسناده الىٰ إرادة العبد بل لا مَحيص عن إسناده الىٰ إرادة اللّه لوجوهٍ ثلاثة:

أحدها: أنّ إسناد الفعل الصّادر من العبد الىٰ الإرادة القديمة الأزّلية أولىٰ منه الىٰ إرادةٍ حادثة الّتي وُجدت مقارنة للفِعل فالفِعل مُستند الىٰ اللّه حقيقة والىٰ العبد مجازاً وهو المطلوب:

وثانيها: أنّ إرادة اللّه تعالىٰ أقوىٰ من إرادة العبد وهو معلوم بل إرادة العبد مقهورة مغلوبة في جنب إرادة الحقّ بحيث يصّح سلب الإرادة من العبد في الحقيقة وعليه فلا مُحال لإسناد الفعل الىٰ الإرادة المغلوبة المقهورة فالفِعل مستند اليه تعالىٰ وهو المطلوب:

وثالثها: أنّه لا شّك في كون الأفعال النّاشئة عن العبد بقضائه وقَدَره وهذا

ممّا لا خلاف فيه وحيث أنّ إرادته تعالىٰ موافقة لقضائه وقَدَره فإسناد الفعل اليه أولىٰ وأن كان صدوره من العبد في ظاهر الأمر فأنّ العبد وما فيه ومالَه كان لمولاه إذ لا مؤثر في الوجود إلّا هُو.

والجواب، أمّا عن الأوّل إنّا نَمنع الأولَوية في المقام وأيّ دليلٍ عقلي دَلّ عليها ومجّرد كون الإرادة فيه تعالىٰ قديمة أزلّية لا يوجب الأولَوية وهو ظاهر:

وعن الثاني: أنّ إرادة اللّه وأن كانت أقوىٰ من إرادة العَبد إلّا أنّ إسناد الفعل الىٰ الأقوىٰ فيما إذا دار الأمر بين القَوي والضعيف ممّا لا يقول به العاقل فضلاً عمّن يدّعي العلم وعن الثالث، أنّ كون الفعل النّاشئ عن العَبد بقضائه وقَدَره لا يوجب ما ذكروه فإنّا قد تكلمّنا في معنىٰ القضاء والقَدَر وقلنا أنّ القضاء بمعنىٰ العلم ومن المعلوم أنّ علم الواجب بشئٍ لا يكون عِلّة له وعليه فإرادة العَبد وفعله أيضاً لا تخالف قضائه وقَدَره فالقولُ بأنّ إرادته تعالىٰ أوفَق بقضائه كلام بلا مُحصّل هذا كلّه بمقتضىٰ السّؤال وإلّا فالحقّ أنّ يقال أنّ الدّليل العقّلي الّذي ذكروه ليس من العقّلي بشئٍ بل هو مجّرد الإدّعاء بلا بِنيّةٌ وبُرهانٍ

الثّاني، ما ذكره الرّازي في تفسيره الكبير عند قوله تعالىٰ: ﴿**خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ**﴾ (١) قال هيهنا سِر آخر وهو أنّ إثبات الإله يلجأالىٰ القول بالجَبر لأنّ الفاعليّة لو لم تتوقف علىٰ الدّاعية لزم وقوع الممكن من غير مُرجح وهو ينفي الصّانع ولو توقّفت لزم الجَبر وإثبات الرّسول يلجأالىٰ القول بالقُدرة لأنّه لو لم يقدر العبد علىٰ الفعل فأيّ فائدة في بعثة الرّسل وإنزال الكتب بل هيهنا سِر آخر هو فوق الكلّ وهو إنّا لمّا رجعنا الىٰ الفِطرة السّليمة والعقل الأوّل وَجدنا أنّ ما إستوىٰ الوجود والعَدم بالنّسبة اليه لا يتّرجح أحدهما علىٰ الآخر إلّا لمرّجح وهذا يقتضي الجَبر ونجد أيضاً تفرقة بديّهية بين الحركات الإختيارية والإضطرارية وجَزماً بديّهياً بحُسن المدح وقُبح الذمّ والأمر والنّهي وذلك يقتضي مذهب المُعتزلة فكأنّ هذه

١-البقره ـ ٧.

المسألة وَقَعت في حيّز التعارض بحسب العلوم الضروريّة والنظَرية وبحسب تعظيم الله نظراً الىٰ قدرته وحكمته وبحسب التّوحيد والتنّزيه وبحَسَب الدّلائل السمّعية فلهذه المآخذ الّتي شَرحناها والأسرار الّتي كَشفنا عن حقائقها صَعُبَت المسألة وَغَمُضت فنسأل الله العظيم أن يوفقّنا للحقّ وأن يختم عاقبتنا بالخَير آمين انتهىٰ.

أقول ما ذكره في آخر كلامه من أنّ هذه المسألة من العَويصات فهو صحيح لا كلام لنا فيه وأنّما الكلام في قوله في أوّل كلامه وتعبيره عنه بالسِّر وهو أن إثبات الإله يلجأ الىٰ القول بالجَبر لأنّ الفاعلّية لَو لم تتّوقف علىٰ الدّاعية لَزم وقوع الممكن من غير مُرَجح وهو ينفي الصّانع ولو توقفّت لزم الجَبر:

ووجه الإشكال فيه هو أنّه لم يفرق بين الإرادة التّكوينية والإرادة التشّريعية وكلامنا في الثّاني دون الأوّل ضرورة أنّ الجَبر في التّكوينيات بحسب الإيجاد ممّا لا خلاف فيه فأنّ الله تعالىٰ إذا أراد شيئاً يقول له كُن فيكون، ولا شَك لأحدٍ في أن إرادته التّكوينية هي المخرج للممكن عن حدّ الإستواء وهذا هو الّذي نقول به في إثبات الصّانع ولم يقل أحدٌ أنّ إرادة العبد لها دخلٌ في الفَاعلية وأمّا الإرادة التّشرّيعية فليست كذلك قطعياً والجَبر المحال الّذي يُحكم ببطلانه هو الجَبر في التّشرّيع بمعنىٰ إجباره تعالىٰ عباده علىٰ الأفعال الّتي تصدر منهم بحسب قضائه وقَدَره وأين هذا من ذاك فثبت وتحقّق أنّ إثبات الإله لا يلجأ الىٰ القول بالجَبر في التّشريع نعم هو في التّكوين كذلك ولا بحث لنا وله فيه:

الثالث، أنّ القادر علىٰ الكفر والعصيان أمّا أن يكون قادراً علىٰ تركه أو لا يكون فأن لم يقدر علىٰ ترك الكفر مثلاًكانت القدرة علىٰ الكفر موجبة للكفر فخلق القدرة علىٰ الكفر يوجب خلق الكفر وأن قَدَر علىٰ التّرك كانت نسبة تلك القُدرة الىٰ فعل الكفر وتركه علىٰ السّواء وعليه فنقول إمّا أن يكون صيرورتها مصدراً للفعل بدلاً عن التّرك يتّوقف علىٰ إنضمام مرّجح اليها أو لا يتّوقف فأن لم يتّوقف فقد وَقع المكن لا عن مُرجح وتجويزه يقتضي القدح

في الإستدلال بالممكن على المؤثر وذلك يقتضي نفي الصّانع وهو محال وأمّا أن توقّف على المرّجح وذلك المرّجح إمّا أن يكون من فعل الله أو من فعل العبد أو لا من فعل الله ولا من فعل العَبد، لا جائز أن يكون من فعل العَبد وإلّا لزم التّسلسل ولا جائز أن يكون لا بفعل الله ولا بفعل العَبد لأنّه يلزم حدوث شئ لا لمؤثر وذلك يبطل القول بالصّانع فَثبت أن كون قدرة العَبد مَصدراً للمقْدور المَعين يتوقف على أن ينْضم اليها مرّجح هو من فعل الله تعالىٰ ثمّ إذا إنْضم ذلك المرّجح الى تلك القدرة فأمّا أن يصير تأثير القدرة في ذلك الأثر واجباً أو جائزاً أو مُمتنعاً والثّاني والثالث باطل فَتعيَّن الأوّل انتهى:

والجواب عنه إنّا نختار الشّق الأوّل أعني كون العَبد قادراً على التّرك قولكم أنّ صَيرورتها مصدراً للفعل بدلاً عن التّرك يتوقف على إنضمام مرّجحٍ أو لا يتّوقف، نختار الشّق الأوّل فيه أيضاً:

ونقول يتّوقف على إنضمام المرّجح الى القُدرة، قولكم إمّا أن يكون المرّجح من فعل الله أو من فعل العَبد أو لا منه ولا منه نختار أنّه من فعل العَبد قولكم لو كان من فعل العَبد لزم التّسلسل، ما نفهم معناه وذلك لأنّه أن أردتّم بالتّسلسل أنّ المرّجح حيث أنّه من فعل العَبد كما هو المَفروض وحكم الأمثال واحد فهو من حيث كونه فعل العَبد يحتاج الىٰ مرّجح آخر وهكذا الىٰ ما لا نهاية له فنقول في الجواب أنّ المرّجح في المقام ليس فعلاً من الأفعال حتّىٰ يحتاج الىٰ مرّجح آخر بل هو عبارة عن تعلّق القُدرة المُنبعثة عن الإرادة المُنبعثة عن الشّوق النّاشئ عن المَصلحة التّي رأها الفاعل في إيجاد الفعل أو تَركه وعليه فالمَرجح هو نفس تعلّق الإرادة وأمّا أنّها تحتاج الىٰ إرادةٍ أُخرىٰ أو مرّجح آخر فلا دليل عليه فالقول بالتّسلسل باطل.

وأن أردتّم بالتّسلسل أنّ الإرادة تنتهي الىٰ الإرادة الأزّلية فهو ليس من التّسلسل بشئ لأنّه منقطع الآخر ومَع ذلك لا يَضّرنا لأنّ انتهاء الإرادة اليها في أصل الوجود لا يُوجب انتهائها اليها في الإيجاد الّذي يتّرتب على إختيار العَبد

وسيجئ تفصيل الكلام فيه أيضاً.

ثمّ أنّا بعد الفحص الكامل والتّفتيش التّام في أدلّتهمّ العقليّة وجدناها مُختلفة من حيث الألفاظ والعبارة وإلّا فالكلّ ناظر الىٰ أصلٍ واحدٍ إعتمدوا عليه وهو قولهم أنّ فعل العبد من المُمكنات والممكن نسبته الىٰ الوجود والعدم علىٰ السّواء فيحتاج في حد خرُوجه عن حدّ الإستواء الىٰ مرّجح خارج عن مقام ذاته وهو لا يكون إلّا اللّه تعالىٰ فالفعل مُستند اليه لا محالة كما عرفت الحال فيه وعليه فلا نحتاج الىٰ ذكر سائر أدلّتهم العقلّية فأنّ حكم الأمثال واحد والجواب عن الكلّ هو أنّ ما ذكروه في الممكن من أنّه يحتاج في خرُوجه عن حدّ الإستواء الىٰ مؤثرٍ يخرجه منه ممّا لا كلام لأحدٍ فيه إلّا انّه خارج عن البحث فأنّ الجَبر والتّفويض والأمر بين الأمرين مُرتبط بالتّشريع لا بالتّكوين وما ذكروه يجري في التّكوينيّات التّي أساسها علىٰ الجَبر دُون التّشريعيات التّي نبحث عنها في المقام فلو فَرضنا أنّ الإنسان في خرُوجه من حدّ الإستواء الىٰ الوجود كان محتاجاً الىٰ مؤثرٍ خارج عن مقام ذاته المُعبّر عنه بالواجب كما هو كذلك لا يلزم منه أنّ أفعاله النّاشئة منه أيضاً كذلك وأيّ تلازم بينهما أَليس العَقل بل الحسّ وضرورة الوجدان يحكم بأنّ الإنسان قبل وجوده لم يكن شيئاً فضلاً عن ثبُوت الإرادة له وأمّا بعد وجوده في الخارج فله إرادة وقُدرة وعلمّ وهكذا يقول ويفعل ما يشاء فكيف يقال بأنّ الإنسان كما أنّه في وجوده كان محتاجاً الىٰ المؤثّر الخارج عن مقام ذاته كذلك في أقواله وأفعاله وأمّا أنّ الأفعال والأعمال النّاشئة منه بقضاء اللّه وقَدَره فهو مقبول إلّا أنّه لا يُوجب كونه مجبوراً في فعله فأنّ العلم الأزلي ليس علّة لوجود الفعل في العَبد.

وأمّا الأدلّة النّقلية الّتي أقاموها علىٰ مدّعاهم فهي علىٰ قسمين، الآيات، والأخبار.

فمن الآيات قوله تعالىٰ: ﴿قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ (١)

١- الرّعد ـ ١٦.

و: ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ﴾ (١)

و: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ (٢)

و: ﴿ولا يملكون لأنفسهم ضَراً ولا نفعاً﴾ (٣)

و: ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا﴾ (٤)

و: ﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ، ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾ (٥)

و: ﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ، ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾ (٦)

و: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ (٧)

و: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾ (٨)

و: ﴿وَمَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ﴾ (٩)

و: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾ (١٠) وغيرها من الآيات:

تقريب الإستدلال فيها هو أنّ الله صرّح في هذه الآيات وأمثالها على أنّه هو الخالق لكلّ شيءٍ دون غيره بل الغير مخلوق له ولا شكّ أنّ فعل العَبد من الأشياء فإذا ثبتَ كونه تعالىٰ خالقاً لكلّ شيءٍ ثبت أنّه خالق لفعل العَبد أيضاً وهو المطلوب:

والجواب عنه واضح علىٰ من له أدنىٰ بصيرة بمقام الخلق والخالق وذلك لإنّ كونه تعالىٰ خالقاً لكلّ شيءٍ فهو ممّا لا شّك فيه ولم يقل أحد من الموحدّين بخالقية غيره تعالىٰ حقيقتاً وأنّما الكلام في أنّ فعل العبد مخلوق له تعالىٰ منحصراً من دون أن يكون للعَبد فيه تأثير أو لا يكون كذلك وبعبارةٍ أُخرىٰ ليس البحث في خالقيّة الواجب كلّ الممكنات خلقاً تكوينياً بل البحث في الخلق التّشريعي وأنّه كلّما أراده من العبد أراده علىٰ سبيل الحتم واللّزوم

١- الأنعام ـ ١٠٢
٢- النّحل ـ ٢٠
٣- الرّعد ـ ١٦
٤- الفرقان ـ ٣
٥- الواقعة ـ ٦٤-٦٣
٦- الواقعة ـ ٥٨
٧- الأنفال ـ ١٧
٨- الأنفال ـ ١٧
٩- الحشر ـ ٥
١٠- القصص ـ ٥٦

وأوجَد الفعل فيه على طبق إرادته جَبراً وكرهاً أم ليس كذلك والآيات لا دلالة لها على إثبات المدّعي وأنّ العبد لا إختيار له في الفعل وتركه وأمّا قوله تعالى:﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾(١) وأمثالها من الآيات الدّالة على أنّ الفاعل الحقيقي لِلأفعال هو اللّه تعالى فأنّ الرّمي فعلٌ من أفعال العَبد ظاهراً وقد نَسبه اللّه الى نَفسه فيقال في الجواب عَنه أنّ الآية دلّت على حقيقةٍ لا ننكرها وهي أنّه لولا التّوفيق من جانبه لما يقدر العبَد على الفعل فالرّمي الّذي هو فعل من أفعال العَبد ينشأ من تحريك العضَلات المسبوق بالإرادة الناشئة عن المصلحة الموجودة للشّوق المؤكد نحوه ومع ذلك كلّه فالتّوفيق للعبد منه تعالى وهو لا ينافي نسبته الى العَبد حقيقتاً والى اللّه تعالى من حيث أنّه وَفقّه عليه فأنّ العبد وما في يده كان لمولاه وهو دليل على صحّة الأمر بين الأمرين كما ستعرف الكلام فيه إنشاء اللّه ثمّ أنّ القائلين بالجَبر كما ينسبون الفعل الى اللّه تعالى ويقولون هو الخالق المُوجد للفعل لا العبد كذلك ينسبون الخير والشّر والسّعادة والشّقاوة والهداية والضّلالة اليه تعالى ويَبرؤن العَبد عنها بالكلّية ويستدلّون على مدّعاهم بالآيات الموهمة له كقوله تعالى:﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾(٢)

و: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾(٣)

و: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(٤)

و: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ﴾(٥)

و: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾(٦)

١-انفال ـ١٧ | ٢- الحديد ـ٢٢
٣- التّغابن ـ١١ | ٤- آل عمران ٢٦
٥- الزّخرف ـ٣٢ | ٦- الرّعد ـ٢٦

و : ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾[1] وأمثال هذه الآيات كثيرة هذا كلّه في السّعادة والشّقاوة الدنيوية من الملك والمال والجمال والكمال والعزّة والذّلة والصّحة والمرض وأمثالها وأمّا السّعادة والشّقاوة الأخروية فهي أيضاً بيد الله تعالى ولا يمكن للعبد أن يحصلّها لنفسه وإستدّلوا عليه بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ الْحُسْنَى أُوْلَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾[2]

و : ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾[3]

قالوا وهكذا الكلام في الضّلالة والهداية، كقوله تعالى: ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾[4]

و : ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾[5]

و : ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[6]

و : ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾[7]

و : ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَنْ فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[8]

و : ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً﴾[9]

ثمّ أنهم أعني الجبريّين جعلوا إختلاف الأُمم في كلمة الحقّ أيضاً على أساس الجَبر وأنّه بمشيّئة الله وارادته الحتّمية الأزليّة وإستدلوا عليه بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى﴾[10] وقوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾[11]

و : ﴿وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾[12] ومن هذا الباب فتنة في النّاس لقوله تعالى: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ

١- الشعراء ٨٠ ٢- الأنبياء ـ ١٠١
٣- الأعراف ـ ١٧٩ ٤- النور ـ ٣٥
٥- فاطر ـ ٨ ٦- القصص ـ ٥٦
٧- يونس ـ ١٠٠ ٨- يونس ـ ٩٩
٩- الأنعام ـ ١٢٥ ١٠- الأنعام ـ ٣٥
١١- الشورى ـ ٨ ١٢- هود ـ ١١٨

تَشَاءُ﴾(١)

و : ﴿وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً﴾(٢) وأمثال هذه الآيات كثيرة في القرآن جدّاً:

تقريب الإستدلال بها في المقام واضح فأنّ الله تعالىٰ جَعَل أزمّة الأُمور بيده وَسَلب عن العبد الإختيار في جميع الموارد من الشّقاوة والسّعادة والهداية والضّلالة والفتنة وعدمها وإذا كان الأمر علىٰ هذا المنوال فالعبد لا يقدر علىٰ شيءٍ ولا نعني بالجَبر إلّا هذا:

والجواب، أمّا عن الآيات الدّالة علىٰ أنّ الله هو الخالق لِلخلق مثل قوله تعالىٰ: ﴿هل من خالق غير الله﴾ وأمثاله من الآيات فواضح لا خفاء فيه ولا سبيل لِلإنكار فيها إلّا أنّ الآيات المَذكورة المَوجودة في الكتاب العزيز لا تَدّل علىٰ أنّ الله تعالىٰ خالقٌ لإفعال العباد أيضاً بل تَدّل علىٰ كونه خالقاً للموجودات الخارجية التّكوينية ولا دَخل لغيره في خلقها وهذا مُسلّم لاشّك فيه وقد قلنا أنّ أساس الإيجاد منه تعالىٰ للمَوجودات علىٰ الجَبر بمعنىٰ أنّه لا إختيار للمَخلوق في الوجود وعَدمه لا أنّ الله تعالىٰ مجبور في خلقه أيّاهم فأنّه إذا أراد أن يَخلق شيئاً يقول له كُن فَيكون ومَن الّذي قال أو يقول بخالقّية غيره تعالىٰ في عالم الوجود وما نحن فيه ليس من هذا القبيل فأنّ الإرادة الإختيارية في العَبد واسطة بين وجوده ووجود فعله فلو قلنا أنّ العَبد مخلوق له تعالىٰ ليس معناه أنّ فِعله أيضاً مخلوق له تعالىٰ إذ لا ملازمة بين وجوده ووجود فعله لِثُبوت الواسطة وهي إرادته النّاشئة عن إختياره فالإستدلال بالآيات علىٰ إثبات الجَبر في الفعل بدليل أنّ الفعل فعله وهو مخلوق له تعالىٰ فكذا فعله أشبه شيءٍ بالمُغالطة:

وأمّا الآيات الواردة في الخَير والشّر والنّفع والضّر والسّعادة والشّقاوة مثل

١- الأعراف ـ١٥٥ ٢- المائدة ـ٤١

قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلانَا﴾[1] وغيرها من الآيات فهي أيضاً لا تدّل علىٰ مَدّعاهم إذ الآيات تَدّل علىٰ أنّه لا يُصيبنا إلّا ما كَتب اللّه لنا وهو مُسلّم غير قابل لِلإنكار إلّا أنّ دلالتها علىٰ أنّ العَبد مجبور في فِعله ولا إختيار له في إيجاده محلّ تأملٍ بل مَنع وذلك لأنّا وجميع المُسلمين مِمّن آمَنَ باللّه واليوم الآخر نقول بالقضاء والقَدَر وأنّه تعالىٰ كان عالماً بما سيُوجد قبل وجوده كعلمُه به بعده فلا محالة كتب لنا ما كَتب في اللّوح المَحفوظ وبعبارةٍ أخصر هو تعالىٰ كان عالماً بما يفعله العباد الىٰ يوم القيامة بإختيارهم وإرادتهم وهذا هو المَكتُوب في اللّوح المَحفوظ لا أنّه كتب لهم شيئاً فيه أجبَر العَبد علىٰ الفعل الّذي وافَقه والقائل بالجَبر لا يدري ما يقول فكأنّه في كلامه أيضاً مجبُور فقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا[2]﴾ يَدّل علىٰ أنّ ما أصابنا من خير وشرٍ كان مكتُوباً ولا يَدّل علىٰ أكثر من هذا وأمّا أنّ كونه مكتُوباً يُوجب سلب الإختيار عن العَبد بمعنىٰ أنّه أي المكتُوب أجَبر العَبد علىٰ الفعل بمُقتضاه فلا يستفاد من الآية وأن شئت قلت أنّ اللّه تعالىٰ كان عالماً قبل خَلق العَبد بأفعاله وأعماله النّاشئة منه بإختياره وإرادته وهذا هو المَكتُوب له وأمّا الجواب عن إستدلالهم بالآيات التّي وَرَدت في أنّه تعالىٰ مالك المُلك والعِزّ والرّزق والمَوت وغيرها وعَبّروا عنها بالسّعادة والشّقاوة الدّنيوية فالحقّ أن يقال أنّها لا تَدّل علىٰ عَدم الإختيار للعَبد بل تَدّل علىٰ أنّ الأمر لم يُفوض اليه بالكلّية بمعنىٰ أنّ العَبد يفعل ما يشاء ويكسب ما يشاء وهكذا من غير أن تكون لإرادة اللّه دَخلٌ في مَشيّة العَبد وإرادته بل المالك الواقعي والرّازق الحقيقي هو اللّه تعالىٰ.

ومَع ذلك كلّه يجب عليه الجدّ في تحصيل ما أراد ألا ترىٰ أنّ اللّه تعالىٰ أمَرنا بالتّوسّل بالأسباب والآلات في رَفع حَوائجنا والتّشبث بالزّراعة والتّجارة والصّناعة في الوصُول الىٰ مقاصدنا وتكثير أرزاقنا فلو كان المعنىٰ في الآية

1-التوبه: 50

2-التوبه ـ 50

الشّريفة: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ﴾(١) ما ذكروه من المَعيشة بين العباد قد قَسّمها اللّه تعالىٰ في الأزل بحيث لا دَخل في فعل العَبد في تَحصيلها أو تَكثيرها، يَلزم تَعطيل الزّراعات والصّناعات والتّجارات وأمثالها إذ المَفروض تَقسيم المَعيشة في الأزل ولا يَقول بهذه المَقالة إلّا جاهل أو مُعانِد وأمّا الجواب عمّا إستَدلوا به في السّعادة الأُخروية مثل قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾(٢) وغيرها من الآيات المَذكورة في إستدلالهم بها فقد ظَهر ممّا ذُكرناه وذلك لأنّ الآية قد دلّت علىٰ أنّ من سَبَق له الحُسنىٰ فهو بعيد عن النّار، معناه أنّ مَن عَلم اللّه تعالىٰ بأنّه يعمل الخَير ويقول الحقّ في الدّنيا فهو لا يَدخل النّار وأمّا أنّ فعل الخَيرات وقول الحقّ لا يكون بإختياره وإرادته فالآية لا تَدّل عليه فَيصير معنىٰ الآية أنّ من علم الّه بأنّه مُطيع لِللّه ولرسُوله فهو يكون كذلك وهذا ممّا لا خَلاف فيه ومحصّل الكلام أنّ الآية تَدّل علىٰ مَدح من سَبق له الحُسنىٰ مثلاً وأمّا أنّه كان مَجبُوراً علىٰ حُسن العَمَل فهو أوّل الكلام وعلىٰ المُدّعي إثبات هـذا لا ذاك وأنّىٰ له بإثباته وقد ثَبت أنّ العَلم الأزلي بشيءٍ لا يكون علّة لوجوده بل يكون كاشفاً عن معلومه وهو لا يكفي في إثبات المُدّعىٰ،وبذلك قد ظَهر لك الجواب عمّا إستَدلوا به في الهداية والضّلالة كقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾(٣) وذلك لأنّ قـوله أنّك لا تَـهدي مـن أحـبَبت يـنفي التّفويض ونحن نقول بنفيه والمعنىٰ أنّ أمَر الهداية كغيرها من الأُمـور لـيس بمُفَوّضٍ اليك لتَهدي من أحَببت بغير إذنٍ من اللّه وهو لا يَختص بالهداية بل كلّ الأُمور كذلك فصّح أن يقال أنّك لا تأكل ما شئت ولا تَشرب ما شئت ولا تَفعل ما شئت إذا لَم يَشاء اللّه ضرورة أنّ النّبي لو كان هادياً لمن شاء وأراد من غير دَخلٍ لَمشيئة اللّه فيه لزم تَعطيل القُدرة فيه تعالىٰ وتَفويض الأمر الىٰ النّبي

١-الزّخرف،٣٢.
٢ انبياء،١٠١.
٣-قصص،٥٦.

رأساً ومن يقول بهذه المقالة الفاسدة فقوله تعالىٰ يَدل علىٰ أنّ إرادة النّبي فقط في هداية شخصٍ أو أشخاص لا تَكفي وهو صحيح بمَقتضىٰ نفي التّفويض:

وأمّا قوله تعالىٰ: ﴿ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾ (١) فيَدّل علىٰ إثبات القُدرة في حقّه وأنّه قادرٌ علىٰ هداية من يشاء بلا إستعانةٍ من غيره فيها ولا خلاف لنا ولا لغيرنا فيه أنّما الكلام في أنّ اللّه تعالىٰ هل أجبَر عَبده علىٰ الإيمان أو الكُفر أم أنّه تعالىٰ هل يقدر عليه أو لا وذلك لأنّ اللّه قادر علىٰ كلّ شيْءٍ مُنفرداً والعَبد لا يقدر علىٰ شيْءٍ كذلك بل يحتاج الىٰ الإستعانة من ربّه في جميع أُموره ولا شّك لإحدٍ في أنّ اللّه تعالىٰ لو أراد إجبار العَبد في فعله لكان قادراً عليه وأمّا أنّه تعالىٰ هل أراد ذلك بالإرادة الحتمية الّتي لا مَردلها أو لا فهو محلّ البحث فالخصم يقول بوقوعه ونحن لا نقول به فالبحث في الفعّلية وعدمها لا في إمكان الجَبر وعَدمه والآيات الّتي إستدلّوا بها لا تدّل علىٰ الفّعلية بل تدّل علىٰ أصل القُدرة في حقّه ولا خلاف فيه وظّني أنّهم لو كانوا قد تأملوا في الآيات لَعلِمُوا أنّ الإستدلال بها خَطأً مَحض ألا ترىٰ أنّ اللّه تعالىٰ قال في آخر الآية المبحوثة عنها: ﴿وهو أعلم بالمُهتدين﴾ فما تفهم من هذا الكلام أما تفهم أنّ قوله هذا بمنزلة التعليل لما ذكره من صدر الآية الىٰ هنا، فكأنّه جواب عن سؤال مقدّر وهو أنّه لِمَ لا يهدي الرّسُول من أحبَّ أو من يشاء، واللّه يهدي من يشاء، والجواب أنّ اللّه تعالىٰ أعلَم بالمُهتدين أي هو أعلَم بمن يقبل الهداية من اللّه ورسُوله أو لا يقبل وحيث أنّ أبا لَهب مثلاً كان في علم اللّه مِمّن لا يقبل الحقّ بأختياره وسُوء سريرته وخُبث ذاته قال: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ ومن المعلوم أنّ الخالق أعلم بحال مخلوقه منه نفسه فضلاً عن غيره وأمّا أنّ عدم قبوله الحقّ كان بإجباره تعالىٰ أيّاه عليه فلا يستفاد من الآية وهكذا في طرف القبول إذ لو كان كذلك فأيّ فائدةٍ في بعث الرّسل وإنزال الكُتب، وأمّا قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ (٢) معناه أي بتوفيقٍ من اللّه إذ

١ -قصص ٥٦ ٢-يونس ١٠٠

ليس الإذن بمعنى الإجبار لا في اللّغة ولا في الإصطلاح صَح الإستدلال بها على الجَبر فأنّ اللّه إذا أراد بعبدٍ خيراً هَيّأ له أسبابه فالعزم على الإيمان للعبد والإذن والتّوفيق منه تعالى ومن المعلوم أنّ اللّه تعالى قد أذِنَ لجميع النّاس في تحصيل الإيمان والإتّصاف به لأجل هذا أرسل اليهم الرُسل وأنزَل الكُتب ومن زَعَم أنّ اللّه لا يأذِن لبعض الأفراد فقد كَفَر وشَبّه الى الظّلم والبُخل وهو مُنزّه عن القبائح كما ثبت في محلّه:

وأمّا قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾[1] فهو أيضاً لا يدّل على المدّعى أو المعنى أنّ اللّه لو شاء لأجبَر من في الأرض على الإيمان وهو كذلك فأنّه تعالى كان قادراً على أن يخلقهم مؤمنين لأنّه الخالق المُوجد يفعل ما يشاء ويحكم ما يُريد والكلام في أنّه هل فَعَل هذا ولا بل خلقهم وجَعَلهم مُختارين في الإيمان وعَدمه وعليه فالآية تدّل على أنّه كان قادراً على الإجبار في الإيمان ولا تدّل على أنّه فَعَلَ كذلك ألا ترى تعليق الحكم على الشّرط أعني كلمة (لو) وبين التّعليق والإجبار فرق واضح وأنتَ بعد ما أحطت بما تلوناه عليك في مقام الجواب عن الآيات تقدر على إستخراج الجواب عن غيرها ممّا لَم نذكره مخافة الإطالة والإطناب والمعيار في الكلّ هو أنّ الآيات لا تَدّل على أكثر من أنّ اللّه قادر على كلّ شئ أو أنّه كان عالماً بأفعال عباده قبل الخَلق كما يكون عالماً بها بعده وأمّا أنّ القُدرة على الإجبار منه تعالى قد حَصَلت وتَحقّقت بالفعل في حقّ عباده ليلزم الجَبر أو أنّ علمه بأفعالهم يكون علّة لإيجاد الأفعال فيهم فلا يَثبت بها وعلى المُدّعي الإثبات وبعده نلتزم بما يقول وأنّى له بإثباته هذا كلّه في الآيات:

وأمّا الأخبار التّي إستَدلوا بها على مُدّعاهم فنحن نذكر شطراً منها:

أحدها: ما رواه البخاري في صحيحيه بأسناده قال رسُول اللّه ﷺ **أنّ أحدكم يجمع في بطن أُمّه أربعين يوماً ثُمّ عَلقة مثل ذلك ثُمّ مُضغة مثل ذلك ثُمّ يبعث**

١-يونس،٩٩

اللّه مَلكاً فيؤمر بأربع،برزقه وأجَله وشقّيٍ أو سَعيد فَواللّه أنّ أحَدكم أو الرّجل ليَعمل بعملِ أهل النّار حتّىٰ ما يكون بينه وبين النّار غير ذراعٍ أو ذراعين فيسبق عليه الكتاب فَيعمل بعَمل أهل الجنّة فَيدخلها وأنّ الرّجل يَعمل بعَمل أهل الجنّة حتّىٰ ما يكون بينها وبينه غير ذراعٍ أو ذراعين فَيسبق عليه الكتاب فَيعمل بعَمل أهل النّار فَيدخلها انتهىٰ...

تقريب الإستدلال بها علىٰ إثبات الجَبر لا خفاء فيه ظاهراً وذلك لِدلالة الحديث صريحاً علىٰ أنّ الرّزق والأجل والسّعادة والشّقاوة كلّها بيد اللّه وأنّ المَلك المُوكّل علىٰ الجنين يكتبها علىٰ ناصيته كما في بعض الأحاديث أو غيرها كما في هذا الحديث بأمرٍ من اللّه تعالىٰ ومَع ذلك كيف يَقدر العَبد علىٰ خلاف ما كُتب عَليه أو لَه مضافاً الىٰ تَصريح الحديث بسبق الكتاب عليه وبَينه وبين الجنّة والنّار ذراع أو ذراعين فالعَبد مسلوب الإختيار في أفعاله وأعماله وهو يسير علىٰ ما كُتِبَ وقُدّر له أو عليه ولا نعني بالجَبر إلّا هذا والجواب عنه بوجوهٍ:

الأوّل: أنّ سند الحديث مَخدُوش وفيه رجال كلّهم أو بعضهم غير مُعتَمد لا يُوثق بدينهم أصلاً ومن المعلوم أنّ الحديث الّذي ينبغي أن يُستَدل به في أمثال هذه المطالب المُشكلة الّتي لا سبيل للعقل اليها لا يكون مثل هذا الحديث الّذي لَم يروه إلّا من قال بالجَبر إعتضاداً لمَسلَكه.

الثّاني: مع قطع النّظر عمّا ذكرناه من حيث السّند متن الحديث مُضطربٌ مُتزلزلٌ من جهة الألفاظ والعبارة ألا ترىٰ أنّه قال في أوّل الحديث أنّ أحَدكم يَجمع في بطن اُمّه، مكان يبقىٰ والجمع لا يكون إلّا بين إثنين أو أكثر وأمّا بين الشّخص ونفسه فلا يعقل الجَمع فقوله أنّ أحَدكم يجمع، يُسأل عن القائل به، يجمع مَع مَن، ألَيس الجَنين في بطن اُمّه واحداً مُنفرداً، ولَو فَرضنا في بعض الموارد كون الجَنينين في بطنٍ واحدٍ، أيضاً لا معنىٰ لإستعمال كلمة الجَمع وذلك لأنّ المُقدر المكتوب لكلّ واحدٍ منهما لا ربط له بالآخر فقوله يجمع لا

معنىٰ له وهكذا قوله فَوالله أنّ أحَدكم أو الرّجل، فأنّ التّرديد في اللّفظ يُوجب التّرديد في الدّلالة.

الثّالث: مع الغَض عمّا ذكرناه في سنده وإضطراب ألفاظه وعباراته أنّ الحديث لا يَدّل علىٰ الجَبر وذلك لأنّه لا يدّل علىٰ أكثر من أن يكون الرّزق والأَجل والسّعادة والشّقاوة قد كُتب كلّ واحدٍ منها للجَنين في بطن أُمّه وأنّه لا يسبق بعمله خيراً أو شَرّاً علىٰ ما كُتب وقُدّر له، ولكن هذا القَدر من الدّلالة لا يكفي في إثبات المُدّعىٰ وذلك لأنّ الجَبر لا يتحقّق إلّا بَعد سَلب الإختيار عن العَبد فعَلىٰ الجَبري أن يثبت عدم إختياره أوّلاً ليصّح له إطلاق الجَبر علىٰ فعله وعَمَله وهذا الحديث لا يَدّل عليه إلّا علىٰ القَول بأنّ المكتوب له في عالم الرّحم بأمر اللّه تعالىٰ يُوجب عدم إختياره في الدّنيا لئّلايلزم خلاف المكتُوب ولَعلّه هذا المعنىٰ في ذهن المُستَدِل القائل بالجَبر ولَم يَعلم أنّه لو كان الأمر كذلك يلزم الدَّور ضرورة أنّه أثبت عَدم إختيار العَبد بالحديث وأن شئت قلت أثبت الجَبر بالحديث والحديث لا يدّل عليه إلّا بعد ثبُوته في الخارج فدلالة الحديث علىٰ المُدّعىٰ يتَوقف علىٰ شئٍ ثبُوته في الخارج يتَوقف علىٰ ثبُوت الحديث ودلالته وهو كما ترىٰ هذا **أوّلاً**.

وثانياً: إنّا قد ذكرنا سابقاً في معنىٰ القَضاء والقَدَر أنّ القَضاء في التّشريع معناه الحُكم، وكلّ حُكم فهو مسبوق بالعلم فقَضاءه تعالىٰ هو عِلمه بالشّئ في الأزَل بكلّ الأشياء ومنها أفعال العباد وأعمالهم التّي تصدر منهم في الدّنيا وهكذا الأجل والرّزق فأنّه تعالىٰ قضىٰ وقَدّر لهم الآجال والأرزاق وهذا ممّا لا خلاف فيه وهذا هو الّذي يُكتب بأمره تعالىٰ للإنسان في عالم الرَّحم وبعبارةٍ أوضح المَلك يَكتب للعَبد بأمره تعالىٰ ما سَبق به علمه في حقّه ونحن نقول ونَلتزم به إذ لا إشكال فيه وأمّا أنّ هذا الكتاب قد سَلَب من العَبد قُدرته وإختياره بحيث أنّه يكون مقهُوراً مغلُوباً تحت الكتاب ولا يَقدر علىٰ العَمَل بخلافه فلا يدّل الحديث عليه وعليه فمعنىٰ الحديث أنّه تعالىٰ يأمر مَلكاً أن

يكتب له ما سَبق علمه به في حقّه من أنّه أهل الجنّة أو النّار أو أنّه يعمل بعَمل أهل الجنّة أو النّار بميله وإرادته وطبعه وإختياره فأنّ العلم الأزلي بوجود شئٍ أو عَدمه ليس علّة تامّة له نعم لو ثَبت كونه علّة تامّة له فمطلوبهم ثابت وأنّىٰ لهم بإثباته والحاصل أنّ اللّه تعالىٰ يكون عالماً بأحوال العَبد وأفعاله الصّادرة عن إختياره في الدُّنيا فَيأمر المَلك أن يكتب له ما علِمه اللّه وأمّا أنّ المعلوم في المقام لا يُخالف العلم قَطعاً فهو ليس من الجَبر بشئٍ فأنّ عَلمه تعالىٰ لا يخطئ أصَلاً أنّما الكلام في العِلّية إذ مُوافقة المعلوم للعلمْ أعمّ من أن تكـون علىٰ سبيل الإختيار وأن لا تكون كذلك وعلىٰ المُدّعِي بأن تكون المُوافـقة عـلىٰ سبيل الجَبر الدّليل وإذ ليس فَليس.

وأمّا ما يمكن أن يقال من أنّ المراد بالأمّ في الحديث الدّنيا والإنسان في بطنها ما دام كونه حيّاً وعليه فمعنىٰ الحديث أنّه يُكتب له في هذه الدُّنيا أعني بدو تَوّلده ودخوله فيها ما يُكتب من السّعادة والشّقاوة فهو غير معقُولٍ بل غَلط فاحش ولا نحتاج الىٰ الجواب عنه لوضوح بطلانها.

الحديث الثّاني ما رواه البخاري أيضاً بأسناده عن أنس بن مالك قال قال رسُول اللّه ﷺ وكلّ اللّه بالرّحم مَلكاً فيقول أي ربّ نطفة، أيّ ربّ عَلِقة أي ربّ مُضغة فإذا أراد اللّه أن يقضي خلقها قال ياربّ أذكرٌ، أم أُنثىٰ، أم سَعيد، أَم شقّي، فما الرّزق فما الأَجل فَيكتب لذلك في بطن أُمّه انتهىٰ.

تقريب الإستدلال به أيضاً ظاهر كما في الحَديث السّابق والجـواب عـنه أيضاً كالجَواب عنه وذلك لأنّ اللّه تعالىٰ هو الخالق ولا يعلم ما أراد الخـالق بمخلوقه إلّا هو فَيسأل المَلك بما يَسأل ومعنىٰ الحَديث أنّك تعلم بـعِلمك السّابق علىٰ خَلقه أنّه سَعيد أو شقّي فأعلمني به حتّىٰ أكتُب له ما ينتهي اليه الأمر ومن المعلوم أنّه لا يدّل علىٰ الجَبر وأنّ العَبد مَجبُور في فعله ليُوافق فعله وعَمَله ما كُتب له بل يدّل علىٰ أنّ فعله وعَمَله يكون مُوافقاً له قهراً بإختياره وميله وإرادته وهذا مُسلّم والحاصل أنّ تطابق فعل العَبد لما كُتبَ له أعمّ من أن

يكون علىٰ سبيل الجَبر أو الإختيار فدلالة الحَديث علىٰ الجَبر مِمَّا لا دليل عليه إلّا بكون العلم الأزلي علّة للفعل وهو كما ترىٰ...

الحَديث الثّالث ما رُوي عن عبد اللّه بن عُمر عن رسول اللّه ﷺ **أنّه قال أنّ قلوب بني آدم كلّها بين أصبعين من أصابع الرّحمٰن يُصّرفها كيف يشاء ثمّ قال رسول اللّه ﷺ اللّهم مُصّرف القلوب صَرِّف قلُوبنا الىٰ طاعتك انتهىٰ**...

والجواب عنه أيضاً واضح إذ لم يشّك أحد في أنّ قلوب بني آدم كلّها مَقهُورة مغلُوبة تحت قُدرة اللّه وأنّه يُقّلبها كَيف يشاء وذلك لأنّه الخالق المُوجد القادر علىٰ كلّ شيٍ وأنّما الشّك في أنّ اللّه تعالىٰ هل يقّلب قلب عَبده علىٰ خلاف ميل العَبد وإختياره وإرادته بحيث يسلب عنه القُدرة علىٰ خلاف ما أراد اللّه منه أم لا يقّلب كذلك لكونه مُخالفاً للعقل والشّرع ومن المعلوم المُسلّم عند الكلّ أنّ اللّه تعالىٰ قادر علىٰ كلّ شيٍ إلّا أنّه لا يُقّلب القلُوب كذلك لكونه علىٰ خلاف مصلحة التّكوين والتّشريع لاٰ إنّه تعالىٰ عاجزٌ عنه ومُلّخص الكلام هو أنّه بعد ثبُوت القُدرة في حقّه تعالىٰ في جميع الموارد هَل أعمَل قُدرته فيما نبحث عنه أم لا فأن ثبت ذلك فهو الجَبر وإلّا فَلا فهذا الحَديث في دلالته علىٰ القُدرة ولَو بعد الخَلق أقوىٰ من دلالته علىٰ الجَبر فهو رَدٌّ علىٰ المُعتزلة القائلين بالتّفويض وأنّ اللّه تعالىٰ مَقبُوض اليَد بعد الخَلق والإيجاد كما ستَعرف الحال فيه إنشاء اللّه.

ثُمّ أنّ العلامّة الطّباطبائي ﵀ بعد ما ذَكَر قِصّة الشّيخ الشّامي مَع أمير المؤمنين ﵇ عن كتاب العُيون بعد إنصرافه من صفّين وجوابه ﵇ له، قال ما هذا لفظه:

أقول: قوله بقضاءٍ من اللّه وقَدَر الىٰ قوله عند اللّه إحتسب عنائي ليعلم أنّ من أقدَم المباحث التّي وَقَعت في الإسلام مورداً للنّقض والإبرام وتشاغبت فيه الأنظار مسألة الكلام ومسألة القَضاء والقَدر وإذا صُور ومعنىٰ القَضاء والقَدر وإستَنتجوا نتيجته فإذا هي أنّ الإرادة الإلٰهية الأزَلية تعلّقت بكلّ شيٍ من

العالَم لا شئ من العالم موجوداً علىٰ وصف الإمكان بل أن كان موجوداً فبالضّرورة لتّعلق الإرادة بها وإستحالة تخلّف مراده تعالىٰ عن إرادته وأن كان معدوماً فبالإمتناع لعَدم تعلّق الإرادة بها وإلّا لكانت موجودة وإذا أطرّدت هذه القاعدة في المَوجودات وقَع الإشكال في الأفعال الإختياريّة الصّادرة منّا فإنّا نرىٰ في باديْ النّظر أنّ نسبة هذه الأفعال وجوداً وعَدماً الينا مُتساوية وأنّما يتّعَين واحد من الجَانبَين بتّعلق الإرادة به بعد إختياره ذلك الجانب فأفعالنا إختيارية والإرادة مُؤثّرة في تحقّقه سببٌ في إيجاده ولكن فرّض تعلّق الإرادة الإلٰهية الأزّلية المُستحيلة التّخلف بالفعل يبطل إختيارية الفعل أوّلاً وتأثير إرادتنا في وجود الفعل ثانياً وحينئذٍ لم يكن معنىٰ للقُدرة قبل الفعل علىٰ الفعل ولا معنىٰ للتّكليف لعَدم القُدرة قبل الفعل وخاصّةً في صُورة الخلاف والتّمرد فيكون تكليفاً بما لا يُطاق ولا معنىٰ لإثابة المُطيع بالجَبر لأنّه جزافٌ قَبيح ولا معنىٰ لعقاب العاصي بالجَبر لأنّه ظلمٌ قَبيح الىٰ غير ذلك من اللّوازم وقد إلتَزم الجَميع هؤلاء الباحثون فقالوا القُدرة غير موجودة قبل الفعل، والحُسن والقُبح أمران غير واقعيّين لا يلزم تقّييد أفعاله تعالىٰ بهما بل كلّ ما يفعله فهو حَسن ولا يتّصف فعله تعالىٰ بالقُبح فلا مانع هناك من التّرجيح بلا مرّجح ولا من الإرادة الجزّافية ولا من التّكليف بما لا يُطاق ولا من عقاب العاصي وأن لَم يكن النّقصان من قبله الىٰ غير ذلك من التّوالي تعالىٰ عن ذلك وبالجُملة كان القول بالقَضاء والقَدَر في الصّدر الأوّل مُساوقاً لإرتفاع الحُسن والقُبح والجزاء بالإستحقاق ولذلك لما سَمع الشّيخ منه ﷺ كون المَسير بقضاءٍ وقَدَر قال وهو في مقام التّأثر واليأس عند الله أحتَسب عنائي أي مَسيري وإرادتي فاقدة الجَدوىٰ من حيث تعلّق الإرادة الإلٰهية بها فلَم يبق لي العِناد والتّعب من الفعل فأحتَسبه عند ربّي فهو الّذي أتعَبني بذلك فأجاب عنه الإمام بقوله لو كان كذلك لبَطل الثّواب والعِقاب، وساق الكلام الىٰ إن قال ﷺ:

أقول: قد عَرفت أنّ الّذي ألزم المجبرة أن قالوا بما قالوا هو البَحث في

القَضاء والقَدَر وإستنتاج الحَتم واللّزوم فيهما وهذا البَحث صحيح وكذلك النّتيجة أيضاً صَحيحة غير أنّهم أخطأوا في تطبيقها وإشتَبه عليهم أمر الحقائق والإعتباريّات وإختلط عليهم الوجوب والإمكان توضيح ذلك أنّ القَضاء والقَدَر علىٰ تقدير ثبُوتهما ينتجان أنّ الأشياء في نظام الايجاد والخِلقة علىٰ صفة المَوجود واللّزوم.

فكلّ موجودٍ من المَوجودات وكلّ حالٍ من أحوال الموجود مُقَدرة محدودة عند اللّه سبحانه معَين له جميع ما هو له من الوجود وأطواره وأحواله لا يتّخلف عنه ولا يختلف ومن الواضح أنّ الضّرورة والوجوب من شئون العلّة فأنّ العلّة التامّة هي التي إذا قيس اليها الشّيئ صار متّصفاً بصفة الوجوب وإذا قيس الىٰ غيرهاأيّ شيئٍ كان لَم يصر إلّا متّصفاً بالإمكان فإنبساط القَدر والقَضاء في العالم هو سَريان العلّة التّامة والمعلولّية فيّ العالم بتمامه وجميعه وذلك لا يُنافي سَريان حكم القوّة والإمكان في العالم من جهةٍ أُخرىٰ وبنظرٍ آخر فالفعل الإختياري الصّادر عن الإنسان بإرادته إذا فُرض منسوباً الىٰ جميع ما يحتاج اليه في وجوده من علمٍ وإرادةٍ وأدوات صحيحة ومادّة يتعلق بها الفعل وسائر الشّرائط الزّمانية والمكانيّة كان ضروري الوجود وهو الّذي تعلّقت به الإرادة الإلهية الأزلية لكن كون الفعل ضَروريّاً بالقياس الىٰ جميع أجزاء علّته التّامة ومن جهتها لا يُوجب كونه ضرّورياً إذا قيس الىٰ بعض أجزاء علّته التّامة كما إذا قيس الفعل الىٰ الفاعل دون بقّية أجزاء علّته التّامة فأنّه لا يتجاوز حدّ الإمكان ولا يَبلغ البَتّة حدّ الوجوب فلا معنىٰ لما زَعموه أنّ عموم القَضاء وتعلّق الإرادة الإلهية بالفعل يُوجب زوال القُدرة وإرتفاع الإختيار بل الإرادة أنّما تعلّقت بالفعل بجميع شئونه وخصّوصياته الوجوديّة ومنها إرتباطه بعَلله وشرائط وجوده وبعبارةٍ أُخرىٰ تعلّقت الإرادة الإلهية بالفعل الصّادر من زيد مثلاً لا مُطلقاً بل من حيث أنّه فعل إختيَاري صادرٌ من فاعلٍ كذا في زمان كذا ومكان كذا فإذاً تأثير الإرادة الإلهية في الفعل يُوجب كون الفعل إختيَارياً

وإلّا تخلّف متعلّق الإرادة الإلٰهية عنها فإذاً تأثير الإرادة الإلٰهية في صيرورة الفعل ضرّورياً يُوجب كون الفعل إختيارياً أي كون الفعل ضرّورياً بالنّسبة الىٰ الإرادة الإلٰهية ممكناً إختيارياً بالنّسبة الىٰ الإرادة الإنسانية الفاعلّية فالإرادة في طول الإرادة ولَيست في عَرضها حتّىٰ تتزاحما ويلزم من تأثير الإرادة الإلٰهية بطلان تأثير الإرادة الإنسانيّة فَظَهر أنّ مَلاك خَطأ المُجبّرة فيما أخطأوا فيه عَدم تَميزهم كيفيّة تعلّق الإرادة الإلٰهية بالفعل وعَدم فرقهم بين الإرادتين الطّوليتين وبين الإرادتين العَرْضيتين وحكمهم ببطلان تأثير إرادة العَبد في الفعل لتعلّق إرادة اللّه تعالىٰ به انتهىٰ كلامه رُفع مقامه تفسير الميزان ج ١ ص ٩٧.

وأنا أقول أنّما نقلنا ما نقلناه عنه بطُوله وتفصيله وعين عباراته وألفاظِه حِفظاً لِلأمانة في النّقل إذ لا يبعد أن تفهم من كلامه غير ما فَهمناه وتَستنبط منه غير ما إستَنبطناه والّذي نَفهم منه هو أنّه ﷺ جَعل الفعل الصّادر عن العَبد مُستَنداً الىٰ الإرادة الإلٰهية الأزلية لكن لا مُطلقاً بل بشرط صدُوره عنه إختياراً وعليه فالفعل الصّادر عن العَبد إذا لَم يكن إختيارٍ منه يلزم تخلّف المراد عن الإرادة لا صدوره عن إختيار فإنّه مُطابق لها مُوافق إيّاها وهذا هو الّذي سمّاه ﷺ من الخطأ في التّطبيق وبعبارةٍ اخرىٰ إنّهم لم يفرّقوا بين الإرادتين الطّوليّتين والعَرضّيتين وإنّ إرادة العَبد في طول إرادة الرّب لا في عَرضها حتّىٰ تَزاحَما فعلىٰ هذا التّحقيق يلزم الإختيار في الفعل بالإرادة الإلٰهية الأزلية وهذا هو الّذي تعلّقت الإرادة الأزلية به لا نقيضه أعني به عدم الإختيار وإذا كان كذلك فلا معنىٰ للقول بالجَبر أصلاً ومن قال به أو يقول، لا يعلم ما يقول لإنّه لم يفرق بين الحقائق والإعتباريات وبين الإرادتين الطّوليّتين والعَرضيّتين وهكذا وأنت تعلم إنّ حَسم مادّة الجَبر لا يمكن بهذا التّحقيق وأمثاله وذلك لِوجوه:

أحدها: إنّ كون فعل العَبد خارجاً عن الحَقائق داخِلاً في الإعتباريات بمعنىٰ أن يكون إسناد الفِعل اليه بالإعتبار لا بالحَقيقة هو أوّل الكلام إذ القائِل بالجَبر لا يقول بهذه المَقالة بل يقول إنّ إسناده اليه حَقيقي والقول بإنّه لَم يفرّق بين

الحَقائِق والإعتِبارَيات لا يتّمشىٰ بالنِسّبة الىٰ كثير من الجبَريّين أتّظن إنّ الفَخر الرّازي والغَزالي وأمثالهما من فُحُول الفَلاسفة والمُتَكلمين لم يفرقوا بينهما هذا بعيد .

وثانيها: إنّ القَضاء والقَدر أن كانَ سَريانهما في الأشياء هو سريان العلّية التّامة والمعلّولية في العالم بِتَمامه وجميعه كما قرّره المُحقّق في تفسيره فالأفعال الصّادرة من العَبد مُستندة الىٰ القَضاء والقَدَر إستناد المعلُول الىٰ علّته التّامة وعليه فالمطلوب ثابت وأمّا قوله وذلك لا ينافي سَرَيان حُكم القوّة والإمكان في العالم من جهةٍ أُخرىٰ وبنظرٍ آخر، ففيه إنّ البحث في المقام ليس في إسناد الفِعل فقط بل البَحَث في تعيين الفاعِل الحَقيقي وإن كان الفِعل ظاهراً مُستنداً الىٰ غيره فإذا صدر الفِعل عن العَبَد المخلوق المعلُول المقهور بقضاءٍ من خالقه وقدَرَه والمفروض إنّ سريان القضاء والقَدَر في جميع الأشياء سريان العلّية التّامة والمعلُولّية في العالم فلا محالة يكون الفِعل ضروريّ الوجود واقِعاً وليس في الواقِع جهة ونظر تسّمىٰ بالإمكان، وإن كان في الظّاهر موجوداً بالإعتبار أي بإعتبار قياسه الىٰ بعض أجزاء علّته ولِنذكر لك مثلاً يتضّح الحال به وهو إنّه إذا أردت قطع شجرٍ بالمنشار تضع المِنشار عليه وتقطعه لا مُحالة وبعد تحقّق القَطَع صحّ أن يقال إنّ المِنشار قَطَع الشَجَر وصحّ أن يقال إنّ زيداً قَطعه فالفِعل تارة يسند الىٰ الفاعِل وهو زيد وأُخرىٰ الىٰ الآلة وهي المِنشار بإعتبارين وهما المُباشرة وعَدمهما ولاشك إنّ العلّة التّامة في المَثال ليست إلّا الفاعِل وهو زيد فالإسناد اليها حقيقي والىٰ غيرها وهو المِنشار مُجازّي وفي المفروض ما نحن فيه من هذا القَبيل ومُحصّل الكلام إنّ البَحث في الفاعِل الحقيقي وإنّه من هُو لا في النِسّبة اللّفظية أو العُرفيَة الّتي هي من الأُمور الإعتبارية مثلاً.

ثالثها: إنّ قوله ﷺ فلا معنىٰ لِما زَعَموا إنّ عمُوم القَضاء وتعَلق الإرادة الإلٰهية بالفِعل يوجب زوال القُدرة والإختيار بل الإرادة الإلٰهية إنّما تعلّقت بالفِعل

بجميع شئونه وخصوصّياته الوجودّية ومنها إرتباطاته بِعَلله وشرائط وجوده، ففيه أمّا أوّلاً إنّا لا نفهم معناه وكيف يُعقل تعلّق الإرادة الإلٰهّية بالفعل الصّادر من العَبد ومع ذلك لا ينافي قُدرته وإختياره أليسَ العَبد في المفروض آلة محضَة لوجود الفعل في الخارج والآلة لا قُدرة لها ولا إختيار لها وبعبارةٍ أخرىٰ أن كانت القُدرة علىٰ التّرك للعبد موجودة بمعنىٰ أنّه أن شاء فَعل وأن لم يشأ لم يفعل كما هو معنىٰ الإختيار فلو فرضنا أنّ العَبد ترك الفعل الّذي تعلّقت الإرادة الإلٰهية بإيجاده بسببه هو تخلّف المراد عن الإرادة أم لا فأن تخلّف كما هو المفروض فما معنىٰ الإرادة الإلٰهية وأن لم يتخلّف فهو خلاف الفرض وأمّا قوله بل الإرادة تعلّقت بالفعل بجميع شئونه الىٰ آخر ما قال فهو لا يدفع الإشكال ولا فرق منه بين عموم القضاء وخصُوصه بل الحقّ أنّ عموم القضاء خارج عن البحث والّذي داخل فيه هو القضاء الخاصّ أعني به الإرادة المخصوصة الإلٰهية الّتي تعلّقت بهذا الفعل الخاصّ مثلاً فأنّ القائل بالجَبر يقول فعلىٰ فعل اللّه وأعجَب من هذا الكلام قوله ﷺ بعد وبعبارةٍ أُخرىٰ تعلّقت الإرادة الإلٰهية بالفعل الصّادر من زيد مثلاً لا مطلقاً بل من حيث أنّه فعل إختياري صادر من فاعل كذا في زمان كذا ومكان كذا فإذاً تأثير الإرادة في الفعل يوجب كون الفعل إختيارياً وإلّا تخلّف متعلّق الإرادة عنها الىٰ آخر ما قال:

وللخصم أن يقول لا نسلّم أنّ الإرادة الإلٰهية تعلّقت بالفعل لا مطلقاً وأيّ دليلٍ علىٰ هذا المدّعىٰ وثانياً تعلّق الإرادة الإلٰهية بالفعل من حيث أنّه إختياري صادر عن فاعل كذا ووو... أيّ فائدة فيها بل لا تأثير لها أصلاً إذ المفروض إختيار العَبد في الفعل والتّرك فأن كان المراد تعلّقها بما يختاره العَبد من الفعل والتّرك فيلزم أن تكون إرادته تعالىٰ تابعة لإرادة العَبد وأن كان المقصود أنّ العبد لابدّ له من الفعل أو التّرك موافقاً للإرادة الإلٰهية لِئلّا يلزم التخلّف بين الإرادة ومتعلّقها فهو الجَبر:

ورابعها: قوله فالإرادة في طول الإرادة ولَيست في عرضها حتّىٰ تَتزاحما:

أمّا أوّلاً: بأنّ القائل بالجَبر لا يقول بأنّ إرادته في عَرض إرادة اللّه حتّىٰ تَتزاحما إذ لا يتحقّق التّزاحم بين القوّي والضّعيف أصلاً بل ماشاء اللّه كان وما لم يشأ لم يكن شاء العَبد أم لا بل يقول أنّ العَبد لا إرادة له واقعاً في جنب إرادة اللّه فما سَمّاه بالإرادة فهو مقهور تحت إرادة الخالق فأينَ في المقام إرادتان عَرضيّتان حتّىٰ يقال فيهما بالتّزاحم:

وثانيها: علىٰ فرض التّسليم وأنّ للعبد إرادة في طول إرادة الحقّ وليس في المقام تزاحم أصلاً، لا معنىٰ لقولكم أنّه لا يلزم من تأثير الإرادة الإلٰهية بطلان تأثير الإرادة الإنسانية وذلك لأنّ هذا يتّم بناءً علىٰ أن يكون الفعل الموجود في الخارج ممّا إختاره اللّه وإختاره العبد معاً وأرادا إيجاده فأوجداه وعليه فالمؤثر في إيجاد الفعل بكلتا الإرادتين وتأثير أحدهما لا يمنع عن تأثير الآخر كما إذا أراد زيد وعمرو مثلاً أن يُحرّكا حجراً ثقيلاً من موضعه وهذا في المقام لا يصّح لوجهين:

أحدهما: إختلاف الإرادتين في القوّة والضّعف ولا شّك أنّ الضّعيف مقهور مغلوب لِلقوّي.

وثانيهما: أنّ العبد لا يعلم ما إختاره اللّه ليختاره ويكون المختار واحداً وعليه فأمّا أن يكون مختار العَبد تابعاً لمختار الخالق أو بالعكس لا سبيل الىٰ الثّاني وعلىٰ الأوّل يلزم أن لا يكون العبد مختاراً في فعله إذ المفروض كون مختاره تابعاً لمختار الحقّ ولا نعني بالجَبر إلّا هذا فثبت وتحقّق لك أنّ هذا التحقيق وأمثاله كما قلنا في صدر البحث لا يُسمن ولا يُغني فالإشكال في مسألة الجَبر باقٍ علىٰ ماكان ولابدّ لنا في الخلاص عنه من محيص آخر وأظَن أنّ ما ذكره هذا المحقّق أخذَه عن تحقيقات صدر المتألهين في مسألة الجَبر بل هو المقطوع به نعم زاد ﷺ في نقله عنه من عند نفسه ما لم يذكره ونحن نذكر ما ذكره في شرحه علىٰ أُصول الكافي باب الجَبر والقَدَر تتميماً للبحث مضافاً الىٰ

الفوائد المودَعة في تحقيقاته فنقول:

قال - لمّا تحقّق وتبيّن أنّ جميع الأشياء صادرة من اللّه تعالىٰ وهو عالم بصدورها مُريد لها غير كارهٍ وهو معنىٰ مُختاريته تعالىٰ كما مَرّ والعلم التّام بالعلّة يوجب العلم التّام بالمعلول وهو في الأزل عالم بجميع الكلّيات والجزئيات علىٰ ما هو عليه علماً عقلياً دفعةً واحدة وهو القضاء وخروجها من القوّة الىٰ الفعل مفصلاً بحسب إرادته وقدرته ومشيّئته واحداً بعد واحدٍ وهو القَدر وبالجملة قَدَر تفصيل قضاءه فكلّ ما يقع في هذا العالم مقدّر بسهيئته وزمانه في عالم آخر قبل وجوده فأن إشتبه عليك خال الأفعال المنسُوبة الىٰ الإختيار وتخيلَ لها أنّك علىٰ هذا التّقدير تكون بالإضطرار فما بالنا نتصّرف فيها بالتّدبير والتّغيير ونصرفها بالتّقديم والتّأخير علىٰ إنّا نجد الفرق بين المجبور عليه والمضّطر فيه والمّجبر والمخيّر والمختار والمضّطر فلماذا يؤاخذ بها ويُعاقب عليها ويُؤجر ويُثاب بقصدها وما الفرق بين عمدها وسهوها وكيف يتّجه المدح والذّم لنا والأمر والنّهي الينا وأيّ فائدة للتّكليف بالطّاعات والنّهي عن السيّئات ودعوة الأنبياء بالمعجزات والآيات وأيّ تأثيرٍ للسّعي والجهد وأيّ توجيهٍ للوعد والوعيد وما معنىٰ الإبتلاء في قوله تعالىٰ: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [1] وما لا يحصىٰ كثرةً من الآيات الدّالة علىٰ أنّ مدار التّكليف علىٰ الإختيار وبناء الأمر في الإختيار علىٰ الإختيار بل تكون قاعدة التّكليف علىٰ هذا التّقدير عَبَثاً وهَباءً وأكثر كلام الأكابر هَدَراً وهَواءً فإستغفر اللّه العظيم وتُب عليه ثمّ تأمل جريان الأمر الإلٰهي في مجاري القضاء والقَدَر وتفكّر في ترتّب سلسلة الأسباب والعلل وتدبّر معاني الأمور حقّ التّدبر في معاني الآيات بقوّة التّفكر عسىٰ اللّه أن يؤيدك بعد الإستغفار فبادر عند التّحقيق الىٰ الإعتذار إذ القضاء والقَدَر أنّما يُوجبان ما يُوجبان بتَوسط أسبابٍ وعللٍ مُترتّبة منتظمة بعضها مدبّرات ومعدّات كالنّفوس

١- هود ٧

السّماوية والحركات والأوضاع الفلكيّة والصّور اللّاحقة المادية والأمور الجارية مجرىٰ الأُمور الإتّفاقية وغيرها من الإدراكات والإرادات الإنسانية والحركات والسّكنات الحيوانية، وبعضها فاعلات ومُفيضات كالمبادئ العالية من الجواهر العقّلية وبعضها قوابل وإستعدادات ذاتيّة وعارضيّة يختّص بحالٍ دون حالٍ وبصُورةٍ دون صُورةٍ ترتّباً وإنتظاماً مُتقناً معلوماً في القضاء السّابق فإجتماع تلك الأُمور والأسباب والشّرائط مع إرتفاع الموانع علّة تامّة يجب عندها وجود ذلك المُدبر المقضي المقدّر وعند تخلّف واحدٍ منها أو حصول مانع بقي وجوده في حيّز الإمكان كأن لم يكن واحد منها سواء فإذا كان من جملة الأسباب وخصوصاً القريبة منها وجود هذا الشّخص الإنساني أو الحيراني وإدراكه وعلمه وقدرته وإرادته وتفكّره وتخيّله اللّذان يختار بهما أحد طرفي الفعل والتّرك إختياراً واجباً وقوعه بجميع تلك الأُمور المُسّماة علّة تامّة ممكناً بالنّسبة الىٰ كلّ واحدٍ منها فوجوبه لا ينافي كونه بالإختيار بل يؤكّده كيف وأنّه ما وجب إلّا به ولنفّصل لك هذه الجملة تفصيلاً واضحاً ونُبيّنها بياناً شافياً انتهىٰ ما أردنا ذكره في المقام:

أقول أنّما نقلنا كلامه لتعلم أنّ ما ذكره العلّامة الطباطبائي في تفسيره هو عين ما ذكره صدر المتألهين من غير تفاوت بين التّحقيقين من جهة المعنىٰ وأنّما التّفاوت في العبارة فقط وعليه فما أوردناه عليه وارد عليه بعينه ولا نحتاج الىٰ إعادة الإشكال ثانياً وحيث إنّا بعد الفحص عن كلمات القوم رأينا أكثر من تأخّر عن صدر المتألهين لولا كلّهم أخذوا ما أخذوا من كلامه وتحقيقه ولم يأتوا بشيٍ جديد مضافاً علىٰ ما ذكره في الباب فأنّه ﷺ هو المدار في الأبحاث العقّلية في الفلسفة الإسلامية ولم يقدر أحد بعده أن يزيد علىٰ ما ذكره الىٰ زماننا هذا فلا جرم أعرضنا عن نقل سائر الكلمات والتّحقيقات في الباب وإكتفينا علىٰ ما حَققّه وبيّنه فنقول قال صدر المتألهين في بعض تحقيقاته في حلّ الإشكال ما هذا لفظه:

إعلم أنّ الشّيء ما لم يجب لم يُوجد والأفعال الإختيارية أوجبها حصول الإرادة وتحقّق العزم بالإضطرار وأنّ المراد بالإرادة كما أشرنا اليه فيما سبق العزيمة الثّابتة الباعثة الجازمة علىٰ الفعل أو التّرك وهي كسائر أحوال النّفس من العلم والإدراك والقُدرة والشّوق كيفيّة نفسانيّة فإنّا إذا أدركنا شيئاً وعلمناه وإعتقدنا ملائمته أو منافرته بالوَهم أو ببديهية العقل إنبَعَث منّا شوق الىٰ جذبه أو دفعه دفعةً يتبع ذلك الشّوق إرادة جازمة هي العزم الجازم وإذا إنضمّت الىٰ القُدرة الّتي هي هيئة القوّة الفاعلة إنبعث تلك القوّة لتحريك الأعصاب والأعضاء فتحصل الحَرَكة واجبة بالإختيار وهو إنضمام الإرادة الىٰ القُدرة وأن لم نجد الملائمة أو المنافرة بالضّرورة وبديهة الوهم أو العقل إستعمل العقل قوّة التّفكر والوهم قوّة التّخيل بطلب التّرجيح بإرادةٍ عقلية أو وهميّة فتحركان حركة إختيارية نفسانيّة في الطّلب فربّما كان الشّيء ملائماً ببعض الوجوه منافراً ببعضٍ آخر ككونه ملائماً لبعض الحواسّ غير ملائم لبعضها أو ملائماً لبعض الأعضاء غير ملائم لبعضها ملائماً للحِسّ غير ملائم للعقل أو بالعكس وملائماً في العاجل غيرُ مُلائم في الآجل وبالعكس أو ملائماً بحسب بعض المصالح غير ملائمٍ بحسب بعضها ويحدث بسبب كلّ منافرٍ وملائم داعٍ فأن ترجحّت الدّواعي حَدَث عزمٌ جازم علىٰ الفعل فيجب الفعل بإنضمام ذلك العَزم الىٰ القُدرة الّذي هو الإختيار وأن ترجحّت الصّوارف حَدث عزم جازم علىٰ التّرك فيجب التّرك بالإختيار وهناك يتوجه الثّناء والملامة والمَدح والمذّمة بحسَب حُسن الإختيار وسُوءه الواقعين بقوّة التّفكر والتّخيل ويترتّب الثّواب والعقاب ويظهر الفرق بين المُكره والمختار وربّما لا يظهر وجه الرّجحان فتبقىٰ النّفس في التّحير حتّىٰ لاح لها وجه الرّجحان:

فأن قلت ـ مع حصول القُدرة والإرادة أن كان التّرك ممكناً لم يكن الفعل واجباً وما لم يجب لم يُوجد وأن لم يكن ممكناً لم يكن الفاعل مختاراً:

قلنا التّرك غير ممكنٍ ولا يلزم من ذلك نفي الإختيار فأنّ الفعل الإختياري

ما يكون الإختيار من جملة أسبابه ويكون صدوره موقوفاً على الإختيار لا ما يكون ممكناً على تقدير علّته التّامة الّتي من جملتها الإرادة ولا شّك أنّ وجود القدرة والإرادة والإدراك والعلم وغيرها من أحوالنا النّفسانية وقِوانا وآلاتنا مع ترتّبها كلّها بفعل اللّه وقضاءه لا بفعلنا وإختيارنا وإلّا لَتسلسَلت القُدرة والإرادة الىٰ لا نهايَة أو دارت وكلاهما محال:

فأن قلت ـ أنّ اللّه تعالىٰ عالم قبل أفعال العباد بها فلا يمكن أن يصدر عنهم خلافها وذلك يستلزم الجَبر:

قُلتُ ـ هذه منقوض بأفعال اللّه الحادثة فأنّه كان عالماً بها في الأزل قبل فعلها فلا يمكن عنه صدور خلافها فيكون سبحانه مجبوراً في فعله فكلّ ما كان جوابكم فهو جوابنا، والحقّ في الجواب أن يُقال علمه تعالىٰ بوقوع الفعل من العبد المتّوقف علىٰ أسبابه وعِلله الّتي من جملتها قدرة العبد وعلمه وإختياره لا ينافي إختياره ولا يَستَلزم الجَبر.

فأن قلت ـ لا فائدة في التّكاليف الشّرعية لأنّ سعادة العَبد لا تخلو أمّا أن تكون مُقدّرة أو لَم تكن.

فعلىٰ تقدير التّقدير يحصل المقدّر ألبتّة وعلىٰ تقدير خلافه لا يحصل ألبتّة إذ لا رادّ لقضائه وعلىٰ كلا التّقديرين يكون السّعي في الأعمال وإرتكاب المشّاق عَبثاً فلا فائدة في التّكليف والتّرغيب والتّأديب ولا تأثير للسّعي والجدّ والتّهديد والتّرهيب والوعد والوعيد:

قُلنا ـ المقدّر هو حصول السّعادة بعد تحصيل أسبابه وكما أنّ الأشياء الدّاخلة في وجود الإنسان كالقدرة والعلم والإرادة من جملة أسباب الفعل فكذلك تكون الأُمور الخارجة عنه من جملتها فالدّعوة والتّكليف والإرشاد والتّهذيب والوعد والتّرغيب والإيعاد والتّهديد أُمور جعله اللّه مهيّجات الأشواق والدّواعي الىٰ الخيرات والطّاعات وإكتساب الفضائل والكمالات ومحرِّضات علىٰ أعمال حسنة وطاعات محمودة وأخلاق جميلة وملَكات

فاضلة مرْضية مكمّلة لنا نافعة في معاشنا ومعادنا يحسن بها حالنا في دُنيانا وتحصل بها سعادتنا في أخرانا أو محذّرات عن أضدادها من الشّرور والقبائح والذّنوب والرّذائل ممّا يضّرنا في العاجل ونشقي بها في الآجل وكذلك السّعي والجدّ والتّدبير والحذر إذا قدرّت مُهيّئة لمطالبنا موصلة أيّانا الىٰ مقاصدنا مخرجة لكمالاتنا من القوّة الىٰ الفعل وجعلت أسباباً لما يصل الينا من أرزاقنا وما قدّر لنا من معايشنا أو هيئ لنا في عاقبتنا أو يصرفه اللّه تعالىٰ عنّا من المكاره ويدفعه عنّا من المضّار والمفاسد مقدّرة لنا واجبة بإختيارنا كما قال لِمَن سألَه هل الدّواء والرّقية يمنعان من قَدر اللّه قال الدّواء والرّقية أيضاً من قَدَر اللّه لما قال ﷺ **جَفّ القلم بما هو كائن قيل ففيمَ العَمل فقالوا إعملوا وكلّ ميّسر لما خلق**، ولمّا سُئِل أنحن في أمرٍ فَرغ منه أو في أمرٍ مستأنف قال في أمرٍ فَرغ منه وفي أمرٍ مستأنف ومن هذا عُلم أنّ كلّ ما يصدر عنّا من الحَركات والسّكنات والحَسَنات والسيّئات محفوظة في القضاء مكتوبة لنا أو علينا في القَدر واجب صدورها عنّا مع كونها بإختيارنا كما قال تعالىٰ: **﴿وكلّ شيْ فعلوه في الزّبر، وكلّ صغيرٍ وكبيرٍ مستطر﴾** وقال: **﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُواْوَءَاثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍأَحْصَيْنَٰهُ فِيٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾**(١) فهي معرفاتٌ لسعادتنا وشقاوتنا في العُقبىٰ وليست بموجبات كما في قول أمير المؤمنين **أتظّن أنّه كان قضاءً حتماً وقدَراً لازماً**، وكذلك ما روي عن النّبي ﷺ انتهىٰ كلامه رُفع مقامه:

وأنا أقول أنّما ما نقلناه عنه بطوله وتفصيله لتعلم أنّ كلامهم واحد في حلّ المسألة وتصويرها فبنوا كلامهم علىٰ أنّ القضاء والقَدَر ممّا لا مرّد لهما في الخارج وأنّ الأفعال والأعمال كلّها تُوجد بقضاءه وقَدَره وهذا من الأمر المحتُوم الّذي لابدّ من وجوده إلّا أنّ القضاء تعلّق من أوّل الأمر الىٰ رجود الفعل النّاشئ من أسبابه ومنها الإختيار لِلفاعل وعليه فمتّعلق القضاء والقَدر ليس مطلق الفعل من أي شخصٍ صَدَر وفي أيّ زمانٍ أو مكانٍ وقع بل المتّعلق

١- يس ١٢

فيهما هو الفعل الخاص الصّادر من زيد في وقتٍ معيّنٍ ومكانٍ مُعين بالإختيار وهذا هو الّذي أشار اليه الطباطبائي في تفسيره وقد نقلناه وقلنا فيه ما قلنا ولعمري أنّ هذا التّحقيق وأمثاله لا يُنجيهم من الجَبر ولا يُطَهرهم من تبعاته وعواقبه إلّا أنّهم لمّا أرادوا الجمع بين القواعد الفلسفية والقواعد الشّرعية فقالوا ما قالوا ألا ترىٰ أنّهم يقولون بإنتهاء إرادة العبد في أفعاله وأعماله الىٰ إرادة اللّه تعالىٰ وإلّا لتسلسَلت أو دارت كما صرّح به هذا الحكيم فيما نقلناه عنه وحينئذٍ أن كانت الإرادة مُنتهية الىٰ إرادته تعالىٰ والمفروض أنّ إرادته تعالىٰ هو قضاءه وقَدَره فكيف يكون المَخلَص للعَبد في فعله من الجَبر ومجّرد القول بأنّ هذا لا يُنافي إختياره فأنّ الفعل الإختياري ما يكون الإختيار من جملة أسبابه ويكون صدوره موقوفاً عليه لا ما يكون ممكناً علىٰ تقدير علّته التّامة التّي من جملتها الإرادة، لا يشفي المَريض فأنّ الإختيار لو كان من أسباب الفعل والمفروض أنّه ليس إلّا إمكان تعلّق الإرادة بأحَد الطّرفين من الفعل والتّرك وهو أيضاً مَقضّيٍ علىٰ الفَرض فيكون العَبد في إختياره الفعل أو التّرك مَجبُور ولا فَرق بين أن يكون العَبد مَجبُوراً في فعله وأن يكون مَجبُوراً في إختياره نعم لو قلنا بعَدم دخوله في الأسباب المُوجبة لصدُور الفعل الّذي تعلّق القَضاء به لكان له وَجه ولكنّهم لا يَقولون به حفظاً لربط الإرادة وإتصالها بالإرادة الأزَلية وهذا هو الكرّ علىٰ ما فرّ ومَع ذلك فقد أتعبُوا نفوسهم للخَلاص عن المَهلَكة وأفادوا وأفاضوا بقدر إستطاعتهم شكر اللّه سَعيهم وجَعَلهم في رضوانه وحيث إنّا وَعدناك في صدر المَبحث أن نُبيّن لك ما هو الحقّ عندنا وعليه إعتقادنا فنقول:

إعلم أيّدك اللّه تعالىٰ أنّ الخَلاص عن هذه الوَرطة العَويصة التّي تَحيّرت فيها عقول العُقلاء وتَرددت فيها نفُوس الصُلحاء وغَرقت فيها الأشقياء البُعداء عن جوار رَحمة اللّه بعَدم تَدبرهم في الآيات والأخبار الصّحيحة الوارِدة في المقام عن أهل البيت الّذين عَصَمَهم اللّه من الزّلَل والنّسيان والخَطأ وهَفوات

الكلام، لا يمكن لأحدٍ إلّا بوَجهين لا ثالث لهما:

أحدهما، التّمسك بالآيات والأخبار من غير تأويلٍ فيها، وثانيهما التّمسك بالأدلّة العَقلّية وحيث أنّ الدّليل العقلّي مع قَطع النّظر عن الشّرع وما ورد فيها في نفي الجَبر يرجع الىٰ الفِطرة والحِسّ فلا جَرم طريق نفيه مُنحصرٌ بالشّرع المُقّدس وما وَرد فيه من السّمعيات المُؤيّدة بالعقلّيات وأمّا الدّليل العقلّي والبّرهان القَطعي علىٰ نفيه مَع قَطع النّظر عن السّمع فلم يَقُم عليه اللّهم إلّا علىٰ القول بقُبحه ذاتاً كالظّلم والكذب وأمثالهما فما يدّل من العقلّيات علىٰ قُبح الإتّصاف بها يدّل علىٰ قُبح الإتّصاف به أيضاً وهو صحيح علىٰ مَسلَك المُعتزلة القائلين بوجود الحُسن والقُبح العقلّيين وأمّا الأشاعرة النّافين لهما فهم في فُسحةٍ منه وعليه فَيكفينا في المقام نفيه بحسب الشّرع بحيث لا يُخالفه العَقل وبعبارةٍ أُخرىٰ لَم يثبته العَقل حتّىٰ نحتاج في دفعه الىٰ دليلٍ عقليٍ آخر علىٰ خلافه.

وأنّما هو أي القول بالجَبر شُبهة حَصَلت للقائلين به فلابدّ لنا من دَفعها أو رَفعها عقلاً ونقلاً فنقول، لا شَك لنا أنّ لنا أفعالاً وأعمالاً في دار الدّنيا تصدُر عنّا ولا شك أيضاً أنّها بقضاءٍ من الله وقَدَرٍ منه فهٰنا أصلان مُسلّمان، أحدهما صدُور الفعل عنّا، وثانيهما كونه بقضاء اللّه وقَدَره ولا أُظنّ أحَداً يَشُك فيهما وذلك لأنّ الأصل الأوّل يُثبة الحِسّ والفطرة والعيان فإنّا نرىٰ صدور الأفعال عنّا بالضّرورة ظاهراً، وأمّا الأصل الثّاني أعني كونها بقضاء اللّه وقَدَره فهو أيضاً مسلّم عند من قال بوجود الخالق العالم الحَكيم فأنّ نفي قضاءه يستلزم نفي علمه بها في الأزل وقد أثبتنا كونه عالماً بكلّ شيٍ قبل خلقه وبعده وأنّما الخلاف في أنّ مَنشأ الأفعال فينا هو إختيارنا أم لا وأنّ القضاء فيه تعالىٰ هل هو لازمٌ جازم أم لا ويمكن إدخال الأصل الأوّل في الثّاني وجَعلهما واحداً وهو أنّ الخلاف في الحقيقة في معنىٰ القضاء وتعيين المراد منه فَمَن جَعل القضاء حتماً لازماً لزمه الجَبر إذ الأفعال مُستَندة اليه لا محالة ومن جَعَل القَضاء غير

لازم خَلَص من الجَبر وأثبَت الإختيار في الحقيقة وأمّا الفلاسفة فحيث لم يمكن لهم رَفع اليَد عن قَواعدهم الفلسفية وافقت الشّرع أم لا وذهبوا الى اللّزوم والحَتم في قضاءه كما عرفت مُفصّلاً ومَعَ ذلك أرادوا التّقوّل بالسّمعيات من الآيات والأخبار والتّفوّه بما يَتَفوّه به غيرهم من المؤمنين فلا جَرم وقعوا في حيص وبيص فأوّلوا الآيات والأخبار وطبّقوها على عقائدهم وقواعدهم فقالوا ما قالوا في حلّ الإشكال بزعمهم كما رأيت شطراً منه:

وأمّا نحن فَلنا مَسلَك آخر في أمثال المقام وهو رَفع اليَد عن القواعد الفلسفية عند تَزاحمها للقواعد الشّرعية فالشّرع وما وَرَد فيه هو الأصل المُتّبع لنا في جَميع المَوارد وما سواه فَرعٌ عليه نعم لو أمكن لنا تطبيق الفَلسفة على الشّريعة من غير تكلّفٍ فيه فالجَمع أوَلىٰ من الطّرح اذا عرفت هذا فاعلم أنّ مسألة الجَبر والإختيار ليست فيها مُعاندة ومُنافرة بحسب الشّرع والفَلسفة بل هي تحكم فيها بما يحكم به الشّرع إلّا في تَفسير القضاء والقَدَر فأنّهما في الفَلسفة قد فُسّرا بخلاف ما فُسّرا به في الشّريعة المُقدّسة فأنّ القَضاء في عُرف الفَلاسفة عبارة عن علمه الكلّي بجميع الكلّيات والجزئيات على ما هو عليه دفعةً واحدة وقَدَره عبارة عن تفضيل قضاءه وإن شئت قلت قَدَره خُروجها من القوّة الى الفعل مفصّلاً بحسب إرادته وأمّا في عُرف غير الفَلاسفة فالقَضاء يطلق على أمور:

أحدها: العِلم ومنه قوله تعالى: **﴿إلّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا﴾**[1] يعني علمها.

وثانيها: الإعلام ومنه قوله تعالى:**﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ﴾**[2] أي أعلمنا:

وثالثها: الحُكم، ومنه قوله تعالى:**﴿ويقضي ربّك بالحقّ﴾** يعني يحكم به

١- يوسف ٦٨

٢ الاسراء ـ ٤

ورابعها: القول ومنه: ﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ﴾ (١) أي يقول به.

وخامسها: الحَتم ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ﴾ (٢) أي حَتمنا فهو القَضاء الحَتم.

وسادسها: الأمر ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ (٣) يعني أمَر ربّك.

وسابعها: الخَلق ومنه قوله تعالى: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ (٤) يعني خَلَقَّهن.

وثامنها: الفعل ومنه قوله تعالى: ﴿فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ﴾ (٥) أي فأفعل ما أنت فاعل.

وتاسعها: الإتمام ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ﴾ (٦) أي أتَّمَه.

وعاشرها: الفراغ من الشّيئ ومنه قوله تعالى: ﴿قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ (٧) يعني فرغ لكما منه إذا عرفت هذا وأنّ القَضاء يطلق في الكتاب علىٰ هذه المعاني المُختلفة فأيّ دليلٍ قام لنا من العَقل والنّقل علىٰ أنّ المُراد منه في مسألة القَضاء والقَدَر ليس إلّا ما ذكروه علىٰ سبيل الحَصر ثُمّ أيّ إشكال في حَمله علىٰ بعض هذه المعاني المَذكورة المُناسبة للشّرع والعَقل كالعِلم والأمر التّشريعي والأعلام وغيرها وأن يكون المُراد بالعِلم هو معناه المَصدري أعني به إنكشاف المعلوم لَدىٰ العالم مع أنّ الآيات تُساعده والأخبار تُؤيّده والعقُول السّليمة تعضده ومن الواضح أنّ العلم بهذا المعنىٰ لا عِلّيته فيه حتّىٰ يكون فعل العَبد معلولاً له نعم فعله لا يكون مُخالفاً لعلمه تعالىٰ من حيث تعلّق العلم بما سيفعله أو يتركه بعدُ بإختياره وإرادته وهذا هو الّذي يَقتضيه العَقل وَوَردَ به النّص ولنُشر الىٰ بعض ما وَرد في المقام:

١- سورةغافر ـ ٢٠
٢- سبا ـ ١٤
٣-الاسراء ـ ٢٣
٤فصلت ١٢
٥ طه ـ ٧٢
٦- قصص ـ ٢٩
٧- يوسف ـ ٤١

منها ـ ما رواه في البحار بأسناده عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال أنّ اللّه عزّ وجلّ خَلق الخَلق فعِلم ماهم صائرون اليه وأَمَرهم ونَهاهم فما أمَرهم به من شيْ فجَعل لهم السّبيل بالأخذ به وما نهاهم عنه فقد جعَل لهم السّبيل الىٰ تَركه ولا يكونوا فيه آخذين ولا تاركين إلّا بإذن اللّه عزّ وجلّ، قال الصّدوق رحمه الله يعني بعلمه انتهىٰ « بحار الأنوار ج ٣ ص ١٢ »...

ومنها ـ ماروواه بأسناده عن مُحمّد الطّيار قال سألت أبا عبد اللّه عن قول اللّه عزّ وجلّ: ﴿وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ﴾ (١) قال عليه السلام يستطيعون يستطيعون الأخذ بما أُمروا به والتّرك لما نهوا عنه وبذلك إبتلوا ثُمّ قال ليس شيْ ممّا أُمروا به ونُهوا عنه إلّا ومن اللّه عزّ وجلّ فيه إبتلاء وقضاء انتهىٰ « ص ١٢ »...

ومنها ـ ما رواه بأسناده عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال ما كلّف اللّه العباد كلفة فعلٍ ولا نَهاهم عن شيْ حتّىٰ جَعَل لهم الإستطاعة ثُمّ أمَرهم ونَهاهم فلا يكون العَبد آخذاً ولا تاركاً إلّا بإستطاعةٍ مُتقدمة قبل الأمر والنّهي وقبل الأخذ والتّرك وقبل القَبض والبَسط انتهىٰ « ص ١٢ »...

ومنها ـ ما رواه عن هشام بن سالم قال سمعت أبا عبد اللّه عليه السلام يقول لا يكون من العَبد قبض ولا بَسط إلّا بإستطاعةٍ متقدمة للقبض والبَسط انتهىٰ « ص ١٢ »...

ومنها ـ ما رواه بأسناده عن أبي بصير عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال سمعته يقول وعنده قوم يتناظرون في الأفاعيل والحَركات فقال عليه السلام الإستطاعة قبل الفعل لم يأمر اللّه عزّ وجلّ بقبضٍ ولا بَسطٍ إلّا والعَبد لذلك مُستَطيع انتهىٰ « ص ١٢ »...

ومنها ـ ما رواه عن الهَروي قال سأل المأمون الرّضا عليه السلام عن قول اللّه عزّ وجلّ ﴿ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ

١ ـ القلم ـ ٤٣

سَمْعاً[1] فقال أنّ غطاء العين لا يمنع من الذكر والذّكر لا يرىٰ بالعيُون ولكنّ اللّه شبّه الكافرين بولاية علّي بن أبي طالب عليه السلام بالعميان لأنّهم كانوا يستثقلون قول النّبي صلى الله عليه وآله فيه وكانوا لا يستطيعون سمعاً فقال المأمون فرّجت عنّي فرّج اللّه عنك انتهىٰ« ص ١٢»...

ومنها ـ ما رواه بأسناده عن حَمزة بن حمران قال قلت له (أي للصّادق عليه السلام) أنّا نقول أنّ اللّه لم يُكلّف العباد إلّا ما أتاهم وكلّ شيءٍ لا يطيقون فهو عنهم موضوع ولا يكون إلّا ما شاء اللّه وقضىٰ وقدّر وأراد فقال عليه السلام واللّه أنّ هذا ديني ودين آبائي انتهىٰ« ص ١٣»...

ومنها ـ روي جماعة من عُلماء الإسلام عن نبيّهم صلى الله عليه وآله قال لعنت القّدرية علىٰ لسان سبعين نبيّاً قيل ومَن القّدرية يارسُول اللّه فقال صلى الله عليه وآله قومٌ يَزعمون أنّ اللّه سبُحانه قدّر عليهم المعاصي وعذّبهم عليها وروي أخبرني بأعجب شيءٍ رأيت قال رأيت قوماً ينكحون أُمّهاتهم وبناتهم وأخواتهم فإذا قيل لهم لِمَ تفعلون هذا قالوا قضاه اللّه علينا وقدّره فقال النّبي صلى الله عليه وآله سيكون أقوام يقولون مثل مقالتهم أُولئك مجُوس أُمّتي.

وروي صاحب الفائق وغيره عن جابر بن عبد اللّه عن النّبي صلى الله عليه وآله أنّه قال يكون في آخر الزّمان قوم يعملون المعاصي ويقولون أنّ اللّه قد قدّرها عليهم الرّاد عليهم كشاهر سيفه في سبيل اللّه انتهىٰ« ص ١٤»...

والأحاديث في الباب كثيرة وفيما ذكرناه كفاية وسيجيءُ في الأمر بين الأمرين أكثر من هذا:

الأمر الرّابع في بيان أدلّة المفوضية وما تمّسكوا به عقلاً ونقلاً وتحقّيق الكلام فيه:

إعلم أنّ التّفويض عبارة عن إيكال الأمر الىٰ العَبد بمعنىٰ أنّ اللّه خلق وأوجد فيهم القُدرة علىٰ الفعل والتّرك ثُمّ فوّض اليهم الإختيار فهم يستّقلون

١ـ كهف ـ ١٠١

بإيجاد الفعل على وفق مشيّئتهم وإرادتهم وطبق قُدرتهم وزَعموا أنّه تعالىٰ أراد منهم الإيمان والطّاعة وكره منهم الكُفر والمَعصية لكنّهم فعلوا بإرادتهم ما شاؤوا وقالوا وعلىٰ هذا يظهر أُمور الأوّل فائدة التّكليف بالأوامر والنّواهي وفائدة الوّعد والوّعيد، الثّاني إستحقاق الثّواب والعقاب، الثّالث تنزيه اللّه عن إيجاد القبائح والشّرور التّي هي أنواع الكُفر والمعاصي وعن إرادتها ولكنّهم غفِلوا عمّا يلزم عليهم فيما ذهبوا اليه من إثبات الشّركاء لِلّه في الإيجاد حقيقة ولا شبهة أنّه أشنع من جَعل الأصنام شفعاء عند اللّه، وأيضاًيلزمهم أنّ ما أراده ملك الملوك لا يُوجد في ملكه وأنّ ما كَرهه يكون موجوداً وذلك نقصان شنيع في السّلطَنة والمَلكوت تعالىٰ اللّه عنه علّواً كبيراً كما ستعرف الكلام فيه مفصّلاً.

والمَشهُور عند المحققين هو أنّ أوّل من تكلّم بهذه المَقالة في الإسلام وعُرف بها أبو حُذيفة واصل بن عطاء ولد بالمدينة سنة ثمانين من الهجرة وتوفّي سنة مِائة وثلاثين بعدها بالبَصرة وكان في بدو الأمر من تلامذة الحَسن البَصري ثمّ إعتَزَل ووافقه عليه غيره فقال الحَسَن إعتَزَل عنّا واصل بن عطاء ولأجل هذا يُسّمون بالمُعتزلة كما إنّ المجّبرة لأجل مُتابعتهم لأبي الحَسَن الأشعري يسّمُون بالأشاعِرة فالأشاعِرة تقول بالجَبر والمُعتزلة بالتّفويض وقد إختلفوا في أمور:

أحدها: إنّ المُعتزلة قالت بعينيّة العِلم والقُدرة والحَياة لِلذّات الواجبي فهو تعالىٰ يعلم بذاته وهكذا لا بشيئٍ آخر غير ذاته بخلاف الأشاعِرة فإنّها قالت بزيادتها على الذّات:

وثانيها: إنّ الصّفات القديمة علىٰ مسلك الإعتزال عبارة عن المعاني القائمة بالذّات والأشاعِرة تقول بخلافه.

وثالثها: قالت المُعتزلة معنىٰ السّمع والبَصَر فيه تعالىٰ علمه بالمَسمُوعات والمُبصرات وإنّ المشيئة والإرادة والصّانعية من المعاني الفعلية وهكذا التكلّم

في حقّه تعالى وأمّا الأشاعِرة فقالت بخلاف ما قالته المُعتزلة فالكلام الإلهي على مسلك الإعتزال حادث مخلوق وعلى مسلك الأشاعرة قديم غير مخلوق.

ورابعها: الرُؤيّة، قالت المُعتزلة رُؤية الباريْ غير مُمكنة في الدّنيا والآخرة بخلاف الأشاعرة فإنّها قالت بإمكانها ولا سيّما في الآخرة:

وخامسها: إنّ المُعتزلة قالت بتفويض الأمر من اللّه تعالى الى عباده فيفعل ما يشاء، وأمّا الأشاعرة فقالت بالجَبر وإنّ العَبد لا قدرة له حقيقةً كما مَرّ:

وسادسها: القول بالحَسَن والقُبح العقلّيين مع إنّ الأشاعرة تقول لا حُسن إلّا ما حسنّه الشّرع ولا قُبح إلّا ما قبحّه الشّرع ولا دخل للعقل فيهما وهكذا غيرها من موارد الإختلاف بينهم:

ومن رؤساءِ هذا المَذهب عمرو بن عبيد وأبي الهذيل العلاّف وعثمان بن خالد وأبي إسحاق إبراهيم بن السّيار المشهّور بالنّظام وعمرو بن بحر الجاحظ البصري وأبو علّي الجبائي وأمثالهم ثمّ أنّ المُعتزلة في إثبات مذهبها تمّسكت بالآيات:

قوله تعالى: **﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾**(١)

وجه الإستدلال بها هو أنّ الإستطاعة والقُدرة على الفعل قبل وجود الفعل يكون موجوداً في العَبد وإلّا لا معنى لتكذيبه العَبد في الإعتذار بعَدم الإستطاعة لنصرة الرّسُول ﷺ ولا نعني بالتّفويض إلّا هذا:

قوله تعالى: **﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾**(٢)

وجه الإستدلال بها أنّ اللّه تعالى قال لِنسألنّهم عمّا كانوا يَعملُون ولم يقل لنسألنهم عمّا قُدّر لهم مثلاً ولو كان الأمر على غير مَسلَك التّفويض لما قال هذا

١- التّوبة ـ ٤٢

٢- الحجر ـ ٩٢-٩٣

قوله تعالى: ﴿بَلِ الإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفسِهِۦ بَصِيرَةٌ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾ (١)

أثبت الله تعالى لِلإنسان على نفسه بَصيرة بها يدفع القَبائح عنها وهو دليل على التّفويض قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَىٰ وَءَاثَرَ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ (٢)

و : ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً﴾ (٣)

و : ﴿فَمَن يَعْمَل مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُۥ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَه﴾ (٤)

و : ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وإِمَّا كَفُوراً﴾ (٥)

و : ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ (٦)

و : ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ (٧)

و : ﴿وما الله يريد ظُلماً لِلعباد وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (٨)

و : ﴿وَأَن لَيْسَ لِلإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ (٩) وأمثالها من الآيات.

وجه الإستدلال في الكلّ بزعمهم ظاهر فأنّها تدّل على أنّ كلّ ما يَصدر من العَبد من خَير أو شَرٍ أنّما يصدر منه نفسه وهو التّفويض لا غيره ضرورة أنّ القَبائح من الأعمال والأفعال الصّادرة من العَبد لا تخلو حالها أمّا أن تصدر منه نفسه أو من الله أو منهما معاً لا سبيل الى الثّاني والثّالث فتّعين الأوّل وهو المطلوب وأنّما قلنا لا سبيل الى الثّاني والثّالث لأنّ الله تعالى مُنّزه عن إستناد القبائح اليه وأمّا الأخبار الواردة في الباب فلا نحتاج الى ذكرها مع تصريح الآيات على المُدّعى هذا ما قالوه في المقام ملخّصاً.

وأنا أقول إنّما ذهبت المُعتزلة الى التّفويض وأنّ العَبد يفعل ما يشاء لأنّ

١- القيامة ـ١٤ و ١٥
٢- الذّاريات ـ٣٧-٤١
٣- الكهف ـ١١٠
٤- الزلزال ـ٧
٥- الإنسان ـ٣
٦- الملك ـ٢
٧- المدّثر ـ٣٨
٨- النحل ـ١١٨
٩- النجم ـ٣٩

الأفعال القَبيحة الصّادرة من العَبد لا يصّح إستنادها الىٰ اللّه تعالىٰ لتَنزهه تعالىٰ عنهما مُضافاً الىٰ أنّ القول بالتّفويض يثبت الإختيار للعَبد وهو موافق للعَقل والنّقل بل الحِسّ أيضاً وهذا في باديء الأمر لا إشكال فيه إلّا أنّه بعد التّعمق والتّدبر في هذا المَسلك ترىٰ أنّهم نَفَوا سلطنة اللّه تعالىٰ علىٰ ممَلَكته وخَلقه وفَوّض أمَره الىٰ عباده بحيث لا دَخل له في أفعاله وأعماله وعليه فلا معنىٰ لِلقضاء والقَدَر والمَشيّة والإرادة فيه تعالىٰ وهذا كُفر باللّه العظيم أو شركٌ به ونحن وأن وافقناهم في أصل الإختيار وأنّ القبائح لا تُستند اليه تعالىٰ بل إستنادها الىٰ العَبد أولىٰ منه اليه كما ستعرف الحال فيه إلّا أنّ الإختيار بمعنىٰ سلب القُدرة عن الخالق لا نقول به فهذا هو الفارق بيننا وبينهم.

وأمّا الآيات التّي إستَدلوا بها علىٰ المُدّعي فلا دلالة لها عليه وذلك لأنّها لا تُثبت أكثر من الإختيار في حقّ العَبد وأنّه مجزّي بعَمَله أو مسئول عنه فهذا كلّه لا كلام لنا فيه وأمّا أنّها تدّل علىٰ تفويض الأمر من الرّب الىٰ العَبد فأينَ هذه الدّلالة ومجّرد الدّعوىٰ لا يكفي إذا لم يكن مُؤيّداً بالعَقل والنّقل أَليس هذا من قبيل ما حكاه اللّه تعالىٰ عن اليَهود: ﴿قَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ (١) وكيف كان فقولهم هذا مَردُود عقلاً ونقلاً، أمّا العقل فلوجوه:

أحدها: إنّ العَبَد مخلوق له تعالىٰ وهو خالقه وقد ثبت إنّ بقاء الممكن وحياته بوجود الواجب وإفاضاته المُترشحة منه علىٰ ما سواه آناً فآناً ولذلك قيل إنّ المُمكنات ليست إلّا المُتدّليات بالعِلّة المُستفيضات بإفاضاتها بل لا وجود لها في قبال وجود خالقها وما كان كذلك فكيف يكون في فعله وعَمَله غير مُرتبطٍ الىٰ خالقه مُستغنياً عنه وهل هذا إلّا قطع الرّابطة بين الخالق والمَخلوق المُستلزم لِعَدم بقاءه لحظةً واحدة فضلاً عن فِعله وعَمَله:

وثانيها: إنّ الأمر لو كان مفوّضاً اليه فلا يخلو إمّا أن يكون التّفويض الىٰ العَبَد لأجل عجز الخالق وضعفه عن التّدبير والتّقدير أو لانّ العَبَد يكون أعرف

١-مائده ۶۴

وأعلم بمصلحة الفِعل منه تعالىٰ فعلىٰ الأوّل يلزم عدم صلاحيّة للخالقية لعدم قدرته وعلىٰ الثاني يلزم جهله وهو كما ترىٰ وإن كان في المقام مصلحة أُخرىٰ لأجلها فَوّض الأمر الىٰ عبده فما هي:

وثالثها: يلزم أن يكون العَبد مُستغنياً عن خالقه في جميع أموره إذ المفروض إنّ القُدرة مُفوّضة اليه وإنّه يفعل ما يشاء بميله وإرادته وهذا منافٍ لِما يقتضيه المُمكن بحَسب ذاته وفطرته وإنّه من شأنه أن يكون ليساً ومن عِلّته أن يكون آيساً فهو ليس بِمُمكن بل هو في الحقيقة واجبٌ يَفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وأمّا النّقل فمن الآيات قوله تعالى: **﴿فَلَوْ لا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾**(١)

و: **﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ، وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾**(٢)

و: **﴿قُل إنّ الفضل بيد اللّه يؤتيه من يشاء﴾**(٣)

و: **﴿وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُم وَرَحْمَتُهُ لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلاً﴾**(٤) و: **﴿ولولا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوك﴾**(٥)

و: **﴿إيّاك نعبُد وإيّاك نَستعين إهدنا الصّراط المُستقيم﴾**(٦)

و: **﴿وَنُوحاً إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾**(٧)

و: **﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾**(٨)

و: **﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِك﴾**(٩)

وأمثالها من الآيات فإنّها تنادي بأعلىٰ صوتها إنّ العبد محتاج في أفعاله وأعماله الىٰ اللّه تعالىٰ وما توفيقي إلّا باللّه عليه توكّلت واليه أُنيب.

وقد وَرَد في الدّعاء المأثور عن السّجاد عليه السلام إنّه قال أصبحنا يحوينا مُلكك وسلطانك وتضمّنتنا مشيّتك ونتصرّف عن أمرك ونتقلّب في تدبيرك ليس لنا

١- البقرة ـ٦٤
٢- البقرة ـ١٠٥
٣- آل عمران ـ٧٣
٤- النساء ـ٨٣
٥- النساء ـ١١٣
٦- الفاتحة ـ٥
٧- الأنبياء ـ٧٦
٨- الأنفال ـ١٧
٩- النساء ـ٧٩

من الأمر إلّا ما قَضَيت ولا من الخير إلّا ما أعطيت الخ وفي موضع آخر فإنّك أن وكَلتني الى نفسي هَلَكتُ، وفي مَوضع آخر سيّدي لولا نورك عميتُ عن الدّليل ولولا تبصيرك ضللتُ عن السّبيل، وقال عليه السلام فا من أكرَمني بتوحيده وعَصَمني من الضّلال بتسديده وألزمني إقامة حدُوده لا تسلبني ما وَهبتَ لي من تحقّيق مَعرفتك الخ.

ومن الأخبار ما رواه في البحار بأسناده عن أبي جعفر الباقر عليه السلام أنّه قال للحسن البَصري أياك أن تقول بالتّفويض فأنّ اللّه عزّ وجلّ لم يُفَوض الأمر الى خَلقه وهَناً منه وضَعفاً ولا أجبرهم على معاصيه ظُلماً الخبر ج ٣ ص ٦.

ومنهاـ ما رواه بأسناده عن أبي إبراهيم عليه السلام قال مَرَّ أمير المؤمنين بجماعةٍ بالكُوفة وهُم يَختصمُون بالقَدَر فقال عليه السلام لمُتكلّمهم أباللّه تستطيع أم من دون اللّه تستطيع فلم يَدر ما يرّد عليه فقال أمير المؤمنين إن زَعمتَ أنك باللّه تستطيع فليس اليك من الأمر شيءٌ وأن زعمت أنّك مَع اللّه تستطيع فقد زعمتَ أنّك شريك مَعه في مُلكه وأن زَعمتَ أنّك من دون اللّه تستطيع فقد إدّعيت الرّبوبية من دون اللّه فقال يا أمير المؤمنين لا بل باللّه أستطيع فقال أما أنّك لو قلت غير هذا لضربتُ عُنقك انتهىٰ ص ١٢.

ومنهاـ ما رواه عن هشام بن سالم عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال في قول اللّه تعالىٰ: **﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾**(١) فقال عليه السلام كانوا يقولون قد فرغ من الأمر انتهىٰ ص ١٤.

ومنهاـ ما رواه أيضاً أنّ الفضل بن سَهل سأل الرّضا عليه السلام بين يَدي المأمون فقال يا أبا الحسن الخَلق مَجبُورون فقال عليه السلام اللّه أعدَل من أن يُجبر خَلقه ثمّ يُعذّبهم قال فَمُطلقُون قال عليه السلام اللّه أحكَم من أن يَهمل عَبده ويَكله الىٰ نفسه انتهىٰ ص ١٧.

وبأسناده عن أبي إمامة قال رسُول اللّه صلى الله عليه وآله أربعة لا ينظر اللّه اليهم يوم

١ـمائده ٦٤

القيامة، عاق، ومنّان، ومُكذّب بالقَدَر، ومُدمن خَمر انتهى.

وبأسناده عن علّي بن الحسين قال قال رسُول اللّه ﷺ ستّة لعنهم اللّه وكلّ نبي مُجابٌ، الزّائد في كتاب اللّه والمكذّب بقَدر اللّه، والتّارك لسُنّتي والمُستّحل من عترتي ما حَرَم اللّه والمسّلط بالجَبروت ليذّل من أعزّه اللّه ويعزّ من أذّله اللّه والمُستأثر بفئ المُسلمين المُستّحل له انتهى ص ٢٦.

وبأسناده عن أبي الحسن الأوّل قال لا يكون شئ في السّموات والأرض إلّا بسبعة، بقضاءٍ وقَدَرٍ ومَشيّةٍ وإرادةٍ وكتاب وأجلٍ وإذنٍ فمن قال غير هذا فقد كذب على اللّه أو ردّ على اللّه انتهى ص ٢٧.

وبأسناده عن الرّضا ﷺ قال قال رسُول اللّه ﷺ أنّ اللّه عزّ وجلّ قدّر المقادير ودبّر التّدابير قبل أن يَخلق آدم بألفَي عامٍ انتهى ص ٢٨ ورُوي أنّه سُئل أمير المؤمنين عن القَضاء والقَدَر فقال ﷺ لا تقولوا وكّلهم اللّه الى أنفسهم فتوّهنوه ولا تقولوا أجبرهم على المَعاصي فَتَظّلموه ولكن قولوا الخَير بتوفيق اللّه والشّر بخذلان اللّه وكلّ سابق في علم اللّه انتهى ص ٢٨.

وبأسناده عن أبي عبد اللّه ﷺ قال النّاس في القَدر على ثلاثة أوجه، رجل زعم أنّ اللّه عزّ وجلّ أجبر النّاس على المعاصي فهذا قد ظّلم اللّه عزّ وجلّ في حكمه وهو كافر، ورجل يزعم أنّ الأمر مفوّض اليهم فهذا وَهَن اللّه في سلطانه فهو كافر ورجل يقول أنّ اللّه عزّ وجلّ كلّف العباد ما يطيقون ولَم يُكلّفهم ما لا يطيقون فإذا أحسَن حَمد اللّه وإذا أساء إستغفر اللّه فهذا مُسلمٌ بالغ انتهى ص ٤ والأخبار كثيرة جدّاً.

ثمّ أنّ كلمة القَدرية قد شاعت وكثرت في الأخبار وألسنة النّاس فقد قال رسُول اللّه ﷺ القَدرية مجوس هذه الأمّة وقد رواه الموافِق والمُخالف وإختلفوا في المراد منها فقالت المُفوضة القَدرية الأشاعرة القائلين بالقَضاء والقَدَر وأنّ أفعال العَبد مُستَندة اليها سمّيت القَدرية بها، لإستنادهم الأفعال الى قضاءه وقَدَره، وقالت المجبرة المراد بها أهل التّفويض الّذين يقولون بأنّ العَبد

قادر على كلّ شيئ قال المَجلسي ﷺ إعلم أنّ لفظ القَدري يطلق في أخبارنا على الجَبري وعلى التّفويض وقد أحال كلٌّ من الفريْقين ما وَرد في ذلك على الآخر.

قال شارح المقاصد لا خلاف في ذَمّ القَدرية وقد وَرد في صحاح الأحاديث لَعَن اللّه القَدرية على لسان سبعين نَبيّاً والمراد بهم القائلون بنفي كون الخَير والشّر كلّه بتقدير اللّه ومَشيّئته سمّوا بذلك لمُبالغتهم في نفيه وقيل لإثباتهم للعَبد قُدرة الإيجاد وليس بشيئ لأنّ المُناسب حينئذٍ القُدري بضَم القاف وقالت المُعتزلة القَدرية هم القائلون بأنّ الخَير والشّر كلّه من اللّه وبتقديره ومَشيّئته لأنّ الشّايع نسبة الشّخص الى ما يُثبته كالجُبرية والحنفية والشّافعية لا الى ما ينفيه ويرده ورُدّ هذا القول بأنّه صحّ من النّبي ﷺ القَدرية مجوس أُمّتي وقوله اذا قامت القيامة نادى مُنادي أهل الجَمع أينَ خُصماء اللّه فتقوم القَدرية ولا خفاء في أنّ المَجوس هم الّذين ينسبون الخَير الى اللّه والشّر الى الشّيطان ويُسمّونها يزدان وأهرمن وأنّ من لا يُفوّض الأمر كلّها الى اللّه تعالى ويفرز بعضها وينسبه الى نفسه يكون هو المُخاصم لِللّه تعالى وأيضاً من يضيف القَدَر الى نفسه ويدّعي كونه الفاعل والمُقدر أولى بإسم القَدري مِمّن يضيفه الى ربّه انتهى.

قال العلامَة ﷺ في شرحه على التّجريد قال أبو الحسن ومحمود الخوارزمي وجه تَشبيهه ﷺ المجْبرة بالمَجوس من وجوهٍ:

أحدها: أنّ المَجوس إختصوا بمقالات سخيفة وإعتقادات واهية معلومة البطلان وكذلك المجْبرة.

وثانيها: أنّ مذهب المَجوس أنّ اللّه تعالى يَخلق فعله ثُمّ يتَبرأ منه كما خَلق إبليس ثُمّ انتفى عنه وكذلك المجْبرة قالوا أنّه تعالى يفعل القَبائح ثُمّ يَتبرأ منها، **وثالثها**: أنّ المَجوس قالوا أنّ نكاح الأُمهات والأخوات بقضاء اللّه وقَدَره وإرادته ووافقهم المجْبرة حيث قالوا أنّ نكاح المَجوس لأخواتهم وأُمّهاتهم

بقضاء الله وقَدَره وإرادته.

ورابعها: أنّ المَجوس قالوا أنّ القادر علىٰ الخَير لا يقدر علىٰ الشّر وبالعكس والمجّبرة قالوا أنّ القُدرة مُوجبة للفعل غير متّقدمةٍ عليه فالإنسان القادر علىٰ الخَير لا يقدر علىٰ ضدّه وبالعكس انتهىٰ.

وقال صدر المتألهين في شرحه علىٰ أُصول الكافي في معنىٰ قوله ﷺ: **وقدّرية هذه الأُمّة ومَجوسها**، أي تلك مقالة قدَرية هذه الأُمّة وقد وَرد الحَديث فيهم أنّ القَدرية مَجوس هذه الأُمّة وإختلفوا في أنّ المراد بالقَدرية الواقعة في الحَديث أيّ الفَريقين وكلّ منهما يقول أنّ المراد هو الآخر إذ لكلّ منهما وجه من الشّباهة بالمَجوس القائلين بالخَير والشّر وأنّهما ليسا مِنّا بل من غيرنا وأنّ فاعل الخَير هو يزدان وفاعل الشّر هو أهرمن فالقائلون بأنّ العَبد مَجبُور في فعله هم كالمَجوس في قولهم الأوّل والقائلون بأنّ العَبد فاعل في فعله مفّوض اليه لإختيارهم كالمَجوس في قولهم الثّاني انتهىٰ.

وأنا أقول لا فَرق بينهما في إطلاق القَدرية علىٰ كلّ واحدٍ من الفَريقين فأنّ الأمر يدور مدارهما والجمع مهما أمكن أولىٰ من الطّرح ففي بعض الأخبار أطلقت القَدرية علىٰ المجّبرة وفي بعضها علىٰ المفّوضة وهو يدّل علىٰ قُبح المَسلَكين وذمّ الفَريقين وهو يكفينا في أنّ الجَبر والتّفويض كلاهما مذمومان فلابدّ لنا من مَسلَكٍ آخر وهو الأمر بينَ الأمرين والمَنزلة بين المَنزلتين فأنّ الأمر لا يخلو أمّا أن يكون الفعل مُستَنداً اليه تعالىٰ فقط أو الىٰ العَبد كذلك أو اليهما مَعاً وحيث قد ثَبت إستحالة الأوّل والثّاني فتُعين الثّالث وهو المطلوب.

الأمر الخامس الأمر بين الأمرين والأصل فيه قول الصّادق ﷺ **لا جَبر ولا تَفويض بل أمرٌ بين الأمرين**، إعلم أنّ المراد بالجَبر المنَفي هو ما ذهبت اليه الأشاعرة من أنّ الله تعالىٰ أجرىٰ الأعمال علىٰ أيدي العباد من غير قدرةٍ مُؤثرةٍ لهم فيها وعذّبهم عليها، والمراد بالتّفويض المنَفي في الشّريعة هو ما ذهبت اليه المُعتزلة من أنّه تعالىٰ أوَجد العباد وأقَدرهم علىٰ تلك الأفعال وفوّض

اليهم الإختيار فهم مُستقلون بإيجادها على وفق مشيّئتهم وقُدرتهم وليس لِللّه في أفعالهم صُنع، وأمّا الأمر بين الأمرين فالّذي يظهر من الأخبار أنّ لهداياته وتَوفيقاته تعالىٰ مدخلاً في أفعال العباد بحيث لا يصل الىٰ حدّ الإلجاء والإضطرار كما أنّ سيّداً أمَر عَبده بشيئٍ يقدر علىٰ فعله وفهّمه ذلك وَوَعَده علىٰ فعله شيئاً من الثّواب وعلىٰ تَركه شَيئاً من العقاب فلو إكتفىٰ من تَكليف عَبده بذلك ولَم يَزد عليه مَع علمه بأنّه لا يَفعل الفعل بمحض ذلك لَم يكن مَلُوماً عند العُقلاء لو عاقبه علىٰ تَركه ولا يَقول عاقل بأنّه أجْبَره علىٰ ترك الفعل ولو لم يَكتف السّيد بذلك وزاد في ألطافه والوَعد بإكرامه والوَعيد علىٰ تَركه وأكّد ذلك ببَعث من يَحثّه علىٰ الفعل ويُرّغبه فيه ثُمّ فعل بقُدرته وإختياره ذلك الفعل فلا يَقول عاقل بأنّه أجَبَره علىٰ ذلك الفعل وأمّا فعل ذلك بالنّسبة الىٰ جماعةٍ وتركه بالنّسبة الىٰ آخرين فيرجع الىٰ حُسن إختيارهم وطوّيتهم أو سُوء إختيارهم وقُبح سريرتهم.

ما نقول بهذا لا يوجب نسبة الظّلم اليه تعالىٰ بأن يَجبرهم علىٰ المعاصي ثُمّ يُعذّبهم عليها كما يلزم الأوّلين ولا عزله تعالىٰ عن ملكه وإستقلال العباد بحيث لا مَدخَل لِللّه تعالىٰ في أفعالهم فيكونوا شركاء لِللّه في تَدبير عالم الوجود كما يلزم الآخرين ويُؤيّده ما رواه الكليني عن أبي عبد اللّه أنّه سأله **رجل أجَبر اللّه العباد علىٰ المعاصي قال ﷺ لا فقال ففوّض اليهم الأمر قال ﷺ لا قال فماذا قال ﷺ لُطفٌ من ربّك بين ذلك** وقيل أنّ المراد بالتّفويض المنّفي هو كون العَبد مُستقّلاً في الفعل بحيث لا يقدر الرّب تعالىٰ علىٰ صرفه عنه، والأمر بين الأمرين هو أنّهم جُعلوا مُختارين في الفعل والتّرك مع قُدرته علىٰ صَرفه أيّاهم عمّا يختارون ومنهم من فَسّر الأمر بين الأمرين بأنّ الأسباب القريبة للفعل يرجع الىٰ قُدرة العَبد والأسباب البعيدة كالآلات والأسباب والأعضاء والجَوارح والقُوىٰ الىٰ قُدرة الرّب تعالىٰ فقد حَصَل الفعل بمجموع القُدرتين وفيه أنّ التّفويض بهذا المعنىٰ لم يَقُل به أحَد حتّىٰ يرّد عليه:

ومنهم من قال أنّ الأمر بين الأمرين كون بعض الأشياء بإختيار العَبد وهي الأفعال التّكليفية وكون بعضها بغير إختياره كالصّحة والمَرض والنّوم واليَقظة والذّكر والنّسيان وأشباه ذلك ويرّد عليه ما أوردناه علىٰ الوجه السّابق واللّه أعلم بحقائق الأُمور إذا عرفت هذا فنقول:

قد عرفت أنّ فعل العَبد لا يَخلو عن وجوهٍ ثلاثة ولا رابع له:

أحدها: أن يكون مُستَنداً الىٰ الرّب واقعاً وحقيقتاً علىٰ وجه الإستقلال من دون أن يكون لإرادة العَبد فيه مَدخلٌ وأنّما يكون العَبد في المقام واسطة في الإيجاد كما أنّ المِنشار والقدوم وأمثالهما آلاتٌ وأسباب للفاعل في إيجاد صُنعه وهذا هو القول بالجَبر وقد نفيناه عقلاً ونقلاً.

وثانيهما: عكسه وهو أن يكون العَبد مُستقلاً في فعله واقعاً ولا يكون لإرادة الحقّ فيه مدخلٌ أصلاً بمعنىٰ أنّ الخالق خَلق الخَلق وأوجد فيهم القُدرة والإرادة فهو الّذي يفعل أو لا يفعل بميله وإرادته.

وثالثها: أن لا يكون فعله مستنداً اليه تعالىٰ بالإستقلال ولا اليه أي الىٰ العَبد كذلك بل يستند اليهما في الحقيقة ففي المَفروض المنفّي هو الإستناد علىٰ صورة الإستقلال لا مُطلقاً فالإستناد ثابت والإستقلال مَنفّي ويعرف بالأمر بين الأمرين وهذا هو محّل البَحث فعلاً ويؤيدّه العَقل والنّقل أمّا العقل فلوجُوه:

أحدها : إنّه لو لم نقل به فلا مُحالة نقول بالجَبر أو التفويض لإنّ الفِعل كما عَرفت لا يخلو عن الثّلاثة والقول بالجَبر مُستلزم لإستناد الظّلم اليه تعالىٰ والظّلم قبيح وهو منّزه عنه عقلاً كما قلت في التّوحيد، وأمّا القول بالتّفويض فهو مُستلزم لِتعطيل القُدرة والإرادة فيه وهو نقصٌ وعجزٌ والعقل قد حكم ببطلانه أيضاً في حقّه تعالىٰ حِفظاً لِعموم قدرته وإذ إنتفىٰ هذان الأمران بقىٰ **الثّالث:** وهو المطلوب .

وثانيها: إنّ الجَبر إفراط والتّفويض تفريط وكلاهما مذمومان في جميع الموارد محكومان في جميع الشئون فليَكن الأمر في العقائد أيضاً هكذا لِعَدم

جواز التّخصيص في العقّليات وإنتفاء الأمرين يستلزم إثبات الثّالث الّذي بمعزلٍ عن الإفراط والتّفريط وهو الأمر بين الأمرين:

وثالثها: إنّ القول به عين العَدَل والقول بهما عين الظّلم والعَقل يحكم بحُسَن العَدَل وقُبح الظّلم فالأخذ به أولىٰ من الأخذ به عقلاً وهو المطلوب

وأمّا الأدّلة النّقلية:

فمن الآيات قوله تعالىٰ: **﴿وَمَن يَكْسِبْ إِثْماً فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْماً ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئاً فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَاناً مُبِيناً﴾** (١)

و : **﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُمْ مَّن ضَلَّ إِذَ اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً﴾** (٢)

و : **﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً وَلَٰكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾** (٣)

و : **﴿قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾** (٤)

و : **﴿إِنَّ اللَّهِ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾** (٥)

و : **﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾** (٦)

و : **﴿وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِداً﴾** (٧)

و : **﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْأَخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَالَهُ فِي الْأَخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾** (٨)

و : **﴿مَن عَمَل صالحاً فلنفسه ومن أساءَ فعليها ثمّ الىٰ ربّكم تُرجعون﴾** (٩)

و : **﴿ولكلٍ درجاتٍ ممّا عملوا وليوفّيهم أعمالهم وهم لا يُظلمُون﴾** (١٠)

قوله تعالىٰ: **﴿وَأَن لَيْسَ لِلإِنْسَنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ وَإِنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ، ثُمَّ يُجْزَهُ**

١- النّساء الآيات ١١١ و ١١٢
٢- المائدة ـ ١٠٥
٣- يونس ـ ٤٤
٤- يونس ـ ١٠٨
٥- الرّعد ـ ١١
٦- الكهف ـ ٢٩
٧- الكهف ـ ٥٩
٨- الشّورىٰ ـ ٢٠
٩- الجاثية ـ ١٥
١٠- الأحقاف ـ ١٩

الْجَزَآءَ الْأَوْفَىٰ﴾ (١)

و: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ (٢)

و: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَيٰه بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ﴾ (٣)

و: ﴿إنّا هديناه السّبيل إمّا شاكِراً وإمّا كَفوراً﴾ (٤)

و: ﴿ لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ﴾ (٥) والآيات في الباب كثيرة ووجه الإستدلال بها على المَدّعىٰ غير خفيٍّ على من له تَدَبُّر وتعَمّقٌ ومع هذه الآيات الدّالة على الإختيار كيف يمكن لأحدٍ القول بعدمه مَع أنّ ما ذكرناه منها بالنّسبة الىٰ ما لم نذكره مخافة الإطناب قليل جدّاً هذا كلّه مُضافاً الىٰ إنّ القول بالجَبَر والتّفويض يُهدم أساس الشّريعة كما عرفت الوجه فيه:

وأمّا الأخبار، فمنها ما رواه في البحار بإسناده عن الوشا عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام قال سألته فقلت اللّه فوّض الأمر على العِباد قال عليه السلام اللّه أعزّ من ذلك قلتُ فأجبرهم على المعاصي قال عليه السلام اللّه أعَدل وأحَكم من ذلك ثمّ قال عليه السلام قال اللّه عزّ وجلّ:يا ين آدم أنا أولىٰ بِحَسَناتك منك وأنت أولىٰ بسَيانتك منّي عملت المعاصي بقوّتي الّتي جعلتها فيك انتهىٰ «ج ٣ ص ٦»...

ومنها ـ ما رواه بإسناده عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال عليه السلام (لا جبر ولا تفويض بل أمرٌ بين الأمرين (ولكن أمرٌ بين أمرين) قلت ما أمر بين أَمَرين قال عليه السلام رجلٍ رأيته على معصيةٍ فَنَهيته فلم ينته فَتركته ففَعل تلك المَعصية فليس حيث لم يقبل منك فتركته كنتَ أنتَ الّذي أمَرته بالمعصية انتهىٰ» ص ٦»...

ومنها ـ ما رواه عن الإمام الهادي علّي النّقي أبي الحَسَن علّي بن مُحمّد العَسكري عليه السلام في رسالته الىٰ أهل الأهواز حين سألوه عن الجَبَر التّفويض وهي من أحَسَن الرّسائل في الباب وأحكمها وأتقنها لإشتمالها علىٰ ما هو الحقّ في المقام وصراحتها في نفّي الجَبَر والتّفويض وإثبات الأمر بين

١- النّجم ـ ٣٩
٢- المُدثر ـ ٣٨
٣- القصص ـ ٥٠
٤- الإنسان ـ ٣
٥- الأنفال ـ ٤٢

الأمرين وإنّما قلنا إنّها أَحسن الرّسالات لإنّها صدرت عن مقام العِصمة وبيت النّبوة ومن المعلوم إنّ أهل البيت أَدرىٰ بما في البيت وقلّما يوجد في الأحاديث المرّوية عنهم عليهم السّلام مثلها في التّفصيل والتّوضيح ونحن نذكرها بألفاظها وعباراتها...

قال عليه السلام إجتمعت الأُمّة قاطبة لا إختلاف بينهم في ذلك إنّ القرآن حقّ لا ريب فيه عند جميع فرِقها فهُم في حالة الإجتماع عليه يصيبُون وعلىٰ تصديق ما أنزَل الله مهتدون لقول النّبي صلى الله عليه وآله لا تجتمع أُمّتي علىٰ ضلالةٍ فأخبر النّبي عندما إجتمعت عليه الأمّة ولم يخالف بعضها بعضاً هو الحقّ فهذا معنىٰ الحديث لا ما تأوّله الجاهِلون ولا ماقاله المُعانِدُون من إبطال حُكم الكِتاب وإتّباع حكم الأحاديث المزّورة والرّوايات المُزخرفة وإتّباع الأهواء الرّدية المُهلكة الّتي تخالف نصّ الكتاب وتحقيق الآيات الواضحات النّيرات ونحن نسأل الله أن يوفّقنا للصّواب ويهدينا الىٰ الرّشاد ثمّ قال عليه السلام فإذا شهد الكتاب بِتَصديق خبرٍ وتحقيقه فأنكرته طائفة من الأُمّة وعارضته بحديث من هذه الأحاديث المزّورة فصارت بإنكارها ودفعها الكتاب كُفّاراً ضُلالاً وأصح خبرٍ ما عرف تحقيقه من الكتاب مثل الخَبر المجمع عليه من رسُول الله قال إنّي مُستخلف فيكم خليفتين كتاب الله وعِترتي ما أن تمسّكتم بهما لن تضّلوا أبداً وإنّهما لن يفترقا حتّىٰ يردا الحوض واللّفظة الأُخرىٰ عنه صلى الله عليه وآله في هذا المعنىٰ بعينه قوله صلى الله عليه وآله إنّي تارك فيكم الثّقلين كتاب الله وعِترتي أهل بيتي وإنّهما لن يفترقا حتّىٰ يردا علّي الحَوض أما إنّكم أن تمسّكتم بهما لَن تضلّوا أبداً فلّما وجدنا شواهد هذا الحديث نصّاً في كتاب الله مثل قوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ (١) ثمّ إتفّقت روايات العُلماء في ذلك لأمير المؤمنين عليه السلام إنّه تصّدق بِخاتمه وهو راكع فشكر الله ذلك له وأَنزل الآية ثمّ وَجدنا

١- المائدة ـ٥٥

رسول الله ﷺ وقد أبانه من أصحابه بهذه اللفظة: **من كُنت مولاه فعلّي مولاه اللّهم والِ من والاه وعاد من عاداه...**

وقوله ﷺ **علّي يقضي دَيني وينجز مَوعدي وهو خَليفتي عليكم بعدي...**

وقوله ﷺ **- حين إستخلفه على المدينة فقال يا رسول الله أتخلّفني على النّساء والصّبيان...**

فقال ﷺ أما ترضىٰ أن تكون منّي بمنزلة هرون من موسىٰ إلّا إنّه لا نبّي بعدي، فَعَلمنا إنّ الكتاب شهد بِتصديق هذه الأخبار وتحقيق هذه الشّواهد فيلزم الأُمّة فلّما وجدنا ذلك موافقاً لِكتاب الله ووجدنا كتاب اللّه موافقاً لِلأخبار وعليها دليلاً كان الإقتداء بهذه الأخبار فرضاً لا يتعداه إلّا أهلُ العِناد والفَساد ثمّ قال ؑ ومرادنا وقصدنا الكلام في الجَبر والتّفويض وشرحهما وبيانهما وإنّما قدّمنا ما قدّمناه لكون إتّفاق الكتاب والخَبر إذا إتّفقا دليلاً لما أردناه وقوّة لما نحن مُبيّنوه من ذلك إنشاء اللّه فقال ؑ الجَبر والتّفويض بقول الصّادق جعفر بن مُحمّد ؑ عندما سُئل عن ذلك فقال لا جَبر ولا تفويض ولكن أمرٌ بين أمرين فقيل وماذا يا بن رسول الله ﷺ فقال ؑ: **صحّة العقل**، وتخليّة الرّب والمّهلة في الوقت، والزّاد من قبل الرّاحة، والسّبب المُهيج للفاعل علىٰ فعله فهذه خمسة أشياء فإذا نقص العبد منها خلّة كان العمل عنه مطّرحاً بَحسبه وإذا ضرب لكلّ باب من هذه الأبواب الثلاثة وهي الجَبر والتّفويض والمنزلة بين المنزلتين مثلاً يقرب المعنىٰ للطّالب ويُسهل له البحث من شرحه ويشهد به القرآن بمحكم آياته وتحقّق تصديقه عند ذوي الألباب وباللّه العِصمة والتّوفيق.

فأمّا الجَبر - فهو قول من زَعم إنّ اللّه عزّ وجلّ جَبر العِباد علىٰ المَعاصي وعاقبهم عليها ومن قال بهذا القول فقد ظلّم اللّه وكذّبه ورّد عليه قوله، ولا يظلم ربّك أحداً وقوله جلّ ذكره ذلك بما قدّمت يداك وإنّ اللّه ليس بظلّام لِلعبيد مع آيّ كثيرة في مثل هذا فمن زعم إنّه مجبور علىٰ المعاصي فقد أحال

بذنبه على الله عزّ وجلّ وظلمه في عقوبته له ومن ظلّم ربّه فقد كذّب كتابه ومن كذّب كتابه لَزِمه الكُفر بإجماع الأُمّة والمَثَل المضروب في ذلك مثل رجل ملّك عبداً مملوكاً لا يملك إلّا نفسه ولا يملك عرضاً من عروض الدّنيا ويعلم مولاه ذلك منه فأمره على علمٍ منه بالمصير الى السّوق بحاجةٍ يأتيه بها ولا يملّكه ثمن ما يأتيه وقد علم المالك أنّ على الحاجة رقيباً لا يطمع أحد في أخذها منه إلّا بما يرضىٰ به من الثّمن وقد وصف مالك هذا العَبد نفسه والنّصفة وإظهار الحكمة ونفي الجَور فأوعَد عبده أن لم يأته بحاجةٍ (بالحاجة) أن يُعاقبه فلمّا صار العبد الى السّوق وحاوَل أهل الحاجة الّتي لَعبته المولىٰ للإتيان بها وجَد عليها مانعاً يمنعه منها إلّا بالثّمن ولا يملك العَبد ثمنها فأنصرف الى مولاه خائباً بغير قضاء حاجته فإغتاظ مولاه لذلك فعاقبه على ذلك فأنّه كان ظالماً متعدياً مبطلاً لِما وصف من عدله وحكمته ونصفته وأن لم يعاقبه كذّب نفسه أَلَيس يجب أن لا يُعاقبه والكذب والظّلم ينفيان العَدل والحكمة تعالىٰ الله عمّا يقول المُجّبرة علّواً كبيراً.

قال عليه السلام بعد كلام طويل فأمّا التّفويض الّذي أبَطله الصّادق عليه السلام وخطّأ من دان به فهو قول القائل أنّ الله تعالىٰ فوّض الى العباد إختيار أمره ونهيه وأهمَلهم وفي هذا كلام دقيق لم يذهب الى غَوره ودقّته إلّا الأئمّة المهّدية عليهم السّلام من عترة آل الرّسّول صلوات الله عليهم فأنّهم قالوا لو فوّض الله اليهم على جهة الإهمال لكان لازماً له رضا ما إختاروه:

وإستوجبوه به من الثّواب ولم يكن عليهم فيما إجترحوا العقاب إذ كان الإهمال واقعاً وتنصرف هذه المقالة على معنَيين، أمّا أن يكون العباد تظاهروا عليه فألزِموه قبول إختيارهم بآرائهم ضرورة كَره ذلك أم أحَبّه فقد لزمه الوَهن، أو يكون جلّ وتقّدس عَجز عن تعبّدهم بالأمر والنّهي عن إرادته ففوّض أمره ونهيه اليهم وأجراهما علىٰ محبّتهم إذ عَجز عن تعبّدهم بالأمر والنّهي علىٰ إرادته فجَعل الإختيار اليهم في الكُفر والإيمان.

ومثل ذلك مَثَل رجل ملك عَبداً إبتاعه ليَخدمه ويعرف له فضل ولايته ويقف عند أمره ونهيه وإدّعىٰ مالك العَبد أنّه قادر قاهر عزيز حكيم فأمر عَبده ونهاه ووَعَده علىٰ إتّباع أمره عظيم الثّواب وأوعده علىٰ معصيته أليم العقاب فخالف العَبد إرادة مالكه ولم يكن عنده أمره ونهيه فأيّ أمرٍ أمَره أو نهاه عنه لم يأتمر علىٰ إرادة المولىٰ بل كان العَبد يتبع إرادة نفسه وبعثه في بعض حوائجه وفيها الحاجة له فَصَدر العَبد بغير تلك الحاجة خلافاً علىٰ مولاه وقصد إرادة نفسه وإتّبع هواه فلمّا رجع الىٰ مولاه نظر الىٰ ما أتاه فإذا هو خلاف ما أمره فقال العَبد إتّكلت علىٰ تفويضك الأمر الّي فإتّبعت هَواي وإرادتي لأنّ المفوّض اليه غير محظورٍ عليه لإستحالة إجتماع التّفويض والتّحصير ثُمّ قال ﷺ فَمَن زَعَم أنّ اللّه فوّض قبول أمره ونهيه الىٰ عباده فقد أثبت عليه العَجز وأَوجَب عليه قبول كلّ ما عَملوا من خيرٍ وشرٍّ وأبطل أمر اللّه تعالىٰ ونَهيه، ثُمّ قال ﷺ –أنّ اللّه خَلق الخَلق بقُدرته ومُلكّهم إستطاعة ما تعبّدهم به من الأمر والنّهي وقبل منهم إتّباع أمره ورضي بذلك منهم ونهاهم عن مَعصيته وذمّ من عصاه وعاقبه عليها ولِللّه الخيرة في الأمر والنّهي يختار ما يريد ويأمر به وينهي عمّا يكره ويثيب ويعاقب بالإستطاعة التّي ملكّها عباده لإتّباع أمره وإجتناب معاصيه لأنّه العَدل ومنه النّصفة والحكومة بالغ الحُجّة بالأعذار والإنذار واليه الصّفوة يصطفي مُحمّداً ﷺ وبعثه بالرّسالة الىٰ خَلقه ولو فوّض إختيار أُموره الىٰ عباده لأجاز لقُريش إختيار أُمّية بن الصّلت وأبي مسعود الثّقفي إذ كانا عندهم أفضل من مُحمّد لما قالوا لولا نزل هذا القرآن علىٰ رجلٍ من القَريَتين عظيم، يعنونهما بذلك فهذا هو القول بين القولين ليس بجبرٍ ولا تَفويض بذلك أخبر أمير المؤمنين ﷺ حين سأله عباية بن ربعي الأسدي عن الإستطاعة فقال أمير المؤمنين ﷺ تملكها من دون اللّه أو مَعَ اللّه فَسَكت عباية بن ربعي فقال له قُل يا عباية قال وما أقول قال ﷺ أن قلت تملكها مع اللّه قتلتك وأن قلت تملكها من دون اللّه قتلتك قال وما أقول يا أمير

المؤمنين قال ﷺ تقول تملكها بالله الّذي يملكها من دونك فأن مَلَكَّها كـان ذلك من عطائه وأن سَلَبكها كان ذلك من بلائه وهو المالك لما مَلَّك والمالك لِما عليه أَقْدَرَك أما سمعت النّاس يسألون الحَول والقوّة حيث يقولون لا حَول ولا قوّة إلّا بالله فقال الرّجل وما تأويلها يا أمير المؤمنين قال ﷺ لا حَول بنا عن معاصي الله إلّا بعصمة الله ولا قوّة لنا على طاعة الله إلّا بعون الله قال ﷺ فَوَثب الرّجل وقبّل يَديه ورَجليه الحديث «ج ٣ ص ٧»...

ومنها ـ ما رواه عنه ﷺ عن أبي الحسن موسىٰ بن جعفر قال أنّ الله خَلق الخَلق فَعَلِم ما هم اليه صائرون فأمرهم ونهاهم فما أمرهم به من شيءٍ فقد جَعَل لهم السّبيل الىٰ الأخذ به وما نهاهم عنه من شيءٍ فقد جَعَل لهم السّبيل الىٰ تركه ولا يكونون آخذين ولا تاركين إلّا بإذنه وما جبّر الله أحَداً من خَلقه علىٰ معصيته بل إختبرهم بالبلوىٰ كما قال: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ (١) انتهىٰ« ص ٩»...

ومنها ـ ما روي أنّ أبا حنيفة دخل المدينة ومَعه عبد الله بن مسلم فقال له يا أبا حنيفة أن هيهنا جعفر بن مُحمّد من علماء آل مُحمّد ﷺ فإذهب بنا نقتبس منه علماً فلمّا أتيا إذا هما بجماعةٍ من شيعته ينتظرون خروجه أو دخولهم عليه فبينما هم كذلك إذ خَرج غلام حَدث فقام النّاس هيبةً له فإلتَفت اليه أبو حنيفة فقال يا بن مُسلم من هذا قال هذا موسىٰ ابنه قال والله لأفتضَحنّه بين يدي شيعته قال صَه لن تقدر علىٰ ذلك قال والله لأفعلنّه ثمّ إلتَفت الىٰ مُوسىٰ ﷺ فقال يا غلام أيَن يَضع الغَريب حاجته في بَلدتكم هذه قال يتَوارىٰ خلفه الجدران ويتوّقىٰ أعين الجار وشطوط الأنهار ومسقط الثّمار ولا يستقبل القبلة ولا يستدبرها فحينئذٍ يضع حيث يشاء ثمّ قال يا غُلام مِمّن المعصية قال يا شيخ لا تخلو من ثلاث، إمّا أن تكون من الله وليس من العَبد شيءٌ فليس لِلحُكم أن يأخذ عبده بما لم يفعله، وأمّا أن تكون من

١ - هود ٧

العَبد ومن اللّه واللّه أقوىٰ الشّريكين فليس لِلشريك الأكبر أن يأخذ الشّريك الأصغر بِذَنبه وإمّا أن تكون من العَبد وليس من اللّه شيٌ فإن شاء عفىٰ وإن شاء عاقب قال فأصابت أبا حَنيفة سَكتة كإنّما أُلقم فوه الحَجَر قال فقلت أَلَم أَقُل لك لا تتّعرض لأولاد رسُول اللّه ﷺ وفي ذلك يقول الشّاعر:

لَم تخُل أفعالنا اللّاتي نـذّم بـها	إحدىٰ ثلاث معانٍ حين نأتيها
أمّـــا تــفرّد بـــارينا بِـصَنعتها	فيسقط اللّوم عـنّا حـين نـنشيها
أوكـــان يشـــركنا فيها فيلحقه	ما سوف يلحقنا مـن لائـم فـيها
أَوَ لَم يكُـن لإلٰـهي فـي جـنّايتها	وذنب فماالذّنب إلّا ذنب جانيها

ومنها ـ ما رواه بأسناده عن ابن أسباط قال سألت أبا الحَسن الرّضا عليه السلام من الإستطاعة فقال عليه السلام ليستطيع العَبد بعد أربع خِصال، أن يكون فـحلا السّرب، صحيح الجسم، سليم الجوارح، له سبب وارد من اللّه تعالىٰ قال قلت جُعلت فداك فسّرها لي قال أن يكون العَبد فحلا السّرب صحيح الجسم سليم الجوارح يريد أن يزني فلا يجد إمرأة ثمّ يجدها فأمّا أن يُعصم فَيمتنع كـما إمتنع يوسف أو يخل بينه وبين إرادته فَيَزني فيسّمىٰ زانـياً ولم يُـطع اللّـه بإكراهٍ ولم يُعصَ بغلبةٍ انتهىٰ» ص ١٢»...

ومنها ـ ما رواه بأسناده عن أبن سنان عن مَهزم قال قال أبو عبد اللّه عليه السلام أخبرني عمّا إختلفت فيه من خلفت من موالينا قال فقلت في الجَبَر والتّفويض قال فأسئلني قلت أَجَبر اللّه العباد علىٰ المعاصي قال اللّه أَقهر لهم من ذلك قال قلت ففَوض اليهم قال عليه السلام اللّه أقدر عليهم من ذلك قال قلت فأيّ شيٍ هذا أَصَلحك اللّه قال فقلّب يَده مرّتين أو ثلاثاً ثمّ قال لو أَجَبتك فيه لكفرت انتهىٰ» ص ١٦»...

ومنها ـ ما روىٰ إنّه سأل رجل جعفر بن مُحمّد عليه السلام عن القضاء والقَدَر فقال عليه السلام ما إستطعت أن تلوم العَبَد عليه فهو منه وما لم تستطع أن تلوم العَبد عليه فهو من فِعل اللّه يقول اللّه تعالىٰ لِمَ عَصيتَ لِمَ فَسَقت لِمَ شَرَبت الخَمَر لِمَ

زَنيت فهذا من فِعل العبَد ولا يقول له لِمَ مرضت لِمَ قَصرت لِمَ أبيَضضت لِمَ إسودَدت لإنّه من فِعل اللّه انتهىٰ« ص ١٧»...

أقول: الرّوايات في إثبات المَنزلة بين المَنزلتين وإبطال الجَبر والتّفويض كثيرة جدّاً فمن أراد الإطّلاع عليها أكثر ممّا ذكرناه فعليه بالبِحار والكافي والتّوحيد وأمثالهما فإنّا لسنا بِصَدد إستقصاء الأخبار في المقام إذ هو خارج عن وظيفة الكتاب ولولا إنّ الموضوع من أهّم الموضوعات الإعتقادية لأكتفينا في الآيات والأخبار بما هو أقلّ ممّا ذكرناه أيضاً وحيث أنّ المسألة من الغويصات الّتي لا يمكن لأحدٍ الخُروج عن خطرها إلّا بعون الملك الوّهاب والتّمسك بذيل عناية الأئمّة الأطهار الّذين أذهب اللّه عنهم الرّجس وطهّرهم تَطهيراً إعتمدنا في البحث علىٰ الآيات والأخبار الواردة في الباب وأعَرضنا عن ذكر كلمات الفلاسفة وغيرها ممّا ذكروه في المقام خوفاً عن الإطالة في الكلام والزّلل في الإعتقاد فأنّ هذه المسائل لا تدركها الأفهام ولا تصل الىٰ كنهها عقُول الرّجال ولذلك ترىٰ الفحول من العُلماء والمُحقّقين صاروا حيارىٰ لا يدرون ما يقولون إلّا من عَصَمه اللّه قال الإمام الرّازي أنّ حال هذه المسألة عجيبة فأنّ النّاس كانوا مُختلفين فيها أبداً بسبب أنّ ما يمكن الرّجوع فيها اليها متعارضة مُتدافعة فمعّول الجّبرية علىٰ أنّه لابدّ لتَرجيح الفعل علىٰ التّرك من مرّجحٍ ليس من العَبد ومعّول القّدرية علىٰ أنّ العَبد لو لم يكن قادراً علىٰ فعلٍ لما حَسن المَدح والذّم والأمر والنّهي وهما مقدّمتان بديهّيتان، ثُمّ من الأدلّة العقلّية إعتماد الجّبرية علىٰ أنّ تفاصيل أحوال الأفعال غير معلومة، وإعتماد القدّرية علىٰ أنّ أفعال العباد واقعة علىٰ وفق تصّورهم ودواعيهم وهما مُتعارضان ومن الإلزامات الخطّابية أنّ القُدرة علىٰ الإيجاد صَفة كمالٍ لا يليق بالعَبد الّذي هو منبع النّقصان وأنّ أفعال العباد تكون سَفهاً وعَبَثاً فلا يليق بالمُتعالي من النّقصان وأمّا الدّلائل السّمعية فالقرآن حمّلوه بما يُوهم الأمرين وكذا الأثار فأنّ أُمّةً من الأُمم لم تكن خالية من الفرقتين وكذا الأوضاع

والحكايات مُتدافعة من الجانبين حتّىٰ قيل أنّ وضع النّرد ووضع الشّطرنج علىٰ القَدر إلّا أنّ مَذهبنا أقوىٰ بسبب أنّ القدح في قولنا لا يترجح الممكن إلّا بمرّجح يوجب إنسداد باب إثبات الصّانع ونحن نقول:

الحقّ ما قال بعض أئمّة الدّين أنّه لا جَبر ولا تَفويض ولكن أمرٌ بين أمرين وذلك أنّ مبنىٰ المباديْ القريبة لأفعال العَبد علىٰ قُدرته وإختياره والمباديْ البعيدة علىٰ عَجزه وإضطراره فالإنسان مُضطر في صُورة مختار كالقَلم في يَد الكاتب والوَتد في شقّ الحائط وفي كلام العُقلاء قال الحائط لِلوَتد لِمَ تَشقني فقال سَل من يَدّقني انتهىٰ ما ذكره:

وأنا أقول ما ذكره هذا القائل حقّ لا مَرية فيه وإقرار وإعتراف منه بما ذكرناه من عَدم درك العقُول لهذه المسألة ولذلك قال ونحن نقول ما قال بعض أئمّة الدّين أنّه لا جَبر ولا تَفويض ولكن أمرٌ بين أمرين، ومن المعلوم أنّ مراده أئمّة الشّيعة لا أئمّة أهل السُنّة إذ لم يقل أحد منهم بهذه المقالة أعني بها الأمر بين الأمرين قبل أئمّتنا عليهم السّلام فهذا أبو حنيفة إمامهم الأعظم رئيس الجبّريين وتبعه في هذا القول أكثر العامّة وبعضهم قال بالتّفويض والحاصل أنّهم من القائلين بالجَبر والقائلين بالتّفويض ولم نعلم فيهم من قال بالأمر بين الأمرين فأنّ أوّل من تكلّم بهذا الكلام هو أمير المؤمنين ﷺ وقد أوضحه مَن بعده مِن الأئمّة عليهم السّلام والحاصل أنّ ما ذكره الرّازي حقّ إلّا أنّ تَفسيره الأمر بين الأمرين بما فَسّره وتَمثيله بما مَثّله في غير محلّه بل هُو كَرٌ علىٰ ما فَر منه من حيث لم يعلم وذلك لأنّ الإنسان ليس كالوَتَد الّذي لا شعور له ولا إرادة فيه ولا الفعل كالحائط ولا الخالق كَمَن يدّق الوَتد فيه ضرورة أنّ الوَتد ليس إلّا من الآلات في يد الفاعل يضعه حيث يشاء علىٰ سبيل القهر وأمّا الإنسان فليس كذلك ولو كان كذلك لما يلحقه الذّم علىٰ فعله وأنّما الذّم علىٰ فاعله وهل هذا إلّا جَبرٌ مَحض وأقبح منه قوله لِمَ تَشقني فقال سَل من يدّقني، أي ليس لي إختيار فلا ذنب علّي أنّما الذّنب علىٰ من يدّقني وهذا هو الّذي تقول

به المجّبرة وليس من الأمر بين الأمرين بشيءٍ فقول الرّازي مُخالفٌ لما فَسّر الكلام به كيف وهو في الأُصول من الأشاعرة القائلين بالجَبر وفي الفروع من الشّافعية فكأنّ هذا الكلام منه من فَلَتات كلامه كما قال تعالىٰ: **﴿يقُولُونَ بِأَلسِنَتِهِم مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾**(١)

رُوي أنّ الحجاجَ بن يوسف كتب الىٰ الحَسن البَصري والىٰ عمرو بن عُبيد والىٰ واصل بن عطاء والىٰ عامر الشّعبي أن يذكروا ما هندهم وما وَصَل اليهم في القضاء والقَدر فكتب اليه الحَسن البَصري أنّ أحَسن ما انتهىٰ إلّي ما سمعتُ عن أمير المؤمنين علّي بن أبي طالب أنّه قال **أتظنّ أنّ الّذي نَهاك دَهاك وأنّما دهاك أسفلك وأعَلاك والله بريءٌ من ذاك:**

وكتب اليه واصل بن عطاء أحسن ما سمعتُ في القضاء والقَدَر قول أمير المؤمنين علّي بن أبي طالب:

أيدّ لك علىٰ الطّريق ويأخذ عليك المَضيق، وكتب اليه عمرو بن عبيد أحسن ما سمعتُ في القضاء والقَدَر قول أمير المؤمنين علّي بن أبي طالب **لو كان الزّور في الأصل محتُوماً كان المزوَّر في القصاص مظلوماً:**

وكتب اليه الشّعبي أحسن ما سمعت في القضاء والقَدر قول أمير المؤمنين عليه السلام **كلّما إستَغفرتَ الله منه فهو منك وكلّما حَمدت الله عليه فهو منه** فلمّا وصلت كتبهم الىٰ الحجاج ووقف عليها قال لقد أخذُوها من عينٍ صافية انتهىٰ:

ولنختم الكلام في القضاء والقَدر والجَبر والتّفويض والأمر بين الأمرين في المقام مُذعناً بالعَجز والقُصُور عن تفصيل الكلام وتوضيح المرام خوفاً من الإطالة المُوجبة لِلملاَلة ولأن وفقنّي الله تعالىٰ أُريد أن أكتُب فيه رسالة مستّقلة اذكر فيه ما هو حقّ المقال علىٰ حَسَب فهمنا وذَركنا إنشاء الله تعالىٰ والحمد لِلّه ربّ العالمين:

١ـفتح ١١

﴿٧٦﴾

▫ قوله ﷺ: خُذِ الْحِكْمَةُ أنّى كانَتْ فإنَّها الحِكْمَةُ تكُونُ صَدْرِ الْمُنافِقِ فَتَلَجْلجُ في صَدْرِهِ حتّىٰ تَخْرُجَ فَتَسكُنَ إلىٰ صَوَاحِبِها في صَدْرِ الْمُؤمِنِ...

◁ اللّغة

(الْحِكْمَةُ) بكسر الحاء إصابة الحقّ بالعلم والعقل (الْمُنافِقِ) إسم فاعلٍ من نافَق وهو الّذي ظاهره غير باطنه (فَتَلَجْلجُ) التّلجلَج، الإضطراب وعدم الإستقرار (صَوَاحِبِها) الصّواحب جمع صّاحبة وقد تجمع علىٰ الصّاحبات والصّاحب في اللّغة الملازم.

◁ الشرح

الْحِكْمَةُ من اللّه تعالىٰ معرفة الأشياء وإيجادها علىٰ غاية الأحكام، ومن الإنسان تارة تطلق ويراد بها العلم بحقائق الأشياء علىٰ ما هي عليه بقدر الطّاقة البشّرية وبهذا الإعتبار تسّمىٰ الفلسفة بالحِكمة لأنّها تضمنّت هذه الفائدة، وأخرىٰ يراد بها فعل الخيرات قولاً وعَملاً وهذا هو المراد بقوله ﷺ في المقام لا معناها المصطلح عند الفلاسفة والىٰ هذا المعنىٰ أُشير في الكتاب بقوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يُؤتَ الحِكمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْراً كَثِيراًوَمَايَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الأَلْبابِ﴾ (١)

و: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ﴾ (٢)

١- البقرة ـ ٢٦٩

٢- لقمان ـ ١٢

و: ﴿وَءَاتَيْنَهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾(١)

و: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾(٢) والمقصود أنّ كلام الحقّ الّذي يدّل على فعل الحقّ قد يخرج من فَم المُنافِق بل الكافر وذلك لتلجلجه وإضطرابه في صَدره بحيث لا يسكن صدره ولا يطمئن قلبه إلّا بعد خروجه عنه فيستريح به فينبغي لطالب الحقّ أن يأخذه ويَعمل به ولا يقول أنّي لا آخذه لأنّه كلام الفاسق أو الكافر وذلك لأنّ كلام الحقّ يصاحب أهله والمُنافق والكافر ليسا من أهله والى هذا المعنى أشار عليه السلام بقوله فتسكن الى صواحبها وكيف كان كلامه عليه السلام مُشعر بأنّ الحقّ يؤخذ به أنّى كان وأينما كان ولا يجوز للعاقل التّعصّب والعِناد في قبوله وهذا حقّ مطابق للعقل والنّقل والمنكِر مخالفٌ ما إقتضى عقله ودينه وهو واضح لا خفاء فيه:

ثمّ أنّ هذا الكلام الّذي صَدر عن أمير المؤمنين قد صَدر عن الأئمّة بعده أيضاً تارةً بلفظه وأُخرى بمضمُونه.

روي في البحار بأسناده عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال **أنّ الْحِكْمَةَ لتكون في قلب المنافق فيتَجلجَل في صَدره حتّى يخرجها فيوعيها المؤمن وتكون كلمة المُنافق في صَدر المؤمن فَيتجلجَل في صَدره حتّى يخرجها فيعيها المنافق انتهى**« ج ١ ص ٩٤»...

أقول قوله عليه السلام: **فيتَجلجَل**، فعل مضارع من تَجلجَل ومصدره التَّجلجُل وهو مأخوذ من الجَلجَلة بمعنى التّحريك وشدّة الصُّوت في الرّعد وغيره وتجلجَلت قواعد البيت أي تَضعضعَت، وقال في المنجد جَلجَل الرّجل صوّت شديداً، تَجلجَله، حَرّكه فيتّحرك وعليه فمعنى الحديث أنّ الكلمة تتَحرك في قلب المؤمن والمنافق هذا وأمّا في كلام علّي فقد ضَبطُوه بتقديم اللّام على الجيم من التّلجلج وهو التّردّد ومنه الدّعاء وسرّح قطع اللّيل المظلم بغياهب تَلجلُجه أي تردّد ظلامه يقال تَلجلَج في صدري شيٌ، تردّد وتعلّق

١- ص ـ ٢٠

٢- الجمعة ـ ٢

ولم يستقر والحاصل أنّ من حَمَل كلامه عليه السلام في المقام على التّجلجُل وقال هو الصّحيح فقد أخطأ بل كلاهما لا إشكال فيهما ولا يخفىٰ لطفهما في المقامين:

وقال رسُول الله صلى الله عليه وآله غريبتان كلمة حكمٍ من سفيهٍ فأقبلوها وكلمة سفهٍ من حكيمٍ فأغفروها:

وقال المسيح عليه السلام خذوا الحقّ من أهل الباطل ولا تأخذوا الباطل من أهل الحقّ كونوا نقّاد الكلام فكم من ضلالةٍ زخرفت بآية من كتاب الله كما زخرف الدّرهم من نحاس بالفضة المُموّهة النّظر الىٰ ذلك سواء والبُصراء به خُبراء انتهىٰ وقال أمير المؤمنين خذوا الحكمة ولَو من المُشركين:

وعن أبي جعفر عليه السلام قال قال المسيح معشر الحواريّين لم يضرّكم من نتن القِطران إذا أصابتكم سراجه خذوا العلم ممّن عنده ولا تنظروا الىٰ عَمله انتهىٰ...

وسُئل أمير المؤمنين عليه السلام مَن أعلم النّاس قال مَن جمع علم النّاس الىٰ عِلمه انتهىٰ...

وعن أبي عبد الله عليه السلام أنّ كلمة الحكمة لتكون في قلب المنافق فتجلجل حتّىٰ يخرجها انتهىٰ...

وعن أبي الحسن الرّضا عليه السلام عن آبائه قال أمير المؤمنين عليه السلام الهَيبة خَيبة والفُرصة خَلسة والحِكمة ضالّة المؤمن فأطلبوها ولو عند المُشرك تكونوا أحقّ بها وأهلها انتهىٰ...

وعن حماد بن عثمان عن حمران قال سمعت علّي بن الحسين يقول لا تحقر اللؤلؤة النّفيسة أن تجعلها من الكِبار الخَسيسة فأنّ أبي حدثنّي قال سمعت أمير المؤمنين يقول أنّ الكلمة لَتلجلَج في صدر المُنافق نزاعاً الىٰ مظانّها حتّىٰ يلفظ بها فيستمعها المؤمن فيكون أحقّ بها وأهلها فيلقفها انتهىٰ...

والأحاديث بهذه المضامين كثيرة وما نقلناه نقلناه عن البحار« ج ١ ص ٩٤ و ٩٥»...

٧٧

□ قوله عليه السلام: **الْحِكْمَةُ ضَالَّةُ المُؤمِنِ فَخُذِ الحِكْمَةَ وَلوْ منْ أهْلِ النّفاقِ...**

أقول: هذا الكلام قريب من كلامه السّابق بإختلاف فيهما بحسب اللّفظ أو الإجمال والتّفصيل وهو مأخوذ من قول رسُول اللّه صلى الله عليه وآله حيث قال صلى الله عليه وآله **كلمة الحِكْمَةُ ضالَّةُالمُؤمِنِ فحيث وَجدَها فهو أحقّ بها.**

قد رواه في البحار بأسناده عن المعمّر أبي الدّنيا عن أمير المؤمنين قال قال رسُول اللّه صلى الله عليه وآله الحديث «ج ١ ص ٩٥»...

روي في عقد الفريد عن رسُول اللّه صلى الله عليه وآله أنّه قال الحِكمة ضالّة المؤمن يأخذها مِمّن سَمعها ولا يُبالي من أيّ وعاءٍ خَرجت...

وقال صلى الله عليه وآله لا تضعُوا الحِكمة عند غير أهلها فتظلمُوها ولا تمنعُوها أهلها فتظلموهم وفيه قال الشّاعر:

من منَع الحِكمة أربابها ... أصبَح في الحكم لهم ظالماً
وواضع الحِكمة في غيرهم ... يكون في الحكم لهم غاشماً
سمعتُ يوماً مثلاً سائراً ... وكُنتُ في الشّعر له ناظماً
لا خير في المَرء إذا ما غدا ... لا طالباً علماً ولا عالماً

وقال الحُكماء لا يطلب الرّجل حكمة إلّا بحكمةٍ عنده، وقالوا إذا وجدتم الحِكمة مطروحة على السّكك فخذوها: كما قيل:

أعمل بعلمي وأن قصرّتُ في عَملي ... ينفعك قولي ولا يغررك تقصيري

٧٨

□ قوله ﷺ: قِيمَةُ كلِّ امْرِىءٍ ما يُحْسِنُهُ...

قال الرّضا ﷺ وَهذِهِ الْكلِمَةُ التي لا تُصَابُ لها قِيمَةٌ وَلا تُوزَنُ بهَا حِكْمَةٌ وَلا تُقرَنُ إلَيها كَلِمَةٌ...

قال الشّارح المحقّق البحراني ﷺ في شرح الكلمة غرض هذه الكلمة التّرغيب في أعلىٰ ما يكتسب من الكمالات النّفسانية والصّناعات ونحوها وقيمة المَرء مقداره في إعتبار المعتبرين ومحلّه في نفوسهم من إستحقاق تعظيمٍ وتبجيلٍ أو إحتقارٍ وإنتقاص والظّاهر أنّ ذلك تابع لما يحسنه المَرء ويكتسبه من الكمالات المذكورة فأعلىٰ قيمةً وأرفعهم منزلةً في نفوس النّاس وذلك بحسب إعتبار عقول النّاس للكمالات ولوازمها انتهىٰ ما ذكره:

وأمّا الشّارح المعتزلي فقال ما لفظه:

قد سَلف لنا في فضل العلم أقوال شافية ونحن نذكُرها هُنا نُكتاً أُخرىٰ:

وأنا أقول أمّا ما ذكره المُعتزلي فهو خارج عن الموضوع إذ ليس البحث في فضل العلم والعالم ولا في كلامه ﷺ دلالة عليه فأنّه ﷺ قال **قِيمَةُ كلِّ امْرِىءٍ ما يُحْسِنُهُ**، وأيّ ربطٍ بين هذا اللّفظ وما ذكره المعتزلي وسمّاه شرحاً له نعم لو كان شرف المرء وقيمته مُنحصراً في العلم لتّم ما ذكره وليس كذلك بل العلم أن لم يكن مَعه عَمَل لا قيمة له أصلاً عند العُقلاء وهو ظاهر:

وأمّا ما قاله الشّارح البحراني ﷺ فهو صحيح في الجُملة ولا كلام لنا فيه إذ لا

شك في أنّ قيمة كلّ إمرئٍ عند النّاس بإتّصافه بما يحسنه النّاس من الكمالات النّفسانية إلّا أنّ البحث لا يختّص بهذا المورد بل هو أعمّ منه وبعبارةٍ أُخرىٰ لم يقل عليه السلام: **قيمة كلّ إمرئٍ** عند النّاس ما يحسنه بل قال قيمة كلّ امرئٍ ما يحسنه أي قيمته واقعاً عند العقلاء وأن كان مِمَن لا قيمة له عند النّاس فَحمَله علىٰ العُموم أولىٰ من حَمله علىٰ خصُوص العُرف من العوام الّذين كالأنعام بل هو أضلّ سبيلاً وعليه فالمعنىٰ قِيمَةُ كلُّ امْرِئٍ أي مقداره ووزنه عند العقل والعُقلاء تُعلم من محاسنه الّتي إتّصف بها من العلم والعَمل والسّخاوة والشّجاعة والزّهد والعَدالة وأمثالها من الكمالات النّفسانية الّتي لها دَخلٌ في شَرَفه وفضيلته قِلّةً وكثرةً وشدّةً وضعفاً وأمّا غيرها من الفضائل العُرفية كالمال والمقام والنَّسب والأولاد والقبيلة وأمثالها وأن كان له دخل في قيمة المَرء عند العُرف إلّا أنّ المَرء لا قيمة له بحسبها واقعاً لو لم يتّصف بالكمالات النّفسانية ولا كلام له عليه السلام ولنا في العُرف وحُكمهم بل القضّية واقعيّة:

ثمّ أنّ الكمالات النّفسانية الّتي ترتبط بها قيمة المَرء كثيرة إلّا أنّ أجناس الفضائل وأُصولها تكون أربعة.

أحدها: الحِكمة، وهي معرفة حقائق الموجودات علىٰ ما هي عليه علىٰ أحد تفسيرَيه ثمّ أنّ الموجودات أن لم يكن وجودها بقدرتنا وإختيارنا فالعلم بها هو الحِكمة النّظرية وأن كان وجودها بقدرتنا إختيارية فالعلم المتعلق بها هو الحِكمة العَمَلية وتفصيل كلّ واحدٍ منهما في موضعه:

وثانيها: العِفّة، وهي إنقياد الشّهوية للعاقلة فيما تأمرها به وتنها عنه حتّىٰ تكتسب الحرّية وتتخلّص من أسر عبودّية الهَوىٰ:

وثالثها: الشّجاعة، وهي إطاعة القوّة الغضّبية للعاقلة في الإقدام علىٰ الأُمور الهائلة وعدم إضطرابها بالخوض فيما يقتضيه رأيها حتّىٰ يكون فعلها ممدوحاً وصبرها محموداً:

ورابعها: العدالة، وقد فسّروها تارةً بإنقياد العقل العَملي للقوّة العاقلة

وتبعيّته لها في جميع تصرفاته وأُخرىٰ بضبطها الغضب والشّهوة تحت إشارة العقل والشّرع وثالثة بسياسة قوّتي الغَضب والشّهوة وحملها علىٰ مقتض الحِكمة وضبطهما في الإسترسال والإنقباض علىٰ حَسب مُقتضاه:

إذا عرفت هذا فنقول:

إعلم: أنّ لِلإنسان حياتين، حياة حيَوانية جسّمية، وحياة معنّوية روحانية، ولِكُلّ واحدٍ منهما أسباب وآلات بها يصل الىٰ ما هو المقصود والغاية في حياته فالحياة الحيّوانية تتّوقف علىٰ الأكل والشُّرب واللّباس والمَسكن والنّظافة وأمثالها ممّا يرتبط به إدامة حياة الإنسان وصحّة جسمه:

وأمّا الحياة المعنّوية الرّوحانية فَليست كذلك إذ الأسباب المُوجبة لبقائها من سِنخها فتكون من الأُمور المعنّوية الّتي بها حياة القلب وبقاء الرّوح وهي العلم والعِفّة والشّجاعة والعدالة وأمثالها ممّا يعدّ الإنسان إنساناً به وجامعها تهذيب الأخلاق الممكن كما ورَد في قوله ﷺ **تخلّقوا بأخلاق الله**، وقد ثبت إنّ حقيقة الإنسان هي النّفس النّاطقة القُدسية الّتي هي من عالم الملكوت لا جسمه وجسده العنصري الحيواني ومن المعلوم إنّ صفات النّفس الّتي بها تصل النّفس الىٰ كمالها المُترقب هي ما ذكرناه وعليه فقيمة كلّ إمرئٍ عند العقل والعُقلاء ما يُحسنه من الكمالات النّفسانية ولنعم ما قيل:

ولَم أرَ أمثال الرّجال تفاوَتَت
لَدىٰ المَجد حتّىٰ عُدّ ألفٌ بواحدِ

﴿٧٩﴾

□ قوله ﷺ: أُوصِيكُمْ بخَمْسٍ لَوْ ضَرَبْتُمْ إلَيْها آباطَ الإبِلِ لِكانَتْ لذَلِكَ أهْلاً. لا يَرْجُوَنَّ أحَدٌ مِنْكُمْ إلَّا رَبَّهُ وَلا يَخافَنَّ إلّا ذَنْبَهُ .ولا يَسْتَحِيَنَّ أحَدٌ إذا سُئِلَ عمَّا لا يَعْلَمُ أنْ يَقُولَ لا أعلَم ولا يَسْتَحِيينَّ أحَدٌ إذا لمْ يَعْلَمِ الشَّيَ أنْ يَتَعلَّمَهُ .وعَليكُمْ بالصَّبْرِ فإنَّ الصَّبْرِ منَ الإيمَانِ كالرَّأسِ منَ الْجَسَدِ ولا خَيْرَ في جَسَدٍ لا رَأسَ مَعَهُ وَلا في إيمَانٍ لا صَبْرَ مَعَهُ...

◁ اللّغة

(الإبِاط) جمع إِبِط وضرب الإِباط كناية عن شـدّ الرّحـال وحثّ المسير وباقي اللّغات واضح.

◁ الشرح

أوصىٰ ﷺ شيعته وكلّ من تابَعه الىٰ يوم القيامة الىٰ أُمـور خـمسة مـهمّة جليلة وأفاد ﷺ إنّكم لو ضربتم اليها أي للوصول بها أباط الإبل وهو كناية عن شدّ الرّحال نحوها لكانت لذلك أهلاً أي إنّ الأمور لفضلها وشرفها لها أهلّية لشدّ الرّحال اليها وذلك لإنّ هذه الأمور في الحقيقة أُصول السّعادات وأعمدة الكمالات وعليها تُبتني المقامات العاليات وهي خمسة:

أحدها قوله ﷺ: لا يَرْجُوَنَّ أحَدٌ مِنْكُمْ إلَّا رَبَّهُ...

قد مرّ منّا الكلام في معنىٰ الرّجاء وقلنا إنّه إرتياح القلب لإنتظار المحبوب

وهو يلازم الخَوف إذ الخَوف كما عرفت عبارة عن التألّم من توقّع مكروه ممكن الحصول وما يمكن حصوله يمكن عَدم حصوله أيضاً، وهو من الصّفات الممدوحة عَقلاً وشَرعاً:

أمّا العقل: فلأنّ العَبْد بِمُقتضىٰ فِطرته لابدّ له من مَلْجأٍ وملاذٍ في جميع شئونه وهذا أمرٌ محسوس لأنّ كلّ إنسانٍ إذا توجّه الىٰ ضميره ولا سيّما في الشّدائد يجد في قلبه ما يوجب سكونه وقراره به وهذا أمرٌ بديهيّ ضروريّ فطّري لا يمكن إنكاره ثمّ إنّ المَرجُو لا يخلو أمّا أن يكون خالقاً له أو يكون مخلوقاً مثله ولا ثالث في المقام لا يجوز الثّاني عقلاً لأنّ حُكم الأمثال واحد وإعتماد المخلوق علىٰ المخلوق والرّجاء فيه كالإعتماد والرّجاء بنفسه فتعيّن الأوّل وهو الرّجاء منه تعالىٰ لإنّه قادر علىٰ كلّ شيْ وخالق كلّ شيْ وغنّي عن كلّ شيْ فالعقل يحكم بالتوسل اليه والتّمسّك به لِحلّ المشكل وهو المطلوب.

وثانياً: إنّه قد ثبت أن لا مؤثّر في الوجود إلّا الله وغيره كائناً من كان لا يقدر علىٰ شيْ إلّا بأذنه والرّجاء من غير القادر محكوم عقلاً.

وأمّا النّقل :فمن الآيات الواردة في التّرغيب والتّحريص علىٰ الرّجاء، قوله تعالىٰ: ﴿مَالَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً﴾ (١)

و: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَآءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً﴾ (٢)

و: ﴿أُوْلَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ﴾ (٣)

و: ﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ﴾ (٤)

و: ﴿لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْأَخِرَ﴾ (٥)

ومن الأخبار ما رواه في جامع السّعادات إنّه تعالىٰ أوحىٰ الىٰ يعقوب النّبي وقال أتدري لِمَ فرّقتُ بينك وبين يوسف، **إنّي أخاف أن يأكله الذّئب وأنتم عنه غافلون** لِمَ خِفتَ الذّئب ولَم ترجني ولِمَ نظرت الىٰ غفلة إخوته ولَم تنظر الىٰ حِفظي انتهىٰ.

١- نوح-١٣
٢- الكهف-١١٠
٣- البقرة-٢١٨
٤- التّوبة-١٠٦
٥- الأحزاب-٢١

وقال عليّ عليه السلام لرجلٍ أخرجه الخَوف الى القنوط لكثرة ذنوبه، يا هذا يأسُك من رحمةِ اللّه أعظم من ذنوبك انتهى.

وما رُوي عن رسُول اللّه صلى الله عليه وآله إنّه قال إنّ رجلاً يدخل النّار فيمكث فيها ألف سنة ينادي يا حنّان يا منّان فيقول اللّه لجبرئيل إذهب فأتني بعَبدي فَيجيءُ به فَيرةقه على ربّه فيقول اللّه: كيف وجدت مكانك فيقول شرّ مكانٍ فيقول ردّه الى مكانه قال فيمشي ويلتفت الى وراءه فيقول اللّه: عزّ وجلّ الى أيّ شيءٍ تلتفت فيقول لقد رجوت أَلّا تعيدني اليها بعد إذ أخرجتني منها فيقول اللّه: إذهبوا به الى الجّنة انتهى.

وعن أبي جعفر عليه السلام قال وجدنا في كتاب عليٍ عليه السلام إنّ رسول اللّه صلى الله عليه وآله قال وهو على منبره والّذي لا إله إلّا هو ما أعطى مؤمنٌ قطّ خير الدّنيا والآخرة إلّا بحُسن ظنّه باللّه ورجاءه له وحُسن خُلقه والكّف عن إغتياب المؤمنين والّذي لا إله إلّا هو لا يعّذب اللّه مؤمناً بعد التّوبة والإستغفار إلّا بسُوء ظنّه باللّه وتقصيره من رجاءه وسُوء خلقه وإغتياب المؤمنين والّذي لا إله إلّا هو لا يحسن ظّن عبدٍ مؤمنٍ باللّه إلّا كان اللّه عند ظنّ عبده المؤمن لإنّ اللّه كريم بيده الخيرات يستحي أن يكون عبده المؤمن قد أَحسن به الظّن ثمّ يخلف ظنّه ورجاءه فأحسنوا باللّه الظنّ وأرغبوا اليه انتهى«ج ١ ص ٢٤٧»...

وثانيها قوله عليه السلام: ولا يخافَن إلّا ذنبه ويدّل عليه العقل والنّقل أيضاً.

أمّا العقل: فلإستقلاله بإنّ الخَوف يترتّب على الذّنب وإنّ الخَوف مِمّن لا ذَنب له قبيحٌ عقلاً نعم قد يتحقّق الخَوف لِلإنسان الّذي لا ذنب له من الظّالم الجائر الّذي يأخذ ويعاقب ويقتل بالظّن والحَدَس بل بدونهما وأمّا العادل فليس كذلك لإنّه لا يأخذ ولا يعاقب إلّا المذنب ولعلّه هذا هو السّر في تعبيره عليه السلام حيث قال ولا يخافنّ إلّا ذنبه ولم يقل ولا يخافنّ إلّا اللّه أو العذاب يوم القيمة وذلك لأنّ اللّه تعالى عادل لا يظلم أبداً فمن لا ذَنب له لا يخاف منه في الحقيقة لِعلمه بإنّه لا يعاقب ظلماً وعليه فالآيات والأخبار الواردة في المقام

المُصَرحة بأنّ الخَوف من الله أو من المحشر كلّها يقّيد به ويرجع الىٰ ما ذكره ﷺ في المقام وهذا هو الّذي يقتضيه العقل السّليم وتوضيحه إجمالاً هو أن نقول الخَوف عبارة عن تألّم القلب وإحتراقه بسبب توقّع مكروه في المُستقبل مشكوك الوقوع وهو غير الجُبن فأنّه سكون النّفس عمّا يستحسن شرعاً وعقلاً من الحركة الىٰ الإنتقام أو شئ آخر وهذا السّكون قد يتحقّق من غير حدوث التّألم الّذي هو الخَوف فَمن لا يجترئ علىٰ الدّخول في السّفينة أو النّوم في البيت وحده أو التّعرض لدفع من يظلمه ويتعّرض له يمكن إتّصافه بالسّكون المذكور مع عدم تألّمه بالفعل فمثله جبان وليس بخائف ومن كان له مَلَكة الحركة الىٰ الإنتقام وغيره من الأفعال التّي يُجّورها الشّرع والعَقل ربّما حَصَل له التّألم المذكور من توّقع حدوث بعض المَكاره كما إذا أمَر السّلطان بقتله فمِثله خائف وليس بجبانٍ ثُمّ أنّ الخَوف علىٰ نوعين مذمُوم، ومَمدُوح فالمذمُوم منه هو الّذي لم يكن من الّله ولا من صفاته المُقتضية للهَيبة والرُّعب ولا من معاصي العَبد وخباياته بل يكون لغير ذلك من الأُمور التّي لا معنىٰ للخوف منها كالخَوف من الفقر والمَرض والمَوت وأمثالها وذلك لأنّ ما يخاف منه لا يخلو أمّا أن يكون تحت قُدرة العَبد أو لا يكون تحت قُدرته فأن كان تحت قُدرته بمعنىٰ أنّه يمكن له دفعه عن نفسه فلا معنىٰ للخَوف عنه بل يلزم عليه عَدم وقوعه فيما يخاف منه كما اذا فَرضنا إنساناً لا يعرف السُباحة ومع ذلك يدخل في الماء الّذي لا يمكن العبُور منه إلّا بها وهو خائف من الغَرق فهذا الخَوف لا معنىٰ له لإمكان دفعه عن نفسه بعَدم الدّخول في الماء ونظائره كثيرة:

وأمّا فيما اذا لم يكن ما يخاف منه تحت قُدرته كخوفه من الفقر والمَرض والمَوت وأمثالها ففي هذه الموارد أيضاً يكون الخَوف مذمُوماً اذ لا فائدة فيه أصلاً:

وأمّا الخَوف المَمدوح فهو الّذي يكون من الله وهَيبَته وعَظَمته وما أعَدّه

للعاصين في الآخرة وهذا هو الّذي نبحث فيه ولا شك أنّ الخَوف بهذا المعنىٰ يرجع الىٰ الخَوف من ذَنبه ضرورة أنّ العقاب والعذاب يترتّبان علىٰ الذّنب وجوداً وعَدماً ترتب المعلُول علىٰ علّته والخَوف بهذا المعنىٰ أعني به الخَوف من الله ومن عَظمته وكبريائه هو الّذي عُبّر عنه بالخَشية والرّهبة في عُرف أرباب القلُوب فقوله ﷺ ولا يَخافنّ إلّا ذَنبه إشارة الىٰ الخَوف من المَعاصي والجَنايات وهذا هو الّذي فيه خطر عظيم لابدّ من علاجه قبل وقوعه.

وأمّا النّقل: فمن الآيات قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ﴾(1)

و : ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾(2)

و : ﴿وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾(3)

و : ﴿وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ﴾(4)

و : ﴿ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ﴾(5) والآيات والأخبار فيه كثيرة:

منها ما رواه في البحار بأسناده عن موسىٰ بن جعفر عن آبائه عن أمير المؤمنين قال أنّ المؤمن لا يصبح إلّا خائفاً وأن كان مُحسناً ولا يُمسي إلّا خائفاً وأن كان مُحسناً لأنّه بين أمرين بين وقتٍ قد مضىٰ لا يدري ما اللّه صانع به وبين أجَلٍ قد إقترب لا يدري ما يُصيبه من الهَلَكات الخَبر« ج ١٥ الجزء الثّاني ص ١١٨»...

ومنها ما رواه بأسناده عن أبي عبد الله ﷺ قال أنّ قوماً أصابوا ذنوباً فَخافوا منها وأشفقوا فجاءهم قوم آخرون فقالوا ما لكم فقالوا أنّا أذنبنا فخِفنا منها وأشَفقنا فقالوا لهم نحن نحملها عنكم فقال اللّه تبارك وتعالىٰ وتجترؤن عليّ فأنزل اللّه عليهم العذاب انتهىٰ« ص ١١٨»...

وينبغي التّنبيه علىٰ أمورٍ:

١- هود-١٠٣ ٢- الأنعام-١٥
٣- هود-٣ ٤- غافر-٣٢
٥- الزمر-١٦

أحدها: ما وَرد في الأخبار من أنّ الخَوف خمسة، خَوف، وخَشيَة، وَوَجَل، ورَهبة، وهَيبة:

فالخَوف للعاصين وهذا هو الّذي أشار أمير المؤمنين اليه بقوله ولا يَخافنّ إلّا ذَنبه، واليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (١)

٢ـ والخَشية للعالِمين، واليها الإشارة بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ (٢)

و: ﴿وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا اللَّهَ﴾ (٣)

و: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ﴾ (٤)

٣ـ والوَجَل للمُخبِتين، واليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ (٥)

و: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ (٦)

و: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ (٧)

٤ - والرَّهبة للعابدين، واليها الإشارة بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ (٨)

و: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً﴾ (٩)

٥- والهَيبة للعارفين، واليها الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ (١٠)

و: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبَادِ﴾ (١١)

فالخَوف للمُذنبين وَهو لا يكون إلّا بعد الذّنب، والخشية لأجل رؤية التّقصير، والوَجَل لأجل ترك الخِدمة، والرّهبة لأجل القصور في العبوديّة،

١- الأنعام ـ ١٥
٢- فاطر ـ ٢٨
٣- الأحزاب ـ ٣٩
٤- المائدة ـ ٣
٥- الحج ـ ٣٥
٦- الأنفال ـ ٣
٧- المؤمنون ـ ٦٠
٨- النحل ـ ٥١
٩- الأنبياء ـ ٩٠
١٠- آل عمران ـ ٢٨
١١- آل عمران ـ ٣٠

والهَيبَة لأجل العَظَمة والقَهارية إذا عرفت هذه الوجوه وأنّ الخَوف يطلق عليها علىٰ سبيل الإشتراك فقد علمت أنَ قوله عليه السلام: **ولا يَخافنّ إلّا ذَنبه إشارة الىٰ** معنىٰ الأوّل وهو خوف المُذنبين وأمّا غيره من الأقسام الأربعة فهو بحاله والكلام ليس فيه فلا نحتاج الىٰ إرجاع الأقسام الأربعة الىٰ القسم الأوّل وبعبارةٍ أُخرىٰ لا يرد الإشكال علىٰ العبارة بأنّها تُنافي ما وَرد من الآيات في الخَوف من اللّه تعالىٰ فأنّه بحث آخر.

وثانيها: أنّ أمير المؤمنين ذَكَر الخَوف بعد الرّجاء فقال لا يرجونّ أحد منكم الأربة ولا يَخافنّ إلّا ذَنبه لِلإشارة الىٰ أنّ الرّجاء لا ينفك عن الخَوف وبالعكس بل هما مُتلازمان فمن يَرجو ربّه بسبب إتيانه بالطّاعات لابدّ له من الخَوف بسبب إتيانه بالمَعاصي وكما أنّ الرّجاء بدون العَمَل غير معقُول كذلك الخَوف بدُون الذّنب غير معقُول وأمّا إثبات المُلازمة بينهما فلأنّ الخَوف كما عرفت عبارة عن التّألم من توّقع مكروه ممكن الحصُول ومن المعلوم أنّ ما يمكن حصُوله يمكن عَدم حصُوله أيضاً وما كان حصُوله مكروهاً كان عَدم حصوله محبُوباً فكما أنّه يتّألم بتّوقع حصوله يرتاح بتّوقع عَدم حصُوله أيضاً فالخَوف عن شئٍ يلزمه الرّجاء عَدماً.

كما أنّ الرّجاء بشئٍ يلزمه الخَوف فهما مُتلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر فَمن يدّعي الرّجاء ولا يخاف أو يدّعي الخَوف ولا يرجو فهو كاذب في قوله وهذا هو السّر في ذكر الخَوف بعد الرّجاء:

وثالثها: أنّ المؤمن ينبغي أن يكون بين الخوف والرّجاء بحيث لا يغلب أحدهما علىٰ الآخر فأن غَلب كان مذموماً كما ورد في الحديث عن الصّادق عليه السلام **قال عليه السلام كان فيما أوصىٰ به لقمان إبنه يا بنّي خِف اللّه خوفاً لو وافيته ببّر الثّقلين خفت أن يعذّبك وأرج اللّه رجاءً لَو وافَيته بذنوب الثّقلين رجوتَ أن يغفر لك انتهىٰ« بحار الأنوار ج ١٥ الجزء الثّاني ص ١١٩»...**

وعن الصّادق عليه السلام قال كان أبي عليه السلام يقول أنّه ليس من عبدٍ مؤمن إلّا وفي قلبه نوران نُور خيفة ونُور رجاء لو وُزِن هذا لم يزد علىٰ هذا ولو وزِن هذا لم

يزد علىٰ هذا انتهىٰ« جامع السّعادات ج ١ ص ٢٥٤»...

وقال ﷺ الخَوف رقيب القلب والرّجاء شفيع النّفس ومن كان باللّه عارفاً كان من اللّه خائفاً واليه راجياً وهما جناحان لِلإيمان يطير العَبد المَتصف بهما الىٰ رضوان اللّه وعينا عقله يبصر بهما الىٰ وعد اللّه ووَعيده والخَوف طالع عدل اللّه وناعي وعيده والرّجاء داعي فضل اللّه وهو يُحي القلب والخَوف يُميت النّفس ومن عَبد اللّه علىٰ ميزان الخَوف والرّجاء لا يضل ويَصل الىٰ مأموله وكيف لا يخاف العَبد وهو غير عالمٌ بما تُختم صحيفته ولا له عمَل يتوسل به إستحقاقاً ولا قُدرة له علىٰ شئٍ ولا مفر وكيف لا يرجو وهو يعرف نفسه بالعجز وهو غريق في بحر آلاء اللّه ونعمائه من حيث لا تُحصىٰ ولا تُعدّ والمُحبّ يعبد ربّه علىٰ الرّجاء بمشاهدة أحواله بعين سهر والزّاهد يعبد علىٰ الخَوف انتهىٰ« ج ١ ص ٢٥٤»...

ورابعها: أنّ الرّجاء والخَوف يلزمهما العَمَل علىٰ طبقهما للخائف والرّاجي فَمن إدّعىٰ الخَوف والرّجاء من غير عملٍ فهو كاذب في قوله أو غافل عن الحقيقة والواقع وبذلك أيضاً وَردت الأخبار.

روي في البحار بأسناده عن الحسن بن أبي سارة قال سمعتُ أبا عبد اللّه ﷺ يقول لا يكون العَبد مؤمناً حتّىٰ يكون خائفاً راجياً حتّىٰ يكون عاملاً لما يخاف ويرجو انتهىٰ« ج ١٥ الجزء الثّاني ص ١٢١»...

وبأسناده عن أبي بخران عمّن ذكره عن أبي عبد اللّه قال قلت له قوم يعملون بالمعاصي ويقولون نرجو فلا يزالون كذلك حتّىٰ يأتيهم المَوت فقال ﷺ هؤلاء قوم يترجحون في الأماني كذبوا ليسُوا براجين أنّ مَن رجىٰ شيئاً طلبه ومن خاف من شئٍ هَرب منه انتهىٰ« ص ١١١»...

وأمّا تفصيل الكلام في أسبابهما وأنواعهما وسائر ما يتعلق بهما فهو خارج عن وظيفة الكتاب ومن أراد الإطّلاع علىٰ هذه الأمور فعليه بمُراجعة كُتب الأخلاق:

وثالثها قوله ﷺ: ولا يَسْتَحِيينَّ أحَدٌ إذاسُئِلَ عمَّا لا يَعْلَمُ أنْ يَقُولَ لا أعْلَم...

وفيه إشارة الى أنّ الإنسان لا يخلو من الجَهل قلّ أو كثر وهذا أصل أصيلٌ عليه بناء العُقلاء وأن شئت قلت الأصل في الإنسان هو الجَهل وأمّا العلم فهو عارض له بتّحصيله أيّاه وحيث أنّ الإنسان لا يمكن له عادة تحصيل جميع العلوم فلا محالة يكون جاهلاً ببعضها أو أكثرها تمام عُمره وعليه فإذا سُئِل عمّا لا يعلم ينبغي له الإقرار بالجَهل وهذا حكم عقلي مطابق لأصله في جميع الموارد ولا سيّما في الأُمور الدّينية:

وأمّا النّقل: فمن الآيات قوله تعالى: **﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلا هُدىً وَلا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾**(١)

و: **﴿أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾**(٢)

و: **﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ لأَخَذْنَا مِنْهُ بِاليَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾**(٣)

ومن الأخبار ما رواه في البحار بأسناده عن زرارة قال سألت أبا جعفر الباقر ﷺ **ما حقّ اللّه على العباد قال ﷺ أن يقولوا ما يعلمون ويقفوا عند ما لا يعلمون انتهى«** ج ١ ص ١٠٠»...

وبأسناده عن أبي عبد اللّه ﷺ **قال أنّ اللّه تبارك وتعالى عَيّر عباده بأيتين من كتابه، أن لا يقولوا حتّى يعلموا ولا يردّه ما لم يعلموا قال اللّه عزّ وجلّ: ﴿ألَم يُؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على اللّه إلّا الحقّ﴾**

وقال: **﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾**(٤).

وبأسناده عن زرارة قال قلت لأبي عبد اللّه **ما حقّ اللّه على خَلقه أن يقولوا ما يعلمون ويكّفوا عمّا لا يعلمون فاذا فعلوا ذلك فقد أدّوا اليه حقّه انتهى** «ج ١ ص ١٠٠»...

١- لقمان ـ ٢٠
٢- البقرة ـ ٨٠
٣- الحاقّة ـ ٤٤
٤- الأعراف ـ ١٢٩ ويونس ـ ٣٩

وبأسناده عن أبي جعفر قال ما علمتم فقولوا وما لم تعلموا فقولوا اللّـه أعلَم أنّ الرّجل ليَنتزع بالآية من القرآن يـحرِّفها أبـعَد مـن السّـماء انـتهى « ص ١٠١»...

وبأسناده عن أبي عبد اللّه ﷺ قال إذا سُئل الرّجل منكم عمّا لا يَعلم فليقل لا أدري ولا يقل اللّه أعلَم فيوقع في قلب صاحبه شكاً وإذا قال المسـئول لا يَدري فلا يتّهمه السّائل انتهى« ص ١٠١»....

وبأسناده عنه ﷺ قال إذا سُئلت عمّا لا تعلم فقل لا أدري فأنّ لا أدري خَير من الفتيا انتهى« ص ١٠١»...

وعن طريق العامّة عن عبد اللّه بن عُمر قال قـال رسُـول اللّـه أنّ اللّـه لا يَقبض العلم إنتزاعاً ينزعه بين النّاس ولكن يقبض العلم بقبض العلماء وإذا لم يبق عالم إتّخذ النّاس رؤساء جهّالاً فسألوهم فقالوا بـغير عـلمٍ فـضّلوا وأضّلوا انتهى وقال ﷺ من أفتىٰ النّاس بغير علمٍ كان ما يُفسده من الدّين أكثر ممّا يُصلحه انتهى« ص ١٠١»...

ورابعها قوله ﷺ: لا يَستَحيينّ أحَد إذا لم يعلم الشّئ أن يتَعلّمه...

فيه حثٌّ على ترغيب الجاهل بالتّعلّم وأن لا يبقىٰ علىٰ جهله حتّىٰ المقدور وذلك لأنّه إذا كان الأصل فيه هو الجَهل والعلم يحصل له بالكَسب والتّحصيل فلا حياء في السّؤال عمّا لا يعلم لأنّ العلم نُور والجَهل ظلمة والعقل يحكم برفع الظّلمة ولا يحصل هذا إلّا بالسّؤال عن العُلماء والأخذ منهم وقد وَردت الآيات والأخبار في مَدح التّعلّم والإتّصاف بالعلم أكثر من أن تُحصىٰ فمن الآيات: قوله تعالىٰ:﴿هَلْ يَستَوِي الَّذِينَ يَعلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعلَمُونَ﴾ (١)

و : ﴿فَسْئَلُوٓا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعلَمُونَ﴾ (٢)

و : ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعلَمُونَ شَيْئًا﴾ (٣)

١- الزمر-٩ ٢- الأنبياء-٧
٣- النحل-٧٨

و : ﴿وَيُعَلِّمُكُم مَّالَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ (١).

وقد ذمّ الله تعالىٰ الجهّال في كثير من الآيات فقال: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾ (٢)

و : ﴿وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٣)

و : ﴿بل أكثرهم لا يَعلمُون الحقّ فهم مُعرضُون﴾ (٤)

روي في البحار بأسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال النّاس يغدون علىٰ ثلاثة عالم ومتّعلم وغثاء، فنحن العلماء وشيعتنا المُتّعلمون وسائر النّاس غُثاء انتهىٰ «ج ١ ص ٥٩»...

وبأسناده عنه عليه السلام قال قال رسُول الله صلى الله عليه وآله أُغدُ عالماً أو متّعلماً أو أحبّ العلماء ولا تكن رابعاً فتَهلك ببُغضهم انتهىٰ « ص ٥٩»...

وبأسناده عنه عليه السلام قال النّاس أثنان عالم ومتّعلم وسائر النّاس هَمج والهَمج في النّار انتهىٰ« ص ٥٩»...

وبأسناده عن جابر الجعفي عنه عليه السلام قال أنّ عليّاً كان يقول إقتربوا إقتربوا وإسألوا فأنّ العلم يقبض قبضاً ويضرب بيده علىٰ بطنه ويقول أما والله ما هو مَمّلوٌّ شحماً ولكنّه مملوٌّ عِلماً والله ما مِن آيةٍ نزلت في رجل من قُريش ولا في برٍ ولا بحرٍ ولا سهلٍ ولا جبلٍ إلّا أنا أعلم فيمن نزلت وفي أيّ يومٍ وفي أيّ ساعةٍ نزلت انتهىٰ« ص ٥٩»...

وقال رسُول الله صلى الله عليه وآله إطلبوا العلم ولو بالصّين، وقال صلى الله عليه وآله ما علىٰ من لا يَعلم من حَرَج أن يسأل عمّا لا يَعلم انتهىٰ وعنه صلى الله عليه وآله قال عليكم بالعلم قبل أن يقبض وقبل أن يجمع وجَمَع بين أصبَعيه الوسطىٰ والّتي تلي الإبهام ثُمّ قال العالم والمتّعلم شريكان في الأجر ولا خَير في سائر النّاس انتهىٰ.

وسُئل أبو الحسن موسىٰ بن جعفر هل يَسع النّاس ترك المسألة عمّا

١- البقرة ـ ١٥١ ٢- البقرة ـ ١٣
٣- يونس ـ ٨٩ ٤- الأنبياء ـ ٢٤

يحتاجون اليه قال لا انتهىٰ.

وقال النّبي ﷺ العلم مخزون عند أهله وقد أُمرتم بطلبه منهم:

وقال الصّادق ﷺ لو علم النّاس ما في العلم لطلبوه ولَو بسفك المُهج وخوض اللُّجج انتهىٰ« ص ٥٩»...

والأحاديث الواردة في فضيلة العلم والحثّ علىٰ تعَلمه من أهله أكثر من أن تُحصىٰ وقد مَرّ كثير منها في تضاعيف الأبحاث ولنعم ما قيل:

تَـعلَّم فأنّ المَـرء يُـولد عـالماً ... وليس أخو علمٍ كَمَن هو جاهل

وقال الآخر:

ولَـم أرَ فـرعاً طـالَ إلّا بأصله ... ولَـم أرَ بـدأ الـعلم إلّا تـعلّماً

وقال الآخر:

العــلم يُــحي قــلُوب المـيّتين كـما
تُــحي البــلاد إذا مـا مسّـها المَـطَر
والعــلم يـجلو العُـمى عن قلب صـاحبه
كــما يُــجلّي سـواد الظُّـلمة القَـمَر

وقال الآخر:

تَعلّم فَليس المَـرء يُخلق عـالماً ... وما عالِمُ أمراًكمن هُـو جـاهل

وقال الآخر:

ومـا بـقيت مـن اللّـذات إلّا ... مـحادثة الرّجـال ذوي العُـقول
وقـد كـانوا إذا ذُكـروا قـليلاً ... فـقد صـاروا أقـلّ من القـليل

وقال إبن طباطبا العَلوي:

حسُودُ مريض القلب يخفي أنينه ... ويُضحي كئيب البال عند حَزينه
يَلُوم علىٰ أن رحتُ فيالعالم طالباً ... أُجَـمعُ مـن عـند الرّجـال فُنونه
فأمـلّك أبـكـار الكـلام وعَونه ... وأحــفظ مـمّا أسـتفيد عُـيونه
ويزعم أنّ العلم لا يـجلب الغنىٰ ... ويُحسن بـالجهل الذّمـيم ظُنُونه
فـيا لا ئـمي دَعـني أُغـال بقيمتي ... فـقيمة كـلّ النّـاس مـا يـحسنونه

ولآخر:

العلم زينٌ وتشريف لصاحبه والجهل والنّوك مقرونان في قَرَنٍ

ولنعم ما قيل بالفارّسية:

صاحب علم وعَمل را رُتبهٔای والاستی
بعد مرگش مسکن اندر جنّة المأواستی
فخر در علم وادب باشد نه‌در اصل‌ونسب
ایـن سـخن قـول ولّـی وایـزد یکتاستی
علم را توصیف این بس کز برای بو البشر
حقّ معلّم گشت شاهد علّم الأسماستی
هرچه جزعلم‌ست امروزت‌بکارآیـدولی
علم همراه تو هم امروز هـم فـرداستی
علم باشد نور وتابد هرچه را از حقّ‌بدل
دیدهٔ اش در اینجهان وآنـجهان بـیناستی
بـهر تـعلیم وتـعلّم هـر کـجا بُـنیاد شـد
بـهنرین مـنزلگه ونـیکوترنن مأواسـتی
حلّ‌شود از علم هرجا مشکلی باشدبدهر
عالِم آری در جهان حلّال مشکـلهاستی

وخامسها قوله ﷺ: وعَلَيْكُمْ بالصَّبْرِ فإنَّ الصَّبْرَ منَ الإيمَانِ كالرَّأسِ منَ الجَسَدَ ولا خَيْرَ في جَسَدٍ لا رَأسَ مَعَهُ وَلا في إيمَانٍ لاَ صَبْرَ مَعَهُ...

الصّبر بفتح الصّاد وسكون الباء مصدر قولك صَبر صَبراً، وهو ثبات النّفس وعَدم إضطرابها في الشّدائد والمَصائب بأن تقاوم معها بحيث لا تَخرجها عن سعة الصّدر وما كانت عليه قبل ذلك من السّرور والطّمأنينة فيحبس لسانه عن الشّكوىٰ وأعضاءه عن الحَركات الغير المّتعارفة وضدّه الجَزع وهو إطلاق دواعي الهَوىٰ من الإسترسال في رفع الصّوت وضرب الخدُود وشقّ الجيُوب أو ضيق الصّدر والتّبرم والتّضجُر وقد عُرّف مُطلق الصّبر بأنّه مقاومة النّفس مَعَ

الهَوىٰ وبعبارةٍ أُخرىٰ أنّه ثبات باعث الدّين في مُقابلة باعث الهَوىٰ والمراد بباعث الدّين هو العقل النّظري الهادي الىٰ طريق الخير والصّلاح والمراد بباعث الهَوىٰ هو قوّة الشّهوة الخارجة عن إطاعة العقل.

والقتال دائماً بين الباعثين قائم والحرب بينهما أبداً سجال وقلب العبد معركته ومَدَد باعث الدّين الملائكة النّاظرين لحزب اللّه ومَدَد باعث الهَوىٰ من الشّياطين النّاصرين لِأعداء اللّه فأن ثبت باعث الدّين بإمداد الملائكة حتّىٰ قَهر باعث الهَوىٰ وإستمر علىٰ مخالفته غلب حزب اللّه والتَحقَ بالصّابرين وأن تحاول وضعف حتّىٰ غلب باعث الهَوىٰ بإمداد الشّياطين ولم يصبر علىٰ دفعه إلتَحَق بأتباع الشّياطين وعُمدة ما يثبت به باعث الدّين هو قوّة المعرفة أي اليقين بكون الهَوىٰ عدّواً قاطعاً لطريق الوصول الىٰ اللّه مضّاداً لإسباب السّعادات في الدّنيا والآخرة ثمّ باعث الدّين أمّا يقهر دائماً داعي الهَوىٰ بالكليّة بحيث لا تبقىٰ له قوّة المنازعة فيدوم الصّبر وتستقر النّفس في مقام الإطمئنان وتنادي من وراء سُرادقات الجمال بخطاب: ﴿يَٰأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرۡضِيَّةً﴾ (١) فتدخل في زمرة الصّديقين السّابقين وتنسلك في سلك عباده الصّالحين أو يغلب داعي الهَوىٰ وينقهر باعث الدّين بحيث لا تبقىٰ له قوة المنازعة فتسلم نفسه الشّريفة الملكوتية الّتي هي سرّ اللّه ووديعته الىٰ حزب الشّيطان وكيف كان لا شكّ أنّ الصّبر من أعلىٰ منازل السّالكين وأرفع مقامات الموّحدين وبه ينسلك العبد في سِلك المقرّبين ويصل الىٰ جوار ربّ العالمين وقد أضاف اللّه أكثر الخيرات اليه وذكره في أكثر من سبعين آية في القرآن ووَصف الصّابرين بأوصاف كثيرة منها قوله تعالىٰ: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡ﴾ (٢)

و: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾ (٣)

و: ﴿وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾ (٤)

١- الفجر ٢٨-٢٧
٢- الأحقاف ـ٣٥
٣- الرّعد ـ٢٤
٤- النّحل ـ١٢٦

و : ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا﴾ (١)

و : ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (٢)

و : ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٣)

و : ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ (٤)

و : ﴿أُوْلَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا﴾ (٥)

و : ﴿أُوْلَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا﴾ (٦)

و : ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾ (٧)

و : ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (٨)

و : ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَوٰةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (٩) والآيات كثيرة جدّاً:

ومن الأخبار – قال رسول الله ﷺ الصّبر نصف الإيمان، وقال ﷺ مِن أقلّ ما أُوتيتم اليقين وعزيمة الصّبر، ومن أعطىٰ حظّه منهما لم يبال ما فاته من قيام اللّيل وصيام النّهر ولأن تصبروا علىٰ مثل ما أنتم عليه أحبّ إليّ من أن يوافيني كلّ إمرئٍ منكم بمثل عمل جميعكم ولكنّي أخاف عليكم أن تفتح عليكم الدّنيا بعدي فينكر بعضكم بعضاً وينكركم أهل السّماء عند ذلك فمن صَبر وإحتسَب ظفر بكمال ثوابه انتهىٰ...

وقال ﷺ – الصّبر كَنزٌ من كُنوز الجنّة: وقال ﷺ أفضل الأعمال ما أُكرِهَت عليه النّفوس ولا ريب في أنّ الصّبر ممّا تكرهه النّفوس ولذا قيل الصّبر صبر...

وقال ﷺ الصّبر من الإيمان بمنزلة الرّأس من الجَسد ولا جَسَد لما لا رأس له ولا إيمان لِمن لا صبر له «جامع السّعادات ج ٣ ص ٢٨٢»...

١- الأعراف -١٣٧
٢- النّحل -٤٢
٣- النّحل -٩٩
٤- المؤمنون -١١١
٥- الفرقان -٧٥
٦- القصص -٥٤
٧- السجدة -٢٤
٨- الزّمر -١٠
٩- البقرة -١٥٣

روي في البحار بأسناده عن أبي جعفر عليه السلام قال عليه السلام الجنّة محفوفة بالمكاره والصّبر فمن صَبر على المكاره في الدّنيا دَخل الجنّة وجهنّم محفوفة باللّذات والشّهوات فمن أعطى نفسه لذاتها وشهواتها دَخل النّار انتهى...

وبأسناده عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال إذا دَخل المؤمن قبره كانت الصّلوة عن يمينه والزّكوة عن يساره والبرّ مطل عليه وتنحّى الصّبر ناحيته فإذا دَخل عليه المَلكان اللّذان يليان مسائلته قال الصّبر للصّلوة والزّكوة والبرّ دونكم صاحبكم فأن عجزتم عنه فإنا دونه انتهى...

وبأسناده عن أبي جعفر قال لما حَضرت أبي علّي بن الحسين الوفاة ضمنّي الى صدره وقال يا بنّي أوصك بما أوصاني به أبي حين حَضرته الوفاة وبما ذكر أنّ أباه أوصاه يا بنّي إصبر على الحقّ وإن كان مرّاً انتهى.

وبأسناده عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال عليه السلام إنّا صُبّرٌ وشيعتنا أصبَر منّا قلت جعلت فِداك كيف صاروا شيعتكم أصبَر منكم قال لإنّا نصبر على ما نعلم وشيعتنا يَصبرُون على ما لا يعلمون انتهى...

وأيضاً بأسناده عنه عليه السلام قال الصّبر من الإيمان بمنزلة الرّأس من الجسد فإذا ذهب الرّأس ذهب الجَسد كذلك إذا ذهب الصّبر ذهب الإيمان انتهى...

وبأسناده عن علّي بن الحسين عليه السلام قال الصّبر من الإيمان بمنزلة الرّأس من الجَسد ولا إيمان لما لا صبر له...

وبأسناده عن جابر قال قلت لأبي جعفر ما الصّبر الجميل قال عليه السلام ذلك صبر ليس فيه شكوى الى النّاس...

وبأسناده عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال إصبروا على المصائب ثمّ قال إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ أين الصّابرون فتقوم فقام من النّاس ثمّ ينادي أينَ المتصّبرون فيقوم فقام من النّاس قلت جعلت فِداك وما الصّابرون قال إداء الفرائض والمتصّبرون على إجتناب المحارم انتهى...

وبأسناده قال سأل النّبي جبرائيل ما تفسير الصّبر قال تصبر في الضّراء

كما تصبر في السّراء وفي الفاقة كما في الغنىٰ وفي البلاء كما في العافية فلا يشكو حاله عند المخلوق بما يصيبه من البلاء انتهىٰ...

والأحاديث في الباب فوق حدّ الأحصاء وقد نقلنا شطراً منها في ما مضىٰ وما نقلناه في المقام نقلناه عن البحار «البحار ج ١٥ ص ١٤٠ الىٰ ص ١٤٤ جزء الثاني»...

انّـي رأيت وفي الأيّام تجربةٌ   للـصّبر عـاقبة محمودة الأثـر

وقلّ من جَـد في أمرٍ يطالبه   فأستصحب الصّبر إلّا فاز بالظّفر

وقد ظهر لك من الأحاديث أنّ كلامه عليه السلام في المقام مأخوذ من كلام رسول اللّه صلى الله عليه وآله وكلام الائمّة مأخوذ من كلامه فالكُلّ مأخوذ من كلام الرّسول وهو من كلام اللّه لأنّه: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ (١) وفي تشبيه الصّبر بالرّأس والإيمان بالجَسَد إشارة الىٰ نكتتهٍ دقيقةٍ خفّية وهي أنّ الرّأس في الحقيقة أصل البدن وأساسه وبه قوامه وبقائه وحَركاته وسَكناته وسعادته وشقاوته وخيره وصلاحه وبالجملة لا خير في البَدن بل لا أثر فيه مع قطع النّظر عن رأسه كيف والعَقل الّذي هو بمنزلة الشّمس الطّالعة في مملكة البَدن مَقرّه الرّأس وجميع الخيرات مترّتب عليه فمن لا رأس له لا عقل له ومن لا عقل له لا حياة له واقعاً فكما أنّ العقل يدّبر البَدَن ويجّره الىٰ ما هو بصلاحه كذلك الصّبر يدّبر الإيمان ويجّره الىٰ ما هو بصلاحه فالمؤمن الّذي لا صَبر له لا يترتّب علىٰ إيمانه شيئ وسرّه أنّ الإيمان كما مّر الكلام فيه مراراً هو الإعتقاد بالجنان والإقرار باللّسان والعَمل بالأركان والثّالث هو الأصل فيه لقول الرّضا عليه السلام وهل الإيمان كلّه إلّا العَمَل، ولا شّك أنّ العَمَل إذا لم يقرن بالصّبر في الشّدائد والمكاره يصير هباءً منثوراً وإذا كان العَمَل الصّحيح لا يتّم بدون الصّبر فصّح أن يُقال أنّ الصّبر بمنزلة الرّأس له يَدُور مداره وُجوداً وعَدَماً ثمّ أنّ الصّبر علىٰ أقسام:

قال بعض العارفين أهل الصّبر علىٰ ثلاث مقامات:

١ـ النجم ٤-٣

الأوّل: ترك الشّكوىٰ وهذه درجة التّائبين:

الثّاني: الرّضا بالمقدّر وهذه درجة الزّاهدين:

الثالث: المحبّة لما يصنع به مولاه وهذه درجة الصّدقين:

وقال رسول اللّه ﷺ الصبر علىٰ ثلاث، صبر عن المصيبة وصبر علىٰ الطّاعة وصبر عن المعصية فمَن صبَر علىٰ المصيبة حتّىٰ يردّها بحسن عزائها كتب اللّه له ثلاث مِائة درجة ما بين الدّرجة الىٰ الدّرجة كما بين السّماء الىٰ الأرض، ومن صَبَر علىٰ الطّاعة كتب اللّه له سِت مِائة درجة ما بين الدّرجة الىٰ الدّرجة كما بين الأرض الىٰ العرش، ومن صَبَر علىٰ المعصية كتب اللّه له تسع مِائة درجة ما بين الدّرجة الىٰ الدّرجة كما بين تخوم الأرض الىٰ منتهىٰ العرش انتهىٰ« جامع السّعادات ج ٣ ص ٢٨٤»...

أقول، قد أشير الىٰ الأوّل بقوله تعالىٰ: **﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾** (١)

و: **﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ﴾** (٢)

و: **﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ﴾** (٣)

والىٰ الثّاني:

لقوله تعالىٰ: **﴿وأمُر أهلَك بالصّلوة وأصطَبِر عليها﴾** (٤)

وقوله: **﴿فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ﴾** (٥)

والىٰ الثّالث:

قوله تعالىٰ: **﴿سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِراً وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْراً﴾** (٦)

ومن المعلوم أنّ الإنسان في جميع الحالات لا يخلو عن هذه الحالات فمَن صَبر عليها فهو الصّابر حقّاً واجداً لجميع مراتب الصّبر فهذا الحديث هو الأصل في الباب وعليه تَدُور أقسام الصّبر وحيث أنّا قد تكلّمنا في الصّبر في تضاعيف الكتاب غير مرّة فإكتفينا بذكر هذا القَدر في المقام:

١- البقرة ـ ١٥٥   ٢- الحج ـ ٣٥

٣- البقرة ـ ١٧٧   ٤- طه ـ ١٣٢

٥- مريم ـ ٦٥   ٦- الكهف ٦٩

٨٠

□ **قوله ﷺ: لِرَجُلٍ أفْرَطَ في الثَّناءِ عَلَيْهِ وكانَ لَهُ مُتَّهِماً أنا دُونَ ما تَقُولُ وفَوْقَ ما في نَفْسِكَ...**

الإفْرَاطَ التّجاوز عن الحدّ وهو مذموم في جميع الأُمور حتّىٰ في العبادة قال اللّه تعالى: ﴿**لايُكَلِّفُ اللَّهُ نَفساً إلاّ وُسْعَهَا**﴾[1] والمراد به في المقام الإفراط في القَول في مقام المَدح والثّناء ولم يعرف الرّجل مَن هو، والمراد بكونه مُتّهِماً، إمّا أنّه كان مُتهِماً بالإفراط في الثّناء كما هو شأن أكثر المدّاحين للأعاظم لأجل الدّنيا وحُطامها وإمّا أنّ المراد بإتّهامه أنّه كان مُتّهماً بمُخالفته لأمير المؤمنين ﷺ ولم يكن من شيعته ومُواليه، ويحتمل في المَقام أن يكون المراد أنّه كان مُتهماً بالغُلّو لكنّه لا يساعد قوله ﷺ: **وفوق نفسك**، وذلك لأنّ الغالين يجعلونه فوق المَخلُوق وأكثرهم يقولون بإلٰهيته وعليه فلا معنىٰ لقوله وفوق ما في نفسك إذا المفروض أنّ في نفسه أنّه إلٰه العالمين نعوذ باللّه منه وفوق مقام الأُلوهية لا معنىٰ له وعليه فالظّاهر أنّ الرّجل أفرَط في الثّناء عليه بلسانه دون قلبه بل لا يبعد كونه منكراً لإمامته بقلبه ويمكن أن يكون المادح قد جَعله فوق مقام المخلوق بلسانه وأنكر إمامته بقلبه فقال ﷺ: **أنا دُونَ ما تَقُولُ** أي لستُ بخالقٍ وفوق ما في نفسك وقلبك حيث جَعَلتني فيه رابع الخُلفاء مثلاً وأنّما قلنا ذلك لأنّ الثّناء له ﷺ ولكلّ واحدٍ من المعصُومين في حدّ المخلوّقية لا إشكال فيه لما رُوي عنهم أنهم قالوا نزّلونا عن الرّبوبية وقولوا فينا ما شئتم فالثّناء لهم وأن بَلغ ما بَلغ لا إشكال فيه إذا لم يتجاوز حدّ المَنع وهو مقام الرّبوبية ولكنّ المادح لمّا كان مُنافقاً قال بلسانه وأنكَر بقلبه فَرْد أمير المؤمنين عليه فكأنّه ﷺ قال له أنت تقول في حقّي بلسانك ما تُنكره بقلبك.

---

[1] البقره ٢٨٦

٨١

□ قوله ﷺ: بَقِيَّةُ السَّيْفَ أبْقَى عَدَداً وأكْثَرُ وَلَداً...

قالوا في شرح الكلام المراد ببقيّة السّيف هم الّذين يبقون بعد الّذين قُتلوا في حفظ شرفهم ودينهم ودفع الضّيم عنهم وفضّلوا المَوت على الذّل فيكون الباقون شُرفاء نجداء فَعَددهم أبقىٰ ووَلَدهم يكون أكثر بخلاف الأذّلاء فأنّ مصيرهم الىٰ المحو والفَناء.

وقال المحقّق البحراني في شرح الكلام لا أرَىٰ ذلك إلّا للعناية الإلٰهيّة ببقاء النّوع وحفظه وإقامته وبأخلاف مَن قُتل مِمّن بقىٰ انتهىٰ.

وأنا أقول هذا التّفسير له وجه أن أُريد بالمقتُول بالسّيف المظلُوم فيقال أنّ الّذين يَبقُون بعده شُرفاء نُجداء وعَدَدَهم أبَقىٰ الىٰ آخر ما ذكروه وأمّا مطلق من قُتل بالسّيف ظالماً كان أو مظلوماً فليس الأمر كذلك والكلام علىٰ عمومه والتّخصيص يحتاج الىٰ دليلٍ مُخصّصٍ فتَخصيص الكلام بالمظلُوم لا دليل عليه والعمُوم لا يُفيد ما ذكروه فأنا في ذلك من المُتوقفين لا أدري ما المقصُود من هذا الكلام.

وكيف يكون بقيّة السّيف بالمعنىٰ الّذي ذكروه علىٰ إطلاقه أبقىٰ عَدَداً وأكثر وَلَداً فأنّ الخَوارج قُتلوا في النّهروان بأجمعهم وقد فَرّ منهم تسعة أو أقلّ فَهَل يصّح أن يقال أنّهم أي الباقُون أكثر وَلَداً وأبقىٰ عَدَداً لأنّهم بقيّة السّيف والعناية الإلٰهيّة إقتَضت كذلك نعم هذا المعنىٰ يمكن أن يُفرض في حقّ أولاد الرّسُول الّذين قُتلوا مظلومين في حكُومة بني أُميّة وبني العبّاس وغيرهم حيث أنّ الباقين كانوا أبقىٰ عَدَداً وأكثر وَلَداً كما هو المَشهُور في تفسير قوله تعالى: ﴿**إنّا أعْطَيْنَاكَ الكَوْثَرَ**﴾ وأمّا المقتُول بحقٍّ فلا وكيف يمكن حمل العمُوم علىٰ الخصُوص بغير دليلٍ يُعتمد عليه والله أعلم بحقيقة الحال.

﴿٨٢﴾

□ قوله ﷺ: مَنْ تَرَكَ قَوْلَ لا أدْرِي أُصِيبَتْ مَقَاتِلُهُ...

أقول: وهو عبارة أخرىٰ عن قوله ﷺ: ولا يَستَحيِيَنّ أحَدٌ منكم إذا سُئِل عمّا لا يَعْلَمَ أنْ يَقُولَ لا أعلمُ، وقد مَرّ شرحه وأمّا قوله ﷺ: **أُصِيبَتْ مَقَاتِلُهُ** فقالوا في تفسيره أي مواضع قتله لأنّ من قال ما لا يعلم عرف بالجَهل ومن عَرفه النّاس بالجَهل مقتوه فحُرم خيره كلّه، وقال البحراني ترك هذا القول كناية عن القول وإصابة المقاتل كناية عن الهَلاك الحاصل بسبب القول بالجَهل لما فيه من الضّلال والإضلال وربّما يكون بسببه هلاك الدّنيا والآخرة انتهىٰ.

والحاصل أنّ كلامه ﷺ هذا مُشعر بأنّ الإنسان اذا لم يعلم الشّيَ لا ينبغي له التّقول به اذ فيه هلاكه بل ينبغي أن يقول لا أدري ولا أعلم اذ فيه إراحة وإستراحة ولذلك إشتَهَر أنّ لا أدري نصف العلم ومن المعلوم أنّه لا يقول به إلّا العالم ولا ينكره إلّا الجاهل العَنُود، قال اللّه تعالىٰ: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (١)

من تحلىٰ بغير ما هو فيه
فضحته شواهد الإمتحان

١ـ اسراء ـ ٨٥.

وقال الآخر:

مَن تَحلّىٰ بغير ما هو فيه
شأن ما في يَديه ما يدّعيه

وإذا قَلَّ الدّعاوي لما فيه
أضافوا اليه ما ليس فيه

ومحك الفتىٰ سيظهر لِلنّاس
وأن كان دائباً تخفيه

يحسب الّذي ادّعىٰ ما عَداه
أنّه عالم بما يفتريه

قال بعض الحكماء، لا تنازع مَن فوقك، ولا تَقل إلّا بعلمٍ، ولا تتعاط ما لم تَنل، ولا يخالف لسانك قلبك، ولا قولك فعلك، ولا تَدع الأمر إذا أقبل ولا تطلبه إذا أدبر، وقد مرّت الآيات والأحاديث الواردة في الباب فلا نُعيدها ثانياً.

٨٣

▫ قوله عليه السلام: **رَأْيُ الشَّيْخِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ جَلَدِ الْغُلَامِ ورُوِيَ مَنْ مَشْهَدِ الْغُلَامِ...**

جَلَد الغلام، صبره على القتال، ومَشهَده إيقاعه بالأعداء والمقصُود أنّ الرّأي في الحَرب أشدّ فعلاً في الأقدام من الصّبر على القتال الّذي وقع بغير الرّأي والتّدبير ومن المعلوم أنّ المراد بالشّيخ في كلامه عليه السلام هو كثير التّجربة في الحروب لا مطلق الشّيخ فأنّ كثيراً من الشّيوخ لا عقل لهم ولا رأي وكيف كان فكلامه عليه السلام مُشعر بأنّ الرّأي والتّدبير في الأُمور ولا سيّما في الحروب والمعارك مقّدم على الإقدام فيها إذ الإقدام بدون الرّأي لا ينفع في أكثر الموارد بل قد يقع الإنسان في معركةٍ لا يمكن له الخلاص عنها بسهُولةٍ فَمن إعتمد على كثرة الأعوان والأنصار في الحروب بل وفي غيرها ولم يتّوجه الى الرّأي والتّدبير فقد أخطأ:

قال بعض الحُكماء أسَدٌ يقود ألف ثعلب خيرٌ من ثعلبٍ يقود ألف أسَد فلا ينبغي أن يقّدم الجيش إلّا رجل ذو البسالة والنّجدة والشّجاعة والجُرأة ثابت الجأش صارم القلب صادق البأس ممّن قد توّسط الحروب ومارس الرّجال ومارسوه ونازل الأقران وقارع الأبطال عازماً بمواضع الفُرص خبيراً بمواقع القَلب والمَيمنة والمَيسرة من الحرُوب فأنّه إذا كان كذلك وصدر الكلّ عن رأيه كانوا جميعاً كأنّهم مثله فأنّه أن رأى لقِراع الكتائب وجهاً وإلّا ردّ الغنم الى الرّزية.

والوجه فيه أنّ الحَرب خُدعة إحتياجها الىٰ التّدبير والرّأي أكثر منه الىٰ الأبطال والشّجعان نقلوا أنّ كسرىٰ لمّا أقبل الىٰ محاربة بهرام قال له صاحبه أما تستعد قال عدّتي ثبات قلبي وإصابة رأيي ونَصل سيفي ونُصرة خالقي وكان المُهلب يقول، أناة في عواقبها فَوتٌ، خيرٌ من عجلةٍ عواقبها دَرَك، وقال مسلمة بن عبد الملك ما أخَذتُ أمراً قطّ بحزمٍ فلَمتُ نَفسي فيه وأن كانت العاقبة عَلَي، ولا أخَذتُ أمراً قطّ وضيّعت الحَزم فيه إلّا لمتُ نفسي عليه وأن كان العاقبة لي، وكَتَب الحجّاج الىٰ المُهَلب يستعجله في حَرب الأزارقة فكَتَب اليه أنّ من البَلية أن يكون الرّأي بيد من يَملكه دون من يبصره:

وكان بعض أهل التّمرس يقول لأصحابه شاوِرُوا في حربكم الشّجعان من أُولي العَزم والجُبناء من أولي الحَزم فأنّ الجَبان لا يأتوا برأيه ما بقىٰ مُهجكم والشّجاع لا يعدو ما يُشّد بصيرتكم ثمّ خلّصوا من بين الرّأيين نتيجة تحمل عنكم معّرة الجبان وتهور الشّجعان فتكون أنفذ من السّهم الزّالج والحُسام الوالج والحكايات والنّوادر كثيرة:

﴿٨٤﴾

□ **قوله عليه السلام: عَجِبْتُ لِمَنْ يَقْنَطَ ومَعهُ الإسْتِغْفارُ...**

القنوط اليأس والمعنىٰ عَجِبْتُ لِمَنْ يَقْنطَ عن رحمة الله لأجل معاصيه والحال إنّ الإسْتِغْفارُ و التّوبة الىٰ الله يحط ذنوبه ففيه إشارة الىٰ أمرين،

أحدهما: عدم اليأس من رحمة الله المُلازم للرّجاء.

وثانيهما: الإستغفار بعد العصيان والقرآن نطق بهما:

فأشار الىٰ الأوّل:

قوله تعالىٰ: ﴿وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّونَ﴾ (١)

و: ﴿لاَ تَقْنَطُوا مِن رَحْمَةِ اللّٰهِ إِنَّ اللّٰهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً﴾ (٢)

والىٰ الثاني:

قوله تعالىٰ: ﴿والّذين إذا فَعلُوا فاحِشةً أو ظلمُوا أنفسهم ولذنُوبهم﴾ (٣)

و: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللّٰهَ يَجِدِ اللّٰهَ غَفُوراً رَحِيماً﴾ (٤)

و: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ (٥)

و: ﴿أَفَلاَ يَتُوبُونَ إِلَىٰ اللّٰهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللّٰهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (٦)

روي في البحار بأسناده عن جندب الغفاري أنّ رسُول اللّه قال أنّ رجلاً

١- الحجر - ٥٦
٢- الزمر - ٥٣
٣- آل عمران - ١٣٥
٤- النّساء - ١١٠
٥- هود - ٩٠
٦- المائدة - ٧٤

قال يوماً واللّه لا يغفر اللّه لفلانٍ قال اللّه عزّ وجلّ من ذا الّذي قالْ علىٰ أن لا أغفر لفلان فأنّي قد غفرتُ لفلان وأحبطتُ عَمل المُتّالي بقوله لا يغفر اللّه لفلان انتهىٰ...

وعن نوادر الرّاوندي قال رسُول اللّه ﷺ يبعث اللّه المُقنطين يوم القيامة مغلبة وجوههم يعني غَلبة السّواد علىٰ البياض فيقال لهم هؤلاء المُقنطُون من رحمة اللّه انتهىٰ«ج ١٥ الجزء الثّالث ص ٦٣»...

وقد مَرّ الكلام منّا في التّوبة وعدم اليأس من رحمة اللّه غير مرّة فيما مضىٰ وسيأتي الكلام في الإستغفار:

٨٥

حكىٰ عنه أبو جعفر مُحمّد بن عليّ الباقر ﷺ أنّه .

◻ قال : كان فِي الأَرضِ أَمَّانَانِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ وقدْ رُفِعَ أَحَدُهُما فَدُونَكُمُ الآخَرَ فَتَمسَّكُوا بِهِ .أمَّا الأَمانُ الّذِي رُفِعَ فَهُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وأمَّا الأَمانُ الْباقِي فالإِسْتِغْفارُ قَالَ اللَّهُ تعالىٰ: ﴿وَمَا كانَ اللَّهُ لِيُعذِّبَهُمْ وأنْتَ فِيهِمْ، وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ وهٰذا من مَحاسِنِ الإِسْتِخْرَاجِ وَلَطَائِفِ الإِسْتِنْباطِ.

◁ اللّغة

(أَمَّانَانِ) تثنية أَمان وهو بفتح الألف مصدر قولك أَمِن أَمناً وأَمَناً، وأَماناً وأَمَنةً إطْمأَن، فالأمان هو الإطْمئنان (دُونَكُمْ) دُونك بضم الدّال إسم فعلٍ بمعنىٰ، خُذ (فَتَمسَّكُوا) فعل أمرٍ من تَمَّسك يتَّمسك والباقي واضح.

◁ المعنىٰ

أنّ لِلّه تعالىٰ كان في الأرض أمانين من عذابه أحَدهما رسُول اللّه ﷺ وثانيهما الإسْتِغفارَ أمّا الأوّل فقد رُفع وهو كناية عن مَوته ﷺ وأمّا الثّاني أعني الإسْتِغفارَ فهو موجود بينكم فَتَمسَّكُوا به ثُمّ إستّدل ﷺ علىٰ إثبات الأمان الأوّل بقوله تعالىٰ: **﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾**[1] وعلىٰ الثّاني بقوله تعالىٰ: **﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾**[2]

١-الانفال ٣٣

٢-انفال ٣٣

قال الرّضي ﷺ هذا أي ما ذكره ﷺ في المقام وإستَخرجه من كلام اللّه من محاسن الإستخراج ولطائف الإستنباط وأنّما قال ﷺ ذلك لأنّ أمير المؤمنين ﷺ عَبّر عن الرّسول والإستغفار بالأَمانين أي أنّ اللّه تعالىٰ أمَّن النّاس بوجودهما عن العذاب في الدّنيا كما صَرّحت به الآية في المَورِدَين.

أمّا الأَمان الأوّل أعني به الرّسول فهو قد مات لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾(١) وأمّا الإستغفار الّذي هو عبارة عن طلب المَغفرة منه تعالىٰ بقىٰ لهم الىٰ يوم القيامة ولذلك قال ﷺ: فَدُونَكُمُ الآخَرَ أي خُذوه وتَمَسكوا به فأنّ اللّه يغفر الذّنوب جميعاً:

قال الباقر ﷺ يا مُحمّد بن مُسلم أترىٰ العَبد المؤمن يندم علىٰ ذنبه ويستَغفر منه ويتوب ثُمّ لا يقبل اللّه توبته، قال فأنّه فعل ذلك مراراً يذنب ثُمّ يتوب ويستغفر فقال ﷺ كلّما عاد المؤمن بالإستغفار والتّوبة عاد اللّه عليه بالمغفرة وأنّ اللّه غفور رحيم ويعفو عن السّيئات فأيّاك أن تَقنط المؤمن من رحمة اللّه انتهىٰ...

وقال ﷺ العَبد المؤمن إذ أذنب ذنباً أجّله اللّه سبع ساعات فأن إستَغفر اللّه لم يكتب عليه شئ وأن مَضت السّاعات ولم يَستغفر كُتب عليه سيّئة وأنّ المؤمن ليذكر ذنبه بعد عشرين سنة حتّىٰ يستغفر ربّه فيغفر له وأنّ الكافر لينسىٰ من ساعته انتهىٰ. وقال ﷺ ما من مؤمن يقارف في يومه وليلته أربعين كبيرة فيقول وهو نادم أستَغفر اللّه الّذي لا إله هو الحيّ القيّوم بديع السّموات والأرض ذا الجلال والإكرام وأسأله أن يُصّلي علىٰ مُحمّد وآل مُحمّد وأن يتوب علّي إلّا غفرها اللّه له ولا خير فيمن يقارف في يومه أكثر من أربعين كبيرة انتهىٰ« جامع السّعادات ج ٣ ص ٦٧»....

أقول: قد مَرّ منّا الكلام في الباب غير مرّة وسيأتي أيضاً في الأبحاث الآتية إن شاء اللّه تعالىٰ فلنَكتَفي في المقام بذكر ما ذكرناه.

١-الزمر ـ ٣٠

٨٦

□ **قوله عليه السلام: مَنْ أصْلَحَ بينَهُ وَبيْنَ اللّهِ أصْلَحَ اللّهُ ما بَيْنَهُ وبينَ النّاسِ ومَنْ أصْلَحَ أمْرَ آخِرَتِهِ أصْلَحَ اللّهُ أمْرَ دُنْياهُ .ومَنْ كانَ لَهُ منْ نَفْسِهِ واعِظٌ كانَ عليْهِ مِنَ اللّهِ حافِظٌ...**

ذَكَر عليه السلام في المقام أُموراً ثلاثة ينبغي لِلسّالك مُراعاتها فأنّ فيها خير الدّنيا والآخرة:

أحدها قوله عليه السلام: أنّ مَنْ أصْلَحَ بيْنَهُ وَبيْنَ اللّهِ أصْلَحَ اللّهُ ما بَيْنَهُ وبَيْنَ النّاسِ، والمراد بالإصلاح بينه وبين اللّه تحصيل رضاه في أعماله وأفعاله بأن يكون الأعمال كلّها له تعالىٰ وبعبارةٍ أُخرىٰ إتيانه الواجبات مُتقرباً اليـه وخـاصلاً لوجهه الكريم وتَركه المُـحرّمات كـذلك وأن شـئت قـلت العَـمَل بـوظائف العبودّية فَمن كان كذلك فقد أصْلَح بينه وبين اللّه:

والمراد بالإصلاح بينه وبين النّاس كونه مَحبُوباً لهمَ فهذا فرع عـلىٰ ذلك الأصل أو ملازم له والسِّر فيه هو أنّ قلُوب العباد بيده تعالىٰ وتحت إختياره يُقلّبها حيث شاء ومتّىٰ شاء كما ورد في الدّعاء يا مُقلّب القلُوب والأحوال، فإذا كان العَبد مُطيعاً له تعالىٰ في جميع أحواله راجياً به آيساً عن غيره أصلَح اللّه جميع أُموره في الدّنيا من حيث لا يَحتسب وإذا كان مُخالفاً عاصياً مُتكئاً علىٰ نفسه مُستّمداً من خلقه فلا محالة لا يكون لائِقاً بهذا المقام وهو ظاهر:

روي في البحار بأسناده عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال أوحىٰ اللّه عزّ وجلّ الىٰ

داود ما إعتَصم بي عبدٌ من عبادي دُون أحَدٍ من خَلقي عرفت ذلك من نيّته ثُمّ تكيده السّموات والأرض ومن فيهنّ إلّا جعلتُ له المَخرج من بينهنّ وما إعتَصم عبد من عبادي بأحَدٍ من خَلقي عرفت ذلك من نيّته إلّا قطعت أسباب السّموات من يَديه وأسَخت الأرض من تحته ولم أُبال بأيّ وادٍ هَلَك انتهى» ج ١٥ ص ١٥٣»...

وبأسناده عنه ﷺ قال أيّما عبدٍ أقبَل قِبَل ما يحبّ اللّه عزّ وجلّ أقبَل اللّه قِبل ما يحبّ ومن إعتَصم باللّه عَصَمه اللّه ومن أقبله اللّه قَبله وعَصَمه لم يُبال لو سقطت السّماء على الأرض أو كانت نازلة نزلت على أهل الأرض فَشَملتهم بلّية كان في حزب اللّه بالتّقوى من كلّ بلّية ألَيس اللّه عزّ وجلّ يقول: (أنّ المُتّقين في مقامٍ أمينٍ) انتهى «ص ١٥٣»...

وبأسناده، قال كتب رجل الى الحُسين بن علّي ﷺ يا سيّدي أخبرني بخير الدّنيا والآخرة فَكتب اليه بسم اللّه الرّحمن الرّحيم أمّا بعد فأنّه من طَلَب رضى اللّه بسخط النّاس كفاه اللّه أُمور النّاس ومَن طَلَب رضى النّاس بسَخط اللّه وكّله اللّه الى النّاس والسّلام ج ١٥ الجزء الثّانى «ص ٢٠٥»...

وبأسناده عن موسى بن جعفر ﷺ عن آباءه قال رسُول اللّه ﷺ إذا أحَبّ اللّه تعالى عبداً نادى مُنادٍ من السّماء ألا أنّ اللّه تعالى قد أحَبّ فلاناً فأحبّوه فتعيه القلُوب ولا يلقي إلّا حبيباً مُحبّباً عند النّاس واذا أبغض اللّه تعالى عبداً نادى مُنادٍ من السّماء ألا أنّ اللّه تعالى قد أبغض فلاناً فأبغضُوه فتعيه القلُوب وتعي عنه الأذان فلا تلقاه إلّا بَغيضاً مُبَغضاً شيطاناً مارداً انتهى« ص ٢٠٥»...

وبأسناده عنأبي ذرّ قال قلت يا رسُول اللّه الرّجل يَعمل لنفسه ويحبّه النّاس قال ٩ تلك عاجل بشرى المؤمن انتهى« ص ٢٠٥»...

وثانيها قوله ﷺ: من أَصْلَحَ أَمْرَ آخِرَتِهِ أَصْلَحَ اللَّهُ لَهُ أَمْرَ دُنْيَاهُ، وذلك لأنّ أمْرَ الدُّنْيا والآخِرة كلاهما بيده تعالى كما قال: ﴿وأن كلّ ذلك لما متاع الحياة

الدُّنيا والآخرة عند ربك ﴿فَلِلَّهِ الأَخِرَةِ وَالأُولَىٰ﴾[1] ولا شَك أنّ الدّنيا خلقت لأجل الآخرة فالآخرة هي الأصل والدّنيا فرع عليها والدّليل على ماذكرناه هو أنّ الدّينا مَزرَعة الآخرة ووسيلة وسَبب للوصُول اليها ومن المَعلُوم أنّ المُسَبب هو الأصل في الحقيقة والسَّبَب فرع عليه وأن كان في ظاهر الأمر بخلافه فأنّ العلّة الغائية أعني بها ما خُلق الشئ لأجله في الوجود الذّهني العقلّي مُقّدم وأن كان في الوجود الخارجي غير مُقّدم فالدّنيا وأن كانت في الظّاهر قبل الآخرة إلّا أنّها حيث كانت بمنزلة المقّدمة قدِّمت على الآخرة كما هو شأن المقّدمة في جميع الموارد وعليه فَمن سعي لِلآخرة في الدّنيا وأصلَح أمَرها فقد أصلَح أمر دُنياه من حيث لا يَحتسب ضرورة أنّ الآخرة لا تَحصل إلّا بها فكيف يَعقل إصلاح الآخرة بدُون إصلاحها هكذا إقتَضت العناية الإلَهية ولأجل هذا أسند ﷺ إصلاح الأمرين اليه تعالى:

روي في البحار بأسناده عن أبي عبد اللّه ﷺ قال مَن أصبَح وأمَسى والدّنيا أكبر هَمّه جَعَل اللّه تعالى الفقر بين عَينيه وشَتَّت أمره ولم يَنل من الدّنيا إلّا ما قسّم له ومن أصبَح وأمَسى والآخرة أكبر هَمّه جَعَل اللّه تعالى الغِنى في قلبه وجَمَع له أمره انتهى« ج ١٥ الجزء الثّالث ص ٦٩»...

وبأسناده قال رسول اللّه ﷺ - إنّ في طلب الدّنيا إضرار بالآخرة وفي طلب الآخرة إضرار بالدّنيا فأضّروا بالدّنيا فإنّها أحقّ بالإضرار انتهى« ص ٨٢»...

وقد مرّ الكلام في الدّنيا والآخرة غير مرّة:

وثالثها قوله ﷺ: وَمَنْ كَانَ لَهُ مَنْ نَفْسِهِ واعِظٌ كَانَ عليْهِ منَ اللّهِ حافِظٌ، والأصل فيه قوله تعالى:﴿ أَتَأمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتلُونَ الكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[2] وقوله تعالى:﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا إهْتَدَيْتُمْ﴾[3] روي في مشكاة الأنوار عن علّي بن

١- النّجم ـ ٢٥
٢- البقرة ـ ٤٤
٣- المائدة ـ ١٠٥

الحُسين عليه السلام قال - حقّ نفسك عليك أن تستعملها بطاعة اللّه، وكان علّي بن الحُسين عليه السلام يقول يا بن آدم لا تزال بخيرٍ ما دام لك من نفسك واعِظ وما كانت المُحاسبة من همّك وما كان الخَوف لك شِعاراً والحُزن دثاراً يا بن آدم إنّك ميّت ومبعُوث وموقُوف بين يَدي اللّه عزّ وجلّ ومسئولٌ فأعِد له جواباً انتهى «ص ٢٤٦»...

وقال الرّضا عليه السلام - ليس منّا من لم يُحاسب نفسه في كلّ يومٍ فإن عمِل حَسَناً إستزاد اللّه منه وإن عَمِل سيّئاً إستغفر اللّه منه وتاب اليه انتهى « ص ٢٤٧...»

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال - النّفس مجبولة على سُوء الأدب والعَبْد مأمور بِملازمة حُسن الأدب والنّفس تجري في ميدان المُخالفة والعَبْد يجهد بردّها عن سُوء المُطالبة فمتى أُطلق عِنانها فهو شريك في فسادها ومن أعان نفسه في هَوىٰ نَفسه فقد أشرك نفسَه في قتل نَفسه انتهى«ص ٢٤٧»...

وقال الصّادق عليه السلام - من مَلَك نَفسه إذا رَغَب وإذا رَهَب وإذا إشتَهىٰ وإذا غَضَب وإذا رضىٰ وإذا سَخَط حرّم اللّه جَسَده علىٰ النّار انتهى«ص ٢٤٧»... والأحاديث كثيرة:

وأمّا قوله عليه السلام: **كانَ عليهِ منَ اللّهِ حافِظٌ**، فمعناه إنّ اللّه تعالىٰ يحفظ العبد الصّالح المُراقب لِنفسَه المُتّعظ بها عن آفات الدّنيا وعذاب الآخرة، كما قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله - ما من أَحَدٍ إلّا ومعَه مَلكان وعليه حَكَمة يمسكا بها فإن هَوىٰ منع نفسه جَذَبها ثمّ قالا اللّهم ضَعْه وإن وَضَع نفسه قالا اللّهم إرفعه انتهى

وقد قال اللّه تعالىٰ: ﴿ وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴾ (١) ومن المعلوم إنّ اللّه تعالىٰ خيرٌ حافِظاً وهو أرحم الرّاحمين والحاصل إنّ العَبْد إذا واظب علىٰ نفسه يصير مشمولاً لِعِناية اللّه مرحوماً برحمته ومحفوظاً بحفظه وهو من أَحَسن السّعادات في الدّارين:

١- الحجر ـ١٧

٨٧

□ قوله ﷺ: أَلْفَقِيهُ كُلُّ الْفَقِيهِ مَنْ لَمْ يُقَنِطِ النَّاس مَنْ رَحْمَةِ اللّٰهِ ولمْ يُؤيِسْهُمْ مِنْ رَوْحِ اللّٰهِ ولمْ يُؤْمِنْهُمْ منْ مَكْرِ اللّٰهِ...

أَلْفَقِيهِ بفتح الفاء وكسر القاف كالشّريف والعليم وزناً من كان شديد الفَهم ذكيّاً عالِماً وهو مشتّق من الفِقِه وهو في اللّغة الفَهم، وقال الرّاغب في المُفردات الفِقه هو التّوصل الىٰ علم غائبٍ بعلم شاهد فهو أخصّ من العِلم، والفِقه هو العِلم بالأحكام الشّرعية يقال فَقُه الرّجل فقاهةً إذا صار فَقَيهاً انتهىٰ.

أقول ما ذكره الرّاغب هو معناه المُصطلح، وإلّا فهو أصل اللّغة الفَهم وكيف كان فالمعنىٰ إنّ الفقيه الحقيقي والعالم الواقعي من كان له ثلاث خِصال:

الأولىٰ:

أن لا يكون مِمّن يقنط النّاس من رحمة اللّه لقوله تعالىٰ: ﴿ **وَمَنْ يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّون** ﴾(١)

الثّانية:

أن لا يكون مِمّن ييأس النّاس من روح اللّه لقوله تعالىٰ: ﴿ **ولا تيأسوا مِن رَّوْحِ اللّهِ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُون** ﴾(٢)

الثّالثة:

أن لا يكون مِمّن يؤمنهم من مكر اللّه لقوله تعالىٰ: ﴿ **فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ**

١- الحِجر ـ٥٦ ٢- يوسف ـ٨٧

الْخَسِرُونَ﴾[1] فهذه الصّفات الثّلاثة تنبغي أن تكون موجودة فيه ليصّح صدق إسم الفقيه عليه حقّاً:

روي في البِحار بأسناده قال قال رسول الله ﷺ قال الله تبارك وتعالىٰ:(يا بن آدم لا يغّرنك ذنب النّاس عن ذنبك ولا نعمة النّاس عن نعمة اللّه عليك ولا تقنط النّاس من رحمة اللّه وأنت ترجوها لِنفسك انتهىٰ« ج ١٥ الجزء الثّالث ص ١٥٨»...

قال بعض العُرفاء ينبغي لكلّ مؤمنٍ أن لا ييأس من رَوح اللّه ولا يظّن إنّه لا يرحمه ويعذّبه اللّه ولا يخّلصه من العِقاب وإنّ ما يرد عليه فيِ الدّنيا من البلايا والمَصائب هو شّر له وعقّوبة بل ينبغي أن يعلم إنّه تعالىٰ أرحَم وأَرأَف به من والديه وإنّما خَلَقه لأُجل الفيض والجُود فلابّد أن يرحمه في الآخرة ويخلصه من عذاب الأبد ويوصله الىٰ نعيم السّرمد وما يرد عليه في الدّنيا من المَصائب والبَلايا خيرٌ له وصَلاح وذخيرة له في يومِ المَعاد، وسيأتي الكلام في هذه الأمور بوجهٍ أَبسط:

١- الأعراف ـ ٩٩

﴿ ٨٨ ﴾

□ قوله عليه السلام: إِنَّ هٰذِهِ الْقُلُوبَ تَمَلُّ الأَبْدَانَ .فَأَبْتَغُوا لَهَا طَرَائِفَ الْحِكَمِ...

أي كما أنّ الأبدان تحتاج الىٰ الغذاء والإستراحة وإلّا تَمَل كذلك القلوب تحتاج الىٰ الغذاء والإستراحة والنّشاط وغذاء كلّ شئٍ بحسبه فغذاء الجسم الأكل والشّرب وراحته في النّوم وغذاء القَلب الحكـمة والمَـوعظة الحَسَنة وإتّصافه بالمَلكات الفاضلة والصّفات المُستَحسنة وكسب المعارف والعلوم النّافعة والمراد بالقلب في القمام هو الرُّوح لا اللّحم الصّنوبري المَخصُوص في البَدن وأن شـئت قـلت مـركز الفَـهم والدّرك وفـيه حَثٌّ عـلىٰ تَـحصيل الكمالات والعلُوم والمَعارف الحقّة فأنّ حياة القَلب بها ومَماته بعَدمها:

رُوي عن الصّادق عليه السلام أنّه قال تلاقوا وتـحادثوا العلم فأنّ بالـحَديث تجلّي القلُوب الرّائنة وبالـحَديث إحياء أمرنا فَرحم اللّـه مـن أحـيىٰ أمـرنا« بـحار الأنوار ج ١ ص ٦٣»...

وعن النّبي صلى الله عليه وآله -تَذاكروا وتَلاقوا وتحّدثوا فإنّ الـحَديث جلاء إنّ القلوب لِتَرين كما يَرين السّيف وجلاؤها الـحَديث فقال صلى الله عليه وآله -إنّ اللّه عزّ وجلّ يقوال تذاكر العلم بين عبادي ممّا تـحيىٰ عليه القلوب المَيتة إذا إنتهوا فيه الىٰ أمري انتهىٰ« ص ٦٣»...

أقول: والىٰ هذا المعنىٰ أُشير في الكتاب بقوله تعالىٰ:

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ (١)

وفي هذه الآية وأمثالها دلالة واضحة على إنّ القلوب مريضة تحتاج الى الشّفاء والبَرء من المرض فَمرضها الجهل وشفائها العلم والفقه والحِكمة والآيات والأخبار في مدح العِلم أكثر من أن تُحصىٰ وقد مرّ كثير منها في الأبحاث السّالفة:

١- يونس-٥٧ و ٥٨

٨٩

□ قوله عليه السلام: أَوْضَعُ الْعِلْمِ ما وُقِفَ علىٰ اللسَانِ وأَرْفَعُهُ مَا ظَهَرَ في الجَوَارِحِ والأَرْكانِ...

أي أدنىٰ العِلم ما وقف علىٰ اللّسان ولم يتجاوز عنه أي لم يظهر أثره في الأخلاق والأعمال وأركان البَدَن وأمّا أرفعه أي أشرَف العِلم ما ظهر فيها، وفيه إشارة الىٰ إنّ العُلماء علىٰ صنفين صنف منهم يعلمون ما يعلمون بِلسانهم بمعنىٰ إنّهم إذا سُئلوا عن مسئلة لم يعجزوا عن جوابها بل يُجيبونها بأحسنِ جوابٍ وإذا تكلّموا أو وَعظوا كان كلامهم ووَعظهم علىٰ طبق القواعد العلّمية ومحصّل الكلام هو إنّهم يعلمون الفِقه والفَلسفة والأدَب ونحوها من العلوم علىٰ حسب إستعدادهم وهذا شأن أكثر العُلماء في كلّ عهدٍ وزمان، وصنف منهم وهم الأقلّون يعلمون ما يعلمون ثمّ يُظهرون علومهم في أعمالهم وأفعالهم بحيث لو لم يتكلّموا بالعلم الحاصل لهم يُعرف من أعمالهم إنّهم من العُلماء وإن شئت قلت صنف منهم يعمل بِعلمه والآخر لا يَعمل بِعلمه فالأوّل وقَفَ علمه علىٰ اللّسان والثّاني أظهره في الجوارح والأركان ولا شكّ إنّ الصّنف الثّاني أفضل من الأوّل إذ العالم بلا عَمَل كالشّجر بلا ثَمَر وقد قال الله تعالىٰ: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً﴾(١)

١- سورة الجمعة آية ٥

وقد ورد الذّم له في كثير من الأخبار:

روي في البحار عن أمير المؤمنين ﷺ إنّه حدّث عن النّبي ﷺ إنّه قال العُلماء رجلان، عالم آخِذٌ بعلمه فهذا ناج ورجل تارك لعلمه فهذا هالك وإنّ أهل النّار ليتأذّون من ريح العالم التّارك لِعلمه وإنّ أشدّ أهل النّار حسرةً وندامةً رجل دعا عبداً الىٰ اللّه وقبل فأطاع اللّه فأدخله الجنّة وأدخل الدّاعي النّار بتركه علمه انتهىٰ« ج ١ ص ٧٩»...

وعن النّبي ﷺ قال –العلم علمان عِلم في القلب فذلك العِلم النّافع وعِلم في اللّسان فذلك حجّة علىٰ العباد، وقال ﷺ –من إزداد في العِلم رُشداً ولم يزدد في الدّنيا زُهداً لم يزدد من اللّه إلّا بُعداً انتهىٰ« ص ٨٠»...

وعن الصّادق ﷺ قال –تَعلّموا ما شئتم أن تعلموا فَلَن ينفعكم اللّه بالعلم حتّىٰ تَعَملوا به لإنّ العُلماء هِمتّهم الرّعاية والسّفهاء هِمتّهم الرّواية،« ص ٨٠»...

وقال ﷺ –الّذي لا يعمل به كالكنز الّذي لا ينفق منه أَتعب صاحبه نفسه في جمعه ولم يصل الىٰ نفعه، وقال ﷺ –مَثَل الّذي يعلم الخَير ولا يَعَمل به مَثَل السّراج يُضيئ للنّاس ويحرق نفسه،« ص ٨٠ » والأحاديث كثيرة جدّاً ولِنعم ما قيل:

وَلَم يَحمدوا من عالمٍ غير عاملٍ

ولَم يحمدوا من عالمٍ غير عالمِ

قال بعض الحُكماء –لولا العَمَل لم يُطلب العِلم ولولا العِلم لم يُطلب العَمَل، فكإنّهما مُتلازمان:

﴿ ٩٠ ﴾

□ قوله عليه السلام: لا يَقُولَنَّ أَحدُكُمُ اللَّهُمَّ إنِّي أعُوذُ بِكَ منَ الْفِتْنةِ لأَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ إلَّا وهُوَمُشْتمِلٌ علىٰ فِتْنةٍ ولَكِنْ مَنِ إسْتَعاذَ فَلْيَسْتَعِذْ منْ مُضِلاَّتِ الْفِتَنِ .فإنَّ اللّهَ سُبْحانهُ يَقُولُ:

﴿ وأعْلَمُوا أنَّما أمْوالُكُمْ وأوْلادكُمْ فِتنةٌ﴾ ومَعنىٰ ذَلِكَ انَّهُ يَخْتَبِرُهُمْ بالأَمْوَالِ والأوْلاَدِ لِيَتَبَيّنَ السَّاخِطَ لِرزْقِه والرَّاضِيَ بِقِسْمِه وإنْ كانَ سُبْحانَهُ أعْلَمَ بِهِمْ منْ أنفسِهمْ وَلكنْ لِتَظْهَرَ الأَفْعَالُ الَّتي بِهَايستَحق الثَّوَابُ وَالْعِقَابُ لإنَّ بَعْضَهُمْ يُحِبُّ الذُّكُورَ وَيَكْرَهُ الإنَاثَ وَبَعْضَهُمْ يُحِبُّ تَثْميرَ المَالِ وَيكْرَهُ أنْثِلاَمَ الحَالِ...

قال الرّضي : وَهذا مِن غَريبِ مَا سُمِعَ مِنْهُ في التفسِيرِ.

(الفِتْنةِ) قال الرّاغب أصل الفِتن إدخال الذّهب في النّار لتظهر جودته من ردائته ثُم ذكر عدّة من موارد إستعمالها الىٰ أن قال وتارةً في الإختبار، أقول وهذا هو المراد في المقام **(مُضِلاَّتِ)** جمع مُضِلَة **(الْفِتَنِ)** بكسر الفاء وفتح التّاء جمع فِتنة (السَّاخِطَ) ضدّ الرّاضي (تَثْميرَ) مصدر باب التفعيل من ثَمَّر يُثَّمر نحو صَرَّف يُصَّرفُ وهو إنماء المال بالرّبح **(إنْثِلاَمَ الحَالِ)** الإنثلام مصدر قولك إنثلم إنثلاماً ومعناه النّقص إنثلام الحال نقصه:

◁ الشّرح

نهىٰ عليه السلام عن القول بالإستعاذة من الله عن الفِتنة فقال لا يَقولنّ أحدكم اللّهم أنّي أعوذ بك من الفِتنة وعَلَّله عليه السلام بأنّه ليس أحَد إلّا وهو مُشتَمل علىٰ فِتنةٍ أي

أنّ الإنسان كائناً من كان لا يخلو عنها بدليل قوله تعالى: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ (١)

و: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (٢) ولكن من إستعاذ بالله فَليَستَعذ من مُضلات الفِتن، أي أسبابها من المال والأولاد والمقام وأمثالها ممّا يُوجب سقوط الإنسان عن مقام الإنسانيّة وخلودها في العذاب جسماً وروحاً في الدّنيا والآخرة ولمّا كان في المقام إحتمال سؤالٍ وهو أن الله يعلم السّر والخَفّيات فهو أعلم بحال عبده منه نفسه ويعلم باطنه كما يعلم ظاهره وعليه فما معنىٰ الإختبار والمفروض أنّه عالم به قبله فقال ﷺ في الجواب معنىٰ ذلك أنّه يختبرهم بالأموال والأولاد وغيرها ليَتَّبين السّاخط لرزقه والرّاضي بقسمه وأن كان سبحانه أعلم بهم من أنفسهم ولكن لتَظهر الأفعال التّي بها يستحّق الثّواب والعقاب:

فأنّهم لو لم يُختبروا لم تَظهر أفعالهم وأعمالهم لأنّ بعضهم يحبّ الذّكور من الأولاد ويكره الأناث وبعضهم يُحبّ تثمير المال وكثرته ويكره انثلام الحال ونقصه ومن المعلوم أنّ ظهور هذه الأحوال للإنسان بعد الإختبار لا قبله ففي الحقيقة يرجع أثر الإختبار الىٰ العَبد ثُمّ أنّ قوله ﷺ: مِنْ مُضِلاَّتِ الْفِتَنِ، معناه أنّ الفِتنة علىٰ قسمين، مُضّلة وغير مُضّلة:

فالمُضّلة منها هي التّي تُوجب الإضلال والإنحراف في الدّين والدّنيا فأنّ المال والثّروة والمقام والأولاد بل وكلّ نعمة من نعم الدّنيا فِتنة أي وسيلة وسبب لإختبار صاحبه فأن صَرف المال مثلاً في غي ما أجازه الشّارع فهو مُضّلٌ وإلّا فلا وهكذا أن إستفاد في مقامه من أعمال القُدرة في غير مورده فهو مُضّل وإلّا فهو مَمدوح، والأولاد وسائر النّعم من هذا القبيل والملاك في الكلّ هو أنّ النّعمة أن كانت باعثة لِلإعراض عن الحقّ والإقبال الىٰ الباطل فهي مُضّلة وأن كانت باعثة علىٰ تقوية الحقّ والميل اليه وتحصيل الآخرة بها فهي غير مُضّلة وهذا معنىٰ قوله ﷺ: مِنْ مُضِلاَّتِ الْفِتَنِ و سِر الإستعاذة بالله منها هو أنّ الدّنيا وما فيها لحلاوتها في ذائقة صاحبها وشدّة ميله اليها طبعاً، لا

١- العنكبوت ـ٢.
٢- التّغابن ـ١٥.

يمكن له الخلاص عن تبعاتها ونَكباتها إلّا بالإستمداد منه تعالىٰ وهو ظاهر ومحصّل الكلام فيما ذكره عليه السلام في المقام هو أنّ الإستعاذة من أصل الفِتنة لا معنىٰ لها لأنّ النِّعم الإلٰهية كلّها من المال والأولاد والمقام والصّحة والمَرض والعزّة والذّلة وأمثالها فِتنة لصاحبها أي وسيلة وسبب لإختباره وإمتحانه ومعنىٰ الإستعاذة باللّه من هذه النِّعم هو أن لا يكون الإنسان مُتَنعِماً بنعَمه تعالىٰ وهذا أمرٌ غير ممكن ولا جائز فأنّ أصل الوجود للإنسان أيضاً فِتنة فَمَن قال أو يقول اللّهم أنّي أعوذ بك من الفِتنة معناه أنّي أعوذ بك من نِعَمك التّي أنَعمت بها عَلّي وحيث أنّها تابعة لأصل الوجود في الموجود فالمعنىٰ أعوذ بك من وجودي وكلّ ما يَتَرتب عليه فهو في الحقيقة يستّدعي عَدمه وعَدم ما يُرتب عليه أيّ شئٍ كان وهذا كما ترىٰ مضافاً الىٰ كونه غير معقولٍ إعتراض علىٰ اللّه في فعِله وإشكال علىٰ إيجاده ولا يقول هذا إلّا أحَمق جاهل وهذا هو السّر في قوله عليه السلام: **لا يقولنّ أحدكم** الخ مؤكّداً للفعل بالنّون التّأكيد أي لا يقول هذه المقالة أحد منكم ألبتّة ألبتّة وقد عرفت الوجه فيه عقلاً من أنّه يُنافي الإيمان باللّه وأنّه حكيم خبير عالم بمصالح الأُمور بل يُنافي الإسلام أيضاً وأمّا الإستعاذة به من مُضّلات الفِتن أعني بها النّعم التّي أوقعت صاحبها في الخُسران والسّقوط بسبب إستعمالها في غير مواردها لعدم لياقته وإستبداده.

فهو صحيح معقول وليس معناه أي معنىٰ الإستعاذة بها هو أن النّعم الإلٰهية فيها إشكال ونقص بل معناه الإستمداد منه تعالىٰ في إفاضة التّوفيق والإستعاذة به من شَر الشّيطان والنّفس الأمّارة بالسّوء وهذا أمر معقول مشروع وبعبارةٍ اخرىٰ كأنّه يقول في الإستعاذة به تعالىٰ اللّهم لا تكلني الىٰ نفسي ولا تقطع عنّي جُودك وعنايتك بل إجعلني في حمايتك ورَحمتك وإحفظني من وساوس الشّيطان والنّفس الأمّارة والسّر فيه هو إنّ النّعمة إذا أقبلت الىٰ الإنسان تضّله وتُعميه إلّا من عَصَمه اللّه تعالىٰ وعليه فالمُضّلات فيها عبارة عن كلّ ما يوجب إنحرافها عن الحقّ ولا محيص لِلإنسان في الخَلاص عنها إلّابالإستعاذة منه تعالىٰ ولذلك قال الرّضى رحمه الله وهذا من غريب ما يُسمع منه في التّفسير فأفهم ذلك وإغتنم فإنّك لا تجد هذا التّحقيق في غير هذا الكتاب فى شرح كلامه عليه السلام.

۹۱

وسُئل عن الخَير ما هو.

▫ فقال ﷺ: لَيْسَ الخَيْرُ أنْ يكْثرَ مَالُكَ وَوَلَدُكَ ولَكِنِ الْخَيرُ أنْ يَكْثُرَ عِلْمُكَ وَيَعْظُمَ حِلْمُكَ وأنْ تُباهيَ النَّاسَ بِعِبادَةِ رَبِّكَ فإنْ أَحْسَنْتَ حَمِدْتَ اللّٰهَ وإنْ اسأتَ اسْتَغْفَرْتَ اللّٰهَ ولا خيرَ في الدُّنيا إلَّا لِرَجُلَينِ رَجُلٍ أَذْنَبَ ذُنُوباً فَهُوَ يَتَدارَكها بالتَّوْبَةِ ورَجُلٍ يُسَارِعُ في الخَيرَاتِ...

◁ الشّرح

الخَير بفتح الخاء مصدر قولك خارَ خَيراً، وهو الّذي يَرغَب فيه الكلّ كالعقل مثلاً وقيل كلّ شيئ نافع فهو الخَير مثل العَدل والفَضل والعِلم والسّخاوة وأمثالها وضدّه الشّر وهو الّذي لا يُرغب فيه العاقل كالظّلم والجَهل والبُخل وأمثالها والخَير ضَربان:

أحدهما: الخَير المُطلق وهو أن يكون مرغوباً فيه لكلّ حالٍ وعند كلّ أحدٍ كالوجُود:

وثانيهما: المُقيد وهو أن يكون خيراً في موردٍ وشرّاً في موردٍ آخر كالمال الّذي يكون خَيراً لزيد مثلاً وشرّاً لعمرو وهذا التّقسيم يكون لِلشّر أيضاً في بادئ الأمر لِكونه ضدّه إلّا إنّ القسم الأوّل أعني به الشّر المُطلق لم يُوجد ولَن يُوجد في الخارج لإنّ كلّ موجودٍ فهو من حيث الوجود خير فالشّر المُطلق لا وجُود له والمُقيد موجود، وأمّا الخَير فكلاهما موجودان فالخَير المُطلق هو

صرف الوجود وحقيقته ومصداقه الواجب تعالىٰ ولا ثاني له، والخَير المُقيد فهو عبارة عن ما سوىٰ اللّه تعالىٰ من الموجودات الإمكانية والنِعَم الإلٰهية الظَاهرة منها والباطنة إذ قد ثبت إنّ الخَير المُطلق منحصرٌ في الواجب والشّر فيه هو إنّ الآفات والشّرور دائماً تكون من الماهّية لا من الوجود الّذي هو خَير محض وحيث إنّ الواجب تعالىٰ لا ماهّية له فلا شّر فيه وأمّا المُمكن فإنّه زوج تركّيبي له ماهّية ووجود فلا محالة يكون مقروناً به.

وقد قالوا إنّ خَيره غالب علىٰ شرّه بحسب الخِلقة ضرورة إنّ الوجود أعلىٰ وأشرف وأفضل من الماهّية كما إنّ النّور أفضل وأشرف من الظّلمة مُضافاً الىٰ أصالته في الجعل وقد حققّناه في الفلسفة إذا عرفت هذا فنقول مراده عليه السلام من الخَير الّذي سَئله السّائل ليس مطلق الخَير لما عرفت من إنّه مُنحَصِرٌ في الواجب تعالىٰ بل المراد هو الخَير المُقّيد في عالم الإمكان فَسَئل السّائل عنه عليه السلام ما هو ووّجه السّؤال ظاهر إذ الآراء في تعيين الخَير متفاوتة والعقائد مختلفة والأقوال متضّادة فَمِن النّاس من يظّن إنّ الخَير في الدّنيا لِلإنسان المال والثّروة ومنهم من يقول المقام والرّئاسة، ومنهم من يقول الأولاد والعَشيرة وهكذا وليس عندهم معيارٌ صحيح يُعتمد عليه بقولٍ مُطلق وهذا هو الوجه في سؤال السّائل فقال عليه السلام في جوابه ليس الخَير أن يكثر مالك وولدك وغيرهما من النِعَم المَادية الّتي ربّما تظّن إنّها خَير، وإنّما قال عليه السلام ليس الخَير أن يكثر مالك ولم يقل ليس الخَير في المال والأولاد مثلاً لإنّ نفي الخَير بقولٍ مطلق عن المال وغيره لا معنىٰ له إذ لولم يكن خَيراً لكان شرّاً في ذاته وهو كما ترىٰ لا معنىٰ له لما ذكرناه من إنّ الموجود لا يكون شرّاً محضاً وأمّا كثرة المال فيمكن أن تكون شرّاً مقيّداً أي بالنّسبة الىٰ بعض الأفراد من حيث إنّها لا تفيد إلّا الوِزر والوَبال في الدّنيا والآخرة وأن كانت من حيث المالّية خَيراً بالنّسبة الىٰ بعضٍ آخر وعلىٰ هذا التّحقيق فنفي الخَير عن المال الكثير وهكذا عن الأولاد ليس بقولٍ مطلقٍ لما عرفت من المال والأولاد قليلاً أو كثيراً من النِعَم الإلٰهّية

الموجودة فهي من حيث وجودها خير، والشّر المُطلق لا يُوجد بل المراد إنّ المال والأولاد وغيرهما من النِعَم بالنّسبة الىٰ النِعم المعنوية كـالعِلم والحِـلم وأمثالهما لا خَير فيهما وقد ثبت إنّ نفي الصّفة عن موجودٍ بالنّسبة الىٰ موجودٍ آخر لا ينافي ثبوتها له في حدّ ذاته ولأجل هذه الدّقيقة إستدرك ﷺ كـلامه بكلمة (لكن، وقال ولكن الخَير أن يكثَر عِلمك وحِـلمك الخ والحـاصل إنّ المنفي كثرة المال والأولاد لا وجود المال والأولاد ولا منافاة بين نفي الخَير عن الكَثير دون القليل في موردٍ وعكسه فـي مـوردٍ آخـر ومـع ذلك نـفي الخَـير بالقياس الىٰ ما هو أعلىٰ وأفضل منه لا مُطلقاً:

أمّا الوجه في نفي الخَير عن كثرة المال والأولاد فلا خفاء فيه ظـاهراً لإنّ النِعمة إذا كانت أكثر من قدر الإحتياج وكانت النِعمة من النِعم المادّية أيّ نفع فيها إذ النّافع هو قدر الحاجة وأمّا الزّيادة عليه فليس فيه نفع أصلاً ضرورة إنّ حفظها وصوَنها من الآفات في الدّنيا فيه مشّقة عظيمة هذا أوّلاً وثانياً إنّ النِعمة إذا كثُرت توجب عداوة النّاس وبُغضهم وحَسَدهم علىٰ صـاحبها وثـالثاً إنّ الإنسان لا يقدر علىٰ إداء شُكرها، ورابعاً تكون موجبة لِـغفلة صـاحبها عـن خالِقها بل وعن نفسه هذا كلّه مع نسيان الآخرة بل الإعراض عنها وحُبّ الدّنيا والإقبال اليها وغير ذلك من المفاسد العظيمة المُترتّبة عليها ولأجل هذه الأمور وغيرها قال ﷺ ليس الخَير الخ:

وأمّا العِلم والحِلم والعَبودية وأمثالها من المعنويات ففيها خَير ونفع كثير لعدم وجود المضّار فيها ولوجود المنافع الدّنيويّة والآخرَويّة في الكـمالات الإنسانية ولنشر الىٰ بعض منافعها:

أحدها: إنّها باقية غير داثرة بخلاف النِعَم المادية فإنّها زائلة فانية والباقي خير من الفاني.

وثانيها: إنّ حِفظ العِلم والحِلم لا مشقّة فيه بخلاف المال والأولاد الكثيرين:

وثالثها: إنّ وجودها لا يوجب بغض النّاس وعداوتهم لصاحبها بل الأمر

بالعكس وهو ظاهر:

ورابعها: إنّ العِلم والحِلم وأمثالهما من المعنّويات مـمّا يـقّرب العَبد الىٰ الرّب بخلاف النِّعم المادّية فإنّها يستبعده فيه ولا شّك إنّ المقّرب خيرٌ مـن المّبعّد:

وخامسها: إنّها لا تّوجب نِسيان الآخرة والغِفلة عنها بِخلاف المال والأولاد وأمثالهما.

وسادسها: إنّ الإنسان بالإتّصاف بها يصير إنساناً حـقيقتاً بـخلاف المـال والأولاد وهو أيضاً ظاهر ولأجل ذلك قـال عليه السلام: **ولَكِنِ الْخَيرُ أَنْ يَكْثُرَ عِلْمُكَ وَيَعْظُمَ حِلْمُكَ** ، وأن تُباهي النّاس بعبادة ربّك فإن أَحَسنت حمدت اللّـه وإن أسِأت إستغفرت اللّه، ذكر عليه السلام من الخَير أُموراً خمسة:

أحدها: العِلم فأنّه خير في نفسه فكلّما كثُر العلم كثُر الخير لقوله تـعالىٰ: **﴿ يَرْفَعِ اللهُ الَّذينَ آمَنُوا وَ الَّذينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجاتٍ﴾**(١)

وقد مَرّ الكلام في فضله وشَرفه عقلاً ونقلاً وسيأتي أيضاً:

وثانيها: الحِلم ولا شّك في كونه أيضاً من الخَيرات قال اللّـه تـعالىٰ: **﴿إِنَّ إِبْراهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوّاهٌ مُنِيبٌ﴾**(٢) وقد وصَف اللّه تعالىٰ نفسه بالحِلم والعم في كثير من الآيات وهو دليل علىٰ شَرفهما وفَضلهما وأنّما ذكر عليه السلام من الصّفات الكماليّة العلم والحِلم دون غيرهما مَع أنّ الصّداقة والأمانة والعَدالة وأمثالها كلّها خيرات، لوجهين، أحدهما ذكرهما بعنوان المَثَل لا التّخصيص، وثانيهما أنّهما أشَرف وأفَضل من غبرهما من الصّفات ولذلك أرجَعوا الصّفات الثّبوتية كلّها الىٰ العلم فيه تعالىٰ والعلم الصّحيح لا ينّفك عن الحِلم بل ملازم له كما وَرد لا خير في علمٍ لا حِلم مَعَه، وقد عرّفوه بأنّه طـمأنينة النّـفس بـحيث لا يحرّكها الغَضب بسهُولةٍ ولا يزعجه المكروه بسرعةٍ قد مَرّ الكلام فيه أيـضاً وذكرنا بعض الآيات والأخبار الواردة في مَدحه:

١- المّجادلة ـ ١١

٢- هُود ـ ٧٥

وثالثها: أن تباهي النّاس بعبادة ربّك لا عن فخرٍ ورياءٍ فأنّ العُبوديّة خيرٌ كثير جدّاً.

ورابعها: أن أحسنت حمدتَ اللّه، لكون الإحسان منك بتوفيقه فيجب الشّكر عليه.

وخامسها: أن أسأت إستغفرتَ اللّه، لأنّ المُستغفر من الذّنب كم لا ذّنب له ولا شكّ في كونه خيراً من حيث أنّه ناشٍ عن التّوجه الى المعبُود دائماً ولا خير أحسَن منه للعَبد ولذلك قيل رأس الخيرات اليَقَظة.

كما أنّ رأس الشّرور والآفات الغفلة ولأجل هذا قال ﷺ ولا خير في الدّنيا إلّا لرجلين رجل أذنب ذنوباً فهو يتداركها بالتّوبة، ورجل يُسارع في الخَيرات.

أمّا الأوّل: فلأنّه يتداركها بالتّوبة يصير كمن لا ذّنب ومن لا ذنبٌ له فهو خير كُلّه فأنّ الذّنب شرّ.

وأمّا الثّاني: فلكونه مُسارعاً في الخَيرات ولا يُسارع اليها إلّا من كان خيراً في نفسه فأنّ الرّجل الشّرور لا يُسارع إلّا الى الشّر هذا ملّخص الكلام في تفسير كلامه ﷺ بحسب الإجمال ولتفصيله مقام آخر.

٩٢

- قوله ﷺ: لا يَقِلّ عَمَلٌ مَعَ التَّقْوىٰ وكَيْفَ يَقِلُّ ما يُتقَبْل...

التّقوىٰ حفظ النّفس عن مُخالفة أمر اللّه جلّ جلاله وإرتكاب ما نهىٰ عنه وقد مرّ الكلام فيها مفصّلاً غير مرّةٍ في أبواب الكتاب وهي جماع الخَير كلّه ولا خَير فيمن ليس بمُتّقٍ ألبتة ولها أقسام ومراتب وقد شرحناها سابقاً وأمّا في القمام فالمقصود هو أنّ العَمَل إذا صَدَر عن المُكلّف بداعي أمر اللّه وتقرّباً اليه فهو كثير في الحقيقة وأن كان قليلاً ظاهراً وإستَدل ﷺ علىٰ ما ذكره بقوله وكيف يقلّ ما يتقّبل أي كيف يكون العَمَل قليلاً والمَفروض أنّه صَدَر عن التّقوىٰ وصار مورداً للقبول عند اللّه لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾(١)

و : ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾(٢)

و : ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا﴾(٣)

و : ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾(٤) وغيرها من الآيات. قال الباقر ﷺ ما شيعتنا إلّا من إتّقىٰ اللّه وأطاعه فإتّقوا اللّه وأعملوا لما عند اللّه ليس بين اللّه وبين أحَد قرابة أحبّ العباد الىٰ اللّه تعالىٰ وأكرمهم عليه أبقاهم وأعملهم بطاعته انتهىٰ« جامع السّعادات ج ٢ ص ١٧٣ »...

وقال ﷺ أنّ قليل العَمَل مَع التّقوىٰ خيرٌ من كثير بلا تقوىٰ انتهىٰ« ص ١٧٣ »...

١- المائدة ـ ٢٧
٢- البقرة ـ ١٩٤
٣- التغابن ـ ١٦
٤- البقرة ـ ١٩٧

٩٣

□ **قوله ﷺ: إنّ أَوْلىٰ النّاسِ بالأَنْبِياءِ أَعْلَمُهُمْ بمَا جاؤُوا بهِ. ثُمَّ تُلىٰ (إنّ أَوْلىٰ النَّاسِ بإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وهَذَا النَّبِيُّ والَّذِينَ آمَنُوا) ثُمّ قال ﷺ إنّ وَلِيَّ مُحَمَّدٍ مَنْ أطَاعَ اللّهَ وإنْ بَعُدَتْ لَحْمَتُهُ وإنَّ عَدُوَّ مُحَمَّدٍ مَنْ عَصَى اللّهَ وإنْ قَرُبَتْ قَرَابَتُهُ...**

يمكن أن يراد بالأوّلوية في المقام الأقربية بحسب المعنىٰ أي أقرب النّاس بالأنبياء أعلمهم بما جاؤوا به لا أقربهم نَسَباً اليهم وعليه فَمن كان أعرف وأعلم بالكتاب والسُنّة فهو أقرب الىٰ النّبي وبالعكس بالعكس:

ويمكن أن يراد بها الإتّباع وعليه **فالمعنىٰ أولىٰ** النّاس بهم من كان تابعاً لهم في العَمَل ومصداقاً لقوله تعالى: **﴿مَاءَاتَكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ ومَانَهَكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾**(١) **والمعنىٰ الثّاني** أقرب وأصح من الأوّل وذلك لأنّ مجرد العلم بما جاؤوا به لا يكفي في القُرب بل المُوجب له العَمَل بما جاؤوا به فأنّ الإتّباع الّذي إستدل ﷺ به لا يتحقق إلّا بالعَمَل ومعلوم أنّ العَمَل الصّحيح لا يمكن بدون العلم فكلّ عاملٍ بالعَمَل الصّحيح عالمٌ قطعاً ولا عكس وهو ظاهر ثمّ أنّ في كلامه ﷺ إشعار بل دلالة علىٰ أنّ مجرد الأقربية بالنّسب الىٰ النّبي لا يفيد اذا لم يَعمل بما جاء به في الكتاب والسّنّة وهو صَحيح لقوله تعالى: **﴿أنّ أكرمَكُمْ**

١ـ الحشر ـ٧

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[1]. والإكرام عند اللّه أكرم عند الرّسول فمن كان أتقىٰ فهو أكرم عند اللّه ورسُوله ولقوله ﷺ خلق اللّه الجنّة لِمَن أطاعَه ولو كان عبداً حبَشياً وخَلق اللّه النّار لِمن عصاه ولو كان سيّداً قُريّشياً، ألا ترىٰ أنّ أبا لَهب كان أقرب النّاس الىٰ النّبي نَسباً ومع ذلك كان أبعَدهم اليه واقعاً لعَدم متابعته فقال تعالىٰ فيه: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾[2]

وأمّا سلمان الفارسي وهكذا أبو ذَرّ الغفاري والمقداد وأمثالهم لم يكن بينهم وبين الرّسُول نَسباً أصلاً وكانوا أولىٰ به من غيرهم فقال رسُول اللّه ﷺ سلمان منّا أهل البيت، ونظائره كثيرة وهذا أصلٌ أصيل في الإسلام بل وفي جميع الأديان الإلهيّة والعقل السّليم يُؤيّده ولأجل ذلك قال ﷺ: **إنّ وَلِيّ مُحمَّدٍ مَنْ أطَاعَ اللّهَ وإنْ بَعُدَتْ لَحْمَتُهُ**، أي نَسَبه أن وعدّو مُحمّدٍ من عَصىٰ اللّه وأن قَرُبت قَرابته، ولنعم ما قيل:

لعَمروك ما الإنسان إلّا بدينه
فلا تترك التّقوىٰ إتكالاً علىٰ النّسَب
فقد رَفع الإسلام سلمان فارسٍ
وقد وَضَع الشّرك الشّريف أبا لَهَبٍ

قال رسُول اللّه ﷺ يا مَعشر قُريش يأتي النّاس بالأعمال يوم القيامة وتأتون بالدّنيا تَحملُونها علىٰ رقابكم تقولون يا مُحمّد يا مُحمّد، هكذا أعرض عنكم انتهىٰ فبيَّن ﷺ أنّهم أن مالوا الىٰ الدّنيا لَم ينفعهم نَسَب قُريش:

ولمّا نزلت قوله تعالىٰ:(وأنذر عَشيرتك الأقربين) فناداهم بطناً بطناً حتّىٰ قال يا فاطمة بنت مُحمّد يا صفيّة بنت عبد المُطّلب عمّة رسُول اللّه إعملا لأنفسكما فأنّي لا أغني عنكما من اللّه شيئاً» مجموعة ورّام ج ١ ص ٣١٣»...

١-الحجرت ـ١٣ـ
٢- اللّهب ـ١ـ

٩٤

وقدْ سَمِعَ رَجُلاً منَ الحُرورِيّةِ يَتَهَجَّدُ وَيَقْرأ.

▫ **فَقالَ ﷺ: نَوْمٌ علىٰ يَقِينٍ خيرٌ منْ صَلاةٍ في شَكٍّ...**

الحَرَورية بفتح الحاء منسوب الىٰ الحَروراء وهو إسم موضع خَرجُوا عليه ولذلك سمّوا بالحَرَورية وهم الخَوارج وقد مَرّ شرح حالهم في قصّة المارقين والتّهجُد التّيَقظ بالعبادة، قال اللّه تعالىٰ مُخاطباً لنبيه: **﴿وَمِنَ الَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ﴾**(١)

وفيه حَثّ علىٰ إقامة الصّلٰوة وقراءة القرآن وكان الخوارج كذلك فقال ﷺ نومٌ علىٰ يَقين خير من صلاةٍ في شَكٍ، وهو مَتينٌ وذلك لأنّ التّهجُد بما هو هو لا خير فيه وأنّما الخَير في التّهجُد الّذي صَدَر من فاعله بقصد القُربة وهن لا تَتَمشىٰ مع الشّك بل تحتاج الىٰ يَقينٍ وجزمٍ فمَن تَهجّد علىٰ شَكٍ في دينه لا خير فيه:

أن قلت ــ الخَوارج كانوا مُسلمين عارفين باللّه وبرسُوله ولذلك قامُوا باللّيل وصامُوا بالنّهار:

قلتُ ــ لو كانوا كذلك لما خَرجوا علىٰ أمير المؤمنين ﷺ بالسّيف والسّنان وقد قال رسُول اللّه ﷺ **يا علّي حَربك حَربي وسِلمك سِلمي فَحرب علّي ﷺ هو حَرب الرّسُول وهو حَرب اللّه**، ومن حَرب اللّه كيف يكون مُعتقداً مذعِناً بربُوبيّته وقد ثَبت أنّ الشّك في الإمامة هو الشّك في أصل الدّين ولذلك قال

١ـ اسراء ـ٧٩

رسول الله ﷺ من ماتَ ولم يَعرف إمام زمانه مات ميتة الجاهلّية.

فقد ظهر لك أنّ الأصل في العبادة هو المعرفة وأفَضل مَراتب المعرفة مَرتبة اليَقين منها وعليه فاذا دار الأمر بين النّوم علىٰ يَقينٍ والتّيقظ للعبادة مع شّكٍ فالنّوم أولىٰ وهو يَرجع الىٰ أنّ اليَقين أولىٰ من الشّك في النّوم واليَقَظة وقد مَرّ البحث في اليَقين غير مَرّة.

٩٥

□ **قوله عليه السلام: إعْقِلُوا الخَيرَ إذا سَمِعْتُمُوهُ عَقْلَ رِعايَةٍ لا عَقْلِ رِوايَةٍ فأنّ رُوَاةَ الْعِلْمِ كَثيرٌ ورُعاتُهُ قَليلٌ...**

إعقلُوا بكسر الألف فعل أمرٍ من عَقَل يَعقلُ باب ضَرَب يَضربُ والمعنىٰ إذا سَمعتم الخَير وهو ما يَرغب فيه الكلّ فاعقلُوه أي إحفظوه في قلُوبكم عَقل رعايةٍ لا عَقل روايةٍ أي يكون الحفظ لِلعَمَل به لا للرّواية والنّقل وذلك لأنّ رواة العِلم أي من تَرويه وينقّله من غيره كثير ورعاته أي من يَرعيه ويَعمل به قليل وفي ذلك حثٌ علىٰ حفظ العلم للعمل لِلنّقل لئلاّ يكون العالم كَمَثل الحمار يحمل أسفاراً.

٩٦

□ **وسَمعَ رَجُلاً يَـقُولُ عليه السلام: إنّا للّهِ وإنّاإليهِ رَاجِعُونَ، فقال عليه السلام إنّ قَوْلَنا إنّا لِلّهِ إقْرَارٌ علىٰ أنْفُسِنَا بالمِلْكَ وقوْلُنا إنَّا إليْهِ رَاجِعُونَ إقْرَارٌ علىٰ أنْفُسِنَا بالْهُلْكِ...**

◁ **والمعنىٰ**

أنّ قَوْلَنا إنّا لِلّهِ إقْرَارَ علىٰ أنْفُسِنَا بالمِلْك له تعالىٰ وأنّه المالك ونحن المَملُوكون وكأنّه عليه السلام إستفاد هذا المعنىٰ من اللاّم في قوله تعالىٰ (لِللّه) وأنّه يُفيد الملّكية وأمّا قوله وإنَّا إليْهِ رَاجِعُونَ فهو يدّل علىٰ الرّجُوع اليه في آخر الأمر وهذا هو الهُلك كما قال تعالىٰ: ﴿**كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إلّا وَجْهَهُ**﴾[1] وقوله تعالىٰ:(**كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ**﴾[2] فالآية الشّريفة تنحل الىٰ أمرين، أحدهما: المَبدء. وثانيهما: المَعاد، وجميع الأديان والشّرائع يَدُور مدارهما:

وتوضيحه إجمالاً هو أنّ قوله إنّا لِللّه يدّل علىٰ أنّ لنا خالقاً حكيماً مُدّبراً عليماً قادراً مُريداً مُتكلماً سَميعاً بَصيراً وذلك لأنّ وجودنا يدّل علىٰ وجوده وقُدرتنا علىٰ قُدرته وعلمنا علىٰ عِلمه وسَمعنا وبَصرنا وتكلّمنا علىٰ كونه سَميعاً بَصيراً مُتكّلماً فأنّ معطي الشّيئ لا يكون فاقداً له وإذا فرضنا كون المَخلّوق ملكاً له متّصفاً بهذه الصّفات فالخالق أولىٰ بإتّصافه بها وإذا ثَبَت المَبدء ثَبتت العُبوديّة لنا لأنّ شكر المُنعم واجب عقلاً وشكره عبُوديّته وطاعته فينتج أنّ قوله إنّا لِللّه يدعونا الىٰ التّوحيد أوّلاً والىٰ أنّ العَبد وما في يَده كان

١- القصص ـ ٨٨.
٢- الرّحمٰن ـ ٢٦.

لمولاه بمقتضى الملكية الثّابتة من اللّام في قوله (لِلّه) ثانياً، وأنّ الخالق متّصف بجميع الصّفات الكمالية ثالثاً:

وأمّا قوله ﷺ :وإِنّا اليه راجعُون، فيدلّ على أنّ الوجود الثّابت للعبد بمقتضى مخلوقيّته لا يبقى له دائماً بل ينفى لا مُحالة بالمَوت ويرجع العَبد الى خالقه ومُوجده ثمّ يُسأل عنه من أفعاله وأعماله وأقواله في الدّنيا فيُثاب في صُورة الطّاعة والانقياد ويُعاقب في صُورة العِصيان والإنحراف ونُعبّر عن هذا الرّجوع المُستفاد من الآية بالمَعاد وأمّا السّؤال فيُستفاد من غيرها من الآيات كقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (١) فقوله أنّ المَوت الى قوله مُلاقيكم يدّل على الرّجوع اليه بالمَوت وقوله ثمّ تردّون الى قوله فيُنبئكم بما كُنتم تعملون يدّل على السّؤال بعد المَوت ولا نعني بالمعاد وما يترتّب عليه إلّا هذا ومن هذا القبيل قوله تعالى:﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَٰلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٢)

و : ﴿قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ (٣)

و : ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ (٤) والآيات كثيرة.

هذا كلّه بحسب الآيات وقد تكلّمنا في المعاد وأقمنا الدّلائل العقلية والسّمعية على إثباته فيما مضى ثمّ أنّ العبد بعد التّوجه الى هذا النّكتة أعني بها المعاد لِلسّؤال يواظب في الدّنيا على أعماله وأقواله فلا يعمل ولا يقول إلّا حقّاً لعلمه بالسّؤال غداً فلا محالة يسلك مَسلك المؤمنين ويمشي مَشي المُوقنين ويتجنّب عن متابعة الهَوى والشّيطان اللّعين الرّجيم ولعمري أنّ هذا الآية تكفيه وترشده الى السّعادة الأبدية أن كان للقاريْ لها قلب سليم وعقل مستقيم ولتفصيل البحث فيها مقام آخر.

١- الجمعة ـ٨.
٢- الروم ـ ٤٠
٣- الجاثية ـ٢٦.
٤-آل عمران ـ١٨٥.

﴿٩٧﴾

□ ومدحَهُ قَوْمٌ في وجـهه، فقال ﷺ: **اللَّهُمَّ إنَّك أعْلَمُ بي منْ نَفْسِي وأنا أعْلَمُ بِنَفْسِي مِنْهُمْ اللّهُمَّ إجْعَلْنا خَيراً مِمَّا يَظُنُّونَ واغْفِرْ لَنا ما لا يَعْلَمُونَ...**

أمّا قوله ﷺ: **اللّهمَّ إنَّك أعْلَمُ بي منْ نَفْسِي**، فهو ممّا لا شك فيه ويدّل عليه العقل والنّقل:

أمّا العقل: فلأنّه تبارك وتعالىٰ خلق الخلق وأوجدَهم والخالق أعلم بالمخلوق منه نفسه إذ لو فرضنا عدم علم الخالق بشيئ من مخلوقه يلزم أن لا يكون خالقاً لما لا يعلم والمفروض أنّه خالق فهو عالِم به وأن شئت قلت الإيجاد مسبوق بالعلم أو متفرعٌ عليه ولذلك نقول أنّ علمه تعالىٰ بالأشياء قبل إيجادها كعلمه بها بعده وقد ثبت أنّ العلم بالعلّة التّامة مستلزم للعلم بالمعلول بتمامه وكماله ولا عكس وهو تعالىٰ علّة لإيجاد الممكنات عالم بذاته فلا محالة يكون عالماً بمعلولاته وصُورة القياس هكذا:

أنّ اللّه تعالىٰ عالم بذاته وكلّ عالم بذاته عالم بمعلوله فهو عالم بمعلوله:

وأمّا النّقل: فلقوله تعالىٰ حكاية عن عيسىٰ بن مريم: **﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ إتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾** (١)

و: **﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾** (٢)

١- المائدة ـ ١١٦

٢- البقرة ـ ٣٣

و : ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ﴾ (١)

و : ﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ (٢) وغيرها من الآيات.

وأمّا قوله ﷺ وأنا أعلم بنفسي منهم، فهو أيضاً صحيح مَتين إذ كلّ إنسانٍ أعلَم بنفسه من غيره وهو لا يحتاج الى إقامة دليلٍ وبرهان ولعلّ السّر فيه بعد قضاء الفطرة به هو أنّ العلم بما في الضّمير من تبعات العلم بالنّفس وقد ثبت في الفلسفة أنّ علم الإنسان بنفسه حُضوري بمعنى حُضور المُدرَك لدى المُدرِك لا حُصولي حتّى يحتاج الى حصول الصّورة منه لدى العاقل وأمّا علم الإنسان بغير نفسه فهو حُصولي قد يحصل وقد لا يحصَل والعلم بالنّفس هو العلم بمُنشئاتها ومُبدعاتها بعينه فأنّ النّفس خلّاقة للصّور الذّهنية والمتّحصلات العقّلية وقد قلنا أنّ العلم بالعلّة يستلزم العلم بالمعلول بل هو هو بعينه واقعاً وهذا بخلاف ما في نفس الغير لأنّه خارج عن حَيطة تصّرف نفسي مثلاً فلا محالة لا أعرِفه وهذا هو السّر في قوله ﷺ: **وأنا أعْلَمُ بِنَفْسِي مِنْهُمْ**، فما يقولون في حقّي أنّما هو من مُبدعات نفوسهم وأنا أعلم عدم إتّصافي به فلو نَسَبُوني الى الألوهية ليس معناه أنّي أعتقد بما قالوا بل هو فعلهم لا فِعلي والمؤاخذة على فعل الغير لا معنى لها، وأمّا قوله ﷺ: **اللّهُمَّ إجْعَلْنا خَيراً مِمَّا يَظُنُّونَ واغْفِرْ لَنا ما لا يَعْلَمُونَ**، فمعناه اللّهم إجعلنا خيراً ممّا يظنّونه خيراً في حقّي فأنّ ما يظنّون خيراً ليس بخيرٍ واقعاً بل هو شر وفي قوله ﷺ: **واغْفِرْ لَنا ما لا يَعْلَمُونَ**، إحتمالان، أحدهما إغفر لنا ما لا يعلمون فيما نَسَبُوه إلَي إذ لو عَلمُوا لَما قالوا ما قالوا وثانيهما، أن يكون المعنى إغفر لي من الذّنوب ما لا يعلمون، فأنّ حسنات الأبرار سيّئات المُقرّبين أو المراد بها الذّنوب الّتي صَدَرت عن قُصورٍ في العُبوّدية والمعرفة فإنّا ما عرفناك حقّ معرفتك وما عبدناك حقّ عبادتك والقُصور من لوازم المُمكن وقد مرّ الكلام فيه أيضاً.

---

١ - إبراهيم ـ ٣٨. ٢ - يس ـ ٧٦.

٩٨

□ **قوله عليه السلام: لا يَسْتَقِيم قَضَاءِ الْحَوائِجِ إِلَّا بِثَلاَثٍ، بإسْتِصغْارِهَا لِتَعْظُمَ، وباسْتِكْتامِها لِتَظْهَرَ وَبِتَعْجِيلِها لِتَهْنُوءُ...**

إشترط في قضاء الحوائج ثلاث شرائط:

أحدها: إستصغار الحاجة والمقصود أنّ قاضي الحاجة ينبغي له أنّ يعدّ الحاجة صغيرة قليلة وأن كانت كبيرة في ذاتها أو عند طالبها فإذا كان كذلك يعظم عطاؤه ويشتهر عند النّاس.

وثانيها: إستكتامها أي ينبغي أن يكتمها ويخفيها ولا يعلن بها فإذا كان كذلك تظهر لا محالة أمّا لأنّ طباع النّاس أدعىٰ الىٰ إظهار ما إستكتم وأكثر عنايةً من غيره كما ذَهب اليه المحقّق البحراني رحمه الله في شرح الكلام أو لأنّ عناية اللّه ولطفه إقتضت بإظهار ما يُكتم كما وَرَدت به الرّوايات.

وثالثها: التّعجيل في قضاء الحاجة لتهنأ أي لتكون هَنيئة وذلك لأنّ الإبطاء بقضاء الحاجة ينقصها علىٰ طالبها فتكون لذّتها مشوبة بتكدير بطؤها هكذا قيل:

إعلم: أنّ قضاء الحاجة أمر مرغوب فيه شرعاً وعقلاً، أمّا عقلاً فمعلومٌ لأنّ عدم قضائها مع التّمكن عنه ناشٍ عن البُخل المذمّوم عقلاً فإذا كان البخل مذموماً عقلاً فكذلك ما يُنشأ منه هذا مضافاً الىٰ أنّ العقل السّليم يحكم بحُسن قضاء الحاجة مُستقلاً وهو ظاهر ألا ترىٰ أنّ العقلاء يذمّون من لا يقضي

الحاجة وهو متمكن منه فلو لم يكن قُبحه من المستقلات العقلية لَما كان لِذمه معنىً وأمّا الأدلّة النّقلية الدّالة علىٰ حُسنه عند الشّارح فكثيرة:

رُوي في البحار بأسناده عن إسحٰق بن عمّار قال قال أبو عبد اللّه عليه السلام يا إسحٰق من طاف بهذا البيت طوافاً واحداً كتب اللّه له ألف حَسَنة ومَحىٰ عنه ألف سيئة ورَفع له ألف درجة وغَرس له ألف شجرة في الجنّة وكتب له ثواب عتق ألف نسمة حتّىٰ إذا صار الىٰ الملتزم فتح اللّه له ثمانية أبواب الجنّة يُقال له إدخُل من أيّها شِئت قال فقلت جعلت فِداك هذا كلّه لمن طاف قال نعم أفلا أُخبرُك بما هو أفضل من هذا قال قلت بلىٰ قال من قضىٰ لأخيه المؤمن حاجة كتب اللّه له طوافاً وطوافاً حتّىٰ بلغ عشراً انتهىٰ «ج ١۶ ص ٨٥»...

وبأسناده عنه عليه السلام قال ما قضىٰ مُسلم لمُسلمٍ حاجة إلّا ناداه اللّه علَيّ ثوابك ولا أرضىٰ لك بدون الجنّة انتهىٰ« ص ٨۶»...

وبأسناده عنه عليه السلام عن أبيه قال قال رسُول اللّه صلى الله عليه وآله المؤمنون إخوة يقضي بعضهم حوائج بعضٍ فبقضاء بعضهم حوائج بعضٍ يقضي اللّه حوائجهم يوم القيامة انتهىٰ «ص ٨٧»...

وعن الصّادق عليه السلام قال مشي المُسلم في حاجة المُسلم خير من سبعين طوافاً بالبيت الحرام انتهىٰ «ص ٨٨»...

وبأسناده عنه عليه السلام عن أبيه قال قال رسُول اللّه صلى الله عليه وآله من ضَمِنَ لأخيه حاجة لم ينظر اللّه عزّ وجلّ في حاجته حتّىٰ يقضيها انتهىٰ« ص ٨٩»...

وعن أبي عبد اللّه عليه السلام قال أنّ لِلّه عباداً من خَلقه يفزع العباد اليهم في حوائجهم أُولئك هم الآمنون يوم القيامة انتهىٰ« ص ٩٠»...

والأخبار الواردة كثيرة جدّاً فَمن شاء الإطّلاع عليها فعليه بالبحار ج ١۶ باب قضاء حاجة المؤمنين.

وأمّا الشّروط الثّلاثة التي ذكرها عليه السلام في المقام فهي تُرشدنا الىٰ تمام القضاء وكماله ووقوعه علىٰ ما ينبغي أن يقع عليه ليترتب عليه الأثر المطلوب شرعاً

وذلك لأنّه أي قاضي الحاجة لو لم يستصغرها فلا محالة يستعظمها اذ لا واسطة في البين وإستعظام الحاجة يُوجب العُجب لمن يقضيها والعُجب سَمٌّ مُهلك للعبادة، وأمّا الإستكتام فلأنّه لو لم يستكتمها فلا محالة يُظهرها وإظهارها يُوجب الرّياء وهو كما ترىٰ، وأمّا التّعجيل في قضاء الحاجة فلأنّه لو لم يستعجل به ويُؤخّره يلزم منه إمّا إيذائه بسبب بطئه وعليه فما ذكره ﷺ حقّ حقيق لا شكّ في صحّته وإصالته حيث أنّ قضاء الحاجة علىٰ وجهه لا يتمّ بدونها كما عرفت وفي مَدح التّعجيل به قال الشّاعر:

لَيس في كلّ وَهلةٍ وأوانٍ تَتهيأ صنائع الإحسان
فإذا أمكَنت فبادر اليها حَذراً من تَعذُّر الإمكانِ

وقال الآخر:

أضحَت حوائجنا اليك مناخة معقولة برحابك الوصال
أطلق فَديتُك بالنّجاح عقالها حتّىٰ تثُور بنا بغير عقالٍ

قيل أنّ بعض الحُكماء لزم باب كسرىٰ في حاجةٍ دهراً فلم يُوصل اليه فكَتب أربعة أسطر في وَرَقة ودَفعها لحاجب كُسرىٰ فكان في السّطر الأوّل، العَديم لا يكون مَعه صَبر علىٰ المُطالبة، وفي السّطر الثّاني الضّرورة والأمَل أقدماني عليك، وفي السّطر الثّالث، الإنصراف من غير فائدة شماتة الأعداء وفي السّطر الرّابع إمّا نِعَم فمُثمرة وإمّا لا فمُريحة فلمّا قرأها كُسرىٰ دَفع له بكلّ سطرٍ ألف دينارٍ

٩٩

▫ قوله ﷺ: يأتِي علىٰ النَّاسِ زَمانٌ لا يُقَرَّبُ فيهِ إلّا المَاحِلُ، ولا يُظَرَّفُ فيه إلّا الفَاجِرُ، ولا يُضعَّفُ فيهِ إلّا المُنْصِفُ .يَعدُّونَ الصَّدَقةَ فيهِ غُرْماً .وصِلةَ الرَّحِمِ مَنّاً. والْعِبَادَةَ اسْتِطالةً علىٰ النَّاسِ فَعِنْدَ ذَلِكَ يكُونُ السُّلطانُ بمَشُورَةِ النسَاءِ وإمَارَةِ الصِّبْيانِ وتَدْبِيرِ الخِصْيَانِ...

◁ اللغة

المَاحِلُ، السّاعي في النّاس بالوشاية عند السّلطان (غُرْماً) الغُرم بضَم الغين الغرامة (مَنّاً) المَن بفتح الميم ذكر النّعمة علىٰ الغير لإظهار الكرامة عليه (اسْتِطالةً) مصدر قولك إستَطالَ إستطالةً وَالإستطالة علىٰ النّاس التّفوق عليهم والتّزيّد عليهم بالفَضل (الخِصْيَانِ) بكسر الخاء جَمع خُصّي وهو الّذي سُلَت خِصيتاه ونُزعتا:

◁ الشرح

هذا الكلام أخبارٌ منه ﷺ عن أحوال النّاس في المُستقبل وكلّ ما قاله ﷺ صِدقٌ وحقٌ فمنه ما تحقّق ومنه ما سَيتحقق فقوله ﷺ: يأتِي علىٰ النَّاسِ زَمانٌ لا يُقَرَّبُ فيهِ إلّا المَاحِلُ، إشارة الىٰ إنّ في ذلك الزّمان تصير الوشاية عند السّلطان مُتداولة رائجة وقيل المراد بالماحِل الكائد والماكر قال المُعتزلي المَحل المَكر والكَيد يقال مَحَل به إذا سُعي به الىٰ السّلطان فهو ماحل ومحول

والمماحلة المُماكرة والمُكايدة انتهىٰ ما قال وعلىٰ هذا التّفسير فالمعنىٰ يأتي علىٰ النّاسِ زمَانٌ لا يُقَرَّبُ عند السّلطان أو عند النّاس إلّا المماكر والمُكـايد وكيف كان فقد حَصَل هذا المعنىٰ في زماننا هذا فأنّ المقّرب عند النّاس أو السّلطان ليس إلّا الواشي المُكايد وأمّا المؤمن الّذي لا يقول إلّا حقاً فلا قُرب له عنده وعندهم وهذا ظاهر محسُوس:

وأمّا قوله ﷺ: **ولا يُظَرَّفُ فيه إلّا الفَاجِرُ**، فمعناه أنّ النّاس يعدّون الفاجر الفاسق ظريفاً وأمّا من ليس كذلك أي لا يتّظاهر بالفسق فهو عندهم سَفيه أو شُبه سَفيه وهذا المعنىٰ أيضاً قد حَصَل في زماننا هذا حُصولاً كاملاً، وأمّا قوله ولا يضّعف فيه إلّا المُنْصِف فمعناه أنّهم يحكمون بضعف من رأوه مُنصِفاً في مُعاملاته بل مطلقٍ أفعاله وبعبارةٍ أُخرىٰ إذا رأوا إنساناً عنده وَرَع وإنصاف في معاملته النّاس عَدُّوه ضَعيفاً ونَسَبُوه الىٰ الرّكة والرّخاوة وليس الفطن الذّكي عندهم إلّا الظّالم المتجاوز بحقوق النّاس في جميع الشّئون ولَعَمري أنّ هذا المعنىٰ أيضاً قد حَصَل كامِلاً.

وقوله ﷺ: **يَعدُّونَ الصَّدَقةَ فيهِ غُرْماً**، معناه أنّ الصّـدقة عـندهم فـي ذلك الزّمان تعدّ غُرماً وخسارة فيقول لِمَ أعطىٰ ماله غيره وهذا أيضاً نراه في زماننا برأي العين بل نرىٰ في كثير من الموارد يعدّون مـن يـعطي الصَّـدَقة سَـفيهاً ويستهزؤن به فإذا قـيل لهـم أنّ الصّـدقة تُـطفئ البـلاء عـن صـاحبها كـانوا يضحكون وقد غفلوا عمّا قـال اللّـه تـعالىٰ فـي حـقّهم حـيث قـال: **﴿واللّـهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾**(١)

وقوله ﷺ: **وصِلةَ الرَّحِمِ مَنّاً**، أي يَمنّون إذا وصلوا الرّحم عـلىٰ الرُّحـماء والأقرباء كأنّهم لم يعلموا أنّ المنّ والأذىٰ يبطل العَمَل قال اللّه تـعالىٰ: **﴿وَلا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾**(٢)

١-البقره ـ١٥

٢- المدثر ـ٦

و : ﴿يَٰأَيُّهَاالَّذِينَ ءَامَنُواْلاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالأَذَىٰ﴾ (١) وهذا أيضاً قد حَصَل، وقوله ﷺ :والْعِبَادَةَ اسْتِطَالَةً علىٰ النَّاسِ الظّاهر أنّ المراد بالعيادة عيادة المرضىٰ وعليه فالمقصود أنّ أهل ذلك الزّمان يعدّون العيادة للمَريض من الإفتخار والتّكبر عليه وذلك بسبب إعجابهم بأنفسهم وتحقيرهم النّاس وهذا أيضاً محسوس و فى بعض النّسخ (العبادة) بالباء اى يعدون عبادتهم فخراً و يكتّى على غيرهم.

ثمّ بعد وقوع هذا العلائم قال ﷺ: فَعِنْدَ ذَلِكَ يَكُونُ السُّلطانُ بِمَشُورَةِ النِّسَاءِ، في تدبير أُمور المملكة وإمارة الصّبيان علىٰ النّاس بجعلهم حكّاماً عليهم، وتدبير الخصيان في شؤن النّاس، أمّا الأمر الأوّل أعني به مَشورة النّساء فقد حَصَل وهكذا الثّاني وهو إمارة الصّبيان وقد إبتلانا اللّه تعالىٰ بسبب أعمالنا بهما وأمّا الأمر الثّالث وهو تدبير الخصيان فهو أمرٌ مخفّي عن الأنظار مستور عن العقول ولا أدري أنّه قد حَصَل الىٰ الآن أم لَم يَحصل ولا يبعد حُصوله وجهلنا به لما ذكرناه والحاصل أنّ جميع ما أخبَر ﷺ به من أوّل كلامه الىٰ قوله وتدبير الخصيان قد حَصَل قطعاً وأمّا تدبير الخصيان فهو مشكوك عندنا وأظَن أنّه أيضاً قد حَصَل، إنظُر الىٰ هذه الكلمات الّتي نشأت عن مَنبَع الإلهام وباب مدينة علم الرّسُول كيف تحقّقت بلا زيادةٍ ونَقيصةٍ ثمّ صدّقت صاحبها بأحسن التّصديق وأنّه كان عالماً بما كان وما يكون وما هو كائن الىٰ يوم القيامة.

١- البقرة-٢٦٤

۱۰۰

وَرُؤِيَ عليهِ إِزَارٌ خَلَقٌ مَرْقُوعٌ فَقِيلَ لهُ في ذلِكَ.

فَقالَ: يَخْشَعُ لهُ القَلْبُ وتَذِلُّ بهِ النَّفْسُ ويَقْتَدِي بهِ الْمؤمِنُونَ أنَّا الدُّنْيا والآخِرَةُ عَدُوَّانِ مُتفاوِتانِ وسَبِيلاَنِ مُخْتَلِفانِ فَمَنْ أَحَبَّ الدُّنْيَا وتَوَلاَّها أَبْغَضَ الآخِرَةَ وعادَاهَا وُهمَا بِمَنْزِلةِ الْمَشْرِقِ والمَغْرِبِ وَماشٍ بِيْنَهُما كُلَّما قَرُبَ منْ وَاحِدٍ بَعُدَ منَ الآخِرِ وهُمَا بَعْدُ ضَرَّتَانِ...

◁ اللغة

(رُؤِيَ) بضّم الرّاء مجهول رَأىٰ (إِزَارٌ) بكسر الألف كلّ ما سَتَرك (خَلَق) يُقال ثوبٌ خَلَق بفتحتين وجُبّة خَلَق، البالي من الثّوب ضدّ الجديد (مَرْقُوعٌ) رَقَعَ الثّوب، ألحم، خَرَقه وأصلَحه بالرّقاع (يَخْشَعُ) الخشُوع الخُضُوع (مَاشٍ) الماشي إسم الفاعل من مشىٰ يمشي (ضَرَّتانِ) بفتح الضّاد تثنية، ضرَة وهي الضّرر من كلّ شيءٍ، وبضّم الضّاد الضّرر في النّفس هكذا قال الشّيخ أبو علي.

◁ الشّرح

رُئيَ عليه أي رآىٰ بعض النّاس علىٰ أمير المؤمنين ﷺ خَلَق مرقوع أي ثَوبٌ خَلَق ليس بجديد ومع ذلك كان مرقوعاً أي ذات الرّقاع فقيل له في ذلك أي سَأله عن ذلك فقال ﷺ فيه فوائد الأوّل **يَخشع له القَلب**، والثّاني تذل به النّفس، والثّالثة يقتدي به المؤمنون: أمّا خشُوع القلب فهو كناية عن التّواضع أو

هو عَينه كما قيل وقد مَدَح اللّه الخاشعين في كتابه حيث قال:﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ (١)

و: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعاً﴾ (٢)

و: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ (٣)

و: ﴿خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَناً قَلِيلاً﴾ (٤)

و: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ (٥) وغيرها من الآيات الواردة في مَدح الخُشوع والتّواضع واذا ثَبت كون الخشوع مَمدوحاً مرغوباً اليه فالّذي يُوجبه ويُوصل الإنسان اليه فهو أيضاً مَمدوح لأنّ ما لا يتمّ المَمدوح إلّا به أيضاً مَمدوح ولا شكّ أنّ لبس الثّوب الخَلق لمن يقدر على لبس الجديد منه تواضعاً لِلّه تعالىٰ وتَسكيناً لنفُوس الفقراء ممّا يُوجب الخشُوع كما أنّ اللّباس الفاخر يُوجب التّكبر والإفتخار لصاحبه غالباً وهو ﷺ لَم ينحصر الخشُوع فيه بل عَدّه من أسبابه وهو كذلك ولا سيّما في حقّه ﷺ فأنّ أمير المؤمنين كان أميراً علىٰ النّاس والأمير لا يلبس عادةً إلّا الألبسة الفاخرة ولا يركب ولا يسكن ولا يأكل إلّاكذلك وحيث أنّه ﷺ لم يكن كذلك تواضعاً لِلّه تعالىٰ فهو سبب ووسيلة للخشُوع والخضُوع بالنّسبة اليه وأنّما قلنا تواضعاً لِلّه لأنّ مجرّد لبس الخَشن والخَلَق من اللّباس لا يدّل علىٰ الخشُوع اذا لم يكن لِلّه تعالىٰ وهو ظاهر فالخشُوع يحصل من لبس الخَلق مُقيّداً بقيد التّوتضع لِلّه تعالىٰ لا مُطلقاً:

وأمّا أنّه تذّل به النّفس، فهو أيضاً لا خفاء فيه لأنّه اذا كان ثوب الخَلَق مُتواضعاً لِلّه تعالىٰ رافعاً للعُجب والتّكبُر كما عرفت فلا محالة يكون مُوجباً لإنكسار النّفس فأنّ العُجب ينشأ من إستعظام النّفس وإستحقار غيرها من النّفوس فما يَرفع العُجب يُوجد الإنكسار فيها وهو المطلوب وكيف كان فهو أي إنكسار النّفس ممدوح عقلاً وشَرعاً ولا يتحقق الزّهد والعبُوديّة الوّاقعية إلّا به فأنّ اللّه تعالىٰ عند المُنكسِرة قلوبهم .قال رسُول اللّه ﷺ ما مِن أَحَدٍ إلّا

١- الحديد -١٦
٢- الأسراء -١٠٩
٣- البقرة -٤٥
٤- آل عمران -١٩٩
٥- الأنبياء -٩٠

ومَعه مَلَكان وعليه حَكَمة يُمسكا بها فأن هو رَفَع نَفسه جبذاها ثُمّ قالا اللّهم ضَعه وأن وَضَع نفسه قالا اللّهم أرفعه جامع السّعادات ج ١ ص ٣٤٥.

ورُوي أنّه أوحىٰ اللّه تعالىٰ الىٰ مُوسىٰ عليه السلام أن يا مُوسىٰ أتَدري لِمَ إصطفيتك بكلامي دون خَلقي قال يا ربّ ولِمَ ذلك فأوحىٰ اللّه اليه أنّي قلّبتُ عبادي ظهراً لبطنٍ فَلَم أجد فيهم أحَداً أذّل نفساً لي منك يا مُوسىٰ أنّك اذا صلّيت وضَعتَ خدّك علىٰ التّراب ص ٣٤٦.

وقوله عليه السلام: **ويَقْتَدِي بِهِ الْمُؤمِنُونَ**، إشارة الىٰ أنه عليه السلام كان مُقتداهم وأميرهم لأنّه أمير المؤمنين عليه السلام فَمن كان يُؤمن باللّه وباليوم الآخر ينبغي أن يقتدىٰ به في أُمور دينه ودُنياه وقد ذَكر الرّازي في تَفسيره الكَبير أنّ من إقتدىٰ في دينه بعلّي فقد إهتدىٰ، فالمؤمن يقتدي به والمُنافق لا يقتدي به لأنّه أمير المؤمنين لا أمير المُنافقين ولذلك قال عليه السلام: **ويَقْتَدِي بِهِ الْمُؤمِنُونَ** ولَم يَقل يَقتدي به المُسلمون ثُمّ قال عليه السلام أنّ الدّنيا والآخرة عدّوان مُتفاوتان وسبيلان مُختلفان الىٰ آخر ما قال عليه السلام وما ذكره لا يحتاج الىٰ تَوضيح أكثر ممّا أوضَحه إذ لا شك أنّ طريق الآخرة غير طريق الدّنيا فأنّ الأوّل حقّ والثّاني باطل والحقّ والباطل عدّوان مُتفاوتان فَمن أحَبّ الدّنيا وتولاّها أبغض الآخرة وعاداها ليس معناه أنّ الدّنيا والآخرة لا تجتمعان كما توّهم وبعبارةٍ أُخرىٰ حَمَل هذا الكلام وأمثاله من كلماته وكلمات غيره من المَعصُومين بعض من لا خَبرة له علىٰ أنّ الدّنيا والآخرة لا تَجتمعان ولم يَعلم أنّ المراد حُبّهما أي حُبّ الدّنيا لا يجتمع مع حُبّ الآخرة لأنفسهما والدّليل علىٰ ما ذكرناه قوله عليه السلام: **فَمَنْ أحَبَّ الدُّنْيَا وتَوَلاَّها أبْغَضَ الآخِرَةَ** ومن الملعوم أنّ حُبّ الدّنيا رأس كلّ خطيئة فكيف يجتمع مع حُبّ الآخرة الّذي هو رأس كلّ حَسَنة ولذلك قال عليه السلام وهما بمنزلة المَشرق والمَغرب وماشٍ بينهما كلّما قرب من واحدٍ بَعُد من الآخر وهما ضرّتان، ضرورة أنّ نفس الدّنيا والآخرة لَيستا بمنزلة المَشرق والمَغرب كيف والدّنيا مزرعة الآخرة فالآخرة تحصل من الدّنيا ولا سبيل اليها إلّا بها وما كان كذلك فهو مُعِدٌّ للآخر مُحصّل له لا مُضرّ ومُخالف فالدّنيا بما هي هي ليست بعذوة للآخرة ولا مُخالفة لها والعَدُو والمُخالف هو حُبّها وهو غير نفسها وذاتها وقد مَرّ الكلام في هذا الباب غير مرّةٍ في تضاعيف الكتاب.

١٠١

وَعن نَوْفٍ البِكالِيِّ قال رأيتُ أميرَ المؤمنينَ ٧ ذاتَ ليلةٍ وقد خَرجَ من فراشهِ فَنظرَ في النّجوم فقال لي يا نَوْفُ أَراقِدٌ أَنتَ أَمْ رامِقٌ فقُلتُ بلْ رامِقٌ:

□ قال ﷺ: يانَوْفُ طُوبىٰ لِلزّاهِدينَ في الدّنْيا الرّاغِبين في الآخِرَة .أُولَئِكَ قَوْمٌ اتَّخَذُوا الأَرْضَ بِساطاً وتُرابَها فِراشاً وَماءَها طَيِّباً والقُرآنَ شِعاراً والدُّعاءَ دِثاراً ثُمَّ قَرَضُوا الدُّنْيا قَرْضاً علىٰ مِنْهاجِ المَسيحِ يانَوْفُ إنّ داوُدَ ﷺ قامَ في مِثْلِ هَذِهِ السَّاعَةِ منَ اللَّيْلِ فَقالَ إنَّها ساعَةٌ لا يَدْعُو فِيها عَبْدٌ إلّا استُجيبَ لَهُ إلّا أنْ يَكُونَ عَشّاراً أوْ عَرِيفاً أوْ شُرْطِياً أوْ صاحِبَ عَرْطَبَةٍ وهِيَ الطُّنْبُورُ أوْ صاحِبَ كُوبَةٍ وهيَ الطَّبْلُ وقدْ قِيلَ أيْضاً إنّ المَرْطَبَةَ الطَّبْلُ والكُوبَةَ الطُّنْبُورُ...

◁ اللغة

(نَوْفٌ) بفتح النّون في الأصل مصدر قولك ناف يَنُوف نَوفاً، السّنام العالي، الشّرف (وأمّا) في المقام فالمراد به صاحب أمير المؤمنين (البِكالِيّ) قيل في العَرب قبيلة تُسمّىٰ بكالة والنُّوف منسُوب اليها ولَم يَعرف من أيّ العَرب هي.

وإحتَمل المُعتزلي أنها من اليَمن وقال وأمّا بُكيل فَحَيّ من همدان وكيف كان فالنُّوف كانَ من خيار أصحابه وشيعته (أَرَاقِدٌ) الهمزة للإستفهام والرّاقد النّائم (رامِقٌ) ضدّ النّائم يقال رَمقه إذا لَحظَه لَحظاً خَفيفاً (طُوبىٰ) بضَم الطّاء علىٰ وزن بُشرىٰ وزُلفىٰ من الطّيب قلبت ياؤه واو لِضَمة ما قبلها فهو في الأصل مصدر يطاب يقال طُوبىٰ لك وطُوباك بالإضافة هكذا قال صاحب

المجمع وقال في المُنجد طُوبىٰ مُؤنث أطيب الّذي هو إسم تفضيل من طاب وجمع طُوبىٰ علىٰ طُوَبيات ثُمّ قال الطُّوبىٰ أيضاً الغِبطة والسّعادة، الخير والخيرة وقال في موضع آخر الطّيب ذو الطّيبة خلاف الخَبيث، الحلال، مُؤنّثة طيّبة، جمعه طيّبات وطُّوبىٰ وهذا من نوادر الجموع انتهىٰ (لِلزّاهِدينَ) جمع زاهـد والزُّهـد فـي اللّـغة التّـرك (الرّاغِبين) جـمع الرّاغب والرّغـبة المَـيل (بِسَاطاً)البِساط بكسر الباء ما يبسط أي ينشر وبفتحها الأرض الواسعة والأوّل هو المراد في القمام (فِرَاشاً) الفِراش بكسر الفاء ما يفرش وينام عليه مأخوذ من الفَرش الّذي هو من متاع البَيت (شِعَاراً) الشِّعاربكسر الشّين ما يلي البَدن الثّياب (دِثاراً) الدِّثار بكسر الدّال الثّوب الّذي يستدفئ به من فَوق الشّعار، وقد يقال علىٰ ما يَتّغطىٰ به النّائم (عَشّاراً) العَشّار بفتح العين من يتولّىٰ أخذ أعشار الأموال وهو المكاس، (عَرِيفاً) العَريف بفتح العين من يَتّجَسس علىٰ أحوال النّاس وأسرارهم فيكشفها لأميرهم وهو الّذي يقال له في زماننا، جاسُوس (شُرْطِيّاً) الشُّرطي بضّم الشّين وسكون الرّاء نسبةٌ الىٰ الشُّرْطة وهي واحد الشُّرط وهم أعوان الحاكم (عَرْطَبَةٍ) قيل هي الطّنبور (كُوبَةٍ) بضّم الكاف الطّبل الصّغير:

◁ الشرح

رُوي عَن نَوْفِ البِكاليِ أنّه قال رأيت أمير المؤمنين عليه السلام في ليلةٍ من اللّيالي وهو قد خَرَجَ من فِراشهِ الّذي كان نائماً فيه فَنَظر عليه السلام في النّجوم أي الكَواكب السّماوية فقال عليه السلام لي يا نَوف أراقد أي نائم أنتَ أم رامِق أي غير نائم وبعبارةٍ أخرىٰ أنتَ في النّوم أو اليَقظة فقلتُ بل رامِق أي أنا رامِق لا نائم ثُمّ قال عليه السلام:

- **قوله عليه السلام: يا نَوْف طُوبىٰ لِلزّاهِدينَ في الدُّنْيا الرّاغِبين في الآخِرَة...**

قد مَرّ معنىٰ طُوبىٰ من حيث اللّغة وأنّها السّعادة والغِبطة وأمّا في لسان الشّرع فقد قال رسُول اللّه صلى الله عليه وآله **طُوبىٰ شجرة في الجنّة أصلها في داري وفرعها في دار علّيٍ فقيل له** صلى الله عليه وآله **في ذلك فقال داري ودار علّيٍ في الجنّة**

بمكانٍ واحدٍ وفي حديث آخر هي شجرة في الجنّة أصلها في دار النّبي وليس مؤمن إلّا وفي داره غُصن منها لا يَخطر علىٰ قلبه شَهوة إلّا أتاه به ذلك الغُصن ولو أنّ راكباً مُجدّاً سار في ظلّها مائة عام ما خَرَج ولو طار من أسفلها غرابٌ ما بَلَغ أعلاها حتّىٰ يسقط هَرماً انتهىٰ نَقل هذين الحديثين صاحب المَجمَع؛

ورُوي في البحار عن إبن عبّاس عن النّبي ﷺ قال طُوبىٰ شجرة في الجنّة غَرسَها اللّه بيده ونفخ فيه من رُوحه تنبتُ الحلّي والحلل والثّمار متّدلية علىٰ أفواه أهل الجنّة وأنّ أغصانها لتُرىٰ من وراء سُور الجنّة في منزل علّي بن أبي طالب لَم يحرمها ولِيّه ولَن ينالها عَدوّه انتهىٰ« ج ٣ ص ٣٤١»...

وعن تفسير فرات بن إبراهيم الكُوفي عن إبن عبّاس في قوله تعالىٰ:(طُوبىٰ لهم وحُسن مآب) قال النّبي ﷺ لمّا أُسري بي فَدخلت الجنّة فإذا أنا بشجرةٍ كلّ ورقةٍ منها تغطّي الدّنيا وما فيها تَحمل الحلّي والحُلل والطّعام ما خلا الشّراب وليس في الجنّة قصر ولا دار ولا بيت إلّا فيه غُصن من أغصانها وصاحب القصر والدّار والبَيت حليته وحُلله وطعامه منها فقلتُ يا جبرئيل ما هذه الشّجرة قال هذه طُوبىٰ فَطُوبىٰ لك ولكثيرٍ من أُمّتك قلت فأينَ مُنتهاها يعني أصلها قال في دار علّي بن أبي طالب إبن عمّك انتهىٰ« ص ٣٣٢»...

وعن سلمان الفارسي قال قال - بعض أزواج النّبي ﷺ يا رسُول اللّه مالك تُحبّ فاطمة حُبّاً ما تُحبّه أحَداً من أهل بيتك قال إنّه لمّا أُسري بي الىٰ السّماء انتهىٰ بي جبرئيل الىٰ شجرة طُوبىٰ فَعَمد إلّي ثمرة من أثمارها ففركه بين إصبعيه ثمّ أطعمنيه ثمّ مَسَح يده بين كِتفَي ثمّ قال يا مُحمّد إنّ اللّه يبشّرك بفاطمة من خديجة بنت خُويلد فلّما أن هَبطتُ الىٰ الأرض فكان الّذي كان فعلقت خديجة فاطمة فأنا إذا إشتقت الىٰ الجنّة أدنيتُها فَشممتُ ريح الجنّة فهي حوراء أنسيّة انتهىٰ« ص ٣٣٤»...

وبإسناده عن أبي جعفر ﷺ في قوله تعالىٰ:﴿الّذينَ آمنُوا وَعَمِلوا

الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحَسْنُ مَآبٍ﴾[1] فبلغني أنّ طُوبىٰ شجرة في الجنّة منابته في دار علّي بن أبي طالب وهي له ولشيعته وعلىٰ تلك الشّجرة أسفاط فيها حُلل من سندس وإستَبرق يكون للعَبد منها ألف ألف سفط في كلّ سفط مائة ألف حلّة ليس مثلها حلّة إلّا مُخالفة لون الأُخرىٰ إلّا أنّها ألوانها كلّها خُضر من سندس وإستبرق فهذا أعلىٰ تلك الشّجرة ووسطها ظللهم يظل عليهم يسير الرّاكب في ظلّ تلك الشّجرة مائة عام قبل أن يقطعها وأسفلها ثمرتها مُتّدلي علىٰ بيوتهم يكون فيها القَضيب مثل القصبة فيه مائة لونٍ من الفواكه ما رُويت ولم تَر وما سمعتُ ولم تُسمع متدّلي علىٰ بيوتهم كلّما قَطعُوا منها يُنبت مكانها يقول اللّه تعالىٰ لا مَقطُوعة ولا مَمنُوعة وتُدعىٰ تلك الشّجرة طُوبىٰ ويَخرج نهرٌ من أصل الشّجرة يُسقي جنّة عدنٍ وهي قصر من لؤلؤة واحدة ليس فيها صَدع ولا وَصل لو إجتمع أهل الإسلام كلّهم علىٰ ذلك القصر لهم فيها سعة لها ألف ألف باب وعلىٰ كلّ باب مصراعان من زَبُرجد وياقوت أثنىٰ عَشر ميلاً لا يَدخلها إلّا نبّي أو صدّيق أو شهيد أو مُتّحاب في اللّه أو ضعيف من المؤمنين تلك منازلهم وهي جنّة عَدنٍ انتهىٰ» ص ٣٣٥»...

والرّوايات بهذه المَضامين كثيرة وفيما نقلناه كفاية، إذا عرفت معنىٰ كلمة طُوبىٰ لُغةً وإستعمالاً في عُرف المُتشرعة فقد علمت أنّ المآل في الإستعمالين واحد وليست الكلمة من الكلمات المُشتركة لَفظاً أو معنىً بل هي مُستعملة في معناها اللّغوي وهو الخَير المُطلق والسّعادة والبُشرىٰ وأمثالها من المعاني وأنّما سُمّيت الشّجرة أو الجنّة بها لخيرهما وتنزهما عن الشّرور والآفات والحَوادث وعلىٰ هذا فقوله ﷺ: **طُوبَىٰ لِلزَّاهِدِينَ** معناه بُشرىٰ لهم أو كونهم علىٰ خَير في الدّنيا والآخرة وكيف كان فهو أي كلامه ﷺ إشارة الىٰ قوله تعالىٰ: **﴿طُوبَىٰ لَهُمْ وحُسْنَ مَآبٍ﴾** وأنّما خُصّ هذا المقام بالزّاهدين في الدّنيا الرّاغبين

1- حديد ـ ٢٣

في الآخرة لأنّ من إتّصف بالزُّهد في الدّنيا فقد جَمع الخَير كلّه فانّ تارك الدّنيا لا يكون إلّا راغباً الىٰ الآخرة ومَع ذلك فهو جامع الخَيرات والكمالات بحسب قُدرته ولياقته من العِلم والشّجاعة والسّخاوة والعدالة وأمثالها من الصّفات فان كان واجداً لها تاركاً لأضدادها لأجل الآخرة فهو الزّاهد حقّاً وأن كان مُتحلاً بالصّفات ظاهراً وتاركاً لأضدادها كذلك للوصُول الىٰ آمالها في الدّنيا وتجيب قلُوب النّاس فهو المُتزهد وليس بزاهدٍ أصلاً و هو السِّر في قوله الرّاغبين في الآخرة حيث لَم يَكتف بقوله للزّاهدين في الدّنيا لعلمه بأنّ الزُّهد أي تَرك الدّنيا لا لِلآخرة بل لِلدّنيا ليس بمَمدُوح بل هو مَذمُوم وحيث انجّر الكلام الىٰ الزُّهد لا بأس بالإشارة الىٰ بعض ما وَرد فيه لكونه من أهَمّ المَطالب الشّرعية وأفضل الخصال الإنسانية بل وعليه يَدُور مدار الثّواب في الآخرة وبه يَحصل التّقرب الىٰ الله الّذي هو غاية آمال السّالكين والعلّة الغائية لخَلق النّاس أجمعين فنقول:

الزُّهد هو الإعراض عن متاع الدّنيا وطيّباتها من الأموال والمَناصب وسائر ما يَزول بالمَوت وأن شئت قلت هو الرّغبة عن الدّنيا عدُولاً الىٰ الآخرة أو عن غير الله عُدولاً الىٰ الله ولازم ذلك هو أن لا يريد الدّنيا بقلبه ويَتركها بجوارحه إلّا بقدر ضرورة بَدنه وهو ينقسم بحسب الإصطلاح في علم الأخلاق الىٰ مُقَيد ومُطلق:

فالمُقَيد منه ما يكون لأجل الوصُول الىٰ شئٍ آخر أعلىٰ وأشرف ممّا تَركه في الدّنيا كما إذا تَرك الدّنيا للجنّة ونَعيمها فَمن تُرك لذّات الدّنيا ونعمها لأجل لذّات الآخرة وما أعدّ فيها للزّاهدين يكون زُهده مُقيداً، وأمّا المُطلق فهو عبارة عن تَرك الدّنيا لحُبّ الله تعالىٰ من دون توّجه للزّاهد الىٰ الجنّة وما فيها وبعبارة أخرىٰ من رَغب عن كلّ ما سوىٰ الله ولَم يُحبّ إلّا الله فهو الزّاهد المُطلق ومَن رَغب عن حظُوظ الدّنيا خَوفاً من النّار أو طَمعاً في نَعيم الجنّة من الحُور والقصُور والفَواكه والأنهار الّتي تَجري من تحتها فهو الزّاهد المُقَيد:

وأمّا من تَرَك بعض حظوظ الدّنيا دون بعضٍ فهو ليس بزاهدٍ أصلاً وهكذا من تَرَك الدّنيا وحظوظها لعَدم قُدرته عليها أو لغرضٍ غير الله تعالىٰ وغير الدّار الآخرة من حُسن الذّكر وإستمالة القلوب أو الإشتهاء بالفتوة والسّخاء أو الإستثقال لما في حفظ الأموال من المشقة والعَناء أو أمثال ذلك من الدّواعي فهو أيضاً ليس بزاهدٍ أصلاً إذا عرفت معنىٰ الزّهد لغةً وإصطلاحاً وعلمت مراتبه ودرجاته فلنُشر الىٰ بعض ما وَرد في مَدحه في الآيات والأخبار:

فمن الآيات قوله تعالىٰ: **﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا يَالَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِيَ قَارُونَ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً وَلا يُلَقَّيهَآ إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾**(١)

فَنسب الزّهد الىٰ العُلماء ووَصف أهله بالعلم وهو غاية المَدح وقال الله تعالىٰ: **﴿وَلاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَٰجاً مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾**(٢)

و: **﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْأَخِرَةِ مِن نَصِيبٍ﴾**(٣) والآيات كثيرة.

ومن الأخبار قال رسول الله ﷺ من أصبح وهَمّه الدّنيا شتّت الله عليه أمَره وفَرّق عليه صنيعته وجَعَل فقره بين عَينيه ولَم يُؤتِه من الدّنيا إلّا ما كَتب له ومن أصبح وهَمّه الآخرة جَمع الله له هَمّه وحفظ عليه صنيعته وجَعَل غِناه في قلبه وأَتته الدّنيا وهي راغمة...

وقال رسول الله ﷺ إذا رأيتم العَبد قد أُعطي صُمتاً وزُهداً في الدّنيا فإقتربُوا منه فأنّه يُلقي الحكمة...

وقال رسول الله ﷺ من أراد أن يُؤتيه الله عِلماً بغير تعلّمٍ وهُدىٰ بغير هداية فليَزهد في الدّنيا...

١- القصص - ٧٩ و ٨٠
٢- طه - ١٣١
٣- الشورىٰ - ١٩

وقال ﷺ أزهد في الدّنيا يُحبك اللّه وأزهد فيما في أيدي النّاس يُحبك النّاس...

وقال الصّادق عليه السلام -إذا أراد اللّه بعبدٍ خيراً زَهدّه في الدّنيا وفقّهه في الدّين وبَصّره عيُوبها ومن أُوتيهنّ فقد أُوتي خَير الدّنيا والآخرة...

وقال عليه السلام -الزُّهد مفتاح باب الآخرة والبراءة من النّار وهو تَركك كلّ شيءٍ يَشغلك عن اللّه من غير تأسّفٍ علىٰ فوتها ولا إعجابٌ في تَركها ولا إنتظار فَرَج منها ولا طَلَب مَحمدةٍ عليها ولا عِوض منها بل يرىٰ فَوتها راحة وكَونها آفة ويكون أبداً هارباً من الآفة مُعتَصماً بالرّاحة والزّاهد الّذي يَختار الآخرة علىٰ الدّنيا والذّل علىٰ العِزّ والجُهد علىٰ الرّاحة والجُوع علىٰ الشّبع وعافية الأجل علىٰ محبّة العاجل والذّكر علىٰ الغفلة وتكون نفسه في الدّنيا وقلبه في الآخرة انتهىٰ والأحاديث نقلناها عن «جامع السّعادات ج ٢ ص ٥٦ الىٰ ٦٢»

والأخبار الواردة في الزُّهد كثيرة جداً وفيما ذكرناه تبصرة للمُتعلمين وتَذكرة للنّائمين الغافلين.

ثُمّ إعلم أنّ لِلزُّهد في عُرف عُلماء الأخلاق إعتبارات تتُحقق له بكلّ إعتبار درجات:

الأوّل إعتبار نفسه، أي من حيث نفس التّرك للدّنيا وبهذا الإعتبار له درجات ثلاث:

الأُولىٰ: أن يَزهد في الدّنيا مَع مَيله اليها وحُبّه لها بأن يَكّف نفسه عنها بالمُجاهدة والمشّقة وهذا هو التّزهّد:

الثانية: أن يتركها بالطّوع والرّغبة بسهُولةٍ من دون ميلٍ اليها لاستحقارها بالإضافة الىٰ ما يَطمع فيه من لذّات الآخرة وهذا كالّذي يَترك درهماً لأجل درهمين مُبادلةً (مُعاوضةً) ومثله ربّما أعجب بنفسه وبزهده لإحتمال أن يظنّ بنفسه أنّه تَرك شيئاً له قَدر لما هو أعظم منه قدراً:

الثالثة: وهي أعظم الدّرجات تَركها طَوعاً وشَوقاً مَع أنّه لا يَرىٰ أنّه تَرك شيئاً

اذ عَرف أنّ الدّنيا لا شئ فيكون كمن تَرك خُنفساء وأخَذ ياقوتة صافية حَمراء فلا يرىٰ ذلك معاوضة ولا يرىٰ نفسه تارِكاً شيئاً وسببه كمال المعرفة فإنّ العارف علىٰ يقين بإنّ الدّنيا بالإضافة الىٰ اللّه ونِعم الآخرة أحَسن من خنفساء بالنّظر الىٰ ياقوتة ومثل هذا الزّاهد آمن من خطر الإلتفات الىٰ الدّنيا.

الثّاني من الإعتبارات إعتبار المرغوب اليه، أعني ما يُترك وبهذا الإعتبار له خمس درجات:

الأولىٰ: ترك المحرّمات ويسمّىٰ بالزّهد في الحرام وقد يسّمىٰ زهدٌ فرضٍ:

الثّانية: ترك المُشتبهات أيضاً وهو الزّهد في الشُّبهة ويسمّىٰ زهد سلامةٍ أيضاً.

الثّالثة: أن يزهد في قدر الزّاهد من الحاجة من الحَلال أيضاً ولا يزهد في التّمتع بالقَدَر الضّروري من المطعم والمَلْبس والمَسكن وما هو وسيلة اليها من المال والجاه وهو الزّهد في الحلال ويسمّىٰ زهد ثقل.

الرّابعة: أن يُترك جميع ما لِلنّفس فيه تمتّع ويزهد فيه ولو في قدر الضّرورة لا بِمعنىٰ تركه بالمرّة إذ ذلك مُتعذر لو لم يكن مُستحيلاً بل تركه من حيث التّمتع به وإن إرتكبه إضطراراً من قبيل أَكل المَيتة مع الإكراه له باطِناً وهذا يتناول جميع مقتضّيات الطّبع من الشّهوة والغَضب والكِبر والرّئاسة والمال والجاه وغيرها والىٰ هذه الدّرجة أشار الصّادق عليه السلام بقوله الزّاهد في الدّنيا الّذي يترك حلالها مخافة حسابه وحرامها مخافة عذابه واليه يرجع قول علّي عليه السلام حيث قال الزّهد بين كلمتين من القرآن وهو قوله سبحانه: ﴿ لِكَيْلاَ تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَافَاتَكُمْ وَلاَ تَفْرَحُوا بِمَا آتَيْكُمْ﴾ (١)

- **قوله عليه السلام: الزّهد في الدّنيا ثلاثة أحرف زاء وهاء ودال، أمّا الزّاء فترك الزّينة، وأمّا الهاء فَترك الهَوىٰ، وأمّا الدّال فترك الدّنيا...**

الخامسة: أن يترك جميع ما سوىٰ اللّه تعالىٰ ويزهد فيه حتّىٰ في بدنه

١-الحديد ـ٢٣

ونفسه واليه أشار الصّادق ﷺ بقوله الزّهد مفتاح باب الآخرة والبراءة من النّار وهو تركك كلّ شيئ يشغلك عن الله من غير تأسّف على فوتها ولا إعجاب في تركها ولا إنتظار فرح منها ولا طلب مَحمدةٍ عليها ولا عِوض منها بل يرى فوتها راحة وكونها آفة الحديث:

الثّالث إعتبار المرغوب فيه، أعني ما يترك لأجله وله بهذا الإعتبار ثلاث درجات:

الأولى: أن يكون المرغوب فيه النّجاة من النّار وسائر عذاب الآخرة وهذا زهد الخائفين:

الثّانية: أن يكون المرغوب فيه ثواب الله ونِعم الآخرة وهذا زهد الرّاجين:

الثّالثة: أن يكون المرغوب فيه هو الله تعالى ولِقاءه فلا يلتفت الى الآلام لِيقصد منها الخَلاص ولا الى اللّذات لِيقصد النّيل اليها بل كان مُستغرقاً في الله وهذا زُهد العارفين لأنّه لا يحبّ الله خاصّة إلّا من عَرفه بِصَفاته الكمالية ومن الواضح إنّ العارف الحَقيقي لا يلتفت الى غير محبُوبه وهذه الدّرجة من الزّهد فوق الدّرجات كما لا يخفى ولنختم الكلام في هذا الباب رعايةً لِلإختصار فإنّ فيما ذكرناه كفاية لأُولي الأبصار ونسأل الله أن يجعلنا من الزّاهدين آمين.

▫ **قوله ﷺ: أوْلَئِكَ إتَّخَذُوا الأرْضَ بِسَاطاً وَتُرَابَها فِراشاً وَماءَها طَيِّباً والقُرْآن شِعَاراً والدُّعاءَ دِثاراً ثُمَّ قَرضُوا الدُّنْيا على مِنْهاجِ المسيحِ...**

بيّن ﷺ في هذه الكلمات علامات الزُّهد والزّاهد وهي ستّة:

الأُولى إنّهم أي الزّهاد إتَّخَذُوا الأرْضَ بِسَاطاً، أشار ﷺ الى قوله تعالى:

﴿ وَاللّهُ جَعَلَ لَكُمُ الأرْضَ بِسَاطاً﴾ (١) وهو كناية عن عدم إعتنائهم بالأبنية والقصُور المُجلّلة في الدّنيا فإنّهم قد قَنَعوا فيها من المَسكن بما يمكن أن يسكنُوا فيه وأن شئت قلت إكتفُوا في مساكنهم بما يرفع به الحاجة وهو قدر الضّرورة لإنّهم لا يحتاجون الى الدّور والبيُوت أصلاً وهو واضح:

١- نوح ١٩.

الثّانية قـوله ﷺ: **وترابها فِراشاً**، أي إنّـهم إتـخّذوا تـراب الأرض بـمنزلة الفِراش وهو الّذي يُفرش وينام عليه وهو كناية عن عدم إعـتنائهم بـالفُرش المُزّينة الفاخرة بل ينامُون علىٰ الأرض إذا لم يكن هناك فراش لِتواضـعهم وخُشوعهم لربّهم.

الثّالثة قوله ﷺ: **وماؤُها طيّباً**، أي إنّهم إتخّذوا ماء الدّنيا طيّباً بمعنىٰ إنّهم يقنعُون بالماء إذا لم يوجد طعام في بعض الأحيان فكون الماء طيّباً كناية عن الإكتفاء به بَدلاً عن الطّعام في بعض الموارد هذا ما فَهمناه من العبارة ولعلّ المقصُود شيئ آخر لا نَعلمه.

الرّابعة قوله ﷺ: **والقرآن شعاراً**، وهو كناية عن أُنسهم وعلاقتهم بقراءته سِراً وعلانيةً للإعتبار بمَواعظه والتّفكر في دقائقه فأنّ القرآن نِعم الأنيس لِمن أنَس به وإستعماله ﷺ كلمة الشّعار الّذي هو عبارة عن الثّوب الّذي يلي البَدن للإشارة الىٰ دقيقةٍ ينبغي التّوجه اليها وهي أنّه كما أنّ الشّعار يلي البَدن ويَستره كذلك القرآن يلي شراشر أعضاءه وجَوارحه معنىً أي أنّ جميع أعماله وأفعاله وأقواله علىٰ طبق موازين القرآن.

وبعبارةٍ أُخرىٰ لا يفعل ولا يقول إلّا ما حقّقه القـرآن وأثـبته لا أنّـه يَـقنع بقراءته مَع قَطع النَّظر عن العَمَل به والدّليل علىٰ ما إستَظهرناه هو أنّه ﷺ لَم يَقل وقراءة القرآن شعاراً بل قال والقرآن شعاراً وفرقٌ واضح بين قراءته وهو نفسه.

الخامسة قوله ﷺ: **والدُّعاء دثاراً**، أي إنّهم إتّخذوا الدّعاء دِثاراً لأنفسهم وفيه أيضاً نكتة وهي إنّ الدِّثار بكسر الدّال الثّوب الّذي يستدفئ به من فوق الشّعار ولا ثوب بعده كما إنّه لا ذكر بـعد الدّعـاء فـهو آخـر مـا يـتوّسل بـه المتوسّلُون ويعتمد عليه المُعتمدُون والمراد بالدّعاء ليس الدّعاء باللّفظ فقط بل الأعمّ منه ومن الدّعاء القلبي الّذي نُعبّر عنه بالتّوجّه واليَقظة كما قال اللّه

تعالى:﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ (١) و هذا آخر المراتب في العبودية ونهاية المقاصد في السلوك اليه تعالى ولذلك أخره وذكره بعد المراتب الأربعة في مراتب السير الى الله:

السادسة، قوله ﷺ: **ثمّ قرضوا الدّنيا قرضاً على منهاج المسيح**، أي مزّقوا الدّنيا كما يُمزّق الثّوب بالمقراض على طريقة المسيح في العبادة والزّهادة والتّعبير بالقرض الّذي هو المزق والقطع إشارة الى أنّ الزّاهد يأخذ من الدّنيا ما ينفعه ويترك منها ما يضره كما أنّ الخياط يمزّق الثّوب بالمقراض ثمّ يأخذ منه شيئاً ويترك شيئاً أي يأخذ النّافع ويترك الزّائد وهو من أحسن الإستعارات فأنّ الدّنيا مزرعة الآخرة، فليس كلّ ما يُوجد فيها مذموماً مطروداً وهو ظاهر.

□ **قوله ﷺ: يا نَوْفُ إنّ دَاوُدَ ﷺ قامَ في مِثْلِ هَذِهِ السَّاعَةِ منَ اللَّيْلِ فَقالَ إنَّها سَاعَةٌ لا يَدْعُو فِيها عَبْدٌ إلّا اسْتُجِيبَ لهُ...**

المراد بداوُد ﷺ هو داوود النّبي الّذي قال اللّه تعالى في كتابه:﴿يا داوُدُ إنّا جَعَلْناكَ خليفَةً فِي الأرضِ فاحْكمْ بَيْنَ النّاسِ بالْحَقِّ﴾ (٢)

و : ﴿ولقد آتينا داوُد منّا فضلاً يا جبال أوّبي معه والطّير وألنّا له الحديد﴾ (٣)

و : ﴿واذكر عبدنا داوُد ذا الأيد أنّه أوّاب﴾ (٤)

و : ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾ (٥) والآيات في فضله كثيرة وهو ﷺ كان أزهد زمانه ولذلك يُضرب به المثل في الزُّهد والورَع ثمّ نَقَل ﷺ عنه أنّه قال أنّها ساعة لا يدعو فيها عبد إلّا أستجيب له لأنّه تعالى قال في كتابه:﴿أدْعُوني اَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (٦) و من أصدق من اللّه قيلاً إلّا أنّ الإستجابة للدّعاء لها شرائط كثيرة من حيث الزّمان والمكان والدّاعي ولا شكّ أنّ بعض السّاعات في اليوم واللّيلة أسرع إجابةً والّذي يظهر من الأخبار هو أنّ الدّعاء والمُناجات بعد مُضي النّصف من اللّيل أقرب بالقبول والإستجابة ولعلّه

١- الرعد / ٢٨
٢- ص ـ ٢٦
٣- سبأ ـ ١٠
٤- ص ـ ١٧
٥- الأنبياء ـ ٧٩
٦- الغافر ـ ٦٠

لذلك جُعل وقت التّهجد وكيف كان لا علم لنا بالسّاعة الّتي أشار عليه السلام اليها بخصُوصها ولا إشكال فيه.

▫ **قوله عليه السلام: إلّا أنْ يَكُون عَشّاراً، أوْ عَرِيفاً أوْ شُرْطِياً أوْ صاحِبِ عَرْطَبَةٍ (وهِيَ الطُّنْبُورُ) أوْ صاحِبَ كُوبَةٍ (وهيَ الطَّبْلُ وقدْ قِيلَ أيْضاً أنّ المَرْطَبَةَ الطَّبْلُ والكُوَبَةُ الطُّنْبورُ...**

إستثنىٰ عليه السلام مِمّن يكون دعاءه مُستجاباً من العباد أصنافاً خَمسَة:

أحدها: من يكون عشّاراً وهو الّذي يتولىٰ أخذ أعشار الأموال وهو المكاس والسّر في عدم إستجابة دعاء العشّار إمّا أن تكون ذمّته مشغولة بحقوق النّاس دائماً ومن شرائط إستجابة الدّعاء براءة الذّمة منها وهو لا يقدر عليها إذ الأموال المأخوذة كلّها خارج عن تحت يده وقُدرته داخل تحت يد الحاكم، وإمّا لأنّه معينٌ علىٰ الظّلم دائماً مضافاً الىٰ كونه ظالماً في نفسه وقد وَرَد أنّ دَعوة المظلوم في مظلمةٍ كان مثلها ثابتة في حقّه لا تستجاب إلّا أن يبرء ذمّته منها:

روي في البحار عن الصّادق عليه السلام **أنّه قال يقول اللّه عزّ وجلّ لا أُجيب دعوة مظلومٍ دعاني في مظلَمَة ولأحدٍ من خلقي عنده مظلَمَة مثلها**« ج ١٩ ص ٥٧»...

وثانيها: من يكون عَريفاً وهو الّذي يتّجسس علىٰ أحوال النّاس وأسرارهم فيَكشفها لأميرهم وقد عُرّف في زماننا بالجاسُوس والسّر فيه هو أنّ اللّه تعالىٰ ستّار العُيوب ومعناه أنّه تعالىٰ مع علمه بالأسرار وخفيّات الأُمور لا يُظهر عيُوب النّاس وهو كاشف عن أنه يحبّ السّتر ويُبغض الهَتّك والجاسُوس بخلافه فأنّه يُظهر عورات النّاس ويُفشيها عند الحاكم الجائر وربّما يكون سبباً لِقتلهم فهو شريك في قتل المظلوم مع الحاكم بل جُرمه أشدّ لكونه الباعث علىٰ قتله واقعاً ولأجل ذلك نَهىٰ اللّه تعالىٰ عباده عن التَّجَسس في كتابه حيث قال: **﴿وَلاَ تَجَسَّسُوا وَلاَ يَغْتَب بَعْضُكُم بَعْضاً﴾**(١) ومحصّل الكلام أنّ العَريف يَلعَب مَعَ دماء النّاس وأعراضهم وأموالهم ومن كان كذلك كيف يُستجاب

١- الحجرات -١٢

دعاءه بل الحقّ أن يُقال أنّه لم يُقتل من قُتل ولا يُقتل من يُقتل في زماننا هذا بأيدي الجبابرة الظّلمة إلّا بسبب وجود العُريف في الإجتماع ومن كان هذا ذنبه فعليه لعنة الله ولعنة اللّاعنين:

وثالثها: أن يكون شُرطيّاً، والمراد به من عاوَن الحاكِم الظّالم في ظُلمه وأمّا العادل فلا والوجه فيه أيضاً واضح.

ورابعها: أن يكون صاحب عَرطَبة وهي علىٰ ما قيل الطُّنبُور.

وخامسها: أن يكون صاحب كُوبة وقيل هي الطَّبل والوجه فيهما أنّ الطّبل والطّنبُور من آلات اللّهو وعن رسُول اللّه ﷺ **أنّه قال أنهاكم عن الكُوبات، وفي خبر آخر أنّ اللّه حرّم الخَمر والكُوبة** وقد إختلفُوا في تفسيرها لغةً.

فقيل هي النَّرد، وقيل الطّبل، وقيل البَربَط، وقيل الكوبة الطّبل الصّغير، وعن القاموس الكُوبة بالضّم النّرد والشّطرنج والطّبل الصّغير، وعن أبي عبيدة أنّها النّرد في كلام أهل اليَمَن هذا في الكُوبة وأمّا العَرطَبة ففي الحديث نُهي عن اللّعب بالعَرطَبة وتفسيرها أيضاً مختلف فيه، فمنهم من فسّرها بالعُود وهو من الملاهي، وقيل هي الطّبل، وفُسّرت في بعض الأخبار بالطّنبُورة والعُود قال صاحب المجمع بعد نقله ما نقلناه في تفسير اللّفظ، وفي خبر أنّ اللّه يغفر لكلّ مُذنب إلّا لصاحب عرطَبَة أو كُوبة انتهىٰ.

أقول: لا يعرف معنىٰ اللّفظين من هذه التّفاسير المُختلفة ونحن بعد الفحص والتّجسّس لم نظفر علىٰ تفسيرٍ صحيحٍ غير ما نقلناه ليُعتمد عليه والمقطوع المسّلم الّذي لا خلاف فيه عندهم هو أنّهما من آلات اللّهو كما ذكرناه وقد إتّفقوا علىٰ حرمة إستعمالها وهذا القَدر يكفينا في المقام وأن لم نعرف تفسيرهما واقعاً.

﴿١٠٢﴾

□ **قوله عليه السلام: إنَّ اللّٰهَ إفْتَرَضَ عَلَيْكُمُ الْفَرَائِضَ فَلاَ تُضِيعُوهَا وحَدّ لكُمْ حُدُوداً فَلاَتَعْتَدُوها ونَهاكُمْ عَنْ أشْياءَ فَلاَ تَنْتَهِكُوها وسكَتَ لَكُمْ عنْ أشْياءَ ولَمْ يَدَعْها نِسْيَاناً فَلاَ تَتَكَلَّفُوها.**

بيّن عليه السلام في هذه الأمور الأربعة وظيفة العبد في الشّريعة المقدّسة ونَهىٰ عن خروجه منها.

أحـــــدها قوله عليه السلام: أنّ اللّه تعالىٰ إفْتَرَضَ وأوجب عَلَيْكُمُ الْفَرَائِضَ فَلاَ تُضِيعُوهُا...

ففيه أمرَنا بإتيان الواجبات ونَهىٰ عن تضييعها والمراد بالفرائض مطلق الواجبات كالصّوم والصّلٰوة والزّكٰوة والحجّ وأمثالها والمراد بتضييعها عدم الإتيان بها بشرائطها المقرّرة في الشّريعة في وقتها فتضييع الصّلٰوة مثلاً يتحقّق بعدم توجّه القلب وتأخيرها عن أوّل وقتها من غير عذرٍ وتضييع الصّوم بالغَيبة وإستماع اللّغو والنّظر الىٰ المحرّم وأمثالها وهكذا بقية الواجبات وبما ذكرناه يظهر الفرق بين تضييع الواجب وإبطاله وأنّ بين الإبطال والتضّييع عموم وخصوص مطلقاً فأنّ كلّ إبطالٍ تضييع ولا عكس إذ ربما يكون العمل ضائعاً ولا يكون باطلاً ألا ترىٰ أنّ تأخير الصّلٰوة عن أوّل وقتها من غير عُذرٍ تضييع الصّلٰوة كما ورد في الحديث أنّها تقول ضَيّعتني ضيّعك اللّه ولا تقول أبطَلْتني.

وثانيها قوله عليه السلام: وحَدَّ لكُمْ حُدُوداً فَلاَ تَعْتَدُوها...

أي أنّ اللّه تعالىٰ جَعَل لكم حُدُوداً في الشّريعة في جميع الشئون حتّىٰ العبّادات فلا تعتدُوها أي لا تتّجاوزوا عن الحُدود المقرّرة فأنّ الإفراط مذموم كما أنّ التّفريط مذمُوم والطّريق الوسطىٰ هي الجادّة وأنّما قلنا في جميع الشّئون لأنّ التّجاوز عن الحدّ لا يجوز مطلقاً حتّىٰ في الأكل والشّرب والنّوم والتّكلم والعَمَل وغيرها والأساس في الكلّ هو معرفة الإنسان قدره وطَوره كما وَرَد، رحم اللّه إمرؤٌ عرف قَدره ولا يتجاوز طَوره:

ثمّ أنّ المراد بالحَدّ الّذي جَعَله اللّه لنا وأمَرَنا بعدم التّجاوز عنه يمكن أن يكون في الأحكام ويمكن أن يكون في الأخلاقيات فعلىٰ الأوّل معنىٰ العبارة لا تعتدُوا حدود الأحكام فلا تحرّمُوا ما أحلّه اللّه ولا تُحلّلوا ما حَرّمه اللّه فحلاله حلال الىٰ يوم القيامة وحرامه كذلك:

وعلىٰ الثّاني: لا تعتدُوا أي لا تتجاوزُوا حُدودكم الّتي جَعَلها اللّه لكم كالظّلم علىٰ الغير والتّصرف في ماله بدون إذنه وهتك عرضه وسبّه ولَعنه وأمثال ذلك من الأُمور الشّنيعة وفي المقام شَق ثالث لا يبعد إحتماله وهو أن يكون المراد بالحُدود حُدود الواجبات والمحرّمات وبقوله لا تعتدوها عدم الدّخول في الشّبهات وعليه فالمعنىٰ أنّ اللّه تعالىٰ جَعَل لكم حُدوداً من حيث الحِلّية والحُرمة وبينهما مُشتبهات فلا تتجاوزوا عن الحَدّ بالدّخول فيها والأخبار الواردة في الباب تؤيد الإحتمالات كلّها فيُعلم أنّ حمل الكلام علىٰ المعنىٰ العامّ الشّامل لجميع الإحتمالات أولىٰ من حمله علىٰ أحدها إذ لا دليل علىٰ التقيّيد وعليه فيؤخذ به وهو ظاهر:

وثالثها قوله ﷺ: ونهاكم عن أشياء فلا تنتهكوها...

وفيه إشارة الىٰ مُراعاة النّواهي وعدم التّجاوز عنها فأنّ الإنتهاك الإهانة والإضعاف فكما أنّه يجب عدم التّجاوز عن الواجبات كذلك في جانب المَنهيّات فمعنىٰ العُدول في الواجبات هو تركها وأمّا في المنهيّات فهو فِعلها وكلاهما ممّا لا ينبغي لِلمُسلم المؤمن باللّه واليوم الآخر قال اللّه تعالىٰ: ﴿مَا

ءَاتَكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَكُمْ عَنْهُ فَأَنتَهوا﴾[1] فقوله ما أتاكم الرّسُول فخذوه إشارة الىٰ الحكم الأوّل وهو العَمل بالواجبات وعدم التّعدي عنها وقوله وما نهاكم عنه فإنتَهوا إشارة الىٰ الحكم الثّاني وهو الإنتهاء عن النّواهي فمن إنتَهك النّواهي كمن ضَيّع الواجبات في التّمرّد والعصيان:

ورابعها قوله ﷺ: وَسَكتَ لَكُمْ عنْ أشْياءَ لمْ يَدَعْها نِسْيَاناً فَلاَ تَتَكَلَّفُوها...

وفيه إشارة الىٰ أنّ الأُمور الّتي سَكَت الشّارع عن ذكرها وبيان حُكمها لم يسكُت عنها نسياناً عنها بل سَكَت لأجل المَصلَحة الّتي رآها فيها فلا تكلّفوا أنفسكم بها مع سكوت الشّارع عنها أي لا تجعلوها من التّكاليف لأنفسكم ولم يجعلها اللّه منها وحاصل الكلام في هذه الأمور الأربعة المذكورة المشرُوحة هو أنّ وظيفة العبد في مقام العبودية هو المتابعة والإنقياد للشّريعة المُقّدسة فما أُفترض عليه من الواجبات يجب عليه الإتيان به وما نهىٰ عنه يجب عليه تَركه وما لا دليل علىٰ وجوبه وحُرمته فهو أي العَبد في سعةٍ منه وقد وَرد في الأحاديث إسكتُوا عمّا سَكَت اللّه عنه:

١-الحشر ـ٧.

١٠٣

□ قوله ﷺ: لا يَتْرُكُ النَّاسَ شَيْئاً مِنْ أَمْرِ دِيْنِهِمْ لاِسْتِصْلاَحِ دُنْياهُمْ إلّا فَتَحَ اللّٰهُ عَلَيْهِمْ ما هُوَ أَضَرُّ مِنْهُ...

والمقصود من هذا الكلام أنّه لا ينبغي لأحدٍ أن يترك أمر دينه لأجل دنياه وذلك لأنّ اللّه تعالىٰ يفتح عليه ما هو أضّر منه أي ممّا تَرك دينه لأجله وذلك لأنّه ترك الدّين لأجل الدُّنيا لئلاّ يتضرر به بزعمه وغَفَل عن حقيقة أُخرىٰ وهي أنّ اللّه فَتح عليه ما هو أُضر منه في الدّنيا وفي الآخرة أو في كليهما وقد ثُبت أنّ الدّنيا فانية ومع ذلك قد قَسَمها عادلٌ بين النّاس وهو اللّه تعالىٰ وأمّا الدّين فلم يُقسم بَين النّاس فاللاّزم تَحصيله والأخذ به وهذا أمرٌ عقلّي شرعي وقد مَرّ الأخبار في ذَمّ الدّنيا والأخذ بها بما لا مزيد عليه في تضاعيف الكتاب.

﴿١٠٤﴾

▫ قوله عليه السلام: رُبَّ عالِمٍ قدْ قَتَلَه جَهْلُهُ وعِلْمُهُ مَعَهُ لا يَنْفَعُهُ...

يمكن أن يكون المراد بهذا العالم الّذي قَتَلهُ جَهْلُهُ ولا يَنْفَعُهُ علمه العالم الّذي يحفظ ولا يَدري وبعبارةٍ أُخرىٰ يحفظ حفظ روايةٍ لا حفظ دراية أو يعلم ولا يعمل أو يَنقل ولا بَصيرة له، ويمكن أن يكون المراد به العالم الغافل عن الحَوادث فأنّ الغفلة كثيراً ما تُوجب الهَلاك ويمكن أن يكون المراد العالِم الّذي لا عقل له فأن العلم غير العَقل والمراد بالعَقل الّذي يُغاير العلم هو العَقل الّذي يحصل للإنسان بسبب التّجربة والتّدبير وذلك لأنّا نرىٰ كثيراً من أهل العلم والفَضل أنّهم لا يدرون ما يفعلون وما يقولون كما نرىٰ كثيراً ممّن ليسوا بعُلماء ولكنّهم علىٰ بصيرةٍ في أمور دينهم ودُنياهم هذا أن أُريد من القَتل في قوله عليه السلام القَتل الظّاهري في الدّنيا وأمّا أن أُريد به القَتل المعنوي الرّوحي فالمراد بالجَهل في قوله عليه السلام هو الجَهل في العَمَل وأنّما أتىٰ بكلمة (رُبَّ) للدّلالة علىٰ أنّ هذا الصّنف من العُلماء قليلون جدّاً وقد خَطر ببالي معنىٰ آخر في حلّ العبارة لا بأس بذكره وهو أنّ العُلماء علىٰ قسمين:

قسم منهم يعلمون ما يعلمون ويعلمون ما يجهلون فأنّ العالم إذا لم يكن معصُوماً لا يخلو من الجَهل قلّ أو كثُر، وقسم منهم يعلمون ما يعلمون ولا علم بجهلهم بل يظنّون أنّهم يعلمون كلّ شيٍ وهو الجَهل المُركب في الإصطلاح كما أنّ الأوّل سمّي بالجَهل البسيط إذا عُرفت هذا فمراده بالعالم الّذي قتله

جَهله هو العالِم بالجَهل المَركّب حيث أنّه يقول ويفعل ما لا يعلم واقعاً ولا يدري أنّه جاهل به وهذا هو الّذي يقتله في الدّنيا والآخرة ضرورة أنّه لو سَكَت عن القول فيما لا يعلم لا يُقتل وأمّا الجاهل بالجَهل البسيط فليس كذلك إذ المفروض علمه بمَراتب جهله فلا يقول ولا يفعل إلّا ما يعلم أنّه عالم به ولذلك فهو مصُون عن القَتل والهَلاك:

١٠٥

□ قوله عليه السلام: لَقدْ عُلِّقَ بِنِياطِ هذَا الإنسَانِ بَضْعَةٌ هِيَ أعْجَبُ مِنْهُ وذلِكَ القَلْبُ ولهُ مَوَادٌّ منَ الحِكْمَةِ وأضْدَادٌ منْ خِلاَفِها. فإنْ سَنَحَ لهُ الرَّجاء أذَلَّهُ الطَّمَعُ وإنْ هَاجَ بِهِ الطَّمَعُ أهْلكَهُ الحِرْصُ وإنْ مَلَكَهُ الْيأسُ قَتَلَهُ الأسَفُ وإنْ عَرَضَ لهُ الغَضَبُ اشْتدَّ بِهِ الغَيْظُ وإنْ أسْعَدَهُ الرِّضَى نَسِيَ التَّحَفُّظ وإنْ نالَهُ الخَوْفُ شَغَلَهُ الحَذَرُ وإنْ اتسَعَ لهُ الأَمْنَ استَلَبَتْهُ الْغِرَّةُ وإنْ أفادَ مَالاً أطْغاهُ الْغِنىٰ وإنْ أصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ فَضَحَهُ الجَزَعُ وإنْ عَضَّتْهُ الْفاقَةُ شَغَلَهُ الْبَلاَءِ وإنْ جَهَدَهُ الجُوعُ قَعَدَ بِهِ الضَّعْفُ وإنْ أفْرَطَ به الشَّبَعُ كَظَّتْهُ الْبِطْنَةُ فكلُّ تَقْصيرٍ بِهِ مُضِرٌّ وكلُّ إفْراطٍ لهُ مُفسِدٌ).

◁ اللّغة

(نِيَاطِ) بكسر النّون علىٰ وزن كتاب عرق مُعَلقّ به القلب (بَضْعَةٌ) بفتح الباء القطعة من اللّحم والمراد بها هنا القلب (مَوادٌّ) جمع مادّة (أضْدَادُ) جمع ضِدّ (سَنَحَ) أي بدا وظَهر (هَاجَ) فعل ما ضٍ ومضارعه يَهيجُ مثل باع يَبيع يقال هَاجَ يَهيجُ هَيجاً وهياجاً، ثار وتحرك هذا إذا قلنا أنّ هاج أصله هَيَج الّذي يقال له الأجوف اليائي وأمّا إذا قلنا بأنّه أجوفٌ واوّيٌ وأصله هَوَج فمضارعه يَهوج يقال هَوج يَهوَج هوجاً فمعناه إشتد والأوّل أصّح (التَّحَفُّظ) التّوقي والتّحرّز من المَضرات. (الْغِرَّةُ) بكسر الغين المُعجمة الغفلة (عَضَّتْهُ الْفاقَةُ) يقال عَضَّ الرّجل صاحبه اذ ألزمه والْفاقَةُ الفقر والإحتياج أي أن لزمته الفاقة (كَظَّتْهُ الْبِطْنَةُ) الكّظ الكَرب والألم والبِطنَة بكسر الباء إمتلاء البَطن حتّىٰ يضيق

النّفس.

◁ الشّرح

▫ قوله ﷺ: **لَقَدْ عُلِّقَ بِنِيَاطِ هذَا الإِنسَانِ بَضْعَةٌ هِيَ أَعْجَبُ مِنْهُ وذلِكَ القَلْبُ...**

النّياط بكسر النّون مصدر قولك ناط يَنُوط نَوطاً ونياطاً يقال نِيط عليه الشّئ أي عُلِّق عليه، وقيل أنّ النّياط مُعلّق كلّ شئ، عِرقٌ غليظ متّصل بالقَلب فإذا قُطع مات صاحبه وفي حديث بَلال في الأذان وَيحك قَطَعت نياط قلبي وفي حديث معاوية أنّه ما بَقِي من بني هاشم نافخ ضرمةٍ إلّا طَعن في نِيطه أي مات والمعنىٰ لقد عُلّق بقُدرة الله تعالىٰ بنياط هذا الإنسان بَضعة أي قطعة لحم هي أَعْجَبُ مِنْهُ أي من النّياط أو من الإنسان وذلك المُعلّق هو المُسمّىٰ بالقَلب وهو بفتح القاف مصدر قولك قلب قَلباً والقَلب في الأصل تصريف الشّئ وتَقليبه عن وجهٍ الىٰ وجهٍ كقلب الثّوب وأنّما سُمّي القَلب في الإنسان به لتَصرفه وتفسيره وقد وَرد في الدّعاء يا مُقلّب القلوب والأحوال، وقيل سُمّي به في الإنسان لكثرة تَقلّبه وتَغيّره وقد يُعبّر به عن المعاني الّتي تختّص به من الرّوح والعلم والنّفس والشّجاعة والعَقل وغير ذلك فمن إطلاقه علىٰ الرّوح قوله تعالىٰ: ﴿وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾ (١) أي الأرواح ومن إطلاقه علىٰ العلم والفهم قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ (٢) أي علم وفهم ومن إطلاقه علىٰ الشّجاعة وقوّة القَلب قوله تعالىٰ: ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ﴾ (٣) أي تَثبت به شجاعتكم ويَزول خوفكم ومن إطلاقه على العَقل قوله تعالىٰ: ﴿وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ (٤) قاله الرّاغب في المُفردات.

وأمّا في إصطلاح العُرفاء فهو أي القَلب جوهر نورّاني مجّرد متّوسط بين الرّوح والنّفس وهو الّذي يتحقق به الإنسانيّة ويُسمّيه الحكيم النّفس النّاطقة والرّوح باطنه والنّفس الحيّوانية مركبه وظاهره المتّوسط بينه وبين الجَسد كما

١-احزاب ـ ١٠
٢-ق ـ ٣٧
٣-الأنفال ـ ١٠
٤-الحج ـ ٤٦

مثّله في القرآن بالزّجاجة والكَوكب الدّري والرّوح بالمِصباح في قوله تعالىٰ: ﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَوةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ المِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾[1] فقالوا الشّجرة هي النّفس والمشكوة هي البَدن، والقَلب هو المتّوسط في الوجود ومراتب التّنزلات بمثابة اللّوح المَحفوظ في العالم وكلمات القوم حَول القلب كثيرة وتَعبيراتهم عنه مُتفاوتة مُتخالفة وحيث أنّ كتابنا هذا ليس مَوضوعاً لهذه الأبحاث أعَرضنا عن نقل كلماتهم وتَحقيقاتهم فيه فلنَرجع الىٰ شرح كلامه عليه السلام ونقول:

مراده بالقَلب في المقام ليس قطعة اللّحم الصّنوبري المُؤلّف من لَحم وعَصَبٍ وغضروفٍ وأَوردةٍ وشرايين وغير ذلك بل المراد به مَركز الفَهم والدَّرك كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾[2].

فأنّ المُستفاد من الآية أنّ القلوب مُعدّة للفَهم وإلّا لا معنىٰ لِلذّم لِقلبٍ لا يَفهم وثانياً أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قال بعد هذا الكلام، وله موّاد من الحكمة وأضداد من خَلافها، ومن المعلوم أنّ ما له موّاد من الحكمة ليس قطعة من اللّحم الجامد وعليه فلابدّ لنا من حَمله علىٰ أحدىٰ المعاني المُختّصة به من العَقل والعِلم والنّفس النّاطقة وأمثالها ممّا يُطلق عليه القَلب بحسب اللّفظ.

▫ **قوله عليه السلام: ولهُ مَوَادٌّ منَ الحِكْمَةِ وأضْدَادٌ منْ خِلافِها...**

أي وللقلب موّاد من الحكمة وأضداد من خَلاف الحكمة والمقصود أنّ القَلب كما يتّصف بالحكمة كذلك يتّصف بأضدادٍ من خلافها وهو عَجيبٌ اذ كيف يتّصف الشّيٰ بضّده وقد ثبت أنّ الضّدين لا يجتمعان في موردٍ واحد ثُمّ شَرع في بيان الأضداد فقال:

▫ **قوله عليه السلام: فإنْ سَنَحَ لهُ الرَّجاء أذَلَّهُ الطَّمَعُ....**

أي فأن ظَهر للإنسان أو القَلب الرّجاء بشيٍ أو أشياء أذّله الطّمع أي أنّ رجاءه يجّره الىٰ الطّمَع، وذلك لأنّ الرّجاء إذا جاوز حَدّه المعمول المُتّوسط

1-النور ـ ٣٤.
2- الأنفال ٣٣

يُعبّر عنه بالطّمعٌ فأنّ الطّمع ليس إلّا الرّجاء المُفرط وقد ثَبت أنّ الرّجاء مَمدُوح وأنّ الطّمع مذمُوم والذّم خلاف المَدح والطّمع خلاف الرّجاء فالرّجاء والطّمع كلّ واحدٍ منهما مُخالف للآخر وضدّ له بهذا الإعتبار وهما خلاف الحِكمة إذ الحِكمة مُخالفة للرّجاء المنْجر الىٰ الطّمع لا لمطلق الرّجاء:

▫ **قوله ﷺ: وإنْ هَاجَ بِهِ الطَّمَعُ أهْلَكَهُ الحِرْصُ...**

أي إذا إشتّد به الطّمَع يدخل في الحِرْص المُهلك وذلك لأنّ منشأ الحِرص الطّمَع الشّديد المُفرط ولا شَك إنّ الطّمَع والحِرص مُتخالفان مُتضادان، والحِكمة مُخالفة لهما وهما مُخالفان لها:

▫ **قوله ﷺ: وإنْ مَلَكَهُ الْيأسُ قَتَلهُ الأَسَفُ...**

أي إذا غلب عليه الْيأس يتأسّف عليه تأسّفاً شديداً وذلك لإنّ اليأس المُفرط مُوجبٌ لِلتأسّف بعد ظهور بطلان اليّأس وإنّه كان في غير مورده.

▫ **قوله ﷺ: وإنْ عَرَضَ لهُ الغَضَبُ اشْتدَّ بِهِ الغَيْظُ...**

وذلك لإنّ الغَيْظَ لا يحصل إلّا بعد الغَضب المُفرط فَمَنشأ الغَيظ شدّة الغَضَب مع إنّ الغَضَب والغَيظ مُتخالفان لِلحِكمة:

▫ **قوله ﷺ: وإنْ أَسْعَدَهُ الرِّضىٰ نَسِيَ التَّحَفُّظ...**

أي نَسِيَ التَّحَفُّظ علىٰ مورد الرّضىٰ بأن يتحرّز عن المضّرات مثلاً ومن المعلوم إنّ عدم التّحفظ أو نسيانه يخالف الرّضىٰ إذ الرضىٰ بشيٍ يلزم التحَفّظ عليه وكلاهما أعني بهما الرّضا المُوجب لِنسيان التحَفُّظ مُخالفان لِلحِكمة وهي مُخالفة لهما:

▫ **قوله ﷺ: وإنْ نالَهُ الخَوْفُ شَغَلَهُ الحَذَرُ...**

وهذا المعنىٰ أيضاً يتصوّر في الخَوف إذا جاوز حَدّه أو إنّ الخَوف يلزمه وإن لم يتجاوز حدّه مع إنّهما مُخالفان لِلحِكمة وكلّ واحدٍ منهما مُخالف لِلآخر أيضاً

▫ **قوله ﷺ: وإنْ إتسَعَ لهُ الأمْنُ اسْتَلَبَتْهُ الْغِرّةُ...**

أي إن وَقَع في الأمن والأمان يصير غافلاً عن النِّعمة بحيث تكون الغفلة مُوجبة لسلب النِّعمة منه ولا شَك إنّ الغِرّة والغَفلة تخالف الأمن والأمان وكلاهما مُخالفان لِلحِكمة والحِكمة مُخالفة لهما:

□ **قوله ﷺ: وإنْ أَفَادَ مَالاً أطْغَاهُ الْغِنىٰ وإنْ أصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ فَضَحَهُ الجَزَعُ...**

أي وإن إستفاد مالاً في الدّنيا وخَلَص من الفقر صار طاغِياً بماله كما قال تعالى: **﴿كَلاَّ إِنَّ الإِنْسَانَ لَيَطْغَىٰ أَن رَّءَاهُ إِسْتَغْنَىٰ﴾**[1] وإن أصابته مُصيبة من المَصائب جَزَع أوجَب له الفَضاحة مع أنّ المؤمن شأنه الصَّبر على المُصيبة لقوله تعالى: **﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلّٰهِ وإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُون﴾**[2]

□ **قوله ﷺ: وإنْ عَضَّتْهُ الْفاقَةُ شَغَلَهُ الْبَلاَءُ وإنْ جَهَدَهُ الجُوعُ قَعَدَ بِهِ الضَّعْفُ وإنْ أفْرَطَ بِهِ الشِّبَعُ كَظَّتْهُ الْبِطنَةُ فكلُّ تَقْصيرٍ بِهِ مُضِرٌّ وكلُّ إفْراطٍ لهُ مُفسِدٌ...**

أي وأن لَزِمه الفاقة والإحتياج النّاشئ عن الفَقر شَغَله البَلاء والإختبار وأن جَهَده الجّوع بأن صار شديداً في حقّه قَعَد به الضّعْف أي يُقعده الضّعف فلا يَقدر على الحَركة وأن أفرط به الشّبع بأن صار شبعه الىٰ حدّ الإفراط كَظَّته البِطنة أي إمتلاء مَعدته من الأكل يُوقعه في الكَرب والألَم فأنّ المِعدة بَيت كلّ داء فكلّ تَقصير به مُضرّ وكلّ إفراط له مُفسد أي أنّ التّفريط مُضر بحاله والإفراط مُفسد بحاله فَينبغي له الإجتناب عنهما:

تنبية: إعلم أنّ مدار هذا الكلام منه ﷺ علىٰ أنّ القَلب بالمعنىٰ الّذي ذَكرناه حاله عَجيب وذلك لأنّه مَع كونه مُتصفاً بموّاد من الحكمة فهو مُتّصف بأضداد من خلافها أي خلاف الحكمة أيضاً فهو مَركز الأضداد ومَنشأ الكَثرات مع حفظه مقام الوَحدة وهذا هو الوَجه في كونه من العَجائب:

أمّا أنّ فيه موّاد من الحِكمة فلأنّ الصّفات الطّارية عليه من الرّجاء واليأس والغَضَب والرّضىٰ والخَوف والأمن والمال والمُصيبة والفاقة والجّوع والشّبع كلّها من الحِكمة من حيث موّاد هذه الصّفات ونعني بموّادها ما ليس منها في

١-العلق ـ٧-٦ ٢-البقره ـ١٥٦

حدّ الإفراط والتّفريط أمّا أنّها من الحِكمة فلأن الحِكمة من الله تعالىٰ هي معرفة الأشياء وإيجادها علىٰ غاية الأحكام ومن الإنسان هي مَعرفة المَوجودات وفعل الخَيرات بقدر الطّاقة البَشرية وهذه الأُمور التي ذَكرها عليه السلام في المقام كلّها من الحكمة بكلا المَعنيين أمّا علىٰ التّفسير الأوّل أعني به حكمة اللّه فلأنّ اللّه تعالىٰ أوجَدَها في القَلب في غاية الأحكام ونهاية الإتقان إذ لولا إيجادها في قلب الإنسان لإختَلّ نظام مَملكة البَدن فكما أنّ الرّجاء نافع له كذلك اليأس في محلّه نافع له وكما أنّ الغَضَب في مَحلّه يَنفعه كذلك الرّضىٰ وكما أنّ الخَوف فيه مُطابق للحِكمة كذلك الأمن وهكذا فمَن قال أو يَقول أنّ هذه الصّفات ليست من الحِكمة بشيٍ لم يَفهم معنىٰ الحِكمة في حقّه تعالىٰ.

ولَم يَعلم أنّ كلّ ما أوجَدَه اللّه تعالىٰ في عالم الإيجاد فهو مُطابق لحكمته ومَصلحته وإلّا لَم يُوجده قَطعاً فأنّ اللّه تعالىٰ مُتّصِفٌ في إيجاده الأشياء بكونه حكيماً وأمّا علىٰ التّفسير الثّاني أعني به الحكمة في حقّ الإنسان فهي أي الصّفات أيضاً داخلة في معناها وهو واضح لأنّ الإنسان يعرفها بقدر طاقته وإستعداده إذا عرفت هذا فنقول:

قوله عليه السلام: **وله موّاد من الحكمة**، أن أُريد بها أي بالحكمة حكمة اللّه فالمعنىٰ أنّ للقلب مواداً من حكمة اللّه وأن أُريد بالحكمة حكمة الإنسان، فالمعنىٰ أنّ للقلب موّاداً يعرفها الإنسان بقدر طاقته وعلىٰ التّقديرين فالصّفات المُشار اليها في كلامه داخلة في الحكمة غير خارجة عنها:

وأمّا الشّارح المعتزلي حيث لم يعرف معنىٰ الحكمة لم يقدر علىٰ تفسير كلامه عليه السلام وكان ينبغي له الإقرار بالعجز والجهل فأنّه لو فعل هذا لكان غير ملوم إذ الأنسان لا يخلو من الجَهل بل جَهلَه أكثر من عِلمَه دائماً فقال الشّارح في المقام ما لفظه:

قال يَعتورُ القلب حالات مختلفات متضادّات فبعضها من الحكمة وبعضها وهو المضّاد لها منافٍ للحِكمة ولم يذكرها عليه السلام وليست الأُمور التي عدّدها

شرحاً لما قَدّمه من هذا الكلام المجمل وأن ظَن قوم أنّه أراد ذلك ألا ترىٰ أنّ الأُمور الّتي عدّدها ليس فيها شيئ من باب الحِكمة وخلافها، فأن قلت فما مثال الحِكمة وخلافها وأن لم يذكر ﷺ مثاله، قلت كالشّجاعة في القلب وضدّه الجُبن وكالجُود وضدّه البُخل وكالعِفّة وضدّها الفُجور ونحو ذلك فأمّا الأُمور الّتي عَدّدها ﷺ فكلام مستأنف أنّما هو بيان أنّ كلّ شيئٍ ممّا يتعلق بالقلب يلزمه لازم آخر نحو الرّجاء فأنّ الإنسان إذا إشتّد رجاؤه أذّله الطّمع والطّمع يتبع الرّجاء والفرق بين الطّمع والرّجاء أنّ الرّجاء توقّع منفعةٍ منه وساق الكلام الىٰ آخر ما قال ونحن نقلنا ما نقلناه عنه بألفاظه وعباراته:

وقد ظهر الجواب عنه بما ذكرناه في تفسير الحكمة وقد عرفت أنّ هذه الأُمور كلّها منها بحسب موّادها أي مع قطع النّظر عن الإفراط والتّفريط فيها ونحن نُشير اليها إجمالاً فنقول:

أنّ الرّجاء بما هو هو من الحِكمة وإفراطه المُعبّر عنه بالطَّمَع منافٍ لها، ثمّ أنّ الطّمع بما هو من الحِكمة والحِرص النّاشيئ منه مناف لها، واليأس بما هو هو من الحِكمة وإفراطه المعبّر عنه بالأسف مناف لها، والغَضَب بما هو هو من الحِكمة وإفراطه المعبّر عنه بالغيظ مناف لها وهكذا الىٰ آخر الصّفات ولا منافات بين كون الشّيئ بما هو هو خالياً عن الإفراط والتّفريط من الحِكمة وكونه بإعتبار إفراطه وتفريطه مناف لها وما نحن فيه من هذا القبيل فقول الشّارح المُعتزلي، ليست الأُمور الّتي ذكرها شرحاً لما قَدّمه من هذا الكلام المُجمل قول بلا مُحصّل وأقبَح منه قوله له ألا ترىٰ أنّ الأُمور الّتي عدّدها ليس فيها شيئ من باب الحِكمة، أليسَ لعاقلٍ أن يقول أنّ الأُمور الّتي عَدّدها أن لم تكن من الحِكمة ولا من خلافها فَمِن أيّ شيئ هي أليسَت الأُمور مِمّا أوجَدَها الله تعالىٰ في القلب وأنّ كلّ ما أوجده الله تعالىٰ فهو من الحِكمة أيَظُن عاقل أن الموجُود المخلوق في عالم الإيجاد صار موجوداً بخلاف الحِكمة والمصلحة أو أنّ الأُمور لا يعرفها الإنسان مثلاً و محصّل الكلام هو أنّ هذه

الصّفات الموجودة في القلب أن وُجدت فيه بنفسها من دون تعلّق الإيجاد فهي ليست من الحِكمة بشيءٍ وأن وُجِدت بتعلّق الإيجاد بها فهي من الحِكمة هذا إذا أُريد بالحِكمة الحِكمةَ في حقّه تعالىٰ وأن أُريد بها الحِكمة في الإنسان فالمعنىٰ أوضح كما عرفت.

وأمّا الأمثلة الّتي ذكرها بزعمه للحِكمة وخلافها من الشّجاعة والجُبن والجُود والبُخل والعِفّة والفُجور فهي دالّة علىٰ أنّه لم يفهم معنىٰ الحِكمة كما أومأنا اليه في صدر المَبحث وذلك لأنّ الجُبن الّذي عدّه من خلاف الحِكمة هو عين الحِكمة لا خلافها نعم الإفراط به خلاف الحِكمة والبُخل أيضاً كذلك كما أنّ الشّجاعة والجُود والعِفّة الّتي عدّدها من الحِكمة أيضاً لا يصّح علىٰ إطلاقه فأنّ هذه الأُمور من الحِكمة إذا لم تتجاوز حدُودها وإلّا تدخل في خلاف الحِكمة فأنّ الشّجاعة مثلاً إذا وَصلَت حَدّ الإفراط تسّمىٰ بالتّهوّر وهو خلاف الحِكمة وهكذا في الجُود فأنّ الإفراط منه مذموم والحاصل لا فرق بين الشّجاعة والجُبن في كونهما بحسب مادّتهما من الحِكمة وبحسب إفراطهما أو تفريطهما من خلافها وهكذا جميع الصّفات الموجودة وأمّا الفُجور فهو ليس من خلاف العِفّة بل هو في حدّ نفسه من القبائح فهو خارج عن البحث.

وبعد اللّتيا واللّتي نقول أنّ جميع الصّفات الموجودة في الإنسان كائناً ما كان بَحسب موّادها من الحِكمة ولذلك أوجَدها الله تعالىٰ وأمّا الإفراط أو التّفريط فيها فهما من خلاف الحِكمة وغرضه ﷺ من هذا الكلام هو بيان هذا المعنىٰ وقد بيّنه وأوضَحه بأتّم بيانٍ وإيضاحٍ ولذلك قال ﷺ في آخر كلامه فكلّ تقصيرٍ به مُضرٌ وكلّ إفراطٍ له مُفسِد.

ومن كتاب له عليه السلام (٥٥)........................ ٥
قوله عليه السلام: أمَّا بَعْدُ فإنّي خَرَجْتُ مِنْ حَيِّ هَذا الى مُسِيناً إسْتَعْتَبنى متن . . ٥
اللّغة ٥
المعنى ٦
الشّرح.. ٦
قوله عليه السلام: وأنّي أُذَكِّر اللهَ الى آخر كلامه ٨
ومن كلام له عليه السلام (٥٦) ٩
قوله عليه السلام: وكانَ بَدء أَمْرِنا أنَّا التَقَيْنا والقَوْمُ مِنَ الى السُّوءِ على رَأسِه متن . ٩
اللّغة ٩
المعنى ١٠
الشّرح.. ١١
قوله عليه السلام: وكانَ بَدءِ أمْرِنا أنَّا إلتَقَيْنا والْقَوْمُ مِنْ أهْلَ الشّامِ............ ١١
قوله عليه السلام: والظّاهِر أنَّ رَبَّنا واحِدٌ ونَبِيَّنا واحِدٌ و..... .... ١١
قوله عليه السلام: ولاَ نَسْتَزيدُهُمْ في الإيمانِ باللهِ والتَّصْديقِ و..... .... ١١
قوله عليه السلام: الأَمْرُ واحِدٌ إلاَّ ما اخْتَلَفْنا فيهِ مِنْ دَمِ عُثمانَ ونَحْنُ مِنْهُ بَراء . . ١٢
قوله عليه السلام: فَقُلْنا تَعالَوْا نُداوي ما لاَ يُدْرَكُ اليَوْمَ بإطْفاءِ النّائِرَةِ و...... ١٣
قوله عليه السلام: فَقالُوا بَلْ نُداوِيهِ بالمُكابَرَةِ فأبَوْا حَتّى و..... .... ١٥
قوله عليه السلام: فأجَبْناهُمْ إلى ما دَعَوْا وسارَعْناهُمْ إلى و..... .... ١٥
قوله عليه السلام: فَمَنْ تَمَّ على ذَلِكَ مِنْهُمْ فَهُوَ الّذي أنْقَذَهُ اللهُ و........ ١٦

ومن كتاب له عليه السلام (٥٧)........................... ٢٠
قوله عليه السلام: أمّا بَعْدُ فإنَّ الوَالِي إذا اختَلَفَ الى يَصِلُ بِكَ والسَّلامَ **متن** ... ٢٠
اللّغة ٢٠
المعنىٰ ٢١
الشّرح ٢١
قوله عليه السلام: أمّا بَعْدُ فإنَّ الوَالِي إذا اختَلَفَ هَوَاهُ مَنَعَهُ و....... ٢٢
قوله عليه السلام: فَلْيَكُنْ أمْرُ النَّاسِ عِنْدَكَ في الحَقِّ سَوَاءً فإنَّهُ و....... ٢٣
قوله عليه السلام: فاجْتَنِبْ ما تُنْكِرُهُ أمْثالَهُ وابْتَذِلْ نَفْسَكَ فِيما و....... ٢٥
قوله عليه السلام: وأعْلَمْ أنَّ الدُّنيا دارُبَلِيَّةٍ لمْ يُفْرَغْ صَاحِبُها فِيها قَطُّ و....... ٢٥
قوله عليه السلام: وأنَّهُ لَنْ يُغْنِيَكَ عَنِ الحَقِّ شَيْءٌ أبَداً ومِنَ الحَقِّ و....... ٢٦
ومن كتاب له عليه السلام (٥٨)........................... ٢٨
قوله عليه السلام: منْ عَبْدِ اللّهِ عَليٍّ أميرِالمُؤمِنِينَ إلىٰ مَنْ مَرَّ **الى** آخر **متن** ٢٨
اللّغة ٢٨
المعنىٰ ٢٨
الشّرح ٢٩
قوله عليه السلام: أمّا بَعْدُ فإنِّي قدْ سَيَّرْتُ جُنُودا هِيَ مارَّةٌ بِكُمْ و....... ٣٠
قوله عليه السلام: وأنَا أبْرَأُ إلَيْكُمْ وإلىٰ ذِمَّتِكُمْ مِنْ مَعَرَّةِ الْجَيشِ و....... ٣٠
قوله عليه السلام: فَنَكِّلُوا مَنْ تَنَاوَلَ مِنْهُمْ شَيْئاً ظُلْماً عَنْ ظُلْمِهِم و....... ٣١
قوله عليه السلام: وأنَا بَينَ أظْهُرِ الْجَيشِ فأدفَعُوا إلَيَّ مَظالِمَكُمْ و....... ٣٢
ومن كتاب له عليه السلام (٥٩)........................... ٣٣
قوله عليه السلام: أمّا بَعْدَ فَأنَّ تَضْيِيعَ المَرْءِ مَاوُلِّيَ **الى** ولا مُجْزٍ عَنْ أميرِه**متن** . ٣٣
اللّغة ٣٣
المعنىٰ ٣٤
الشّرح ٣٤

قوله عليه السلام: أمَّا بَعْدُ فإنَّ تَضْيِيعَ المَرْءِ مَاوُلِّيَ وتكلُّفَهُ ماكُفِيَ و......... ٣٥
قوله عليه السلام: وإنَّ تَعاطِيكَ الْغارَةَ على أَهْلِ قِرْقِيسِيا وتَعْطِيلَكَ و......... ٣٥
قوله عليه السلام: فَقَدْ صِرْتَ جِسْراً لِمَنْ أَرادَ الْغارَةَ مِنْ أَعْدائِكَ على و...... ٣٥
ومن كتاب له عليه السلام (٦٠)........................... ٣٧
قوله عليه السلام: أمَّا بَعْدُ فإنَّ اللَّهَ سُبْحانَهُ بَعَثَ محمداً الى نَامَ لَمْ يَنَمْ عنهُمتن . ٣٨
اللّغة........................... ٣٨
المعنىٰ........................... ٣٩
الشّرح........................... ٤٠
قوله عليه السلام: أمَّا بَعْدُ فأنَّ اللّهَ سبْحَانَه بَعَثَ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله و............. ٤٠
قوله عليه السلام: نَذيراً للعالمين، إشارة الىٰ قوله تعالىٰ:(يا أَيُّها الْمُدَّثِّرُ و....... ٤٠
قوله عليه السلام: فَلَّما مَضىٰ عليه السلام تَنازَعَ المُسْلِمُونَ الأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ فَوَاللّهِ و...... ٤١
قوله عليه السلام: فَما رَاعَنِي إلّا انْثِيالُ النَّاسِ على فُلانٍ يُبايِعُونَهُ........... ٤٧
قوله عليه السلام: فأمْسَكْتُ يَدِي حَتّىٰ رأَيْتُ رَاجِعةَ النَّاسِ قَدْ رَجَعَتْ و..... ٤٦
قوله عليه السلام: فَخَشِيتُ أنْ لمْ أنْصُرِ الإسْلاَمَ وأهْلَهُ أنْ أرىٰ و............. ٥٠
قوله عليه السلام: فَنَهَضْتُ في تِلْكَ الأَحْداثِ حَتّىٰ زاحَ البَاطِلُ و............ ٥١
قوله عليه السلام: إنّي واللّهِ لوْ لَقيتُهُمْ واحِداً وهُمْ طِلاَعُ الأَرْضِ و............ ٥٣
قوله عليه السلام: وإنّي إلىٰ لِقَاءِ اللّهِ وحُسْنِ ثَوَابِهِ لَمُنْتَظِرٌ رَاجٍ ولكِنَّني و...... ٥٣
قوله عليه السلام: فإنَّهُمْ مِنْهُمُ الّذِي قدْ شَرِبَ فِيكُمُ الحَرَامَ وجُلِدَ حَدّاً و....... ٥٤
قوله عليه السلام: فإنَّهُمْ مِنْهُمُ الّذِي قدْ شَرِبَ الحَرَامَ وجُلِدَ حَدّاً و............ ٥٦
قوله عليه السلام: ألاَ تَرَوْنَ إلىٰ أطْرَافِكُمْ قَدِ انْتَقَصَتْ والىٰ و............. ٥٦
ومن كتاب له عليه السلام (٦١)........................... ٥٨
أمَّا بَعْدُ فَقَدْ بَلغَني عَنْكَ قَوْلٌ هُوَ لَكَ و الى المُلْحِدُونَ والسَّلاَمُمتن ... ٥٨
اللّغة........................... ٥٨
المعنىٰ........................... ٥٩

الشّرح ٦٠
قوله ﷺ: أمّا بَعد فَقدْ بَلغني عَنْكَ قَوْلٌ هُوَ لَكَ وعَلَيْكَ ٦٠
قوله ﷺ: فاذا قَدم رسولي عَلَيْكَ فأرْفَعْ ذَيْلَكَ وأشْدُدْ و.......... ٦١
قوله ﷺ: وأيْمُ اللّهِ لَتُؤتَيَنَّ حَيْثُ أنتَ ولا تُتْرَكُ حتّىٰ يُخْلَطْ و........ ٦١
قوله ﷺ: وما هِيَ بالْهُوَيْنى الّتي تَرْجُو ولكِنّها الدّاهِيَةُ و..... ٦٤
قوله ﷺ: فاعْقِلْ عَقْلَكَ وأمْلِكْ أمْرَكَ وخُذْ نَصِيبَكَ و..... ...... ٦٥
ومن كتاب له ﷺ (٦٢)...................................... ٦٨
قوله ﷺ: أمّا بَعْدُ فإنّا كُنّا نحْنُ وأنتمْ علىٰ ما الى في أوّل الفصال متن.. ٦٩
اللّغة ٦٩
المعنىٰ ٦٩
الشّرح ٧١
قوله ﷺ: أمّا بَعْدُ فإنّا كُنّا نحْنُ وأنتمْ على ما ذَكَرْتَ و........... ٧٢
قوله ﷺ: وذَكَرْتَ أنّي قَتَلْتُ طَلْحةَ والزُّبَيْرَ وشَرَّدْتُ و...... ٧٨
قوله ﷺ: وذَكَرْتَ أنّكَ زائِري في المُهاجِرينَ والأنْصارِ و.......... ٨٠
قوله ﷺ وأنْ تَزُرْني فَكما قالَ أخُو بَني أسَدٍ و.................. ٨١
قوله ﷺ: وعِنْدِي السَّيْفُ الّذِي أعْضَضْتُهُ بِجَدِّكَ وخالِكَ و......... ٨١
قوله ﷺ: وإنّكَ واللّهِ ما عَلِمْتُ الأغْلَفُ القَلْبِ المُقارِبُ و..... ...... ٨٢
قوله ﷺ: فَما أبْعَدَ قَوْلَكَ مِنْ فِعْلِكَ .وقَرِيبٌ مَا أشْبَهْتَ مِنْ و........ ٨٣
قوله ﷺ: وقَدْ أكْثَرْتَ في قَتَلَةِ عُثمانَ فَادْخُلْ فِيما دَخَلَ فِيهِ و....... ٨٦
ومن كتاب له ﷺ (٦٣)...................................... ٨٧
قوله ﷺ: أمّا بَعْدَ فَقدْ آنَ لَكَ أنْ تَنْتَفِعَ باللَّمْحِ الى اليَوْمَ مَقْبولٌ متن.... ٨٧
اللّغة ٨٧
المعنىٰ ٨٩
الشّرح ٩٠

قوله ﷺ: أمّا بَعْدُ فَقَدْ آنَ لَكَ أَنْ تَنْتَفِعَ باللَّمْحِ الباصِرَ منْ و.......... ٩٠

قوله ﷺ: فَقَدْ سَلَكْتَ مَدارِجَ أَسْلافِكَ بِادِّعائِكَ الأَباطِيلَ و.......... ٩٠

قوله ﷺ: فِراراً مِنَ الحقِّ وجُحُوداً لِمَا هُوَ أَلْزَمُ لَكَ مِنْ و.......... ٩٢

قوله ﷺ: فاحْذَرِ الشُّبْهَةَ واشْتِمالَها على لُبْسَتِها فإنَّ و.......... ٩٤

قوله ﷺ: وقَدْ أتاني كِتابٌ مِنْكَ ذُو أفانِينَ مِنَ القَوْلِ و.......... ٩٤

قوله ﷺ: وحَاشَ لِلَّهِ أَنْ تَلِيَ لِلْمُسْلِمينَ بَعْدِي صَدَراً و.......... ٩٧

ومن كتاب له ﷺ (٦٤).......... ٩٩

قوله ﷺ: أمّا بَعْدُ فإنَّ المَرْءَ لَيَفْرَحُ بالشَّيْءِ الى فِيما بَعْدَ المَوْتِ متن ٩٩

اللّغة.......... ٩٩

المعنى.......... ٩٩

الشّرح.......... ١٠٠

قوله ﷺ: أمّا بَعْدُ فإنَّ المَرْءَ لَيَفْرَحُ بالشَّيْءِ الَّذي لَمْ يَكُنْ لِيَفُوتَهُ و.......... ١٠٠

قوله ﷺ: فَلاَ يَكُنْ أَفْضَلُ ما نِلْتَ في نَفْسِكَ مِنْ دُنْياكَ و.......... ١٠١

قوله ﷺ: ولكِنْ إطْفاءَ باطِلٍ أَوْ إحْياءَ حقٍّ ولْيَكُنْ سُرُورُكَ و.......... ١٠١

ومن كتاب له ﷺ (٦٥).......... ١٠٣

قوله ﷺ: أمّابَعْدَ فأقِمْ لِلنّاسِ الحجَّ وذَكِّرْهُمْ الى لِمَحابِّهِ والسَّلامُ متن. ١٠٣

اللّغة.......... ١٠٣

المعنى.......... ١٠٤

الشّرح.......... ١٠٥

قوله ﷺ: أمّا بَعْدَ فَأَقِمْ لِلنّاسِ الحجَّ وذَكِّرْهُمْ و.......... ١٠٥

قوله ﷺ: واجْلِسْ لَهُمْ العَصْرَيْنِ فأفْتِ المُسْتَفْتِيَ و.......... ١٠٦

قوله ﷺ: ولا يَكُنْ لَكَ إلى النّاسِ سَفيرٌ إلاَّ لِسانُكَ و.......... ١٠٧

قوله ﷺ: وانْظُرْ إلى ما اجْتَمَعَ عِنْدَكَ من مالِ اللهِ فاصْرِفْهُ إلى و.......... ١٠٩

قوله ﷺ: ومُرْ أهْلَ مَكَّةَ أنْ لا يأخُذُوا مِنْ ساكِنٍ أَجْراً فإنَّ و.......... ١١٠

ومن كتاب له عليه السلام (٦٦) **١١٢**
قوله عليه السلام: أَمَّا بَعْدُ فإنَّما مَثَلُ الدُّنيا مَثَلُ الى أشْخَصَتْهُ إلىٰ مَحذُورٍ ١١٢
اللغة ١١٢
المعنىٰ ١١٣
الشّرح ١١٤
قوله عليه السلام: فإنَّما مَثَلُ الدُّنيا مَثَلُ الحَيَّةِ لَينٌ مَسُّها قاتِلٌ سَمُّها........... ١١٤
قوله عليه السلام: فأعْرِضْ عَمَّا يُعجِبُكَ فِيهَا لِقِلَّةِ ما يَصْحَبُكَ و..... .... ١١٤
قوله عليه السلام: وكُنْ آنَسَ ما تَكُونُ بِهَا أَحْذَرَ ما تَكُونُ مِنْها و..... .... ١١٥
ومن كتاب له عليه السلام (٦٧) **١١٦**
قوله عليه السلام: وتَمَسَّكْ بِحَبْلِ الْقُرآنِ واسْتَنْصِحْهُ الى جُنُودِ إبْلِيسَ **متن**.. ١١٧
اللّغة ١١٧
المعنىٰ ١١٨
الشّرح ١٢٠
قوله عليه السلام: وتَمَسَّكْ بَحَبْلِ الْقُرآنِ واسْتَنْصِحْهُ وأحِلَّ حَلالَهُ و..... .... ١٢٠
قوله عليه السلام: واعْتَبِرْ بمَا مَضَى منَ الدُّنْيا ما بَقِيَ مِنْها فإنَّ و...... .... ١٢٤
قوله عليه السلام: وعَظِّمِ اسْمَ اللهِ أنْ تَذْكُرَهُ إلاَّ علىٰ حَقٍّ وأكْثِرْ ذِكْرَ و...... .... ١٢٥
قوله عليه السلام: وأحْذَرْ كلَّ عَمَلٍ يَرْضاهُ صَاحِبُهُ لِنَفْسِهِ ويُكْرَهُ و....... .... ١٢٧
قوله عليه السلام: وَاحْذَرْ كلَّ عَمَلٍ يُعْمَلُ بِهِ في السِّرِّ ويُسْتَحَىٰ مِنهُ و...... ...... ١٢٧
قوله عليه السلام: واحْذَرْ كلَّ عَمَلٍ إذا سُئِلَ عَنهُ صَاحِبُهُ أَنْكَرَهُ و..... .... ١٢٧
قوله عليه السلام: ولا تَجْعَلْ عِرْضَكَ غَرَضاً لِنِبَالِ القَوْلِ.................. ١٢٧
قوله عليه السلام: ولا تُحَدِّثِ النَّاسَ بكلِّ ما سَمِعْتَ بِهِ فَكَفىٰ و..... .... ١٢٩
قوله عليه السلام: ولا تَرُدَّ علىٰ النَّاسِ كُلَّ ماحَدَّثُوكَ بِهِ فَكَفي و...... .... ١٢٩
قوله عليه السلام: وأكْظِمِ الغَيْظَ وتَجاوزْ عِندَ المَقدِرَةِ واحْلَمْ عِنْدَ و...... .... ١٣٠
قوله عليه السلام واصْفَحْ مَعَ الدَّوْلَةِ تَكُنْ لَكَ العَاقِبَةُ واسْتَصْلِحْ كُلَّ و..... ...... ١٣٦

قوله ﷺ: وأعْلمْ أنَّ أفضَلَ المؤْمِنينَ أفضَلُهُمْ تَقْدِمةً من نَفْسِه و....... ١٣٩
قوله ﷺ: وأحْذَرْ صَحابَةَ مَنْ يَفِيلُ رَأيه وَيُنْكَرُ عمَلُهُ فإنَّ و.......... ١٤٣
قوله ﷺ: وأسْكُنْ الأمْصارَ العِظَامَ فإنَّها جِماعُ و.............. ١٤٤
قوله ﷺ واحْذَرْ مَنازِلَ الغَفْلَةِ والجَفَاء وقِلَّةَ الأعْوانِ على و.......... ١٤٨
قوله ﷺ: واقْصُرْ رَأيَكَ على ما يَعْنيكَ وإيّاكَ ومَقَاعِدَ و............. ١٤٨
قوله ﷺ: وأكْثِرْ أنْ تَنظُرَ إلىٰ مَنْ فُضِّلْتَ عليهِ فإنَّ ذلِكَ مِنْ و.......... ١٤٩
قوله ﷺ: ولاَ تُسافِرْ في يَوْمِ الجُمُعَةِ حتىٰ تَشْهَدَ الصَّلاةَ و.......... ١٤٩
قوله ﷺ: وأطِعِ اللهَ في جَميعِ أُمُورِكَ فإنَّ طَاعَةَ اللهِ فاضِلَةٌ و........ ١٥١
قوله ﷺ وإيّاكَ أنْ يَنزِلَ بِكَ المَوْتُ وأنْتَ آبِقٌ مِنْ و............... ١٥٢
ومن كتاب له ﷺ (٦٨) ١٥٧
قوله ﷺ: أمّا بَعْدَ فقدْ بَلَغَني أنَّ رِجالاً مِمَّنْ الى يَسْهَلَ لَنا حَزْنَهُ متن . ١٥٧
اللغة.................................. ١٥٧
المعنى ١٥٨
الشّرح ١٥٨
قوله ﷺ: أمّا بَعْدَ فَقدْ بَلَغني أنَّ رِجالاً مِمَّنْ قِبَلَك و.............. ١٥٨
قوله ﷺ: فَكَفىٰ لَهُمْ غَيّاً وَلَكَ مِنْهُمْ شافِياً فِرارُهُمْ مِنَ و............ ١٦٠
قوله ﷺ: وإنّما هُمْ أهْلُ دُنْيا مُقْبِلُونَ عَلَيها ومُهْطِعُونَ و............ ١٦٢
قوله ﷺ: إنَّهُمْ واللهِ لَمْ يَنْفِرُوا مِنْ جَوْرٍ ولمْ يَلْحَقُوا بِعَدلٍ و.......... ١٦٥
ومن كتاب له ﷺ (٦٩) ١٦٦
قوله ﷺ: أمّا بَعْدَ فإنَّ صَلاحَ أبيكَ غَرَّني مِنْكَ الى إلَيْكَ كِتابي هذا متن ١٦٦
اللّغة.................................. ١٦٦
المعنىٰ ١٦٧
الشّرح ١٦٧
قوله ﷺ: أمّا بَعْدَ فإنَّ صَلاحَ أبيكَ غَرَّني مِنْكَ وَظَنَنْتُ أنَّكَ و........ ١٦٨

قوله عليه السلام: فإذا أنتَ فيما رُقِّيَ إِلَّي عَنكَ لا تَدْعُ لِهَوَاكَ و...... ١٦٨
قوله عليه السلام: تَعْمُرُ دُنْيَاكَ بِخَرَابِ آخِرَتِكَ وَتَصِلُ عِشيرَتَكَ و...... ١٦٩
قوله عليه السلام: ولأن كان المعنىٰ مَا بَلَغَنِي عَنْكَ حقًّا لَجَمَلُ و...... ١٧٠
قوله عليه السلام: ومَن كانَ بِصِفَتِكَ فَلَيس بأهْلٍ أَنْ يَسُدَّ بِهِ ثَغْرٌ أوْ و...... ١٧٠
ومن كتاب له عليه السلام (٧٠) ١٧١
قوله عليه السلام: أمَّا بَعْدُ فإنَّكَ لَسْتَ بِسابِقٍ أَجلَكَ الى لمْ تَدْفَعْهُ بِقُوَّتِكَ... ١٧١
اللّغة ١٧١
الشّرح ١٧١
قوله عليه السلام: وإنَّ الدُّنيا دَارُ دُوَلٍ فَما كانَ مِنْها لَكَ أَتاكَ عَلىٰ و...... ١٧٤
ومن كتاب له عليه السلام (٧١) ١٧٨
قوله عليه السلام: أمَّا بَعْدُ فإنِّي علىٰ التَّرَدُّدِالى نَصِيحَتِكَ والسَّلاَمُ لأهله متن . ١٧٨
اللغة ١٧٨
المعنىٰ ١٧٩
الشّرح ١٧٩
قوله عليه السلام: أمَّا بَعْدُ فإنِّي علىٰ التَّرَدُّدِ في جَوَابِكَ وَالإسْتِمَاعِ و...... ١٧٩
قوله عليه السلام: وَإنَّكَ إذْ تُحَاوِلُني الأُمُورُ وتُرَاجِعُني السُّطُور و...... ١٨٠
قوله عليه السلام: ولَسْتَ بِهِ غيرَ أنَّهُ بِكَ شَبِيه وأقسِمُ بِاللّهِ إنَّهُ لوْلاَ و...... ١٨١
قوله عليه السلام: وأعْلَم أنَّ الشَّيْطانَ قدْ ثَبَّطَكَ عَنْ أنْ تراجِعَ أحْسَنَ و...... ١٨٢
ومِن حِلفٍ له عليه السلام (٧٢) ١٨٤
قوله عليه السلام: هذا ما اجْتَمَعَ عليْهِ أهْلُ اليَمَنِ حاضِرُهاالى كانَ مَسْئُولاًمتن. ١٨٤
اللغة ١٨٤
المعنىٰ ١٨٤
الشّرح ١٨٥
قوله عليه السلام: هذَا ما اجْتَمَعَ عَليْهِ أهْلُ اليَمَنِ حاضِرُها وَبَادِيهَا و...... ١٨٦

قوله ﷺ: وأنَّهمْ يَدٌ واحِدَةٌ على مَنْ خالَفَ ذلِكَ وتَرَكَهُ و......... ١٨٧
قوله ﷺ: على ذلِكَ شاهِدُهُمْ وَغائِبُهُمْ وَسَفِيهُهُمْ وعالِمُهُمْ و......... ١٨٨
ومن كتاب له ﷺ (٧٣) ١٩١
فَقَدْ عَلِمْتَ إِعْذارِي فِيكُمْ وإِعْراضِي عَنْكُمْ الى وَفْدٍ مِنْ أَصْحابِكَ متن ١٩١
اللغة........ ١٩١
الشرح ١٩١
قوله ﷺ: أمَّا بَعْدُ فَقَدْ عَلِمْتَ إِعْذارِي فِيكُمْ وإِعْراضِي عَنْكُمْ و..... ١٩١
قوله ﷺ: وقَدْ أَدْبَرَ ما أَدْبَرَ وأَقْبَلَ ما أَقْبَلَ فَبايِعْ مَنْ قِبَلَكَ وأَقْبِلْ و.....
ومن وصية له ﷺ (٧٤)........ ١٩٤
قوله ﷺ: سَعِ النَّاسَ بِوَجْهِكَ ومَجْلِسِكَ وحُكْمِكَ الى من النَّار متن.. ١٩٤
اللغة........ ١٩٤
الشرح ١٩٤
قوله ﷺ: سَعِ النَّاسَ بِوَجْهِكَ وَمَجْلِسِكَ وحُكْمِكَ........ ١٩٤
قوله ﷺ: وإيَّاكَ والغَضَبَ فإنَّهُ طَيْرَةٌ مِنَ الشَّيْطانِ........ ١٩٥
قوله ﷺ: وأعْلَمْ ما قَرَّبَكَ مِنَ اللهِ يُباعِدُكَ مِنَ النَّارِ و..... ١٩٥
ومن وصية له ﷺ (٧٥)........ ١٩٧
قوله ﷺ: لا تُخاصِمْهُمْ بالقُرآنِ فإنَّ القرآنَ الى عَنْها مَحيصاً متن..... ١٩٧
اللغة........ ١٩٧
الشرح........ ١٩٧
ومن كتاب له ﷺ (٧٦)........ ٢٠٣
قوله ﷺ: فإنَّ النَّاسَ قدْ تَغَيَّرَ كَثيرٌ مِنْهُمْ الى بِأقاوِيلِ السُّوءِ متن ٢٠٣
اللغة........ ٢٠٣
المعنى........ ٢٠٤
الشرح........ ٢٠٤

قوله عليه السلام: فإِنَّ النَّاسَ قَدْ تَغَيَّرَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ عَنْ كَثِيرٍ مِنْ حَظِّهِمْ و....... ٢٠٥
قوله عليه السلام: وإِنِّي نَزَلْتُ مِنْ هَذَا الأَمْرِ مَنْزِلاً مُعْجِباً اجْتَمَعَ و....... ٢٠٦
قوله عليه السلام: ولَيْسَ رَجُلٌ باعْلَمْ أَحْرَصَ على جماعة أُمَّةِ و...... ٢٠٨
قوله عليه السلام: وَسَأَفِي بالَّذِي وَأَيْتُ على نَفْسِي وإن تَغَيَّرْتَ و...... ٢١٠
قوله عليه السلام: وإِنِّي لأَعْبَدُ أن يَقُولَ قائِلٌ بِبَاطِلٍ وأَنْ أُفْسِدَا أمْراً قدْ و...... ٢١٠
ومن كتاب له عليه السلام (٧٧) **٢١١**
قوله عليه السلام: أمَّا بَعْدُ فإِنَّما اهلَكَ مَنْ كانَ الى بالْباطِلِ فاقْتَدَوْه**متن**...... ٢١١
الشَّرح ٢١١
قصار الكلمات **٢١٤**

١ ...... **٢١٤**
قوله عليه السلام: كُنْ في الْفِتْنَةِ كابْنِ اللَّبُونِ لا **الى** ولا ضَرْعٌ فَيُحْلَبَ**متن** ٢١٤
٢ ...... **٢١٦**
قوله عليه السلام: أَزْرَىٰ بِنَفْسِهِ مَنِ اسْتَشْعَرَ الطَّمَعَ **الى**كَشَفَ عَنْ ضُرِّهِ**متن**...... ٢١٦
٣ ...... **٢٢١**
قوله عليه السلام: الْبُخْلُ عارٌ والجُبْنُ مَنْقَصَةٌ والْفَقْرُ **الى**، والْوَرَعُ جُنَّةٌ**متن** ٢٢١
٤ ...... **٢٣١**
قوله عليه السلام: نِعْمَ الْقَرِينُ الرِّضَى ، والْعِلْمُ وِراثَةٌ **الى** مِرْآة صافِيَةٌ**متن** ٢٣١
٥ ...... **٢٤٠**
قوله عليه السلام: صَدْرُ الْعاقِلِ صُنْدُوقُ سِرِّهِ، **الى** كَثُرَ السَّاخِط علَيْهِ**متن** ٢٤٠
٦ ...... **٢٤٦**
قوله عليه السلام: الصَّدَقَةُ دَوَاءٌ مُنْجِحٌ .وأعْمالُ **الى** أَعْيُنِهِمْ في أجلِهِمْ**متن**...... ٢٤٦
٧ ...... **٢٤٨**
قوله عليه السلام: أعْجِبُوا لِهَذَا الإِنْسانِ يَنْظُرُ **الى** وَيَتَنَفَّسُ في خُرْمٍ**متن** ٢٤٨

٨ .... ٢٥٠
قوله عليه السلام: إِذَا أَقْبَلَتِ الدُّنيا على أحدٍ أعارَتْهُ الى مَحاسِنَ نَفْسِهِمتن ... ٢٥٠
٩ .... ٢٥٢
قوله عليه السلام: خالِطُوا النَّاسَ مُخالَطَةً إنْ مُتُّمْ الى عِشْتُمْ حَنُّوا إِلَيْكُمْمتن... ٢٥٢
١٠ .... ٢٥٤
قوله عليه السلام: إذا قَدَرْتَ على عَدُوِّكَ فاجْعَلِ العَفْوَ الى للقُدْرَةِ عليْهِمتن .. ٢٥٤
١١ .... ٢٥٦
قوله عليه السلام: أَعْجَزُ النَّاسِ مَنْ عَجزَ عَن اكْتِسَابِالى ظَفِرَ بِهِ مِنْهُمْمتن... ٢٥٦
١٢ .... ٢٥٨
قوله عليه السلام: إذا وصَلَتْ إِلَيْكُمْ أَطْرَافُ النعَمِالى بِقِلَّةِ الشُّكْرِمتن ٢٥٨
١٣ .... ٢٦٠
قوله عليه السلام: مَنْ ضَيَّعَهُ الأَقْرَبُ أُتِيحَ لَهُ الأَبْعَدُ متن ٢٦٠
١٤ .... ٢٦١
قوله عليه السلام: مَا كُلُّ مَفْتُونٍ يُعاتَبُمتن.............. ٢٦١
١٥ .... ٢٦٤
قوله عليه السلام: تَذِلُّ الأُمُورُ لِلْمَقادِيرِ حَتَّىٰ يكُونَ الحَتْفُ في التَّدْبِيرِمتن... ٢٦٤
١٦ .... ٢٦٧
وسُئِلَ عليه السلام: عَنْ قَوْلِ الرَّسُولِ الله صلى الله عليه وآله: الى فامْرُؤٌ وَما اخْتارَمتن..... ٢٦٧
١٧ .... ٢٦٩
قوله عليه السلام: في الَّذين إعتزَلُوا القِتَال معه الى ولَمْ يَنْصرُوا الباطِلَمتن .. ٢٦٩
١٨ .... ٢٧٠
قوله عليه السلام: مَنْ جَرَىٰ في عِنانِ أَمَلِهِ عَثَرَ بِأَجَلِهِمتن ٢٧٠
١٩ .... ٢٧٢
قوله عليه السلام: أَقِيلُوا ذَوِي المُرُوّاتِ عَثَراتِهِمْ فَمَا الى بِيَدِهِ يَرْفَعُهُمتن..... ٢٧٢

۲۰ .... ۲۷۴

قوله عليه السلام: قُرِنَتِ الهَيْبَةُ بِالخَيْبَةِ والحَيَاء الى فانْتَهِزوا فُرَصَ الْخَيْرِ متن . ۲۷۴

۲۱ .... ۲۷۹

قوله عليه السلام: لَنا حَقٌّ فإنْ أُعْطِيناهُ وإلّا رَكِبْنا الى وإنْ طالَ السُّرَى متن ۲۷۹

۲۲ .... ۲۸۱

قوله عليه السلام: مَنْ أبْطأَ بِهِ عَمَلُهُ لمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ متن ۲۸۱

۲۳ .... ۲۸۴

قوله عليه السلام: مِنْ كَفَّارَاتِ الذُّنُوبِ الْعِظَامِ إغاثَةُ الى عَنِ الْمَكْرُوبِ متن ... ۲۸۴

۲۴ .... ۲۸۶

قوله عليه السلام: يابْنَ آدَمَ إذَا رَأيْتَ رَبَّكَ سُبْحانَهُ الى تَعْصِيهِ فاحْذَرْهُ متن .. ۲۸۶

۲۵ .... ۲۸۷

قوله عليه السلام: ما أضْمَرَ أحَدٌ شَيْئاً إلّا ظَهَرَ في الى وصَفَحاتِ وَجهِهِ متن .. ۲۸۷

۲۶ .... ۲۸۸

قوله عليه السلام: إمْشِ بِدَائِكَ ما مَشَى بِكَ متن ۲۸۸

۲۷ .... ۲۹۱

قوله عليه السلام: أفْضَلُ الزُّهْدِ إخْفاءُ الزُّهْدِ متن ۲۹۱

۲۸ .... ۲۹۴

قوله عليه السلام: إذَا كُنْتَ في إدْبارٍ والمَوْتُ في إقْبالٍ الى أسْرَعَ المُلْتَقَى متن . ۲۹۴

۲۹ .... ۲۹۵

قوله عليه السلام: ألحَذَرَ الحَذَرَ فَوَاللهِ لَقَدْ سَتَرَ حَتّى كأنَّهُ قدْ غَفَرَ متن ۲۹۵

۳۰ .... ۲۹۶

قوله عليه السلام: وسُئِلَ عَنِ الإيمَانِ فَقَالَ، الإيمَانُ الى هَلَكَ فِيهِما متن ۲۹۷

۳۱ .... ۳۲۴

قوله عليه السلام: فاعِلُ الخَيرِ خيرٌ مِنْهُ وفاعِلُ الشَّرِّ شَرٌّ مِنْهُ متن ۳۲۴

۳۲ .... ۳۲۹
قوله ﷺ: كُنْ سَمْحاً ولا تَكُنْ مُبَذِّراً .وكُنْ مُقَدِّراً ولا تَكُنْ مُقَتِّراًمتن .. ۳۲۹
۳۳ .... ۳۳۲
قوله ﷺ: أَشْرَفُ الغِنَى تَرْكُ المُنَىمتن ۳۳۲
۳۴ .... ۳۳۵
قوله ﷺ: مَن أَسْرَعَ إلى النَّاسِ بِمَا يكْرَهُونَ الى بِمَا لا يَعْلَمُونَمتن .. ۳۳۵
۳۵ .... ۳۳۶
قوله ﷺ: مَنْ أَطَالَ الأَمَلَ أَسَاءَ العَمَلَمتن........................ ۳۳۶
۳۶ .... ۳۳۷
قوله ﷺ: وَقدْ لَقِيَهُ عِنْدَ مَسِيرِهِ إلى الشَّامِالى الأمانُ مِنَ النَّارِمتن.... ۳۳۷
۳۷ .... ۳۳۹
قوله ﷺ: لابْنِهِ الحَسَنِ يا بُنَيَّ احْفَظْ عَنِّيالى عَليكَ القَرِيبَمتن.... ۳۳۹
۳۸ .... ۳۴۷
قوله ﷺ: لا قُرْبَةَ بالنَّوافِلِ إذَا أَضرَّتْ بالفَرَائِضِمتن ۳۴۷
۳۹ .... ۳۴۸
قوله ﷺ: لِسَانُ العاقِلِ وَرَاءَ قَلْبِهِ وقَلْبُ الى الغَاقِلِ فِي قَلْبِهِمتن ۳۴۸
۴۰ .... ۳۵۰
قوله ﷺ:جَعَلَ اللّٰهُ مَا كانَ مِنْ شكواک الى مِنْ عِبَادِهِ الْجَنَّةَمتن ۳۵۰
۴۱ .... ۳۵۷
قوله ﷺ: يرحم الله خباباً بن الأرت،فَلَقَدْ أَسْلَمَالى وَعاشَ مُجاهِداًمتن ۳۵۷
۴۲ .... ۳۶۰
قوله ﷺ: طُوبىٰ لِمنْ ذَكَرَ المَعادَ وعَمِلَ للْحِسَابِ الى عَنِ اللّٰهِمتن .. ۳۶۰
۴۳ .... ۳۶۱
قوله ﷺ: لوْ ضَرَبْتُ خَيْشُومَ الْمؤمنِ بِسَيْفِي الى يُحِبُّكَ مُنَافِقٌمتن ... ۳۶۱

۴۴ .... ۳۶۴
قوله عليه السلام: سَيِّئَةٌ تَسُوءكَ خَيرٌ عِنْدَ اللّٰهِ من حَسَنَةٍ تُعْجِبُكَ متن ۳۶۴
۴۵ .... ۳۶۵
قوله عليه السلام: قَدْرَ الرَّجُل على قَدْرِ هِمَّتِهِ .وصِدْقُهُ الى قَدْرِ غِيرَتِهِ متن ... ۳۶۵
۴۶ .... ۳۷۰
قوله عليه السلام: الظَّفَرُ بالحَزْمِ. والحَزْمِ بإجالَةِ الى بِتَحْصِينِ الأسْرَارِ متن... ۳۷۰
۴۷ .... ۳۷۱
قوله عليه السلام: إحْذَرُوا صَوْلَةَ الكَرِيمِ إذا جاعَ واللَّئِيمِ إذا شَبِعَ متن ۳۷۱
۴۸ .... ۳۷۳
قوله عليه السلام: قُلُوبُ الرِّجالِ وَحْشِيَّةٌ فَمَنْ تَألَّفَها أقْبَلَتْ عَلَيْهِ متن ۳۷۳
۴۹ .... ۳۷۵
قوله عليه السلام: عَيْبُكَ مَسْتُورٌ ما أسْعَدَكَ جَدُّكَ متن ۳۷۵
۵۰ .... ۳۷۷
قوله عليه السلام: أوْلَى النّاسِ بالعَفْوِ أقْدَرُهُمْ على العُقُوبَة متن ۳۷۷
۵۱ .... ۳۷۸
قوله عليه السلام: السَّخاءِ ما كانَ ابْتِداءً فأمَّا ما كانَ الى فَحَياءٌ وتَذَمُّمٌ متن ۳۷۸
۵۲ .... ۳۸۱
قوله عليه السلام لاغِنىٰ كالعَقْلِ، ولا فَقْرِ كالجَهْلِ .الى زهيرَ كالمُشاوَرَةِ متن .. ۳۸۱
۵۳ .... ۳۹۱
قوله عليه السلام: الصَّبْرُ صَبْرانِ صَبرٌ على ما تَكْرَهُ وَصبرٌ عَمَّا تُحِبُّ متن ۳۹۱
۵۴ .... ۳۹۳
قوله عليه السلام: الغِنىَ في الغُرْبَةِ وَطَنٌ .والفَقْرُ في الوَطَنِ غُرْبَةٌ متن ۳۹۳
۵۵ .... ۳۹۴
قوله عليه السلام: القَناعَةُ مالٌ لا يَنْفَدُ متن........ ۳۹۴

٥٦ .... ٣٩٥
قوله عليه السلام: المَالُ مادَّةُ الشَّهَوَاتِ متن ٣٩٥
٥٧ .... ٣٩٧
قوله عليه السلام: مَنْ حَذَّرَكَ كَمَنْ بَشَّرَكَ متن ٣٩٧
٥٨ .... ٣٩٨
قوله عليه السلام: اللِّسَانُ سَبُعٌ إِنْ خُلِّيَ عَنْهُ عَقَرَ متن ٣٩٨
٥٩ .... ٤٠١
قوله عليه السلام: المَرْأَةُ عَقْرَبٌ حُلْوَةُ اللِّبْسَةِ متن ٤٠١
٦٠ .... ٤٠٦
قوله عليه السلام: الشَّفِيعُ جَنَاحُ الطَّالِبِ متن ٤٠٦
٦١ .... ٤٠٩
قوله عليه السلام: أَهْلُ الدُّنْيَا كَرَكْبٍ يُسَارُ بِهِمْ وَهُمْ نِيَامٌ متن ٤٠٩
٦٢ .... ٤١١
قوله عليه السلام: فَقْدُ الأَحِبَّةِ غُرْبَةٌ متن ٤١١
٦٣ .... ٤١٣
قوله عليه السلام: فَوْتُ الحَاجَةِ أَهْوَنُ مِنْ طَلَبِهَا إِلَى غيرِ أَهلِهَا متن ٤١٣
٦٤ .... ٤١٥
قوله عليه السلام: لا تَسْتَحِ مِنْ إِعْطَاءِ القَلِيلِ فَإِنَّ الحِرْمَانَ أَقَلُّ مِنْهُ متن ٤١٥
٦٥ .... ٤١٦
قوله عليه السلام: العَفَافُ زِينَةُ الفَقْرِ متن ٤١٦
٦٦ .... ٤١٨
قوله عليه السلام: إِذَا لَمْ يَكُنْ مَا تُرِيدُ فَلاَ تُبَلْ مَا كُنْتَ متن ٤١٨
٦٧ .... ٤٢٠
قوله عليه السلام: لا تَرَى الجَاهِلَ إِلاَّ مُفْرِطاً أَوْ مُفَرِّطاً متن ٤٢٠

۶۸ .... **۴۲۱**
قوله ﷺ: إذَا تَمَّ الْعَقْلُ نَقَصَ الْكَلامُ**متن** ۴۲۱
۶۹ .... **۴۲۲**
قوله ﷺ: الدَّهرُ يُخْلِقُ الأَبْدَانَ ويُجَدِّدُ **الى** ومَنْ فاتَهُ تَعِبَ**متن** ۴۲۲
۷۰ .... **۴۲۴**
مَنْ نَصَبَ نَفْسَهُ لِلنَّاسِ إمَاماً فَلْيَبْدَأْ بِتَعْلِيمِ **الى** النَّاسِ ومُؤَدِّبِهِمْ**متن** ۴۲۴
۷۱ .... **۴۲۷**
قوله ﷺ: نَفَسُ المَرْءِ خُطاه إلىٰ آجَلِهِ**متن** ۴۲۷
۷۲ .... **۴۲۸**
قوله ﷺ: كُلُّ مَعْدُودٍ مُنْقَضٍ وكلُّ مُتَوقَّعٍ آتٍ**متن** ۴۲۸
۷۳ .... **۴۳۲**
قوله ﷺ: إنَّ الأُمُورَ إذا اشْتَبَهَتِ اعْتُبِر آخِرُها بأَوَّلِها**متن** ۴۳۲
۷۴ .... **۴۳۳**
قوله ﷺ: يا دُنيا يا دُنيا إلَيْكِ عَني أَبِي تَعَرَّضْتِ**الى** وعَظِيمِ المَوْرِدِ**متن** ۴۳۳
ومن كلامٍ له ﷺ (۷۵) **۴۳۸**
قوله ﷺ: وَيحَكَ! لَعلَّكَ ظَنَنتَ قَضَاءً لازِماً **الى** كَفَرُوا مِنَ النَّارِ**متن** ۴۳۸
اللّغة ۴۳۸
الشّرح ۴۳۸
قوله ﷺ: وَيْحَكَ لَعلّكَ ظَنَنْتَ قَضَاءً لازِماً وقَدَراً حاتِماً ۴۴۵
قوله ﷺ: وَلَوْ كانَ كذَلِكَ لَبَطَلَ الثَوابُ والْعِقابُ ۴۵۱
قوله ﷺ: وسَقَطَ الوَعْدُ والوَعِيدُ ۴۵۲
قوله ﷺ: إنَّ اللّهَ سُبْحانَهُ أمَرَ عِبَادَهُ تَخْيِيراً ونَهاهُمْ تَحْذِيراً ۴۵۳
قوله ﷺ: وكَلَّفَ يَسيراً ولَمْ يَكلف عَسِيراً وأعْطَى علىٰ القَليلِ ۴۵۳
قوله ﷺ: ولَمْ بعصَ مَغلُوباً ولَمْ يُطَعْ مُكْرِهاً ۴۵۵

قوله عليه السلام: وَلَمْ يُرْسِلِ الأَنْبِياءَ لَعِباً وَلَمْ يُنزِلِ الكِتَابَ لِلْعِبَادِ عَبَثاً...... ۴۵۵
۷۶ .... ۵۱۹
قوله عليه السلام: خُذِ الْحِكْمَةَ أَنّى كانَتْ فإنّها الى في صَدْرِ المُؤمِنِ متن ... ۵۱۹
۷۷ .... ۵۲۲
قوله عليه السلام: الْحِكْمَةُ ضَالَّةُ المُؤمِنِ فَخُذِ الحِكْمَةَ الى أهْلِ النِّفاقِ متن ... ۵۲۲
۷۸ .... ۵۲۳
قوله عليه السلام: قِيمَةُ كلِّ امْرِىءٍ ما يُحْسِنُهُ متن ۵۲۳
۷۹ .... ۵۲۶
قوله عليه السلام: أُوصِيكُمْ بِخَمْسٍ لَوْ ضَرَبْتُمْ إلَيْها الى إيمَانٍ لا صَبْرَ مَعَهُ متن. ۵۲۶
۸۰ .... ۵۴۴
قوله عليه السلام: لِرَجُلٍ أفْرَطَ في الثَّناءِ عَلَيْهِ وكانَ الى ما في نَفْسِكَ متن ... ۵۴۴
۸۱ .... ۵۴۵
قوله عليه السلام: بَقِيَّةُ السَّيْفِ أَبْقَى عَدَداً وأكْثَرُ وَلَداً متن ۵۴۵
۸۲ .... ۵۴۶
قوله عليه السلام: مَنْ تَرَكَ قَوْلَ لا أدْرِي أُصِيبَتْ مَقَاتِلُهُ متن............ ۵۴۶
۸۳ .... ۵۴۸
قوله عليه السلام: رَأْيُ الشَّيْخِ أحَبُّ إليَّ مِنْ جَلَدِ الى مَشْهَدِ الْغُلامِ متن ۵۴۸
۸۴ .... ۵۵۰
قوله عليه السلام: عَجِبْتُ لِمَنْ يَقْنَطُ ومَعَهُ الإسْتِغْفارُ متن ۵۵۰
۸۵ .... ۵۵۲
قال عليه السلام: كان فِي الأَرْضِ أَمَانَانِ مِنْ عَذَابِ اللهِ الى آخر ۵۵۲
۸۶ .... ۵۵۴
قوله عليه السلام: مَنْ أَصْلَحَ بيْنَهُ وَبيْنَ اللهِ الى عليْهِ مِنَ اللهِ حافِظٌ متن ۵۵۴
۸۷ .... ۵۵۸

قوله عليه السلام: اَلْفَقِيهُ كُلُّ الْفَقِيهِ مَنْ لَمْ يُقَنِّطِ الى رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّونَ متن ۵۵۸
۸۸ .... ۵۶۰
قوله عليه السلام: إِنَّ هٰذِهِ الْقُلُوبَ تَمَلُّ الأَبْدَانُ .فَابْتَغُوا لَهَا الى آخر ۵۶۰
۸۹ .... ۵۶۲
قوله عليه السلام: أَوْضَعُ الْعِلْمِ ما وُقِفَ علىٰ اللسانِ الى الجَوارِحِ والأَرْكانِ متن ۵۶۲
۹۰ .... ۵۶۴
قوله عليه السلام: لا يَقُولَنَّ أَحدُكُمُ اللّٰهُمَّ إِنِّي الى وَيكْرَهُ أَنْثلامَ الحَالِ متن ... ۵۶۴
۹۱ .... ۵۶۷
فقال عليه السلام: لَيْسَ الخَيْرُ أَنْ يكْثرَ مَالُكَ الى يُسَارِعُ فيِ الخَيراتِ متن ۵۶۷
۹۲ .... ۵۷۲
قوله عليه السلام: لا يَقِلُّ عَمَلٌ مَعَ التَّقْوىٰ وكَيْفَ يَقِلُّ ما يُتَقَبَّلُ متن ۵۷۲
۹۳ .... ۵۷۳
قوله عليه السلام: إِنَّ أَوْلىٰ النّاسِ بالأَنْبِياءِ أَعْلَمُهُمْ بمَاالى قَرُبَتْ قَرابَتُهُ متن ... ۵۷۳
۹۴ .... ۵۷۵
فَقالَ عليه السلام: نَوْمٌ علىٰ يَقِينٍ خيرٌ مِنْ صَلاَةٍ في شَكٍّ متن ۵۷۵
۹۵ .... ۵۷۷
قوله عليه السلام: إِعقِلُوا الخَبرَ إذا سَمِعْتُمُوهُ عَقْلَ الى كَثيرٌ ورُعاتُهُ قَلِيلٌ متن .. ۵۷۷
۹۶ .... ۵۷۸
وسَمعَ رَجُلاً يَقُولُ عليه السلام: إِنّا للهِ وإِنّاإليهِ الى أَنْفُسِنا بالْهُلْكِ متن ۵۷۸
۹۷ .... ۵۸۰
قوله عليه السلام: اَللّٰهُمَّ إِنَّك أَعْلَمُ بي من نَفْسِيالى ما لا يَعْلَمُونَ متن ۵۸۰
۹۸ .... ۵۸۲
قوله عليه السلام: لا يَسْتَقِيم قَضاءِ الْحَوائِجِ إِلَّا الى وَبِتَعْجِيلِها لِتَهْنُوءَ متن ۵۸۲
۹۹ .... ۵۸۵

قوله عليه السلام: يأتِي علىٰ النَّاسِ زَمانٌ لايُقَرَّبُ فيهِالى وتَدْبِيرِ الخِصْيانِمتن ٥٨٥
١٠٠ .... ٥٨٨
فَقالَ عليه السلام: يَخْشَعُ لهُ القَلْبُ وتَذِلُّ بهِ النَّفْسُ الى وهُمَا بَعْدَ ضَرْبَتانِمتن . ٥٨٨
١٠١ .... ٥٩١
قال عليه السلام: يانَوْفُ طُوبَىٰ لِلزّاهِدِينَ في الدّنْيا الى أوْ صاحِبَ كُوبَةٍمتن . ٥٩١
١٠٢ .... ٦٠٤
قوله عليه السلام: إنَّ اللّهَ إفْتَرَضَ عَلَيْكُمْ الْفَرائِضَ الى فَلاَ تَتَكَلَّفُوهامتن ٦٠٤
١٠٣ .... ٦٠٧
قوله عليه السلام: لا يَتْرُكُ النّاسَ شَيْئاً مِنْ أمْرِ دِينِهِمْ الى ما هُوَ أضَرُّ مِنْهُمتن .. ٦٠٧
١٠٤ .... ٦٠٨
قوله عليه السلام: رُبَّ عالِمٍ قدْ قَتَلَه جَهْلُهُ وعِلْمُهُ مَعَهُ لا يَنْفَعُهُمتن ٦٠٨
١٠٥ .... ٦١٠
قوله عليه السلام: لَقَدْ عُلِّقَ بِنِياطِ هذا الإنسانِ بَضْعَةٌ الى إفْراطٍ لهُ مُفسِدٌمتن .. ٦١٠

مكتبة الروضة الحيدرية
الرقم ١٠٧٥٤٨
التاريخ ٩/٨/ ١١